جامعة الجزائر - 2 -

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

النخبة الجزائرية والدولة العثمانية في العهد الدستوري (1908-1924م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:
سعودي أحمد

إشراف:
أ.د. مصطفى نويصر

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
د. أولاد سيدي الشيخ عبد الرحمان	رئيسا	جامعة الجزائر - 2 -
أ.د. مصطفى نويصر	مقررا	جامعة الجزائر - 2 -
د. محمد بلقاسم	عضوا	جامعة الجزائر - 2 -
د. هزرشي بن جلول	عضوا	جامعة الجلفة
د. نادية طرشون	عضوا	جامعة المدية

السنة الجامعية: 2015/ 2016

جامعة الجزائر -2-

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

النخبة الجزائرية والدولة العثمانية في العهد الدستوري (1908-1924 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب :

أحمد سعودي

إشراف الأستاذ:

أ.د مصطفى نويصر

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
د. أولاد سيدي الشيخ عبد الرحمان	رئيسا	جامعة الجزائر-2 -
أ.د مصطفى نويصر	مقررا	جامعة الجزائر-2 -
د. محمد بلقاسم	عضوا	جامعة الجزائر-2 -
د.هزرشي بن جلول	عضوا	جامعة الجلفة
د.نادية طرشون	عضوا	جامعة المدية

السنة الجامعية 2016/2015

إهـــــــداء

إلى والدى ووالدتي....

إلى زوجتي رفيقة الدرب المخلصة....

إلى أبنائي: هبة، حسام الدين، أنفال، فدوى، دعـاء وريحانة.....

إلى رجال ونساء أمـتي ووطني الصامدون في قلاع العروبة والإسلام

شكر وعرفان

بمناسبة انتهائي من هذه الرسالة وتقديمها إلى قسم التاريخ بجامعة الجزائر-2-.

لا يسعني إلا أن أقدم شكري وعرفاني لأستاذي والمشرف علي الأستاذ الدكتور مصطفى نويصر، مدركا أنني لن أُوفيه حقه من الشكر والعرفان فجزاه الله كل خير.

وأُثني بشكر كل أساتذتي في قسم التاريخ جامعة الجزائر في مرحلتي الليسانس 1986م/1990م والماجستير 2008م/2010م

خاصا بالذكر من إلتحق منهم بالرفيق الأعلى ثابتا على الحق والقيم العليا والشكر موصول لكل من أمدني بالكثير والقليل من المساعدة فلكل من الأجر نصيب.

ثبت المختصـرات

تر.....(ترجمة)
تح.....(تحقيق)
ج.....(جزء)
د ت .....(دون تاريخ نشر)
د م .....(دون مؤسسة نشر)
د م ج.....(ديوان المطبوعات الجامعية)
س..... (سنة)
ش و ن ت.....(الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)
ص.....(صفحة)
صص.....(عدة صفحات)
ط.....(طبعة)
ط خ.....(طبعة خاصة)
م **ت م**.....(المجلة التاريخية المغاربية)
مج.....(مجلد)
م د ب و ع ع ع.....(مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني)
م و ك .....(المؤسسة الوطنية للكتاب)

Anep……..(Entreprise national de commuication d'edition et de publicité)
BCAF……..…(Bulletin du Comité de l'Afrique Française

ENAL……..(Entreprise national Algerienne du livre)
OPU……..…(Office des Publications Universitaires)
P……..…(page)
pp……..(plusieurs pages)
PUF……...(Presses universitaires de France)
RA…… (La Revue Africainne)
RHM…… (Revue d'histoire Maghrebine)
RMM……...(Revue du Monde Musulman)
SGA……..…(Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord)
T……..(Tome)
Vol……..(volume)

مقدمة

مقـــــدمة

أعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن "الدستور" وقيام "البرلمان" في سنة(1908م)، مُؤسسا بذلك لبداية عهد جديد أصبح يُعرف تاريخيا بالعهد الدستوري الممتد ما بين (1908- 1924م) و ما صاحبه من ظهور لجمعية الإتحاد والترقي التي سرعان ما أمسكت بزمام السلطة بعد إزاحة السلطان عبد الحميد وتولية أخيه محمد رشاد الخامس، في وقت غدت فيه السلطة الفعلية في يد جمعية الإتحاد و الترقي ذات التوجه القومي الطوراني ، فأ طلقت العنان لسياسة جديدة عُرفت بسياسة «التتريك»، مؤججة بذلك في العديد من الولايات التابعة للدولة العثمانية حركات قومية مناوئة رافضة لتلك السياسة كما هو الحال في البلاد العربية ، بظهور الحركة القومية العربية مُعبرة عن نفسها في شكل جمعيات وأحزاب عديدة ك "حزب اللامركزية" سنة (1913م) و الجمعية " القحطانية" و" الجمعية العربية الفتاة" في باريس سنة (1911م) وغيرها من الجمعيات بغرض إبراز المطالب العربية المنادية بالإصلاح ومزيد من الإهتمام بالعنصر العربي والولايات العربية.

ولما بطش الإتحاديون بالقوميين العرب قامت " العربية الفتاة" بعقد مؤتمر لها في باريس سنة (1913م)، وهو الحدث الذي سيشكل مفصلا هاما في العلاقة بين الولايات العربية والسلطة العثمانية، فاتحة بذلك الباب لنقاش واسع عن أولوية البقاء ضمن جسد الدولة العثمانية وفق نظرة دينية واضحة تعتبرها رمزا للخلافة الإسلامية من الواجب الحفاظ عليه وحمايته والتمسك به أو الإنفصال عنها وبناء الوطن القومي العربي المنشود في وقت كان الإستعمار الأوروبي يتربص بالطرفين العثماني والعربي معا.

وبقيام الحرب العالمية الأولى سنة (1914م) ودخول الدولة العثمانية غمارها إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا) تمكن الإنجليز بواسطة إتصالات اللورد مكماهون بالشريف حسين من جر جزء من العرب إلى جانب الحلفاء و بدأت نُذر صدام عربي – عثماني مسلح بعد أن كان مجرد صدام فكري .

سقطت الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب وأحتل الحلفاء واليونان جزء من أراضيها، دون أن ننسى كيف كانت أثناء الحرب (إتفاقية سايكس- بيكو (1916م) ترسم خارطة النفوذ الفرنسي – البريطاني على إمتداد المشرق العربي ككل ، تتمة للمشروع الإستعماري في الجزء الغربي من البلاد العربية والذي تم إحتلاله كاملا بعد فرض

الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى سنة (1912م) وإنتهى الأمر بتسليم كلي في ما أصبح يسمى "جمهورية تركيا" لحركة من التغريب الواسعة وتخلص نهائي من مؤسسة الخلافة.

أما بالنسبة للبلاد العربية فقد كانت الفترة الممتدة من (1908 إلى غاية 1924م) حافلة بالأحداث فإضافة إلى ما سبق ذكره بدأ تحرك الصهيونية العالمية للإستحواذ على فلسطين وسقطت طرابلس الغرب (ليبيا) في قبضة الإحتلال الإيطالي سنة (1911م) وفُرضت الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى (مراكش) (1912م) وأنفجرت ثورة عربية ضد العثمانيين في الحجاز سنة(1916م) ، أما فكريا فتلاطمت أمواج الأفكار بين النخب والتيارات الفكرية وأحتدم النقاش حول قضايا مثل الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة ومشروعية إستمرارها وقضايا الإصلاح المتعددة وقضايا أخرى داخلية تمس دولا مثل الجزائر كقضايا التجنيس والتجنيد وغير ذلك.

وبحكم الصلات التاريخية الطويلة بين الجزائر والدولة العثمانية وجدت النخبة الجزائرية من محافظين ومجددين نفسها ملزمة بأن تُدلي بدلوها في هذه الأحداث بوسائط مختلفة.

وإذا كان مفهوم النخبة لايزال محل نقاش ودراسات عديدة، فقد تناولنا في هذه الدراسة النخبة الجزائرية كفئة تتميز بمستوى معين من الثقافة والتعليم والوعي يتيح لها المشاركة في ما إستجد من قضايا في الفترة المدروسة بغض النظر عن مشاربها الفكرية أو كونها داخل الجزائر أو خارجها ، ولكن على العموم حافظنا على التقسيم التقليدي لها بين نخبة محافظة ذات تكوين عربي إسلامي ونخبة مجددة نالت حظها من التعليم الفرنسي وتأثرت بتحولات الحضارة الغربية عموما .

لكن الدارس لتاريخ الجزائر الحديث سيكتشف بروز الثنائية النخبوية منذ الفترة العثمانية، ثم كيف أن هذه الثنائية أخذت منحى تصاعديا وتصارعيا أثناء الفترة الإستعمارية و ما أحدثته من صدمة و خاصة في ظل سعي السلطات الإستعمارية إلى تحقيق جزء من سياستها عبر إحتواء بعض أفراد هذه النخبة المثقفة التي تكونت في مدارسها. وقد لاحظنا إحتدام النقاش بين الطرفين في القضايا المتعلقة أساسا بفرنسا أو سياستها في الجزائر كقضية التجنيس أو التجنيد الإجباري وتحديد الطرف الذي يقف معه الجزائريون خلال الحرب العالمية الأولى ،لكن صوت النخبة المجددة سرعان ما يخفت عندما متى يتعلق الأمر بقضايا قومية أو إسلامية وكأن الأمر لا يهمها عكس النخبة المحافظة التي لم تكن ترى أي فرق بين قضايا الجزائر والقضايا التي تهز الفضاء العربي الإسلامي.

دوافع إختياري الموضوع:

يعود سبب إختياري لدراسة هذا الموضوع بناء على مجموعة من الدوافع و القناعات ورغبة شخصية في مواصلة بحثي ضمن تخصصي في مرحلة " الماجستير" أي "العلاقات بين المشرق والمغرب في التاريخ الحديث والمعاصر" . ولئن كانت بعض الدراسات قد تناولت علاقة الجزائريين بالمشرق خاصة بلاد الشام فمازالت قضايا أخرى بحاجة لمزيد من البحث وعلى رأسها الدولة العثمانية نفسها وبخاصة في نهاية القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين،حيث عرفت الدولة العثمانية العديد من التطورات أثرت بشكل واضح على ولاياتها العربية وما أحدثته من إرتدادات و أثر سلبي أو إيجابي عليها..

أما السبب الأخر فهو محاولة كشف الضوء على فترة هامة من تاريخ الجزائر – أي الربع الأول من القرن العشرين (1900-1925م) – والتي لم تحض بما تستحقه من الدراسات الأكاديمية مقارنة بما سبقها ولحقها من المراحل . وإن كان من الإنصاف الإشادة بجهود بعض الباحثين الجزائريين الذين ساهموا في تسليط الضوء على هذه الفترة بما سيسمح في نهاية الأمر إلى كشف مكنوناتها وإعادة الإعتبار لمفصليتها وأثرها على تاريخ الجزائر المعاصر والمنطقة ككل.

حدود الدراسة :

تعد المرحلة المختارة للدراسة أي (1908- 1924م) مرحلة حاسمة بالنسبة للدولة العثمانية بإعتبارها المرحلة الأخيرة من حياتها، حيث عرفت هذه الدولة تطورات مصيرية كان لها صدى كبيرا في معظم ولاياتها العربية وخاصة لدى النُخب العربية التي كان لها مواقف متباينة منها... وقد حاولنا في هذه الدراسة الإطلاع على موقف النخبة الجزائرية من الدولة العثمانية من خلال أبرز الأحداث التي تدخل ضمن الفترة المدروسة.

فيما تتميز هذه الفترة في الجزائر بأنها جاءت كفترة إنتقالية بين مرحلتين ، مرحلة المقاومات الشعبية المسلحة ومرحلة بداية النضال السياسي مما قد يتسبب في نوع من قلة الإهتمام بدراسة هذه المرحلة رغم مفصليتها كخاتمة لما سبقها و منتجة لما بعدها من التطورات على مختلف الأصعدة ، فسياسيو الحركة الوطنية ورجالاتها البارزون هم نتاج هذه المرحلة وحتى نخبة الجزائر في الخارج في المشرق والمغرب ستتشكل من رموز صنعتها هذه المرحلة كعائلة الأمير عبد القادر الجزائري في بلاد الشام.

إشكالية الموضوع:

تتمثل إشكالية البحث في محاولة إستجلاء مدى إهتمام النخبة الجزائرية بمختلف مشاربها ومكوناتها ومكان تواجدها،داخل الجزائر أو خارجها بقضايا الدولة العثمانية في العهد الدستوري و محاولة تفسير هذا الإهتمام أو التفاعل ،فهل كان مجرد إهتمام سطحي أم أنه تفاعل طبيعي نحو دولة صنعت في بعض مراحلها أمجاد الجزائر و آلامها ، ما يستدعى تواصل الجزائريين بشكل طبيعي مع آلام وآمال هذه الدولة ومجالها الجغرافي العربي الذي يعتبرونه مجالهم الحيوي وإمتدادهم الحضاري ،فضلا عن عن كونها- اي الدولة العثمانية- رمز الخلافة الإسلامية؟

وبذلك فنحن ننطلق من إشكالية كبرى ومجموعة من الأشكاليات الفرعية المشكلة لها ، وهي كيف تابعت النخبة الجزائرية بمختلف مكوناتها ماحدث في الدولة العثمانية من تطورات خلال العهد الدستوري (1908م و1924م) داخل الدولة نفسها أوعبر ولاياتها العربية مشرقا ومغربا؟ وهل كان ذلك نتيجة لوجود تضامن جزائري – عثماني لم ينقطع أصلا منذ (1830م) تاريخ نهاية الوجود العثماني الرسمي في الجزائر ؟ وهل يعني ذلك فشل الإستعمار في القضاء على التضامن الجزائري – العثماني والحيلولة دونه ؟ ثم ما هي أبرز القضايا التي شدت إليها النخبة الجزائرية وتفاعلت معها ولماذا ؟ وهل تميزت مواقف النخبة الجزائرية تجاه هذه القضايا بالتوحد أم التنوع وما تفسير ذلك ؟ وهل كان هنالك إختلاف بين نخبة الداخل والخارج في مواقفها من تلك القضايا نتيجة الوضع السياسي والثقافي المختلف مشرقا ومغربا مقارنة بالداخل الجزائري ؟ وما موقف السلطات الإستعمارية الفرنسية من هذا الإهتمام الجزائري بقضايا الدولة العثمانية ؟ وماهي الإجراءات المتخذة من لدنها تجاه ذلك؟

وقد حاولنا الإجابة على هذه الأسئلة في متن بحثنا.

منهج البحث:

لمعاجة هذا الموضوع إعتمدت في هذا العمل على منهجين.

1-منهج تقريري وصفي يعتمد تقديم المادة حرفيا متى إعتمدتُ المقالات التى تتناول القضايا المتعلقة مثلا بالتضامن الجزائري العثماني أو الجامعة الإسلامية أو مسالة الخلافة والتجنيد وغيرها، كدليل تاريخي لإبراز الرأي و الرأي الأخر في تلك القضايا المطروحة أو لتفسير موقف النخبة الجزائرية من حدث ما ، نظرا لما تعكسه تلك الكتابات والمقالات من مواقف مباشرة لا تستدعي التعليق أحيانا بل يُفضل نقل المادة بحرفيتها بغرض عدم

إحداث أي تغيير على محتواها ومدلولاتها ، أي إعتماد المادة كوثيقة تاريخية بحتة مع الإحتفاظ بالنص كما هو واللجوء إلى الهوامش لتحديد عناوين وتواريخ نشر المقالات أو للتعليق عليها عند الضرورة.

2- منهج نقدي تحليلي متى إقتضى الأمر دراسة للمقالات أو المقارنة بين بعضها أو إبداء رأي أحد الأطراف فيها مع إبراز ذلك بوضوح وقد تطلب الأمر اللجوء إلى كتابات حديثة حول الموضوع لتدعم أو لتنفي رأي ما .

وقد كنت أضطر أحيانا كثيرة إلى التمهيد لمبحث أو لمقال ما عند تناوله حين أجد أن القارئ في حاجة لمعرفة المزيد والحصول على خلفية واضحة قبل تناول المقال فمثلا لجأت إلى شرح حيثيات سقوط الخلافة وإبراز أراء العلماء المسلمين في ذلك حتى نتمكن من متابعة المواقف الجزائرية ومقارنتها بسابقتها حتى يدرك القارئ مبررات تلائم النخبة الجزائرية أو إختلافها مع النخب العربية والإسلامية ومبررات ذلك ، أو مفهوم الجامعة الإسلامية وتاريخها ، أو التعرض لمفهوم التتريك وفلسفته للفهم مواقف النخبة الجزائرية والإسلامية منه وغير ذلك من الضرورات.

مصادر البحث ومراجعه:

لمعالجة الموضوع المطروح للدراسة عدت إلى دراسة آراء النخبة الجزائرية من مصادرها الأساسية ومعظمها في صحافة ذلك العهد ومن أبرزها: " الفاروق" و"ذو الفقار" و" المنهاج" و" الحق الوهراني" و" التقدم" و" الحضارة" و" النجاح" و" المنار القاهرية" وغيرها أو التي تم جمعها في كتب ومجلدات على غرار "آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس" و"آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" وغيرهما، أو كتابات فرحات عباس خاصة ما أورده في كتابه " الشاب الجزائري" أو الشريف بن حبيلس في كتابه " الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي.." ، فضلا عن مذكرات شخصية ك"مذكرات الأمير سعيد الجزائري في كتابه "'مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي" ومذكرات شاهد للقرن" لمالك بن نبي و" مذكرات مصالي الحاج" و مذكرات أحمد توفيق المدني (حياة كفاح) وعبد الرحمن بن إبراهيم العقون(الكفاح القومي والسياسي...) والعديد من المذكرات لغير الجزائريين كمذكرات السلطان عبد الحميد الثاني أو مذكرات سعيد العاص وغيرهم خدمة للموضوع.

أما من حيث الدراسات الأكاديمية السابقة وذات الصلة بالموضوع فقد إعتمدت على دراسات الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله ، خاصة "الحركة الوطنية الجزائرية" و "تاريخ الجزائر الثقافي"و " أبحاث وآراء" وكتابات الأستاذ

محمد ناصر حول العديد من الرموز الصحفية ، كعمر راسم وبن قدور والشيخ أطفيش و غيرهم ، إضافة إلى الدكتور ناصر الدين سعيدوني كتابه " ورقات جزائرية" و"دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر".

ولا شك أن ما كتبه الباحث سهيل الخالدي والدكتورة نادية طرشون والدكتور عمار هلال حول نضالات الجزائريين في بلاد الشام كانت مفيدة وموجهة لبحثي و التي دعمتها بماكتبته الأميرة بديعة الحسني في كتابها "طائر في سماء المجد" حول الأمير عز الدين الجزائري،فضلا عن الأطروحات الجامعية التي أفادتني كرسالة الماجستير للباحث محمد بلقاسم " الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي(1910-1954) التي أفادتني فيما يتعلق بنضال الجزائريين في إطار حركة الجامعة الإسلامية، وكذلك أطروحة الدكتوراه لنفس الباحث والمسومة ب"وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا..." وأيضا أطروحة أحمد رضوان شرف الدين"مشروع الدولة- الأمة عند النخب الجزائرية.."، و"الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي 1911-1954م" لبن جلول هزرشي" كما أذكر من بين الأطروحات الجامعية والتي درست مناطق أو شخصيات بعينها:رسالة إبراهيم مهديد "الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900-1940 الجذور الثقافية والهوية الوطنية" ورسالة الباحث شعشوع معمر" الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش وقضايا المشرق العربي في مجلة المنهاج.." والصادق دهاش" مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي.." وغير ذلك من الأطروحات التي هي مذكورة في جرد المصادر والمراجع، أما باللغات الأجنبية فأذكر رسالة الأستاذ (Luc Chantre) حول الحج في الفترة الإستعمارية.

أما من غير الكتاب الجزائريين فقد إعتمدت على بعض دراسات الأستاذ عبد الجليل التميمي و الأستاذ التليلي العجيلي في كتابه "صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي.." و الكثير مما كتب حول نضالات النخبة الجزائرية في تونس أو ما كتب عن نضالات الجزائريين مشرقا ككتاب عادل الصلح "سطور من الرسالة" و كتابات قدري قلعجي حول الثورة العربية"و" محمد جابر آل صفا و فوزي الخطبا حول شهداء الثورة العربية وغيرهم.

أما بالنسبة للمقالات فقد إعتمدت على ما كتبه الباحث عبد الرؤوف سنو حول السياسة الألمانية تجاه الدولة العثمانية وولاياتها العربية فضلا عما كتبه التونسيون خاصة عبد الجليل التميمي والتليلي لعجيلي والبشير التليلي حول العديد من الجزائريين في تونس أمثال الثعالبي و الصفائحي وصالح الشريف وغيرهم

كما إستفدت في دراسة ظاهرة الإسلام الفرنسي من كتابين وهما كتاب " فرنسا ومسلموها" لصادق سلام و كتاب جاك فريمو " فرنسا والإسلام من نابليون إلى فرنسوا ميتيران" والكثير مما حملته مصادر المرحلة في المجلات مثل مجلة العالم الإسلامي(Rmm) والمجلة الإفريقية (RA) وغيرها من المجلات الفرنسية وغير الفرنسية ذات الصلة بالموضوع

وعلى العموم فقد إجتهدت في تجميع وإستخدام أكبر قدر ممكن من المادة التوثيقة بسبب إتساع الموضوع زمنيا وجغرافيا.

هيكل البحث : لجأت في هيكلة أطروحتي كما يلي :

مقدمة تعرضت فيها إلى التعريف بالموضوع ودوافع إختياره وطبيعة الإشكالية التي يتضمنهاومصادره ومصاعبه أي توضيح كل ما يمت للبحث بصلة .

الفصل الأول عنونته ب" التضامن الجزائري- العثماني 1830-1924 الجذور والمظاهر " والمتشكل من خمس مباحث ، عمدت في مبحثه الأول إلى تناول قضية كثيرا ما كانت محل خلاف بين الباحثين في التاريخ العثماني والعلاقات العثمانية – العربية ،محاولا الفصل بين مفهومي «التتريك» و«العثمنة»، وبين نظرة أغلب الجزائريين للدولة العثمانية نظرة إيجابية وما يقابلها من نظرة سلبية لدى باحثي المشرق العربي ونخبهم ، كما أبرزت طبيعة العلاقة تلك بين الجزائريين والدولة العثمانية ثم تطرقت في المبحث الموالي لعلاقة النخبة الجزائرية بالدولة العثمانية ممن عاصرها لتأكيد تلك الثنائية بين نخبة جزائرية مؤيدة للوجود العثماني من أمثال حمدان خوجة وابن هطال التلمساني وغيرهم ، كنماذج معجبة بالوجود العثماني في الجزائر وبين نخبة أخرى تعارض الوجود العثماني وتنتقده من رجال بعض الطرق الصوفية وبعض الشعراء...

وفي المبحث الموالي تطرقت لبعض الشخصيات الجزائرية التي رمزت للتضامن الجزائري العثماني من بداية الإحتلال إلى بداية القرن العشرين كحمدان خوجة وأحمد باي والأمير عبد القادر وبدالأمير محي الدين الجزائري....

ثم عمدت لإبراز أهم أدوات هذا التضامن وأبرز مظاهره ،من خلال مشاركة الجزائريين في بعض حروب الدولة العثمانية كحرب القرم ،أو من خلال الأعمال الصحفية والأدبية و خاصة الشعر الشعبي الذي شكل مرآة عكست بحق تضامن الجزائريين مع الدولة العثمانية في العديد من المناسبات

ثم تناولت في المبحث الموالي الإجراءات الفرنسية المختلفة للحيلولة دون هذا التضامن الجزائري – العثماني.

أما بالنسبة للفصل الثاني الذي عنونته ب" النخبة الجزائرية وحركة الجامعة الإسلامية" فيتشكل من ستة مباحث فبعد الحديث عن الجامعة الإسلامية من حيث مفهومها و ظهورها وأبرز دعاتها ، تتبعت معابرها نحو الجزائر و علاقة الجزائريين ونخبتهم بحركة الجامعة الإسلامية ومدى مساهمة هذه النخبة الجزائرية في الدعاية لها أو ضدها ، ومدى تأثير هذه الحركة على الجزائريين في الداخل والخارج من خلال نماذج من النخبة الجزائرية داخل الجزائر وخارجها خاصة في تونس وبلاد الشام .

كما قدمت في هذا الفصل نماذجا من تواصل النخبة الجزائرية في الداخل والخارج مع أبرز رموز الجامعة الإسلامية كمحمد عبده ومحمد رشيد رضا وشكيب أرسلان وغيرهم، ثم قدمت نماذج من جزائريين ساهموا في حركة الجامعة الإسلامية وخدموا دعايتها أثناء الحروب و خاصة الحرب العالمية الأولى ،كالصفائحي والشيخ صالح الشريف وبوكابوية وغيرهم ، ثم قدمت نماذجا لمواقف النخبة المجددة الرافضة للتضامن الجزائري العثماني و لتيار الجامعة الإسلامية في الجزائر...

أما في المباحث الأخيرة لهذا الفصل فتتبعت صدى وآثار الحركة في الجزائر بين مؤكد لوجودها القوى و مقلل لأهمية هذا التأثير وختمت هذا الفصل بالحديث عن كيفية مواجهة الفرنسيين لحركة الجامعة الإسلامية في الجزائر..

وفي الفصل الثالث الذي عنونته ب " توظيف فرنسا وألمانيا للديانة الإسلامية وإستخدام النخبة الجزائرية" فقد خصصته للحديث عما يسمى بالإسلام الفرنسي والإسلام الألماني خاصة مع إقتراب الحرب العالمية الأولى والحاجة لتفعيل وإستخدام العامل الديني في هذا الحرب ، وكيف صنعت الدولتان إسلاما وفق مقاييس تخدم دعايتهما ومصالحهما الإستراتيجة ، وبعد التطرق لنظرة كل طرف للإسلام قدمت في الجزء المتعلق بفرنسا أدوات إنجاز هذا الإسلام الفرنسي،والهدف من ذلك إبراز الحضور اللافت للنخبة الجزائرية المقربة من فرنسا أمثال قدور بن غبريط ومصطفى الشرشالي في خدمة الإستراتيجية الفرنسية في الجزائر وفي المشرق العربي.ثم تم الحديث عن ما سمي بظاهرة الجهاد التي إرتبطت دعائيا بالتحالف العثماني – الألماني ، وكيف برزت نخبة جزائرية في العديد من الولايات العثمانية وداخل ألمانيا نفسها لخدمة هذه الدعاية المضادة لفرنسا ، عبر الكتابات والمناشير والمقالات الصحفية والنشاط بشكل خاص ضمن ما عرف "بمعسكر الهلال" الخاص بالسجناء المسلمين في ألمانيا.

أما في المبحثين الأخيرين من هذا الفصل فتناولت قضية التجنيد الإجباري وموقف النخب الجزائرية التقليدية المحافظة والتغريبية الإندماجية منها وكيف أن هذه القضية حددت مدى نجاح الدعايتين الألمانية والفرنسية في الجزائر.

أما الفصل الرابع وهو المعنون ب " النخبة الجزائرية ومساهماتها في النضال القومي مشرقا ومغربا" فهو يتعلق بنشاطات النخبة الجزائرية في العديد من الجبهات بدءا بمواجهة سياسة التتريك في البلاد العربية والنضال ضد الإستعمار الأوروبي مشرقا ومغربا بإعتباره في نظرها واجبا قوميا ودينيا .

وبعد أن تناولت في المبحث الأول للفصل وصول الإتحاديين للسلطة داخل الدولة العثمانية، وتنفيذهم لسياسة التتريك وما ولدته من مواقف و ردود أفعال واسعة لدى النُخب العربية ، ومن بينها النخب الجزائرية التي واجهت هذه السياسة خاصة في بلاد الشام . أسهبت بشكل مستفيض في نضالات النخبة الجزائرية، فقسمت هذا النضال إلى مبحثين أحدهما يتعلق بالنضال مشرقا من خلال المساهمة في حركة التحرر السوري و مواقفها من الثورة العربية(1916م) وفي مبحث آخر نضال النخبة الجزائرية مغربا في كل من طرابلس الغرب وتونس ومراكش (المغرب الأقصى) ، لإبراز مدى فاعلية النخبة الجزائرية في هذا المجال، حيث أنها لم تتوقف عند حدود معينة ، كما تناولت في هذا الفصل الإجراءات الفرنسية المختلفة ضد هذا النضال القومي وأبرز رجالاته.

أما الفصل الخامس فقد عنونته ب "موقف النخبة الجزائرية من مصطفى كمال أتاتورك ومسألة الخلافة" تناولت فيه مواقف النخبة الجزائرية المختلفة من قضية الخلافة وشخصية مصطفى كمال أتاتورك وكيف أنها أسالت الكثير من الحبر وأحدثت الكثير من الجدل والحوار بين النخب الجزائرية ، بل أحيانا داخل الإتجاه نفسه كما حدث داخل النخبة المحافظة ، نتيجة آراء رمز من أكبر رموزها ، ألا وهو الشيخ عبد الحميد بن باديس من شخص أتاتورك ومسألة الخلافة

كما خصصت مبحثا لمساهمة النخبة الجزائرية في المؤتمرات التي ناقشت قضية الخلافة ، لإبراز حضورها المتميز كما هو الأمر بالنسبة لعبد العزيز الثعالبي و الشيخ أطفيش ، وختمت هذا الفصل بمبحث حول صدى سقوط الخلافة ضمن الأدب الجزائري كمظهر للنخب الأدبية .

أما الخاتمة فضمنتها إستنتاجات حاولت الإجابة فيها على ماتم طرحه من تساؤلات ضمن إشكالية البحث

ثم أتبعث بحثي بيبليوغرافيا لعناوين المصادر والمراجع ,ومجموعة من الفهارس المختلفة،ومجموعة من الملاحق التي ترتبط بالموضوع .

الصعوبات: كان الوصول إلى المصادر والمادة الأرشيفية من أبرز المشاكل التى واجهتني لا سيما مع تعدد الشخصيات الممثلة للنخبتين المحافظة والمجددة وصعوبة حصر كل ما كتبته أو صرحت به حول العديد من القضايا خاصة الخارجية لاسيما وأن بعض هذه القضايا كقضية الخلافة مثلا أخذت نقاشاتها مجالا زمنيا طويلا يتطلب الحصول على كم هام من الصحف والجرائد قد لا تتوفر داخل الجزائر ويصعب الحصول عليها خارجها.

ولا شك أنني في نهاية هذا العمل لا أجد نفسي في كل مرة راضيا على ماقمت به فكلما قرأته أكتشفت ماهو بحاجة للتجديد والتحديث وتلك فطرة بشرية سليمة تشكل الدافعية للبحث المستمر، والكمال لله وحده والله المستعان،فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وإن أصبت فبفضل من الله وحده.

الفصل الأول

التضامن الجزائري – العثماني (1830–1924م)

الجذور والمظاهر

1- العثمنة و التريك عود على بدء.

2- الدولة العثمانية في عيون النخبة الجزائرية المعاصرة لها بين الإعجاب والإنتقاد

3- شخصيات جزائرية جسدت التضامن الجزائري – العثماني

4- مظاهر وآليات التضامن الجزائري العثماني

1–1 العثمنة والتتريك عود على بدء:

نجم عن الإحتلال الفرنسي للجزائر منذ (5 جويلية 1830م) وما قامت به سياسته الإستيطانية على مختلف المستويات و منذ البداية حدوث إنهيار تام لمقومات إيالة الجزائر وغياب أي مظهر من مظاهر السلطة فيها، لا من طرف العنصر(التركي)1 الذي كان يحكمها مدة ثلاثة قرون ولا من طرف العنصر المحلي الذي كان طيلة تلك المرحلة بعيدا عن ممارسة السلطة السياسية والإدارية بشكلها الفعلي وبذلك بدأت تتضح ملامح سلطة جديدة وافدة ،غريبة الملامح على الجزائريين ثقافة وعقيدة ولغة مدة 132 سنة.

ولئن أجمعت معظم الدراسات أن مرحلة الدايات (1671–1830م) قد شكلت فعليا بداية إستقلال إيالة الجزائر عن الباب العالي مع إنفراد هذه الأخيرة بعملية إصدار القرارات وتوقيع المعاهدات الخارجية، بل وأحيانا رفض بعض القرارات الصادرة من الباب العالي نفسه، لاسيما ما يتعلق بتعيين بعض الحكام، غير أن الأمر لم يصل في أي لحظة من اللحظات إلى حالة من الرغبة لدى حكام الإيالة في الإنفصال التام أو العداء للدولة العلية.

لقد بقي الجزائريون يكنون الإحترام و الولاء الروحي2 للدولة العثمانية باعتبارها رمزا للخلافة الإسلامية ، في وسط مجتمع جزائري محافظ يعير أهمية بالغة للجانب الديني والروحي ويؤمن كثيرا بضرورة المحافظة على الوحدة الإسلامية ممثلة حينها في مؤسسة الخلافة.

---

1 - من الخطأ إطلاق إسم الأتراك على الوجق وأهل السلطة خلال العهد العثماني في الجزائر ، ذلك أن الوجق كان يتكون من عثمانيين، وهو بهذه الصفة كان يضم أجناسا مختلفة اللسان والعرق والجغرافية ولكنهم جميعا تتفق في الولاء للإسلام والسلطان.فالصفة الموحدة للوجق إذن (العثمانية) وليست (التركية)، أنظر : أبو القاسم ، سعد لله ، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج1) 1500-1830 ، (ط6) ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2009،ص 139.

2 - يجب التفريق هنا بين مصطلحي الولاء الروحي ، وهو شعور إيجابي يدفع إلى تقدير وإحترام وطاعة الحاكم بناء على الوظيفة الروحية التي يمثلها شخص الخليفة وإمتثالا لمعطيات الدين الإسلامي القاضية بطاعة ولي الأمر، وذلك لا يختلف عن الشعور بالمواطنة نحو رئيس الدولة أو الحاكم بشكل عام ، كمظهر من مظاهر السلوكات الحضارية للفرد ، وبين التبعية المطلقة والتي تعني الخضوع التام دون قدرة على الانتقاد أو الإعتراض وهو ما أراد الفرنسيون فعلا فرضه على الجزائريين بعد الإحتلال.

وهكذا فقد طُبعت العلاقة بين الطرفين على أساس من التعاون والمساعدة المتبادلة والرمزية التي يتلقاها الطرفان ولو في فترات متباعدة ومتكررة، تمحورت بشكل خاص في العدة والعتاد ولم تتوقف عن هذا الحد بل وصلت إلى أن تساهم البحرية الجزائرية في إنقاذ البحرية العثمانية من التكتلات الأروبية مرات عدة.

وهكذا إرتسمت ملامح ما سنسعى لدراسته ألا وهي تلك الحالة من " التضامن" الجزائري – العثماني، بإعتباره مُحصلة منطقية لوجود بعض الروابط التاريخية والدينية المشتركة بين الطرفين كحد أدنى وذلك الشعور بوحدة المصير الذي إستمر مدة ثلاثة قرون كاملة وحتى بعدها لسنوات طويلة و نتيجة أيضا لما أحدثته صدمة الإحتلال من وعي لدى الجزائريين بأن هذا الوافد الجديد[أي فرنسا] لا تربطه بالجزائر والجزائريين أدنى الصلات مما يستوجب نحوه الشعور بالعداء والرفض بل والمقاومة.

لكننا عندما نتحدث عن ولاء الجزائريين للدولة العثمانية، فهو ذلك الولاء الروحي لرمز ديني أوجب الدين طاعته وأحترامه كقضية شرعية بحتة تتعلق بما يعرف فقهيا ب" طاعة ولي الأمر"1، حيث يُعَبر عن هذا الولاء عبر مجموعة من المظاهر والطقوس الدينية المعروفة و التي من أبرزها الدعاء له [أي الخليفة أو الحاكم] في الصلوات الجامعة كالجمعة والأعياد .

ومن هنا يمكن لنا تفسير إستمرار هذا الحضور العثماني المتعدد الأشكال في يوميات الجزائريين حتى بعد مغادرة هؤلاء للجزائر،فقد كان العامل الديني بقوته وحضوره يجمع الجزائريين والعثمانيين ويغطي العديد من سلبياتهم ، دون أن ننسى قبول الجزائريين أنفسهم لمبدأ الإلتحاق بالدولة العثمانية والإنضمام إلى رعاياها بكل طواعية في ظل تلك الأوضاع البالغة الخطورة التي عرفتها بداية القرن السادس عشر ميلادي.

وللغوص في مظاهر هذا التضامن بين الجزائريين والدولة العثمانية سنقدم أمثلة تاريخية عن نظرة بعض أفراد النخبة الجزائرية للدولة العثمانية أثناء تواجدها (1518–1830م) و بعد نهاية حكمها في الجزائر.

---

1 - ولي الأمر كلمة ومصطلح قرآني نبوي علمي. ولي الأمر لغةً : هو صاحب الحكم، الذي بيده الأمر .العلماء :أولياء أمورِ الدين، والحكام :أولياء أمور الدنيا. بمعنى: أن الذي يقوم بأمرِ الدين تحليلاً، وتحريمًا؛ بيانًا لحكم رب العالمين؛ هو العالِم؛ فهو ولي الأمر في هذه الجهة. وبالمقابل: فإن الحاكم الذي يقوم بأمرِ الدنيا، وله الكلمة النافذة في الناس؛ يأمر بسجن هذا، ويأمر بإكرامِ هذا، ويذهب بهذا، ويأتي بهذا، وبيده السلطة والسلطنة؛ هذا ولي أمر، أنظر: أحمد عبد الله الفهيدي، " ولي الأمر في ضوء القرآن والسنة"، **مجلة رسالة الإسلام** ، ع 21،س10 ،صفر1433هـ ،ص09.

لكننا وقبل الخوض في ذلك سنصطدم بمجموعة من التصورات القبلية التي عادة ما تصاحب موضوع الدراسات العربية– العثمانية ، فإن دراسة موضوع علاقة الدولة العثمانية ببلد عربي ما وبنُخبها المختلفة أو العكس كما هو موضوعنا الحالي بالنسبة للجزائر وعلاقة نخبتها بالدولة العثمانية، أصبح من الموضوعات التاريخية المثيرة للكثير من الجدل ولطرح العديد من الإشكاليات، حيث تتصادم فيه الكثير من الإتجاهات و الأفكار المتناقضة أحيانا نتيجة لما تتعرض له هذه العلاقة[العربية– العثمانية] من تشويه مُنظم ومقصود أحيانا، وصل إلى حد توظيف البحث الأكاديمي فيه، خدمة لأغراض سياسية وإيديولوجية واضحة وغير بريئة، فقد عمد الكثير من الكتاب الأوربيين المهتمين بالشأن العثماني بل وحتى العرب أحيانا إلى رسم صورة قاتمة عن الدولة العثمانية بوصفها أنها تلك الدولة المستبدة الجائرة التي أعملت سيفها وقهرها في شعوب البحر الأبيض المتوسط شماله و جنوبه و ضمن ما وقع تحت سلطتها من أقاليم مختلفة في أوروبا الشرقية ، وأُعتُمد في هذا الحكم و بشكل غير منهجي ومنطقي حتى على عدد من القضايا المعاصرة، لإصدار حكم على دولة عمرها عدة قرون، ودون أن ندخل في تفاصيل صحة أو خطأ هذه القضايا كما هو الأمر بالنسبة لما أصطلح عليه على أيامنا هذه بمذابح الأرمن1، و مدى توظيفها سياسيا من لدن أطراف أوروبية وعلى رأسها فرنسا صاحبة التاريخ [المشرف.... بالجرائم]، فقد وصل الأمر لدرجة أن يُصور لنا البعض أن الإحتلال الأوربي للبلاد العربية ربما خلصها من النير والجور العثماني، وأن حملات الصليبيين على

---

1 - يعرفها الإعلام الغربي "بالهولوكوست "أو "المحرقة الأرمينية" وأنها مذابح و جرائم الإبادة التي إرتكبها الأتراك في حق شعب الأرمن حين قامت الدولة العثمانية بعملية تهجير قسري لهم من جنوب وشرق الأناضول الي الشام والعراق،وتصنف هذه المذبحة بأنها ثاني أكبر قضية بعد المحرقة النازية،ويتهم السلطان عبد الحميد بكونه أول من قام بتنفيذ هذه المجازر،والحقيقة أن هذه الرواية من صنع الإعلام اليهودي.
بعد استقلال بلغاريا عن الدولة العثمانية 1878م أرادت أرمينيا وبخاصة اللجان الثورية الأرمينية ان تحذو حذو بلغاريا وان تخوض تمرد مسلح ضد الدولة العثمانية حتي تحصل علي الاستقلال هي الاخري مثل بلغاريا،وقد حرضت دول اوروبا هذه اللجان والحركات الثورية الارمينية فأمدتهم بالسلاح وبخاصة روسيا ومع نشوب الحرب العالمية الأولي 1914م، زحفت القوات الروسية علي أرض الدولة العثمانية وأحتلت عدة مدن جنوب وشرق الأناضول وأنتهزت اللجان الثورية الأرمينية المسلحة وأنقضت علي بعض المدن والقري فقتلت 500 تركي ثم تحولت اللجان الثورية الأرمينية الي عصابات ميليشيات عسكرية تقاتل مع الدولة الروسية.
وفي سنة 1915م حين زحف الجنرال الروسي جيورونزيوف علي بلدة راوندوزوكانت قواته عبارة عن ميليشيات عسكرية من الارمن
لم تجد الحكومة التركية حلا تقطع به خطوط الاتصال بين قوات روسيا وبين ميليشيات الأرمن سوي اصدار قرارا بتهجير نصف مليون ارمني بجنوب وشرق الأناضول الي الشام والعراق، معتبرة ذلك ضرورة حربية، وفيما تقول مصادر الأرمن أن أعداد من ماتوا من الأرمن أثناءعمليات التهجيرمن 1915-1918م نحو نصف مليون ارمني
وتقول أن حملة التهجير كانت متعمدة من أجل إبادة الأرمن لأنه العرق الوحيد الغير مسلم في تركيا بينما، تقول المصادر التركية أنهم 300 الف أرمني،وتقول أن معظمهم مات بسبب البرد والجوع ولظروف الحرب العالمية الأولي لأنه تم بعوامل طبيعية دون أمر بالقتل ومن المعلوم أن تعداد الارمن بعد الحرب العالمية الأولي هو أكثر من مليون ارميني ومن الشهادات الغربية ان بيريطانيا أقامت محكمة عسكرية في اسطنبول لنظر قضية الارمن فلم تجد اي دليل إدانة للحكومة التركية ولم تصدر حكما لخلو الأدلة وفي 1985 نشر 69 مؤرخ أمريكي مختص بتاريخ الدولة العثمانية تقريرقضية الأرمن ونفوا فيه وقوع اي عمليات إبادة من قبل الأتراك وللعلم ففي 23-12-2011 م أصدر البرلمان الفرنسي تشريعا يجرم إنكار وقوع إبادة جماعية للأرمن ويعاقب من يفعل ذلك ،بغرامة قدرها 450 ألف يورو، للمزيد أنظر : بهاء الأمير ، اليهود والماسون في قضية الأرمن،مطابع التحرير،بيروت،2012.، والكتاب الهام:يوسف حلاج أوغلو، تهجير الأرمن 1914-1918(الوثائق والحقيقة)،تر: أورخان محمد علي ، شركة قدمس للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ، 1996.

سواحل المغرب الإسلامي، كانت دون شك تحمل للمنطقة بشائر الرحمة والحضارة وكأن العثمانيون أخطأوا في صدها وردها ومشاركة السكان المحليين في دفعها.

"**لقد بذل الكتاب الأوروبيون عامة والفرنسيون بشكل خاص كل جهودهم لتشويه هذه العلاقات التاريخية الطيبة والحسنة بين العرب والعثمانيين مشرقا وغربا ، و عمدوا إلى تصويرهم في أبشع صورة و أخسها، فنعتوا الحكم (التركي) على حد قولهم بكونه إقطاعيا وطاغيا و متخلفا، وزعموا أن (الأتراك) غزاة أجانب إستعماريون، لا هدف لهم سوى الغزو والقرصنة البحرية، وأدعى بعضهم أن دولتهم و إمبراطوريتهم هي دولة الانتحار العسكري**.."[1]

ولا شك أن الخطأ يبدأ أساسا من تعميم الحكم على الدولة العثمانية وعلى إتساع مجالها الجغرافي والزمني ،فمن الموضوعي إذن أن لا نحكم على العثمانيين بإعتماد اللونين الأسود والأبيض فقط، فلكل مرحلة تاريخية حيثياتها ولكل منطقة تواجد بها العثمانيون خصائصها ومميزاتها الداخلية التي نسجت طبيعة العلاقة بينها وبين السلطة العثمانية هناك، كما وأنه يجب التفريق بوضوح بين مصطلحي "الدولة العثمانية "و "الجمهورية التركية" و بين مصطلحي" العثمنة" و "التتريك" فالأول أخذ بُعدا دينيا إسلاميا ، بينما أخذ الثاني بُعدا عرقيا عنصريا لدى مستخدميه مما أنتج ردود أفعال مناهضة له هنا وهناك.

لقد نشأت أجيال متعاقبة على هذا الحكم لدرجة تحويله إلى مُسلَمةٍ تقول :" العثمانيون هم سبب تخلفنا الحالي فقد حكمونا لعدة قرون إتسمت بالجهل والركود والظلم" ورغم ما في هذا التعميم الواسع من مفارقة يرفضها البحث العلمي ، ألا وهي إستمرار دولة كبرى لمدة طويلة زادت على ستة قرون دون أن يكون لديها مقومات ذلك الإستمرار بل وتحولها إلى قوة إقليمية تُنافس وتتفوق على العديد من القوى الإقليمية المعاصرة لها شرقا وغربا.

وإذا عمدنا إلى تحليل بسيط لهذه المسلمة سنكتشف لا محالة أنها تحتوى على ظلمين : ظلم مكاني وظلم زماني:

- الظلم المكاني : هو في حصر الركود والجهل والتخلف في " الدائرة العثمانية" وحدها في الوقت الذي لم يكن فيه الحال أفضل في بقية العالم الإسلامي خارج النطاق العثماني نفسه "**وإذا كان البعض يطرح فكرة تقدم**

---

1 - يحي بوعزيز ،" حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية " **مجلة الدراسات التاريخية** ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،ع 5، السنة 1408 هـ / 1988م ، ص 152.

الغرب الأوروبي على بقية العالم ،فإن تفاوت المستويات الحضارية هو سُنَة تاريخية، ولم يحدث أن توحد العالم كله في مستوى حضاري واحد في أي فترة من الزمن .لا بل كان هنالك دائما عوالم مختلفة داخل العالم الواحد من حيث مستوى التقدم"[1].

- الظلم الزماني: وهو يتضمن العديد من النقاط، "**حيث يُثبت التاريخ أن تراجع الحضارة الإسلامية بدأ قبل زمن العثمانيين بكثير ولا نجد مؤرخا واحدا يعتبر بداية ظهور العثمانيين هو نفسه بداية إنحطاط المسلمين، بل نجد عكس ذلك ، حيث يعتبر البعض أنه أدى إلى " إضفاء نوع من الحيوية على العالم الإسلامي"، مع حركة الفتوحات وتوسع رقعة العالم الإسلامي،فقد تضاءلت أوروبا مقارنة بدولة العثمانيين التي كانت خصما" قد يُقَزِم بحجمه وتنظيمه وقوته أي شيئ يحتشد أمامه...كما لم تتمكن الأساطيل الإيطالية وفرسان إسبانيا وفرنسا وبريطانيا والمجر وبولونيا والنمسا...من تجنب الهزيمة الكاملة حتى في القرن الثامن عشر أمام ما وصفوه بالترك " الغاشمين" في أكثر أيامهم إشراقا على الإطلاق.**"[2]

و النقطة الثانية هي أن الفترة العثمانية قد شهدت عدة محاولات للإصلاح ونهضة نبعت من داخله ولم تستسلم لواقع الضعف والتراجع، وقد سبقت المحاولات اليابانية[3]... وكان من الممكن جدا أن تؤدي إلى إحياء

---

1 - زاكري كاربل ، التاريخ المنسي لعلاقة الإسلام بالغرب، (تر) : أحمد أبيش، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، 2010،ص 239.

2 - نفسه ، صص 197-198.

3 - بعدما تولى الإمبراطور موتسوهيتو الحكم في 3 كانون الثاني 1868 وقد كان يطلق عليه إسم الإمبراطور ميجي MEIJI أي المصلح المتنور، وتميزت فترة حكمه بإصلاحات مهمة أبرزها إعلان مباديء الإصلاح الخمسة ، ويعتبر المؤرخون أن تاريخ اليابان المعاصر بدأ بعصر (ميجي) (1868 -1912) وهو العهد الذي تلى فترة (الشوغن) أو النظام الإقطاعي للساموراي، حيث وضعت فيه الأسس الحقيقية لنهضة اليابان المعاصرة في جميع المجالات ، وانطلقت مسيرة الإصلاح عبر فكرة كون اليابان لديها خصوصية فريدة في العالم لأنها تضم شعبا متجانسا يقيم على أرض مقدسة ترعاها الآلهة، ويعتبر الإمبراطور من سلالة الآلهة وأبا لجميع اليابانيين الذين يشكلون عائلة واحدة، ولهم دولة واحدة تعتبرهم أبناء متساوون في الحقوق والواجبات بغض النظر عن أي انقسام طبقي أو لغوي أو ديني أو عرقي. فالجميع عائلة واحدة، في دولة مركزية واحدة، لها أب واحد هو الإمبراطور، وقد جعلت حركة الاصلاح اليابان بلد غني ولديه جيش قوي وعمل قادة الإصلاح في البداية على تحويل اليابان إلى بلد ديمقراطي على غرار الغرب وبشروا بمباديء السلام والأمن والاستقرار وتم رفع شعار" التقنية الغربية والروح اليابانية" ، وبدأت اليابان عملياً بتبني استراتيجية الرد على التحدي الغربي بتحويل اليابان إلى دولة قوية خلال الفترة 1853 – 1945 ، وبدأت على إثرها تظهر لديها بوادر الدولة الامبريالية ، وقد نجح الإمبراطور ميجي في عصرنة المجتمع الياباني على جميع المستويات وصد مخاطر التدخل الأجنبي ، وانصرفت الدولة كلياً إلى دراسة الحضارة الغربية وتبنيها وعمدت اليابان الى فرض قانون التعليم الالزامي رافقته أعادة تأهيل القطاع التعليمي وانشاء عدد من الجامعات في مختلف الاقاليم اليابانية، ومما ساعد على تلك الاصلاحات هو القدرة الاقتصادية الذي شهدته اليابان في مرحلة العزلة الطوعية المعروفة تاريخيا بمرحلة توكوغاوا، والتي استفاد منها الإمبراطور ميجي حيث استطاع بناء جيش قوي وتأسيس بنية تحتية قوية لصناعات حربية حديثة ، ولتنطلق النهضة اليابانية التي حولت اليابان إلى واحدة من أقوى الدول في العالم في بدايات القرن العشرين ، ويكمن سر نجاح الحركة الاصلاحية اليابانية بسبب تبنيها لاستراتيجية لا تتعارض فيها الحداثة والأصالة ، أنظر : وليم أشعيا ،" اليابان دولة تنهض من تحت الرماد(نهاية مرحلة العزلة) ، (ج2)مجلة .**الحوار المتمدن**، (ع2298) – 13-05-2008،31 على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=136284، تاريخ الدخول :02-11-2014، 03:46

المنطقة ونهوضها سواء في ظل الدولة العثمانية أو في ظل دولة منبثقة عنها ، "**ولعله لو لم تتآمر الدول الغربية على الخلافة العثمانية ثم على "محمد علي باشا" لقامت الدولة الإسلامية المركزية بتمويل عملية تصنيع كبرى لا تتخلى بالضرورة عن القيم الدينية."1،وكانت النقطة الفاصلة بين اليابان والدولة العثمانية ،أن العثمانيين تعرضوا لقطاع الطرق الحضارية من الغرب، ووجدوا من يتصدى لتجاربهم الفتية ويُجهض كل محاولاتهم بما فيه تجربة "محمد علي باشا"2 في مصر3، خلافا لليابان البعيدة عن الجغرافيا الأوروبية وذلك لم يفت العديد من الباحثين الذين يؤكدون على أهمية هذا المعطى الهام".**

ولو نظرنا للكتاب الجزائريين أنفسهم لوجدنا هذا الإصطفاف لهذا أو ذاك الطرف ، ففئة من هؤلاء تصف دائما الحكام العثمانيين في الجزائر بأنهم "أتراك" و" أعاجم"4 من أصول يونانية وألبانية و إيطالية وغيرها...، وأنهم كانوا دائما من خارج الجزائر وأغلبهم لا يتكلمون إلا اللغة التركية وأن أغلبهم من طالبي الجاه والمال، مما يفسر سوء معاملتهم للجزائريين ،وسوء تسييرهم ودمويتهم لكثرة الإنقلابات وتصارع الفئات المشكلة لوجودهم في الجزائر طلية الحكم العثماني (1518–1830م).غير أننا نجد كذلك من الكتاب والمؤرخين الجزائريين كذلك من لاينحو هذا النحو على غرار الشيخين "محمد مبارك الميلي" و "أحمد توفيق المدني"5.

---

1 - عبد الوهاب ،المسيري ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية،مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،2006،ص180.

2 - محمد علي باشا : محمد علي باشا المسعود بن إبراهيم آغا القوللي ، المُلقب بالعزيز أو عزيز مصر، هو ومؤسس الأسرة العلوية وحاكم مصر ما بين عامي 1805 إلى1848 ، ويشيع وصفه بأنه "مؤسس مصر الحديثة" وهي مقولة كان هو نفسه أول من روج لها وأستمرت بعده بشكل منظم وملفت. استطاع أن يعتلي عرش مصر عام 1805 بعد أن بايعه أعيان البلاد ليكون واليًا عليها، بعد أن ثار الشعب على سلفه خورشيد باشا، ومكّنه = ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة به من أن يستمر في حكم مصر لكل تلك الفترة، ليكسر بذلك العادة العثمانية التي كانت لا تترك واليًا على مصر لأكثر من عامين.

خاض محمد علي في بداية فترة حكمه حربًا داخلية ضد المماليك والإنجليز إلى أن خضعت له مصر بالكليّة، ثم خاض حروبًا بالوكالة عن الدولة العلية في جزيرة العرب ضد الوهابيين وضد الثوار اليونانيين الثائرين على الحكم العثماني في المورة، كما وسع دولته جنوبًا بضمه للسودان .وبعد ذلك تحول لمهاجمة الدولة العثمانية حيث حارب جيوشها في الشام والأناضول، وكاد يسقط الدولة العثمانية، لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربية التي أوقفت محمد علي وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها.

خلال فترة حكم محمد علي، استطاع أن ينهض بمصر عسكريًا وتعليميًا وصناعيًا وزراعيًا وتجاريًا، مما جعل من مصر دولة ذات ثقل في تلك الفترة، إلا أن حالتها تلك لم تستمر بسبب ضعف خلفائه وتفريطهم في ما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت دولته في 18 يونيو سنة 1953 م، بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في مصر.، أنظر :موسوعة القرن،(ط2)، الدار المتوسطية للنشر ، تونس 2011،ص706.

3 - صوفي بسيس، الغرب والأخرون: قصة هيمنة ، (تر) نبيل سعد،دار العالم الثالث، القاهرة ،2002،ص 74.

4 - رغم أن الكتاب الجزائريين المعاصرين للعهد العثمانين مثل ابن مريم وابن سليمان والورتلاني، كانوا يستعملون عبارة (الترك) وليس (العثمانيين) ،أما عبد الكريم الفكون فقد إستعمل عبارة (العجم) للعثمانيين ويشترك معه غيره أيضا في ذلك ، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،(ج1)، ،ط6،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2009 ،ص،139.

5 - يتجلى ذلك في عملهما الرائد في كتابي: "تاريخ الجزائرفي القديم والحديث" وكتاب "هذه هي الجزائر" وغيرها.

وبالنسبة لأبي القاسم سعد الله مثلا فإنه وإن كان يعترف بما للفترة العثمانية من ضلال سوداء خاصة في الجانب الثقافي والتعليمي إلا أنه يُقر أيضا بوجود نقاط ضوء لا يجب إغفالها،فإذا كان هذا هو الجانب الأسود من العهد العثماني، فحسب قوله إن الجانب" **المضيئ منه هو أن العثمانيين قد أنقذوا بتدخلهم في بداية القرن العاشر(هجري) المغرب الإسلامي من الإحتلال الأجنبي المؤكد. وقد كانوا في ذلك غزاة مجاهدين تحالفوا مع الجزائريين لصد العدوان الصليبي وحماية الثغور وإقامة حكم إسلامي ثابت وقوي ظل طيلة ثلاثة قرون شوكة في حلق العدو وقذى في عينه وصخرة تحطمت عليها كل محاولات الغزو الخارجي، وقد ظل عامل الجهاد الموحد هو العامل الأساسي بينهم وبين الجزائريين... وقد يتساءل المرء عن مصدر قوة العثمانيين في الجزائر رغم قلة عددهم. والواقع أن قوتهم الأولى كانت تكمن في تأييد الخلافة لهم ، وذلك هو المصدر الروحي الذي إعتمدوا عليه في حكم الجزائريين. فهم كانوا حريصين على إبقاء هذا المصدر حتى حين تمردوا على السلطان وردوا مبعوثيه على أعقابهم، لأن تأييده الروحي والمعنوي هو الذي يعطيهم الشرعية في نظر الجزائريين، والمصدر الثاني لقوتهم هو إستجابتهم لداعي الجهاد كلما حانت فرصة ولا سيما في أوائل العهد، ومع الجهاد جاء الغزو البحري والثروة الإقتصادية سواء للخزينة العامة أو لجميع السكان**"[1].

1–2 الدولة العثمانية في عيون النخبة الجزائرية المعاصرة لها بين الإعجاب والإنتقاد:

إن محاولة فهم علاقة النخبة الجزائرية بالدولة العثمانية بعد زوالها وحلول الإستعمار الفرنسي بالجزائر وما عرفته نظرة تلك النخبة من إزدواجية حادة في الربع الأول للقرن العشرين محل دراستنا، تُحتم علينا الغوص في أعماق التاريخ والعودة للفترة السابقة ل (1830م)، لفهم هذه الإزدواجية وما شهدته من تطورات ، وما هي عوامل ونتائج تلك التطورات؟

فمن حيث كونها إزدواجية فهذا كان موجودا حتى مع الوجود العثماني في الجزائر أي قبل(1830م)فمن السهل في حينه إكتشاف فئتين من النُخب الجزائرية، نخبة مؤيدة للوجود العثماني مُعجبة ببعض الحكام وإنجازاتهم ونخبة ناقمة على هذا الوجود ، ناقدة لسياستهم وليس في الأمر أي غرابة ، فأي نظام في العالم وفي ظل أي دولة لا

1 - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،(ج1) المرجع السابق ،صص، 15-16.

يشذ عن هذه القاعدة أو ما نسميه حاليا بظاهرة (الموالاة والمعارضة)، لكن نفس الإزدواجية في النظرة تجاه العثمانيين بعد الإحتلال ستتميز بعامل جديد ،وهو أن النخبة التغريبية ذات الثقافة الفرنسية التي ظهرت نتيجة لسياسات الإحتلال الثقافية والتعليمية والسياسية، قدمت بديلا للعثمانيين وخلفيتهم الحضارية والدينية (الإسلامية الشرقية) ، يتمثل في فرنسا بأبعادها الدينية والحضارية (المسيحية الغربية) المعاكسة تماما لمقومات الجزائريين والعثمانيين معا،وهو ما لم تقترحه الفئة المعارضة الأولى[أي في الفترة العثمانية] مع الإسبان مثلا، بإعتبار أن معارضتها في أغلب الأحيان كانت ضد حكام (أتراك) بعينهم وليس ضد الدولة العثمانية برمتها .

وعليه فمن المفيد لنا في هذا المقام أن نستعرض بعضا مما كتبه بعض المثقفين الجزائريين ممن عاصروا الفترة العثمانية نفسها لفهم هذه المواقف المتباينة أحيانا وإيجاد تفسير لهاو على إعتبار أن هؤلاء يشكلون حتما جزء من نخبة ذلك العصر ، فمثلا "حمدان خوجة"1، كان من أقرب المثقفين الجزائريين للسلطة العثمانية في الجزائر ، والذي يصنفه البعض عند تصنيف النخبة السياسية الجزائرية مع بداية الإحتلال ضمن ما سمي ب "الحزب العثماني"2،سنلاحظ مقارنة بالنماذج الأخرى التي سنقدمها أنه إستفاد من إطار أفضل من الأوضاع الإجتماعية والمعرفية والسياسية المحيطة به (منها الغنى وثراء الأسرة – التعليم المتعدد الجوانب – الرحلات المتعددة – المناصب السياسية...)، وهو ماجعل منه " **مُدركا للتطورات السياسية والإقتصادية بشكل أوسع ، وبرز كمؤرخ عارف لمعظم مؤثرات العصر وإتجاهاته وتياراته، كما وليس في إمكان أي شخص آخر في عصر مثل عصر "حمدان خوجة" أن يكون في مستوى هذا الفهم، إلا إذا أُعِد إعدادا خاصا و تهيأت له ظروف إجتماعية ومادية**"3 .

---

1 - حمدان بن عثمان خوجة، من مواليد مدينة الجزائر حوالي 1773م، من عائلة جزائرية عريقة مالكة عاشت بضواحي مدينة الجزائر ، عاش حمدان خوجة متنقلا بين الجزائر والقسطنطينية وفرنسا ، مشتغلا بالتجارة والدبلوماسية والسياسة، وقد واصل مهامه عند عودته، إلى الجزائر حتى نفيه إلى باريس بعد وشاية المعمرين به، اما عن تاريخ وفاته فغير معروف على وجه التحديد رغم أن جورج إيفار (George Yver) حدده مابين 1840 و1845م، في حين قال محمد بن عبد الكريم ثبوت وفاته أواخر 1840م، أبو ظبي، 2004، على الرابط :
http://alrihlah.com/nadawat/research/492

2 - قسم أبو القاسم سعد الله المقاومة المدنية والسياسية في بداية الإحتلال إلى ثلاث تيارات سياسية :
- الحزب الوطني والذي كان يضمن عناصر جزائرية تنظر داخليا، وتعمل على تحرير الجزائر بكل الوسائل، كأحمد بوضربة
- الحزب العثماني الذي يهدف أصحابه إلى إبقاء الجزائر ضمن الخلافة العثماني والذين من بينهم حمدان خوجة و ابن العنابي
- الحزب الفرنسي وهم اللذين ربطوا مصالحهم بالإحتلال الفرنسي كمصطفى ابن اسماعيل....، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1) دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007،صص 105-106.

3 - عبد الحميد زوزو ، "حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ"، **مجلة الأصالة**، س1 ، ع 4، شعبان 1391 هـ / أكتوبر 1971م،ص87.

سجل "حمدان خوجة" في كتابه (**المرآة**)1 بعض مواقفه من الدولة العثمانية والتي جاءت في سياقات مقارنة مع بدايات الإحتلال الفرنسي للجزائر مما يعطيها بعدا تاريخيا هاما.

ورغم أن كتابات "حمدان خوجة" تعُج بمظاهر الروح الوطنية والتأثر الشديد بما يحدث في الجزائر نتيجة لمآسي الإحتلال حيث يقول :"**إن ما يَرسُف فيه وطني كان يقلقني باستمرار وكثيرا ما كنت خلال تسجيل هذه التعاسة، أضع القلم لأترك دموعي تنهمر**.."2، فإننا سنركز أكثر على الشق المتعلق بموقفه من الوجود العثماني في الجزائر ومقارنته إياه مع الوجود الفرنسي فيه،فكتابه " المرآة" يدور في مجمله حول موضوعين رئيسيين ، أولهما علاقة الجزائريين بالأتراك العثمانيين وثانيهما العلاقة مع الفرنسيين، لا سيما في السنوات الأولى للإحتلال الذي كان "حمدان خوجة" "يتمناه قصيرا" وأن يعود الفرنسيون إلى ديارهم و يسترجع الجزائريون حياتهم المشتركة مع العثمانيين لكن بواقع أفضل من سابقه، ولن يتأتى ذلك في نظره إلا بمغادرة الفرنسيين للجزائر وتصحيح ما شاب علاقة الجزائريين والأتراك من سوء تفاهم ، فلا شك حسب تصوره أن ما يملكه الطرفان من نقاط مشتركة كفيل بتصحيح ما أفسده الدهر، ولكنه في الوقت ذاته لم يُغفل الإشارة إلى بعض المساوئ التي كان عليها بعض الحكام العثمانيين في الجزائر العثمانية،حيث عمد "حمدان خوجة" إلى تقديم تحليل وتفسير مايراه منطقيا لتبرير إستقرار الأتراك الطويل في الجزائر وثقة السكان العرب والبربر بهم ماعدا القليل منهم ، ويُفسر ذلك بأن ذلك مرده إلى عوامل كثيرة من أبرزها ذكرا لا ترتيبا :

– إحترام الأتراك للمرابطين المبجلين من لدن الجزائريين ومنح هؤلاء نوعا من السلطة الروحية والمكانة المميزة داخل المجتمع وفي نظر السلطة الحاكمة" **ويزعمون أن ليس في استطاعتهم بدون مرابط أن يأمنوا من هذه الحوادث التي تقع أثناء السفر. وجعلت الضرورة من هذا الإجراء شيئا لا بد منه تبناه الأتراك بدورهم للمحافظة على أمن الطرقات**"3.وقد أوضح في جزء آخر من مذكراته، كيف أن الأتراك قد منحوا العديد من الإمتيازات لأولئك

---

1 - قام حمدان بن عثمان خوجة بتأليف هذا الكتاب بباريس سنة 1833 ،أي بعيد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقد ضاع الأصل العربي ، لكن بقيت الترجمة الفرنسية التي قام بها مثقف ليبي ، يدعى حسونة الدغيس الطرابلسي الذي توفي سنة 1836 وقد تعرف إلى حمدان خوجة واشترك معه في العمل الفكري والاعلامي، ويعتبر هذا الكتاب مرجعا تاريخيا مهما وقد طبع عدة مرات ببيروت. ينقسم كتاب "المرآة" الى جزئين عرض في الجزء الأول تاريخ الجزائر الثقافي والاجتماعي والسياسي بشكل مفصل ودقيق. أما الجزء الثاني فيتناول أسباب الغزو الفرنسي للجزائر وتفاصيل عن نزولها بشاطئ سيدي فرج، كما يضمّ الكتاب معلومات هامة حول الأوقاف والوثائق الإسلامية بالجزائر.وقد تمت ترجمته جزائريا علي يد الدكتور محمد العربي الزبيري ، أنظر : محمد العربي الزبيري ،مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، (ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981 .

2 - نقلا عن عبد الحميد زوزو ، حمدان خوجة ،المرجع السابق،ص94.

3- حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ،(تقديم وتعريب وتحقيق) ، محمد العربي الزبيرى، منشورا تANEP،2005، ص74.

المرابطين ، إحتراما وتبجيلا لهم وللاستفادة منهم فيقول:" **ومن ذلك الحين لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم إحترام هؤلاء المرابطين وإنما صاروا يُقَدِمون لهم أكبر الإمتيازات و أثمنها وصارت أماكن سكناهم و ضرائحهم بعد الموت مقدسة، كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها**"1، ولا شك أن ذلك قد أكسب العثمانيين إحترام وولاء الطرف الأخر أي رجال الدين ومريديهم أيضا مما ساهم في إستقرار الحكم وحدوث العكس عندما ساءت العلاقة بين السلطات العثمانية وتلك الفئة.

– وهناك وسيلة أخرى إستعملوها تتمثل في أنهم كانوا يُظهرون أنفسهم في مظهر حماة الدين ويمتنعون عن القيام بكل ما هو مناف للقوانين، ولا يعملون إلا بالقانون ولفائدة القانون، حيث يذكر ما فحواه :" **ومن النادر أن تجد سارقا أو قاتلا من هؤلاء الجنود وقد كانوا شديدي الحرص على إحترام عادات البلاد ليُحببوا أنفسهم إلى سكان الإيالة ،ومن كانت له بعض المساوئ كانوا يعملون على إصلاحها...لأن مستقبلهم موقوف على حسن سيرتهم...**"2

– "**ثم هناك وسيلة ثالثة عرضية فحواها أن الأتراك يقيمون الصلاة مما جعل (البرابرة) يتصورون أنهم مرابطون وصالحون**"3.

كما ذكر وسيلة أخرى إستعملها الأتراك لإكتساب ثقة الأهالي وتتمثل في "**تطبيق العدالة والإنصاف اللذين يعتبران أساسا لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة وعندما يتم التأثير على العقول فإن الأجسام تتبع بالطبع، وما الفتح الحقيقي إلا ذلك الذي يستهدف القلوب لا الأجساد**"4.

غير أن "حمدان خوجة" عمد في هذه الأحكام على معطيات عامة ، ربما تمثل فترات معينة دون أخرى من الحكم العثماني بل وقد تزيد أو تنقص عند هذا الحاكم أو ذاك ، حيث لا يمكن إعتبارها سياسات عامة لدى هؤلاء الحكام.ومن بين الحكام الأتراك الذين لقوا إستحسان ومدح "حمدان خوجة" ، "الباشا حسين"5، والذي عمد إلى

---

1 - حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق،ص 122.
2 - محمد العربي الزبيري ،مذكرات أحمد باي...، مرجع سابق ،صص 200-201.
3 - حمدان خوجة ،المصدر السابق ،صص 72-73.
4 - المصدر نفسه ،ص 74

5 - الباشا حسين: تذكر الوثائق أن حسين باشا ولد سنة 1764 في مكان يدعى "ندرله" وتذكر مصادر أخرى أنه ولد سنة 1773 في أزمير ونشأ في اسطنبول وخدم هناك في المدفعية وترقى فيها بسرعة، وعندما تعرض لعقوبة قاسية سافر إلى الجزائر وانضم إلى أوجاقها وتولى فيها عدة وظائف قبل

وصف عدله وحسن تسييره لإبراز نقيض ذلك من الظلم والعدوان على يد المارشال "دي بورمون"1، الذي "**عمد إلى نفي الأتراك من البلاد والتفرقة بينهم وبين عائلاتهم رغم أنه لا يملك أي دليل يدينهم بتهمة التآمر إلا من بعض الوشاة الذين إستمع لهم، أما "حسين باشا" فقد أعاد النظر في حكم القاضي بعد أن ثبت أنه مناف للقانون وقام بعزل القاضي عندما أثبت الفقهاء ورجال عدالة آخرون خطأه المهني**" 2.

لكن "حمدان خوجة" ورغم إبرازه للعديد من مزايا العثمانيين وفترة حكمهم فأنه لم يتوان في إنتقادهم وإبراز عوامل إنحطاطهم مُخصصا في مذكراته فصلا كاملا لذلك بعنوان" عن إنحطاط حكومة الأتراك وسقوطها" أبدى فيه

أن يصبح وزيراً وصديقاً للباشا الذي سبقه وهو علي باشا وهذا الأخير هو الذي أوصى بخلافته سنة 1818 . وبعد أن بقي في الحكم اثني عشرسنة وفي المنفى حوالي ثماني سنوات توفي في الإسكندرية سنة 1838 م،وإذا اعتمدنا على نبذة من البيوغرافيا التي يقدمها رجل معاصر للداي حسين وهو حمدان بن عثمان خوجة فإنه بإمكاننا أن نكون عن هذه الشخصية صورة ولو جزئية. فحسين باشا كما يصفه هذا المصدر هو آخر الدايات الأتراك الذين تتابعوا في حكم الجزائر، وصل إلى الحكم حوالي سنة 1818وهو سليل أسرة عريقة من أصل طيب. امتاز بكرم الأصل واستقامة السيرة واتساع معارفه. خدم الجزائر مدة ثلاثين سنة تولى خلالها وظائف مختلفة في الدولة. ويضيف هذا المصدر بأنه بناء على معرفة شخصية فلا يمكن اتهام حسين باشا بالتكالب على المال والثروة كما أنه ، في نظر حمدان خوجة، كان حريصاً على حقن الدماء وكان معروفاً في أوربا باحترامه لالتزاماته ومحافظته على عهوده ومواثيقه ولا تستطيع أي جهة أن تتهم حسين باشا بخيانة الاتفاقية المبرمة مع الجهات القوية أو الجهات الضعيفة. ويلح حمدان خوجة على إعادة الاعتبار لهذه الشخصية لأن مغادرته للحكم عقب الاحتلال لم تكن بتقصير منه ولكن بأخطاء ارتكبها أعوانه وميلشياته التي تجاوزتها الأحداث إذ كان كثير من رجاله دون تجربة ودون شجاعة وربما دون ذمة.

ويذكر حمدان خوجة أنه طيلة حكم الداي حسين بالجزائر كان يفكر في إعادة النظام والانضباط إلى الدولة ولكن كثيراً من التجاوزات كانت قد تأصلت في المجتمع الجزائري قبل وصول هذا الداي إلى الحكم بسنوات طويلة، غير أن الأيام لم تمهله للقيام بالإصلاحات التي كان يرجو تحقيقها. وفي الأخير يأخذ حمدان خوجة على حسين باشا تقصيراً واحداً وهو كونه لم يعمل على تفادي الحرب مع فرنسا.ولكن المؤرخين يظلون غير متفقين في الحكم على شخصية حسين باشا فمنهم من يحمله مسؤولية ما حل بالجزائر من حملة واحتلال ونكبات لأنه في نظرهم كان أحمقا بغضبه غير الدبلوماسي على القنصل الفرنسي ومعاند ومهمل لاسيما في جانب اتخاذ الحيطة عسكرياً وإسناد القيادة إلى غير الأكفاء ومنهم من يبرئه من ذلك. ، أنظر ، حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، مصدرسابق ،صص 123-136.

1 - المارشال دي بورمون: هو الكونت دي بورمون (لويس دي شان)(Louis Auguste –Victor, comte de Ghaisne de Bourmont)، ولد سنة 1773م في فرنيي بفرنسا وتوفي سنة 1846م . كان ضابطاً في القوات الفرنسية حين قامت الثورة الفرنسية(1789-1799). وفي هذه المرحلة بالذات هاجر دي بورمون فرنسا ولم يرجع إليها إلا في سنة 1794م حيث حارب ضد نابليون بونابارت ثم استسلم ودخل في صفوفه سنة 1800م ولكن قبل ثلاثة أيام من انهزام هذا الأخير في معركة واترلو التحق دي بورمون بلويس الثامن عشر. وصار وزيراً للحربية في عهد شارل العاشر سنة 1829م وتولى قيادة الحملة الشهيرة ضد الجزائر في 5 جويلية 1830م وعين مارشالاً سنة 1830 من طرف شارل العاشر وبعد وفاة هذا الأخير رفض الخضوع للويس فيليب وحاول الثورة ضده وفي سنة 1833 استقر في اسبانيا ولم يكن رجوعه إلى فرنسا إلا في سنة 1845م

لم يكن هذا الرجل محترماً من المجتمع الفرنسي فقد كان بعض الفرنسيين ينظر إليه بكونه خان نابليون في معركة واترلو الشهيرة سنة 1815 وقاد حملة مضايقة ضد أسرة البوربون . وإذا كان من الضروري أن نستشف شيئاً عن شخصية دي بورمون فمن الممكن القولأ أنه كان على نقيض الداي حسين ذا سلوك لا يمكن الاطمئنان إليه ولا التنبؤ بما يخطط له، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1)،دار البصائر ، الجزائر ،2007،صص 27-30 . وكذلك :

- Narcisse Faucon,Le livre d'or de l'Algerie,(T1) – Biographies,Chalamel et Cie éditeurs,Paris,1889,pp 119-122.

2 - حمدان خوجة ، المرآة، المصدر السابق ،ص 198.

كثيرا من صفات الناصح والمرشد، فذكر أن من أكبر مظاهر هذا الإنحطاط" فساد أعضاء المليشيا وتجنيد ذوي السوابق من الأتراك واليهود واليونانيين" **وبدلا من أن يتبع هؤلاء المندوبون(المكلفون بالتجنيد) الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجند في المليشيا إلا الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة، فإنهم يفتحون أبواب المليشيا لأي كان حتى لأناس كانوا أُدِبوا وأُدِينوا. وكان يوجد بين الجنديين يهود ويونانيون ختنوا أنفسهم . وكما أن حبة فاسدة تكفي لإفساد كوم كامل من القمح، فإن رجلا فاسد الأخلاق يكفي لجلب الشر على جميع الذين يُخالطهم ويحيطون به**"[1] ولا عجب أن تتحول هذه المليشيا عن دورها المنوط بها وهو الدفاع عن الإيالة ومواطنيها إلى أداة قمع وعصيان،فيواصل قائلا:" **وهكذا صارت تلك المليشيا المسلحة لا مبدأ لها، صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل، ثم قام هؤلاء البؤساء بإشعال الثورات وقلب قادة الدولة بحسب هواهم**."[2] ،كما أبرز "حمدان خوجة" العديد من نقاط الضعف التي طالت الحكم العثماني في الجزائر معددا منها: إعطاء الباشاوات السلطة المطلقة وإبعاد الديوان وأعيان البلاد و الكراغلة من المشاركة في القرارات والمناصب و إزدياد الهوة بين الجزائريين والأتراك نتيجة ما منحه هؤلاء لعناصر مثل اليهود من مميزات هامة سمحت لهم بإبتزاز السلطة والانتفاع منها مما عقد وضعية الجزائريين الاجتماعية والاقتصادية.

ورغم إنتقاداته تلك للحكم العثماني في الجزائر فإنه في مقارناته مع الواقع الجديد والأليم الذي صنعه الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة (1830م)كان "حمدان خوجة" واضحا دون لُبسٍ في تفضيله للحكم العثماني، ولتأكيد موقفه ذلك لجأ إلى أسلوب المقارنة والإستنتاج، فهو يرى الفرق واضحا بين :" إدارة الإيالة والإدارة الفرنسية إذ يُصرح قائلا: "ومع ذلك فإن السيد "دي بورمون" يزعم أنه جاءنا ليقضي على التعسف ويطبق القانون وفقا للعدالة والإنصاف، فلو أن هذه الأخطاء إرتكبها شخص آخر غير "دي بورمون" لكان يمكن غفرانها ولذلك صار كل واحد منا يقول أين هم إذا أولئك الفرنسيون المشهورون، تلامذة نابليون العظيم ؟ أين هم أولئك الجنرالات المتصرفونو المواطنون و القضاة النزهاء؟ ماذا فعلوا بعلمهم ومقدرتهم وذكائهم؟"[3]

و قد كان حُكم "حمدان خوجة" على الإحتلال ورجالاته واضحا من خلال العديد من الفقرات في مذكراته حيث أبرز طبيعتهم الإجرامية وصفاتهم الأقرب إلى قطاع الطرق واللصوص، بينما يدعون في بياناتهم ونداءاتهم

1 - حمدان خوجة ، المرآة، المصدر السابق ،ص111.
2 - المصدر نفسه.
3 - نفسه.

المتعددة للجزائريين عكس ذلك كليا :" **ولكن التعطش إلى الثروة الذي يبدو أنه استهوى الفرنسيين في الجزائر قد نفى عنهم كل حذر وكل تعقل فأصبحوا صما عميا لا يبصرون... ولكنني أكرر بأن طمع الفرنسيين في الثروات قد وصل في الجزائر إلى درجة أنني عندما ألجا إلى الإستعارة أشبه هؤلاء الأوروبيين بعملاق يدفعه العطش، وأُشبه المدينة بحوض صغير من الماء المالح ، كلما شرب العملاق إزداد عطشا، ويجف الحوض ولكن العطش لا يزول.**"[1]

وقد بدا ما لحمدان خوجة من إطلاع كبير لما وصلت إليه فرنسا[2] من تطور في العديد من المجالات المادية وحتى الفكرية منها ما سمح له بإستخدام العديد من الشعارات والمبادئ الفرنسية لإدانة سياستها في الجزائر وإبراز مناقضة تلك المبادئ مع ما تقوم به فرنسا في الجزائر من جرائم على مختلف الأصعدة، متسائلا عن مكان وموقف (تلامذة نابليون العظيم و القضاة النزهاء) مما يحدث في الجزائر:" **وإلى جانب ذلك فإن هذا الإحتلال بالنسبة لفرنسا لن يكون في مستوى عظمتها.إنها تملك ثروات متعددة من حيث الرجال والأموال فماذا تستفيد من محاربة هؤلاء السكان وإنفاق كنوزها وإراقة دماء جنودها و تعريضهم للموت الناتج عن المناخ؟ وما هو الهدف من قيامها بمثل هذه الحملة أيكون ذلك لمجرد الرغبة في إبادة الناس أم لأجل نيتها الحمقاء في إكتساب أراض لا تنبت شيئا.**"[3]

ومنه فإنه لا يمكن لقارئ هذه المواقف إلا أن يتأكد من موقف "حمدان خوجة" الواضح في تأييد عودة حكم العثمانيين[4] في الجزائر ، ولا يمكن التصور ولو للحظة أنه كان فرحا بزواله ومصفقا للفرنسيين وإحتلالهم للجزائريين.

---

1 - حمدان خوجة ، المرآة ،مصدر سابق ،ص75.

2 - سبق حمدان خوجة العديد من الكتاب والمفكرين العرب والمسلمين أمثال رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وخير الدين التونسي وغيرهم في الحديث والكتابة عن الحضارة الغربية والأوروبية خصوصا،فقد دعى حمدان خوجة إلى ضرورة نبذ التعصب والتزمت اللذان كانا يسودان العالم الإسلامي، نتيجة لموقف المحافظين من رجال الدين الذين أخذوا بظاهر الآيات والأحاديث، فأغلقوا باب الإجتهاد والتزموا التقوقع،وناشد الحكام على الإسراع بالاصلاح:" يجب على السلاطين وعلى أولى الأمر...أن يبادروا بإصلاح ما يدخل عليهم الضرر (على الرعية)... ولا يرخص لهم بعد ذلك أن يساعدوا الجهال على تعصبهم وجهلهم .." وذهب حمدان خوجة ابعد من ذلك فجاول ان يفطن الحكام إلى قاعدة هامة في التجديد :"إن كل عصر له متطلبات وخصائل جديدة، ولدى ظهور عادة حديثة وجب التخلي عن القديم ، حتى نتفادى حدوث إضطراب وقلق في الشعب.." أنظر للمزيد حول أفكاره الإصلاحية : عميراوي حميدة ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)،(ط1)،دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر،1987 ،صص 74-86.

3 - حمدان خوجة ،المرآة ، المصدر السابق ،ص 30.

4 - لم يكتفي حمدان خوجة بالدفاع عن الوجود العثماني في الجزائر ، بل كان من دعاة الإصلاح الأوائل للدولة العثمانية نفسها، فكتابه (إتحاف المنصفين) ،الذي أظهر فيه ثقافة واسعة ومقدرة علمية، وتشبعا بأوجه الحضارة الأوروبية الحديثة، كان يرمي من اصداره وتقديمه، كهدية للسلطان محمود الثاني، عملية الإصلاح التي خطت خطوتها الأولى في عهد هذا السلطان، إلى الأخذ بأسباب العلم والدعوة إلى تطبيق نظام الكارنتينة(الحجر الأربعيني)، التي سادت في أوروبا.

و هنالك شخصية أخرى يمكن تناولها أيضا من بين المثقفين الجزائريين الذين أبدوا رأيهم في الدولة العثمانية وهو إبن هطال التلمساني1 ، الذي تركا لنا عملا أدبيا مميزا ، ضمن ما نسميه (أدب الرحلة) الذي عرفه الجزائريون في العهد العثماني ،وصاحب العمل ذلك غير بعيد عن التاريخ وموضوعاته وهو الذي يعرف التاريخ قائلا بأنه :" **من أجل العلوم قدرا وأكملها محاسنا وفخرا...إذ به عرفت قدماء الأمم**.."2 ،لكن أسلوبه بطبيعة الحال مختلف كليا عن أسلوب "حمدان خوجة" الذي يبدو أكثر دقة وأعمق تركيبا وتوظيفا للمصطلحات التاريخية والسياسية بينما يمكن تصنيف ما كتبه "ابن هطال" في خانة أدب المدح والإطراء أكثر منه عملا تاريخيا خالصا فهو قليل الإنتقاد للعثمانيين ،كما إمتلأ وصفه لرحلة " الباي محمد الكبير"3 نحو الجنوب الوهراني4 بكثير من مفاخر وإنجازات هذا الباي المعروف،فهو مثلا يستهل الرحلة بقوله :" **وأردت أن أذكر منه نبذة ، أخدم بها قامع المبغضين ومدوخ**

---

1 - ابن هطال التلمساني.: في غياب مذكرات ذاتية لأحمد بن هطال التلمساني، تبقى حياة وسيرة هذا الرجل غامضة وكل ما نعرفه عنه أنه أبو العباس السيد أحمد بن محمد بن محمد – بفتح الميم - بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني، ويعتبر ابن هطال، فقيها، وأديبا ، بزغ نجمه في الحقل الديبلوماسي والسياسي في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير 1797-1779 ، إذ شغل ببلاط هذا الأخير منصب كاتب السر الرئيسي أو الباش دفتردار، ويعد هذا المنصب مرصدا لجمع أخبار البايليك السياسية والعسكرية من شهود عيان، والتحقيق فيها. وكان ابن هطال يدعى بلسان الدولة، ويعني ذلك أنه كان الناطق الرسمي باسم حكومة الباي محمد الكبير في داخل الجزائر وخارجها.ومن أبرز آثار أحمد بن هطال التلمساني، مرافقته للباي محمد الكبير طوال رحلته أو غزوته لقبائل جنوب الهضاب العليا بالقسم الغربي للجزائر سنة 1785م، مع تسجيل أبرز أحداث الرحلة بأمر من الباي محمد الكبير، وتقييدها في كتاب أضحى مصدرا هاما في الدراسات التاريخية العثمانية بالجزائر.حيث قام بتدوين كل مراحل الرحلة الرسمية، ويسجل الأحداث المختلفة للحركة التأديبية، ذاكرا ما اعترض الباي في رحلته من عقبات ونكسات، وما أحرز من انتصارات، والموضوع المهيمن على الرحلة هو وصف مجريات الحملة العسكرية التأديبية التي قادها الباي محمد الكبير بجنوب بايليك الغرب لإخضاع القبائل العاصية والمستقلة عن الحكم العثماني، من خلال دفعها إلى الاعتراف بالطاعة للباي وإجبارها على دفع اللزمة السنوية –الخراج- مع التنبيه إلى مآثر الباي المذكور خلال الحملة وللعلم فقد دامت الرحلة من يوم الخروج، الخميس 09 ربيع الأول 1119هـ/19 يناير 1785م، إلى يوم الرجوع إلى معسكر يوم الأربعاء 28 ربيع الثاني 1119 هـ/10 مارس 1785م .وشملت الرحلة الرسمية قرى هضابية معينة، وأماكن استقرار قبائل مستقلة، محصورة بين مدينتي معسكر في شمال البايليك الغربي، والأغواط في جنوبه، أنظر: بلربوات بن عتو " رحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري سنة 1785م"، مقال ضمن أشغال ندوة الجزائر الأولى، المركز العربي الجغرافي إرتياد الآفاق، أبو ضبي 2004، على الرابط : http:// http://alrihlah.com/nadawat/research/484

2 - نقلا عن أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،(ج1) ،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ،2007، ص358.

3 - الباي محمد بن عثمان الكردي أو الباي محمد الكبير كما هو شائع عنه، رجل من رجال الجزائر العثمانية الذين ساهموا في صناعة تاريخها في أواخر القرن الثامن عشر إذ حكم بايليك الغرب بصفته بايا من 20 جمادى الثانية 1193 هـ إلى 25 جمادى الأولى 1212 هـ ما يوافق جويلية 1779م إلى نوفمبر 1797 م .تميز عن بقية البايات بأعماله التي عبرت بوضوح أن الرجل كان مسايرا لمشروع حضاري تغذيه حركة إصلاحية عاشت المخاض في عهد الداي محمد بن عثمان باشا 1766م – 1791م، لم يترك لنا الباي محمد الكبير مذكرات عن حياته، رغم أنه اهتم بحركة النسخ و التأليف ،ولد الباي محمد الكبير بمليانة، التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي، ولا يمكننا تحديد تاريخ ولادته بدقة، إلا أن الخزندار " تدينا " Thédenat(قدر عمر الباي محمد عند أول لقاء به في قصره عام 1779م بين أربعين وخمس وأربعين سنة أي ولد بين 1734 و 1739م. توفي الباي محمد الكبير في مساء يوم الأربعاء 25 جمادى الأولى 1212م الموافق لـ15 نوفمبر 1797م(23) وهو راجع من مدينة الجزائر، بعد أن أدى دنوشه وأتم الثمانية أيام من الضيافة لدى حضرة الداي حسن، وذكر أحمد الشريف الزهار أنه توفي ببلاد قبيلة السائح بن خضرة، كبير أولاد قصير، قرب مازونة، وحمله أولاده ميتا إلى وهران، ودفن بمدرسة خنق النطاح، مقابل جبهة البحر، وذلك بأمر من ابنه الأكبر »عثمان« وتبقى أسباب وفاته الحقيقية غامضة إلى يومنا هذا ، أنظر : بلربوات بن عتو " رحلة الباي محمد..." المرجع السابق .

4 - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري على الجنوب الصحراوي الجزائري 1789، (تح) محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2004.

المارقين، مَن جمع الله له خصال الشرف والمجد وموجات الشكر والحمد، محل الجلال والعظمة والجود، المخصوص بنصر الآراء والبنود... ذي الأيادي العميمة والمنن العظيمة ....الملحوظ بعناية الله السيد "محمد باي" ابن مولانا السيد "عثمان باي"[1].

لكن ورغم الطابع الأدبي المحض للرحلة فإنها ولاشك تعطينا في طياتها وتفاصليها بعضا مما كان عليه حال هذا الحاكم مع بعض مقربيه ورعيته من الجزائريين، يقول "أبو القاسم سعد الله" عن "إبن هطال" :"**فأبن هطال شخصية هامة في تاريخ الجزائر ولكنها مغمورة، فهو كمستشار وكاتب ودبلوماسي ومحارب قد عاش فترة خصبة من تطور هذه البلاد جديرة بالتسجيل والبعث**" أما عن الرحلة ذاتها فيصف أهميتها قائلا :" **وإذا كانت شخصية بن هطال هامة ثقافيا فإن موضوعه هام من عدة جوانب،فإن الرحلة تتضمن أخبار جغرافية وإجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية، لا يستغني عنها أي دارس للجزائر خلال القرنيين الماضيين، و بالإضافة إلى ذلك فإن "محمد الكبير"، الذي كان سببا في تأليف الكتاب، كان شخصية جديرة بتسليط الأضواء لأنه تقلب في مناصب مختلفة وشهد تطورات كثيرة وساهم هو بقسط وفير في خلق تلك المناصب وتوجيه تلك التطورات فقد شغل منصب باي وإشترك في حرب الإسبان وقاد بنفسه حملة ضد الصحراء لإخضاع أهلها إلى سلطة الداي، كما عرف عنه أنه شجع الأدباء والعلماء وطلبة العلم وأقام المدارس والعمارة...**"[2]

فقد أورد بعض الأحداث السياسية والعسكرية المراهنة لحكمه، و"بن هطال" يشكل حتما فئة من المثقفين الموجودين فعلا في الحقل الثقافي والذين يمكن تسميتهم ب (علماء أو كتاب السلطان) الذين لم يخلو منهم عصر ولكن كتاباتهم يجب أن تُأخذ بعين الإعتبار وتمرر تحت غربال التحقيق لكن دون رميها وإهمالها،ورغم أن "بن هطال"كان تحت تأثير المنصب والوظيفة ، لكن بعض ما كتبه من أحداث لايناقض في أغلب الأحيان ما كُتِب عن تلك الفترة من مصادر معاصرة له.

1 - إبن هطال،رحلة الباي، المصدر السابق ،ص 34.
2 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ،(ج1)،المرجع السابق ،ص357.

ولم يكن "الباي محمد الكبير" محل إعجاب "بن هطال" فقط، فها هو "ابن سحنون الراشدي"1،يخصه بقصيدة طويلة يصف فيها مناقبه وشجاعته ، مما جاء فيها :

يا أيها الليث الهزبـــــر المتَقـــى **** وأجل مختار من الأخيار

أبشر فثغر الفتح أصبـــــح بـاسما **** يثني عليك بريه المعطار

ولوامع النصر المبين تكـــــاثرت **** حتى كستك أشعة الأنوار

طهرت هذا القطر من درن الردى **** ورفعته عن سائر الأقطار2

وفي نفس الصّدد نجده يثني على سياسته وهو يقدّم من خلاله صورة حيّة عن محاربة العثمانيين للفساد ومطاردتهم لقطاع الطرق من أجل الحفاظ على الأمن العام وزرع الطمأنينة في النفوس، فيقول عنه : " **قد نّقى إيالته من المخاوف وأذهب من غياضها وغياباتها وشعابها موجبات المتالف ، حتى صارت مُستراحًا للقوافل والسّفار ...وما ذلك إلا لكونه عدى على العادين فداخهم حتى طاب لأبناء السبيل مراحهم ومناخهم... فلقد كان الأعشاش وهم قوم في أخريات عمله بينه وبين رعيّة سلطان المغرب لا تمرّ بهم قافلة إلا إِستلبوها ولا أوى إليهم شريد إلا قتلوه ... فغزاهم أدام الله عزّه ... وشّتت شملهم حتى لانسمع الآن من سوء ... ، وقد كان الحشم المعروفون لا يؤتى من عندهم بالجاني ولاينالهم من المخزن أكبر ضر حتى كثر فسادهم وقطعهم الطريق ... حتى تولى هذا الباي... خذلوا وأستكانوا ثم صيّرهم من جنده**"3.

وكذلك ممن عُرف عنهم إعجابه بالعثمانيين ووصلنا عمله نذكر "محمد بن ميمون الجزائري"4 ، صاحب الكتاب المعروف " **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**" ، فقد خصص كتابه للتأريخ لأحد

---

1 - إبن سحنون الراشدي أحمد بن محمد بن علي :ينتسب إلى أسرة من بني راشد لها سابقة في الجهاد فقد حضر عمّه فتح وهران الأوّل سنة (1120 هـ / 1708م) ، وهو من مواليد النصف الثاني من القرن 18 م ، نشأ بمعسكر ، وتتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي متولي المدرسة المحمديّة بمعسكر ، كما تولى الكتابة لدى محمد الكبير . توفي بعد عام 1211 هـ 1796 /م. إشتهر إبن سحنون بمؤلفه " الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني"والذي يمنح الباحث نظرة شاملة عن الباي محمد الكبير وسياسته الجهادية التي توّجت بفتح وهران عام(1792 م) ، أنظر : المهدي البوعبدلي :**الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني** " لابن سحنون ، مطبعة البعث بقسنطينة ، الجزائر، 1973، صص 6-8.

2 - نقلا عن : المهدي بوعبدلي ، المصدر السابق ، ص459.

3 - محمد صالح العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطين)"** ، تقديم وتعليق : يحي بوعزيز ، (د.م.ج)، الجزائر 1991 ، ص49 .

4 - هو أبو عبد لله محمد بن ميمون الزواوي النجار ،الجزائري الدار...أهملت جميع المضان والمصادر ترجمته كما سكتت عن تحديد زمان الولادة والوفاة ومكانهما ، ومهما يكن فإنه معاصر للداي" محمد بكداش" وصهره " أوزن حسن حتى وفاتهما سنة 1710م ، أنظر : محمد بن ميمون

الحكام الأتراك مبينا خصاله ومآثره، بإعتماد أسلوب المقامة الأدبية، حينما عرض في كتابه ستة عشرة مقامة عرف فيها بسيرة الداي "محمد بكداش"1، وأوصافه وأخلاقه وجهاده ضد النصارى الإسبان.

ولعل من أبرز ما نستشفه من خلال ما يصوره "بن ميمون" عن الحياة في كنف العثمانيين تختلف كثيرا عما يُصوره الفرنسيون عنهم من الظلم والفقر والجهل ،كما أن هذه النماذج وغيرها تعطينا صورة عن نخبة جزائرية تعايشت مع العثمانيين وأعجبت بهم ولو في فترات تاريخية وأوضاع مختلفة، ولكن ذلك لم يمنع أيضا من وجود فئة أخرى من الناقمين على الدولة العثمانية،فهانحن نرى علما بارزا مثل "الأخضري"2 في موطن حديثه عن الثقافة يندُب حظ العلم والمعرفة بهذا الوطن، مستاءُ مما كان عليه حال البلاد في ذلك الزمن فيقول :"**هذا الزمان الصعب الذي إنقرض فيه أكابر العلماء ولم يبق فيه إلا الحثالة وغلبت العجمية على قلوب الأنام، حتى كاد العلم ينقرض بإنقراض أهله**"3.

وفي "**أرجوزته القدسية**" يقول شاكيا من أحداث زمانه (القرن العشر هجري – السادس عشر ميلادي):

هذا زمان كثرت فيه البـــــدع **** واضطربت عليه أمواج الخدع

وخسفت شمس الهدى وأفلت **** من بعد مــا بزغت وكملت

الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** ،(تقديم وتحقيق) محمد بن عبد الكريم الجزائري ،(ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1981،صص 11- 12.

1 - هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد النكيد نسبة الى نيكدا(Negda) وهي ناحية من بلاد تركيا حيث نشا وتربى وهو عربي الأصل .و بكداش لقب تركي معناه الحجر القاسي أو هو لفظ فارسي معناه المتفرد بالسؤدد لقبه به والده صغيرا تيمنا بشيخ الطريقة البكتاشية (البكداشية – البكطاشية)، وكان يلقب بخوجة أيضا والداي بكطاش مما اشتهر به هو أنه هاجم مدينة وهران وطرد الاسبان منها نهائيا بعد أن قضوا بها مدة تنيف على قرنين 914-11هجري/1708-1508 إفرنجي
وفي أيام الداي بكداش القي القبض على الاخوين العالمين مفتي المالكية بالعاصمة الجزائر الشيخ احمد واخيه القاضي على ابني العلامة سيد سعيد قدورة فقتلا خنقا وكذلك كانت عاقبة هذا الداي ايضا مثلهما فان فرقة الانكشارية استعجلت الداي في تقاضي اجرتها فماطلها الدي بسبب تخلف صاحب الدنوش بقسنطينة وفراره من الجباية فتمرد الجند وتآمروا ضد الداي فقتلوه خنقا يوم السبت 21 محرم 1122هجري 22 مارس 1710 افرنجي كما انه اعدم معه صهره حسن وزن وخلف الداي في منصبه دالي ابراهيم .أنظر عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،(ج3) ،دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ،2009،صص 209-210 و220.

2 - -محمد بن عبد الرحمان بن أبي القاسم القشطولي الزواوي الإدريسي الحسني، ولد بقرية بوعلاوة بعشيرة آيت اسماعيل حوالي سنة 1714م وتوفي سنة 1794م،إشتهر في علوم الفقه والتصوف ،أول من جاء بالطريقة الرحمانية –الخلوتية - إلى بلاد المغرب من أبرز مؤلفاته " السلم المرونق في المنطق والحكمة" أنظر ،خير الدين الزركلي، الأعلام ، قاموس لتراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين ،ج4،دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان،2002،(حرف العين) ، وكذلك أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ،(ج1)،موفم للنشر ، الجزائر ،1991،ص72. وكذلك : عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،(ج4)،دار الأمة ، الجزائر ، 2010،ص266.

3 - عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر،(ج4) ، مرجع سابق،ص177.

والدين قد تهدمت أركانـــــه **** والزور طبق الهوى دخـــانه

ويقول في أرجوزة أخرى:

وقل لمن لم ينتصف لمقصدي **** العـــذر حق واجب للمبتدي

لاسيما في عـاشر القـــرون **** ذي الجهل والإفساد والفتون1.

ولما جعل الأتراك المناصب و الوظائف الحكومية العليا كلها مقصورة على طوائف الإنكشارية ووجاقاتهم خاصة ، بلغ ببعض شعراء الجزائر إلى مهاجمتهم والحط من شرفهم، ومن ذلك قول "أبي عثمان سعيد بن عبد الله" ، المشهور ب"المنداسي"، الذي كان من المتذمرين من سياستهم في تلمسان ، حتى هجرها نحو المغرب الأقصى، أين عاش في بلاط الملوك العلويين2، ومما جاء في ذمه للعثمانيين قوله :

أمن قادر بالله يحمـــــــي تلمسانا **** فإن بها من قوم ياجوج إخوانا

بنى السد ذو القرنين للناس رحمـة **** فيا ليته من شوكة الترك هنـــانا

فما دب فوق الأرض كالترك مجـرم **** ولا ولدت حواء كالترك إنسانا

ولا طار مثل الترك للسمع طـــائر **** ولا وجد الشيطان كالترك فتانا

عثوا وأستفزوا المسلمين من القـــرى **** وقد عبـــــدوا حمر الدنانير أوثانا

وأكبر شيئ أفسدته أكفهـــــــــم **** تلمسان عين الغرب علما وإيمانا3.

وكان "ابن السويكت" بدوره من أشد الناقمين على الأتراك العثمانيين، إثر إخضاعهم لقبيلته" سويد"4 بالقوة، فكتب الكثير من الشعر في ذمهم وإستنكار ما قاموا به ومنها قوله :

---

1 - عبد الرحمان بن الصغير الأخضري ، **السلم المرونق في علم المنطق**،(دراسة وتحقيق أبو العباس النوحي) المطبعة السلفية ، القاهرة، 2003،ص16.

2 - كان المنداسي مواليا لسلاطين المغرب ومنهم مولاي محمد بن الشريف ومولاي الرشيد ومولاي إسماعيل، حيث لازم بلاطهم وأكثر من مدحهم.

3 - المنداسي سعيد بن عبد الله ،ديوان شعر،(تح وتقد):رابح بونار ، ش و ن ت ،الجزائر ،1976،صص 40.

4 - ثارت قبيلة " سويد "العربية ضد العثمانيين في القرن 16م وكانت قاعدتها أحيانا مدينة تنس والتي أخرجهم العثمانيون منها، بعد وفاة زعيمهم حميد العبد ، أنظر :سعد الله ،تاريخ الجزائرالثقافي ،(ج1)،ص212.

على "أرهيو" وعلى "جديويه" كارسين **** الترك جوق وأسويد جاو للقبلة

خيمة مع أخبا وبنـــــــــود متقابلين **** من المسا للصبح كل يوم مقتلة

الترك جـاو وأسويد أعقابهم طافـــحين**** والترك شـــاربين لهبال في سطلة

الباي شور ليهم**** وأســـــويد زادو حملوا

أرفدسناجقو وألحقهم**** عمدوا للقتال وقتلوا1

ومما ماسبق يتضح لنا ولو جزئيا تعدد النخب و مواقفها و آرائها في تلك المرحلة من العثمانيين وحكامهم في الجزائر، ولكنها تبقى في كل الأحوال آراء يجب أن تُدرس في إطارها الزماني والمكاني وأن لا تُهمل لصالح رأي بعينه خاصة ما ارتبط بوجهة النظر الإستعمارية وكتابتها المجحفة في حق الأتراك و للفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، وهو تيار تاريخي متاكمل ستعمل فرنسا عل تطويره وتأطيره في الجزائر مابين (1830 – 1962م) يسعى إلى تمجيد الفترة الإستعمارية في الجزائر مقابل إحتقار مقيت للفترة العثمانية فيها .

كما يجب ملاحظة أن أغلب ما ميز تلك الكتابات لدى النخبة الجزائرية المعاصرة للعثمانيين هو مؤازرة أصحابها للسلطة العثمانية ودعمهم لمواقفها، ولا شك "**أن تفاعل العثمانيين مع الحركة الجهادية جعلهم يحضون بالكثير من مساندة الفقهاء**"2، مما يدل على إنسجام بين العنصرين العثماني والسكان المحليين رغم بعض التوترات المحدودة التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى.

ومهما يكن فإن مآثر الحكم في الفترة العثمانية قد تركت بصماتها في تاريخ الجزائر الحديث من خلال ما سجلته النخبة والمؤلفات المعاصرة لهم نظما أو نثرا وفي مقدمة تلك المآثر إستماتتهم في الجهاد ضد الحملات الأوروبية والدفاع عن الجزائر المحمية.

1 - سعدالله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ،ص 213.

2 - عبد الله العروي ،مجمل تاريخ المغرب،(ج1)،المركز الثقافي العربي ،بيروت ، لبنان، 1999،ص 77.

1–3 شخصيات جسدت التضامن الجزائري– العثماني :

بإنتهاء الوجود العثماني رسميا في الجزائر مع توقيع "الداي حسين باشا" على وثيقة الإستسلام في (05 جويلية م1830م) لم يعد للدولة العثمانية في الجزائر أي حضور على المستوى الإداري والسياسي ،لكن الحضور العثماني ظل مستمرا في كثير من مناحي حياة الجزائريين لاسيما الإجتماعية والثقافية منها، حيث لم تنقطع تلك الروابط الروحية الإسلامية بين الجزائريين والعثمانيين ولو بعد إمتداد الإحتلال لفترة زمنية طويلة (1830–1962م) على إعتبار أن الدولة العثمانية كانت وإستمرت إلى غاية إنهيارها بعد الحرب العالمية الأولى في نظر الجزائريين عامتهم وخاصتهم رمزا للخلافة الإسلامية ومركزا سياسيا للعالم الإسلامي .

ورغم بعض الفتور الذي شاب علاقة الجزائريين بالعثمانيين سواء في الجزائر أو في مركز الدولة العثمانية مع أواخر الحكم العثماني في الجزائر سنة(1830م) بظهور بعض حركات التمرد هنا وهناك كتعبير عن تذمر بعض الجزائريين من تردى وضعهم السياسي والإقتصادي في ظل الحكم العثماني لتلك الفترة 1،إلا أن ما أقترفه الفرنسيون في الجزائر من جرائم على مختلف الأصعدة ومحاربتهم المباشرة للدين الإسلامي والسعي المستمر لتغريب وفرنسة المجتمع الجزائري ،أحيت لدى الجزائريين روح التضامن الإسلامي و جعلتهم يدركون كما قيل أن نار العثمانيين أفضل من جنة الفرنسيين فها هو أحد الشعراء المدعو" الشيخ عبد القادر" يعبر عن هذا الشعور بتردي الأوضاع والتحسر على الأيام الخوالي قائلا :

الأيام يا أخواني تبدل ساعاتهـــــــا **** والدهر ينقلب ويولي في الحين

بعدما كان سنجاق البهجة و وجاقها **** الأجناس تخافها في البر وبحرين

أمنين راد ربي ووفى ميجالهـــــــــا **** وأخـــطاوها أهل الله الصالحين

الفرانصيص حرك ليها وخداهـــــــا **** لاهي ميات مركب لاهي ميتين

بسفاينه يقرصن في لبحر قبالهـــــــا **** كي جا من البحر بجنود قويين

---

1 - عرفت الجزائر في القرن التاسع عشر عدة تمردات وثورات خاضها بعض الطرقيين ضد الحكم العثماني، كان أهمها الثورة الدرقاوية التى قادها كل من بن الأحرش وابن الشريف في شرق وغرب البلاد ، والثورة التيجانية في الجنوب الغربي من البلاد ، للمزيد أنظر :أرزقي شويتام ،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره 1800-1830م ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،الجزائر ،2011،ص89.

راني على الجزاير ياناس حزين

حسراه وين دار السلطان وناسهـــا **** صدو وجاو ليها أوجوه أخريـــــن

حسراه وين بايات مع قيادهـــــــا **** يامن درى على ذوك القصباجيين

من درى على ذوك العصاة متاعها **** من درى على ذوك النوبـاجاييـــن

حسراه على السراية وعلى حكامها **** وعلى مواضع الحكـــــم المعزوزين

حسراه على ذوك الشواش طغيانها **** حســـــراه وين الاتراك النصناصين

ياخـــــــالق العباد نتوسل بطه **** ربي يجيب ليـــــــها سلطان حنين

ويعود في السراية هو سلطانهـــا **** يحكـــــــــــم بالشرع والحق المبين

بجاه الكتوب وجميع اللي يقراوها **** والســـــاجدين لله والراكعين1

وهذا يُظهر حقيقة كيف كان الشعر الشعبي في هذه المرحلة مجالا خصبا سمح للجزائريين بالتعبير عن هذا التذمر الشديد من الحملة الفرنسية على الجزائر وأثارها الوخيمة والتوثيق لما اقترفه الفرنسيون من فضاعات وجرائم تجاه الأهالي الجزائريين الذين لاحول ولا قوة لهم أمام آلة الدمار الفرنسية، مقابل الأمل الكبير في عودة حكم المسلمين ممثلا في الدولة العثمانية للجزائر وتأكيدا لروح الترابط والتضامن التي كان يشعر بها الجزائريون تجاه مجالهم الحضاري و الطبيعي، العربي الإسلامي والذي كانت الخلافة العثمانية بمثابة مركزه المادي والروحي، فجاءت الكثير من القصائد الشعبية لترسم ذلك الشعور بالألم لما آلت إليه الجزائر المحمية بعد قدوم الفرنسيين(الكفار) وإحتلالهم لها وخروج الأتراك العثمانيين منها وهم حماة الدين والوطن.

والظاهر أن هذا الولاء لم يكن ناتجا عن ظروف عارضة وإنما كان نتيجة لقناعة شعبية بالولاء الروحي على الأقل لأكبر قوة إسلامية كانت تواجه أوروبا آنذاك، وقد ظهرت هذه العاطفة تجاه العثمانيين في مناسبات عديدة سيأتي ذكرها في حينه.

---

1 -Joseph, Desparmet ",L'entrée des Français a Alger par le cheik Abdel kader",in,**R.A**,vol71,1930,pp 225-256.

و من الواجب في هذا المقام أن لا نغُض الطرف عن وجود بعض الفئات من الجزائريين الذين لم يرحبوا بالوجود العثماني في الجزائر، لتعارضه مع مصالحهم ونفوذهم السياسي أو الروحي أو الإجتماعي والمالي ، فقد كان إلتحاق الجزائر بالباب العالي باعثا قويا في إضطراب بلاط "بني زيان" بتلمسان و"بني أبي حفص" في تونس و "الوطاسيين" أيضا بالمغرب الأقصى، وذلك خشية إمتداد القوى التركية إلى بلادهم ونشر جناح السلطنة العثمانية على كامل بلاد المغرب العربي، ليجتهد "الحفصيون" و "الزيانون" يومئذ في العمل على قطع العلائق بين الجزائر وإستانبول وسعوا في إيقاد نار الفتن والثورات ضد السلطة التركية، وأُنفقت في ذلك أموالا طائلة وفيهم من إستجاش بالإسبان وملوك المغرب الأقصى من "بني وطاس" ولكن ذلك كله لم يثبت أمام قوة الجيوش التركية النظامية ، فخاب مسعى "بني زيان" وتنكر الجزائريون للمولى "عبد الله الزياني" فأُنزل على عرشه وفر الملك إلى حلفائه الإسبان1،مما يعني أن أطرافا داخلية وخارجية كان من مصلحتها عدم إستقرار الوضع للعثمانيين في الجزائر.

وحتى بالنسبة للجيل الذي ولد بعد الاحتلال ولم يعايش مباشرة الوجود العثماني بالجزائر ولم يتعرف عليه إلا من خلال ما كان يحكى له من طرف القدماء ومن بعض الشواهد التي بقيت تُذكِر بإستقرار العثمانيين بالجزائر، فإنه إحتفظ هو الأخر بصورة مثالية لهؤلاء، وقد تعددت فيما بعد وسائل متابعة الجزائريين لأخبار المشرق بصفة عامة وأحداث الدولة العثمانية بصفة خاصة كدليل على إهتمامهم بهذا الحيز الجغرافي المرتبط بهم حضاريا وعقائديا،فأثناء الحرب العثمانية اليونانية(1897–1901م) لعب "المداح" مثلا دورا كبيرا في نشر الأخبار وإبلاغ الناس خاصة أثناء الأسواق الأسبوعية بما يجري من أحداث وما لقيته تجمعاته ومواضيعه من إحتضان كبير من لدن عامة السكان الجزائريين،كما مكنت الصحافة أيضا منذ نهاية القرن التاسع عشر الجزائريين من تتبع أخبار المشرق. وفي هذا الصدد تشير بعض التقارير الإدارية إلى الدور الذي لعبته كل من جريدتي المؤيد(مصر) والحاضرة (تونس) في إيصال هذه الأخبار إلى الجزائر2 ، في وقت نسجل فيه شحا كبيرا في الصحافة ذات اللسان العربي محليا.

ولا يمكن أن نفسر هذا التتبع لأخبار الدولة العثمانية دون غيرها ، بالرغم من وجود أحداث هامة في مناطق أخرى من أوروبا مثلا ، إلا ضمن هذا الترابط الروحي مع الخلافة الذي ما فتئ الجزائريون يُعبرون عنه بوسائط وأدوات مختلفة.

---

1 - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام، (ج3)، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2010،ص47.

2 - أحمد صاري، "النخبة الجزائرية ما بين الوفاء للخلافة العثمانية والإعجاب بتركيا الكمالية"، ضمن أعمال المؤتمر الثاني للحوار العربي التركي حول: التحديث والحداثة في البلاد العربية وتركيا في القرن العشرين، تقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، تونس ،2001، ص59.

وبقدر ماكان هذا التواصل والتضامن حالة شديدة الوضوح لدى الأغلبية من الجزائريين ، فإننا سنتناول بعضا هذه النماذج والتي يمكن أن توصف بكونها عينات من نخبة تلك الفترة والتي تشترك في كونها أوجدت الآليات المناسبة للتواصل والتضامن مع الدولة العثمانية ،بدءً بالهجرة إليها ومرورا بمحاولة التنسيق العسكري معها لإستعادة الجزائر من الفرنسيين،ووصولا للعمل الصحفي والكتابة الأدبية للتعبير عن هذا الشعور الداعم والمؤيد تجاه مركز الخلافة وسلاطينها.

حيث برزت في هذا السياق العديد من الشخصيات الجزائرية التي جسدت هذا التواصل وسعت في استمراره حتى بعد (1830م) آملة في عودة العثمانيين إلى الجزائر وتخليصها من الفرنسيين الغزاة و إصرارا منها على التمسك بمقومات شخصيتها العربية الإسلامية التي تتناقض كليا مع الشخصية الفرنسية المراد فرضها على الجزائريين، وفيما يلي أبرز رموز هذه النخبة وأكثرها نشاطا في هذا المجال.

3– أ : حمدان خوجة أول جسر للتواصل والتضامن بين الجزائر والأستانة

تعرضنا في مبحث سابق لموقف "حمدان خوجة" من السلطة العثمانية في الجزائر قبيل وحين إنهيارها أما الآن فسنحاول عرض ما بذله الرجل من جهود لعودة الحكم العثماني للجزائر،فقد كان"حمدان خوجة" من أوائل المهاجرين إلى إستانبول، حيث إختارها للإقامة1،بعد أن فشلت مساعيه في الجزائر وفرنسا للحصول على حق الجزائريين في الحرية والإستقلال وكان يقول:"**لن أبقى في الجزائر إذا لم تعد تابعة للباب العالي،واستمرفي إستانبول في مساعيه لإنقاذ الجزائر رغم البعد على الإتصال ببلاده وبرجال المقاومة الذين ظهروا بعد رحيله** "2.

ويُعتبر "حمدان بن عثمان خوجة" أول جزائري يتحدى الأوروبيين، مؤكدا على الإسلام كمعلم حضاري لا يتعارض مع القيم الحضارية ، كما أنه لعب دورا نشطا في باريس وإسطنبول من أجل القضية الجزائرية،وقد عُدَ في نظر السلطات العثمانية ، الأقدر على فهم سلوك المقاومين ولا سيما "الأمير عبد القادر" و"الحاج أحمد باي"، كما أنه مثل بنجاح عامل الإتصال بهما، وقد أهله لذلك الوظائف والرتب الإدارية التي تحصل عليها لدى الباب العالي

---

1 - رحل حمدان خوجة يوم 28 ماي 1836م ،إلى أسطمبول ، وكان الحاكم العام قد أخبر الجنرال رابتال بتاريخ 30 ماي1836م، في رسالة بعثها له من باريس ،يخبره فيه أن حمدان خوجة ،أقلع من هنا قبل يوم أمس ، متجها إلى القسطنطينية عن طريق ميتز، بعد أن علم أنني أملك أدلة تدينه، وأن ولديه سيسافران يوم 5ماي 1836م ، وسوف يصلان إلى مدينة الجزائر يوم الثلاثاء 7ماي 1836م، وأن الضرورة تدعو إلى القبض عليهما ووضعهما في السجن العسكري ، بتهمة المس بالأمن العام ، أنظر : Gabriel, Esquer,Correspondance du Maréchal Clauzel(1835-1837),(t1),éd,La rose,Paris,1948,p725.

2 - نادية طرشون، «الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام 1847- 1911»،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة دمشق، 1984-1985، ص14.

فقدكان يُشارك في إجتماعات الصدر الأعظم ويدلي برأيه فيما يخص الجزائر و الولايات المغربية العثمانية، وكان يُدلي برأيه وتحليله بحضور الوزراء جميعا والذين كانوا يستمعون إليه بإنتباه ويُنفذون ما ينصحهم به، لقد كان حمدان خوجة هو الذي يقوم بترجمة الرسائل الوافدة من الإيالات المغربية، من العربية إلى التركية ويحرر الجواب عنها بالعربية إذا إقتضى الأمر وطلب منه ذلك1.

ومما يحسب له أيضا أنه كان من أوائل من حاول لفت إنتباه السلطان العثماني لمسؤوليته الشرعية والأخلاقية والقانونية على ضرورة إستعادة الجزائر من الفرنسيين ، فقد كتب للسلطان العثماني2 رسالة مليئة بالدلالات والأحاسيس نقرأ في بعض أجزائها قوله :"**فبعد تقديم مظاهر الإكرام اللائقة لجلالتكم، نُعلمكم أنه إثر المصائب التي حلت بالبلاد فإن الناس قد تفرقوا شذر مذر وهجروا عائلاتهم وبيوتهم ، وأن الكفار قد ألحقوا بهم ضيقا وجورا بحيث لا ملجأ للناس لطلب المساعدة غير سلطانهم....إن ملجئنا الوحيد هو الله ثم شخصكم، إذ أنتم وحدكم تستطيعون أن تقدموا المساعدة المرجوة ...**"3

ولم يجد "حمدان خوجة" من حرج في تحميل السلطان العثماني مصير المسلمين والبلاد المسلمة التي إرتوت بدماء الشهداء ممن قاوموا للدفاع عنها وعن الإسلام ضد الحملات الصليبية المتكررة عليها،فقال له ما نصه:"**إن المسلمين الذين أُستشهدوا ودُفنوا في هاته التربة،سوف يسألونكم يوم الحساب لماذا تخليتم عنهم...لقد شتت الفرنسيون الإنكشاريين،فلم يبق سلاح ولا أدوات حرب،إن شعبكم لم يعد له حياة ،فلا تتركنا في مثل هذه الوضعية ،إن سكان الجزائر حضريهم وبدويهم وشيوخهم يرجونكم تعيين أحد المواطنين ليحكم البلاد كما وتهبونه السيف و البدلة ولقب الباشا.يوجد ما بين الخمسة والعشرة أشخاص هم عقلاء البلاد ويدركون جيدامشاكل الولاية،وإذا عينتم أحدهم باشا ففي قليل من الزمان وبإعانة الله نستطيع أن نسترجع الجزائر .**"4

---

1 - عبد الجليل ،التميمي،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، الجزائر وتونس وليبيا: 1816-1871،(ط2)،منشورات (د م ج) ، الجزائر – منشورات (م د ب و ع ع ع)، زغوان ، تونس ، 1985،ص48.

2 السلطان محمود الثاني: إبن السلطان عبد الحميد الأول ، ولد سنة 1785م وتوفي سنة 1839م، تولى الحكم سنة 1808م، واجه أثناء حكمه العديد من الأزمات الداخلية والخارجية بدء من خلافه مع الانكشارية، واشتداد الحركات الانفصالية في البلقان ، وظهور الوهابية في الحجاز ، وصولا إلى إحتلال الجزائر سنة 1830، أنظر: إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ،2004،صص، 299-305.

3 - نقلا عن عبد الجليل ،التميمي،بحوث ووثائق،مرجع سابق ،صص 173،168.

4 - المرجع نفسه.

ومن ضمن هذا الشخصيات نجد أنه إقترح عليه "أحمد باي"1 واضعا ثقته فيه بقوله:"**إن باي ولاية قسنطينة هو عبدكم الحاج أحمد باشا بن أحمد باي هو رجل شجاع وعاقل ، ويكون من اللائق تعيينه باشا على البلاد.**

لم يتصالح الحاج أحمد مع الفرنسيين وبالتالي فإن قسما من البلاد ليس واقعا تحت سلطة الفرنسيين، إن المسلمين الذين تشتتوا شذر مذر وجدوا فيه الرجل الذي أدركهم في اللحظات الحرجة، لقد طلبوا منه أن يُغير لقبه من الباي إلى الباشا حتى يكون رمزا لمجد وعظمة صاحب الجلالة السلطان في هاته الولاية".2

كما إقترح عليه أن يجعل من الجزائر وولايتي تونس وطرابلس الغرب وحدة إدارية، الأمر الذي يؤكد إصراره على الإرتباط الديني الذي كان يشده إلى مقر الخلافة الإسلامية3. ولعله بذلك كان يريد فتح مجال إمداد لوجستي يسهل تواصل الدولة العثمانية مع شرق الجزائر ومدينة قسنطينة التي تقود المقاومة مرورا بكل من إيالتي طرابلس الغرب وتونس لاسيما عبر واجهتهما البحرية وإمتلاكهما حدودا برية مع الجزائر.

لم تضع محاولات "حمدان خوجة" سدى، فيبدو "إن رسائل حمدان خوجة إلى السلطان قد أثرت على السياسة العثمانية تأثيرا مباشرا حيث دفعت "السلطان محمود" إلى القيام بفعاليات سياسية لمحاولة إسترجاع الجزائر، وقد تُبوحث في أمر عريضة "حمدان أفندي" في مجلس الشورى المنعقد في الباب العالي، وتقرر إيفاد "مصطفى رشيد باي" سفيرا فوق العادة إلى باريس تلبية لرغبة السلطان وذلك لإسترداد الجزائر من الفرنسيين. وقد صادق السلطان على هذا القرار ولكنه كان يُصرح بوجوب معرفة رأي دول أوروبا الكبرى سلفا بشأن الإعلان بصراحة عن مهمة "رشيد باي."4

ورغم تلك الغيرة الوطنية التي ميزت "حمدان خوجة" وجهوده للتعريف بقضية بلاده، نجد أنه أُتُّهم من أطراف عدة على رأسها الفرنسيين خاصة بكونه يعمل تحت تأثير الدفاع عن مصالحه الشخصية كما وأُستسصغر شخصه كمدافع

---

1 - أحمد باي : ذكر أحمد بوضربة في مذكراته للجنة الإفريقية سنة 1833م، بأن أحمد باي كان عمره47 سنة ، مما يجعل تاريخ ميلاده ، سنة 1786م، كرغلي من أب تركي ولد بالجزائرهو محمد الشريف، خليفة حسن باي الذي تولى الحكم بعد صالح باي ، وأما جده فهو الباي أحمد القلي الذي حكم قسنطينة 16 سنة إبتداءا من 1755م، وأمه الحاجة شريفة من أسرة بن قانة المعروفة،ولي بايا على قسنطينة وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، سنة 1826م، والتي برع في تسيير شؤونها والدفاع عنها إلى غاية سقوطها في يد الفرنسيين سنة 1837م، إستسلم ووضع تحت الإقامة الجبرية ، إلى أن وافته المنية سنة 1850م، في ظروف غامضة ، تشير بعضع الروايات إلى موته مسموما ، يوجد قبره بجوار ضريح عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة ، أنظر : محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي و...، مرجع سابق ، صص، 5-8.

2 - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق ، المرجع السابق ،ص171.

3 - عبد الجليل التميمي،"نشاط حمدان خوجة في باريس وإستانبول من أجل القضية الجزائرية"،**م.ت.م**،ع7-8،جانفي- يناير 1977،تونس،ص135.

4 - آرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، (تر)، عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس ، 1970،ص76.

نزيه عن القضية الجزائرية ولكنه كان يرد ببساطة على ذلك قائلا:" **كان يسعني كما يقول حمدان ، ما وسع غيري وأسكت، لكن يا أخي الغيرة الإسلامية حملتني على أن كتبت وخاطرت بنفسي وأعلمتكم**".1

وإن المتتبع لنشاطات "حمدان خوجة" المتعلقة بالقضية الجزائرية ومحتوى رسائله يكتشف بُعدا أخر يضاف إلى وطنيته الجادة وكيف لا وهو من أوائل الحاملين لسلاح السياسة والدبلوماسية ، لكن غبار الحروب ودوي المعارك في ظل إشتداد المقاومة المسلحة في السنوات الأولى للإحتلال قد غطى على هذا النشاط السياسي لحمدان خوجة2،فقد كان الرجل من دعاة الوحدة الإسلامية بلا منازع ، فكان يدعو إلى تكثيف الجهود وتوحيدها بدل تفريق السيوف وإضعافها ، حيث كتب لأحمد باي قائلا :" **إنكم مجبولون على الغيرة الدينية والحمية الإسلامية والشجاعة الذاتية، وينبغي أن لاتخلو تلك النواحي عمن هو مثلكم في القوة الدينية ونفوذ الكلمة من النجدة والشجاعة الكاملة** ..."، كما كتب للأمير عبد القادر طالبا منه ربط علاقاته بالسلطان والشعوب الإسلامية 3،إدراكا منه لأهمية وحدة الصفوف في وجه المحتل.

3– ب: أحمد باي يحمل آخر سيوف الدولة العثمانية الرسمية في الجزائر

لا شك أن سقوط مدينة الجزائر بتلك السرعة غير المتوقعة وغياب أي تنظيم سياسي أو عسكري يكفل وجود قيادة تقوم بمواجهة القوات الغازية قد دفع إلى ظهور قيادات وزعامات محلية (ذات حضور ديني أو سياسي) حاولت فعل أي شيئ لوقف زحف المحتل ومنعه من التوسع نحو بقية أجزاء الوطن محاولة وفق ما يتوفر لها من إمكانيات مادية وبشرية.

فتشكلت خلايا هنا وهناك هدفها مقاومة المحتل و الحيلولة دون عملية توسعه ،لكنه كان دائما يعوزها الدعم و الغطاء السياسي بما يمنحها الشرعية لأي تحرك، وهو ما جعلها تتطلع دائما لحركة مضادة للإحتلال من طرف الدولة العثمانية ورجالاتها ،فنجد أن "أحمد باي" مثلا والذي كان يمثل إلى حد ما (الوريث الشرعي لنظام الدايات المنهار) عمد منذ إحتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر وبداية توسعهم شرقا وغربا [و في ظل تزايد مؤامرات باي تونس الذي عمل على تشويه صورته لدى الباب العالي ، طالبا منه التنحي عن حكم قسنطينة لصالح شقيقه] (شقيق

---

1 أنظر رسالة حمدان خوجة إلى صديقه محمود بن أمين السكة في : عبد الجليل التميمي ،بحوث ووثائق ، مرجع سابق ، صص174-181.

2 - إعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله حمدان خوجة، زعيما للحركة الوطنية (القومية)الجزائرية ، تفنيدا لإدعاءات الكتاب الفرنسيين بأن المقاومة السياسية لم تبدأ ،إلا بعيد الحرب العالمية الأولى ، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج2)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2007،صص 30-31.

3 - عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق ، المرجع السابق ،ص49.

باي تونس) لكن "أحمد باي" رفض ذلك بشكل قاطع وهو ماتحدث عنه بوضوح في مذكراته قائلا:"**وحينما إطلعت على محتوى الرسائل (رسائل باي تونس)...أردت أن أعرف رأي الديوان في الموضوع فجمعته وعرضت عليه إدعاءات الباي الواردة في الرسائل التي تكاثر عددها في كل مكان و بعد تفكير وتدبير فيما ينبغي فعله تقرر أن يكتب الديوان رسالة إلى باي تونس فكانت كما يلي : "إن ما تقترحونه علينا لا يليق بنا مطلقا، إننا فرحون بحكم الباي أحمد ولا نريد إستبداله، فكيف يمكن لكم أن تُرغمونا على ذلك ، ألستم مثلنا تابعين لخليفة إسطنبول وبأي عنوان تطالبوننا بالطاعة، إن السلطان محمود وحده هو الذي يستطيع أن يقرر تقسيم أملاكه..**"[1]

كما رد "أحمد باي" بنفس الحدة على طلب القائد الفرنسي كلوزيل(Clauzel)[2]، الذي عرض عليه الإعتراف به بايا على قسنطينة مقابل دفع الضريبة :" **وفي الحين جمعت الديوان وقرأت عليه رسالة الجنرال فكان رد الأعضاء أن قسنطينة كانت في الحقيقة تابعة لباشا الجزائر وتمتثل لأوامره ولكن الجزائر بدورها كانت تابعة لسلطان إسطنبول ولقبول الصلح المقترح ، يجب علي أولا أن أحصل على موافقته...**"[3]

ولتأكيد إرتباطه المستمر بالباب العالي قام "أحمد باي" بإرسال وفد برئاسة "سي علي بن عجوز" أحد أعيان قسنطينة ومعه أحد ثقاته وهو "الحاج مصطفى" إلى إسطانبول[4] ، كما قام عدة مرات بمراسلة السلطنة العثمانية[5]

---

1 - نقلا عن محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي و...، مرجع سابق،ص22.

2- Clauzel (Bertrand),comte de l'Empire,maréchale de France, né a Mirepoix(Ariége) en 1772. Le 12 Aout 1830,il reçut le commandement en chef de l'armée dèAfrique en remplacement de Bourmont.le 17 novembre 1830, il occupa Blidah,le 24 novembre Fit son entree a Médéah, il créa provisoirement, sous la nomination de « Zouaves » un bataillon d'ifanterie Auxiliaire…il est mort en 1862,voir: Narcisse Faucon,Le livre d'or de l'Algerie,(T1) –Biographies,Chalamel et Cie éditeurs,Paris,1889,pp 173-177.

3 - محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي ، مصدر سابق ،ص20.

4 - أبو القاسم سعد الله ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، (ط خ) ،دار الرائد وعالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009،ص 137.

5 - أنظر أهم هذه الرسائل التي نشرها المرحوم أحمد توفيق المدني ،في كتاب : أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ، حمدان عثمان خوجة ، أحمد باي قسنطينة ، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009،(الجزء المتعلق بأحمد باي).

طالبا منها المساعدة المعنوية وأن تخلع عليه لقب الباشا1،و أعتبر نفسه خادما للدولة العثمانية وأن قرار السلم والأمن بالبلاد من صلاحيات الباب العالي2.

وظل "أحمد باي" في إنتظار المساعدة العثمانية،لكن جهوده لم تنجح في الحصول على نجدة عاجلة من السلطان أو على الأقل في الوقت المناسب،فقد عاد الوفد الذي أرسله برد غامض من السلطان يحمل توقيع "رؤوف باشا"،فالسلطان في حالة سلم مع الدول المسيحية و لا يمكنه إعلان الحرب على فرنسا بسبب قضية الجزائر،أو بالأحرى قضية قسنطينة ،ولكنه طلب من "أحمد باي" أن يستمر في نضاله ضد الفرنسيين وأن لا يوقع أي صلح إلا بعد مشاورته3.

لكن "أحمد باي" لم ييأس وأرسل وفدا أخر للسلطان يقوده "السيد بلهوان" الذي كان يحمل رسالة إلى "رؤوف باشا" الوزير الأول و قد ألح الحاج أحمد في رسالته على طلب المساعدة المادية وأعلن أنه مستعد للتضحية من أجل الدين،ولكن "رؤوف باشا"إستقبل "بلهوان" إستقبالا باردا ووعده بإرسال مندوب عنه إلى قسنطينة ليتقصى الأمر،فكان هذا المندوب هو "كامل بك".

و عندما وصل "كامل بك" إلى قسنطينة، إستقبله الحاج أحمد إستقبالا حارا،وفي إجتماع عام لأعيان المدينة ورؤساء القبائل والمسؤولين خطب "كامل بك "وقال بأن السلطان لم ينسهم وأن عليهم الصبر والإيمان وقال إن السلطان يعمل على إبقاء قسنطينة تحت طاعته وأن عليهم أن لا يقبلوا أي شرط بدون موافقته.

وعندما عاد "كامل بك" إلى إسطانبول كتب إلى "الحاج أحمد باي" يعلمه أنه أطلع السلطان على الوضع وأنه يعمل للوصول إلى حل لصالح الباي و لكنه لم ينجح ،وطلب منه أن يراسل السلطان عن طريق "سي الطاهر باشا" الذي أصبح حاكما لطرابلس.4

---

1 - تمت مناقشات في إسطنبول حول منح الحاج أحمد باي منصب الولاية ، أي الباشا، لكن الأمر لم يحسم لصالحه، رغم أن سكان قسنطينة كانوا قد خلعوا عليه لقب الباشا وضربت السكة باسم السلطان في قسنطينة فعلا ، أنظر : محمد العربي الزبيري ، مذكرات...، مصدر سابق ،ص 23 ، و أرجمنت كوران ، السياسة العثمانية ..، مرجع سابق،ص ص 89- 93.

2- عبد الجليل التميمي، "ثلاث رسائل من الحاج أحمد (باي قسنطينة) إلى الباب العالي"،**مجلة تاريخ وحضارة المغرب**،ع9،جويلية1970،كلية الآداب،ص ص 10-11.

3 - أبو القاسم سعد الله ،محاضرات في تاريخ الجزائر،المرجع السابق،ص139.

4 - المرجع نفسه ، ص ص،139-141.

وقد ظل "أحمد باي" طيلة مدة حكمه ومقاومته على ولائه للباب العالي طالبا معونته ونصائحه وبالمقابل كان هذا الأخير أيضا يبادله الإعتراف والنصح وكثيرا ما نصحه بالصمود، وفعلا أرسل إليه مساعدة عسكرية بعد تحقيقه النصر في قسنطينة سنة (1836م) ممثلة في عدد من الجنود والمدافع(أربع بواخر مشحونة بالجنود الأتراك وعلى متنها 12 مدفعا و150 من المختصين في المدفعية وما يتبع ذلك من عتاد)، ولكن باي تونس إعترض سبيل تقدمها1.

وحتى بعد سقوط مدينة قسنطينة سنة (1837م)، وإنتقال "أحمد باي" جنوبا لإعادة بناء المقاومة ظل في إتصاله مع الباب العالي طالبا للمشورة والمساعدة ،حتى وصفه السلطان محمود الثاني (بالباي الذي أثبتت إرتباطه بالدولة العثمانية).

وبذلك نلاحظ أن "أحمد باي" قد حاول إقامة دولة تعتمد على تأييد السلطان وتأييد الأستقراطية المحلية،فحافظ على النظام العثماني ونشد مساعدة السلطان حتى يُعطي لحكمه الشرعية والهيبة2،ولكن يبدو أن ظروف الدولة العثمانية و التطورات المتسارعة في الجزائر وتضييق باي تونس عليه، حالت دون نجاح مساعيه لإبقاء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية ،وإذا كان في الفترة الأولى قد إعتمد على الجند العثماني فإنه بعد الإحتلال غير رأيه وتخلص من هذا الجند معتمدا على العرب3.

3– ج: الأمير عبد القادر والدولة العثمانية رأس بتاجين

مرت علاقة "الأمير عبد القادر" بالدولة العثمانية بمرحلتين، أولهما من بيعته سنة (1832م) إلى غاية(1841م)وهو تاريخ أول رسالة بعث بها الأمير إلى الباب العالي، وهي مرحلة لا نجد فيها أي محاولة للتواصل أو مراسلات بين الطرفين بل سادها نوع من التوتر بين الأمير وأتراك الجزائر وحتى مع "أحمد باي" زعيم المقاومة في الشرق الجزائري كما سبق، ومن جهة أخرى مع الإنكشارية الذين دخل الأمير معهم في صدامات دامية لرفضهم الإعتراف بسلطته والتمكين لها، بل وحتى "حمدان خوجة" ناصب الأمير العداء في هذه الفترة ولم يُغير رأيه فيه حتى سفره إلى إسطنبول، وكان من جملة ما آخذه عليه أن " **الأمير عبد القادر كان لا يميل إلى العنصر التركي ولا يطمئن إلى جماعة الكراغلة ولا يثق بموظفي البايلك ولا يتعاون مع فرسان المخزن وذلك بفعل إنتمائه**

1 - محمد العربي الزبيري ، مذكرات...، مصدر سابق ،ص ص 60-62.
2 - سعد الله ، محاضرات ...، المرجع السابق،ص 145.
3 - نفسه،ص 145.

للطريقة القادرية وإنتسابه لقبيلة هاشم العربية الأصيلة وبحكم إكتسابه ثقافة عربية إسلامية زادته أنفة وإعتزازا بأرومته العربية، هذه الأرومة التي تأبى الظلم وترفض تعسف رجال البايلك و المتعاونيين معهم من قياد وحكام وشيوخ وأعيان وقد إنتهى به الأمر بعد إحتجازه بوهران عندما كان متوجها إلى الحج مع أبيه "الشيخ محي الدين" إلى عدم الإعتراف بشرعية الأتراك وعدم التسليم بأحقيتهم في حكم البلاد.."1.

لقد ألقى "الأمير عبد القادر" صراحة مسؤولية خراب البلاد وإحتلالها على الحكام الأتراك وطريقة تسييرهم للبلاد وعجزهم في الدفاع عنها، فذكر في رسالته الأولى "للسلطان عبد المجيد" والمؤرخة في (شوال 1257هـ – ديسمبر 1841م) ، مانصه :" **وذلك أن الإنكشارية الذين كانوا بالجزائر لما خرجوا من طاعة أمير المؤمنين والدك المرحوم ، عاقبهم الله بسوء فعلهم فسلط عليهم من لايرحمهم، العدو الكافر الغشوم، فبدد شملهم وأجتث أملهم...**"2.

ومن ضمن صور هذا الخلاف مع الحكام الأتراك ما ذكره "شارلز هنري تشرشل" في كتابه (حياة الأمير عبد القادر) من أن باي وهران " الباي حسين"عندما حاصره الفرنسيون بحرا وخشي الخروج من المدينة عبر البر خوفا من ثأر القبائل العربية المحيطة بالمدينة ، تبنى موقفا أملته عليه الضرورة الملحة رغم أنه مهين لشرفه ، فقد أرسل إلى "محي الدين" وتوسل إليه أن يحميه... وعندما عرض "محي الدين" الأمر للنقاش على مستشاريه، أعلن "الأمير عبد القادر" رفضه لفكرة لجوء الباي إلى القيطنة قائلا :" **وهناك سبب آخر لايقل أهمية يمنع من إستقبال الباي في قريتنا القيطنة، إن إعطاء أُسرتنا الملجأ إلى ذلك الممثل البغيض للجبروت التركي سيفسره العرب على أنه نوع من النسيان الضمني لكل مواقفه الماضية ونتيجة لذلك فإننا سنجعل من كل القبائل التي تمقت الباي أعداء لنا**"3 وهذا ما يؤكد توتر العلاقة بين الأمير والسلطة التركية في الجهة الغربية منذ زمن طويل .

---

1 - ناصر الدين سعيدوني ،الجزائر منطلقات و آفاق،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،2000،ص99، وللمزيد فيما يخص علاقة الأمير ببقايا الأتراك في الجزائر أنظر كذلك : ناصر الدين سعيدوني، موقف الأمير عبد القادر من بقايا السلطة العثمانية بالجزائر (جماعة الكراغلة وفرسان المخزن)، ضمن كتابه : ورقات جزائرية ،(ط2)، دار البصائر ، الجزائر ،2009،ص ص 296-332.

2 - أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ، مرجع سابق،2009،ص69.

3 - شارلز هنري تشرشل ،حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الرائد-عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009،صص75-76.

ولكن "بديعة الحسني"1، في كتابها حول حياة الأمير عبد القادر وفي معرض نقدها لما كتبه "شارل هنري تشرشل" حول هذه الحادثة تتهم الكاتب بمحاولة إستغلال الحادثة لتشويه سمعة العثمانيين في الجزائر، فهو يصول ويجول بالهجوم على الحكم العثماني الذي يعده تركيا أجنبيا متخلفا ، وترد على ذلك مُفندة بقولها :" **والحقيقة أن رفض طلب الباي لم يكن السبب كونه تركي وإنما لأنه كان واليا غير محبوب من الشعب وسيئ السمعة**"2.

والسؤال الذي يطرح نفسه في إطار صراع القوى والزعامات هو هل كان ل"أحمد باي" دور ما في تشويش إن لم نقل تشويه صورة "الأمير عبد القادر" لدى الباب العالي ، فهاهو يذكره في إحدى رسائله قائلا :" **عبد القادر بن محي الدين يدعي الشرف...إتفق مع الفرنسيين.وحاول إقناع الناس بأنه سوف يأخذ قسنطينة ويقضي على بقايا الترك في هذه الناحية**"3، و هكذا فإن هذا التخوف من سعي الأمير لإقامة ملك خارج الدولة العثمانية أوحتى إمكانية التحالف مع الفرنسيين ضد الأتراك هو ما أدى على ما يبدو إلى إزدياد تخوف الساسة العثمانيين من كفاح "الأمير عبد القادر" ودفعهم إلى إعتباره خطرا في وجه الخطوات الرامية إلى التوصل لإتفاق مع الفرنسيين يستردون بموجبه الجزائر بالطرق السلمية وبالأساليب الدبلوماسية حسب إعتقادهم4.كما لا يُستبعد الدور الفرنسي في ضرب كل محاولات التفاهم والإتحاد بين أقطاب المقاومة الجزائرية،فمثلا عندما وقف الأمير موقفا متحفظا من ثورة(1871م) التي عمت وسط الجزائر وشرقها بزعامة "الباشاغا محمد المقراني" و"الشيخ محمد آمزيان بن علي الحداد" ، صدرت من "الأمير عبد القادر" الموجود في دمشق تصرفات خاصة إعتبرها الفرنسيون إستنكارا منه لهذه الثورة ومعارضة لزعمائها المقرانيين بصورة خاصة، وهذه التصرفات تتلخص في معارضة الأمير الشديدة لحركة إبنه "محي الدين"، وقد برر الفرنسيون ذلك بزعمهم أن المقرانيين في صدر عهد الإحتلال الفرنسي وقفوا إلى جانب

1 - بديعة الحسني : كريمة الأمير مصطفى الحسني الجزائري، وأرملة المرحوم عدنان محمد راغب العجلاني، ولدت في الثلاثينات بتطوان المغربية، خريجة دار اللغات بدمشق لها العديد من المشاركات الفكرية والمؤلفات الأدبية والتاريخية من بينها :- ناصر الدين الأمير عبد القادربن محي الدين ، وكتاب أصحاب الميمنة ، وكتاب طائر في سماء المجد وغيرها ، أنظر: الأميرة بديعة الحسني الجزائري، ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرشل،دار الفكر ، دمشق، سورية ،2001 ، صص 255-258 .

2 - بديعة الحسني الجزائري، ردود وتعليقات ،نفسه ، ص 18.

3 - نقلا عن ، ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات...، مرجع سابق، صص 114-115.

4 - نفسه

الجيش الفرنسي وعارضوا ثورة "الأمير عبد القادر"وهم الذين ساعدوا الفرنسيين على عبور مضيق جبال البيبان، وأدى ذلك إلى نقض وفسخ معاهدة تافنة1.

وفعلا أصدر الباب العالي أوامره إلى سفيره في فرنسا "نوري أفندي" بالعمل على إعاقة معاهدة التافنة2 ، المعقودة بين الأمير عبد القادر وفرنسا3.

ويظهر أن هذا العداء الذي أظهره الباب العالي للأمير عبد القادر يعود إلى سياسته [أي الباب العالي] التي كان ينتهجها ويرمي من ورائها إلى تحقيق إتفاق مع فرنسا يضمن له إعادة الجزائر إلى حظيرة النفوذ العثماني، لا سيما بعد أن خدعهم ذلك الأسلوب الدبلوماسي الماهر الذي إتبعه الفرنسيون لتحييد الدولة العثمانية في غزوهم للجزائر، ففي الوقت الذي كان فيه الفرنسيون يعملون على توطيد حكمهم في الجزائر كانوا يتظاهرون بصداقتهم للسلطان العثماني ويعرضون إمكانية وضع باشا على رأس حكومة الجزائر وإبقاء حامية تركية نظامية معه تستبدل كل خمس سنوات ، مع الإحتفاظ بمقاطعة عنابة عملا بحقوق إمتيازات صيد المرجان، وذلك بعد القضاء على الرق وإلغاء الإتاوات4.

أما المرحلة الثانية من علاقة الأمير مع الدولة العثمانية فتبدأ من (ديسمبر 1841م) وهو تاريخ أول رسالة أرسلها الأمير إلى الباب العالي ويبدو أن الفكرة كانت بإيعاز من "حمدان خوجة" نزيل الأستانة والذي أصبح الكاتب العام للصدر الأعظم (الوزير الأول) العثماني، ويظهر ذلك فيما جاء في الرسالة ذاتها عند قول الأمير:"...**فإعتمدنا إشارتك بهذا الرأي الرشيد واستعطفنا سيدنا ومولانا السلطان عبد المجيد، وعرضنا على حضرته العلية حالنا وعرفناه أفعالنا وأقوالنا لعله ينظر إلينا بعين الرحمة والإشفاق وينقذنا بكلمته المسموعة**..."5.

---

1 - يحي بوعزيز ، "الأمير عبد القادر والحوار في خدمة الإنسانية" ،محاضرة ضمن أشغال ، الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، المكتبة الوطنية بالحامة ،الجزائر ،22 و23 نوفمبر 2000،(عدد خاص)، منشورات جامعة الجزائر و مؤسسة الأمير عبد القادر، طباعة دار الحكمة ، الجزائر، 2001، صص 149-150.

2 - معاهدة التافنة : 30ماي 1837م ، جرت بين الأمير عبد القادر والجنرال توماس روبير بيجو، من الجهة الفرنسية ، بعد خسائر الجيش الفرنسي الكبيرة أمام جيش الأمير والمقاومة ،نصت على أن يعترف الأمير بسيادة الإمبراطورية الفرنسية في إفريقيا،مقابل تنازل فرنسا عن ما يقرب من ثلثي الجزائر لإمارة الجزائر(وهران- القليعة- المدية – تلمسان...)، غير الملك لويس فليب والجنرال فالي سرعان ما نقضا المعاهدة، في نوفمبر 1837م بعد سقوط قسنطينة ، ليعلن الأمير الحرب من جديد على الفرنسيين سنة 1839م أنظر : بسام العسلي ، الأمير عبد القادر الجزائري ،دار النفائس، بيروت ، لبنان ،1980،صص 122-135.

3 - آرجمنت كوران ، السياسة العثمانية، مرجع سابق ،صص 102-103.

4 - ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات، المرجع السابق ، ص112.

5 - مولود قاسم نايت بلقاسم،"إستمرارية الدولة الجزائرية في نظر الأمير عبد القادر أو الأمير عبد القادر والخلافة العثمانية" ، **مجلة الثقافة** ،السنة 13 ،ع75، رجب –شعبان 1403هـ /ماي –جوان 1983م ،ص29.

وبناء على هذا يكون الأمير قد إتصل بالباب العالي بعد أن ضاقت به السبل، بجانب ما كان ل"حمدان خوجة" من دور في ربط الصلة بين الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية، حيث فتح له الباب ليراسل السلطان.

ويظهر أن حمدان خوجة هو الذي شجعه على أن يراسل السلطان إعتمادا على ما جاء في رسالة الأمير إلى حمدان :" **لقد بزغ من مطلع وُدِكم مُشتري المحبة.... أن كاتبنا آل عثمان مع أننا لم تقع منا قط كتابة خوفا من عدم القبول أو عدم الإجابة ، لكن عَلِمنا أن تلك إشارة الفعل من لطايف السيد حمدان ولد الخوجة عثمان ، وصلة وصل بها إنقطاع الرحم عن التدبير و أنك بها لحقيق جدير، فاعتمدنا إشارتك بهذا الرأي الرشيد و أستعطفنا سيدنا ومولانا السلطان عبد المجيد وعرضنا على حضرته العلية حالنا** "[1]

والظاهر أن نظرة السلطان العثماني ونظرة "حمدان خوجة" تجاه الأمير قد تغيرت جذريا بعد تجدد مقاومته للفرنسيين ونقض معاهده تافنة وفي ظل الإنتصارات التي بدأ في تحقيقها فعليا على الأرض و في الوقت الذي تراجع موقف"أحمد باي "كثيرا بعد سقوط مدينة قسنطينة سنة (1837م) وهذا ما يؤكده محتوى الرسالة التي أرسلها "حمدان خوجة" إلى الحاج "أحمد باي" في شهر (ذي القعدة 1255هـ -19 فيفري 1840م) أي قبل رسالة الأمير للسلطان العثماني ، حيث يقول :" ...**وكان الأمر على ما حررتم والآن تحولت محبة عبد القادر للفرنسوية إلى المخاصمة وإتحاده على الحرب والعداوة فسلط عليهم صناديد العرب و أوقعوا بهم وكسروا شوكة الكفار وأوهنوا قوتهم ولله الحمد، فنرجو أن يوافق ذلك مقترحكم ويكون فيه لكم راحة بل غنيمة..."[2].**

ولنا أن نتساءل عن العوامل التي غيرت "حمدان خوجة" بعد أن سبق له أن إنتقص من شخص الأميرعبد القادر على أنه "عربي" وأن سكان تلمسان لما سمعوا أن الأمير تصالح مع الفرنسيين حاربوه تحت شعار:" جهاد هذا الخارجي مقدم على جهاد الكفار، فهزموه.."، ليظهر أن حمدان خوجة في هذه المرحلة قد غلب المصلحة الوطنية، كما أنه أعجب بالإنتصارات التي حققها الأمير على الفرنسيين وأدرك أنه فعلا يسعى لمقاومتهم وحربهم رغم حالات التفاوض والمعاهدات التي هي من صميم الحروب، كما يبدو أنه يئس من مساعدة الباب العالي ل"أحمد باي" فرغب أن يعوضها في شخص "الأميرعبد القادر" خاصة وأن أبطالا جزائريين كانوا يحيطون بالأمير يمكن أن

---

1 - رسالة الأمير عبد القادر إلى حمدان خوجة بتاريخ 25 شوال 1257هـ/10ديسمبر 1841، أنظر الملحق(كتاب عميراوي)(ملحق 29)، ويُفهم من هذه الرسالة أن الأمير كان يعرف حمدان خوجة.

2 - نقلا عن ،مولود قاسم ،إستمرارية الدولة ...، مرجع سابق ،ص19.

تتكون بهم جبهة قوية لمقاومة الفرنسيين ولإدراكه أيضا أنه وبعد سقوط قسنطينة لم يبق في الساحة غير "الأمير عبد القادر"1.

والجدير بالذكر أن الأمير قد أرسل في وقت واحد بتاريخ (25 شوال 1257هـ /10 ديسمبر 1841م) خمسة رسائل كاملة ، أربعة منها إلى إسطنبول : واحدة إلى "السلطان عبد المجيد" وواحدة إلى الصدر الأعظم وواحدة إلى "حمدان خوجة" كما تقدم ذكره و واحدة إلى "قبطان باشا" أما الرسالة الخامسة فقد أرسلها الأمير إلى رئيس وزراء بريطانيا اللورد بالمرستون(Lord Palmerston) طالبا منه أن يكون واسطة بينه وبين الباب العالي، يوصل رسائله إليه :" **وعلمنا محبتكم وأنكم تذكروننا بخير، نُحب منكم أن تعملوا فينا مزية كبيرة وذلك أن لنا مكاتب إلى اسطنبول وليس لنا طريق إليها من غيركم، فنحب أن تبعثوها على أيديكم إلى السلطان عبد المجيد وأخرى إلى الوزير الأعظم وأخرى إلى قبطان باشا وأخرى إلى صاحبنا رشيد باشا (حمدان خوجة) في إسطنبول...**"2.

ومن هنا نتبين مدى الصعوبة التي كانت تواجه الأمير في الإتصال بالباب العالي مما دفعه إلى البحث عن وساطات توصل رسائله إلى السلطان كما هو الحال بالنسبة لرئيس الوزراء البريطاني ، ويبدو هذا الإختيار نتيجة لما كانت تُبديه بريطانيا من موقف مؤيد للدولة العثمانية في قضية الجزائر، ولذلك كلف الأمير مبعوثه الشخصي "الكولونيل إسكوت"(Colonel Scott)، أن يُرسل مكاتباته إلى الباب العالي عن طريق لندن وذلك حتى يطلع عليها وزير الخارجية البريطاني "اللورد أبريدين" (Lord Aberdeen) ويسلمها للممثلين العثمانيين3.

وإن كانت أغلب هذه الإتصالات لم تُجد نفعا في مساعدة الأمير بسبب ما آلت إليه الدولة العثمانية من ضعف واضح لا سيما من الناحيتين العسكرية و الإقتصادية فإن المهم في الأمر أن هذه المراسلات تُؤكد أن الأمير عبد القادر لم يكن له موقف معاد للدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بل كان موقفه من الإدارة العثمانية الفاشلة في الجزائر بعينها وإلا فما الذي يُجبر الأمير بعد نهاية مقاومته سنة(1847م) أن يختار الدولة العثمانية وخاصة بلاد الشام كأخر مكان يمضي فيه ما تبقى من حياته.

1 - عميراوي أحميدة ، دور حمدان ....،المرجع سابق ،صص 205-206.
2 - مولود قاسم ، " إستمرارية الدولة..." المرجع السابق ،صص 43-44.
3 - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقا ت...، المرجع سابق ،ص115.

لقد كانت إسطنبول إحدى المدن التي إختارها كمنفى إضافة إلى عكا والإسكندريةوالأخيرتان من مشمولات الخلافة العثمانية، ولكن إبن الملك "لويس فيليب" ،"الدوق دومال" رفض له إسطنبول وقال له أنه سينتقل إلى الإسكندرية، ومن هنا لم يُرَ في المعاهدة الممضاة بين الأمير و"الدوق دومال" إلا هذان الإسمان (عكا و الاسكندرية)1

وبعدما أطلق "الإمبراطور نابليون الثالث" سراح "الأمير عبد القادر" والسماح له بالسفر إلى الشرق"وإتصل سيره إلى الأستانة العلية فدخلها يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وستين وثامن يناير سنة ثلاث وخمسين (1853م) وأحتل بعاصمة الدولة العلية العثمانية ودار الخلافة الإسلامية (...) وفي اليوم الثالث دُعي إلى "المايين"(قصر) فتشرف بمشاهدة حضرة "السلطان الغازي عبد المجيد خان" فرحب به و أحسن السؤال عن أحواله(...) فشكر الأمير فضله ثم أن الأمير قدم لأعتابه السنية قوله :

الحمد لله تعظيـــــــــــما وإجلالا **** ما أقبل اليسر بعد العسر إقبـــالا

وأمتد عمري إلى أن نلت من سندي **** خليفة الله أفيـــــــــاء و أظـــلالا

عبد المجيد،حوى مجدا،وعز عـــــــلا **** وجل قدرا كمـــــــا قد عم أنوالا

كهف الخلافة،كافيها وكافلهـــــــا **** من لا عهدنا له في القرن أمثـالا

يا رب فأشدد على الأعداء وطأتـــه **** واحم حماه وزده منك إجـــلالا

يشير إلى أهل الجزائر(هكذا في الأصل)

فالمسلمون بأرض العرب شاخصة **** أبصارهم نحوه يرجون إقبـــــــالا

كـم ساهر يرتجي نوما بسطوتـــه **** وحائر يرتجي للحزن تسهـــــــالا

كم أزمة فرجوا ،كم غمة كشفوا **** كم فككوا عن رقاب الخلق أغلالا2

1 - مولود قاسم ، إستمرارية الدولة...، المرجع السابق ،ص40.

2 - محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر(سيرته القلمية)،المطبعة التجارية-غرزوزي وجاويش- بالإسكندرية،1903،(ج2)،ص ص 51-52.

وفي ذلك إشارة واضحة لأمل "الأمير عبد القادر" في أن يُقدِم السلطان والدولة العثمانية على مساعدة الجزائريين وتخليصهم من نير الاحتلال الفرنسي.

ومع مكوثه في البلاد العثمانية فإن الأمير لم ينقطع عن متابعة الأحداث والتطورات لا على مستوى الجزائر ولا على مستوى العالم بشقيه الإسلامي والغربي ، ولعل ذلك نتيجة إحتكاكه بالكثير من الشخصيات الفاعلة سياسيا وثقافيا، كما أنه أصبح شخصية محورية مثيرة للإهتمام ، فقد سبقته سمعته حتى قبل وصوله إلى مركز الخلافة ثم الشام "وفي تلك الأيام أشهر للحرب المعروف بحرب القرم بين الدولة العلية والروسية فقال مستغيثا ومادحا مولانا السلطان عبد المجيد خان :

يارب يارب الأنـــــــــام ومن **** إليه مفزعنا سرا وإعـــلانا

يارب أيد بروح القـــــدس ملجأنا **** عبد المجيد ولا تبقيــه حيرانـا

أحيا الجهاد لنا من بعد ما درست **** وضاعف المال أنواعا وألـوانا

فأنصره نصرا عزيزا لانظير لـــــــه **** حتى يزيد العدى هما وأحـزانا

وأنصر وأيد وثبت جيش نصـــرته **** أنصار دينك حقا آل عثمانا1

وجاءت عملية إختيار أهل الشام وأعيانها للأمير عبد القادر ليكون ملكا على الدولة العربية التي يعتزمون إنشاءها لتؤكد المكانة الكبيرة التي يحضى بها الأمير في بلاد الشام كشخصية محورية إستطاعت أن تجمع حولها ممثلي العديد من الطوائف المختلفة دينيا و إثنيا،يقول "عادل الصلح:" **أنه خلال مؤتمر دمشق قَدَم جده "أحمد باشا الصلح":" إقتراحا بترشيح "الأمير عبد القادر الجزائري" ليتولى الملك على هذه البلاد، فوافق المجتمعون على هذا الإقتراح وبتكليف من المؤتمر حمل جدي القرار إلى الأمير**"2 ويضيف في شرحه لأسباب هذا الإختيار قائلا:" **وذلك لشرف نسبه ولأنه بطل قومي مجاهد وسياسي قدير فذ ورجل علم و أخلاق ومكارم، ولأنه سبق أن أنشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط وناضل في الدفاع عنها ضد الإستعمار نضالا**

1 - محمد بن الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر ،المصدر السابق،ص ص 54-55.

2 - عادل الصلح، سطور من الرسالة تاريخ حركة إستقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، دار العلم للملايين ، بيروت ،1966،ص98.

كان أسطورة ذلك الجيل وآيته وأعجوبته..."1. وقد يكون هناك أسباب أخرى لوقوع الإختيار على الجزائري، كوجود قوة عسكرية من حاشية الأمير يمكنها أن تُقدم دعما لمشروع الأعيان، إذ يذكر " إيميريت" أن الأمير كانت لديه قوة2 من حاشيته تقدر ما بين 1000 و1200 رجل عملت فرنسا على تسليحها عشية الحرب الأهلية سنة(1860م) تمهيدا لمخططاتها في سوريا.3

وهنا تبين بوضوح مدى ولاء "الأمير عبد القادر" للدولة العثمانية، فقد إشترط لقبول ذلك أن يظل الإرتباط الروحي بالخلافة العثمانية قائما وأن يبقى الخليفة العثماني خليفة المسلمين، حيث يضيف "عادل الصلح" أنه :" **وكان من رأي الأمير أن يظل الإرتباط الروحي بين البلاد الشامية والخلافة العثمانية قائما وأن يبقى الخليفة العثماني خليفة المسلمين وأن تتم للأمير البيعة من أهل البلاد جميعا**".4

وقد توضح في ذلك مدى التبصر والحكمة التي عالج بها الأمير القضية ، فقد آثر وحدة العالم الإسلامي على فرقته، والإبقاء على الخلافة خوفا من تجربة قد لا تحمد عقباها لاسيما وأن هذه الفكرة القومية لمملكة عربية مازالت في مرحلتها الجنينية. وتلك الشكوك التي تحوم حول علاقة فرنسا بالمشروع، فلم يستجب الأمير لهذا المشروع رغم أن ظروف رفضه له ما تزال غامضة5 وتحتاج إلى المزيد من الكشف والبحث.

ولعل في ما يذكره "عادل الصلح" ما يؤكد أيضا أن النخبة الشامية التي سيطلق عليها "حركة الأعيان" في سوريا كانت هي نفسها متمسكة بالكيان العثماني ضمانا لسلامته من أطماع الغرب فيقول :" **فلما داهم الدولة العثمانية خطر التفكك والإنحلال عقب إنكسارها في الحرب الروسية لم ير هؤلاء بُداً من العمل لهذا الغرض" أي الإستقلال الذاتي، ويضيف قائلا :" و يجدر التنويه بأن الروحية العامة المسيطرة على ذلك المؤتمر (مؤتمر دمشق)لم تكن النقمة على إستانبول دار الخلافة والرغبة في الإنتقاص منها ...فالذين اجتمعوا كانوا بأكثريتهم على الأقل من المشفقين على الرابطة العثمانية من أن تزول...**" وخلص إلى القول :" **ولم تكن حركة يثيرها الحقد على الخلافة ولا دعوة تسوقها يد غريبة ذات أغراض وأطماع بل كانت محاولة**

---

1 - عادل الصلح ،سطور من الرسالة ، المصدر السابق،ص 98.

2 - يذكر سهيل الخالدي أنه كان للأمير عبد القادر سنة 1877م ستة آلاف (6000) مقاتل مدربين على القتال، أنظر : سهيل الخالدي ، دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق 1847 – 1948 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2013،ص36.

3 - مارسيل إيميريت، الأزمة السورية والتوسع الإقتصادي الفرنسي في سنة 1860، تعريب خليل أبو رجيلي، **مجلة دراسات عربية**، بيروت ، ع8، ماي-1972، صص 6-7.

4 - عادل الصلح ، سطور...، المصدر السابق ، ص99-100.

5 - شارلز هنري ، تشرشل، حياة الأمير ، مصدرسابق ،ص13.

أهلية أصيلة صافية.."1 والدليل على ذلك تلاشي الحركة في أعقاب صدور مقررات معاهدة برلين (1878م)(مؤتمر برلين)2 التي ضمنت إستمرار الدولة العثمانية3..

بينما يرى البعض عكس هذا الطرح تماما ويجزم أن الأمير أنخرط في هذا المشروع القومي بقوة وأنقذه من الموت وهو يتلقى الضربات تلو الأخرى ،ففي مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت براعم الحركة القومية العربية في المشرق والمغرب قد تلقت ضربات قاتلة ودولة "محمد علي" صارت لعبة بيد الإنجليز والفرنسيين ، ولم يعد هناك سوى الحركة السنوسية في عسير وقبيلة حرب في بعض نجد وأما في الشام فلم يعد هناك سوى جمعيات علمية بسيطة بدأت عام(1864م)، بسيطرة فرنسية وبريطانية....وفجأة تحرك الأمير الساكت ومعه كثير من علماء دمشق ويطلب من واليها أن يأذن له بالتصدي للفتنة إذا ما وصلت إلى دمشق فيوافقه على طلبه... وهكذا أفشل الأمير خطط الدول الكبرى بالإنقضاض على دمشق وإخراج الدولة العثمانية من الشام وفي نفس الوقت لإبطال الدعاية العثمانية بأن حركة القومية العربية هي حركة نصرانية، كما أيقض المسيحيين العرب بحقيقة أنه لا الدول الكبرى ولا الدولة العثمانية تحميهم ، فالذي يحميهم هو وطنهم الذي تتلاحم فيه كل العناصر من مسلمين ونصارى، لقد أعاد

---

1 - عادل الصلح ، سطور من الرسالة ، المصدر سابق ،صص 143-145 .

2 - مؤتمر برلين: 13 جوان 1878م - 13 جويلية 1878)، جمع بين قادة الدول الأوروبية المهمة بغرض الوصول لقرار بشأن مناطق البلقان التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية،حضر هذا الاجتماع قادة كل من النمسا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وروسيا والإمبراطورية العثمانية. وقد ترأس المؤتمر المستشار الألماني اوتو فون بسمارك.

تولّدت القضايا التى ناقشها المؤتمر عن الحرب الروسية التركية التي كانت قد توقفت لتوها عقب اتفاقية سان ستيفانو (1878) وكان على الأتراك ـ حسبما نصت هذه الاتفاقية ـ التنازل عن معظم أراضيهم في البلقان .إلا أن بقية الدول الأوروبية الأخرى لم تكن ترغب في أن تسيطر روسيا على البلقان. وقد تشدد المندوب البريطاني بنجامين ديزرائيلي ـ على وجه الخصوص ـ في معارضة التوسع الروسي.

ولهذا اعتمدت قرارات مؤتمر برلين على تغيير معظم ما وضعته روسيا في اتفاقية سان ستيفانو .فتحولت بلغاريا الشمالية إلى مقاطعة تركية ذات حكم ذاتي، وصارت بلغاريا الجنوبية ـ وكانت تعرف حينها باسم روملیا الشرقية ـ مقاطعة تركية شبه مستقلة. كما أعيدت بلغاريا الغربية، ومعها جزء كبير من مقدونيا، إلى سيادة الدولة العثمانية، وأعطيت النمسا الحق في إدارة البوسنة والهرسك .ومنحت الجبلُ الأسود والصرب ورومانيا استقلالها.
وصارت قبرص من نصيب بريطانيا لتحمي قناة السويس والطرق البحرية المؤدية إلى الهند .أما روسيا فلم تمنح سوى شريحة من صربيا وأرضًا في منطقة جبال القوقاز.

3 - تولدت القضايا التي ناقشها المؤتمر على الحرب الروسية – التركية، التي توقفت عقب إتفاقية سان ستيفانو 1878م والتي نصت على تنازل الأتراك عن معظم أراضيهم في البلقان، لكن الدول الأوروبية خاصة بريطانيا وفرنسا رفضت ذلك تخوفا من سيطرة روسيا على البلقان، فجاءت مقررات مؤتمر برلين 1878م لتغير ذلك، " إن بريطانيا ومنافسيها القدماء(فرنسا)، تناسوا عداءهم السابق رغبة في إنقاذ الدولة المحمدية(الدولة العثمانية) ، من غزاتها المسيحيين(روسيا)، فيما كان الصليب في السابق ضد الهلال ، فإن الصليب يحمي اليوم الهلال من الصليب..."أنظر : Abdu al- latif Tibawi, Modern History of Syria, including Lebanon and Palestine, st Martin's Press,New york 1969, pp116-117.

الأمير للقومية العربية جوهرها المغيب فلا العجم ولا الروم يمكن أن يُسندوا عربا أو يُقيموا دولة العرب سواء كانوا عربا نصارى أو مسلمين1.

ويحفِر "سهيل الخالدى" في تاريخ هذه الحركة الشامية، فيجدها مليئة حسب رأيه بما يدعم هذا الطرح ، متعجبا كيف أن أبرز من كتب عن حياة الأمير وهما "تشرشل" و "ابن الأمير محمد" لم يشيرا إلى الموضوع من قريب أو بعيد ، فيما تتوافر وتتواتر صوره وشواهده ف"جمال السفاح"2 والي دمشق أعدم "عمر بن الأمير عبد القادر" أخو "محمد" بتهمة الإنتماء لحركة القومية العربية وتحت هذه التهمة نَفى كل عائلة الأمير إلى الأناضول بمن فيهم زعيمها في دمشق آنذاك "الأمير علي"هل كانت التهمة بلا أساس ؟ وإذا كانت لها أساس ،فهل إكتشف "عمر" وباقي المجموعة الفكرة واعتنقوها عن طريق الإرساليات المسيحية في بيروت؟ ومن الشواهد الأخرى ما كتبه "أديب إسحاق"(وهو مسيحي) صاحب "مجلة الجوائب"، فقد جاء في رثائه للأمير :" **وجملة القول أنه بعض الشرف العربي وبقية المجد الشرقي وصورة من صور السؤدد والفضل..."**3

وبذلك فإن أبرز ما نجح فيه الأمير حينئذ من وجهة نظر قومية بحتة أن يجمع سنة وشيعة الشام ومسيحيوه حول هذا المشروع القومي وهو ما لم يفعله أحد من قبله.

---

1 - سهيل الخالدي ،دور الجزائريين في حركة التحرر العربي...، مرجع سابق،صص 27-28.

2 - أحمد جمال باشا (1922 - 1873)، قائد الجيش الرابع عثماني و وزيراً للبحرية،عين حاكماً على سوريا وبلاد الشام عام 1915وفرض سلطانه على بلاد الشام وأصبح الحاكم المطلق فيها. وهو من زعماء جمعية الاتحاد والترقي وقاتل البلغار في مقدونيا واشترك في الانقلاب على السلطان عبد الحميد .وشغل منصب وزير الأشغال العامة بعام 1913ثم قائدًا للبحرية العثمانية عام .1914م،قام جمال باشا بإعدام نخبة من المثقفين العرب من مختلف مدن سوريا ولبنان،كان من بينهم جزائريون، الأمير عمر الجزائري وسليم الجزائري ,فقد ساق لهم مختلف التهم التي تتراوح بين التخابر مع الاستخبارات البريطانية والفرنسية للتخلص من الحكم العثماني، إلى العمل على الانفصال عن الدولة العثمانية، وهو ما يقال أنه ما كان يسعى هو بنفسه إليه.

أحال جمال باشا ملفاتهم إلى محكمة عرفية في عاليه في جبل لبنان، حيث أديرت المحاكمة بقسوة وظلم شديدين، وبدون أن تحقق أدنى معايير المحاكمات العادلة والقانونية، صامّاً أذنيه عن جميع المناشدات والتدخلات التي سعت لإطلاق سراحهم, وخصوصاً تلك التي أطلقها الشريف حسين بن علي شريف مكة، الذي أرسل البرقيات إلى السفاح وإلى السلطان وإلى الصدر الأعظم، وأوفد ابنه الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق، وقابل السفاح ثلاث مرات في مسعى لإيقاف حكم الإعدام دون جدوى، إذ أن السفاح كان قد عقد النية على تنفيذ مخططه الرهيب.نفذت أحكام الإعدام شنقاً على دفعتين: واحدة في 21 أوت 1915 وأخرى في 6اي 1916 في كل من ساحة البرج في بيروت، فسميت ساحة الشهداء، وساحة المرجة في دمشق.

بقي أحمد جمال باشا السفاح ممعنا في غيه، إلى أن شعرت الدولة العثمانية بنتائج سياسته الفظيعة فنقلته من سوريا وعينت بدلاً منه جمال باشا المرسيني الشهير بالصغير. قُتل جمال باشا في مدينة تبليسي عام 1922م على يد أرمني يدعى اسطفان زاغكيان ، أنظر : علي عجيل منهل ،" جمال باشا السفاح 1873- 1923 وعيد الشهداء فى سوريا -فى السادس من أيار-وسياسة التتريك التى أتبعها" ، **صحيفة الحوار المتمدن** ،ع 3395، 08ماي 2011،على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=258239، تاريخ الدخول 02-02-2014، الساعة 21:14.

3 - سهيل الخالدي ،دور الجزائريين ...، مرجع سابق،صص 27-28.

وأما عن موقفه من إقتراحه ملكا للعرب" **فالرجل وافق على الفكرة من حيث المبدأ أما من حيث الإعلان عنها فإنه إرتأى ضرورة إنتظار نتائج الحرب التي تخوضها تركيا مع روسيا من جهة وأن فكرة الإستقلال العربي يجب أن تُركز على رفع المظالم عن الأمة العربية وليس لإضعاف الدولة العثمانية أمام أوروبا التي تنتظر الفرصة لاحتلال البلدان العربية، لذلك كانت النية لديه في جعل الدولة العثمانية بتاجين عربي وتركي على طريقة إمبراطورية النمسا في ذلك الحين..."1**،فمايبدو أن هذا المشروع قد أسال لعاب الكثير من الطامعين،فرغم سرية المشروع "**ذاع صيته وعلم به الفرنسيون والبريطانيون ،خاصة وأنها أخبار إمتدت إلى العراق والحجاز فالقنصل الفرنسي في بيروت يُبرق لخارجيته بأخبار هذه الحركة والقنصل البريطاني يُبرق بالخبر إلى وزارته ويبدأ قناصلة هذه الدول بالتقرب منه، كل منهم يأمل أملا في أن تكون المملكة العربية الموعودة تابعة له ، ففرنسا تعتبر أنها الأحق بحكم علاقتها مع الأمير وبريطانيا تعتبر أنها الأحق فلا خصومة لها مع الأمير وكلاهما تخشيان هذه الدولة العربية...إذن فهذا المشروع خطير ستتناهشه الدول الكبرى، وإن لم تنجح في طيه تحت إبطها فستتحالف مع الدولة العثمانية نفسها لوأده كما فعلت من قبل مع "محمد علي" ومشروعه وهكذا طوى "الأمير عبد القادر" المشروع ولم يُعرض البلاد إلى خطر كبير مقابل إغراء التاج وظل في واقع الحال ملك الشام غير المتوج بنظر الشوام، لكنه زرع البذرة بذرة الاستقلال والوحدة..."2**.

غير أن "عبد الرؤوف سنو" وفي تحليله للموضوع ، نجده يتساءل عن حركة أعيان المسلمين(1788–1878م)3، التي رشحت الأمير لمنصب الإمارة تلك من حيث صحة وقوعها و طبيعتها وهل كانت تحركا إحترازيا أم مشروعا إستقلاليا؟ كونها جاءت في بلاد الشام في ظل تزايد إحتمالات إنهيار الدولة العثمانية وتكريس المسألة الشرقية مع سياقات الحرب الروسية– العثمانية (1877–1878م) التي أحييت لدى السوريين الآمال في نوع من الإستقلال الذاتي، وهو ما يؤكده عادل الصلح في أن المسلمين الشوام أصبحوا يشعرون بالخطر على " **مصير بلدهم، وجعلت مختلف مكونات المجتمع من سنة وشيعة يتداولون مسألة إعلان استقلال سوريا لتجنيب وطنهم المصير السيئ ومن أفجع صوره وقوع إحتلال أجنبي**"4.كما أن هذه الحركة تزامنت مع حراك بلغ ذروته

---

1 - سهيل الخالدي ،دور الجزائريين ، المرجع السابق ،صص 35-38.

2 - المرجع نفسه .

3 - للتعرف على أبرز الأعيان المشاركين ، أنظر : عبد الرؤوف سنو ،النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881 بلاد الشام- الحجاز- كردستان – ألبانيا، بيسان للنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ،1998،صص 46-48.

4 - عادل الصلح ، سطور من الرساله، المصدر السابق ،ص144.

لدى أعيان المنطقة في شكل وعي قومي واضح، وفي الوقت نفسه بدأت طروحات المسيحيين تتبلور في إطار مشروعين : كونفديرالية سورية على النسق الألماني(مشروع يوسف كرم) وإستقلال ذاتي لسوريا مع متصرفية لبنان (مشروع جمعية بيروت السورية) مترادفة مع ما أُشيع عن مشروع " خديوية سورية" مدعومة من بريطانيا برئاسة والي سوريا "مدحت باشا"1 وهذا ما دفع بأولئك الأعيان للتحرك و عقد مؤتمر " دمشق"(1877م) في منزل المفتي "حسن تقي الدين الحصني "وهو ما صاحبه إختيارهم ل"لأمير عبد القادر الجزائري" ليكون ملكا على سوريا.

غير أن "عبد الرؤوف سنو" يتساءل عن عدم ورود أية روايات أخرى حول حركة الأعيان المسلمين عدا رواية "عادل الصلح" فيقول :" **فإن المعلومات حول حركة الأعيان المسلمين لا ترد مباشرة سوى في مؤلفين إثنين، وهما كتاب" أعيان الشيعة" ل"لسيد محسن الأمين" وفي " تاريخ جبل عامل "لمحمد جابر آل صفا**"2.

وبالعودة لهاذين الكتابين فقد ذكر "محمد جابر آل صفا" بوضوح ما نصه :"لما دارت الدائرة على الدولة العثمانية وانتصر الروس عليها في تلك الحرب الدامية وكادت القسطنطينة العاصمة تقع في أيديهم، فكر بعض الأعيان العرب في مصير سوريا فعقدوا مؤتمر دمشق السري للبحث في هذه الشؤون...وقد أقر المؤتمرون إختيار "الأمير عبد القادر الجزائري"(نزيل دمشق) أميرا على سوريا ونقل القرار للأمير المغفور له "أحمد باشا الصلح" الذي كان يمثل مسلمي الساحل،ثم تطورت سياسة الدول فصدت الروس عن الأستانة وعضدت الدولة العثمانية وحالت دون سقوطها، فتأخر حل المسألة الشرقية ومن ثم طويت صحيفة ذلك المؤتمر"3

أما "محسن السيد الأمين" فيذكر في كتابه الموسوعي " أعيان الشيعة" في معرض الحديث عن جده أنه نُفي من طرابلس لمدة ثلاث سنوات بسبب مشاركته في حركة الأعيان وإتصالاته بالأمير عبد القادر التي أثارت الشبهات حوله لدى السلطات المحلية العثمانية"4

كما يذكر "عبد الرؤوف سنو" وجود إشارات في الوثائق الفرنسية إلى ظهور مشاعر إستقلال ذاتي في سوريا أثناء الحرب الروسية – العثمانية الأخيرة، يفترض أن حركة الأعيان تقف وراءها ذلك أن أحدا أو جمعية ما لم تعلن عن نفسها حينذاك (1877–1878م) صاحبة لمشروع كهذا، وبالمقابل ينفي "علي الزين"5 حدوث ما يسمى ب"

---

1 - رؤوف سنو ، النزاعات الكيانية ..، مرجع سابق ،ص40.
2 - نفسه ،ص41.
3 - محمد جابر آل صفا ، تاريخ جبل عامل، دار متن اللغة ، بيروت ، لبنان،(د ت) ،صص 207-208
4 - السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة،(حققه وأخرجه حسن الأمين)، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان،1983، صص 162-130.
5 - أنظر : علي الزين ، للبحث عن تاريخنا في لبنان ،(د م)، بيروت ، لبنان ، 1973، صص 25-30.

مؤتمر دمشق" مما ينسف أساسا حسب رأيه وجود حركة الأعيان، وقد إستند الزين في معرض نفيه وجود الحركة إلى عدة أسباب:

- عدم تطرق المؤلفات المعاصرة لمؤتمر دمشق.
- عدم وجود إتجاهات وطنية أو نزعات قومية لدى مسلمي بلاد الشام تجعلهم يفكرون في الإستقلال وتكوين إمارات صغيرة لا تستطيع الصمود في وجه الاستعمار الأجنبي....
- عدم حدوث ما يسمى مؤتمر دمشق الذي جمع الأعيان، لأن مؤتمرا على هذا القدر من الأهمية كان يجب أن يعقد في دار الأمير عبد القادر بدمشق أو أن يحضره بنفسه على الأقل أو يرسل من ينوب عنه فيه..1

غير أن هناك كتابات تاريخية أخرى تُناقض هذا الرأي وترد على وجهة نظر "علي الزين" ، إذ يؤكد المؤرخ "وجيه كوثراني"" **أن تصاعد موجة الإستبداد الحميدي عبر جهاز الجاسوسية والإستخبارات جعل إستحالة نقل المذكرات والتراجم المعاصرة هذه الاتجاهات الفكرية – السياسية**"2.

أما المؤرخ "محمد سعيد بسام" فيقول حول تلك المسألة:" **إن إخضاع الروايات عن هذا الحدث (حركة الأعيان) للضوابط المنهجية العلمية في التاريخ يجعلنا نأخذ بصحة حدوث هذه الحركة...إن تطور الأحداث في الدولة العثمانية من الفساد الإداري إلى التهديد للوجود الكياني كان ممكنا أن يحول العمل الإصلاحي من دعوات نوعية على أيدي مصلحين إسلاميين إلى حركات إصلاحية إستقلالية سياسية كالتي نحن بصددها...فهذه الحركة ليست في غير مناخها..**"3.

وإضافة إلى حركة الأعيان ، فهنالك طرف أخر ساهم في الإتصالات مع "الأمير عبد القادر" حول موضوع المملكة ، ألا وهو الزعيم الماروني" يوسف كرم"4، فبعد زيارة الأمير مع عدد من الأعيان لمناطق عديدة في الشام حيث ذكر عادل الصلح ما مفاده:" وكان من المدن التي رافق والدي الأمير إليها ، صيدا وجبل عامل ويافا والقدس

---

1 - عبد الرؤوف سنو ،النزعات الكيانية...، مرجع سابق،صص 40-41.

2 - سنو ، نفسه ،ص42.

3 - محمد سعيد بسام ، "الحركة العربية في جبل عامل في أواخر عهد الدولة العثمانية"، **مجلة الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي ،بيروت ،يونيو – أكتوبر 1985،(العددان 39-40)، ص28.

4 - يوسف بن بطرس بن فرنسيس كرم الأهدني ، ولد في إهدن (لبنان)، سنة 1822، والده الشيخ بطرس كرم المعروف، شخصية مارونية بارزة،عرف بمقاومته للعثمانيين في طرابلس سنة 1842م،في سنة 1861 رفض البروتوكول الذي أسس لمتصرفية لبنان، نفي سنة 1867م إلى الجزائر. توفي سنة 1889م ، أنظر : المنجد في اللغة والأعلام ،(ط21)، دار المشرق ، بيروت، لبنان1973 ص460. وكذلك مقال سركيس كرم ،" يوسف بك كرم، بطولة و إيمان وتضحية " في **جريدة الميدل أيست تايمز الدولية** ، ع2302، 04 سبتمبر 2010،ص16.

وعكا ونابلس وبعلبك وغيره" فيما يبدو أنه إستطلاع لمواقف السوريين من ترشيحه، وكان من الشخصيات البارزة التي إتصلت به أيضا " يوسف كرم" فقد عرض على الأمير مشروعا إستقلاليا على النموذج الكونفيدرالي الألماني، بإقامة إمارات مستقلة في بلاد الشام تخضع لحكم إسلامي برئاسة الأمير ،على أن يضمن هذا الأخير مصالح المسيحيين في جبل لبنان وحريتهم الدينية ، فكتب إلى الأمير ما يلي :" **ثم إذا أردتم فخامتكم أن تُعين على الأقاليم العربية أمراء مستقلين يدفعون إليكم أمولا مقررة ويوحدون صفوفهم تحت رايتكم ضد كل تعدي، قبل أن تتدخل بأمورنا الدول الأجنبية...وهذه السياسة قد إستصوبتها حكومة بروسية وتمشت عليها في نظمها جرمانيا من أقاليم مستقلة إتحدت بطريقة (الكونفيديراسيون)" وطالب كرم من "الأمير عبد القادر":" قانون يضمن للجميع الحقوق الأدبية والحرية المذهبية والإصلاحات الطائفية وفقا لواجبات الدين و الدنيا بل دفعا لحريتنا الجنسية بأعمالنا الداخلية الحرة التي لم ينكرها قط أحد على شعب من الشعوب البشرية**"[1].

لكن الأمير تريث في إعطاء كرم موافقة صريحة على مشروعه وبعث إليه عبر وسيط يقول :"... **من الضروري إنتظار دخول اليونان(الحرب) ، الذين بالإشتراك مع السفن الروسية التي أمرت بالدخول لبحرنا لا بد أن يشغلوا قوة الأتراك البحرية ويعطلوا وصولها إلينا بحرا. فبعد دخولهم" أضاف كرم" مع ما لابد من ظهوره بذاك الوقت من سياسة أوروبا، نستنير نوعا عن كيفية نهوضنا"2.**

ومن الواضح إذا أن "الأمير عبد القادر" قد كان محور هذا المشروع مابين الأعيان و"يوسف كرم"لكنه لم يعطي لأي من الفريقين موافقة نهائية، رغبة منه في إنجلاء الأمور المتعلقة بالسلطنة ورافضا التآمر ضدها ما لم تلفظ أنفاسها الأخيرة، وهو بذلك يرجح موقف الأعيان السابق الذكر بتفضيل الإستقلال الذاتي مع البقاء تحت مظلة الخلافة لأسباب عدة ، منها الضائقة الإقتصادية وسوء المحاصيل سنة (1877م) ومساهمة السوريين في المجهود الحربي بشكل كبير وفساد الإدارة في عهود "ضياء باشا" و "المشير عمر فوزي"... والخشية من الإنهيار العسكري العثماني أمام روسيا والخشية من وقوع البلاد تحت الإحتلال الأجنبي، أما مشروع "يوسف كرم" فيبدو واضحا أنه كان يهدف

1 - عبد الرؤف سنو ، النزعات الكيانية...، مرجع سابق ،صص 50-51.
2 - نفسه.

فقط إلى إستقلال جبل لبنان، ليكون هو نفسه حاكما عليه1، فهل حقا كان الأمير يؤمن بفكرة " الخلافة بتاجين أحدهما عربي وثانيهما عثماني؟

3 – د : محيي الدين الجزائري وآخر محاولات إعادة الجزائر للحظيرة العثمانية :

كانت إنتفاضة(1871م) في الجزائر من ضمن المحاولات الأخيرة التي حاول فيها الجزائريون طرد المحتل الفرنسي في ظل الحرب البروسية– الفرنسية"ووجد فيها المهاجرون الجزائريون ممن هاجروا في السابق إلى تونس وطرابلس الغرب وحتى دمشق فرصتهم الذهبية للعودة للوطن الذي إضطرهم المستعمر الفرنسي للخروج منه وخاصة أن فرنسا نقلت نسبة كبيرة من جنودها إلى جبهات القتال في أوروبا ،لكن هذه الشخصيات المهاجرة لم تتمكن من الوصول إلى داخل البلاد وتنظيم المقاومة فيها والمشاركة في القتال مع بقية الثوار،وقد إضطرتهم الظروف إلى الاقتصار في نشاطهم على مناطق الحدود الجزائرية التونسية الجنوبية بسبب المراقبة الشديدة التي فرضتها السلطات الإستعمارية على منطقة الحدود عند معرفتها بتحرك هؤلاء المهاجرين، ومن بين هؤلاء نجد السيد "محي الدين بن الأمير عبد القاد"ر2،و"السيد بن ناصر بن شهرة" والسيد "سليمان بن جلاب" "3.

---

1 - عبد الرؤوف سنو ،الكيانات ، المرجع سابق ،صص51-52.

2 - محيي الدين بن الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري الحسني.ولد في الجزائر، وتوفي في دمشق عاش في الجزائر وسورية.حفظ القرآن الكريم على والده وختمه وهو ما يزال صغيرًا، ثم أخذ مبادئ العلوم الأولى فحفظ المتون المنظومة والمنثورة.
عانى مع والده الأمير الأسر والنفي على يد سلطة الاستعمار الفرنسي، وكان المترجم له في رعايته، فبعد أن استقر في دمشق انتظمت حياته العلمية فقرأ فقه مالك على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي، وأخذ الحديث والتوحيد عن والده، وعن غيره من مشايخ الشام. كما أتقن اللغة التركية، وكان شغوفًا بالاطلاع عن كل ما يتاح له من المصادر وأمهات الكتب، إلى جانب كثرة أسفاره.
عمل مدرسًا في سن باكرة من حياته، وعند بلوغه السابعة والعشرين من العمر ترك الشام متخفيًا متوجهًا إلى الجزائر، ثم عاد إلى دمشق بعد أن قربته السلطات العثمانية، وأكرمه سلاطينها.كان من الدعاة المتحمسين لفكرة الجامعة الإسلامية في الشام، وقد كلّفه السلطان عبد الحميد بعدة مهام سياسية في المشرق والمغرب، وكان سفيره في مراكش.،له إنتاج شعري جيد ، فقد أورد له كتاب: «حلية البشر» العديد من القصائد والنماذج الشعرية، وله ديوان مخطوط.
يدور شعره حول المدح والتهاني اللذين اختص بجلّهما والده الأمير البطل،ممتدحًا فيه تفرده بالمزايا، وداعيًا له بدوام العز والبقاء (ويعد نموذجًا في شعر أبناء الملوك الموجه إلى آبائهم)، وله شعر في الحنين والشكوى، كما كتب في الحماسة والفخر الذاتي والقبلي، وكتب المطارحات والمساجلات الشعرية الإخوانية. يميل إلى الوصف واستحضار الصورة، وله في الوصف محاولة طريفة: قصيدة مشتركة مع الشاعر عبد الرزاق البيطار، موضوعها :الربيع، وله في التخميس والتشطير الشعري، إلى جانب شعر له في الغزل الرمزي والخمر، وله شعر في المناسبات. تتسم لغته باليسر والتدفق، وفسحة الخيال .
قلّده السلطان العثماني عبد العزيز في عام 1864م رتبة أزمير مع النيشان العثماني من الرتبة الثالثة، وأسند إليه وظيفة " أزمير " القضائية بتزكية واشارة من السيد عمر حسام افندي حفيد شيخ الإسلام جلال الدين عاطف زاد هوفي عام 1885م قلّده السلطان عبد الحميد رتبة "ميرميران" أي؛ أمير الأمراء، أنظر: عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (1253- 1353 هـ)، مطبوعات المجمع العربي ،دمشق ، 1963،(ج3)،ص 1425. وكذلك، يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009،ص 225.

3 - نادية طرشون،الهجرة الجزائرية .. ، مرجع سابق،ص ص190-191.

ويبدو أن "الأمير محي الدين" كان من بين أبناء "الأمير عبد القادر" الأكثر تشبعا بفكرة الجامعة الإسلامية و الوفاء للدولة العلية ، دون أن ينسيه ذلك في وطنه الأم (الجزائر) والأمل في أن يراه متحررا،ولم تغفل العديد من الكتابات التاريخية تلك الصفات ، إضافة إلى المستوى العلمي العالي الذي كان يتمتع به، كلها صفات يبدو أنها سترسم جزء من شخصيته(الجزائرية – العثمانية) الثائرة.

يذكر "عادل الصلح" في كتابه "سطور من الرسالة"في معرض حديثه عن محي الدين باشا الجزائري" ، أنه حينما سأل عمه (كامل الصلح) عنه و هو الذي كان من أقرب أصدقائه قال له مُعرِفاً به: "**عمك الباشا هو الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري،أحب الناس إلى والدك وأخلصهم إليه... وقد أثار حديثي في نفس والدي ذكريات الماضي فروى لي أنه بعدما جاء الأمير عبد القادر إلى دمشق ليقيم فيها وإنقضاء بعض الوقت على ذلك أخذ الأمير يتبرم ويكثر من الشكوى وأخذت نفسه تتوق للعودة إلى النضال والجهاد من أجل تحرير الجزائر. ومازالت هذه الرغبة تلح به حتى جاءت سنة (1870م) ووقعت الحرب الفرنسية الألمانية وحدثت في أعقابها إضطرابات الجزائر، إنقلبت في شهر(آذار سنة 1871م)إلى ثورة على الفرنسيين دامت عشرة أشهر**"[1].

وهذا ما يُثبت أن الجزائريين بمن فيهم عائلة الأمير عبد القادر لم تكن منقطعة كليا عما يدور في الجزائر من أحداث وتطورات حتى و لو كانت ظروفهم الحياتية قد تحسنت بشكل واضح في ظل الرعاية العثمانية لهم، ومن جهة أخرى فإن عددا من أبناء الأمير ثم أحفاده لم يكن يرى نفسه مُلزما بتعهدات والده الأمير عبد القادر مع الفرنسيين بعد معاهدة الإستسلام كما هو الأمر مع الأميرين "محي الدين" و"عبد المالك" وغيرهما ممن خاض حروبا ضد الفرنسيين،بل ولعل في ذلك شعور بالألم لما أُعتبر خديعة وخيانة فرنسية تعرض لها والدهما.

وفي ترجمة للسيد محي الدين باشا بن السيد الأمير عبد القادر بن السيد محي الدين الجزائري في كتاب "حلية البشر" معلومات هامة عن دوره في ثورة (1871م) بالجزائر ومما ذكر صاحب الكتاب ما نصه" **وفي سنة تسع وثمانين في شهر رجب وقع بين دولة فرنسا وألمانيا للقتال أعظم سبب ،فأنتشبت بينهما نار الحربوتقابلت الدولتان بالسفك والطعن والضرب،ووصل الأمر في مدة أربعة أشهر إلى إنتصار ألمانيا على الدولة الفرنساوية ،وتكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية،فخطر في بال المترجَم أن هذه الحرب يطول بين الدولتين فينتهز**

1 - عادل الصلح، سطور من الرسالة ...،المصدر السابق، ص23.

الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر والغبن فتوجه بقصد الزيارة في الديار المصرية ،فحينما وصل إلى مدينة الإسكندرية توجه منها إلى تونس الغرب ولم يعلم أحد نيته الخفية فأكرمه حاكمها "الصادق باشا" وشاع ذكره في ذلك القطر عرضا وطولا وأنزله ذلك الحاكم عنده وأهداه نيشانا من الرتبة الأولى، فقصد المترجم التوجه منها إلى الجزائر فلم يتمكن من ذلك نظرا لما ناله من الإشتهار الذي ملأ تلك النواحي والأقطار"1وربما يعود ذلك حسب "يحي بوعزيز" إلى "إستقباله الرسمي من طرف الدوائر الرسمية التونسية ومنحه" الباي محمد الصديق" (نيشان الإفتخار) التونسي يوم 18 نوفمبر"2،ولعل التخوف من وصول أخباره إلى الفرنسيين وإكتشاف مبتغاه هو ما دفعه إلى الإعتكاف في تونس على دراسة المخطوطات وعدم الإتصال بالناس،ولكنه لم يُوقف التخطيط لمشروع ثورته"**فحرر لرؤساء الجزائر نحو المائتي كتاب لكي يتهيئوا لمحاربة فرنسا عند قدومه المستطاب، وأرسلها من تونس مع الرسل الخفية ثم ودع الباشا مُظهرا له قصد الرجوع إلى الديار الدمشقية فتوجه إلى مالطة وحين وصوله أخفى نفسه وتنكر ولبس لباس الدراويش وظهر في غير ذلك المظهر وتوجه إلى طرابلس الغرب،فحينما وصلها أرسل ثقله مع بعض الخدم في البحر إلى مدينة قابس،وهو قد توجه برا متكبدا لمشقات لم يكن على مثلها بممارس إلى أن وصل لبلاد الجريدومكانها عن حدود الجزائر غير بعيد،فهنالك أظهر حاله للناس ولم يخش على نفسه من بأس(...) ،فإنه لما وصلت كتبه إلى رؤساء الجزائر من تونس ، إستبشروا ولم يعد لهم صبر لإنتظار قدومه، فتراسلوا و تآمروا و أظهروا العصاوة على دولة فرنسا و انتشب القتال بينهم في كل مكان ، ووقعت بينه وبين الجيوش الفرنساوية مقاتلات عديدة"3.**

وقد حاولت الإدارة الفرنسية كما فعل القنصل الفرنسي في تونس في مراسلة لوزير خارجية بلده أن يعزو وجود محي الدين في تونس لخلافات مالية مع والده ، وأنه قصد الوزير التونسي خزندار ليتوسط له في حل هذه المشاكل، وأنه أثناء وجوده ذلك لم يظهر أي عداء لفرنسا، لكن ذلك يُجانب الحقيقة ، فلماذا يحاول التخفي في هذه الحالة إلا إذا كان يريد تعمية المخابرات، وما سر إتصاله بالبروسي "جيرارد ريهولف"4، ولماذا عند إعلانه العودة إلى الشام

---

1 - عبد الرزاق البيطار،حلية البشر(ج3) ، مصدر سابق،صص ،1426-1428.

2 - يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق..، مرجع سابق ،صص 225-226.

3 - عبد الرزاق البيطار،حلية البشر،المصدر السابق،صص ،1426-1428..

4 - يذكر لويس رين في كتابه ،" تاريخ إنتفاضة 1871 في الجزائر" ، في معرض حديثه عن من سماهم الجواسيس البروسيين ، أنه شوهد في بسكرة، في نهاية سنة 1870م، رجل يهودي أشقر اللون ، كان يقدم أموالا لبن ناصر بن شهرة، ويرجح أنه " الجاسوس والعميل البروسي (الألماني) جيرارد روهلف- Gérard Rohlf، الذي ظهر في المنطقة للتنسيق مع محي الدين ورفاقه للثورة ضد فرنسا، وإن إدعائه بانه يهودي ، مجرد تمويه للتغلغل

وعند وصوله إلى مالطة غير وجهته نحو طرابلس الغرب بعد أن غير زيه إلى الزي المغربي، والأهم لماذا ظلت المخابرات التونسية تلاحقه لتعطي السلطات التونسية بعد ذلك أمرا بالقبض عليه1.

وعند وصوله إلى طرابلس وإنتقاله إلى نفزاوة، إتصل ببعض رجالات المقاومة مثل "بن ناصر بن شهرة"2 و "إبراهيم بن عبد القادر وغيرهم" وإتجه نحو واد سوف ليبدأ إنطلاقا من نفطة في نشاط معاد للفرنسيين، مع بعض شيوخ الزوايا وقادة المقاومة الجزائريين المبعدين هناك، وبدأ في مراسلة الداخل الجزائري تحضيرا للثورة.

ولا يمكن أن نفصل بين جهود "الأمير محي الدين" و إنتفاضة المقراني في الشرق الجزائري سنة (1871م) رغم غياب ما يؤكد وجود تنسيق مباشر بينهما، فقد جاءت الحركتان في نفس السياق والظروف نفسها لاسيما المتعلقة بفرنسا وأوضاعها الداخلية والخارجية وفي ظل سعي من الدولة العثمانية لإعادة ترتيب وجودها في منطقة المغرب العربي3 وفقا لطرح "عبد الجليل التميمي" عند دراسته لموقف الباب العالي من هاته الأخيرة ، مؤكدا إندراجها ضمن سياسة "ربط الولايات العثمانية بالمركز" التي تبناها الصدر الأعظم عالي باشا4 ، وقد أبرز "عبد الجليل التميمي" من خلال مجموعة من الوثائق المهمة محاولة الباب العالي الإستفادة من تحريك الجبهة الجزائرية بعد هزيمة فرنسا في حرب(1870م)أمام بروسيا.

وسط السكان، أنظر : Louis Rinn, L'insurrection de 1871 en Algerie, librairie Adolf Jourdan,Alger, 1891, p90 et 105-108.

1 - يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر ...، مرجع سابق ،صص 226-227.

2 - بن ناصر بن شهرة : يتنمي ابن ناصر بن شهرة بن فرحات إلى قبيلة المعامرة والحجاج، ولد عام 1804م بالأرباع قرب ورقلة، عندما كبر إنتمى إلى الطريقة القادرية، ثار على الفرنسيين سنة 1851م، كما تعاون مع العديد من قادة المقاومات كالشريف محمد بن عبد والشريف بوشوشة ومحمد المقراني والأمير محي الدين وغيرهم،ثم إلتحق بالأمير عبد القادر، حيث توفي بدمشق سنة 1884م، أنظر: أحمد بوزيد قصيبة ، "إبن ناصر بن شهرة احد أبطال ثورة 1871م"، **مجلة الأصالة** ، ع6،السنة الأولى ،ذو الجحة1391-جانفي 1972، ،صص ،56-57.

3 - في إطار سياسة تهدف إلى ربط الولايات العربية بالمركز العثماني أقدم الباب العالي سنة 1871م على إمضاء معاهدة تنص على أن طرابلس الغرب ستكون مرتبطة بالمركز، شانها في ذلك شأن بقية الولايات العثمانية الأوروبية والأسيوية المتمتعة بشروط معينة ،بل وفي تونس أيضا ، حيث قرر حيدر أفندي تطبيق نفس السياسة على تونس وراسل السلطات التونسية في الأمر ، أنظر : عبد الجليل التميمي،بحوث ووثائق ،مرجع سابق،صص66-80.

4 - محمد أمين عالي باشا : (Mehmed Emin Âli Paşa :(5 مارس 1815 - 7 سبتمبر 1871) هو سياسي عثماني، كان المحرك الأساسي لفرمان الإصلاحات الذي صدر سنة 1856، وأحد السياسيين البارزين في الإصلاحات السياسية المعروفة باسم التنظيمات، التي شهدتها الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر.ولد في إسطنبول ، تمكن بفضل إجادته للغة الفرنسية من الالتحاق بالسلك الدبلوماسي العثماني في صدر شبابه، وذلك عندما عُين بدائرة الترجمة سنة 1833. شغل عالي منصب سكرتير السفارة العثمانية في فيينا، ثم تولى لفترة وجيزة منصب وزير الخارجية سنة 1840، ثم نُقل سفيرًا للدولة العثمانية في لندن 1841 - 1844، ثم عاد وزيرًا للخارجية سنة 1846، في حكومة مصطفى رشيد باشا.شغل محمد أمين عالي منصب الصدر الأعظم خمس مرات، وكان عالمًا ولغويًا ونِدًا قويًا لمعاصريه من سفراء الدول الأوروبية العظمى آنذاك في الدفاع عن مصالح بلاده. كان عالي سياسيًا إصلاحيًا رغم ما كان يتسم به من استبداد بالسلطة، طمح إلى تحويل الدولة العثمانية إلى دولة عصرية وسعى إلى ذلك طول فترة صدارته العظمى.في سنة 1856، شهد محمد أمين عالي باشا ـ بصفته الصدر الأعظم للدولة العثمانية ـ عقد معاهدة باريس التي أنهت حرب القرم، ووقع =على المعاهدة بصفته هذه توفي أمين عالي في إسطنبول في 7 سبتمبر 1871، بعد شهور من المرض. أنظر: William,L,cleveland and Martin, Bunton,A history of the modern Middle East,4th ed, westview press,Philadelphia,2009,pp 88-95

ومن جملة الوثائق التي كشف عنها "عبد الجليل التميمي" عريضة مفصلة تقدم بها زعماء "الجمعية الخيرية الإسلامية" بتاريخ (18 محرم 28/1288 مارس 1871م) إلى الباب العالي إقترحوا فيها على المسؤولين العثمانيين الأمور التالية :"...**نطلب من فضلكم ومن مراحم حضرة مولانا السلطان الأعظم، عظم الله له الأجور،النظر لحالنا بعين الشفقة والرحمة والإنصاف والغيرة الإسلامية التي جُبلت عليها ملوك الدولة العثمانية العلية،بتوسيط باقي الدول الأجنبية بطلب حقه (الباب العالي)الثابت له في إقليمنا من الدولة الفرنساوية...أو أن يُجري مخاطبة الدولة الفرنساوية المذكورة بإلزامها في التنازل عن إقليمنا في مقابلة على حسب الاقتضاء، ونحن نتعهد بتسديده لسدته الملوكية حالا وسريعا حسب الشروط التي تربط ذلك ،وإن أبت الدولة المذكورة عن هذا وذاك فيصير إعلان الحرب معها في أقرب وقت**"1، وهذا ما يدل بوضوح على وجود رغبة فعلية لإعادة الجزائر لحظيرة الدولة العثمانية والإستفادة من الأوضاع الصعبة التي تمر بها فرنسا ، أما عن إمكانية وجود علاقة مباشرة للدولة العثمانية بهذه الإنتفاضة ، فإن الرسالة الثانية لنفس الجمعية المؤرخة في (25 سبتمبر 1817م) كانت واضحة في هذا الشأن فقد نصت على مايلي :" **أصل محاربتنا وعصياننا على أعداء ديننا، كان بإختيار ورغبة الدولة العلية ولا حصل منا التقصير في شيئ لما رغبته الدولة العلية وأشار به علينا بواسطة المرحوم "عالي باشا" الوزير السابق... وما وعدنا به من الإعانة السرية و الجهرية بالأسلحة والنقود...وعليه فقد طلب "عالي باشا" من أعضاء الجمعية أن يعينوا ممثلا جزائريا عنهم حتى يستطيع أن ينظم معه المسائل المرتبة وقد عهد بذلك إلى العالم محمود الذي طلب حضوره لطرفكم "عالي باشا" الوزير السابق**"2، كما يشير "عبد الجليل التميمي" في نفس السياق بأن الصدر الأعظم "عالي باشا" ووزير المالية "مصطفى فاضل باشا" واللذين كانا يسيران تقريبا في نفس الإتجاه ،كانا السبب في هاته المبادرة عندما شجعا الجزائريين على القيام ضد فرنسا ووعدوهم بمساعدة وتأييد الباب العالي، ولكن عندما سقط عالي باشا مريضا وهو صاحب المبادرة ، عوكف عن مباشرة مهامه في شهر (جوان1871م) أُحبطت محاولة مساعدة الجزائريين وخابت الآمال لدى الثوار في الجزائر"3

1 - عبد الجليل التميمي،بحوث ووثائق...، المرجع السابق،صص 22-23.
2 - المرجع نفسه،ص22.
3 - نفسه،ص 24.

هذا ودون أن ننسى الإشاعات القوية التي صاحبت حركة "محي الدين" داخل الجزائر والتي كانت تُبشر بقدوم جيش تركي عبر مصر للتنسيق مع الأمير محي الدين، وإن حاولت بعض الكتابات الفرنسية أن تعزو ذلك لروح التعصب التي تزرعها الطرق الصوفية في المنطقة ، فهاهو "هنري غارو"(Henri Garrot) يتهم الطريقة السنوسية بالمسؤولية وأنهم هم من طلب من "محي الدين" القدوم إلى طرابلس1، و سنرى في الفصول اللاحقة مدى مساهمة الحركة السنوسية في نشر فكرة الجامعة الإسلامية وعلاقتها مع الدولة العثمانية.

أما بالنسبة لمصير حركة "الأمير محي الدين" فإنها لم تنجح من الناحية العسكرية بعد تعرض قواته المنقوصة تدريبا وتجهيزا لهجوم في (29 مارس1871م) من طرف الكولونيل(بوجيه pouget) في وادي الحمايجة بعد أن ألقت فيها فرنسا ثقلها الكامل ، مما إضطره التراجع إلى تونس ثم العودة إلى الشام2. غير أن هذا يدلنا بالفعل على أن "محي الدين" قد تبوأ مكانة رفيعة لدى رجال الدولة العثمانيين، وأنه لعب دورا في تنشيط الجامعة الإسلامية و محاولة إعادة الجزائر إلى حضيرة الباب العالي، وأن ولاء العديد من أبناء الأميرعبد القادر وأحفاده للدولة العلية تجاوز الأقوال إلى الأفعال.

ولكن الجدير بالملاحظة هو تأثير موقف "الأمير عبد القادر" على هذه الحركة، فقد رفضها نتيجة ضغوط كبيرة مارستها عليه القنصلية الفرنسية في دمشق ،فقد إتصل به القنصل ليخبره عن "إنتشار رسائل لأبن للأمير عبد القادر في الجزائر في حين تتجه فرنسا إلى الإهتمام بالأهالي ووضعهم تحت نظام حماية يضمن لهم العدالة والمساواة،يظهر محتالون مستعملين إسمه وختمه لزرع بذور الثورة بين القبائل الشرقية."3

وللعلم فإن فرنسا كانت ترى أن خلق الشقاق والإنقسام داخل أسرة الأمير عامة وبينه وبين أبنائه بشكل خاص أمر لاشك أنه يصُب في صالحها ويمنعهم من التوحد حول موقف قد يتمحور حول إعادة تفعيل المقاومة المسلحة في الجزائر من جديد ،كما يبدو هنا أن موقف الأمير عبد القادر كان نتيجة تأكده من عدم فاعلية هذه الحركة في ظل أوضاع الأهالي العسكرية والإجتماعية ،فأرسل رسالة4إلى قنصل فرنسا في طرابلس الغرب يطلب منه فيها العمل

---

1 - H,Garrot,Histoire générale de l'Algérie,imprimerie,p.crescenzo,voutes bastion nord,Alger;1910,pp,945-946,983-984.

2- H,Garrot, Histoire…,Op.cit,pp,945-946.

3 - Pierre,Bardin,Algeriens et Tunisien dans l'empire Ottoman 1848-1914,C.N.R.S,Paris,1979,p29.

4 - تفضل الدكتور يحي بوعزيز بنشر أغلب هذه الرسائل التي أرسلها الأمير عبد القادر بشأن ابنه محي الدين لأطراف عدة ، أنظر كتابه ، كفاح الجزائر...، مرجع سابق ، صص 250-254.

على إعادة "محي الدين" إلى الشام، وبعث برسالة إستنكار إلى الحكومة الفرنسية ،وبعث برسالة إلى إبن عمه قاضي معسكر " "الطيب بن مختار" يطلب منه تحذير الناس من إتباع إبنه لأنه محض عبث"1، ويبدو أن العديد من العوامل أسهمت في هذا الموقف الذي إتخذه "الأمير عبد القادر"2، ورغم ذلك فلن تكون هذه آخر مرة يحاول فيها أحد من عائلة الأمير الثورة على فرنسا ، سواء تحت شعار الوطنية المحضة ، أو تحت لواء الخلافة العثمانية وضرورة عودة الجزائر تحت لوائها.

1–4 : مظاهر وآليات التضامن الجزائري – العثماني:

4– أ : الدعاية لوصول النجدة العثمانية سلاح ضمن الحرب النفسية :

عمد العديد من قادة المقاومة الجزائرية و بغرض تحريض الجزائريين على القتال ورفع المعنويات لدى أنصارهم ومقاتليهم إلى الترويج بوصول مدد من الجيش العثماني هنا وهناك ، فمثلا عندما ظهر "محي الدين بن الأمير عبد القادر" بالقرب من الحدود الشرقية للجزائر أواخر عام(1870م) وأوائل(1871م)كما سبق الحديث عنه ، أشاع أتباعه وأنصاره بأن جيشا عثمانيا من ستة آلاف جندي في طريقه إلى تونس والجزائر لتحريرها وإعادة سيطرة الدولة العثمانية عليها وقد ذكر في أحدى الرسائل التي حررها "محي الدين" و"بن ناصر بن شهرة" إلى رؤساء القبائل والعامة ما نصه أن :" **محي الدين قد نزل عند بن ناصر بن شهرة لإعلان الجهاد المقدس وأن سلطان إستانبول قد أرسل جيشا إلى طرابلس الغرب، وهويرغب من عرب الجزائر أن يتخلصوا من الفرنسيين قبل أن يقع إحتلالهم من طرف البروسيين**"3.

كما أعلن "بن ناصر بن شهرة" في إحدى رسائله التي بعث بها إلى الوجهاء والقضاة ما فحواه:" **أن سيدنا محي الدين بن الأمير الحاج عبد القادر قد وصل إلينا بإذن من السلطان وبمشيئة الله سيتوجه من هنا الجزائر ليلتحق بأبيه الذي يحتاجه...إن جنود السلطان الغزاة قد وصلوا إلى طرابلس الغرب...**"4

وقد لوحظ فعلا وجود ضباط أتراك يجيدون العربية في الجنوب التونسي يقومون بالدعاية لصالح الدولة العثمانية ووصلت إلى ميناء تونس أسلحة وذخائر لصالح الثوار الجزائريين ولكن باي تونس حجزها وأمر الضباط الأتراك

---

1 - يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد 1871،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر ، 2008،ص169.

2 - أنظر أبرز هذه العوامل والدوافع في ، يحي بوعزيز ،كفاح الجزائر ...، مرجع سابق ،ص 232.

3 - Louis Rinn, Histoire de L'insurrection de 1871,op.cit,p645.

4 - Rinn, Histoire de L'insurrection de 1871,op.cit, p107.

بمغادرة تونس تحت ضغط السلطات الفرنسية الإستعمارية في الجزائر.كما إدعى "الباشاغا المقراني"1 زعيم ثورة (1871م) نفس الفكرة وأشاع في الناس قرب وصول نجدة السلطان العثماني ،وتأكيدا للدعم العثماني لهذه الثورة ظهرت في إسطمبول خلال هذه الثورة" الجمعية الخيرية الإسلامية للجزائر المحمية" و التي كان لها نشاط متميز في دمشق بين أوساط المهاجرين المغاربة والجزائريين على وجه الخصوص2،و قد راسلت الصدر الأعظم "محمد نديم باشا"، وطلبت منه ومن الرسميين العثمانيين كما أشرنا له في الرسالة سابقا، الدعم والمساعدة لمحاربة جيش الاحتلال الفرنسي وطرده ولامت بعض الشخصيات العثمانية التي وعدت بتقديم الدعم ولم تفي بوعودها وعرضت على السلطان العثماني واحدة من ثلاث أمور لحل معضلة الجزائر :

- توسيط بعض الدول الأوروبية لكي تسلم فرنسا بسيادة السلطان العثماني على الجزائر.
- مطالبة فرنسا بالتنازل على الجزائر مقابل مبلغ مالي تعهدت الجمعية بدفعه.
- إعلان الحرب على فرنسا لطردها بالقوة إذا رفضت أحد الحلين الأولين وأشادت هذه الجمعية بشجاعة سكان الجزائر واستعدادهم التام لمحاربة الفرنسيين إذا وفرت لهم الأسلحة الكافية.3

وفي تلك الأثناء أيضا "شاع في الجنوب الجزائري قدوم الجيوش التركية والمصرية لنصرة المسلمين، فقد كتب السيد "سي محمد زروق بن سيدي صالح" من نفطة إلى قائد بسكرة "محمد الصغير بن قانة" رسالة أحالها بدوره إلى الإدارة الفرنسية، جاء فيها :"**إن مولانا الأمير محي الدين ابن الأمير عبد القادر قد جاء إلى ابن ناصر بن شهرة ليقوم بالجهاد المقدس وإن سلطات إسطمبول قد أرسلت جيشا إلى طرابلس وجعلت الإيالة التونسية**

1 - الشيخ محمد المقراني هو أحد قادة الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي بعد الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830. محمد المقراني ابن أحمد المقراني أحد حكام (خليفة) منطقة مجانة بالهضاب العليا الجزائرية، وبعد وفاة الأب عيّن مكانه ابنه محمد المقراني لكن بلقب "باش آغا "وامتيازاته أقل من امتيازات أبيه.وعلى هذا الأساس جاءت الإدارة المدنية ،التي أوكل لها المستوطنون مهمة تحويل الجزائر إلى وطن =للمعمرين أو فيماعرف فيما بعد ب الجزائر الفرنسية الاستيلاء على أملاكهم وطردهم إلى مناطق لا تصلح إلا للإقامة هذا إلى جانب الأوضاع المعيشية المزرية التي كان يعاني منها الجزائريون, إلى جانب سلب الأراضي فإن المجاعات والأوبئة والقحط أتت على ما تبقى من الشعب الجزائري الذي أنهكته الظروف السياسية المطبقة من طرف الإدارة الاستعمارية والموجهة من طرف المستوطنين.في مارس عام 1871م قدّم استقالته للسلطات الفرنسية وفي نفس السنة ثار على الاحتلال الفرنسي وقاد مقاومة الشيخ المقراني فقد زحف بجيشه إلى مدينة برج بو عريريج بمعية أخيه محمد بو مزراق المقراني وابن عمّه الحاج بوزيد. ثمّ انضمّ إلى الثورة الشيخ الحداد. في 5مايو1871 م استشهد محمد المقراني إثر إصابته برصاص جيش الاحتلال. وهو الآن مدفون في بني عباس قرب مدينة بجاية، أنظر: الزبير سيف الإسلام : ثورة المقراني في حديث مع الأولاد ، (م و ك) ، الجزائر، 1985،ص5-12.

2 - سهيل الخالدي ،دور الجزائريين...، مرجع سابق ،ص209.

3 - يحي بوعزيز ،ثورات القرن التاسع عشر،(ط خ) ،دار البصائر ،الجزائر ،2009،ص ص 17-18.

والجزائرية تحت إمارة "إسماعيل باشا" نائب الملك في مصر، والسلطان يريد أن يتخلص عرب الجزائر من عدوهم قبل أن يكثروا"[1]

وفي نفس السياق يذكر "لويس رين" مؤكدا أمر هذه الرسائل قائلا :" **أرسل إلينا الرؤساء الموالون لنا عددا كثير من هذه الرسائل وقد تجمع لدى القائد العسكري لناحية بسكرة نحو (44) رسالة كلها محفوظة في وثائق الولاية العامة**"2.

هكذا إستمرت فئات من الجزائريين وتحت هذه الدعاية تأمل في نجدات وجيوش عسكرية عثمانية ستصل لا محالة لشد أزر المقاومين الجزائريين هنا وهناك غير آبهين بالمعطيات المرتبطة بالدولة العثمانية وأوضاعها، وأن الأمر أصبح يزداد صعوبة من يوم لأخر مما سيجعل أمر تدخل عثماني لإنقاذ الجزائر شديد الصعوبة.

وفيما يتعلق بمجال المراسلات والمكاتبات بين النخبة الجزائرية والسلطات العثمانية، فإن المتفحص فيها، يكتشف أيضا ذلك الإستخدام المتكرر عند الإشارة للعثمانيين لكلمات على غرار :" الخليفة المنتصر"،" ظل الله في الأرض"،خادم حضرتكم"،" أدام الله عزكم"...مما يدل على عمق التواصل الذي يربط الجزائر بالدولة العثمانية3.

وحتى في مجال مرتبط بالرموز، لاحظ الباحثون4 مدى تأثر الرايات الجزائرية في مراحل مختلفة بهذا التواصل الجزائري العثماني، فقد أبقى "أحمد باي" على اللون الأحمر، لون الراية العثمانية5 بزيادة رسم يمثل سيف ذي الفقار6 باللون الأبيض، ورسم السيف هو ذاته الذي إعتمده خير الدين و رياس البحر في جهادهم و بقي هذا الرمز في كثير من الرايات بعد ذلك،أما "الأمير عبد القادر" فقد تبنى راية مغايرة، ويبدو أنه أراد من وراء ذلك إعلان الفصل بين دولته والدولة العثمانية ،و في سنة(1912م) مع صدور قانون التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي طالب المجندون الجزائريون في رسالة موجهة لرئيس الجمهورية الفرنسي بالعديد من المطالب ، بعضها مرتبط

---

1 - يحي بوعزيز ،ثورات....، المرجع السابق ،ص 17 - 18

2 - أحمد بوزيد قصيبة ،"إبن ناصر بن شهرة ..." ، نفسه ،ص62.وكذلك : Louis Rinn, L'insurrection de 1871,op.cit,pp,105-108

3 - محمد شاطو ،"التواصل العثماني الجزائري خلال فترة الإحتلال الفرنسي "، **المصادر**، ع17، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر ،2008،ص19.

4 - أنظر الدراسة القيمة للأستاذ شاوسش حباسي حول أصول العلم الجزائري، في مجلة الدراسات التاريخية ، عدد 09 لسنة1995.

5 - لمعرفة دلالة اللون الأحمر والأخضر والأبيض والرموز المختلفة في الرايات الجزائرية المختلفة ،أنظر : شاوش حباسي ، "أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر، تطوره الشكلي وتجليل مضمونه الإيديولوجي والسياسي الوطني 1518-1945"، **مجلة الدراسات التاريخية** ، ع09، 1995 قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ،صص 102-127.

6- أسم أطلق على سيف الإمام علي كرم الله وجهه.

بشخصيتهم الإسلامية ، كالسماح لهم بلبس الشاشية وتوفير الغذاء الحلال وتسهيل أداء الشعائر الإسلامية في ثكناتهم ، لكننا نميز من بين هذه المطالب ، المطالبة بعلم (عربي – عثماني وليس العلم الفرنسي)(Le Drapeau arabe-oteman et pas le drapeau Français)1يقاتلون تحت لوائه ، وفي ذلك رمزية قوية لمدى ولاء أولئك الجزائريين للدولة العثمانية ، كرمز روحي ومرجعية إسلامية تختلف كليا عن فرنسا ورايتها،بعد مرور ما يقارب القرن من الزمن، ولم يجد النائب الفرنسي(Cuttoli) عند إتهام هؤلاء بالخضوع ل" مؤامرة الجامعة الإسلامية" إلا رفع هذه الراية أمام البرلمان كدليل2 .

4– ب :الدماء المشتركة رمز من رموز التضامن

سجل التاريخ للجزائريين مشاركتهم للدولة العثمانيه في العديد من معاركها لا سيما فيما يخص الجهاد البحري، حيث كان للأسطول البحري الجزائري صولات وجولات مع الأسطول العثماني في العديد من معاركه البحرية الهامه،وخلال خمسينيات القرن التاسع عشر ميلادي إستغلت فرنسا التواصل الحضاري بين الجزائريين و المشارقة عموما والعثمانيين خصوصا،فدعتهم للمشاركة في حرب شبه جزيرة القرم، ليستجيب العديد من الجزائريين لذلك النداء بإعتباره يخدم الخلافة ويشكل فرصة للدفاع عن مركز العالم الإسلامي وقيادته3 ،لذلك تطوع حوالي ألفي جندي من الجزائريين ،وحتى يُشعر الإمبراطور الفرنسي "نابليون الثالث" أولئك الجزائريين بالمساواة مع الجيش الفرنسي أعطى الفرقة الجزائرية المشاركة في الحرب علما خاصا بها ،ثم صنع حضر الجزائر راية خاصة بالجنود الجزائريين،كتبوا عليها بالعربية عبارات ورموزا تدل على ولائهم وتأييدهم المشاركة مع الدولة العثمانية ،وهذا نص ما كتبوه:"**إن هذه الراية ستلمع في ميدان النصر،وستخفق بالنجاح بمعونة الله،إنها من صنع مسلمي الجزائر،وهي مهداة إلى الجنود الأهالي المشاركين في الفرقة المتوجهة لنجدة الدولة العثمانية في 1854م**" وعلى الوجه الأخر من الراية– الهدية– رسم رمز الجزائر والنسر الإمبراطوري يحمل حرف(N) باللاتينية،محاطا بتاج من أغصان شجرة البلوط والزيتون4.

---

1 - Gilbert, Meynier, L'Algerie révélée,ed,el Maarifa,Algerie,2010,pp 254-255.

2 - Meynier, L'Algerie révélée ,Op.cit,p257.

3 - كان علي رضا بن حمدان خوجة قد جاء مع عزت باشا والي طرابلس إلى واحة الزعاطشة لدعم الثورة ضد الفرنسيين وقد وعد الشريف بوبغلة أنصاره بدعم عثماني من الجنوب الجزائري لكنه لم يتحقق :أنظر أبو القاسم سعدالله ،الحركة الوطنية 1830-1900،(ط4)، ،دار الغرب الاسلامي،بيروت ،1992، ص ص،389-391.

4 -سعدالله ، ،نفسه ،392.

كما كانت حرب القرم ذاتها فرصة لمشاركة بعض الشخصيات المعروفة ك"أحمد الطيب بن سالم" و"قدور بورويلة"1،و "بومعزة"2، للعودة من جديد إلى ساحات الجهاد،ولكن هذه المرة دفعا عن الدولة العثمانية ولعل في ذلك تعبير من هؤلاء عن إمتنانهم وتضامنهم معها في الأوقات العصيبة ،ولم يغب الأدب الشعبي عن مجال التأييد في هذه الحرب فقام "محمد الشاذلي القسنطيني"3 مزهوا ومفتخرا بالنصر الذي حققه العثمانيون4 في بعض قصائده، وهو ما يُبرز تنوع مساهمات الجزائريين في هذه الحرب التي خاضتها الدولة العثمانية ، ولم تتأخر النخبة الجزائرية عبر العديد من العلماء ورموز المقاومة في إغتنام فرصة المشاركة تعبيرا عن ولائهم و خدمتهم لدولة الخلافة الإسلامية .

أما "الأمير عبد القادر" فلم يفوت بدوره فرصة إثبات حضوره في هذا الحدث البارز ولو أدبيا ، فأنشد وهو في بروسة قصيدة مطولة دعا فيها بالنصر للدولة العثمانية في حرب القرم (1853– 1856م) مطلعها :

يارب أيد بروح القدس ملجأنا عبد المجيد ولا تبقيه حيرانا5

---

1 - قدور محمد بن رويلة، ولد بالجزائر العاصمة من أسرة ميسورة، أخذ العلم مبكرا على والده وعلى شيوخ كبار مثل الشيخ المحدث حمودة المقايسي المتوفي سنة (1829م) ،من أبرز الذوات الجزائرية التي أحرزت على شهرة ثقافية وسياسية ، أيام نضال الأمير عبد القادر جاهد إلى جانب خليفة الأمير عبد القادر بمقاطعة شلف مليانة ،محمد بن علال، و بسبب براعته في الكتابة إصطفاه الأمير لكتابة الإمارة و وظيفة الشورى ، أسر مع زمالة الأمير ، وبعد إطلاق سراحه إنتقل إلى الحجاز، ثم عاد ورافق الأمير عبد القادر في بروسة ودمشق،توفي في شهر ديسمبر 1855م، أنظر : محمد بن الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر (ج2)...، مصدر سابق ،صص 63-64. وكذلك ، عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر..(ج4) ، مرجع سابق ،صص 360-363.

2 - المدعو الشريف محمد بن عبد الله ، قاد سنة في 1845م مقاومة شرسة ضد الفرنسيين في منطقة الظهرة، ، استطاع أن يكبد هذا الزعيم الفرنسيين خسائر فادحة ، حيث قامت انتفاضته ضد التعسف والظلم و النقص في الأرزاق وقد أثار بومعزة الرعب في جيش الإحتلال و استطاع أن يصد = هجومات المقدم ميليت على تحصينات مستغانم لكن طاردته قوات هذا القائد بتعاون مع قوات " سانت أرنو " قائد الأصنام (شلف حاليا) والكولونيل " جيري "و الكمندان " برت " قائد تنس أفلت منهم والتحق بدائرة الأمير في المغرب الأقصى حيث أقام فترة من الزمن ثم عاد إلى منطقة الظهرة التي شهدت انتصاراته الأولى وهناك حاول النهوض من جديد لكنه فشل بسبب القمع الوحشي من طرف جيش الإحتلال وقد إنتهى به الأمر أن سلم نفسه في 13 ماي 1847 م للجنرال " سانت أرنو " فسلمه هذا إلى المارشال " بوجو" الذي حمله إلى فرنسا حيث سجن عدة سنوات،اطلق سراحه سنة 1852م، فسافر إلى الأستانة وعمل متطوعا في الجيش العثماني، أنظر: عبد المجيد، بن نعيمة وأخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر ، 2007،ص ص : 102-107.

3 - محمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الصولي(1807-1877م).ولد في قسنطينة (شرقي الجزائر)، وتوفي في طولقة في حدود 1863م،عاش في الجزائر، وكان يتردد على فرنسا وبلجيكا وإنجلترا.تلقى علومه عن علماء مدينة قسنطينة وفي مساجدها وزواياها، فدرس الفقه والحديث واللغة والآداب والخطابة والحساب.تولى القضاء في قصر أحمد باي، كما اشتغل بالتدريس، وتولى إدارة مدرسة سيدي الكتاني منذ تأسيسها عام 1850، ودرّس فيها بعض علوم العربية حتى وفاته.

أبدى افتتانًا خاصًا بالثقافة والآداب الفرنسية، وكانت له علاقات وطيدة بفرنسا، وتردد على محافلها ومكتباتها ومحاكمها، وقد اختير لمؤانسة الأمير عبدالقادر الجزائري في منفاه بفرنسا.، أنظر، أبو القاسم سعدالله ، محمد الشاذلي القسنطيني 1807-1877دراسة من خلال رسائله وشعره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974، صص 14-21، وكذلك: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف،(ج2)،موفم للنشر ، الجزائر ،1991،ص225.

4 - أبو القاسم سعدالله،القاضي الأديب محمد الشاذلي القسنطيني،مرجع سابق،ص35.

5 - زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر،تحقيق وشرح وتعليق زكريا صيام ،(د م ج) ،بن عكنون،الجزائر،1988 ، ص ص 293-298.

وبذلك كانت معظم الحروب العثمانية خاصة مع الروس أو في منطقة البلقان ، فرصة للنخبة الجزائرية وللجزائريين عموما لإبراز مدى متابعتهم لشؤون الدولة العثمانية وفرحا بما تحققه من إنتصارت ،و ألما لما يصيبها من إنكسارات وهزائم.

4–ج : التضامن الجزائري– العثماني من خلال النشاط الأدبي والصحفي :

كانت القصيدة الشعرية بنوعيها الفصيح والشعبي من أبرز المجالات التي إستخدمها الجزائريون في مجالي التضامن مع العثمانيين والدعاية للجامعة الإسلامية ،ولذلك تعدد الشعراء الجزائريون الذين قدموا لنا قصائد تمتلئ بصور التضامن والتأييد للعثمانيين والدعوة لأعدائهم بالهزيمة والإنكسار ، فهاهو الشاعر "محمد بن أسماعيل"1 يكتب قصيدة طويلة كلها إشادة بالدولة العثمانية وسلطانها في هاته الحرب حيث قال في هاته القصيدة :

ياكـــــامل العطـــا فرحنـــــا **** ببشاير النصـــــر يـــــاربي

تبرا تـــــــــزول هذه المحنـــة **** على المومنيـــــن يا مرغـــوبي

بجند من الامـــلاك انصرنـــــــا **** وأهزم جيوش قوم الـــــرهب

أنصر علام عبدك أمير المؤمـــنين **** عبد المجيد ناصر الدين المختار

قاموا جنود الاسلام معه مسبلين **** في نصر دين رب تفنى الأعمار

قال المليك عبد المجيـــــــــد **** لعلمـــــــــة المدن و الوزرا

الموسكـــــــو بحربه قاصـــــد **** لهلاكنا بجيشـــه كثـــــــرة

لبيك قالـت أهـل السنـــــــــة **** ياملك الزمـــــــــان الأرشد

أنت صـــاحب الأمـــــــــانة **** وأنت الخليـــــــــفة الممجد

---

1 - ولد حوالي 1820م في الجزائر العاصمة وتوفي سنة 1870م ، قرأ القرآن صغيرا ، ثم جال في مناطق ، جرجرة والمدية ومليان وشرشال وغيرها محتكا بالشعراء، ليبرع في الشعر الشعبي ، خاصة في غرض المديح النبوي ،للمزيد أنظر : Benchneb,Mohamed , « La guerre de Crimée et les Algeriens par le cheikh sidi Mohammed Ben smail D'Alger »in,**R.A**,(vol51),Année 1907,pp,169-197.

وفي مقطع أخر من القصيدة نجده يقول :

بجـــــــــاه كل مقبـــول **** يا منتهـــــــا رجـــايا

سترك على إصطنبـــــــول **** يا عـــــــالم الخفية

جيش اللعين مذلـــــــول **** يعطوا لها الجـــــــزية

رب بمـــا أنزل في المنـــــزول **** على الحبيب زين الاسمـا

أنصر جيوش حكم أصطنبول **** سلطانة المدن العظمـــى

خارجين بالسناجق والطبول **** بالصلاة على شفيع الأمة1

وهكذا فإن الجزائريين قد وجدوا في الشعر الشعبي والهجرة للمشرق العربي وتركيا خير متنفس للتعبير عن مكبوتاتهم نحو المستعمر وتعاطفهم مع العثمانيين في تلك المرحلة الأولى من الإحتلال.

ورغم تلك الإنتكاسات التي أصابت المحاولات التي أشرنا إليها سابقا فلم تضعف الرابطة العثمانية في الجزائر،بدليل إستمرار وفاء الجزائريين للإرث الحضاري العثماني ،ففي الواقع الإجتماعي للجزائريين نفسه إستمرت أسماء عدة لخلفاء عثمانيين حملها الجزائريون ،مثل "عبد الحميد" و"عبد المجيد" و"محمود" وحتى أسماء النساء مثل "تركية" وألقاب مثل "تركي" و"بن تركي" وغيرها...بل إننا نجد في القلائد الذهبية المنتشرة الإستعمال في الجزائر نجد قطعا من الذهب تحمل إسم "السلطاني" ذات الأصل العثماني2،ولا زالت اللهجلت الجزائرية تحفل بالعديد من الكلمات التركية ، وقد ألف محمد بن شنب كتابا هاما في هذا المجال كان من الأعمال الرائدة في موضعه3.

1 - أنظر الملحق (رقم1).

2 -Ali,Merad;"la turcophilie dans le débat National en Algérie au début du siècle,1911-1918" in,**Revue d'Histoire Maghrébine**,(N31-32),Dec1983,Tunis,p344.

3 - Ben chneb,Mohammed,MotsTurks et Persans conservés dans le parler Algérien,Alger,1922.

أما بالنسبة للنشاط الصحفي فقدشكلت الصحافة الناطقة بالعربية في الجزائر مع بداية القرن العشرين،أبرز الأدوات التي إستخدمتها النخبة الجزائرية ذات التوجه العربي الإسلامي للتعبير عن تضامنها الواضح مع الدولة العثمانية وكشف ما يهددها من مخاطر وتحديات تستهدفها كمركز للخلافة الإسلامية ومن ورائها كل البلاد العربية والإسلامية التابعة لها.

و لقد أبقت هذا الصحافة رغم صعوبة أوضاعها في ظل التضييق الاستعماري عليها ، على روح التواصل مستمرة بين الجزائر من جهة والشرق ببعديه العربي و العثماني، رغم مرور ما يقارب القرن على إحتلال الجزائر،وظلت تشكل تلك النافذة التي يطل منها الجزائريون على فضاءهم الرحب في العالم الإسلامي، وسط حالة الخنق التي يفرضها عليهم المحتل.

ولذلك فإن ميلاد الحركة الصحفية الجزائرية أوكما يسميها عمر راسم "بصاحبة الجلالة" أي الصحافة التي هي ترجمان الأمم، و أعظم واسطة يبلغ نفعها مصادر الخدمة العمومية، ووظيفتها هي أكبر الوظائف في الإسلام، لأنها أحكم الوسائل و أقوم السبل لتربية الشعوب و ترقية الأمم و هي الباعثة في عقول الأحرار روح الفضيلة و اليقظة ،سرعان ما فتحت جبهة جديدة في الصراع بين نخبة جزائرية تتمسك بلسانها العربي وإنتمائها الإسلامية وإدارة إستعمارية تريد جزائرا فرنسية منقطعة الجذور والأوصال.

وتجاوز تحرك النخبة الجزائرية الناشطة في الحقل الصحفي حدود الجزائر، فها هو "محمد التهامي شطة"1 يُصدر (جريدة المهاجر)2 سنة (1912م)و التي تبنت بدورها مبدأ الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربة الذين فروا من السيطرة الإستعماريةو قدموا للإستقرار في تركيا ،كماشنت الجريدة حملات عنيفة على الوجود الاستعماري ببلدان المغرب العربي وإنتقاد السياسة الفرنسية في الجزائر والمغرب3.

---

1 - محمد التهامي شطة : ولد محمد التهامي بن شطة في الأغواط جنوب الجزائر، هاجر إلى تونس ، بعد الإحتلال الفرنسي للأغواط سنة 1852، وانتقل إلى سوريا سنة 1881م ، كان رئيس تحرير جريدة " المهاجر" التي أنشأها الجزائريون في بلاد الشام.، أنظر: نادية طرشون ، الهجرة الجزائرية...،مرجع سابق ،ص205.

2 - جريدة المهاجر : جريدة انشأها المهاجرون الجزائريون في بلاد الشام ، صدر عددها الأول في دمشق يوم 11 جانفي 1912، وكانت يومية واستمرت في الصدور ثلاث سنوات،إلى قيام الحرب العالمية الأولى، كان يتصدر صفحتها الأولى عبارة " رواد اصلاح وقصاد نجاح"، كما يبدو أن الأمير عبد القادر كان يشرف على شؤونها المالية، مع العلم أن إبنه محمد السعيد كان يمضي باسمه بعض المقالات الصادرة فيها، حتى أن البعض كان يرجح أن الأمير علي نفسه هو الذي كان وراء إصدارها، أنظر : طرشون نادية ، الهجرة...، مرجع سابق ،ص205.وكذلك : التليلي العجيلي ، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918،معامل الطباعة فينزي ، تونس، 2005،ص198.

3 - Bardin,Algeriens etTun..,Op.cit,p228.

ولم تكن هذه الجريدة تقتصر على التنويه بأوضاع المغاربة فقط ،فقد أكدت على الوضع الخطير الذي كان يهدد المسلمين عامة، ففي خضم حرب البلقان، نشرت جريدة المهاجر في عددها يوم(30 سبتمبر 1912م)نداء بعنوان"أيها العرب" أُعتبر بمثابة صيحة فزع تهدف إلى إستنهاض العرب ولفت أنظارهم إلى الأخطار المحدقة بهم ،فقد أوضحت الجريدة أن محور السياسة الأوروبية هو دائما إضعاف الدين الإسلامي وتقسيم بلاد المسلمين، بحيث تنال كل دولة أوروبية قطرا منه تجعله تحت هيمنتها ونفوذها، فتقضي على قوته وتحيل أرضه إلى ضيعة منتجة وسكانه إلى عبيد خاضعين لنزواتها وخداما مخلصين لمصالحها" وفي الأخير أهاب نداء الجريدة بالعرب، مذكرا إياهم بأصولهم وأمجادهم ، فهم على حد قوله" **أبناء البلد الذي ظهر فيه الإسلام، وبُعث فيه الرسول وبلغتهم نزل الوحي الإلهي، وبأصقاعهم حطت الملائكة وبسيوف أجدادهم تمت الفتوحات، وبعلوم أسلافهم إزدهرت الحضارة**..."[1]. وبذلك فإن هذه الجريدة الرائدة كانت مرآة عاكسة لمستوى النضج والشعور بالمسؤولية الذي كانت عليه النخبة الجزائرية كغيرها من المهاجرين المغاربة الناشطين تحت لواء هذه الجريدة الرائدة.

ولا شك أن الدولة العثمانية لم تتأخر في إستغلال هذا النشاط الصحفي الجزائري في خدمة مصالحها، لاسيما أثناء الحرب العالمية الأولى(1914–1918م)، فقامت بإستقطاب العديد من الأقلام الجزائرية ليمارسوا نشاطهم الصحفي سواء في إسطمبول أو حتى لدى حليفتها ألمانيا.

لقد كانت الدولة العثمانية تدرك ما لهذه النخب وما لأقلامها من تأثير بالغ على الرأي العام داخل الأقطار العربية والإسلامي ومن بينها الجزائر، مما جعل الأستانة في حينه تحتضن العديد من الأقلام البارزة من العالمين العربي والإسلامي وكأدنى حد فإن صحفها كانت تنشر لهذه الأقلام ما تكتبه من مقالات تؤيد الدولة العلية وقضاياها.

وكنموذج لتلك الصحافة الجزائرية المساندة والمتضامنة مع العثمانيين سنتناول بالدراسة الأعمال الصحفية والأدبية لكل من الصحفيين الجزائريين البارزين "عمر بن قدور"[2] وصحيفته الفاروق[3] (1913–1915م)،

---

1 - نقلا عن التليلي ، صدى حركة ، مرجع سابق،صص 199-200.

2 - عمر بن قدور (1886- 1936م) من رجالات الإصلاح ورواد الصحافة العربية في الجزائر ،زج به في السجن سنة 1915م بسبب مواقفه الجريئة، أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت 1983،ص 243.

3 - جريدة الفاروق : 1913- 1915،أول جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد العربية المعتبرة، وكانت اسلامية محضة. طالما اهتمت بقضايا المسلمين، يقول عمر بن قدور أنه إختار اسمها لتكون فارقة بين الحق والباطل، كانت تتوج صفحاتها بالبيت القائل : قلمي لسان ثلاثة بفؤادي*** ديني ووجداني وحب بلادي ،صدر منه 95 عددا قبل أن تمنعها السلطات الفرنسية بسبب مقال ساند فيه العثمانيين ، وبعد عودته من المنفى سنة 1919، أعاد بعثها سنة 1920، فأصدر منها 15 عددا ثم توقف نهائيا عن العمل الصحفي، أنظر : محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، (ش و ن ت) ،الجزائر ،1980،صص 36-37.

والصحفي "عمر راسم"1،صاحب جريدة ذو الفقار (1913 – 1914م)2 التي تعد من أبرز الصحف التي مثلت هذا التيارالمنخرط ضمن أفكار الجامعة الإسلامية ، و الملاحظ أن كلا الصحفيين لم يكتفيا في مقالاتهما بمجرد نقل الأخبار وتتبعها بل عمدا إلى تحليل الأسباب وتوقع النتائج وتقديم النصح للدولة العثمانية لتفادي ما يمكن أن ينتج عن ذلك من آثار وخيمة عليها.

فقد كان "عمر بن قدور" من أكثر الأقلام الصحفية الجزائرية على عهده إهتماما بقضايا الدولة العثمانية بشكل خاص،والعالم الإسلامي بشكل عام،لقد عاصر وعايش بألم مرحلة إحتضار الدولة العثمانية وإنهيارها على مختلف الأصعدة في مستهل القرن العشرين مما حرك فيه نزعته الدينية الإسلامية في شكل تضامن صريح وواضح مع دولة الخلافة في وجه تلك التدخلات الأجنبية الرامية إلى إحتلال ما تبقى من أجزاءها، وبخاصة الولايات العربية منها واصفا ما يُحدث ذلك من ألم لدى المسلمين بقوله :" **كل مسلم في هذا الوقت قد أصبح رهين الغيظ الشديد وأسير الآلام من مصيبة تركيا، بل مصيبة الإسلام...حتى أن المرء ليحسب كأنها القيامة أقبلت بفزعها الأكبر وشرها الأحمر، وما هي في الحقيقة إلا مغبة إهمال عبر، تصيب كل مغفل من البشر، ولو يشاء الله لا يتيح لها أن تقتنص العالم، فتقتنصه من أطرافه وتلتهم بيَعه ومساجده وتقضي على عمرانه**..."3، وعندما نتتبع العديد من الكتابات التي حوتها جريدة "الحاضرة" الصادرة في إسطمبول وجريدته "الفاروق"، نلاحظ تنوع الأشكال الأدبية التي إستخدمها بن قدور في كتابة تعليقاته وتحليلاته، سواء ما كان منها في شكل مقالات نثرية أو قصائد شعرية، لكنها تشترك كلها في المضمون والدلالة ، حيث تعبر عن إستيائه البالغ مما آلت إليه الخلافة الإسلامية و مركزها، وتزايد التكالب الأوروبي عليها، فقد جاء في قصيدته "يا شرق "4 إدراك تام بعاملين ثابتين، أولهما شعوره بالإنتماء الواضح للفضاء العربي الإسلامي ، من خلال إستخدامه إصطلاح (الشرق) وما يحمله من دلالات ترتبط بهذا الفضاء الجغرافي والحضاري، و من جهة أخرى يؤكد سعيه لفشل ما تسعى فرنسا لتحقيقه من منع الجزائريين عامة ونخبتهم المستنيرة خاصة من الشعور بهذا الإنتماء الشرقي، لا سيما وأنه جزائري ولد بعد الإحتلال الفرنسي

---

1 - عمر راسم: (1884 – 1959) من مواليد العاصمة ، عرف بمراسه الشديد في حقل الإصلاح، كان من أوائل المتأثرين بفكر الشيخ محمد عبده الإصلاحي، تعرض للسجن في الحرب العالمية الأولى، بسبب أفكاره الوطنية والقومية، أنظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، (ط3)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2007، ص ص 77 ، 431.

2 - جريدة ذو الفقار: 1913-1914، أصدر عمر راسم ، وهي أول جريدة عربية جزائرية يقوم بأعباء تحريرها وكتابتها ورسم صورها واخراجها وطبعها شخص واحد، وصفها صاحبها بانها عبدوية إصلاحية، صدرت منها أعداد قليلة قبل توقفها ، أنظر : محمد ناصر ،الصحف العربية..، مرجع سابق ،صص 41-42.

3 - عمر بن قدور ،" مصيبة تركيا في عدم الإعتبار"، **الفاروق**، (ع10) ، السنة الأولى، الجمعة 25 جمادى 1331 هـ /8 ماي 1913، ص1.

4 - عمر بن قدور ،يا شرق ،**الفاروق** ،(ع11) ،19ماي1913م.ص2.

للجزائر وتعرض كغيره من الجزائريين لمحاولة الفرنسة في أبشع صورها ، لكن هذا الشرق للأسف يعيش حسب "بن قدور" مرحلة اللاوعي بما يحدق به من أخطار وتحديات ،ثم سرعان ما يعمد إلى تحديد الطرف الأخر الذي يقف في الجبهة المعادية لهذا (الشرق) أو النقيض له، ألا وهو (الغرب الطامع) في تقسيم أملاكه والراغب في بسط نفوذه عليه ، ومبرزا الأداة التي يستخدمها الغرب في ذلك التقسيم والتجزئة ألا و هي وفق تعبيره الشعري (الترقي الأكمل)، فيكون بذلك من أوائل من حذر من خطر "مصطفى كمال أتاتورك"1 وجمعية الإتحاد والترقي2 في إطار هذا الصراع بين الشرق والغرب، فنجده يقول :

يا شرق ما لعقول قومك لاتـــــعي **** نصحا من الماضي إلى المستقبل

صالت عليك مطامع الغرب الذي **** أرضعه لبن الترقي الأكمـــــل

يا شرق إني أعيـــــــذك أن ترى **** متغافلا عنهم فتسقط من عــل

عدوك محتضرا ويـــــــومئذ رأوا **** تقسيم ملكك هينا لمؤمـــــل

إني أعيذك أن يسود نفوذهـــــم **** وتساق حيلتهم عليك وتنطـــلي

فقصيدة (ياشرق) إحساس واضح لدى بن قدور بالإستياء من مدى الضعف الذي أصبح يعيشه الشرق وتعكسه الوضعية الكارثية لدولة الخلافة وتحذير مستمر مما يحيكه الكماليون و الإتحاديون لمركز الخلافة وإمتداده العربي الإسلامي.

---

1 - مصطفى كمال أتاتورك: Mustafa Kemal Atatürk :ولد في19 ماي 1881توفي 10 نوفمبر 1938 قائد الحركة التركية الوطنية في أعقاب الحرب العالمية الأولى ،وأوقع الهزيمة على اليونانيين في الحرب التركية اليونانية عام 1922 ،وبعد انسحاب قوات الحلفاء من الأراضي التركية جعل عاصمته مدينة أنقرة ،وأسس جمهورية تركياالحديثة ،فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن علمانية الدولة.

أطلق عليه اسم الذئب الأغبر، وإسم أتاتورك (أبو الأتراك) وذلك للبصمة الواضحة التي تركها عسكريا في الحرب العالمية الأولى وما بعدها وسياسيا بعد ذلك وحتي الآن في بناء نظام جمهورية تركيا الحديثة. أنظر : هـ س أرمسترونغ ، الذئب الأغبر مصطفى كمال،دار الهلال ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ،1952، صص 11-15.

2 - أحد شقي جمعية تركيا الفتاة المعرضة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، وقد إزداد هذا الاتحاد تنظيما واتخذ من سالونيك مركزا هاما لنشاطه المعادي للسلطان الذي أجبر في سنة 1908م، على إعادة الدستور، ثم الانقلاب عليه وتنحيته من الحكم في 1909م ،وكان من أشهر قادة هذا الاتحاد : طلعت باشا، وجاويد بيه ، وجمال باشا، كما كان ليهود الدونمة نفوذا هاما في هذا الاتحاد، بمشاركتهم في الإطاحة بالسلطان بسبب مواقفه المضادة لليهود وهجرتهم نحو فلسطين ، أنظر :هاشم عبد الهادي وآخرون ، الموسوعة الفلسطينية ، (مج1) ، الموسوعة الفلسطينية ، دمشق، 1984،ص ص ،75-78.

وفي سنة(1906م) أرسل "عمر بن قدور" مقالا إلى جريدة "اللواء المصرية "تحت عنوان "الشعور الإسلامي في الجزائر"غير أنه لم يُنشر إلا في سنة(1908م) أكد فيه على وجوب إتحاد المسلمين كافة،لأنه يعد دعامة أساسية من دعائم الإسلام،وبأن للإتحاد نتائج عامة وخاصة،فأما النتائج الخاصة فتتمثل في الحصول على السعادة العظمى ووسيلة أساسية للوصول إلى الهدف المبتغى،وأما النتائج العامة فتتمثل في حصول التعاون والدفاع عن المسلمين وتتحقق بذلك محبة الدين والوطن1،وهو يؤكد بذلك أن الاتحاد الإسلامي يُقوى ويحقق الجامعة الدينية والوطنية معا ولا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل بينهما.

ولم يقتصر "عمر بن قدور" على نشر عواطفه حلوها ومرها على صفحات الجرائد فقط ،فقد تخطى هذا التضامن من شكله الصحفي إلى التضامن الميداني حين دعا الأمة الإسلامية سنة(1914م) للتضامن الجدي متسائلا هل في الإمكان تأليف جماعة من مفكري مسلمي الجزائر وتونس والمغرب الأقصى تدعى جماعة التعارف الإسلامي؟ وفَتحَ لأجل ذلك دفترا لتسجيل أسماء المنخرطين في جماعته ليسهل – على حد قوله – العمل فيما بعد2،غير أن اندلا ع الحرب العالمية الأولى حال دون إكتمال هذا المشروع،ولكن يبدو أن جمعية العلماء المسلمين قد تبنت الفكرة فيما بعد بأسلوبها الخاص.3

وتظهر ثقافة إبن قدور التاريخية أكثر وضوحاعندما يعمد إلى المقاربات التاريخية ، فيقارن الحال المتردي للمسلمين بالأوضاع التي أدت إلى ضياع الأندلس وأن من واجب المسلمين لتفادي ذلك الدفاع عن الخلافة والتمسك بها فيقول :" **لا يحسبن المرء أن هذه الضربة البلقانية4، هي من قبيل تلك الضربات التي حلت في الشرق**

---

1 - صالح خرفي،عمر بن قدور الجزائري "الشعور الاسلامي" ، **مجلة الثقافة**،ع07،الجزائر،1972،صص 116-117.

2 - محمد ناصر،"فلسطين وأقلام جزائرية" ، **مجلةالثقافة** ،ع37،فيفري 1977،ص13-28.

3 - Ihddaden Zahir,histoire de la presse indigene en Algérie des origines jusqu'en 1930,ENAL,Alger1983,p239.

4 - حرب البلقان الأولى هي حرب نشبت بين الدولة العثمانية واتحاد البلقان الذي تألف من بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود، إندلعت الحرب في أكتوبر 1912 وانتهت في 30مايو 1913 بتوقيع معاهدة لندن .أدت الحرب إلى خسارة الدولة العثمانية لغالبية أراضيها في أوروبا، كما أدت الأحداث التي تلتها إلى قيام دولة ألبانيا.

وعلى الرغم من نجاح الذي حققته دول اتحاد البلقان في الحرب إلا أن بلغاريا لم تكن راضية عن تسوية النهائية للحدود بينها وبين صربيا واليونان الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب البلقان الثانية إذ هاجمت بلغاريا كل من صربيا واليونان، ثم دخلت الحرب كل من رومانيا والدولة العثمانية والجبل الأسود ضد بلغاريا. أنظر: Pierre, Renouvin,La crise européen et la premiére guerre mondiale (1914 – 1918),5eme edition,PUF,Paris ,1969,pp 170-180.

والغرب على الشعوب الإسلامية والتي تحملها المسلمين وتعودوا بآلامها لهي الضربة الثانية... وهل نسي الناس نكبة الأندلس وسقوط ذلك العز العظيم والتقدم الكبير والمجد الشامخ الرفيع ، تلك هي الضربة الأولى لو تعلم ، وهذه هي الثانية ولم يبقى إلا ثالثة الأثافي وما هي عنا ببعيدة إذا نحن لم نعتبر وما لنا عنها من محيص ،هي القاضية ليس لوقعها كاذبة خافضة رافعة، يوم تمج المدارك ما أدركت وتدك الأقوام ما ورثت وإنه ليوم عسير على المؤمنين غير يسير.هذه الضربة الثانية وستتلوها الثالثة وهي القارعة إذا بقي سلطان عدم الإعتبار.."[1] وهنا يتضح لنا مدى نجاح بن قدور في توظيف التاريخ توظيفا ناجحا لتبيين ودعم أفكاره وإستنتاجاته وهذا دون شك من أبرز مميزات أسلوبه الصحفي.

ولم يخف ابن قدور أن من يقدم النصح مثله وبشكل مستمر للأتراك فئة قليلة ونادرة ، ربما بسب تزايد الرغبة في الإنفصال عنها مشرقا في ظل نمو الروح القومية الإنفصالية لدى عرب المشرق آنذاك، أما مغربا فبسبب التضييق الكبير الذي يمارسه الفرنسيون لمنع هذا النوع من التضامن مع الدولة العثمانية (العدوة) وحليفة ألمانيا، و في ظل إحتدام الحرب العالمية الأولى، لكن يبدو أن ذلك لم يوهن من عزم ابن قدور على مواصلة النصح والتحذير :" **وهكذا قلت لتركيا المرار العديدة ووقفت معها عند باب كل مأزق تحاول أن تلجه موقف الناصح الأمين ومثلي لا فخر في الشرق فئة قليلة وأما في الغرب فيعدون على الأصابع**"[2].

وقد أبان بن قدور عن هذا التضامن والنصح للدولة العثمانية حتى خارج جريدة "الفاروق" فكان يرسل مقالاته إلى جريدة " الحضارة " سعيا وراء إبلاغ صوته لعدد أكبر من القراء والمهتمين و لتُسمع آراؤه حتى في مقر الخلافة نفسها، وقد كانت العديد من مقالاته تتميز بالوضوح وجمال الأسلوب وقوة الحجة ، كما أنه كان يقوم بتدعيمها ببعض الخرائط على صدر الصفحات الإفتتاحية ، خاصة عند نقله للأخبار المتعلقة بالحرب وحيثياتها من معارك وتحرك للجيوش[3].

ومن العوامل والعناصر التي بين ابن قدور دورها الهدام داخل كيان الدولة العثمانية ، هم اليهود والصهاينة، وأنهم يملكون خطة خبيثة لهدم الخلافة الإسلامية و السيطرة على فلسطين ، ولعل في هذا التحذير المبكر ما يجعلنا نُقر بأن

---

1 - عمر بن قدور ،" مصيبة تركيا في عدم الإعتبار"، المصدر السابق، ص1.

2 - المصدرنفسه.

3 - أنظر على سبيل المثال : **الفاروق** ، (ع13)، السنة الأولى، الجمعة 16 جمادى الثانية 1331 هـ / 31 ماي 1913، وكذلك العدد 15 بتاريخ الجمعة غرة رجب 1331 هـ / 06جوان 1913م.

تعرض الجزائريين للاستعمار الأوروبي ومكائده ومؤامراته من جهة وشعورهم الإيجابي بقضايا العالم الإسلامي من جهة أخرى، هو ما جعلهم يحذرون بشكل مبكر إخوانهم في بقية العالم الإسلامي من هذا الخطر المتمثل في اليهود ومؤامراتهم.

وقد تطرق العديد من الكتاب الجزائريين لأخلاق اليهود تلك في مناسبات عديدة، فنجدهم يحذرون الناس من شرهم ومن إستخدامهم لمختلف السبل لتحقيق منافعهم بصرف النظر عن جميع القيم، فإن القارئ لكتاب" المرآة " لحمدان خوجة و الذي كتب منذ سنة (1833م) ،أي قبل ما أصبح يعرف بالمسألة اليهودية والنشاط الصهيوني في ثمانينيات القرن التاسع عشر، يجد الكثير من الصور التي يشير فيها الكاتب إلى سلوكات اليهود وتدخلهم السافر في دوائر السلطة في أواخر العهد العثماني في الجزائر بشكل عجل من نهايته :" **ومن جهة أخرى فإن نصائح الغدر التي كان يسديها اليهود قد ساعدت أن يتزايد الطغيان ويبلغ منتهاه، وعلى أن تنشا فكرة مشوهة عن طبائع سكان الجزائر الذين يرزحون تحت نير الإستبداد**"1، ولا غرابة في أن يكون اليهود بمكرهم أكبر مستفيد من الأتراك الحكام أنفسهم عن طريق الرشاوى والصفقات المشبوهة معهم، يضيف حمدان خوجة:" **وهكذا فإن اليهود قد ارتبطوا بالأتراك من أجل المصلحة، وقد جمعوا في تلك الظروف أموالا طائلة...هذه هي الكيفية التي جمع بها وبأمثالها أولئك اليهود ثروتهم على حساب جميع سكان الإيالة و قد كانوا يحضون بجميع منافع ذلك الاحتكار، في حين أن التجارة كانت تمنع علينا ولا نستطيع التمتع بما ينتج عنها من منافع**

وبعد شهادة "حمدان خوجة" التي منحتنا صورة عن نظرة كاتب عاصر الفترة العثمانية وعايش اليهود ، نجد أن تلك النظرة لدى المثقف الجزائري لم تتغير مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين"فقد ظهر مثلا مقال في جريدة " الحق" وهي جريدة وطنية صدرت في أواخر القرن الماضي وصف فيه كاتبه "**ما يتعرض له الأهالي التعساء من معاملات اليهود القاسية التي بدلت نعيمهم بؤسا وغناهم فقرا وجعلت منهم غرباء في أوطانهم لا يملكون شيئا.لأن أولئك الجشعين قد فغروا الأفواه لإلتهام كل ما تصل إليه أيديهم...**"2.

كما لم يتأخر "عمر بن قدور" على صفحات الفاروق في كشف اليهود ودسائسهم في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، فقد كتب مقالا كشف فيه إستحواذ اليهود على ثروة المجتمع الجزائري بالمكر والخداع والربا والإختلاس،

1 - حمدان خوجة ، المرآة ، مصدر سابق ،ص120.
2 - محمد بن العابد الجيلالي ،تقويم الأخلاق ، المطبعة الإسلامية ،قسنطينة ، الجزائر ،1927،ص49.

ومؤكدا أن هؤلاء كانوا وراء جميع البلايا التي أصابت المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كما أشار لذلك بقوله :"... **وإن صحت دعواهم بأن المستعمرين أضروا بنا ، فليس ثم من يغريهم بنا إلا ذلك الشعب المستحوذ على مفاتيح الاقتصاد والثروة في بلادنا، وفي بلاد الغير، ألا وهو شعب إسرائيل، أيا معشر المسلمين لم نقع في مصائد التهلكة الحالية إلا بمساعي اليهود أعدائنا بصريح القرآن، لقد اختلسوا منا ثروتنا لأنهم يبغضوننا ومهما تحركوا أو سكنوا إلا وأضروا بمسلم وبمسلمين...**"[1].

ويتعجب بن قدور كيف لبعض الجزائريين أو المسلمين أن يثقوا بعد كل ذلك في اليهود، وإن أول من حذر منهم هو القرآن الكريم :" **فيا للعحب ويا للعجب إن التاريخ يتلو علينا الآيات البينات ويحذرنا من دسائس اليهود ذلك العدو الألد، وعلماؤنا و جهالنا وصناعنا وتجارنا يعاملونه بالأحسن ويشاورونه في أمورهم الشخصية ويفوضون أمورهم إليه، ويتكلمون عليه ولا يعصون له أمرا ،كأن تلك الآية الكريمة وتلك الوصايا المحمدية ونواهي الحادثات التي ألمت بالإسلام لم تجد عند عامة المسلمين إلا أذانا صماء...**"[2]

غير أن "عمر راسم" يُعد بلا شك من أبرز الكتاب والصحفيين الجزائريين ، مع بداية القرن العشرين الذين برعوا في الكتابة بشكل متميز حول قضايا اليهود، بكتابته المتميزة لسلسلة من المقالات تحت عنوان " المسألة اليهودية"[3] ، أبان فيها الرجل عن مستوى عال من الفهم لخطورة اليهود ومخططاتهم في العالم الإسلامي.

لقد حذر عمر راسم عبر جريدة" ذو الفقار"من أساليب اليهود السيئة الرامية إلى إفساد أخلاق الشباب الجزائري فقد جاء في أحد الرسائل التي نشرتها الجريدة لأحد المسلمين الجزائريين: " **إني ما أمر على الشوارع التي يسكنها اليهود إلا وتقطع كبدي حسرة وامتلأ قلبي حزنا مما أراه من سوء خُلق أبناءنا الراكعين الساجدين على ما يؤذيهم ويحط بشرفهم وشرف الدين الذي إنتسبوا إليه ظلما وعدوانا تراهم يدخلون إلى تلك المصائد التي وضعوها لهم أعداء الإنسانية يمتصوا بها دماءهم... ومما شجعهم على هذه الأفعال القبيحة التي أوجبت**

---

1 - عمر بن قدور ،" بين اللين والشدة بأيهما نعمل ؟"، **الفاروق**،ع2، س1 ،الجمعة 29 ربيع الأول 1331 هـ / 07 مارس 1913م، ص 01.
2 - المصدر نفسه
3 - **ذو الفقار** ،" المسألة اليهودية"، العدد 04، س1 ، 04 شعبان 1332 هـ / 28 جوان 1914م ، نقلا عن : مجلة **المنار**، ج4،م17، 27 مارس 1914م

غضب الرب وأصفيائه من خلقه، جعل الموسيقات وآلات الطرب في تلك الحانات...آه على بلادي آه على ديني آه على هؤلاء الغافلين..."[1]

وبقي عمر راسم يحذر الجزائريين بإستمرار من طرق اليهود السيئة في إفساد الشباب الجزائري بحيث يستدرجونه إلى التحلل من الأخلاق ويغرونه بالإدمان على الخمر أو القمار وما إلى ذلك :" **أما في الجزائر فإن اليهود وحدهم هم الذين أخذوا يسعون في تشتيت شملنا ونهب أرزاقنا بواسطة وباء الخمر، وقد نالوا مبتغاهم وصرنا لهم أُسارى وعبيدا...**" **بل إنه يصرح بخطر الصهيونية منذ وقت مبكر حتى قبل إعلان وعد بلفور، وينبه العرب لهذا الخطر الذي لا يضر بالفلسطينيين وحدهم وإنما يضر بالعرب أجمعين حين يقول :" بأن التفاهم مع الصهيونية مستحيل لأن في ذلك إعترافا بهم وبزعامتهم. والبلاد المقدسة إشتراها أباء العرب بدمائهم...**"[2]

ويبرز لمن يقرأ ما كتبه "عمر راسم" حول هذه القضية أنه كان متابعا لتطوراتها منذ دعوات اليهود لإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين منذ مؤتمر بال(بازل) 1897م ، الذي أوضح خطورته، وخطورة ما يعقده اليهود من إجتماعات تهدف إلى تهويد فلسطين وإسقاط الخلافة،ووصل "عمر راسم" إلى حد إنتقاد التهاون والتسليم بالواقع

1 - "منبر ذو الفقار" ، جريدة **ذو الفقار** ،ع4، س1 ،الأحد 04 شعبان 1332هـ /23 جوان 1914،ص03.
2 - نقلا عن عبد الله ركيبي ، الأوراس...، مرجع سابق ،ص231.

في مجال إمكانية التعامل أو التعايش مع الصهيونية ، فقد رد بعنف على إقتراح "محمد رشيد رضا1" الذي كتب ما يعتبر مجموعة طرق للتعامل مع القضية ، من بينها التفاهم مع اليهود ، فحين كتب رشيد رضا:"...**يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين : إما عقد إتفاق مع الزعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن وإما صرف قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة وأولها تأليف الجمعيات والشركات وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة وإنما هو الكي والكي آخر العلاج..**" رد راسم قائلا :"**هذا خطأ فاحش من صاحب المنار لأنه يريد أن يُرضي الدخلاء بتنازل أهل البلاد إليهم حتى يعترفوا لهم بالمساواة... إن إتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل لأنه إعتراف بزعامة اليهود ورضى بمشاركة هؤلاء الأجانب في بلاد اشتراها آباؤهم بدمائهم الطاهرة، فلا يحق لغير العرب وهم أبناء إبراهيم** "2.

1- هوالشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن شمس الدين بن بهاء الدين القلموني، الحسيني. يرجع نسبه الى آل البيت.ولد في 27 / 5 / 1282هـ في بلدة القلمون جنوب طرابلس الشام. بدأ طلب العلم بحفظ القرآن والخط والحساب. ثم درس في مدرسة " الرشدية "، وكان التعليم فيها بالتركية. ولكن ما لبث أن تركها بعد سنة ليلتحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية التي أسسها، ويدرّس فيها، شيخه حسين الجسر، فدرس فيها سبع سنوات، أثرت وغيّرت في مجرى حياته. وبدأت مرحلة تصوّفه.

وبعد رحلةٍ طويلة في التصوّف، راحت تصله أعداد من مجلة " العروة الوثقى"، ومقالات العلماء والأدباء، فتأثر بالأفغاني ومحمد عبده. والأخير أصبح شيخه الذي حرّك عقله وفكره لنبذ البدع، والجمع بين العلوم الدينية والعصرية، والسعي لتمكين الأمّة. لا سيما بعد أن التقى بالشيخ محمد عبده بطرابلس. وقد جاء لزيارتها مرتين بدعوةٍ من علمائها في أثناء إقامته ببيروت منفيّاً بعد ثورة أحمد عرابي. وكذلك فإن الشيخ رشيد تبادل الرسائل مع الشيخ جمال الدين الأفغاني عندما كان موجوداً في الآستانة في ما يشبه الإقامة الجبرية. ومن الإثنين معاً، الأفغاني وعبده، وصلته النفحات القومية العروبية، وضرورة مواجهة التتريك والتفرّنج في آنٍ معاً.

كانت هذه الإرهاصات الثورية كافية لكي ينزل الشيخ رشيد الى ساحات العمل المباشر، متخذاً من بلدته القلمون، ثم من طرابلس، ميداناً لنشاط مضاد للصوفيين ومفاهيمهم وفرقهم، وذلك في وقتٍ كانت الفرق الصوفية، المدعومة من أبي الهدي الصيادي في الآستانة، تتمتّع بنفوذ شعبي واسع، وتهيمن على البيئة الشعبية بشكلٍ شبه مطلق. حتى لقد كان عدد أعضاء الفرق الصوفية بطرابلس في تلك الفترة، موازياً تقريباً لعدد الرجال القاطنين فيها، وفق إحصاء التميمي وبهجت في كتابهما " ولاية بيروت."

اصطدم رضا برجالات التصوّف وبدعهم، والممارسات المتعارضة مع الفقه والسنّة النبوية في الأذكار وقراءة الموالد، وغيرها... متجاوزاً نصيحة شيخه الجسر بالتأني والتريّث، لأن في التصوّف إيجابيات وسلبيات، كما قال له. ولكن الشيخ رشيد لم يأبه، واستمرَّ في حربه على البدع والخرافات والضلالات كما وصفها، الأمر الذي ألّب عليه الشارع، وأوغر بعضهم صدر الولاة والمسؤولين المحليين عليه، فراحوا يترصّدونه لاعتقاله.

وإذ هو متلّهف للقاء الإمام محمد عبده، فإنه يمّم شطر مصر، فوصلها في رجب عام 1315هـ / 1897م. وتتلّمذ على يديه، وكان أول عمل قام به أن استأذن شيخه في إصدار مجلّة " المنار " لبثّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. وقد ظهر العدد الأول من المنار في 15 آذار / مارس عام 1898م. ثم إنه التحق بالأزهر الشريف لإكمال دراساته. وكان من بين أساتذته فيه الأديب والعالم الكبير محمد حسين المرصفي.

أدرك رشيد رضا أبعاد هذه المؤامرات في وقت مبكر، فكتب المقالات والدراسات التي تغرس الوعي في نفوس الحكّام العرب والشعب العربي، ومنها بحث تاريخي عن الجذور التاريخية للحركة الصهيونية وأهدافها وأطماعها في فلسطين بمساندة الاستعمار الغربي، ومنها أيضاً مقالة هامة بعنوان: " ويل للعرب من شر قد اقترب ". وفيها ينبّه من خطر اليهود والحركة الصهيونية على الوطن العربي مستقبلاً، بالإضافة الى إصدار فتوى يحرم فيها بيع الأراضي لليهود في فلسطين. فيكون بذلك من أوائل من أطلقوا صيحات الحرية والجهاد والوحدة. وبقي هذا دأبه الى أن وافته المنية في القاهرة عام 1935م. أنظر : شكيب أرسلان، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة (د ط) دار الفضيلة، القاهرة، 2000، صص 24-30.

2 - أنظر: **الفاروق** ،7مارس 1913م ، ص2.

ومع هذا كله فإن الجزائريين لم يعادوا اليهود ولم تظهر بينهم تلك الدعوة التي ترفض السامية، ولم ينطلق كتابهم من عاطفة وطنية أو قومية أو دينية ، بل أن دعوة " اللاسامية"1، إنتشرت بين الفرنسيين منذ القرن الماضي بحيث ظهر تيار في الصحافة الفرنسية يهاجم اليهود ويستعدي عليهم السلطة وقد تزعم هذه الحركة المعمرون الفرنسيون أنفسهم (الكولون) فغذوا العداوة ضد اليهود بصورة عنيفة"2 لقد عايش الجزائريون بتسامحهم المعروف اليهود لقرون عديدة لكنهم لم يجنوا من وراء ذلك سوى الظلم والخراب.

---

1 - اللاسامية : كان أول من أطلق عبارة اللاسامية أو العداء للسامية أو ضد السامية (antisemitism) هو الصحافي الألماني ويلهلم مار Wilhelm) Marr) ليعني بها كره اليهود والحقد عليهم ومناصبتهم العداء . فبعدما نشر هذا الصحافي العام م1879 ، كتيباً بعنوان "انتصار اليهودية على الجرمانية ، من زاوية نظر غير مذهبية " أنشأ في العام نفسه "رابطة المعادين للسامية " ثم أطلق مجلة أسبوعية حملت إسم": الأسبوعية المعادية للسامية

أصل الكلمة هو سام بن نوح ، جد ابراهيم الذي أنجب اسماعيل من خادمته هاجر ، واسحق من زوجته سارة . ومن ولده إسماعيل تحدر العرب ، ومن ولده الثاني تحدر العبرانيون أو اليهود . لكن علماء اللغات متفقون وذلك منذ زمن سابق على رأي ويلهلم مار ، أن ثمة أصلاً مشتركاً للغات العربية والآرامية والعبرية والسريانية والجيزية .... بيد أن هؤلاء العلماء و تأثراً منهم بحكايات التوراة ، أطلقوا على جملة تلك اللغات اسماً واحداً هو "اللغات السامية. "

هكذا ارتكب ويلهلم مار خطأً مزدوجاً ، باعتماده كلمة "سامية" ، ليبني منها عبارة "العداء للسامية " ويعني بها العداء لليهود ، ولليهود وحدهم : أولاً لأنه يستخدم عبارة ذات دلالة ألسنية (اللغات السامية) للدلالة على معنى عرقي ، وثانياً لأنه يقصر استخدام اللغة السامية على العبرانيين أو اليهود وحدهم دون العرب وسواهم من الشعوب السامية الأخرى ، ومن هنا السؤال : هل يجوز أن نسمي العرب الذين يكرهون اليهود بأنهم "لاساميون " ؟ العداء لليهود قديم في التاريخ ولم يدخل العرب دائرة العداء لليهود إلا في مرحلة متأخرة من التاريخ الحديث (منذ بدء تنفيذ اليهود مشروعهم السياسي/الدموي القائم على اغتصاب الأرض العربية :فلسطين وجوارها) .كانت شعوب روما والإغريق تعادي اليهود ، منذ ما قبل ظهور المسيحية التي لم تخترع مشاعر العداء لليهود.

في العصور الوسطى، كانت الكنيسة تصف اليهود ب "شعب سفاح " لأنهم صلبوا السيد المسيح وعوضاً عن أن تناصبهم العداء، كانت ترغب فيالحفاظ عليهم ، بوصفهم الشاهد الحي للظلم الذي لحق بالسيد المسيح . فكان اليهود بذلك أتباع الدين الوحيد ، غير المسيحي ، المسموح له في الغرب فيالعصور الوسطى ، أصبح معظم اليهود يعملون في قطاع المال والمصارف ، مستفيدين مما كانت تعظ به الكنيسة رعاياها المسيحيين ، لدوافع أخلاقية ، كتفادي التعامل بالربا وأرباح التجارة المفرطة . فكانت هذه الوظائف التي احتكرها اليهود تحديداً، سبب الحقد الذي كان يكنه المسيحيون الدائنون لمدينيهم اليهود .

في أواخر القرون الوسطى وصلت العلاقات بين المسيحيين واليهود إلى أسوءها .ففي القرن الثالث عشر حينما بدأت المدن البورجوازية تنمو ، جوبه اليهود بمنعهم من التعاطي بالمهن العسكرية والزراعية ، فوجدوا أنفسهم ملزمين بالأعمال الحرفية والتجارية . فاغتنم الملوك هذه الفرصة ليغتنوا على حساب اليهود ، فقد أصدر ملك فرنسا فيليب أوغست ، العام 1181، قراراً يقضي بعتق كل يهودي يدفع 15 ألف مارك ذهب . وفي العام التالي أصدر قراراً بطردهم جميعاً ، ومصادرة جميع أملاكهم ، ثم في العام 1198 سمح لهم بالعودة مقابل مبالغ مالية جديدة.

في العام 1242 ، نقل اليهودي الذي تحول إلى المسيحية نقولا دونين ، إلى البابا أن التلمود ، كتاب اليهود المقدس ، يتضمن ذماً وقدحاً بالسيد المسيح ، فنشأ جدال واسع بين حاخامات اليهود وبطاركة المسيحية ، قرر على أثره ، الملك لويس التاسع إحراق المخطوطات العبرية بأكملها ، فبلغ مجموع الكتب والكتابات التي أحرقت في ساحة باريس "حمل 24 عربة ضخمة. "

في إسبانيا ، انصب العنف على اليهود ، منذ العام 1391. فبعدما طرد ملوك قشتالة وأراغون آخر أمير مسلم من الأندلس ، طردوا منها أيضاً 200 ألف يهودي كانوا يلوذون بحمى العرب والمسلمين في إسبانيا، أنظر : ماجد الأيوبي، " تعريف اللاسامية " على الرابط :
http://www.jammoul.net/forum/showthread.php?9376-%CA%DA%D1%ED%DD-%C7%E1%E1%C7%D3%C7%E3%ED%C9، تاريخ الدخول ، 04-08-2015/ على الساعة 16:08

2 - عبد الله ركيبي ، الأوراس ...، المرجع السابق ،ص 228.

ومن الجيل الذي تلى هذا الرعيل الأول مباشرة نجد الشيخ "محمد سعيد الزاهري" يُنبه مبكرا لمخططات الصهيونية في مقالات متعددة فهاهو يقول :" **إني والحمد لله أول مسلم كتب بحرية عن المسألة الصهيونية، ولم أخن ديني وضميري لأُرضي عليَ جماعة اللصوص ، عار الإنسانية اليهود...الذين تسببوا في كل أضرارنا منذ بعث الله خير الخلق بأكمل دين لتحرير البشر وهم الذين ألقو العداوة والبغضاء بين الجنس الإنساني وقد أوقدوا نار الحروب ليتولوا ويتسلطنوا ولم يسبقني في هذا إلا الشيخ عمر راسم**...."[1]، لقد تتبع الزاهري نشاط اليهود الحثيث لبناء وطن قومي لهم في فلسطين، ف "**إستنكر حلول محامي يهودي في الجزائر ، إسمه" ناطان لابيرن" وهو مفوض لجمعية يهودية تدعى " كيرن هايسود" ليحُث يهود الجزائر على التبرع لقضيتهم ،وقد ألقى محاضرة أمام المحتفين به حرض فيها يهود الجزائر على تعظيم دين أجدادهم وتعظيم جنسيتهم بإعانة الدولة الناشئة في فلسطين**.."[2]

وقد أوضح الزاهري مدى الخطر الذي تمثله الصهيونية بكونها إستعمارا مقنعا وندد بنشاط اليهود في الجزائر فاعتبر "**الأموال التي يجمعها اليهود في الجزائر بأنها أموال الجزائريين أُختلست منهم بطرق متعددة ، على رأسها الربا. وهذه الأموال ستتحول في نهاية الأمر إلى سلاح يُرفع في وجه العربي المسلم في فلسطين**"[3] وهذا الموقف المندد والشاجب لهذه الأعمال يدل على وعي الزاهري بالقضية الفلسطينة مبكرا ، وقد إستمر في متابعته لها والنضال من أجلها طيلة فترة الثلاثينيات، عبر كتاباته المختلفة[4]أو عمله من خلال بعض الهيئات الداعمة للقضية الفلسطينية.

4 – هـ :المساهمة في دعاية الجامعة الإسلامية :

لم يكن حماس النخبة الجزائرية في دعمها الدولة العثمانية من خارج الجزائر أقل منه حدة عما ذكرناه في داخلها فقد جاءت التطورات و الأحداث المتسارعة في منطقة المغرب العربي بشكل خاص لترفع من وتيرة نشاط تلك النخبة الموجودة قصرا أو إختيارا خارج الجزائر فهاهم قادة"حركة الشبان" في تونس يُطردون ويُنفون إثر حوادث مقبرة الزلاج

---

1 - الراصد ،"إلى أين تذهب أموالنا ؟"،**البرق**، ع15،س1،20جوان 1927م،ص1.
2 - المصدر نفسه.
3 - نفسه.
4 - أنظر على سبيل المثال مقاله :" فضائع الصهيونية في فلسطين"،**الإصلاح** ،(ع9)،(س3)،12 ديسمبر 1929م،ص2.، وكذلك :" إنجلترا وفرنسا في الشرق العربي "، **الوفاق** ،ع1،(س1)،23مارس 1938م ،ص1وكذلك :" تهريب اليهود إلى فلسطين من بلاد المغرب العربي"،**المغرب العربي** ،ع1،(س1)،18جوان 1947م،ص4. وكذلك :" بين العرب واليهود الصهيونيين"، **السنة** ،ع3،(س1)،24أفريل ،1933،صص 5-6

(1911م) و من بينهم أفراد من النخبة الجزائرية في تونس و ها هو الإحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب يفتح جراح الجزائريين من جديد، وتدخل فرنسا في المغرب الأقصى بعد مؤتمر الجزيرة(1906م) الذي سيتحول إلى فرض للحماية سنة (1912م) كل ذلك سيعمق من شعور الجزائريين بأن الكارثة التي بدأت سنة (1830م) ما هي إلا كرة ثلج تزداد كبرا مع مرور السنين، وكل هذا سيجعل من هذه النخبة الجزائرية في الخارج مشرقا ومغربا تتقدم جبهات النضال بكل أدواته السياسية والفكرية وحتى المسلحة ،كما حدث في طرابلس الغرب مثلا، ولم يغب عن الجزائريين في هذا الواقع الأليم مدى خطورة التفكك على النضال العربي والإسلامي و هو ما يؤكد أهمية التضامن والإتحاد بين رجالات المغرب العربي أولا ومع دولة الخلافة ثانيا التي ستضمن وجود غطاء شرعي وسياسي وحتى مادي لهذه الجهود.

ولذلك عمد المهاجرون من بلدان المغرب العربي لاسيما الجزائريون والتونسيون إلى تأسيس العديد من الجمعيات لتكون بمثابة أُطر لتوحيد هذا النضال وتنظيمه بعيدا عن العمل الفردي أو غير المنظم و لذلك تم إنشاء "الجمعية الخيرية الإسلامية"1 التي تبنت إنشغالات المهاجرين المغاربة وعملت على تحسين وتنظيم أوضاعهم،وقد كان الشيخان "صالح الشريف"2 و"إسماعيل الصفائحي"3 من أبرز المؤسسين لها ، إضافة إلى رئيسها "محمود شوكت باشا" و قد كان المقر الرئيسي لهذه الجمعية في إسطمبول في شارع باب علي، وكانت مرتبطة هاتفيا بوزارة الداخلية والشؤون الخارجية للباب العالي، الذي كان يُقدم لهادعما سنويا يقدر ب(5.600.000 ليرة) وفي حالة الضرورة تضاعف الدعم باللجوء إلى حسابات سرية، وقد إستخدمت هذه الأموال في كتابة المناشير وتوزيعها ونشر الصحف ذات المواضيع الدعائية والتي كانت تُطبع في المطابع الحكومية، وقد كلفت بها أثناء الحرب مطابع خاصة4.

---

1 - هذه هي التسمية التي إستعملها بيار باردان،بينما وردت في كتابات أخرى تحت إسم "جمعية الأخوة بين الجزائريين والتونسيين"،أما بالنسبة لتاريخ تأسيسها فيذكر التليلي العجيلي،سنة 1915م، أنظر :التليلي العجيلي ، صدى حركة ،مرجع سابق ،ص204.

2 - - صالح بن الشيخ محمد المختار بن الشيخ محمد العربي الشريف ولد في تونس سنة 1868من أبوين جزائريين، هاجرجده الأعلى من منطقة بجاية، إلى تونس ثلاثين عاما قبل ذلك، ولقد كان جده ووالده كليهما من المشايخ بالزيتونة، إشتهر جده الأدنى بأنه من أعيان المدرسين بجامع الزيتونة وأحد الخمسة عشر المرموقين والمرسمين في المذهب المالكي، أما والده الشيخ محمد المختار فكان أحد العدول المشهورين الرسميين بالمستشفى الصادقي لضبط أمواله وأوقافه لمدة أربعين سنة ، حصل صالح الشريف على شهادة التطويع سنة 1886 ولم يبلغ عشرين سنة، وأصبح مطبقا من الدرجة الأولى سنة 1893،توفي بسويسرا سنة 1920، للمزيد انظر : أبو القاسم محمد كرو، أعلام منسيون،دار المغرب العربي ، تونس،1998، ص ص ،122-126.

3 - الشيخ إسماعيل الصفائحي(1862-1920م)، من شيوخ الزيتونة ، تولى القضاء الحنفي بالعاصمة تونس، أنظر : محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين،(ج3)،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1984،صص 233-235.

4 - التليلي، صدى حركة...،مرجع سابق ،ص202

لقد أصدرت الجمعية المذكورة جريدة " عالم الإسلام"(Djihan Islam) الناطقة بعدة لغات كالتركية والفارسية والهندية فضلا عن العربية، وقد دأبت على حض المسلمين على دفع الضرائب، وبداية من (1911م)أصبحت ألمانيا تشارك في عملية التمويل التي بلغت(10.000.000 ليرة) مما جعل الدعاية تجمع مابين الدعاية للجامعة الإسلامية والعمل على مقاطعة البضائع الفرنسية لصالح التجارة الألمانية1.

وفي نفس الوقت كان يتم بشكل واسع وسري إدماج مهاجري شمال إفريقيا، داخل المدارس العسكرية العثمانية في إسطمبول وبورسة بمساعدة هذه الجمعية وجهود "الشيخ صالح الشريف".

ورغم أن هذه الجمعية كانت في ظاهرها مستقلة ، لكنها في الحقيقة كانت تحت وصاية الحكومتين التركية والألمانية في ظل تمويهما لها والتسهيلات التي كانت تمنح للمهاجرين المتصلين بها، هذا ولم تخف السلطات الفرنسية تخوفها من مثل هذه الجمعيات كثيرا ،واتهمتها بالعمل ضد الوجود الفرنسي في بلدان المغرب العربي ،كما اعتبرتها حركة سياسية دينية تدل كثير من العلامات على تخفيها وراء مشروع "الجامعة الإسلامية" لاسيما وأنها كانت تدعو الجزائريين والتونسيين للهجرة إلى بلاد الشام،بل وتتكفل بنقل المهاجرين المغاربة مجانا من بيروت إلى دمشق وتوزع عليهم سكنات مجانا أُعدت سلفا لهذا الغرض،وكان يوزع عليهم الخبز مجانا يوميا في البداية بحسب عدد أفراد العائلة الواحدة2 وهذا ما زاد من استهداف السلطات الاستعمارية للنخبة الجزائرية في كل مكان إدراكا لدورها الطلائعي ، ضمن هذه الجمعيات .

وليس من الغريب أن تستثمر الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا هذا النوع من النشاط قبيل وخلال الحرب العالمية الأولى بتشجيع أو نشر عدد من الصحف و النشريات والكتيبات ذات الطابع الدعائى ضد فرنسا وحلفاءها بدعم فكرة "الجهاد المقدس" ودفع الشعوب العربية الإسلامية للثورة ضد الهيمنة الاستعمارية، وهنا تبرز شخصية "صالح الشريف" كواحد من أبرز الوطنيين المغاربة ذوي الأصول الجزائرية، نشاطا في مجال الدعاية وتحريض الأسرى والمجندين المسلمين في جيوش الحلفاء وحثهم على الحرب واللجوء إلى الألمان3 فبعد أن هاجر "صالح الشريف" إلى إسطمبول سنة(1900م) قابل وزير الحربية العثمانية الذي إصطحبه إلى ليبيا حيث كان الوزير "أنور باشا" يبذل جهده لتنظيم

---

1 - التليلي، صدى حركة...،مرجع سابق ،ص202.

2- Bardin, Algeriens et…,Op-cit,p170-171.

3 - آنده ورنير ،"الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"،**الأصالة**،س6،ع52،ديسمبر 1977،ص58.

المقاومة ضد الغزو الإيطالي عام (1911م)، حيث عُين "صالح الشريف" بوزارة الحربية التركية كمترجم ومستشار ويقال أن أول من أعلن الحرب المقدسة في العصر هو "صالح الشريف" ،لقد كان العمل المشترك الذي قام به كل من "صالح" و"أنور باشا" في ليبيا قد قوى العلاقة بينهما ليصبح "صالح الشريف" بعد ذلك مستشارا مقربا لوزير الحربية في(الإمبراطورية) العثمانية أنور باشا1.

وقد كان لصالح الشريف علاقة قوية بدمشق أيضا ،إذ أنه كان شخصية موثوقا فيها لدى "الأمير عبد القادر الجزائري" الذي كان مهاجرا في دمشق بعد طرده من شمال إفريقيا، وهذه العلاقة مع أسرة عبد القادر الجزائري هي التي أتت به إلى برلين، فقد كان "صالح الشريف" في صحبة واحد من الأسرة هو" علي باشا" الذي وجهت إليه الدعوة لزيارة ألمانيا.2

وإنطلاقا من كونه أبرز الجزائريين الذين نشطوا بقوة في مجال الدعاية لحركة الجامعة الإسلامية والتضامن مع الدولة العثمانية فسنتعرض بشكل أكثر توسعا لنشاط هذا الرجل ، حيث إنقسم نشاط "صالح الشريف" إلى عدة مجالات وهي :

- **نشاطه في جبهات القتال** : بعد وصوله إلى برلين بأيام ذهب لجبهات القتال، لا سيما الغربية منها واتصل بالجنود المسلمين لحثهم على الإنتقال من الجيش الفرنسي إلى الجيش الألماني،ووصل به الحد إلى الذهاب إلى الخطوط الأمامية للقتال في مواجهة الجنود المسلمين وألقى خطبة باللغة العربية تحدث فيها عن الجهاد ولقد كان منظرا مثيرا للدهشة أن يظهر شيخ كبير السن بقفطانه في جبهة القتال ويلقي خطبة باللغة العربية الفصحى، وكلما برز الشيخ بقامته حاول مرافقوه أن يجذبوه إلى أسفل، حتى لا تؤدي شجاعته إلى قتله من جانب الفرنسيين، ولقد أُستقبل "صالح الشريف" من كل قادة المواقع على الجبهة الألمانية وتحدث مع الأسرى المسلمين.3

- **كتابة البيانات والمناشير:** ألف "صالح الشريف" مجموعة من الكراريس تمحورت حول الإسلام والحرب منها :

---

1 - بيتر هاينه ،"صالح الشريف التونسي،قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى "، **حوليات الجامعة التونسية** ، ع24، كلية الأداب والعلوم الانسانية، تونس،1985،ص102-103.

2 - المرجع نفسه،ص103.

3 - بيتر هاينه ،المرجع سابق ،ص105.

"شرح دسائس الفرنسيين ضد الإسلام وخليفته" وهو كتيب من الحجم الصغير في (20صفحة) إستخدم فيها "صالح الشريف"الحجج العقلية و النقلية لتفنيد المقال الذي نشرته جريدة « Le Matin"بتاريخ (10نوفمبر 1915م) وفيه ركز على ضرورة دعم الدولة العثمانية وتأييد الخلافة والإمتثال لأوامر الخليفة "محمد رشاد الخامس".

وألف أيضا"كتاب مفتوح ل"مولاي يوسف" سلطان المغرب" وفيه ذكره بشرف نسبه وأفضال أجداده في الذود عن بيضة الإسلام،وإقترح عليه الثورة وطرد "الجنرال ليوتي" من البلاد.

أما"بيان توحش فرنسا في القطر التونسي والجزائري"[1] فقد ألفه مع "إسماعيل الصفائحي"،يتكون من (21صفحة)وهو مقسم إلى قسمين تناول في القسم الأول مساوئ الإستعمار الفرنسي والبريطاني وأثره في إفقار الشعوب التي استعمرتها،أما القسم الثاني فتم فيه التعريف بموقع تونس والجزائر جغرافيا ونبذة عن تاريخهما منذ الإحتلال الفرنسي سنة (1830م)[2].

ومما ألف أيضا"إرشاد العباد إلى حقيقة الجهاد" فقد ألفه سنة (1914م) وتُرجم إلى الألمانية سنة (1915م) وإلى الفرنسية سنة(1916م) خصصه لتحديد مفهوم الجهاد والأطراف المستهدفة منه،حيث إعتبر الجهاد مواجهة للقوة المعادية للمسلمين أو الدولة العثمانية،وبالتالي فهو ليس موجه ضد المسيحيين ولكنه موجه ضد روسيا وإنجلترا وفرنسا.[3]

أما"الجهاد فريضة مقدسة" فقد طبع بإسطمبول منذ (نوفمبر 1914م) في خمسين ألف نسخة، ذكر فيه بالماضي التليد الذي كان عليه المسلمون داعيا إياهم للتعاون وتجسيد معنى الأخوة الإسلامية وتدارك الواقع السيئ من خلال العودة إلى الجهاد كخيار واحد ووحيد لتحرير المسلمين[4]. ويبدو أن النشاط الذي كان يمارسه "صالح الشريف" قد أثار حفيظة وتخوف الإدارة الاستعمارية الفرنسية،ولذلك إعتبرته وزارة الخارجية الفرنسية الأكثر خطورة من حيث تحركه لصالح الألمان والأتراك،بل وصلت الرغبة في تشويه صورة الرجل إلى حد أن يُتهم بالشذوذ الجنسي وإختلاس

---

1 - أنظر الملحق (رقم 2).

2 - الحفناوي عمايرية،"صالح الشريف 1869-1920 نضاله ومواقفه أثناء الحرب العالمية الأولى" ،**روافد**،مجلة يصدرها المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بجامعة منوبة،تونس، اع04، 1998،ص228-230

3 - العجيلي، المرجع السابق ،ص262.

4 - نفسه ،ص259-262.

أموال الصليب الأحمر بالإشتراك مع "علي باش حانبه1"2ولم تكتف سلطة الإحتلال بذلك بل إنها دفعت الباي في تونس إلى إصدار أوامر بحجز أملاكه رفقة "محمد باش حامبه" و"إسماعيل الصفائحي" و"الطيب جملو".3

ولم يكن إصدار النشريات والبيانات هو النشاط الوحيد الذي ميز نشاط "صالح الشريف" فقط ،فقد تعددت مجالات عمله وتنوعت ،حيث تحرك في جبهات القتال من خلال الإتصال بالجنود المسلمين وحثهم على الإنتقال إلى الجيش الألماني،بالإضافة إلى كتابة البيانات وإلقائها على خط جبهة القتال التي يوجد بها الجنود المغاربة مركزا على ماضي الإحتلال الفرنسي للمنطقة وما ترتب عنه من أثار وخيمة،وعلى ضرورة الجهاد ضد فرنسا وإنجلترا وروسيا.وفي السياق ذاته قام بدعاية في معسكر الهلال وزيارة الجنود المسلمين وتحريضهم على القتال ضد الفرنسيين بل و ساهم في أصدار مجلة للأسرى المسلمين داخل المعسكر، بإسم" الجهاد"كما لعب دورا مهما في تحسين صورة العالم الإسلامي لدى الرأي العام الألماني فيما يتعلق بمفهوم الجهاد وحدوده وطالب بضرورة إقامة علاقات قوية بين الإمبراطورية الألمانية والدولة العثمانية وبتعليم اللغة التركية واللغة العربية في المدارس الألمانية.4

ولم يتأخر "صالح الشريف" في دعم الدولة العثمانية بالفتاوى الشرعية المختلفة، التي تدعو المسلمين للقتال في صفوفها بإعتباره فرض عين على كل مسلم يدين بالولاء لخليفة المسلمين، كما أصدر فتوى يحث فيها المسلمين على دفع أموال زكاتهم لدعم المجهود الحربي العثماني5

وقد كانت المخابرات الفرنسية تتابع باهتمام كبير قضية تحرك المهاجرين النشطين في الخارج وكثيرا ما تحدثت قُبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى عن تورط دبلوماسي ألماني في دعم هذه النشاطات، بإدعائها أن ألمانيا أرسلت عن طريق دبلوماسييها إلى المغرب مثلا حوالي أحد عشر كُتيباً ،في شكل عمل أدبي – إسلامي باللغات العربية والتركية

1 - علي باش حامبه (1875-1918) من مواليد تونس درس بالصادقية ثم بباريس حصل على شهادة ليسانس في الحقوق مارس مهنة المحاماة بتونس .أنشا مع عبد العزيز الثعالبي جريدة التونسي في 1907م نفي إلى إسطمبول سنة 1912م تولى عدة مناصب بالدولة العثمانية توفي سنة 1918 كان من أدعاة الجامعة الإسلامية:أنظر محمد بوذينة ،مشاهير التونسيين ،ط2 تونس،ص433.

2 - Daniel,Goldestein,"Libération ou annexion:aux chemins croisés de l'histoireTunisienne(1914-1922) ", Maison Tunisienne de l’Edition, Tunis, ,september1978,p266.

3 - الساحلي ،نشاط الوطنيين التونسيين...، مرجع سابق ،190

4 -هاينه بيتر،صالح الشريف قومي ...، مرجع سابق،ص105-107.

5 - أنظر الملحق (رقم3)

والفارسية والهندية،ليتم توزيعها في البلاد الإسلامية ،ودفعة ثانية من الكتب كانت بعنوان" الحقيقة في موضوع الجهاد" وكان "صالح الشريف" هو من كتبها وترجمها للغة العربية،وكانت على نفقة "الجمعية الإسلامية– الألمانية"1.

– **دعايته في معسكر الهلال:** كما سبق ذكره، زار "صالح الشريف" معسكر الهلال للأسرى المسلمين، الذي كان به حوالي ثمانئة مسلم، حيث بدأ في تحريض الجنود الأسرى على القتال ضد الفرنسيين، ولقد كان "صالح الشريف" متفوقا في دعايته ، حتى أن "الرائد نادولني (Nadolny)" مسؤول القسم السياسي بقيادة الأركان الألمانية فضله على كل القائمين بالدعاية في هذا المعسكر.

– **التعريف بقضايا العالم الإسلامي لدى الرأي العالم الألماني** : إستقبلت قطاعات عديدة من الرأي العام الألماني إعلان الجهاد بآراء متضاربة، فمن جانب رحب الرأي العام الألماني بدخول (الإمبراطورية) العثمانية في الحرب لصالح ألمانيا، ومن جانب أخر كان هناك تخوف من أنه في حالة هزيمة الحلفاء وإنتصار ألمانيا و(الإمبراطورية)العثمانية، فإن العثمانيين ربما لا يتوقفون عند هذا الإنتصار وإنما سيجد الألمان ملايين المسلمين قد إقتحموا أوروبا. و لمواجهة هذا التخوف قام مكتب المعلومات بنشر الكتيب السابق الذكر عن "الحرب المقدسة" ولقد قُوبل هذا الكتاب بترحاب كبير من الرأي العام الألماني.وتم إرسال نسخة منه إلى قيصر ألمانيا ، الذي وجه الشكر ل"صالح الشريف".

كما نجحت جهود "صالح الشريف" في إزالة كثير من الأوهام والأحكام الخاطئة عن العالم الإسلامي لدى الرأي العام الألماني.ولذلك كانت كثيرا ما توجه له دعوات يتقابل فيها مع كثير من السياسيين الألمان الذين أصبح لهم شأن كبير بعد الحرب مثل "شتريزيمان "(Streseman)، الذي أصبح وزيرا للخارجية ما بعد الحرب...حتى أن العديد من الصحف الألمانية ذائعة الصيت، كانت تتابع أخباره ونشاطه على مختلف الجبهات وتقوم بنقله إلى قرائها، كما يُترجم بعضها إلى العربية لينشر في صحف تتوجه إلى البلاد العربية،بل إن أحدى المجلات الألمانية وضعت صورته على غلافها وعنوان هذه الصورة"المجاهد الأول لتحرير تونس والجزائر من السيادة الفرنسية"2.

1- Mahmoud,Abdel moula, « Jihad et colonialisme: la Tunisie et la Tripolitaine » : (1914-1918) : de la Guerre Sainte à la Guerre juste, Ed. Tiers-Monde, Tunis,1987,p180.

2 - هاينه بيتر،المرجع السابق،ص 106-107.

- **تكوين لجنة تحرير تونس والجزائر** : ساهم "صالح الشريف" في تأسيس لجنة من مهاجري شمال إفريقيا سماها "لجنة تحرير الجزائر وتونس" وقد أصبح رئيس هذه اللجنة وقام بتنظيم إجتماعات تمت فيها المطالبة بتحرير تونس والجزائر وقد شارك في هذه الإجتماعات كثير من الشخصيات الألمانية الهامة مثل نائب وزير الخارجية الألمانية و رئيس البرلمان الألماني1.

وحتى لا يكون هنالك أي لبس في موقفه من الدولة العثمانية ومطالبه بإستقلال الجزائر وتونس فيجدر القول إن "صالح الشريف" مثله مثل كثير من الداعين إلى وحدة العالم الإسلامي،كان ينظر إلى (الإمبراطورية) العثمانية نظرة وحدوية،لكن في إطار هذه الوحدة كان يرى أنه ينبغي أن يكون لكل قطر طبيعته وهويته السياسية والثقافية. والنموذج الذي كان وراء هذه النظرة هو النظام القائم في الإمبراطورية الألمانية. فرغم وحدة هذه الإمبراطورية تحافظ كل ولاية على شخصيتها ولها إستقلال ما في المجال السياسي و الثقافي2.

وقد إستغل "صالح الشريف" الحرب الطرابلسية– الإيطالية (1911م) لينشط هناك بمساعدة السنوسيين في دعاية وصل صداها للجزائر وتونس من أجل إحياء الشعور بالتضامن مع الدولة العثمانية عن طريق الكتابة في الصحف وتنظيم عملية التطوع في الجهاد الطرابلسي. كما كان لصالح الشريف نشاطات أخرى، فبموازاة نشاطه في معسكرات الأسرى المغاربة بألمانيا وفي أوساط المهاجرين في ولايات الخلافة، كان له نشاط أخر غير عسكري ، وهو مجال السياسة الأوروبية والمؤتمرات الدولية،فعند إنعقاد مؤتمر دولي وهو المؤتمر الثالث للقوميات بجنيف، تقدم إليه الناشطون المغاربة بوثيقة سياسية تكشف ما إرتكبه الإستعمار الفرنسي من فضائع ومن إعتداء على السيادة الوطنية وسلب للحقوق والأراضي ومن تجهيل وقمع وقهر للمواطنين في تونس والجزائر.

وقد حرر الوثيقة باللغة العربية""الشيخ صالح الشريف ووقعها معه الشيخ "إسماعيل الصفائحي" وقام بترجمتها للفرنسية "محمد باش حانبه" وطبعت الوثيقة كرسالة وطنية سياسية تعبر عن هيئة وطنية مغربية سميت ب"جمعية إستقلال تونس والجزائر)3.

1 - هاينه بيتر،المرجع السابق،ص 106-107.
2 - نفسه.
3 - أبو القاسم محمد كرو، أعلام منسيون، مرجع سابق، ص 135.

كان عنوان الوثيقة هو(بيان توحش فرنسا في القطر التونسي الجزائري والإستنجاد إليه) ، وهي تقع في 21 صفحة بالعربية و24 صفحة بالفرنسية، ولا تحمل النشرة العربية تاريخا للطبع أما النشرة الفرنسية فهي مطبوعة بسويسرا عام (1917م).1

ويبدو أن هذا البيان قدمه ممثلوا الجمعية للمؤتمر كوثيقة تدين أعمال فرنسا وتصرفاتها في تونس والجزائر. وتوقيع "صالح الشريف" عليها بوصفه كاتبا لها ثم بوصفه ممثلا ل"جمعية استقلال تونس والجزائر"، ويبدو أن هذه الوثيقة هي غير العريضة المقدمة للمؤتمر نفسه وبإسم الجمعية نفسها، ولكن بتوقيع عدد أخر من المناضلين المغاربة بين تونسيين وجزائريين وهم "صالح الشريف" ، "محمد الخضر حسين"،"محمد مزيان التلمساني"، "محمد بيزار الجزائري"، "محمد الشبيبي التونسي" و"محمد باش حانبه".

وقد نشر هذه العريضة "محمد باش حانبه"، في "مجلة المغرب العربي" التي أصدرها بجنيف عام(1917م) لمواصلة الكفاح الوطني والتعريف بقضية المغرب العربي، والملاحظ هنا أن الجمعية قد طالبت بإستقلال أقطار المغرب العربي المستعمرة، وذلك لأول مرة في تاريخ الكفاح السياسي ضد الإستعمار، كما نلاحظ أن الجمعية قد عبرت عن تونس والجزائر بوصفهما قطرا واحدا وهذا أيضا يُظهر لأول مرة فكرة الوحدة المغربية في الكفاح السياسي2، ونتيجة لهذا النشاط الحثيث إعتبرت السلطات الفرنسية "الشيخ صالح الشريف" بأنه من أخطر الناشطين المغاربة تهديدا لمصالحها " فنتيجة لنشاطه الدعائي الدولي ، إعتبره الكيدورسيه (Quai d'orsay) بأنه الدعائي الأخطر الذي يعمل لصالح الألمان والأتراك".

4 – و :التضامن الجزائري – العثماني من خلال الجمعيات والمنظمات :

شاركت نخبة بارزة من الجزائريين في إنشاء وتنشيط الكثير من المنظمات والجمعيات ذات الصلة بالشأن العثماني، تُعرف بقضايا المغرب العربي والقضية الجزائرية خصوصا و من أبرز تلك الجمعيات نذكر :

جمعية الإتحاد المغربي :(L'Union Maghrébine)تأسست في القاهرة سنة(1910م)ترأسها "محمد شرعي باشا" وكان "الشيخ علي يوسف" صاحب جريدة المؤيد من أعضائها بالإضافة إلى "جميل رفعت" و"عزت الحبيب" و"الشيخ محمد العالم" أما أمين مالها فهو الجزائري "أمين باي المغربي"3 ، ورغم أن أغلب أعضائها كانوا

1 - أبو القاسم محمد كرو، أعلام منسيون، مرجع سابق، ص 135.
2 - نفسه،ص136.
3 - العجيلي ، صدى حركة...، المرجع السابق 'ص 206.

مصريين فإن أهداف الجمعية كانت تنوير المغرب العربي في حالة نشوب حرب بين ألمانيا وفرنسا ولهذا الغرض أرسلت الجمعية مبعوثين إلى منطقة وهران بالجزائر للإتصال بضباط جزائريين كانوا يؤمنون بفكرة الجامعة الإسلامية1. ولعل ذلك ما أشار إليه الوزير الفرنسي المفوض بالقاهرة المدعو "دو فرانس"(De France) ، حيث تعهدت ألمانيا في الإجتماع الذي عقدته في الإسكندرية سنة (1911م) بدفع 600000فرنك لها.

كما ذهبت بعض المصادر الفرنسية إلى إعتبار المدعو "الحاج عبد الله"عضوا في جمعية الإتحاد، وقد كتب على حد قولها في عدة جرائد عربية وتركية ، ومما ذكره"خوالدية صالح" فإن الجمعية المذكورة كانت" جمعية إغاثة وإعانة للتونسيين والجزائريين والمغاربة عموما.."2

جمعية الأشراف (الشرفاء) : قام بتأسيسها الشيخ "محمد المكي بن عزوز"3 سنة(1913م) في المدينة المنورة لخدمة مبادئ الجامعة الإسلامية وعلى إثارة الجنوب الجزائري ضد الفرنسيين، وقد تقرر خلال الإجتماع الذي عقد بالقاهرة، وحضره مغاربة وتونسيون وجزائريون ، منهم القايد السابق لخضر من تلمسان و"محمد بن الزاوي جلول" من قسنطينة إرسال مبعوثين إلى الجزائر والمغرب الأقصى4، ورغم قلة المصادر التي أرخت لهذه الجمعية فإنها سعت إلى تحرير المغرب العربي ومناهضة الاستعمار وخدمة الخلافة الإسلامية ومساعدة المهاجرين المغاربة5.

جمعية الأخوة والمساعدة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين(l'Association fraternelle des Algero- Tunisiens):

---

1 - Bardin, Algeriens et ..,Op.cit,p231.

2 - العجيلي،المرجع سابق ص 206.

3 - محمد المكي بن عزوز : (1854- 1916)، من أعلام الأدب والإصلاح، كان قاضيا وفقيها ، ولد في مدينة نفطة التونسية بعد أن هاجر والده من برج بن عزوز (طولقة)، إلى الجنوب التونسي بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر،إرتحل إلى اسطمبول سنة 1895م ، وهناك أكرم العلماء والولاة نزله حيث عين مدرسا للحديث النبوي الشريف بدار الفنون ثم أستاذا للتفسير فيها كما عين فيما بعد مدرسا في مدرسة الواعظين-إستجاز وأجاز علماء كثيرين من المشرق والمغرب ومن الذين أجازهم في الجزائر العالم التقي محمد بن الحاج محمد الهاملي والعلامة الطاهر العبيدي السوفي التقرتي والفقيه الدراجي بن عبد الله الصولي العقبى والإمام الطاهر دالي على البسكري.
ألف كتبا ورسائل عديدة بعضها طبع في حياته وبعض منها طبع بعد وفاته، ومالم يطبع أكثر من المطبوع.

كما عرف عن الشيخ محمد المكي نضاله ووقوفه في وجه الاستعمار الفرنسي، فكانت مواقفه السياسية واضحة، حيث دعا رحمه الله إلى مقاطعة الإقتصاد الفرنسي في الجزائر، مما جعل السلطات الاستعمارية تصدر أمرا بالقبض عليه وتطارده في الجزائر وتونس مما اضطره إلى الذهاب إلى مدينة ، ومن طرابلس توجه إلى الأستانة عاصمة الخلافة العثمانية فاستقبله فيها نخبة العلماء ومن بين مستقبليه محي الدين ابن 1904طرابلس الغرب سنة الأمير عبد القادر والشيخ محمد ظافر المدني ، أنظر : عبد الحليم صيد ،ديوان البرجي للأديب الشاعر محمد المكي بن عزوز البرجي الطولقي ، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع ، بوسعادة ، الجزائر ، 2009، ص 10-15.

4 - أبو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائرالثقافي، مرجع سابق ،(ج06)،ص603.

5 - محمد بلقاسم ، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،1993،ص37.

تأسست في القسطنطينية سنة(1910م)على يد "صالح الشريف" و"إسماعيل الصفائحي" والفرنسي من أصل بولوني "تادي قازتوفت"(Thadée Gasztowt) ، تمثلت أهدافها في تقديم يد المساعدة للمهاجرين وفي تشجيع التونسيين والجزائريين على الهجرة إلى الدولة العثمانية من خلال الترويج للحقوق والامتيازات المغرية التي سوف يحصلون عليها1، وقد تاسست لهذه الجمعية عدة فروع، من أهمها فرع دمشق الذي كان يضم مجموعة من الجزائريين والتونسيين ومن الشخصيات الجزائرية التي كانت تنشط داخل هذه الجمعية نذكر "الشيخ الحسين" و"محمد بن الصغير" من صدراته، "الدراجي بن الحسين" و"الحاج إسماعيل بن محمد" وكلاهما من قسنطينة، كما كانت تتلقى الدعم من بعض الجزائريين المقيمين في دمشق والمدينة وحتى من الجزائر2، ورغم التوجه الإجتماعي الظاهري للجمعية إلا أنها مثلت وسيلة تأطير ودعاية للجامعة الإسلامية ومما يؤكد على ذلك حضور الجزائريين والتونسيين المقيمين بالقسطنطينية للحفل الذي أقيم بمناسبة وصول المدرعتين" خير الدين بربروس" و"درغوث رايس" اللتين إقتنتهما الدولة العثمانية من ألمانيا سنة(1910م) إلى المياه التركية ، والخطب التي ألقاها المحاضرون وأكدوا فيها على عثمانية الجزائريين والتونسيين

جمعية إستقلال الجزائر وتونس :

تأسست في برلين سنة(1916م) بقيادة الشيخين "صالح الشريف" و"إسماعيل الصفائحي" و"محمد مزيان التلمساني"، إرتبط هدف هذه اللجنة بتحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية ، والدفاع عن قضايا الشعوب المغاربية وتعريف الرأي العام العالمي وخاصة الألماني بحقيقة الوضع السائد في المغرب العربي ، وتفرعت هذه اللجنة عن لجنة تحمل نفس الإسم وأسسها في نفس السنة "علي باش حامبه" بإسطمبول ،ثم ظهرت لجنة فرعية أخرى بجنيف برئاسة "محمد باش حامبه" وقد كانت هذه اللجان كلها تضم أعضاء جزائريين نشطين .وقد إرتبطت نشاطات لجنة إستقلال الجزائر وتونس بمجلة"المغرب" التي أسسها "محمد باش حامبه" في نهاية شهر (ماي 1916م) بجنيف كمنبر لأهالي المغرب العربي. كما إهتمت المجلة بقضايا العالم الإسلامي كثورة "الشريف حسين" ودخول الدولة العثماني الحرب العالمية الأولى.

1 - أحمد خالد ، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، تونس ،2001، ص138.

2 - Bardin, Algeriens et tun,Op.cit ,p230

هكذا يتضح كيف كان دور هذه الجمعيات مهما في نشر وإحتضان فكرة الجامعة الإسلامية والدعوة لها خاصة في الجزء المغربي من البلاد العربية، كما أنها شكلت قاعدة لتوحيد النضال المغاربي ضد المحتل الأوروبي . وقد أبلت النخبة الجزائرية الموجودة ضمنها بلاء حسنا ، فلم تخلو أية جمعية مغاربية من وجودهم وتأثيرهم المباشر.

كما يتضح من خلالها ذلك الحضور القوي للنخبة الجزائرية المحافظة والمتشبعة بالثقافة العربية الإسلامية ، على كافة الأصعدة التي تسعى لخدمة الجامعة الإسلامية تنظيرا وتدبيرا،بين جبهات القتال وساحات النضال الصحفي والقلمي.

هكذا يتضح لنا مما سبق حجم التضامن الجزائري العثماني منذ وصول العثمانيين إلى الجزائر وإلى غاية الإحتلال الفرنسي للجزائر وحتى إعلان سقوط الخلافة سنة (1924م)، وأنه لم يكن بأي حال من الأحوال عرضيا أو ظرفيا فلم يتوانى الجزائريون ونخبتهم وعلماءهم ومصلحيهم بشكل خاص في الدفاع عن الدولة العثمانية داخل الجزائر وخارجها والوقوف معها بل والعمل على إعادة الحكم العثماني للجزائر، عن طريق الثورات ضد الفرنسيين وطلب الدعم من السلاطين العثماني أو عن طريق محاربة فرنسا في جبهات أخرى والتعاون مع أعدائها كما حدث في الحرب العالمية الأولى، دون أن ننسى المجال الصحفي والفكري حيث شحذ العديد من الجزائريين أقلامهم للدفاع عن الدولة العثمانية ومؤسسة الخلافة عبر الصحف والجرائد داخل الجزائر وخارجها.

أما بالنسبة للنخبة المثقفة ثقافة فرنسية فقد كان حضورها في هذا المجال شبه منعدم ،فإنهم إعتبروا العاطفة التركية رابطة روحية غير سياسية، وأنها في كل الحالات لاتلغي ولاءهم لفرنسا .

ولم تخف هذه النخبة المفرنسة الثقافة في العديد من المناسبات خاصة أثناء قيام الحرب العالمية الأولى ، أن تؤكد على إختيار الطرف الذي تقف معه ألا وهو فرنسا ، مزيحة بذلك جانبا العامل الديني والتاريخي و الحضاري لصالح ثقافتها وربما وضعها الإجتماعي الجديد في ظل فرنسا الإستعمارية ، ولو كان في ذلك خروج عن عامة الجزائريين.

كما نسجل بوضوح مدى بعد هذه الأخيرة عن الإهتمام بالتطورات الواقعة خارج الجزائر، فإنها كانت أبعد ما تكون عن التفكير والكتابة وحتى مناقشة القضايا المتعلقة بالوطن العربي والعالم الإسلامي، مما يجعلها أبعد ما تكون عن قضايا التضامن وبشكل أحرى التفكير في عودة الحكم العثماني للجزائر .

الفصل الثاني

النخبة الجزائرية وحركة الجامعة الإسلامية

1- الجامعة الإسلامية – المفاهيم والأصول

2- الجامعة الإسلامية ومراحلها هل للجزائر من نصيب؟

3- معابر الجامعة الإسلامية نحو الجزائر

4- تواصل النخبة الجزائرية مع أقطاب الجامعة الإسلامية.

5- رموز من النخبة الجزائرية في خدمة الجامعة الإسلامية.

6- السياسة الفرنسية في مواجهة الجامعة الإسلامية في الجزائر

2 –1 :الجامعة الاسلامية المفاهيم والأصول:

تمثل فكرة الجامعة الإسلامية مظهرا من مظاهر التوجه نحو الحس الوحدوي لدى الكثير من الشعوب الإسلامية بإختلاف أقطارها وأجناسها إنطلاقا من الإنتماء الإسلامي الجامع لهذه المكونات رغم تباعدها الجغرافي والتاريخي أحيانا،ومنه فإن الوحدة صارت رديفة وملاصقة بالضرورة لفكرة الجمع و الإجتماع والجامعة والرابطة.

وبالنظر في كثير من الأدبيات لدى رموز هذا التيار نلاحظ إعتمادا مكثفا لمصطلحات مثل " الوحدة – الإتحاد– الاعتصام– الإجتماع عند الحديث عن ضرورات الإصلاح في العالم الإسلامي،فهاهو الشيخ" جمال الدين الأفغاني"[1] رائد الفكرة وعقلها المفكر ، يقول في مقال له بعنوان (الوحدة الإسلامية) :" **إن من أدرنة إلى بشاور دول إسلامية متصلة الأراضي متحدة العقيدة يجمعهم القرآن، لا ينقص عددهم عن خمسين مليونا، وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة، أليس لهم أن يتفقوا على الذب والإقدام ، كما إتفق سائر الأمم ولو إتفقوا فليس ذلك ببدع منهم، فالإتفاق من أصول دينهم...أليس لكل واحد أن ينظر لأخيه كما حكم الله في قوله (إنما المؤمنون إخوة) فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب.**"[2]

فالوحدة الإسلامية بالنسبة ل"جمال الدين الأفغاني" ليست فقط فريضة شرعية بل هي ضرورة سياسية لكونها السور المنيع الذي ستتحطم عليه كل الأطماع الغربية.

وهاهو "محمد رشيد رضا"[3] وهو أيضا من أبرز المدافعين عن فكرة الجامعة الإسلامية يقول:"**فهو(أي الله) يوجب علينا أن نجعل إجتماعنا ووحدتنا بكتابه عليه نجتمع و به نتحد لا بجنسيات نتبعها ولا بمتاعب نبتدعها ولا بمواصفات نضعها ولا بسياسات نخترعها، ثم نهانا عن التفرق والإنفصام بعد هذا الإجتماع والإعتصام لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العزة والقوة، وبالعزة يعتز الحق فيعلو في العالمين، وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين وكيد الكائدين.**"[4]

---

[1] - جمال الدين الأفغاني (1839-1897)،أول زعيم من زعماء الحركات الإسلامية الإصلاحية، دعا إلى الوحدة والتعاون بين الزعماء الدينيين والسياسيين، وإلى تضامن الأمة، كما دعا إلى تحرير الفكر الديني من قيود التقليد، من أبرز مؤلفاته: الرد على الدهريين- تتمة البيان في تاريخ الأفغان...، أنظر : يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة ،(ج1)، (ط2)المطبعة المخلصية، لبنان ،1961، صص 269-274.

[2] - جمال الدين الأفغاني، الشيخ محمد عبده ، العروة الوثقى ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان،1980،ص112.

[3] - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني ، ولد بتاريخ 23 ديسمبر 1865م، من رواد الإصلاح ودعاة الجامعة الإسلامية ، صاحب مجلة المنار القاهرية ذائعة الصيت، كما له العديد من المؤلفات في التفسير والفقه، توفي سنة 1935م ، أنظر : خير الدين الزركلي، الأعلام ، قاموس تراجم....،(ج5)،(ط2)،مرجع سابق،ص126.

[4] - محمد رشيد رضا، تفسير المنار،(ج4)،(ط2)، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،(د ت)،ص20.

ولا يختلف رواد الإصلاح الجزائريون في ذلك أيضا ، ففي شرحه لأحد الآيات المتعلقة بالإجتماع والإتحاد يقول "عبد الحميد بن باديس"[1] :" **ما أُصيب المسلمون في أعظم ما أصيبوا به، إلا بإهمالهم لأمر الاجتماع ونظامه ، إما بإستبداد أئمتهم وقادتهم و إما بإنتشار جماعتهم بضعف روح الدين فيهم...فعلى أهل العلم أن ينفخوا في المسلمين روح الاجتماع الشوري...**"[2].

أما الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي"[3] فنجده يقول في ذات السياق :" **إن هذا الزمان هو زمن التكتل والإتحاد والتجمع وكأن الأفراد هم الذين تحتم عليهم الحياة أن يتكتلوا ليدفعوا عنهم البلاء الذي لا يستطيع الفرد أن يدفعه وحده...الإسلام دين الإتحاد والوفاق بكل عقائده وعباداته. وآدابه ترمي إلى الوفاق وتربي على الوفاق وتدعو إلى الوفاق...**"[4]

والملاحظ أن هذا الإحساس في أواخر القرن التاسع عشر أخذ بعدا فكريا وإيديولوجيا،جاء كرد فعل على التخلف الحضاري والسياسي والإنحراف العقائدي الذي أصاب العالم الإسلامي ومركزه أي الدولة العثمانية[5] ،كرمز للخلافة الإسلامية نتيجة لقرون من الإنحطاط والإستبداد الداخلي من جهة وتعرض العالم الإسلامي لهجمة إستعمارية عقب التطور الذي شهده العالم الغربي في أعقاب الثورة الصناعية والتي جعلت من العالم الإسلامي عامة والبلاد العربية التابعة للدولة العثمانية بشكل خاص المجال الحيوي لأطماع هذه الدول الإستعمارية الكبرى.

[1] - عبد الحميد بن باديس (1889- 1940م)، مفكر ومصلح ورجل دين جزائري، إرتبط اسمه بتثبيت الهوية الجزائرية العربية المسلمة، مؤسس ورئيس جمعي العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م ورئيسها على غاية وفاته 16 أفريل 1940م، أنظر : عبد الوهاب الكيالي و آخرون ،موسوعة السياسة،(ج3)،(ط2) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1990،ص 810.

[2] - عبد الحميد بن باديس ،" الاجتماع العام للأمر الهام وارتباط الجماعة بأمر الإمام"، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، (ج1)، الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ، 2007،ص221.

[3] - هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر الإبراهيمي، من كبار العلماء ودعاة الإصلاح و من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي ومن العلماء العاملين في الجزائر.وهو رفيق النضال لعبد الحميد ابن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية الجزائرية، ونائبه ثم خليفته في رئاسة جمعية العلماء المسلمين، وكاتب تبنى أفكار تحرير الشعوب العربية من الاستعمار، وتحرير العقول من الجهل والخرافات. ولد في 13 شوال 1306 هـ الموافق 14 جوان عام1889 م في (أولاد ابراهم) حاليا بلدية تابعة لدائرة رأس الوادي - ولاية برج بوعريريج، الجزائر(تنسب إلى قبيلة (ريغه) الشهيرة بأولاد إبراهيم بن يحيى ابن مساهل. أخذ العلم عن الشيخ عبد العزيز الوزير والشيخ محمود الشنقيطي والشيخ حمدان الونيلي والشيخ الطيب بن مبارك الزواوي وغيرهم.

رحل إلى المشرق سنة1911 م، وأقام في المدينة المنورة إلى سنة1917 م ثم في دمشق إلى سنة1921 م. توفي وهو رهن الإقامة الجبرية في منزله، يوم الخميس 20 ماي 1965.، أنظر: مجموعة من أساتذة جامعة منتوري بقسنطينة ،موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2002، الجزء الأول، ص 6.

[4]- محمد البشير الإبراهيمي ،" وحدة الصوم والعيد" ،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،(ج4)،جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،1997،ص82.

[5] - أصبحت الدولة العثمانية في هذه المرحلة توصف بأنها الرجل المريض.

لقد جاءت فكرة الجامعة الإسلامية في واحدة من أخطر المراحل التي مرت بها العلاقات السياسية والإجتماعية القائمة على الدين الإسلامي، فهو من جانب يصور ضعف مركز الدولة العثمانية السياسي والديني تجاه الأطماع الأوروبية، والتيارات الفكرية الغربية التي أخذت تتسلل إلى العقلية الإسلامية.

ومن جانب أخر يصور بداية الدعوات القومية عند العرب والعثمانيين، هذه الدعوات التي أخذت تظهر وتبرز مكان الدعوات الدينية القائمة على الرابطة الإسلامية، وعليه فإن الجامعة الإسلامية لم تكن في حقيقة الأمر برنامجا محددا أو نظرية سياسية واضحة يمكن معالجتها في نقاط محصورة أو موقف معين وإنما كانت تعبر عن التراث الإسلامي العام ودوره في مجابهة الأخطار الداخلية والخارجية المحدقة بالعالم الإسلامي ومركزه الدولة العثمانية.

2-2 :ظهور الجامعة الاسلامية ومراحلها هل للجزائر من نصيب؟

إمتاز القرن التاسع عشر بظهور حركات سياسية، إصطبغ الكثير منها بالطابع القومي، مثل حركة الجامعة الصقلبية في بلاد البلقان، وحركة الجامعة الجرمانية في ألمانيا، وكانت هذه الحركات قد نمت تحت رعاية دول أوروبية لها مصلحة في بعثها ورعايتها[1]

أما عن حركة الجامعة الإسلامية فإنه لا يمكن أن نقرنها بالحركتين الأوليتين من حيث نشأتها وفكرتها، حيث لم تكن الروابط الإسلامية تستند على أسس ثابتة ومنظمة كما هو الحال في حركة الجامعة الصقلبية وحركة الجامعة الجرمانية، بل كانت تقوم أساسا على مجموعة من المشاعر النفسية العميقة بوحدة المصير[2]، ولذلك فإن الحركات الإسلامية التي ظهرت في تلك الفترة لم تكن تمتلك أسلوبا موحدا للإصلاح، بتأثير الظروف العامة المحيطة بكل منها.

ولذلك فإن المفكر الجزائري "مالك بن نبي" يرى بأن الجامعة الإسلامية لم تكن سوى فرع من فروع البعث الإسلامي الذي نشط خلال القرن التاسع عشر، وتتمثل في حركات سلفية تدعو إلى العودة والتمسك بجوهر وأهداب الدين الإسلامي و تعاليمه[3].

ورغم أن فكرة توثيق الروابط الإسلامية، ولدت مع بزوغ فجر الإسلام، وكانت هذه العاطفة تزداد حدة وإلتحاما بتزايد الأزمات التي تطرأ على العالم الإسلامي كحروب الردة والفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية والإستعمار الحديث.

[1] - محمد محمود السروجي، تاريخ أوروبا الدبلوماسي من السبعينيات للقرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى،الاسكندرية ،1965، ص7-8.
[2] - لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 288-319.
[3] - مالك بن نبي ،وجهة العالم الإسلامي، (تر) عبد الصبور شاهين،دار الفكر، دمشق، سوريا ،2002،ص49.

غير أن فكرة الجامعة الإسلامية قد أخذت حيزا كبير من النقاش والطرح الجماهيري على عهد "السلطان عبد الحميد الثاني" منذ (1876م) مع بداية تصديه للإتحاديين وفكرهم الطوراني [1]والذين رأى فيهم تهديدا لوحدة العالم الإسلامي ومركزه الرئيس المتمثل في السلطنة العثمانية،وأن الحل لمواجهة ذلك هو العمل على توطيد أواصر الأخوة بين أبناء وأنحاء العالم الإسلامي فنجده يقول :"**إذا أردنا أن نفوت الفرصة على الإنجليز والروس فإننا نرى فائدة تقارب إسلامي** ."[2]

ومن خلال ذلك نرى أنه إستشعر مدى الخطر المحدق بالدولة العثمانية من أطراف داخلية وخارجية،وأن هناك العديد من القوى الأوروبية تعمل على تشجيع الفكر الانفصالي من داخل وخارج السلطنة،وعليه فإن قوة الدولة العثمانية هي في مدى حفاظها على تماسكها مع بقية العالم الإسلامي،وأن هذه الوحدة ما هي إلا حصيلة لهذا الشعور الإسلامي الذي سماه الجامعة الإسلامية،ويعطي مثلا لذلك ،موقف الإنجليز فيقول :"**إن الانجليز قد أفسدوا عقول المصريين...والمثقفون المصريون أصبحوا من حيث لا يشعرون لعبة في يد الانجليز،وبذلك يهزون اقتدار الدولة الإسلامي**."[3]

وعندما إقترح الانجليز بأن يكون "الشريف حسين" أمير مكة،خليفة للمسلمين ،ذكر السلطان عبد الحميد الثاني،قوة سلاح الخلافة الذي ترتعد منه الدول الأوربية،فهو السلاح القادر على مجابهة القوى المناوئة في الداخل والخارج.

وهذا ما أشار إليه "أرنولد توينبي" في قوله :"إن السلطان عبد الحميد كان يهدف من سياسته الإسلامية،تجميع مسلمي العالم تحت راية واحدة وهذا لا يعني إلا هجمة مضادة يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي.[4]

أعطى أبو القاسم سعد الله ثلاث مراحل لحركة "الجامعة الإسلامية" تبدأ الأولى من سنة (1830م) إلى سنة (1870م) وهي تخص فترة الحكم العسكري للجزائر وأما المرحلة الثانية فتغطي الفترة الممتدة من (1870م) إلى (1884م) وتدخل فيها فترة الحماية الفرنسية والإنجليزية لكل من تونس ومصر وظهور جمعية وجريدة"العروة الوثقى" أما المرحلة الثالثة فهي التي تبدأ من(1887م)،والتي يمكن نعتها ب"حركة الجامعة الإسلامية الحميدية"[5].

---

[1] - الطورانية: أو البانطورانية Pan-Turanism هي حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر ميلادي ، هدفت إلى توحيد أبناء العرق التركي الذين ينتمون إلى لغة واحدة وثقافة واحدة. أنظر: محمد رشيد رضا " الحركة الطورانية الجديدة في بلاد تركيا" مجلة **المنار** - (مج19)، (ج08) ربيع أول 1335 - يناير 1917، ص 501

[2] - عبد الحميد الثاني،المذكرات ،مصدر سابق،ص22.

[3] - نفسه ،ص23.

[4] - محمد حرب ،السلطان عبد الحميد الثاني ،(ط2)،دار القلم ،دمشق،1991،ص ص 531-532.

[5] - أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،(ج5) ، مرجع سابق ،صص 516-519.

غير أن أبو القاسم سعد لله يُقدم طرحا جديدا في هذا المجال حين يقول :"**فالجزائريون كما أشرنا سابقا،كانوا أول من نادى بالتضامن بين المسلمين وبإصلاح الإسلام مستفيدين من التجربة الأوروبية وبقيادة جديدة للعالم الإسلامي،وقد كان "حمدان خوجة الجزائري" أول من نادى بالتضامن بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية،فهو الذي تحدى الأوربيين في زمانه مصرا على أن الإسلام لا يتعارض مع المبادئ الأساسية للتجربة الأوروبية،كما برهن "الأمير عبد القادر"كمحارب ومفكر أنه كان مصلحا إسلاميا في اتجاهه.**"[1]

وأما في مجال الدعوة لإصلاح العالم الإسلامي فقدت برزت شخصية جزائرية بارزة تتمثل في " محمود بن العنابي"[2] بكونه رائدا لحركة التجديد الإسلامي:"**لقد دعا ابن العنابي إلى التجديد الإسلامي وإلى الصحوة منذ (1826م) ، في كتاب ألفه في مصر بعنوان (السعي المحمود في نظام الجنود(....) كم من مؤلفات ألفت عن "الطهطاوي" و"البستاني" و "اليازجي" و"الأفغاني" إلخ،ولكن إذا عرفنا أن هؤلاء جميعا ظهروا بعد بن العنابي بفترة غير قصيرة،ندرك مدى الإجحاف الذي وقع في حق هذا الرجل،ولعل السبب يعود إلى أن كتابه ظل مخطوطا في مكتبات مصر و اسطانبول،و أن الجزائريين كانوا محرومين من نعمة الحرية والعلم تحت الإستعمار الأجنبي فبقي الرجل وبقي عمله غير معروفين للباحثين**"[3].

وهكذا يعد ابن العنابي سابقا للعديد من رموز الإصلاح العربي و الإسلامي وعلى رأسهم المصلح المصري "رفاعة رافع الطهطاوي"[4] في الدعوة إلى إحداث نهضة علمية تأخذ بأسباب التطور." **لقد نادى هذا العالم الجزائري بهذه الأفكار الجديدة في سنة(1826م) وهي السنة التي سافر فيها الطهطاوي إلى فرنسا، مرافقا للبعثة العلمية المصرية، ولم يظهر مشروعه التجديدي إلا في الثلاثينات من القرن التاسع عشر...لقد قدم الشيخ بن العنابي فصولا في الإصلاح السياسي والعسكري لإنقاذ العالم العربي والإسلامي من سباته**

[1] - أبو القاسم سعدالله،الحركة الوطنية (ج2)، مرجع سابق ،صص 109- 110.

[2] - محمود بن العنابي : (1775-1850م)، محمد بن محمود بن محمد بن حسين الشهير بالعنابي، من أوائل المجددين والمصلحين في العالم الإسلامي، قاض وفقيه حنفي ، رغم نسبته لعنابة فقد ولد بمدينة الجزائر ، له مؤلف شهير بعنوان " السعي المحمود في نظام الجنود، نفاه الإستعمار الفرنسي سنة 1832م، فذهب على مصر واستقر بالاسكندرية، وتولى فيهاالفتوى الحنفية.أنظر : عادل نويهض ، معجم أعلام...، مرجع سابق ،صص245-246.

[3] - أبو القاسم سعدالله ، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، المتوفي 1850 صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،لبنان ،1990،ص ص أ- ب

[4] - رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873م)من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي باشا. ولد بمدينة طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر.نشأ في عائلة ملحوظة من القضاة ورجال الدين فلقي رفاعة عناية من أبيه، فحفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة والده رجع إلى موطنه طهطا، ووجد من أخواله اهتماماً كبيراً حيث كانت زاخرة بالشيوخ والعلماء فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في هذا العصر، وقرأ عليهم شيئا من الفقه والنحو. التحق رفاعة وهو في السادسة عشرة من عمره بالأزهر في عام 1817 وشملت دراسته في الأزهر الحديث والفقه والتفسير والنحو والصرف، وغير ذلك. خدم بعدها كإمام في الجيش النظامي الجديد عام 1824. من أبرز مؤلفاته" تخليص الإبريز في تلخيص باريز" .أنظر ، المنجد في اللغة...، مرجع سابق،ص358.

العميق والإستجابة للتحديات المختلفة التي تواجهه من كل جهة ، غير أن آراءه التجديدية لم تلق آذانا صاغية وعزائم قوية وقادة واعية"[1]

لكن هذا الطرح لايجد إنتشارا كافيا لدى باحثي المشرق العربي ولا وجود له في كتابات الكثير ممن يؤرخ لقضايا النهضة والإصلاح في العالمين العربي والإسلامي نتيجة للعوامل الآتية:

1-إن تاريخ العالمين العربي والإسلامي قد كتب حتى الآن بطريقة مجزأة بسبب الأحوال السياسية في كل بلد ،فمثلا تاريخ الجزائر منذ 1830م،قد كتبه غالبا الفرنسيون كجزء من تاريخهم.

2- إن الجامعة الإسلامية (الجزائرية) قد واجهت عدة عراقيل،أحدها أن هذه الحركة قد إضطرت في معظم الأحيان إلى أن تقوم بنشاطها في الخارج وبذلك إختلطت المساهمة الجزائرية بالجامعة الإسلامية المشرقية في شكلها العام.

3- عدم توفر الحرية في الجزائر ،حيث اضطهد الفرنسيون عواطف الجامعة الإسلامية واضطروها على إستعمال التعبير غير المباشر فقط ،خصوصا اللجوء إلى الشعر الشعبي.[2]

وعليه فإن هذا الطرح المتعلق بدور الجزائريين في ظهور الجامعة الإسلامية يدعو إلى تصحيح الإعتقاد الشائع بأن الجامعة الإسلامية قد ظهرت في الشرق الأدنى في أواخر القرن التاسع عشر،ذلك أنه يبدو ومن المؤكد أن أصل ذلك الإعتقاد مبني على سوء فهم أوروبي وقد قبله الكتاب العرب حاليا دون مناقشة.

وهنالك عاملان هامان قد ساهما في سوء الفهم ذلك ،أولا ربط حركة النهضة الإسلامية بالمسألة الشرقية،أي بالصراع بين الدولة العثمانية المتداعية وبين ميزان القوة الأوربي في شرق البحر الأبيض المتوسط ،وبناء على هذا الفهم فإن ظهور الجامعة الإسلامية كان يعني حملة مقاومة ضد التأثير الأوروبي في المنطقة ،وتدعيم تضامن ووحدة المسلمين ،أما العامل الثاني فهو قبول الكتاب الأوروبيين والعرب أيضا بفكرة وحدة الجزائر وفرنسا واقعيا وقانونيا،وعلى أساس هذه الفكرة فإن شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة قد أهملتا كعاملين في تطور الجامعة الإسلامية و القومية العربية.[3]

ومهما يكن من أمر ظهورها مشرقا أو مغربا فإن فكرة الجامعة الإسلامية قد لاقت الكثير من الترحيب لدى الأوساط الشعبية ولدى النخبة من المثقفين في معظم أرجاء البلاد الإسلامية بما فيها الجزائر ونخبتها.

---

[1] - مولود عويمر ،" النخبة الإصلاحية الجزائرية وسؤال التنوير في القرن19 وبدايات القرن "20،(ح1)، **البصائر** ،ع763،الإثنين 19-25 رمضان 1436هـ/60-12 جويلية2015،ص16.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية(ج2) ،مرجع سابق ،ص 111.

[3] - نفسه ،ص 109.

2-3 : معابر الجامعة الإسلامية نحو الجزائر :

إن إنتشار فكرة الجامعة الإسلامية على مدى واسع من العالم الإسلامي وتداولها لدى الكثير من العلماء والمفكرين على كثير من صفحات الجرائد والصحف العربية الإسلامية،جعل من وصول الفكرة وتداولها في الجزائر أمرا حتميا، رغم وجودها تحت نير الإحتلال الفرنسي وما يمارسه من تضييق على العلماء والصحافة العربية الإسلامية بهدف عزلها عن عمقها العربي الإسلامي ومنع كل الأفكار التي من شأنها أن تهدد وجوده في الجزائر من التسرب إليها بإعتبارها أهم مستعمرة فرنسية في شمال إفريقيا، وهو ما دفع بها إلى التكثيف من عمل المخبرين السريين فقد "إنتشر المخبرون الفرنسيون في الزوايا السنوسية وفي مصر ليلتقطوا الأخبار ويلتقطوا التقارير، فتهاطلت برقيات القناصل الفرنسيين من القاهرة ودمشق وجدة وبيروت عن تحرك العالم الإسلامي الذي يهدد في نظرهم الوجود الفرنسي والغربي عموما "[1]

ولكن هذا التضييق والحصار لم يمنع من تسرب أفكار الجامعة الإسلامية إلى الجزائر عبروسائط ومعابر مختلفة ، وللتذكير فقد كان ل"لأمير عبد القادر" وأبناؤه دور بارز في إنتشار أفكار الجامعة الإسلامية " منذ منتصف القرن التاسع عشر ،والواقع أن أغلب أولاد الأمير(عددهم عشرة) قد إرتبطوا بحركة الجامعة الإسلامية، ولاسيما "محمد" و"محي الدين" و"علي" و"عبد المالك"الذين لعبوا في ذلك أدوارا سياسية وإعلامية،فقد أصبح "محي الدين" من أعيان الضباط، وحصل على منصب مستشار لدى "السلطان عبد الحميد الثاني" ،الذي عينه في عدة مناصب في المشرق وسفيرا لدى الدولة العثمانية في المغرب الأقصى بعد التقارب الذي حصل بين الدولتين المسلمتين،ونال "محمد" حظوة أيضا لدى آل عثمان وحصل على لقب الباشا،وكان داعية لدى الجالية الجزائريةللتأثير عليها لصالح آل عثمان،وضد التدخل الغربي لاسيما الفرنسي،وكان مولعا بالأدب أكثر من السياسة، و قد إشتهر بتأليفه لكتاب(تحفة الزائر) في سيرة والده النضالية والفكرية وأهداه للسلطان "عبد الحميد الثاني" ،أما نشاط أخويه "علي" و"عبد المالك" فيعود إلى فترة الحرب العالمية الأولى .[2] وسنتعرض بتفصيل أكثر لأدوار هذه العائلة المتميزة في إطار حركة الجامعة الإسمية في الفصول اللاحقة.

وهكذا نجحت فكرة ودعاية الجامعة الإسلامية،في تخطي تلك الحواجز التي وضعها الاحتلال الفرنسي من خلال مجموعة من المنافذ والمعابر فيما يلي أبرزها :

[1] - أبو القاسم سعدالله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م،دار البصائر، 2007 ،ص560.
[2] - سعد الله ،الحركة الوطنية...، المرجع السابق ،ص564.

3- أ : الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي و البلاد العثمانية

تعود جذور الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي[1] ، إلى فترة العصور الوسطى، إذ ارتحل عدد من الجزائريين مع المتصوف" سيدي أبي مدين شعيب"[2] نحو فلسطين، للجهاد مع المسلمين ضد الصليبيين،وبعد "معركة حطين" وإنهزام الصليبيين إستقر بعضهم في بيت المقدس في حي المغاربة، الذي أصبح وقفا[3] للجالية المسلمة القادمة من بلاد المغرب[4].

إلا أن هذه الهجرة تزايدت في القرن التاسع عشر، ولكن في ظل ظروف جديدة وأسباب مختلفة، فعندما وقع الغزو الفرنسي للجزائر سنة(1830م) واستباحت فرنسا بظلمها البشر والأرض لم يجد الكثير من الجزائريين غير الهجرة إلى خارج البلاد كوسيلة للهروب من هذا البطش، فانتقل الكثير منهم إلى البلاد المجاورة خاصة تونس والمغرب، فيما أنتقل آخرون إلى بلاد المشرق نحو الأستانة وبلاد الشام .

وقدكان للبعد الديني الدور البارز في مجال الهجرة عندما إقتنع العديد منهم بأستحالة العيش تحت ما وصوفوه بالحكم الكافر ، مستندين في ذلك إلى العديد من الفتاوي التي حصلوا عليها والتي توجب عليهم الهجرة ، بل إنهم نبشوا في التاريخ الفقهي للعثور على فتاوى مماثلة كما حدث في القرن (16م) عند تعرض البلاد للهجمات الإسبانية، إين أبدوا تخوفهم من أن يُفعل بهم كما حدث لأهل الأندلس، مما أجبرهم على مغادرة ديارهم حفاظا على عقيدتهم، فلقد أفتى "الونشريسي"[5]، لأهل الأندلس في حينه بوجوب الهجرة على كل مسلم إذا استولى النصارى على وطنه قائلا :"...**إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة... والواجب الفرار من دار غلب عليها الشرك والخسران إلى دار الأمن والأمان..." ويضيف"... ولا يُسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذي إستولى الطاغية، لعنه الله ،على**

---

[1] - أنظر لمزيد من التفصيل حول الهجرة الجزائريين نحو المشرق العربي قبل 1830م ، طرشون نادية ،الهجرة الجزائرية ...، مرجع سابق،(الفصل التمهيدي)، صص 2-12.

[2]- هو أبو مدين شعيب الحسن الأنصاري الأندلسي التلمساني ، ولد سنة 1126 م،بشمال إشبيلية بالأندلس ،سافر إلى فاس للتعلم، وكان له الفضل في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، سافر إلى الحج وشارك في معركة جطين مع محموعة كبيرة من الحجاج المغاربة ،في 04 جويلية 1187م، ونظرا لمكشاركتهم المؤثرة ، منح صلاح الدين الأيوبي لسيدي بومدين ورفاقه، جزء من الجهة الغربية للمسجد الأقصى، ممن أراد الإستقرار في بيت المقدس، وهي التي أصبحت تاريخيا تعرف بحارة المغاربة، توفي أبو مدين شعيب في في تلمسان سنة 1198م.، أنظر: حميد عبد القادر ،" سيدي بومدين ،جزائري عند صلاح الدين ، **جريدة الخبر** ، عدد 6122، بتاريخ 04-03-2011،ص 13.

[3]- أنظر أبو القاسم سعد الله،" وقف سيدي أبي مدين بالقدس والسياسة الفرنسية 1949 – 1955"، في كتابه: على خطى المسلمين ،حراك في التناقض ،(ط1)،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009،صص136-161.

[4] - كمال بوشامة ، "جزائريو بلاد الشام رحلوا قبل الأمير عبد القادر"، **جريدة الخبر**،ع 7012 ،19-01-2012 ،ص20.

[5] - أبو العباس أحمد بن محمد الونشريسي التلمسانين صاحب كتاب " المعيار" ، المتوفي سنة (14هـ /150م)، أنظر : الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة ،المكتبة العتيقة ، تونس، 1982، القسم الأول ،ص ص 62-63.

معاقلهم وبلادهم إلا تصور العجز عنها بكل وجه وحال ، لا وطن ولا مال، فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع" [1]

وقد إشتدت الهجرة مع بداية الإحتلال على عهد "الجنرال بيجو"[2] في ظل دمويته واستعماله أسلوب حرب الإبادة، إذ إمتاز عهده (1841-1847م)، بتهجير العديد من الأعيان والعلماء، ومع توقف مقاومة الأمير عبد القادر سنة(1847م) أخذت هذه الهجرة منحى أسرع وأكبر، فكان من أوائل موجاتها المعروفة هجرة "الشيخ أحمد الطيب بن سالم" أحد خلفاء "الأمير عبد القادر" على منطقة القبائل (حمزة البويرة) حيث غادر رفقة عائلته وثمانون من أنصاره على ظهر سفينة نحو بلاد الشام بتاريخ (24 سبتمبر 1847م) ولا شك أن الوجهة المقصودة لم تكن عفوية أو دون سابق علم .

و منذ الوهلة الأولى صرح المهاجرون الجزائريون بأنهم تنازلوا عن كل علاقة تربطهم بفرنسا عرفا وقانونا وأنهم لا يرغبون في حمايتها أو يكونون تابعين لها ، فيما أبدوا تمسكهم وولائهم للدولة العثمانية [3].

وبوصولهم إلى المشرق تمتع الجزائريون بحرية وسمعة عظيمة وتولوا المناصب العالية ، ولعلهم حصلوا على هذا لشهرتهم كأنصار متحمسين للجامعة الإسلامية ومجاهدين حاربوا الكفار الفرنسيين، ثم إبتعدوا منهم طالبين الملجأ في المشرق كمثال للمسلمين الحقيقيين... ويقر الكتاب الفرنسيون أنفسهم بأن الجزائريين في الشرق الأدنى كانوا يتمتعون بحرية أكثر وتسهيلات أفضل[4]. حيث تشير الكثير من الوثائق إلى تلك الإمتيازات المغرية التى حصل عليها العديد من الجزائريين، فقد تم إعفاؤهم من الضرائب ومن الخدمة العسكرية[5] وتم إسكان الكثير منهم في أماكن تراها الحكومة مناسبة وتم منحهم الحيوانات والتجهيزات اللازمة لممارسة الزراعة[6].

كما تم منح المهاجرين الجزائريين الجنسية العثمانية للذين يرغبون في الإقامة بالبلاد العثمانية، وذلك بعد تقديمهم تعهدا يلتزمون بموجبه التقيد بجميع قوانين الدولة وأنظمتها وعدم قبولهم وبشكل قطعي جنسية الدول الأجنبية الأخرى[7]، كما كانت الدولة العثمانية تتوسط لبعضهم لدى السلطات الفرنسية كي تسمح لهم بالهجرة[8].

---

[1] - " أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر "،نقلا عن ، محمد بن عبد الكريم الجزائري: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية ، ش و ن ت، الجزائر ،1981، صص71-72.

[2] - توماس روبير بيجو دولا بيكونيري ، المعروف بالدوق دي زلي ، تولى الحكم في الجزائر في 29 ديسمبر 1840م على غاية 29 جوان 1847م ، إمتاز عهده بحرب الإبادة والتهجير والنفي.

[3] - Pierre, Bardin,Algeriens et Tunisiens Op.cit,pp ,30-39.

[4] - - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (ج2)، مرجع سابق ، ص ص 124-125.

[5] - الجزائر في الوثائق العثمانية ، مصدر سابق ، وثيقة رقم 63 مؤرخة في 1285 هـ - 1868م ،صص 290-292 ، والوثيقة رقم 77 المؤرخة في 1329 هـ / 1911م، صص 350-351

[6] - المصدر نفسه ، وثيقة رقم 65، مؤرخة في 1306هـ / 1889م ،صص 298-299.

[7] - المصدر نفسه ،وثيقة رقم 71،مؤرخة في 1311هـ / 1894م، ص ص 324-326.

[8] - المصدر نفسه، وثيقة رقم 74 مؤرخة في 1328هـ /1910 ،ص 336-339.

ولعل أبرز هذه الهجرات وأكثرها تأثيرا في الحياة الاقتصادية والثقافية بالنسبة للجزائريين تلك التي جاءت عقب الإحتلال الفرنسي للجزائر، ومعلوم أن هذه الهجرة قد إشتدت مع أربعينيات القرن التاسع عشر، وقد إختلفت تقديرات الباحثين لدوافع هذه الهجرة بين من بالغوا في تعديد أسبابها بجعلها ستة أسباب : الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ، الثقافية، العسكرية و النفسية[1].فيما آخرون بالغوا في تقليل دوافعها فحصروها في دافعين فقط ، السياسة والدين[2].

وقد حاولت الإدارة الفرنسية والعديد من الكتاب الفرنسيين تزييف الحقائق المتعلقة بهذه الهجرة ودوافعها فقد كتب "لوسياني (luciani)" مدير صحيفة الأهالي في الجزائر عدة تقارير إدعى فيها أن الدعاية العثمانية والتحريض الأجنبي هي أبرز دوافع تلك الهجرة، بما ولدته الدعاية العثمانية من مشاعر عداوة ضد الفرنسيين في البلاد العثمانية، وأن الأقاليم العثمانية أكثر أمنا وإستقرارا من تلك المستعمرات الفرنسية.

كما كتب الفرنسي "كاميه ساباتييه (sabatier)" عضو مجلس العمالة في وهران تقريرا في(28 أكتوبر 1911م)، عن هجرة تلمسان[3] خَلُص فيه إلى أن غالبية العائلات التي هاجرت كانت تنتمي إلى مجموعة الكراغلة (Koulouglis)[4] "أن السبب الرئيسى ويكاد يكون الوحيد الذي يفسر هجرة هؤلاء (الكراغلة)هو إختلافهم العرقي مع بقية السكان (الحضر) و إعتزازها بأصلها التركي ومكانتها الاجتماعية الخاصة، فهي تعيش في أحياء خاصة بها ولا تريد الإختلاط بالحضر الذين ينتمون إلى الأصل العربي أو الأصل البربري، وأنها تتفاخر بتقاليدها التركية وعاداتها التي تميزها عن باقي سكان المدينة، وتعتبر تركيا بلدها الحقيقي،منذ أن فقدوا سيادتهم على الجزائر فإن هؤلاء يشعرون شيئا فشيئا و كأنهم منفيين داخلها."[5].

ثم يوجه التقرير إتهامه الواضح للحكومة التركية التي :" **عمدت إلى توطين هؤلاء المهاجرين القادمين لها، وأنها كونت لجانا تتكفل بهم قانونيا وماديا ".كما يقدم التقرير سببا أخر :" إن هجرة مجموعة من مريدي الطريقة الدرقاوية، وعلى رأسهم مقدم، يجعلنا نعتقد أن الطرق الدينية التي يتواجد رؤساءها وشيوخها في الخارج يمارسون تأثيرا واضحا على السكان بدعوتهم للهجرة"[6]** .

---

[1] - سليمان بن رابح، «العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين 1919-1939م»، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الأداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر ، باتنة، الجزائر ،2007-2008، ص10-19.

[2] - كمال فيلالي،" سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر"، أعمال الملتقى العلمي الأول، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة ، جامعة منتوري ، قسنطينة، مطبعة الكسندر،2009،ص95.

[3]- أنظر الملحق رقم (04).

[4] - الكراغلة : كلمة تطلق في الجزائر على المولدين من أباء عثمانيين وأمهات جزائريات.

[5] - عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية،(ج1)،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2012،ص54.

[6] - المرجع نفسه ،ص56.

ويتضح من قراءة متأنية لمحتوى التقرير نلحظ ما يحمله من إدعاءات باطلة وتفاسير مغرضة ، لا تخلو من نظرة إستعمارية تعمد إلى إظهار المجتمع الجزائري ، بمظهر المجتمع المنقسم والذي تسوده إنقسامات عرقية وطبقية من جهة كما يعمد إلى إتهام أطراف خارجية ، تتمثل بالحكومة التركية وتحميلها جزءا من مسؤولية في هذه الأحداث من جهة أخرى ، وفي كل ذلك سعي لتبرئة الإدارة الاستعمارية وسياستها في إجبار الجزائريين على مغادرة أرضهم الأم ولكن من السهل جدا تفنيد هذه الإدعاءات الباطلة، فبماذا يفسر الفرنسيون أن هؤلاء المهاجرين لم يتوجهوا إلى تركيا، إذا كانوا يعتبرونها بلده الأصلي، بل إتجهوا إلى بلاد الشام، كما يثبت التاريخ أيضا حدوث هجرات عائلات كرغلية أخرى ، لكنها توجهت إلى المغرب الأقصى ومصر وليبيا ولم تتوجه إلى تركيا.[1]

لكن أعجب محاولات التزييف هي التي قدمها "وليام مارسييه" (w. Marcais) المدير السابق لمدرسة تلمسان العربية – الفرنسية ،معتبرا أن هذه الهجرة كانت ثورة من الماضي على الحاضر قائلا : "**إن الهجرة حركة تميز المجتمعات الحضرية التقليدية فالمهاجرون هم من أشد الناس تمسكا بالماضي وأكثرهم محافظة على تقاليد الحياة التي تعود إلى القرن الخامس عشر ، وأن التغني بالسلف والحنين إلى الماضي خلق في نفوس سكان المدينة ومسلمي شمال إفريقيا عامة روحا تتميز بالعداء الشديد للتقدم والتجديد.**"[2]

غير أن ما خفي على هذا الكاتب هو أن السكان لم يكونوا ينفرون من التقدم والتجديد بل من الواقع الإستعماري المرير دون أن ننسى التحولات في مستوى الوعي الذي شهدته تلك المدن نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وبقدر ما كانت هذه الهجرة مرتبطة بتدهور الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية للجزائريين،نتيجة مصادرة أملاكهم وأراضيهم من طرف السلطات الاستعمارية التي تبنت سياسة التفقير والتهجير والتجويع ،فإن الوضع السياسي الجزائريين وتحولهم من مواطنين إلى رعايا وأهالي ،قد دفع الكثير من الجزائريين للهجرة نحو البلاد العثمانية،كما أنها إرتبطت أيضا بالعامل الديني الذي كان قويا في تلك المرحلة وأصبحت الهجرة لدى الكثير فرضا وواجبا دينيا ،"**هروبا من العيش تحت حكم كافر، وبالتالي لا يستبعد أن يكون الوضع الذي آلت إليه الجزائر بعد الاحتلال والمحن التي أصبح يعاني منها سكانها قد ذكرتهم بحالة المسلمين في صدر الإسلام ،وإندفاعهم للهجرة فرارا بدينهم**"[3].

---

[1] - محمد غالم، " من أرشيف الإدارة الاستعمارية في الجزائر : الوثائق الفرنسية و الهجرة إلى الديار الإسلامية" ***مجلة إنسانيات- Insaniyat***، ع12، 2000/12،ص-ص ،27-38.

[2] - محمد غالم, " من أرشيف الإدارة الاستعمارية"، مرجع سابق،ص27-38.

[3] - التليلي العجيلي ، صدى حركة....، مرجع سابق ،ص80.

وهكذا نجحت هذه الرابطة والشعور الديني في أن تذيب لدى الجزائريين الحدود الجغرافية والطبيعية مقابل ترسيخهم للحدود الفاصلة بين الإسلام والمسيحية، فإن الشرع يقر للمسلم الذي تعرض بلده لاحتلال أن يهاجر إلى بلد مسلم "[1].

ويضاف إلى العوامل السابقة والمغذية للهجرة ،موقف الجزائريين من قانون التجنيد الإجباري فقد لقي رفضا شعبيا واسعا على أساس "**أن الدين لا يجيز لهم القتال تحت راية دولة غير مسلمة،وبعضهم رأى أن إرسال أولادهم إلى أماكن أخرى وهم ما زالوا صغارا يشكل خطرا على دينهم وأخلاقهم والتزاماتهم الدينية.**"[2]

كما يتبين لنا مدى مساهمة دعاية الجامعة الإسلامية في دفع الجزائريين إلى الهجرة، من خلال الرسائل التي كان يرسلها المهاجرون الجزائريون إلى ذويهم واصفين بقدر كبير من التضخيم والمبالغة أحيانا،الفوائد والإمتيازات التي حصلوا عليها هناك،ولذلك عمدت السلطات الفرنسية على مراقبة ومصادرة تلك الرسائل."[3]

وهنالك العديد من النماذج من هاته الرسائل التي تمتلئ بكثير من الإغراءات التي يصفها الجزائريون الذين هاجروا خاصة إلى بلاد الشام في حديثهم ووصفهم لحياتهم التي شهدت تغيرا جذريا بانتقالهم من العيش في فقر مدقع وتحت قوانين جائرة ، في ظل نظام عدو كافر ، إلى العيش في ظروف اجتماعية واقتصادية أفضل تحت حكم إسلامي وفي أرض مسلمة، ففي واحدة منها جاء ما يلي :"**هذه نسخة من رسالة مخطوطة...تتناول منازل هجرة أحد الجزائريين إلى بلاد الشام في حياة السيد "محمد بن التهامي شطة" الذي سبق بالهجرة إلى الشام ،ويحاول صاحب الرسالة أن يغري الجزائريين بالهجرة إلى الشام لأن الدولة العثمانية توفر لهم وللتونسيين شروط الإقامة.**"[4]

ومن جهة أخرى لعبت دعاية "السلطان عبد الحميد الثاني" أيضا دورا كبيرا في إستقطاب الجزائريين من خلال لجوئه إلى سن عدة قوانين ومراسيم تتعلق بالهجرة الجزائرية إلى الولايات العثمانية "[5].

وقد كان السلطان عبد الحميد الثاني يهدف من وراء تشجيعه لهجرة الجزائريين إلى المشرق ، لحشد القوى الإسلامية بهدف إستعمالها كأداة للمحافظة على عرشه و لتعطيه دفعا ماديا ومعنويا قويا على الصمود والمقاومة ضد القوى المناوئة له داخليا والقوى الاستعمارية الأوروبية خارجيا ،أو دفعهم للثورة في أوطانهم ضد مستعمريهم،ومن أجل ذلك تم إنشاء"اللجنة الإسلامية العليا للهجرة" والتي كانت تحت إشرافه السلطان شخصيا،بهدف تسهيل

[1] - شارل روبير أجرون،الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919،(ج1)، (تر) : م،حاج مسعود و أ،بكلي ، دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2007،ص750.

[2] - جمال قنان ،قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر ،1994،ص 45.

[3] - عمار هلال ،الهجرة الجزائرية ، مرجع سابق ...،ص32.

[4] - أبو القاسم سعد الله،حاطب أوراق ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2010،ص ص 319-320.

[5] -سعد الله ،الحركة الوطنية...،(ج2)، مرجع سابق ،ص121.

ظروف إستقبال المهاجرين المسلمين من كل مكان،لاسيما وأن العديد من المهاجرين المغاربة وخاصة الجزائريين رفضوا التجنس بجنسيات الدول الإستعمارية (فرنسا وإسبانيا وإيطاليا) وفضلوا الإنتساب إلى الدولة العثمانية ، لذلك تقدموا بطلبات للحصول على الجنسية العثمانية بهدف الإحتماء بها بإعتبارها أقوى دولة إسلامية كانت تمثل الخلافة الإسلامية.

فقد ظهرت "جمعية الهجرة" بالتزامن مع ظهور" جمعية العروة الوثقى"أما "القانون الخاص بهجرة الجزائريين" فقد صدر في (جانفي سنة 1906م)والذي جاء في مجموع 23 بندا،ومن أهم بنود هذا القانون ذلك البند الذي ينص على تشجيع هجرة مسلمي البحر والنمسا وروسيا وسكان بلدان المغرب العربي وكذلك البند الذي أعطى لكل مسلم مهاجر حق تملك الأرض في الدولة العثمانية.[1]وكانت الدولة العثمانية تقدم لكل مهاجر مسلم مبلغا ماليا ليشتري به الماشية وعربة فلاحية وأدوات أخرى ذات إستعمال فلاحي ،وتحصل كل عائلة مهاجرة على عشرون (20) هكتارا من الأرض مجانا وعلى ثورين زيادة على البذور ،في مقابل أن تدفع هذه العائلات الضرائب بعد عشرين سنة.[2]

لكن هذا المشروع شهد تراجعا واضحا بعد (1909م) أي بعد وصول الإتحاديين للحكم ونتيجة عزل "السلطان عبد الحميد الثاني" كصاحب هذا المشروع، دون أن ننسى رغبة الإتحاديين أنفسهم في التخلص من مشكل المهاجرين ، رغبة في قطع تواصلهم مع العالم الإسلامي ،مما أدى إلى إستياء واضح لدى عدة أطراف فقد خرج إلى شوارع إسطمبول سنة (1910م) عدد كبير من أنصار "السلطان عبد الحميد الثاني"، إحتفاء بمناسبة عيد ميلاده،ووقعت صدامات عنيفة بين المتظاهرين والسلطة التركية الإتحادية،وكان من بين هؤلاء المتظاهرين جزائريون وإتجه الجميع إلى قصر الحكومة و بدأوا يرددون هتافات منددة بحكومة الإتحاديين التي أطاحت بالسلطان "عبد الحميد الثاني" قائلين :"**تسقط تركيا الموت للاتحاديين لقد خدعونا ، تحيا فرنسا**"[3].لذلك حاولت فرنسا إستغلال هذه القضية لتبييض صورتها الإستعمارية أمام المجتمع الجزائري والرأي العام العالمي فأصبحت بعض الأصوات الفرنسية تطالب بتحسين شروط عودة المهاجرين المغاربة إلى بلدانهم،وقد تزعم الحاكم العام للجزائر "جونار"[4] هذه الحملة بهدف كسب ود هؤلاء المهاجرين لصالح فرنسا بدل معاداتها ،وسعيا لتوفير جزء من اليد العاملة التي تحتاجها فرنسا في ظل أزمة في اليد العاملة الفلاحية بالجزائر مما انعكس سلبا على الإنتاج الفلاحي،لكن القوانين والتشريعات التي أصدرها "جونار" لم تجد أي ترحيب من المهاجرين الجزائريين الذين فضلوا البقاء في الشام.

---

[1] - Bardin,Algeriens et Tun..,Op.cit,p48-49.

[2] -Ibid,p172.

[3]- Ibid,p174-

[4] - جونار (1857-1927) رجل دولة فرنسي وحاكم عام للجزائر ثلاث مرات (1900-1901) و(1903-1911م) و(1918-1919م)،ليصبح سنة 1920 رئيسا للجمهورية الفرنسية.

وبعد ذلك وجهت السلطات الفرنسية عدة نداءات لمهاجري المغرب العربي الذين كانوا في بلاد الشام مطالبة منهم العودة لبلدانهم الأصلية في مقابل تقديم التسهيلات والمعونة لهم،لكن الجزائريين إستمروا في تجاهلهم لهذه النداءات وأعلنوا تفضيلهم البقاء في كنف الدولة العثمانية ، وأنهم يفضلون أن يكونوا من ضمن رعاياها على أن يعودوا لبلدهم المحتل.

وفي إسطنبول شهدت سنة (1910م) ميلاد "جمعية الإخاء للجزائريين والتونسيين" التي عملت على مد يد المساعدة للمهاجرين بالتدخل لفائدتهم لدى السلطات العثمانية كما كانت تتولى تحرير نداءات عملت على تسريبها بين سكان تونس والجزائر لتشجيعهم على الهجرة بواسطة إغرائهم ليس فقط بالتسهيلات الموضوعة على ذمتهم وإنما بالإمتيازات التي سيحصلون عليها، ورغم هذا الوجه الإجتماعي الخدمي للجمعية فإنها مثلت وسيلة تأطير مباشرة و وسيلة دعاية مباشرة للجامعة الإسلامية في أوساط المغاربة عموما والجزائريين بشكل خاص، ومن ذلك أنه بوصول المدرعتين(خير الدين بربروس ودرغوث رايس) اللتين إقتنتهما الدولة العثمانية من البحرية الألمانية في (ديسمبر 1910م)، إلى المياه التركية ، حضر الحفل الجزائريون والتونسيون المقيمون باسطنبول ، فشاهدوا السفينتين المزينتين بالأعلام العثمانية وبلافتة مكتوب عليها بالعربية والتركية (تحية و إحتراما للمهاجرين الجزائريين والتونسيين والبطلين خير الدين بربروس ودرغوث رايس)[1]

وفي ظل نشاط مثل هذه الجمعيات إستمر المهاجرون الجزائريون في التدفق إلى بلاد الشام في موجات متعددة خاصة في ظل التطورات التي بدأت تعرفها الجزائر مع إقتراب الحرب العالمية الأولى والحديث عن قانون التجنيد الإجباري ،كهجرة تلمسان الشهيرة سنة (1911م).

والواقع أن الجزائريين المهاجرين إلى المشرق قد أبانوا بوضوح عن مدى إرتباطهم وتمسكهم بالدولة العثمانية ، إذ بمجرد وصولهم إلى هناك كانوا يتخلون عن الجنسية الفرنسية ويرتبطون بالجنسية العثمانية وهذا ما أكده القنصل الفرنسي في بيروت" السيد بونابار" الذي كتب إلى حكومته متحدثا عن حوالي 80 مهاجرا جزائريا قدموا من ذراع الميزان ودلس وسور الغزلان ،صرحوا للسلطات الفرنسية في بيروت أنهم يرفضون الحماية الفرنسية بكل أشكالها ويرغبون في الدخول في حوزة الدولة العثمانية، حيث يقول :" **أن هذه ليست المرة الأولى التي تحدث فيها مثل هذه الأشياء، فكثيرا ما أدعى الجزائريون الذهاب إلى الحجاز لتأدية مناسك الحج فإذا هم يتوقفون في بيروت رافضين الحماية الفرنسية(متخلين عن جنسيتهم الفرنسية) مصممين بشكل لا رجعة فيه على الدخول في حوزة الدولة العثمانية والإستقرار نهائيا في هذه الأوطان**"[2] .

[1] - التليلي العجيلي ،صدى حركة ...، مرجع سابق ،ص205.

[2] - عمار هلال ، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918م)،دار هومة ، الجزائر ،2007 ،صص12-22.

وهكذا فإن قضية المهاجرين الجزائريين وتجنيسهم سرعان ما فجرت صراعا بين العثمانيين والفرنسيين حول كسب ولاء هؤلاء المهاجرين والاستفادة منهم خاصة في بلاد الشام، فقد جاء في وثيقة عثمانية ، ضرورة العمل على تنفيذ الوعود المقطوعة من قبل الحكومة العثمانية للمهاجرين الجزائريين من أجل التصدي للقنصل الفرنسي الذي قام بالإتصال بأعيان الجزائر وشجعهم على التخلص من التبعية للعثمانيين. [1]

وقد شكلت عائلة الأمير لثقلها ودورها المحوري في الجزائر وبلاد الشام بشكل خاص، أوج هذا الصراع والتنافس بين الدولتين، وبينما كان"الأمير عبد القادر" مواليا للدولة العثمانية كما تعرفنا عنه سابقا ، فإن أولاده وأحفاده ، لم يكونوا كلهم كذلك، فبعد وفاة "الأمير عبد القادر"، هرعت الدولتان العثمانية والفرنسية لمحاولة إستقطاب عائلة الأمير ، خاصة رموزها الأكثر حضورا وتأثيرا ، فإستدعت فرنسا "الأمير عمر" إلى باريس سنة (1911م) وأغدقت عليه بالنياشين والأوسمة وقد أعدت لذلك كل وسائل الإحتفالات والإشهار.كما أن وسائل الإعلام الفرنسية والممثلين الفرنسيين في الجزائر و الشرق الأدنى قد سخروا دعايتهم ليظهروا أن المهاجرين الجزائريين وخصوصا عائلة الأمير عبد القادر لم يكونوا ضد فرنسا[2]، وأن الدعاية العثمانية هي التي تبالغ في حجم هذا التأييد ، لكن فرنسا لم تستفد من " الأمير عمر الجزائري " فقد تم إعدامه مع رموز الحركة الوطنية في الشام سنة (1916م)،لكنها مقابل ذلك كسبت الأميرين " محمد السعيد" الذي منحته راتبا شهريا معتبر و"الأمير الهاشمي" وهو والد "الأمير خالد" الذي سيعود إلى الجزائر رفقة إبنه .

أما العثمانيون فقد نجحوا في أن يضموا تحت لوائهم أربعة من أبناء الأمير وهم "محي الدين" و "محمد" و"عبد المالك" وعلي"، فأما "الأمير علي" فقد لعب دورا هاما في سوريا وبخاصة دمشق في ظل تمتعه بمنصب نائب عنها في مجلس المبعوثان العثماني قبل ترقيته إلى نائب لرئيس مجلس المبعوثان، وأما "الأمير محمد" فقد حصل على لقب الباشا، وكان داعيا إسلاميا لدى الجالية الجزائرية للتأثير عليها لصالح آل عثمان وضد التدخل الأجنبي ولا سيما الفرنسي،فيما رفع "الأمير عبد المالك" من مستوى عداءه لفرنسا لحد إعلان الحرب عليها نهاية سنة (1914م) ، كما سيأتي ذكره لاحقا، وأما "الأمير محي الدين" فقد عُرف عنه تمسكه الشديد بفكرة الجامعة الإسلامية ،فقد زار إسطنبول سنة(1865م) ، وحظي من "السلطان عبد العزيز" بوسام كما تحصل على عدة أوسمة من "السلطان عبد الحميد"، وفي سنة (1888م) رُقي إلى رتبة جنرال شرفي مساعد للسلطان، ثم كلفه بمقاومة الدعاية الفرنسية بين الشاميين من أبناء الجالية الجزائرية وهو ما قام به فعلا في كل من دمشق وبيروت، كما كلفته الإدارة العثمانية أيضا بمهمة تحسين العلاقات بين الدولتين العثمانية والمغربية في عهد "السلطان حسن الأول"وبعد زيارة وفد مغربي

[1] - الجزائر في الوثائق العثمانية ، مصدر سابق ، وثيقة رقم 72، مؤرخة في 1313هـ / 1895م ،ص ص 328-332.
[2] - أبو القاسم سعدالله ، الحركة الوطنية...(ج2) ، مرجع سابق ،ص 127.

لإسطنبول عين "محي الدين "كأول سفير للدولة العثمانية في مراكش[1]. والواقع أن الكرم العثماني لم يشمل هؤلاء الأمراء الأربعة فقط ، فعندما توفي "الأمير عبد القادر "خصص الباب العالي راتبا لأفراد عائلة الأمير[2] ، كما تم تخصيص قطعة أرض زراعية ل"شفيقة خانم" زوجة "الأمير عبد القادر"[3]، إضافة إلى تسجيل عدد من أحفاد الأمير في المدارس العثمانية مثل:" الأمير عبد القادر" (الحفيد)بك في المدرسة السلطانية و"الأمير محمد السعيد "في المدرسة الملكية ، بدون أجور[4].

هكذا بدا واضحا أن المهاجرين الجزائريين و خاصة عائلة الأمير عبد القادر كانوا في مركز الصراع العثماني – الفرنسي لاسيما في منطقة الشام التي نشطت فيها الأطماع الفرنسية بشكل واضح قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى ، وبين رغبة عثمانية في تحريك ورقة الجزائريين مشرقا ومغربا في وجه الفرنسيين ما جعل المصادر الفرنسية تربط بين حركة الأمير محي الدين (1870- 1871م) في الجزائر التي كانت تهدف لإعلان الثورة ضد فرنسا[5] وبين رغبة الدولة العثمانية في إستعادة الجزائر إلى مجال الخلافة الإسلامية العثمانية [6]

وبما أن عددا من المهاجرين الجزائريين إلى إسطمبول وبلاد الشام كانوا مصدر تنازع قضائي بين فرنسا وبين الدولة العثمانية فإن السيد" بونبار" سابق الذكر أقام علاقة عداء بين مشروع "حركة الجامعة الإسلامية" والجنسية الفرنسية،فكان كل جزائري يحرم من الجنسية الفرنسية إذا ثبت تعامله مع المشروع الوحدوي التحرري لحركة الجامعة الإسلامية ،لذلك توصل الطرفين التركي والفرنسي بعد شهرين من التفاوض إلى إنشاء "دستور خاص بالجزائريين"،صدر سنة (1911م) ومن أبرز بنوده:

- تعطى الجنسية التركية للجزائريين الذي سبق لهم أن سكنوا الأراضي التركية،على أن يحقق القنصل الفرنسي في أمرهم في ظرف لا يتعدى (75 يوما).
- تعطى الجنسية التركية للنساء الجزائريات غير المتزوجات.
- أن لا يكون المعنيون في البندين السابقين قد سبق لهم الوقوف في وجه فرنسا[7].

---

[1] - أبو القاسم سعدالله ، الحركة الوطنية...(ج1) ، مرجع سابق ،ص 218-223.

[2] - الجزائر في الوثائق العثمانية ، مصدر سابق ،وثيقة رقم 89 مؤرخة في 1301 هـ /1884م ، صص 288-289.

[3] - المصدر نفسه ، وثيقة رقم 92، مؤرخة في 1306 هـ / 1888م، صص 398-399.

[4] - المصدر نفسه ،وثيقة رقم 93، مؤرخة في 1316 هـ / 1898م ، صص 300-304.

[5] - تشير معظم الوثائق إلى دور الدولة العثمانية في الثورات التي شهدتها الجزائر سنة 1870-1870 ، بالموازاة مع الحرب الفرنسية – البروسية ،كما نلاحظ في الرسالتين اللتين بعثت بهما " الجمعية الخيرية الجزائرية "" للباب العالي واللتان تطالب فيهما الباب العالي ، بتنفيذ وعوده بإرسال المال والسلاح للجزائريين بعد إعلان ثورتهم ضد فرنسا ، أنظر الرسالتين في : مولود قاسم نايت بلقاسم ،" استمرارية الدولة الجزائري ...، مرجع سابق ، ص ص 31-38.

[6] - سعد الله ، الحركة الوطنية ..،(ج1) ، مرجع سابق ،ص 223.

[7] - أنظر ،مجلة المنار،ع12،س 3،1900،ص260.

ونستطيع بسهولة أن نستنتج من هاته البنود تخليا واضحا لحكومة الإتحاديين عن جزء هام من المهاجرين الجزائريين المعادين لفرنسا لصالح السياسة الفرنسية مما يعد تواطئا من الحكومة الإتحادية بهدف تجفيف منابع المقاومة العربية للمغرب العربي المضادة للاحتلال الفرنسي بالخارج خاصة في بلاد الشام من جهة وتجريد الجزائريين من الجنسية والمواطنة التركية مما يدفعهم لطلب الجنسية الفرنسية.

وإضافة إلى ماذكرناه من تحفيزات عثمانية شجعت الهجرة الجزائر ،فإن الصحافة كانت إحدى أهم الوسائل الناجعة والفعالة في الدعاية لهجرة الجزائريين نحو المشرق وخاصة بلاد الشام،وقد لعبت جريدة " المهاجر" التي أسسها "محمد بن التهامي شطة" في دمشق سنة (1912م) دورا بارزا في هذا المجال .[1]

ولم يقتصر التأثير على الهجرة المشرقية الشامية فقط فإن تونس بدورها كان لها نصيبها من فتح أعين الجزائريين على أفكار الجامعة الإسلامية من خلال نخبتها ف"الشيخ عبد الحميد بن باديس" الذي إنتقل إلى تونس مابين(1908-1912م)حضي في الزيتونة ،معقل الشبان التونسيين على الإستفادة القصوى من التأثر بالفكر الإصلاحي بعد أن قرأ على الأستاذين "محمد الطاهر بن عاشور"[2] و"محمد النخلي القيرواني" [3]،اللذان كانا من المدرسة العبدوية، وتابع دروس "محمد البشير صفر" ،صديق "علي باش حمبه" في الخلدونية،ثم هناك المثل الأعلى في المجال السياسي،حزب الدستور القديم ثم الجديد[4] من خلال الزعيم "عبد العزيز الثعالبي" و"توفيق المدني"،الجزائري الأصل.

إن الهجرة المغاربية عموما والجزائرية خصوصا خلال الربع الأول من القرن العشرين لاسيما قبيل الحرب العالمية الأولى سنوات(1910-1911م) رسمت بوضوح علاقة المجتمع الجزائري السياسية والإدارية مع فرنسا، فقد

---

[1] - محمد بلقاسم ،الإتجاه الوحدوي ...،مر جع سابق،ص ص 35-38.

[2] - هو العلامة المفسر محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور ، ولد في تونس سنة (1296) هـ ، الموافق (1879) م ، وهو من أسرة علمية عريقة. برز في عدد من العلوم ونبغ فيها ، كعلم الشريعة واللغة والأدب ، وكان متقنا للغة الفرنسية ، وعضواً مراسلا في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة ، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس ، والقضاء ، والإفتاء ، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة.
ألف عشرات الكتب في التفسير ، والحديث ، والأصول ، واللغة ، وغيرها من العلوم ، منها تفسيره المسمَى : " التحرير والتنوير" ، و" مقاصد الشريعة " ، و" كشف المغطا من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ " و" أصول الإنشاء والخطابة " و" النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح " وغيرها من الكتب النافعة.
توفي في تونس سنة (1394) هـ ، الموافق (1973) م، عن عمر يناهز الـ (98) عاماً. أنظر : الغالي بلقاسم ،شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره ،دار ابن حزم،1996بيروت ،لبنان ،ص12-15.

[3] - محمد النخلي القيرواني: محمد بن محمد بن حمودة النخلي القصراوي القيرواني.ولد بمدينة القيروان (تونس)، وتوفي في تونس (العاصمة).(قضى حياته في تونس.تلقى تعليمه الأولي بكُتّاب مدينته، فحفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الشرعية واللغوية على علماء القيروان، ثم التحق بجامع الزيتونة (1882) فنال شهادة التطويع (1890.(عمل مدرسًا بشهادة التطويع، ثم رُقّي إلى مدرس من الطبقة الثانية (1895)، ثم إلى مدرس رسمي بعد نجاحه في مناظرة للتدريس من الطبقة الأولى (1902)، ثم عمل مدرسًا للأدب العربي في معهد الخلدونية.
كان عضوًا في لجنة تنظيم الكتب بجامع الزيتونة (1905)، ثم أصبح عضوًا في مجلس إصلاح التعليم بالمدرسة الصادقية (1906)، كما عُيّن عضوًا في الجمعية الزيتونية التي أنشئت للدفاع عن مصالح المدرسين والطلاب بجامع الزيتونة.شارك بشعره ومحاضراته في نشاط جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية، بخاصة عام 1906.توفي سنة 1924م،أنظر : عبدالمنعم النخلي وحمادي الساحلي: آثار الشيخ محمد النخلي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان، 1995،صص10-20.

[4] - الحزب الدستوري التونسي: أول حزب وطني يتأسس بالبلاد التونسية وكان ذلك في شهر مارس1920 ، وقد أصبح يعرف بعد سنة 1934 بالحزب الدستوري القديم مقابل الحزب الحر الدستوري الجديد الذي أسسه الحبيب بورقيبةوعدد من زملائه في 2 مارس من تلك السنة.

شكلت ردا واضحا على تلك السياسات الفرنسية المرتبطة بالتجنيد الإجباري والاستنزاف المتزايد للجزائريين وأملاكهم ، أمام غياب واضح لأية حقوق تقدم لهم على الصعيدين السياسي والإجتماعي. لقد كانت الدولة العثمانية وبلاد الشام ومصر الأكثر جاذبية لنظر المهاجرين الجزائريين دون أن نُغفل تونس التي كانت الوجهة الأقرب للجزائريين و التي ستتحول بعد ذلك إلى مركز عبور للمناطق السالفة الذكر ، وقد شعرت السلطات الاستعمارية بتزايد وتيرة هذه الهجرة نحو المشرق ، في ظل دعاية قوية للجامعة الإسلامية، "لتتحول إلى واحدة من أكثر المواضيع إثارة للنقاش في البرلمان الفرنسي سنوات 1912و1913و1914و1914"[1]. الذي سيطالب بإتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع تسرب أفكارها للجزائر ، وهو ما سنتعرض له في المباحث المتعلقة بالإجراءات الفرنسية لاحقا.

3- ب : الصحافة والكتب جسور بين الجزائر والمشرق

شكلت الصحافة واحدة من أهم نواقل فكرة الجامعة الإسلامية نحو الجزائر، وكانت الصحافة المشرقية بشكل خاص بمثابة ذلك الحبل السري، الذي ظل يغذي الإنتماء العربي الإسلامي لدى الجزائريين بعد (1830م)في وقت تعرضوا فيه لمحاولة تغريب وتنصير شرسة مارسها الفرنسيون بغية فرنسة الجزائر وفصلها كليا عن هذا الانتماء،والجميل في هذا السياق أن نُذكر بذلك التفاعل الجزائري المبكر مع الصحافة ذات التوجه الإصلاحي والمتأثرة بتيار " الجامعة الإسلامية" مبكرا ، ليس فقط على مستوى الإطلاع والإقتناء رغم صعوبته نتيجة المضايقات الفرنسية ، بل إرتقى الأمر إلى حد الكتابة في هذه الصحف والجرائد.

ومن الذين كانوا ينشرون مقالاتهم وأخبارهم من خلال الصحف المشرقية من الكتاب الجزائريين وهم مقيمون بالجزائر، فأهمهم "عمربن قدور الجزائري" الذي ربما كان أول جزائري ينشر في صحيفة مشرقية وهي " اللواء " القاهرية فقد كان ذلك زهاء سنة (1905م) وهو تاريخ مبكر كما نرى، ومن خشية متابعات الإستعمار الفرنسي ومضايقاته، عمد "عمر بن قدور" إلى إسمه فأخفاه وأجتزأ بذكر "مراسل اللواء في الجزائر" لكن ذلك لم يشفع له أمام شياطين الإستعمار الذين كانوا يتجسسون على الوطنيين الجزائر ونخبتهم إذ لم يلبث الوالي العام الفرنسي أن أمره بالتخلي عن مراسلة " اللواء"ن بعد أن فضح أمره المخبرون"[2]

وثاني صحفي مقتدر كان يكتب من الجزائر ثم من الشرق بعد لجوئه إليه أثناء الحرب العالمية الأولىهو "الشيخ أبي يعلى الزواوي" حيث وجدناه ينشر في أرقى الصحف المشرقية إخراجا وطبعا وأشهرها ذكرا ، فكان ينشر في " المؤيد"

[1] - Béchir Tlili, Au Seuil du Nationalisme Tunisien : documents inédits sur le panislamisme au Maghreb (1919-1923), *Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente*,Anno 28, No. 2 (GIUGNO 1973), pp. 211-236.

[2] - عبد المالك مرتاض،الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق،دار الحداثة ، بيروت ، لبنان،1982،ص111.

القاهرية و"الثمرات" البيروتية و " المعلومات" الأستانية و" الحاضرة" التونسية و"الفتح " الخطيبية، وفي هذه المجلة الإصلاحية بالذات تفتقت موهبة أبي يعلى الكتابية"[1].

ورغم الطوق الحديدي الذي فرضته السلطات الفرنسية على الجزائر فإن الصحف العربية التي كانت تصدر في الخارج كانت تصل إلى الجزائر وتلقى أفكارها ومضامينها صدى واسعا حتى قيل على واحدة من أشهرها وهي "العروة الوثقى":"إن صرخات "العروة الوثقى" وجدت في الجزائر،الآذان الصاغية والقلوب الواعيةيوم كانت تصدر من باريس،وأثرت في الجزائر مثلما أثرت في العالم الإسلامي،ولعل دلائل هذا التأثير أن الشخص الوحيد الذي عرف من أعضاء جمعية العروة الوثقى،ذكر إسمه صراحة الشيخ "محمد رشيد رضا"في تاريخ الأستاذ الإمام هو "الأمير عبد القادر الجزائري"وذكر أنه فوض له أن يضم إليها من إختاره من أنجاله،ولا شك أن الجزائر نالت إهتمام الحكيمين(جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده) وحظيت بزيارة منهما."[2]

يصف "محمد الهادي السنوسي" في مجلة "الثقافة" هذا الإرتباط الجزائري بالصحافة العربية القادمة من المشرق و مؤكدا على هذه الرابطة بين الجزائر والشرق:"من منا معشر الأدباء الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ إنتهت الحرب الكبرى الأولى على آثار مدرسة "إسماعيل صبري" و"حافظ" و"شوقي" و"طه حسين" و"أحمد أمين" و"المنفلوطي" و"الزيات" من أفراد الرعيل الثاني، أقول الثاني لأنهم سبقوا بطبقة "الشيخ محمد عبده" و"علي يوسف" و"توفيق دياب"و الرصافي" وخلف من بعد هؤلاء الخلف الصالح ك"أحمد أمين" و"المنفلوطي" و"الرافعي" فكانت الهلال والمقتطف والمنار، هذه الثلاثة على الخصوص رسل النهضة الأدبية الشرقية إلى الشمال الإفريقي، وكان أساتذتنا لا يفتأون يتحرون لنا من منظومهم و منثورهم ما يؤثروننا به لتثقيف عقولنا وإصلاح ألسنتنا"[3]

وكان الكثير من الكتاب ذوي التوجه الإصلاحي والتنويري منارات تجذب كتبها ومؤلفاتها المتعطشين للحرف العربي من النخبة الجزائرية حيث أنه :" بعد الشيخ "محمد عبده" و"رشيد رضا" في التأثير في نفوس أهل الجزائر ، الشيخ "عبد الرحمان الكواكبي" بكتابيه أم القرى وطبائع الإستبداد، و"الشيخ مصطفى الغلايني"[4] بكتبه الإجتماعية

---

[1] - مرتاض ،الجدل...،المرجع السابق ،ص ص 111-112.

[2] - أحمد حماني،"دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين" ،**الثقافة** ،ع38 ،الجزائر ،أفريل-ماي1977،ص99

[3] - أنيسة بركات درار،أدب النضال في الجزائر(من سنة 1945حتى الإستقلال)، م و ك ، الجزائر ،1984،ص75.

[4] - مصطفى بن محمد بن سليم بن محي الدين بن مصطفى الغلاييني، ولد في بيروت سنة 1302هـ 1885م، وتعلم في بيروت والقاهرة ، كان صحافيا وأستاذا للعربية ومارس أيضا القضاء ورئاسة المجلس الإسلامي في بيروت.

بداء نشاطه العملي كأستاذ للغة العربية ، ومباداء الفقه الشرعي ، بالكلية الإسلامية في بيروت ، وكان له حلاقات علم في المسجد العمري وسط المدينة ، انضم سنة 1910م لجمعية الاتحاد والترقي ، وأصدر مجلته الشهرية النبراس ، والتحق بجمعية الاصلاح البيروتية ، وأخيرا تطوع بالجيش العثماني ، وشارك بحرب الترعة ضد الجيش الإنجليزي ، حيث أخفق الجيش العثماني باجتياز قناة السويس البحرية الاستراتيجية ، وبعد ظهور الراية العربية الفيصلية على مشارف بلاد الشام ، انضم الغلاييني للجيش المذكور ، فاختاره الأمير عبدالله بن الحسين ليدرس ابنائه اللغة العربية ، والعلوم الشرعية ، وبعد سنتين من هذا المنصب التشريفي ، عاد إلى مدينته بيروت ، ليواجه تهمة مقتل مدير الداخلية في حكومة دولة لبنان الكبير ، حيث نقل إلى جزيرة أرواد ، واعتقل في سجنها المركزي سبعة أشهر ، ثم اطلق صراحه بحكم مشروط هو عدم العودة إلى بيروت ، فأبعد إلى فلسطين وما إن وصلت السفينة إلى يافا حتى خرج منها متوجها إلى بيروت ، فقررت المفوضية العليا الفرنسية اعتقاله بسجن انفرادي ثم أبعدته مرة أخري إلى الحدود اللبنانية=

المفيدة و"الشيخ طنطاوي جوهري" بمؤلفاته القيمة، سيما كتابه (نهضة الأمة وحياتها) و"الأمير شكيب أرسلان" بمقالاته في الصحف وكتابيه العظيمين (لماذا تأخر المسلمون وتأخر غيرهم) و (حاضر العالم الإسلامي) و"الشيخ محب الدين الخطيب" بمجلة "الزهراء" و "كتاب الحديقة" وبمجلة "الفتح" الغراء، كان لمجلة الفتح من الآثار الكبرى في نفوس أهل الجزائر مثل ما لمجلة المنار، وكان كل مثقف مصلح في الجزائر يسرع إلى مجلة الفتح فيقرؤها في شغف وعمق ويعيد قراءتها على إخوانه..."[1]

ومن أبرز المجلات والجرائد التي وصلت الجزائر مبكرة، بعد أن سمحت لها السلطات الفرنسية بالتداول هي مجلة "المنار" لصاحبها "محمد رشيد رضا" وجريدة "المؤيد "ل"علي يوسف" ثم "اللواء" لسان الحزب الوطني المصري وكلها من مصر، وكانت هذه الصحف لا تتدخل أو بالأحرى لا تهاجم الإستعمار الفرنسي ومما يذكر أن بعض علماء الجزائر طلب بإلحاح من "الشيخ رشيد رضا" عدم تعرض المنار للسياسة حتى لا تمنعها فرنسا من الدخول للجزائر ، لأنها في رأي هؤلاء ، كانت غذاءهم الفكري الذي لا يطيقون الاستغناء عنه[2].

وكنموذج لهذه الصحافة المشرقية المرتبطة بتيار الجامعة الإسلامية و التي كان لها دور كبير في نشر الفكرة بين الجزائريين نخبة وعامة نتابع حالة مجلة المنار لصاحبها "محمد رشيد رضا"، والتي أعلن صاحبها صراحة في عددها الأول الصادر سنة (1898م) ، أنها(مجلة عثمانية المشرب ، حميدية المنهج، تحامي عن الدولة العلية بحق وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق)[3] فقد ربطت المجلة المنار وصاحبها علاقات وطيدة بأبناء المغرب العربي كإستمرار طبيعي لتأثير مدرسة "الشيخ جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" منذ أن كانت مجلة "العروة الوثقى" تجد لها ذلك الصدى الكبير بين مثقفي وقراء أبناء المغرب العربي ورغم أن "رشيد رضا" لم يزر أيا من بلدان المغرب العربي إلا أن إسمه و إسم مجلته كان أشهر من نار على علم في هاته البلاد.

وكما هو معلوم فقد ركزت السياسة الفرنسية في الجزائر منذ السنوات الأولى للإحتلال على تكريس القطيعة بين الجزائر وبعدها العربي والإسلامي بحرمان الجزائريين من التعليم العربي الإسلامي وتجفيف كل منابع ومصادر هذا التوجه لعزل الجزائر عن الحركة الفكرية التي كانت في المشرق العربي، إلا أنها ورغم ذلك عجزت في منع إشعاع الحركة

=الفلسطينية ، فتوجه طوعا إلى حيفا عند رئيس بلديتها ، وهو صديق قديم له ، إلى ان خفت وطئة فرنسا في الشرق ، بسبب بوادر الحرب العالمية الثانية مع ألمانية النازية تظهر بالأفق ، فعاد إلى بيروت للمرة الرابعة والاخيرة ، وتولى انتخابيا رئاسة المجلس الإسلامي ، ومستشارا للمحكمة الشرعية العليا وقضيا فيها ، إلى أن وافته المنية في بيروت سنة 1944، أنظر : إبراهيم عبد الكريم كريدية ، أبناء الشرق ، مكتبة نوفل ، بيروت ،لبنان ،2007م ، - صص 378-379 .

[1] - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، (ط خ) (سحب الطباعة الشعبية للجيش) الجزائر، 2007، ص 32.

[2] - أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ،(ط1) ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،2003،ص526.

[3] - التليلي لعجيلي ،صدى حركة...، مرجع سابق ،ص97-100.

الإصلاحية وأفكارها بقيادة "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" ثم "رشيد رضا" من أن تطرق أبواب وعقول أبناء المغرب العربي.

لقد نشأت الصلة بين المنار والحركة الإصلاحية الدينية في الجزائر منذ زيارة "محمد عبده" للجزائر وبعدما نجح الكثير من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الزيتونة أمثال " عبد الحميد بن باديس"[1] في الإطلاع على مجلة المنار التي كانت تلقى رواجا كبيرا في تونس وهو ما جعل "حركة ابن باديس زعيم الجمعية تندرج إدراجا يكاد يكون كليا في الخط الإصلاحي السلفي الذي رسمه عبده ورشيد رضا في المنار"[2].

ويعتبر "علي مراد" في أطروحته حول "الإصلاح الإسلامي في الجزائر" هذا التأثير من أبرز العوامل الخارجية لظهور هذا التيار في الجزائر إذ يقول : "ونلاحظ في الأخير أن الإصلاحيين الجزائريين، كانوا شديدي الإهتمام بدعاية "المنار" وأنهم كانوا يقدرون كثيرا أفكار "رشيد رضا" وهو الذي دعا في مقالاته حول قضية الخلافة ما بين (1922 و 1923م) إلى ضرورة أن ينشأ الإصلاحيون حزبا إسلاميا معتدلا يتوسط بين المحافظين المتطرفين ودعاة التغريب ولم تكن هذه الأفكار والآراء لتمر عن إهتمام بن باديس ورفاقه".[3]

وبإعتراف رواد الإصلاح أنفسهم في الجزائر إتضح أن مجلة المنار وزيارة الشيخ (محمد عبده) للجزائر سنة(1903م) تعد من محفزات العمل الإصلاحي في الجزائر فقد أتاحت المنار للجزائريين خاصة الفئة المثقفة منهم فرصة الإطلاع على أحوال العالم الإسلامي والعربي وما انتشر من آراء إصلاحية لا سيما في شخص "محمد عبده "والذي كان للمنار دور في إنجاح زيارته للجزائر.

"لقد تهيأت عدة ظروف جعلت زيارة الشيخ عبده ممكنة سنة (1903م)، وأول ذلك هو المقال الذي نشرته المنار بعنوان (فرنسا والجزائر) نصحت فيه فرنسا "الدولة العظيمة" بحسن معاملتها لمسلمي مستعمراتها و إدارتها في الجزائر لكي تملك قلوبهم، وقد إعتذر رشيد رضا لفرنسا بأنها غير مرتاحة للطريقة التي تسوس بها الجزائر ولكنها

[1]- عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) مفكر ومصلح ورجل دين جزائري، إرتبط إسمه بالنضال من أجل تثبيت هوية الجزائر العربية الإسلامية من وجه الاستعمار، أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائري عام 1931، راجع، عبد الوهاب الكيالي و آخرون، موسوعة السياسة...، مرجع سابق، (ج 3) ، ص 810.

[2] - محمد صالح المراكشي، قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر، الدار التونسية للنشر ، تونس،1992، ص 110.

[3]- Ali merad," le reformisme musulman en algérie de 1925 à 1940", 2eme ed, les éditions Dar el hikma, alger, p 112.

سياسة ضرورية إلى أن يأتي ما هو خير منها ونوهت المنار بوعود رئيس جمهورية فرنسا للجزائريين أثناء زيارته لبلادهم سنة (1902م)بأن أحوالهم ستتحسن".[1]

وقد سبق لرشيد رضا أن كتب مقالة أخرى بعنوان (فرنسا والإسلام) إتهم فيه فرنسا بأنها تتبع في إفريقيا ومنها الجزائر "سياسة خرقاء" كما إتهمها بأنها سلكت مع المسلمين طريقة العنف والقهر وأنها حالت بينهم وبين التعليم وأتهمها أيضا بالتخبط وأعلن "**لو أطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت لهم على أحكام شريعتهم وآدابها ومساعدتهم على ترقي بلادهم وعمرانها و أقامت فيهم العدل لكانت هذه المعاملة الحسنى أقوى جانب يجذب جيرانهم**"[2]

وقد أثمر هذا الإهتمام من المنار بالجزائر تفهما وإحتراما جزائريا للمنار وصاحبها وهو ما جعل مدرسة المنار تلقى صدى إيجابيا تأكد في الآثار الإيجابية لزيارة محمد عبده على تنامي الوعي الإصلاحي لدى الجزائريين."فبعد عودته من سفره إلى فرنسا نحو مصر عبر شمال إفريقيا توقف "محمد عبده" في الجزائر العاصمة و قسنطينة وكان له لقاءات مع العديد من مثقفي المدينتين، أبدى الكثير منهم تأييدهم لمواقفه الإصلاحية أما المنار التي كان تدخل للجزائر قبل(1903م) بشكل سري، فإنه بعد زيارة "محمد عبده ولقاءه مع الحاكم العام وجدت موافقة على دخولها الجزائر ما زاد عدد قرائها وإن كان بقي محصورا في الفئة المثقفة فقط، وإضافة إلى المنار تعرف الجزائريون على جرائد مصرية مثل "المؤيد" و "اللواء" وغيرها ولكن المنار إستمرت ولأمد طويل على مستوى العالم الإسلامي والعمل الإصلاحي تجربة فريدة من نوعها"[3]

ويمكن لنا أن نتبع تأثير المنار وصاحبها "رشيد رضا" على عدة مستويات لدى الإتجاه الإصلاحي في الجزائر سواء التأثير بالمنهج السلفي نفسه أو الإستفادة من تجربة المنار الصحفية لدى صحف هذا الإتجاه، ومما لا شك فيه أن "الشيخ عبد الحميد بن باديس" و"الشيخ البشير الإبراهيمي" يمثلان أفضل نموذج لتأثير الأفكار العبدوية في الجزائر يقول "أبو القاسم سعد الله": "**ولكن كان للعلماء تصوراتهم الخاصة عن بداية و تطور الحركة الإصلاحية في الجزائر، فهم يرون أن الشكل الحديث للحركة الإصلاحية في الجزائر قد ولد بعد الحرب العالمية الأولى وقد كانت هناك عوامل كثيرة ساهمت في هذا التطور:**

أولا: كان هناك تأثير الشيخ محمد عبده (حركة الجامعة الإسلامية) ولا سيما فكرته عن الجهاد.

[1] - أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ ...، مرجع سابق، ص 114.
[2] - سعد الله ،بحوث في التاريخ..،المرجع السابق، ص 115.
[3]- Amar hellal," le mouvement réformiste algérien (1831-1957) ",OPU, 2002, P 108.

ثانيا: تأثير مجلة "المنار" وكتب المصلحين الدينين مثل "إبن تيمية" و"إبن القيم" و "الشوكاني" (وهؤلاء كلهم محل إعجاب الوهابيين أيضا).[1]

وبإنشاء جميعة العلماء المسلمين الجزائريين سنة(1931م) فإنها إعتمدت نفس الخط الإصلاحي الذي رسمه "محمد عبده" ورشيد رضا" دون إنكار لخصوصيات جزائرية، فالتأثير العام كان واضحا في الأمور العقدية ومحاربة البدع و الطرقية والدعوة لتطوير التربية والتعليم "**ولم يكن مطروحا لدى هؤلاء الإصلاحيين رفض للتطور وللحياة العصرية والغرق في "الجهل المقدس" للعصور السابقة وهذه كانت أفكار "محمد عبده" رائد الفكر الإصلاحي في دعوته للتعلم وما كان ينصح به أتباعه من أخذ بأسباب العلم الحديث وهو ما كان عليه قادة الإصلاح في الجزائر".**[2]

ولا أوضح في هذا المجال من قراءة في القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعثرنا فيه على تشابه كبير جدا مع الكثير من الأفكار الإصلاحية في المجالات الدينية والتربوية التي كان يتبناها "الشيخ محمد عبده" وتلميذه "محمد رشيد رضا" والتي امتلأت بها صفحات مجلة المنار عبر مجلداتها الخمس والثلاثين.

أما بالنسبة لعلاقة المنار بالمثقفين الجزائريين فيمكن أن نستنتجه من عدة أحداث:"**فقد إجتمع الشيخ عبده، كما بعدد من العلماء والمعجبين بالحركة الإصلاحية التي يمثلها وذكر منهم "رشيد رضا" إثنين وهما "محمد بن الخوجة" و"عبد الحليم بن سماية"**[3] **وكانا من المعجبين بالمنار وقد طلبا من"الشيخ عبده"مع غيرهما، أن يوصي صاحب المنار أن لا يتعرض في مجلته بسوء للدولة الفرنسية حتى لا تمنع المجلة من دخول الجزائر، وهي في نظرهم "مدد الحياة لنا فإذا إنقطع إنقطعت الحياة عنا"**[4]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية،(ج2)،مرجع سابق ، ص 389.

[2]- Ali merad,le reformisme, OP.cit, p 215.

[3] - عبد الحليم بن سماية : ولد بالجزائر العاصمة سنة (1866/1283)، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء قطره، في مقدمتهم والده الشيخ علي بن سماية ، والشيخ الطاهر تيطوس، والشيخ علي بن حمودة, وكان له إلمام باللغة الفرنسية، كما كانت له معرفة باللغة العبرية، وكثيرا ما كان يجادل أصحابها في دينهم، ويناظر أحبارهم ورهبانهم، ويسوق لهم الأدلة والنصوص من كتبهم وبلسانهم.
يعتبر عبد الحليم بن سماية في مقدمة العلماء الذين أسسوا النهضة الجزائرية الحديثة، ومن أوائل المصلحين الجزائريين.ومما اشتهر به وقوفه ضد تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وإصداره الفتوى المعروفة في ذلك مما أغضب سلطات الاحتلال, وأدت إلى فصله من عمله .،استقبل الإمام محمد عبده عند زيارته للجزائر، وكان من مناضلي الجامعة الإسلامية (الوحدة تحت راية الخلافة الإسلامية)، كما يعدّ من أوسع علماء عصره علمًا وثقافة, فقد تخرّج على يديه جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة, له مؤلفات قيمة من أبرزها كتبه: "اهتزاز الأطواد والربى في مسائل تحليل الربا"، و"رسالة في التوحيد"، و"الرد على شبه المبطلين والملحدين"، و"كتاب فلسفة الإسلام" الذي قدمه إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر (1905) وقرأ الفصل الأول منه على الحضور، غير أن حكومة الاحتلال رفضت طبعه ضمن أعمال المؤتمر.توفي بالجزائر العاصمة ليلة الخميس 05 رمضان عام 1351هـ الموفق لـ 02 يناير 1933م.

[4] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،(ج5)، مرجع سابق ص 587.

أما "البشير الإبراهيمي" فيقول :"**كان أكمل آثار الشيخ رشيد رضا في حياة الإمام إنشاء مجلة المنار وأنفس ذخر إشتملت عليه هي دروس الإمام في التفسير التي هي النواة الأولى لتفسير المنار**"[1]

وفي شرحه لعوامل نشوء الحركة الإصلاحية نجده يقول: "**والتأثير الأكبر وتكوينها على هذه الصورة يرجع في الحقيقة إلى سنة الإدالة الكونية التي إقتضاها تدبير الإجتماع ويرجع فيما نرى إلى العوامل الآتية:**

الأول: نوازع جزئية محدودة أحدثتها في النفوس المستعدة الأحاديث المتناقلة في الأوساط العلمية عن الإمام عبده...

ويضاف إلى هذا العامل قراءة "المنار" على قلة قرائه في ذلك العهد وإطلاع بعض الناس على كتب المصلحين القيمة"[2] .

أما "محمد ناصر" في دراسته حول المقالة الصحفية الجزائر فيقول ما فحواه :"**كان الصحفيون الجزائريون يعترفون دائما بفضل الصحافة العربية الشرقية عليهم، سواء في ذلك ما أمدتهم به من غذاء فكري أو ما أفادتهم به من أخبار الوطنين العربي و الإسلامي وما طبعت به أساليبهم من بيان رفيع ولغة رائية فالشيخان "عمر بن قدور" صاحب "الفاروق" و"عمر راسم" صاحب "ذو الفقار" لم يخفيا إعجابهما بأفكار الشيخ "محمد عبده" كما نشرتها جريدة المنار...**

فيما نجد زعيم الحركة الإصلاحية منذ العشرينات "الشيخ عبد الحميد بن باديس" يعترف بما لصاحب "المنار" من فضل لا على الجزائريين وحدهم بل على المسلمين قاطبة حيث قال:"إن الحركة الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية بيانا ودفاعا كلها من آثار صاحب المنار".[3]

ويضيف "محمد ناصر" في جزء آخر من كتابه:« **وقد إعترف الكتاب الجزائريون أنفسهم بما لهذه الأساليب على كتاباتهم من أثر، فابن باديس يعترف بكل إعتزاز بأنه كان يقلد "المنار" في طريقته في تفسير القرآن الكريم التي كان يفتتح بها مجلته كما ينشر في أحد أعداد الشهاب جزء من تفسير الشيخ "رشيد رضا" إعترافا منه بفضل صاحب المنار».**[4]

---

[1] - الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مصدرسابق، ص 179.
[2] -المصدر نفسه، ص 181.
[3] - محمد ناصر المقالة الصحفية الجزائرية...، مرجع سابق، ص ص: 60، 61.
[4] - نفسه، ص 62.

وأما عن تأثير في حديثه عن مجلة "المنار" و "الفتح" وأثرهما البالغ في شباب النهضة فقد: "**كانت مجلة المنار التي تنشر آراء الشيخ محمد عبده وتدعو بدعوته كان لهذه المجلة العظيمة أكبر الآثار في نفوس أهل الجزائر إنها لا تدانيها مجلة أخرى في عمق التأثير وفي عظم الجدوى وشمولها، وكان المثقفون بالعربية في الجزائر يقرؤونها كلها ويعيدون قراءتها على إخوانهم المرار الكثيرة وكانوا يتسابقون إلى شراء ما يصل منها، وكانت تأتيهم من تونس وأوروبا بطرق خفية لمناهضة الإستعمار لها ويعملون للحصول عليها كل وسيلة لأنها غذاؤهم الفكري والقلبي وإشراق من شمس الدين الذي يقدمونه ويؤثرونه يهديهم السبيل في الجهاد ويقوي قلوبهم في النضال ويردد عليهم في حرارة لا نظير لها ما قاله الرسول والصحابة لزمانهم فتيقظ و طهر وساد.**

وكانت الجزائر ترى مجلة المنار لسان الإسلام الأكبر ومنبر الإصلاح الأعظم وتراها متنفسا لها وأكبر عون لها في الإصلاح الذي يقوم به زعماء نهضتها وفي إيقاظ الأمة وتطهير عقائدها من الأباطيل ونفوسها من الفساد، وكان زعماء النهضة كلهم يقرءون فصولا من مجلة المنار في نواديهم ومجالسهم للجماهير ويوجهون تلاميذهم وأنصارهم إلى مجلة المنار لأنها الذي ينير بصائرهم".[1]

هكذا كانت الصحافة القادمة من بلاد الشرق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمثابة الروح التي يستمد منها المحظوظون من نخبتنا المتعلمة قوتهم نظرا لما يمثله هذا البريد المحاصر من إحياء وتجديد، وبعث روح المقاومة ،لقد كانت وضعية العالم العربي والدول الإسلامية تثير حماس المتعلمين التقليديين أو العصرانيين وتصل على عامة الناس عن طريق الوسطاء.

وكان للشباب الجزائري طبعا علاقات معترف بها إلى حد ما أو سرية مع الدستوريين، وكان بعض الطلبة القدامى في جامع الزيتونة مثل "مامي إسماعيل بن علاوة"، الصحفي المتعاون مع صحيفتي "الصديق" و "النجاح"، يكتبون أيضا في الصحافة التونسية ، وكان لصحيفة "الوزير" التونسية، الممنوعة في الجزائر مراسلون من الجزائر و قسنطينة كانوا معروفين لدى الشرطة التي كانت تكتفي بحجز الطرود الواردة من تونس، غير أن صحيفة "تونس الشهيدة" للشيخ الثعالبي أو مقالات النقد ل"سليمان الباروني"[2] كانت معروفة لدى المتعلمين بلغة الضاد.

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة ....، مرجع سابق، ص ص: 28، 29.

[2] - هو سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني ، وأحد من ألمع قادة الجهاد الإسلامي في ليبيا أيام الغزو الإيطالي ، وكان له دور كبير في توجيه سياستها خلال العقد الثاني من العقد العشرين . ولد سليمان الباروني سنة 1287هـ/1870م في مدينة (جادو) من أعمال جبل نفوسة الواقع إلى الجنوب من مدينة طرابلس الغرب في ليبيا.
وعند بلوغه الثامنة عشرة من عمره ، بعثه أبوه إلى تونس حيث تلقى العلوم العربية والشرعية في جامع الزيتونة على يد كبار علماء زمانه . ولبث في =تونس خمس سنوات ، بعدها ارتحل إلى مصر فدرس في الأزهر ثلاث سنوات ، ثم غادرها إلى الجزائر ، وبالتحديد إلى منطقة وادي ميزاب ليستكمل علومه على يد الإمام العلامة محمد بن يوسف اطفيش المعروف بقطب الأمة. أنظر :-http://www.alt-libya.org/Persons/SulimanBarouni5.htm

وتبين مثلا أن منطقة المزاب[1] التي دخلت في شبه ثورة منذ إقرار تطبيق التجنيد على أبنائها كانت أرضا خصبة للوطنين وكان الأثرياء من أهل المزاب يمولون عن طيب خاطر جميع الصحف المعارضة، وكانوا يقومون بمهمة نقل الأفكار والأخبار الواردة من المشرق العربي إلى المدن الرئيسية في منطقة التل.

وقد سمحت تلك الصحافة الوافدة بشقيها المغربي(تونس) والمشرقي للجزائرين من متابعة العديد من الأحداث البارزة والتفاعل معاها ، بدء بقضية الإحتلال اللإيطالي لطرابلس الغرب (1911م)ومقررات مؤتمر سان ريمو (San Remo)[2] الذي خول فرنسا الوصاية على الهلال الخصيب، غير أن الحرب مابين بين اليونان وتركيا، أو حرب الإستقلال كما يسميها الأتراك هي أكثر ما شد إليها المتابعين للصحافة من نخبة وعامة، فقد ولد هذا الحدث البارز الحماس في نفوس الجماهير الجزائرية، وكانت إنتصارات "مصطفى كمال" التي تزيد المعلومات المقدمة في الصحف العمومية والتونسية من تضخيمها إلى أقصى درجة تهيج بخيال الجميع، أما الصحافة الفرنسية فكانت ترى في ذلك" مناصرة للأتراك".

وكانت قراءة الصحف التونسية الممنوعة في الغالب والمطلوبة رغم ذلك بشدة، والمراسلات الواردة من المهاجرين الجزائريين في تونس تبلغ القراء بقسط من تحمس الدستوريين للقضية التركية. وكانت فرحة المسلمين عارمة و عامة في (1922و1923م) لما تأكد الغازي بالإنتصار وتم جلاء الحلفاء عن القسطنطينية ، وكانت صورة "مصطفى كمال" تباع في كل الأسواق وكان الطلبة المدارس العربية يعلقونها فوق أسرتهم[3].

---

[1] - منطقة ميزاب : منطقة تقع في الجنوب الجزائري، نسبة إلى وادي ميزاب ، أهم مدنها ، مدن غارداية والقرارة وبريان.

[2] - مؤتمر عقده المجلس الأعلى للحلفاء بين 19 و1920/4/25 في مدينة سان ريمو بايطاليا، وكان امتدادا لمؤتمر لندن (1920) الذي بحثت فيه شروط الحلفاء للصلح مع تركيا ونتج عنه معاهدة سيفر. أسرع الخلفاء إلى عقد هذا المؤتمر وتحويل معاهدة سيفر إليه للمصادقة عليها بسبب اعلان سورية استقلالها ومناداتها بالأمير فيصل بن الحسين ملكاً عليها في 1920/3/8. بحث المجلس الأعلى للخلفاء في هذا المؤتمر معاهدة سيفر بشروطها القاسية التي فرضها الحلفاء على تركيا. وقد رسمت تلك المعاهدة مستقبل المنطقة العربية التي كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية بضم العراق وسورية بما فيها لبنان وفلسطين وشرقي الأردن. وكان لها رسم مأساوي لهذه المنطقة ،بني على التجزئة والانتداب الذي هو في الواقع الاستعمار عينه. لقد رتبت التقسيمات والانتدابات في المنطقة العربية بحسب مصالح دول الحلفاء، دون أن يكون للعرب الذين حاربوا إلى جانبهم أي شأن. فقد وجه لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا في 1920/4/21 إلى الملك فيصل دعوة لحضور مؤتمر سان ريمو ولكنها وصلت متأخرة جداً. وانتهى المؤتمر في 1920/4/25 بإقرار معاهدة سيفر بحذافيرها. ولكن قراراته لم تعلن إلا في 1920/5/15. وقد أثارت بما فيها من اجحاف وغدر بالعرب وخيانة للوعود المقطوعة، وبتضمنها نص وعد بلفور، وإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين، شعور المرارة والحزن والغضب والثورة لدى الشعب العربي الذي كان ينتظر الاستقلال التام مكافأة له على دوره في الحرب. من جهة أخرى قرر مؤتمر سان ريمو أن يأتي مندوب عن الحكومة التركية في 1920/5/10 ليستلم معاهدة سيفر وينقلها إلى حكومته في الآستانة لتوافق عليها دون أن يكون لها الحق في الاعتراض على ما جاء فيها. ولكن الحكومة التركية رفضت المعاهدة، وكان رفضها لها السبب المباشرو الأول لاندلاع ثورة كمال أتاتورك الذي هزم الجيوش المحتلة للأراضي التركية وأجبر الحلفاء على عقد مؤتمر في لوزان بتاريخ 1922/11/24 انتهى بتوقيع معاهدة لوزان. وقد تنازلت تركيا بموجب هذه المعاهدة عن ممتلكاتها من المناطق العربية في الامبراطورية العثمانية، أنظر: عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، 1981،ص112.

[3] - شارل روبيرآجرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضة 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954،(ج2) ،(ط1)،دار الأمة ، الجزائر ،2008،ص486-487.

هكذا كانت الصحافة المشرقية تتيح للجزائريين متابعة الأحدث الهامة التي شهدتها الساحات العربية والإسلامية، وحتى العالمية، بل وحتى نشر مواقفهم وآرائهم تجاهها كما فعلت بعض الصحف التونسية والمصرية،فيما شكلت الصحف والجرائد التي كانت تصدر في الأستانة أو خارج دار الخلافة إحدى أبرز القنوات لترويج فكرة الجامعة الإسلامية، وضمان التأييد والمساندة لها من قبل الشعوب الإسلامية،والواقع أن هناك عددا كبيرا من الصحف التي كانت تلقى رواجا كبيرا في الجزائر،رغم حالة الحصار الإعلامي المفروضة من طرف السلطات الاستعمارية،وفي هذا المجال نذكر رواج جريدة "المعلومات" التي كانت تصدر بإسطمبول و تحمل شعار (خادمة لمنافع الخلافة المعظمة الإسلامية والدولة العلية العثمانية)، وكانت هذه الجريدةتصل الجزائر وتقرأ فيها بشكل واسع ، حيث كان على حد قول نائب عمالة الجزائر، كثير من الجزائريين يشتركون للحصول عليها. وأنها تصلهم بإستمرار.[1]

و لقد كان تدفق الصحف والمجلات الشرقية على مقاطعات الجزائر يأتي من مصر بشكل مباشر أو يصل إليها عن طريق تونس والمغرب الذي كان ما يزال يتمتع بإستقلاله، وهي الصحف والمجلات التي أعانت الجزائريين والمغاربة في برامجهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين بالرأي العام العربي، بحيث أنها كانت تزيدهم شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي والإسلامي.

ولا شك أن السلطات الفرنسية أدركت خطر هذه الصحف العربية لاسيما مع إقتراب الحرب العالمية الأولى،ما دفعها إلى منع صدور الصحف العربية بإستثناء "أخبار الحرب"، التي تعكس وجهة النظر الرسمية الفرنسية، ومارست الكثير من التعسف على رواد الصحافة اجزائرية العربية المسلمة ،بمنع الصحف وسجن أو إبعاد رموزها كما حدث مع " عمر بن قدور " و" عمر راسم" و" أبي اليقضان" وغيرهم.

3– د : العلماء والطرق الصوفية الأداة الجماهرية لبث دعاية الجامعة الإسلامية :

أدرك "السلطان عبد الحميد الثاني" أهمية العنصر البشري في إنجاح فكرة الجامعة الإسلامية والترويج لها،فقام بالإعتماد على مجموعة من الدعاة ذوو الثقل الجماهيري وأصحاب المكانة السياسية والإجتماعية البارزة من علماء دين أو شيوخ طرق وحتى وجهاء المجتمعات العربية والإسلامية،حتى أن سلطات الإحتلال الفرنسي في الجزائر أصبحت تعيش على هاجس الدعاة العثمانيين،معتبرة كل أجنبي جاسوسا للسلطان "عبد الحميد الثاني وداعيا من دعاة الجامعة الإسلامية .[2]وأنه موجه من قبل القسطنطينية أو القاهرة أو برلين[3] وتحت تأثير الخوف من هاجس فكرة الجامعة الإسلامية،أشارت جريدة"la depèche Algerienne" مثلا إلى إيقاف عثمانيين كانا يجوبان المنطقة

[1] - التليلي لعجيلي ،صدى حركة، مرجع سابق ،ص 97. و،عمارهلال ،"أصداء الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي في بعض التقارير الرسمية الفرنسية"،**مجلة الثقافة**،ع88 ،الجزائر ،جويلية - أوت 1985،ص ص 139-168.

[2] - العجيلي ، صدى حركة...،مرجع سابق،ص135.

[3] - سعد الله ،بحوث ودراسات.... ،مرجع سابق ،ص 134.

ويتكلمان في حق فرنسا في المقاهي والزوايا و الأسواق مدعين أنه لم يعد هناك موجبا للخوف من فرنسا بعد هزيمتها أمام ألمانيا سنة (1870م)وإستسلامها لبريطانيا في فاشودة سنة (1898م)،وأن السلطان العثماني سيأتي قريبا لزيارة رعاياه في كل من تونس والجزائر[1].

ووصل تخوف فرنسا إلى حد إعتقال سلطات الإحتلال لوفد قبرصي يضم ثمانية عشر رجلا وإمرأة بتهمة نشر دعاية الجامعة الإسلامية ضد فرنسا وأنهم كانوا يبشرون بإقتراب حكم سلطان إستانبول ،خاصة وأن "عبد الحميد الثاني"كان محبوبا في الجزائر ومنتظرا من الجماهير كرجل الساعة ،ولذلك عندما زارت باخرة عثمانية الجزائر سنة (1906م) صعد بعض الجزائريين على سطحها وطلبوا بسرعة قدوم السلطان لإنقاذ الجزائر.[2]

وقد كان للعديد من العلماء الجزائريين دور بارز، سنتعرض في المباحث اللاحقة بشكل أوسع لمختلف أدوارهم ضمن المؤسسات الدعائية لحركة الجامعة الإسلامية،أما بالنسبة للطرق والزوايا الدينية فقد لعب بعضها دورا بارزا في نشر فكرة الجامعة الإسلامية، لاسيما وأن "السلطان عبد الحميد" قد أحاط نفسه بالعديد من العلماء وشيوخ هذه الطرق ، مثل الشاذلية و النقشبندية وغيرها كما عرف "السلطان عبد الحميد الثاني" بعلاقته الوطيدة مع الشيخ السوري "أبو الهدى الصيادي"[3] شيخ الطريقة الرفاعية والشيخ "ظافر الطرابلسي شيخ الطريقة الشاذلية والشيخ "سيد فاضل" شيخ الطريقة العلوية.

وقد كان لهذه الطرق نشاط كبير أثناء موسم الحج فالنقشبنديون كانوا يزودون الحجاج باللباس والفراش فيما يوفر لهم السنوسيون الإقامة والطعام ، وكان الكثير من الحجاج يغتنمون فرصة الحج للالتحاق بهذه الطريقة أو تلك.

وبذلك كان بإمكان هذه الطرق تحميل الحجاج بالكثير من الأفكار عند العودة لبلدانهم.

وقد كانت فرنسا أكثر الدول الاستعمارية الأوروبية إهتماما بهذه الطرق ومتابعة لنشاطها وتخوفا من تأثيرها على الأقاليم الخاضعة لسلطتها، خاصة الطرق الدينية لشمال إفريقيا نتيجة لطبيعة تعرضها للإحتلال وإنتشارها الواسع في بلاد المغرب العربي والدور الذي لعبته هذه الطرق في مجال مقاومة المحتل وهنا نتذكر القادرية، طريقة "عبد القادر" والرحمانية طريقة "المقراني" في ثورة(1871م).[4]

[1] - سعد الله ،بحوث ودراسات.... ،مرجع سابق ،ص143.

[2] - سعدالله ،الحركة الوطنية الجزائرية (ج2) ،مرجع سابق، ص144.

[3] - أبو الهدى الصيادي(1849-1909م) من أشراف مدينة حلب السورية،كان مستشارا شخصيا للسلطان،كان في خلاف مستمر مع جمال الدين الأفغاني وعمل على تعطيل إصلاحاته،أنظر ،خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم ...، مرجع سابق،(ج6)،ص94.

[4] -Luc,Chantre, Le pèlerinage a la Mecque a l'époque colonial(v 1866-1940):France-Grande –Bretagne-Italie,Thése Histoire moderne et contemporaine.Poitier: Université de Poitier,2012,p130.

وقد شهدت العشرية الممتدة بعد(1880م) بشكل خاص حملة فرنسية شرسة ضد الزوايا بإعتبارها "منابع التطرف " (foyer de fanatisme)،على حد وصف "بول بارت" لها ومنع الأهالي من تقديم أية هبات لها[1].

ومن بين أكثر الطرق التي حظيت بوجود قوي في مكة والحجاز ولدى "السلطان عبد الحميد الثاني" نجد الطريقة السنوسية مما أورثها الكثير من الحقد الفرنسي خاصة والأوروبي عامة، وأصبحت محل مراقبة مشددة من مخابرات الكثير من الدول الأوروبية خاصة فرنسا وبريطانيا[2] ،حتى أطلق عليها نعت"الأسطورة السوداء"إبتداءا من (1860م) وحظيت بعدة دراسات هامة حول تاريخها ونشاطها ، كان أهمها كتاب " La confrérie Musulmane de Sidi Mohamed ben Ali es Senousi et ses Domaines Géographique en l'année 1300 de l'Hégire et 1883 de notre Ere » ل"هنري ديفرييه" سنة(1884م).

هذا الكاتب الذي أبرز تحاملا كبيرا على الطريقة السنوسية وإعتبرها سيدة في فن التخفي بسبب قدرتها على الذوبان في طرق صوفية أخرى ، لتضليل المراقبين لها :**"فقد كانت قادرة على التحكم في طرق أخرى تستعملها كغطاء، بينما نجد أتباعها يسيطرون داخل هذه الطرق على الفتوى والتدريس، ولم تتوانى حتى في إنشاء فرق للموت تطلب من مريديها الطاعة العمياء، وبمجرد إشارة من شيخه يمكن أن يتحول مريد إلى قاتل خبيث واضع للسم (lache empoisonneur)** .[3]

لقد عمل "السلطان عبد الحميد الثاني" على تنظيم وهيكلة عدد كبير من رجال الدين والطرق الصوفية على إمتداد العالم الإسلامي وكانت الغاية من ذلك بلوغ هدفين رئيسيين ،أولهما تهيئة وتعبئة عامة المسلمين لمناصرة حركة الجامعة الإسلامية، وثانيهما إبطال التهم الغربية الموجهة للخلافة العثمانية ،ولذلك إتخذ من حركة التصوف[4] في العالم الإسلامي وسيلة لخدمة مشروع حركة الجامعة الإسلامية وكذلك إستعمال الزهاد من غير المتصوفة وسيلة لذلك.[5]

وفي ظل هذه الإستراتيجية قرب "السلطان عبد الحميد" إليه بعض رجال الطرق الصوفية ذات النفوذ الواسع في العالم الإسلامي،فكانوا يعملون لديه كمستشارين كما كانوا أعضاء في اللجنة المركزية للجامعة الإسلامية،ونذكر منهم

---

[1]- Charle-robert.Ageron,les algériens Musulmans et la France 1871-1919,Paris,Bouchéne,2005,pp.308-310.

[2] - أنظر الملحق (رقم 5)

[3] - H.Duveyrie,la confrérie Musulmane de Sidi Mohamed Ben Ali es Senoussi et ses Domaines Géographique en l'année 1300 de l'Hegire et 1883 de notre Ere,Paris,Société de Géographie,Boulevard saint- Germain 181, 2 Trimestre 1884,p176.

[4] - كان السلطان عبد الحميد نفسه متأثرا بالطريقة الشاذلية، ومعتنقا للصوفية الإمامية ،أنظر موفق بن المرجة، صحوة الرجل المريض... ، مرجع سابق ،ص 122.

[5] - علي محمد الصلابي ،السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الاسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية،دار اليقين للنشر والتوزيع ،2002، ص43

على سبيل المثال: "أحمد أسعد "وكيل الفراشة الشريفة في الحجاز و"الشيخ أبو الهدى الصيادي" شيخ الطريقة الرفاعية كما سبق ذكره وغيرهم وكان هؤلاء من أشهر أعضاء اللجنة المركزية التي أنشأها السلطان في إسطنبول لتكون الخلية الأساسية المباشرة لمشروع الجامعة الإسلامية والتي كانت لها فروع في العالم الإسلامي كفرع مكة وفرع بغداد الذي كان مهما بالنسبة لسكان شمال إفريقيا لأنه كان مقصد أتباع الطريقة القادرية الذين يقصدون ضريح الشيخ "عبد القادر الجيلاني"[1]بل وكان فرع بغداد يعمل على تهيئة الأشخاص القادمين من شمال إفريقيا لحمل مشروع حركة الجامعة الإسلامية،ولمقاطعة الإستعمار الفرنسي في بلدان المغرب العربي[2]مما جعل السلطات الفرنسية تتهم بالعمل ضد فرنسا خاصة أتباع الطريقة الشاذلية والمدنية والقادرية الذين كانوا يسعون إلى تكوين جيش من المتطوعين من بلدان المغرب العربي لمحاربة فرنسا ولم تكن بلاد المغرب العربي بعيدة عن مشروع حركة الجامعة الإسلامية،بل كان يوجد بها فرعان للجنة المركزية المكلفة بنشر المشروع، وكانا يعملان في سرية تامة خشية إكتشاف الاستعمار الفرنسي لهما، وكان من بين مهامهما التنسيق بين الطرق السابقة الذكر في مقاومة الاحتلال الفرنسي.

لم تكن الطرق الصوفية والزوايا تخضع للحدود الجغرافية في ظل إنتشارها ضمن العالمين العربي و الإسلامي،مما يشكل تداخلا بشريا واضحا لمريديها وشيوخها وهو ما جعلها تمارس تأثيرا واضحا ضمن هذا النطاق الواسع،وقد أدركت كلا من السلطات العثمانية والإستعمارية أهمية وخطورة دور هذه الزوايا لاسيما التي عرفت بدورها الجهادي والتحريض ضد الاستعمار الفرنسي،مما دفع السلطات الفرنسية إلى اتهام العديد منها في الجزائر بكونها أجنبية مثل السنوسية والقادرية على إعتبار أن أصولها تعود إلى ليبيا أو المغرب أو العراق...

غير أنه من الواجب أن نشير في هذا السياق إلى أنه لم تكن كل الطرق الصوفية تتبنى مشروع الجامعة الإسلامية،فقد وقف بعضها ضد المشروع وفي صف الإدارة الاستعمارية كالطريقة التيجانية،و لكن فرنسا كانت ترى في البعض الأخر من الطرق الصوفية عيونا سرية وأداة عميلة لمشروع حركة الجامعة الإسلامية التي كانت تسعى إلى طرد الاحتلال الفرنسي من بلدان المغرب العربي على حد زعمها، وهذه الطرق هي : الدرقاوية والبوعبدلية والحنصلية والخلوتية والسلامية والشابية والعيسوية والطيبية والرحمانية والمدنية[3]. وكان الشيخ "إبراهيم التادلي المغربي" من بين الشخصيات الصوفية المتأثرة بمشروع الجامعة الاسلامية وقد زار العاصمة إسطمبول وقابل "السلطان عبد الحميد

[1] - عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني(1077-1166م) هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي، لقبه أتباعه بـ "باز الله الاشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد". وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية.

[2] - علي الصلابي ،السلطان عبد الحميد... ،مرجع سابق،ص43.

[3] - جدير بالذكر أن موقف هذه الطرق الصوفية لم يكن ثابتا تجاه الفرنسيين خاصة مع إندلاع الحرب العالمية الأولى1914-1918م).

لثاني" سنة(1881م) كما زارها أيضا الشيخ "أحمد مصطفى بن عليوة"[1] ما بين(1909و 1910م)في الوقت الذي كانت تعيش فيها تركيا فوضى سياسية وإعلامية جراء الانقلاب على "السلطان عبد الحميد الثاني" الذي قاده حزب تركيا الفتاة ورجع بن عليوة إلى الجزائر مشدوها من شدة صخب ما رأى[2]، وعلى ما يبدو أنه أدرك أن في ذلك بداية نكسة مشروع الجامعة الإسلامية.

وهكذا وجدت الدول الإستعمارية وعلى رأسها فرنسا أنها أمام حلين لاثالث لهما في التعامل مع هذه الطرق، إما الصدام وإما التدجين وصناعة قيادات تخضع لها وهي مهمة، أثبت التاريخ أنها لم تنجح مع كل الطرق الصوفية ومع كل الزعامات الدجينية المناهضة لها.

2-4 : تواصل النخبة الجزائرية مع أقطاب الجامعة الإسلامية

شكلت الجزائر مجالا طبيعيا يدخل ضمن إهتمامات رواد الجامعة الإسلامية ، على إعتبار أن منطقة شمال إفريقيا كانت أول منطقة تتعرض للإحتلال الأوروبي ، وتجلى فيها الصراع الحضاري بين المجالين العربي الإسلامي و الغربي المسيحي مبكرا ما جعلها مجالا خصبا لفكرة الجامعة الإسلامية، التي" منحت الجزائريين جبهة يتخندقون فيها ضد الاستعمار، وعملت على التعريف بالقضية الجزائرية وحرضت الجزائريين على رفض التجنيس وعلى الهجرة نحو المشرق العربي.

وقد أخذ هذا الإهتمام أشكالا متعددة، نحاول التعريج على بعضها ،فبالنسبة للجمعيات الشهيرة المرتبطة بها، ذكر "محمد رشيد رضا" أن "الأمير عبد القادر" كان عضوا في جمعية العروة الوثقى[3] و التي كانت من أهم الجمعيات

---

[1] - أحمد بن مصطفى بن عليوة (1872-1934م) مؤسس الطريقة العليوية،الكائن مقرها بمستغانم في الغرب الجزائري،كان كثير الترحال زار معظم العواصم العربية ،للمزيد أنظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،(ج4)،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1998ص126-139 ، وأبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية ،(ج2)،ص416-419.

[2] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،(ج5)، مرجع سابق ،ص504.

[3] - جمعية العروة الوثقى: كانت مجلة العروة الوثقى -التي أصدرها في باريس جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده- لسان حال جمعية سرية عرفت أيضاً بهذا الاسم (جمعية العروة الوثقى) ولم يكن يتاح لأعضاء الجمعية البوح بواحد من أسرارها حسب المادة 26 من دستور الجمعية: (لا يباح لأحد من رجال العقد أن يذكروا شيئاً من أحوالهم ومقاصدهم ومذاكراتهم عند من ليس من مقصده في شيء، بل لا يباح التصريح باسم العقد وأهله إلا لمن حصلت له الثقة بحاله عند رجال العقد). ولم يُقدم محمد رشيد رضا على فتح ملف هذه الجمعية حتى أصبحت كما يقول من الحوادث التاريخية. حيث نشر دستور هذه الجمعية عام 1931 وذيله بذكر اليمين الذي كان يحلفه المنتسب إليها. وهو من وضع الأستاذ الإمام محمد عبده، ونصه: (أقسم بالله العالم بالكلي والجزئي، والجلي والخفي، القائم على كل نفس بما كسبت، الآخذ لكل جارحة بما اجترحت، لأحكمنَّ كتابَ الله في أعمالي وأخلاقي، بلا تأويلٍ ولا تضليلٍ. ولأجيبنَّ داعيه فيما دعا إليه، ولا أتقاعد عن تلبيته في أمر ولا في نهي، ولأدعون لنصرته، ولأقومنَّ بها ما دمت حياً، لا أفضِّل على الفوز بها مالاً ولا ولداً. أقسم بالله مالك روحي ومالي، القابض على ناصيتي، المصرف لإحساسي ووجداني، الناصر لمن نصره، الخاذل لمن خذله، لأبذلن ما في وسعي لإحياء الأخوة الإسلامية، ولأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصحيحتين، ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى، وانتظم في عقد من عقودها، ولأراعينها في غيرهم من المسلمين، إلا أن يصدر عن أحد ما يضر بشوكة الإسلام، فإني أبذل جهدي في إبطال عمله المضر بالدين، وآخذ على نفسي في أثره مثل ما آخذ عليها في المدافعة عن شخصي. أقسم بهيبة الله وجبروته الأعلى أن لا أقدّم إلا ما قدّمه الدين، ولا أوخر إلا ما أخّره الدين، ولا أسعى قدماً واحدة أتوهم فيها ضرراً يعود على الدين، جزئياً كان أو كلياً، وأن لا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين في شيء يتفق رأي أكثرهم عليه. وعليَّ عهد الله وميثاقه أن أطلب الوسائل لتقوية الإسلام والمسلمين، عقلاً وقدرةً بكل وجه أعرفه، وما جهلته أطلب علمه من العارفين، لا=

المشتغلة في إطار الجامعة الإسلامية لحد وصف أحدهم بأن " صرخاتها وجدت الآذان الصاغية والقلوب الواعية، وأنها أثرت في الجزائر مثلما أثرت في العالم الإسلامي"[1].ويرجح "رشيد رضا" أن "جمال الدين الأفغاني" يكون قد زار الجزائر أثناء وجوده في باريس وأطلع على أحوالها المأساوية "[2].

4- أ :محمد عبده يتفقد تلاميذه في الجزائر:

تعود علاقة الشيخ "محمد عبده" لأوائل رموز النضال الجزائري ،فعندما كان منفيا في بيروت، قام سنة (1882-1883م) بزيارة" الأمير عبد القادر" بدمشق وربط معه صلات وثيقة عبرت عنها رسائلهما المتبادلة والتي وصفها "رشيد رضا" بأنها كانت رسائل إصلاح من جهة ووداد من جهة أخرى.بل إن هناك إشارات تدل على أن بين الأمير والشيخ عبده "أسرارا" ربما كانت تدور حول جمعية العروة الوثقى، إذ يقول في إحدى رسائله إلى الأمير:" **ورجائي ألا يزايل فكرك ما تفارقنا عليه وسبق الكلام فيه مرارا... و أن يرد من سيادتك ما يبشرني بسلامة حالك ومجمل الحاصل من سعيك"**[3]

لكن أهم حدث تاريخي يربط "محمد عبده" بالجزائر هو زيارته لها سنة (1903م)فقد وجد أن شهرته قد سبقته إليها بإعتباره مفتيا وشيخا للأزهر، وداعية إصلاح المجتمع الإسلامي. وهذه الشهرة كانت قد حملتها ورسختها مجلة (المنار) لمحمد رشيد رضا التي كانت تنشر مقالاته وتفسيره للقرآن الكريم برؤية عصرية، لذلك كان للشيخ عبده مريدون جزائريون أوفياء له رغم بعد الدار وقد كتبت الجريدة الفرنسية الواسعة الإنتشار في وقتها وهي (لوطان Le Temps) أن الشيخ عبده قد إكتشف أن له حزبا من الأنصار والمؤيدين. ومن تلاميذه الذين إكتشفهم: "محمد بن مصطفى" المعروف بابن الخوجة الذي كان يطالع المنار منذ إنشائها لأنه كان محررا في جريدة (المبشر) الرسمية...وبالإضافة إلى "بن سماية"، هناك "عمر بن قدور" الذي كان يراسل جريدة الحاضرة بتونس والحاضرة باسطانبول وبعض الجرائد المصرية . وهناك أيضا "عمر راسم" الذي كان مقتنعا بالإصلاح الإجتماعي وكان من الأوائل الذين تحدثوا عن الإشتراكية بالمفهوم الماركسي.وكان هو و"بن قدور" قد زارا مصر، وبالإضافة إلى هؤلاء نجد شيوخ العلم المتصلين بالإدارة الفرنسية والذين لا يستطيعون التحرك إلا في نطاق دعوة الشيخ عبده – الإصلاح عن طريق التعليم وصحيح العقيدة.. ومن هؤلاء "محمد بن شنب" و"المولود بن الموهوب" وعبد القادر المجاوي" و"السعيد بن زكري" وأغلبهم من شيوخ العاصمة[4]

أدع وسيلة حتى أحيط به بقدر ما يسعه إمكاني الوجودي. وأسأل الله نجاح العمل، وتقريب الأمل، وتأييد القائم بأمره والناشر لواء دينه. آمين) (المنار: ج 31/ ص9).

[1] - أحمد حماني ، "دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين "، **مجلة الثقافة**، ع38، الجزائر ،أبريل – مايو1977،ص99.

[2] - محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ،مطبعة المنار،مصر ، 1931،(ج1) ،ص38.

[3] - أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي ...، مرجع سابق،ص 114.

[4] - سعد الله ،بحوث في التاريخ... ، مرجع سابق،ص116.

عندما حل الشيخ بالجزائر نزل عند أحد تلامذته وهو "عبد الحليم بن سماية"[1] الأستاذ بالمدرسة الثعالبية التي كانت تجمع بين التعليمين العربي والفرنسي.وقد إلتف من حوله بقية تلاميذه وهم نخبة المجتمع عندئذ وأسماؤهم معروفة ومراسلاتهم معه مدونة ومنهم الأستاذ "مصطفى الكمال" و"المولود بن الموهوب" والصحفي" عمر بن قدور" والفنان والصحفي" عمر راسم"... وبالإضافة إلى هؤلاء انتشرت آراؤه التي بثها في كتابه (رسالة التوحيد) وسط المثقفين ورجال الدين الذين أصبحوا يستوحون من هذا الكتاب خطب الجمعة ودروس الوعظ والمقالات الصحفية والدعوة إلى التجديد[2] .

وقد أبان "عبد الحليم بن سماية" بوضوح عن إعجابه بمحمد عبده في رسالة رد فيها على أحد أصدقائه[3] ، يسأله عن كلام يُتهم فيه الشيخ عبده بأنه من المعتزلة فيقول :" **ولقد شاهدت منه فعلا، كما سمعت منه قولا أن يفر من الإختلاف فراره من الأسد، ومن عجيب أمره أنه ما خالفه مخالف في مجلسه ، إلا وتمكن من إلقاء القبض عليه بجند الحق ، حتى يوقفه إلى حده وكل ذلك بكلام لا يخالطه الضغط وعقل لا يستفزه الطيش وخلق لا يأتى على وسعه ضيق..."**[4]

وقد جاءت زيارته تلك في وقت بدأت تتشكل فيه نخب جزائرية متعددة المشارب داخل المجتمع الجزائري.لا سيما النخبة المحافظة منها والتي ظلت تحاول و تعمل على إحياء قيم الشعب الجزائري العربية والإسلامية متحدية كل الظروف القاسية التي أحاطتهم بها القوانين والسلطة الاستعمارية الجائرة، وفي الوقت الذي ظن الفرنسيون فيه بداية الأفول الحضاري العربي الإسلامي من الجزائر ، تحت سلسلة الضربات الاستعمارية القوية العسكرية والسياسية

[1] - عبد الحليم بن سماية : ولد بالجزائر العاصمة سنة (1866/1283)، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء قطره، في مقدمتهم والده الشيخ علي بن سماية ، والشيخ الطاهر تيطوس، والشيخ علي بن حمودة, وكان له إلمام باللغة الفرنسية، كما كانت له معرفة باللغة العبرية، وكثيرا ما كان يجادل أصحابها في دينهم، ويناظر أحبارهم ورهبانهم، ويسوق لهم الأدلة والنصوص من كتبهم وبلسانهم.
يعتبر عبد الحليم بن سماية في مقدمة العلماء الذين أسسوا النهضة الجزائرية الحديثة، ومن أوائل المصلحين الجزائريين.ومما اشتهر به وقوفه ضد تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وإصداره الفتوى المعروفة في ذلك مما أغضب سلطات الاحتلال, وأدت إلى فصله من عمله .،استقبل الإمام محمد عبده عند زيارته للجزائر، وكان من مناضلي الجامعة الإسلامية (الوحدة تحت راية الخلافة الإسلامية)، كما يعدّ من أوسع علماء عصره علمًا وثقافة, فقد تخرّج على يديه جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة, له مؤلفات قيمة من أبرزها كتبه: "اهتزاز الأطواد والربى في مسائل تحليل الربا"، و"رسالة في التوحيد"، و"الرد على شبه المبطلين والملحدين"، و"كتاب فلسفة الإسلام" الذي قدمه إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر (1905) وقرأ الفصل الأول منه على الحضور، غير أن حكومة الاحتلال رفضت طبعه ضمن أعمال المؤتمر.توفي بالجزائر العاصمة ليلة الخميس 05 رمضان عام 1351هـ الموفق لـ 02 يناير 1933م.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، التواصل الثقافي بين الجزائر ومصر،الحلقة2،**جريدة الشروق**، ع 2512،الأربعاء 21جانفي 2009/ الموافق ل24 محرم 1430هـ ،ص19.

[3] - رد عبد الحليم بن سماية برسالته المؤرخة في 29 ربيع الثاني 1322هـ / 12 جويلية 1904م ، على رسالة صديقه مفتي وهران الشيخ علي بن عبد الرحمان المشهور بالجزيري، نسبة على العاصمة، المؤرخة في 17 ربيع الثاني 1322 هـ /30 جوان 1904م ، أنظر نص الرسالتين كاملتين في : المهدي البوعبدلي ،" جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903م /1322 هـ "، **مجلة الأصالة** ، ع 54-55 ، السنة السابعة ،ربيع الأول –ربيع الثاني 1398 هـ / فيفري – مارس 1978م،صص 72-88.

[4] - المهدي البوعبدلي،" جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده...، مرجع سابق ،ص80.

والقانونية والإدارية والثقافية والدينية واللغوية، وقد جاءت زيارة "محمد عبده" للجزائر في إطار بسيط ألا وهو الدعوة للإيمان الحقيقي و كيف يعيش المسلمون الإسلام الأول ، مع الدعوة للإهتمام باللغة العربية بعيدا عن أي تدخل في الشؤون السياسية وهذا ما يفسر أن الإدارة الفرنسية لم تضع أية عراقيل في وجه هذه الزيارة بل كان من بين المستقبلين بعض رجالها[1]. وللعلم فإنه عند تسرب خبر الزيارة راسل بعضهم حكومة الجزائر محذرا من عقوبة هذه الزيارة لأن الشيخ في نظرهم كان ذاهبا لتحريض الجزائريين على الثورة والخروج عن الحكم الفرنسي[2].

أقام الشيخ "محمد عبده" في العاصمة بحي شعبي مكتظ بالسكان هو حي بلكور(بلوزداد حاليا) وألقى بعض المحاضرات في تفسير القرآن الكريم، فحث على التقدم والإصلاح بالمفهوم السلفي الذي يتبناه، ثم زار مدينة قسنطينة المعروفة بمحافظتها على التراث والتي له فيها تلاميذ أيضا ، ولكن زيارته للجزائر لم تدم أكثر من أسبوع ومع ذلك دامت آثارها عقودا لأن فلسفته وبرنامجه الإصلاحي قد تبنتها حركة عبد الحميد بن باديس التي انطلقت في أوائل العشرينيات، ثم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ولدت سنة (1931م)[3].

لقد تحركت كوكبة من العلماء والفقهاء والشيوخ وطلبة العلم في أحد المساجد الخمسة المتبقية في الجزائر العاصمة، وليجلسوا متحلقين ومعجبين إلى جوار حلقة علمية صغيرة للشيخ "محمد عبده" ، القادم لزيارة الجزائر ونشر الدعوة والوعي الإسلامي فيها وبث دعوته الإصلاحية والتربوية الاجتماعية البعيدة عن العمل السياسي – يستمعون إلى تفسيره العصري لسورة العصر ولجزء عم، وعلى رأسهم الشيخ المصلح "عبد الحليم بن سماية" ، و"مصطفى بن الخوجة" وغيرهم.. وليقدم لهم تجربة مدرسة المنار في تجاوز الحاجز الاستعماري والنفوذ إلى روح الشعوب ومدها بالقيم الدينية و التوعوية الصالحة.

ورغم أن آثار هذه الزيارة لم تكن آنية، ربما لمدتها وطبيعة ما نوقش فيها ومراقبة السلطات الفرنسية للشيخ "محمد عبده" ومضيفيه، فإن آثارها البعيدة لم تكن خافية ،فقد سعت هذه النخبة المثقفة التي تباينت مشاربها وإتجاهاتها وأدواتها الثقافية لتعيد بارقة الأمل إلى الينبوع الثقافي الجاف الذي يربط الجزائر بالعمق العربي الإسلامي بعد أن أعفت عليه سنون القهر والقمع الإستكباري، وما عاد أحد يستطيع القول ببقاء أية علاقة بين الشعب الجزائري وقيمه العربية الإسلامية، وأستيقن غلاة الإستعمار أن الجزائر العربية الإسلامية قد إنمحت ولم يبق لها وجود وغدت كأنها أندلس ثانية، وها هي جزائر فرنسية أمامهم، ولعل وصف الزعيم المصري الأستاذ "محمد فريد وجدي" الذي زار الجزائر سنة(1901م) ووصف لنا حال أهلها المستضعفين وحالة التربية والتعليم ومؤسساتهما التعليمية والثقافية

[1] - Amar Hellal,Le movement reformiste ...,Op.cit,p105.

[2] - أبو القاسم سعد الله ،بحوث في التاريخ ...، المرجع سابق ،ص115.

[3] - أبو القاسم سعد الله ، التواصل الثقافي ...،المرجع السابق،ص19.

خير وصف، وأرخ لها خير تأريخ إذ يقول في مقال كتبه عن التعليم والمدارس في الجزائر في جريدة اللواء المصرية (عدد 612) المنشور يوم(1901/01/31م): ".. **فالتعليم الديني لا وجود له تقريبا، ولولا من يتكبد مشقة طلب العلم من جامعنا الأزهر لأصبح نسيا منسيا، أما ما أتفق على تسميته بالتعليم العصري فلا وجود له بالنسبة للمسلمين بالمرة، نعم يوجد بالقطر الجزائري مئات من المدارس الإبتدائية الفرنساوية على طراز مدارس فرنسا لكنها كلها مخصصة لأولاد الفرنساويين، ولا تفيد من يدخلها من العرب لعدم تعليم اللغة العربية بها، وبإختصار فحالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا ولو إستمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنساوية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما تندرس اللغة العربية بالمرة، فلا الحكومة الفرنسية تسعى في حفظها ولا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس لأن الإجتماع ممنوع خوفا من أن تشتغل جمعياتهم بالأمور السياسية**".[1]

وقد لخص "محمد رشيد رضا" في كتابه حول الشيخ "محمد عبده" نتائج زيارته شيخه للجزائر في شكل توصيات كما يلي :

- **الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها القريبة التي أرشد إليها في الخطاب الذي ألقاه في تونس..**
- **الجد في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة والشريفة ، مع الاقتصاد في المعيشة.**
- **مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الأخير يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم...**[2].

ويبدو أن محدودية هذه الزيارة ونتائجها قد ولد لدى بعض الجزائريين نوعا من المفاجأة الممزوجة بالغضب من زيارة كان يتوقع منها أكثر من ذلك بكثير، من زعيم مشرقي كبير ذائع الصيت، فبينما كان البعض ينتظر منه إحياء روح التمرد لدى الجزائريين من جديد ، هاهو يدعوهم إلى التعامل مع الإدارة الفرنسية وتجنب الاصطدام السياسي معها، ولعل هذا ما شجع الحاكم العام أن يطلب من "محمد عبده" فتوى فحواها" أن أرض الجزائر ليست محتلة من طرف دولة كافرة، بما أن المسيحيين لهم كتاب سماوي يسمى الإنجيل"، ومنذ زيارته تلك للجزائر أبان "محمد عبده" عن شيئ من المرونة في التعامل مع الإستعمار، في زيارته للعديد من المستعمرات الفرنسية وأنه لا يرى حرجا في أن يلبس

[1] - أحمد عيساوي،"قراءة في فصول المشهد الثقافي الجزائري "، **مجلة الوعي الإسلامي**، مجلة كويتية شهرية جامعة، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت،(ع532)،بتاريخ 30 سبتمبر 2010،ص11-15.

[2] - محمد رشيد رضا، " نصيحة الأستاذ الامام لأهل الجزائر وتونس" ، **المنار**،(ج15)، مج06،الخميس غرة شعبان 1321- 22اكتوبر 1903،ص ص 608-609.

الأهلي قبعة أوروبية بدل الشاشية" وهذا ما يبدو أنه أثار حفيظة البعض ، ففي وثيقة عثر عليها تخص الكاتب "عمر راسم" ، جاء فيها :"**يبدو أن معظم القيادات المشرقية أضحت مصابة بمرض الماسونية، هذا الوباء الذي إجتاح المشرق ورجاله...الذي أصبحوا يمررون تعليمات الماسونية قبل التعاليم الإلهية...ونستطيع أن نقول دون أدنى تخوف أن عبده جزء من هذه المجموعة التي تُفضل "اللورد كرومر" على "عباس حلمي" وعلى "السلطان عبد الحميد الثاني" وتُفضل أن تكون مصر إنجليزية على أن تكون مستقلة أو عثمانية....."**[1].

لكن دراسة ما يحيط بهذه الزيارة من ظروف يجعلنا نتفهم مدى الحذر الذي كان عليه "محمد عبده" ،فقد أخبر الكثير ممن كتبوا عن زيارة الشيخ للجزائر أنه كان محاطا بالجواسيس الذين يحصون عليه أنفاسه...كما يبدو أن الشيخ عبده قد نصحه الناصحون بعدم التعرض بالنقد للحكومة حتى لا تمنع وصول المنار إليهم.لأن المنار حسب قولهم كما الحياة بالنسبة إليهم فإذا إنقطعت عنهم عاشوا منكوبين. وقد يفهم البعض أن هذا الرأي موعز به من قبل الفرنسيين أنفسهم وهو نوع من الإبتزاز بالنسبة للشيخ، فإذا دعا إلى النهضة والتحرك، منعوا المنار من دخول الجزائر وتونس"[2].

ومن الذين إرتبطوا أيضا بالشيخ محمد عبده ، نجد "محمد بن الخوجة" (الكمال) حتى أنه كرر إلقاء تفسير سورة (العصر) على منبر خطاباته في جامع صفر بعد نشر التفسير في كتيب خاص[3] و"عبد الحليم بن سماية" و"المولود بن الموهوب" و"عمر بن قدور" و"عمر راسم" أما الشيخ "عبد الحليم بن سماية" فقد تواصلت المراسلة بينه وبين الشيخ "محمد عبده" بعد الزيارة أيضا حيث كتب إليه رسالة إخوانية مدحه فيها بالفضل والعلم والأخلاق وتنبأ له بأنه سيكون إمام قومه في الهداية وسبيل الرشاد وحثه على الإستعداد لهذه المهمة" بالإستمرار في مزاولة كلام البلغاء من أهل اللسان العربي" ومواصلة ما بدأ به من اللغة الفرنسية ودراسة أخلاق الناس والتعمق في تاريخ الأمة الإسلامية والتطور الديني وعلل ذلك وأسبابه. وأوصاه بالإستعانة بإخوانه "ابن الخوجة" و مفتي الحنفية (بوقندورة)

---

[1] - Amar Hellal,Le movement ...,OP.cit,p106.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (ج5)...، مرجع سابق،ص588.

[3] - بعد أن أكتمل تفسير سورة العصر عبر صفحات المنار، قام محمد رشيد رضا بجمعه في كتيب صغير ، طبع معه أيضا ملخص درس محمد عبده وخطابه في تونس، وقد كتب الشيخ محمد بن المصطفى، أحد علماء الجزائر المشهورين، رسالة إلى المنار يقول فيه : وقد اطلعت في المنار الأنور على تفسير سورة العصر، بقلمكم البديع، فراقني اسلوبه الفائق العجيب، واخذ مني منزعه العجيب بالتلابيب... ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلماء والطلبة والأعيان ، عشر مرات في مجالس متفرقة، فاستحسنوه جدا وأستجزلوا فوائده....، أنظر : محمد رشيد رضا ، "تفسير سورة العصر"، **المنار** ، ج23، مج06، الخميس غرة ذي الحجة 1321 – 18 فبراير 1904م ،ص917.

وحذره من " النظر في سياسة الحكومة أو غيرها من الحكومات ومن الكلام في ذلك.فإن هذا الموضوع كبير الخطير قريب الضرر"[1].

أما بن سماية فلم ينس تسجيل إعجابه بالشيخ فإضافة إلى مكاتبته ، أرسل إلى (المنار) قصيدة من خمسين بيتا، إعتبرها "محمد رشيد رضا" "**آية من آيات صلة علماء الإسلام بعضهم بعض في الأقطار المتباعدة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به أهل الشرق من قدر الأستاذ الإمام...**"[2].

وقد جاءت القصيدة مليئة بكلمات المدح والإعجاب والإطراء التي أبان عنها بن سماية تجاه الشيخ "محمد عبده" ومبرزة فضله على العلم والإصلاح ومما جاء فيها:

فأنت لنا شمس تنير على المدى **** أتى نورها من غير أن نتطلعـــــا

يذكرنيك المجد والعلم والتـــقى **** فأنظر من علياك عرشا مرقعـــــا

لعمرك ما تغني العلوم وحفظها **** إذا لم تكن فيها خطيبا و مصقعا.

هذا ويذكر "محمد علي دبوز" :"**إن علماء الجنوب في وادي ميزاب وزعماء نهضتها في شبابها ونضوجها يعدون أنفسهم تلاميذ الشيخ "محمد عبده" وكان الشيخ "الحاج عمر بن يحي" مغرما بكتبه وتاريخه وكذلك معاصروه من زعماء النهضة في ميزاب : "الشيخ الحاج عمر بكلي"و"سليمان بن بنوح" والشيخ "يحي بن صالح" وغيرهم، وكان إمام النهضة في الجنوب "الشيخ بيوض "وأستاذ معهد الحياة، قد درس لنا في المعهد رسالة الشيخ "محمد عبده" في التوحيد... وكان يُفسر القرآن على غرار الشيخ محمد عبده ويسلك طريقته... ومن جملة ما كان يردده علينا في دروس البلاغة والأدب قوله :" إن مقصدي في هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ "محمد عبده" أن أخلق عقولا تتذوق بلاغة القرآن ونفوسا فيها طهر القرآن وتلاميذ مصلحين يكونون جند القرآن"، وكان الشيخ "أبو اليقظان "والشيخ "عبد الرحمان بكلي" والشيخ "سليمان بن الحاج داوود" والشيخ "عدون بن بالحاج" والشيخ "صالح بابكر" وغيرهم من زعماء النهضة في ميزاب كلهم تلاميذ الشيخ "محمد عبده"**[3]

وبعد وفاة الشيخ عبده أصاب تلاميذه في الجزائر التأثر والألم وكتبوا المراثي شعرا ونثرا وقد تولت المنار نشر ذلك ، ومنه مرثية الشيخ "محمد بن القائد علي" الإمام بالجامع الجديد،فقد نشرتها المنار مختصرة... ولكن تأثير مدرسة

[1] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق،ص593.

[2] - محمد رشيد رضا ، "قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام"، **المنار** ، ج23، مج06، الخميس غرة ذي الحجة 1321 – 18 فبراير 1904م ،ص917.

[3] - محمد علي دبوز،نهضة الجزائر الحديثة (ج2)...، مرجع سابق،ص30.

الشيخ عبده من خلال المنار لم تنته بوفاته فقد تواصلت على يد جيل أخر من النخبة المثقفة بالعربية أو مزدوج اللغة والملاحظ أن النخبة المستغربة المتخرجة من المدارس الفرنسية فقط لم تتأثر بأفكار الشيخ عبده لأنها لم تكن تقرأ المنار وليست لها علاقة تقريبا بثقافة المشرق[1].

4- ب : محمد رشيد رضا مرآة الإصلاح في المشرقي

لقد كانت علاقة "محمد رشيد رضا" جد وطيدة بالنخبة الجزائرية و المحافظة منها على وجه الخصوص عبر ما كانت تنشره" المنار" حول قضايا العالم الإسلامي عامة وما يتعلق بمواضيع فرنسا والإسلام، فقبل زيارة محمد عبده للجزائر سنة(1903م) كتب "محمد رشيد رضا" العديد من المقالات التي رد فيها على المستشرق الفرنسي (هانوتو Hanoteau)[2] ، الذي إتهم الإسلام بأنه دين التواكل والقدرية.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي ...، مرجع سابق، ص 118.

[2] - ألبرت أوغست غابرييل هانوتو ، 19نوفمبر 1853 - 11 أفريل 1944، المعروف باسم غابرييل هانوتو مؤرخ ورجل دولة فرنسي.ولد في بوريفوار في إقليم أيسن .درس التاريخ في مدرسة دي شارتيه، ثم بدأ حياته السياسية بالخدمة المدنية بدلاً من المشاركة في حزب سياسي. وفي عام 1879، التحق بوزارة الخارجية كسكرتير، وتدرج خطوة بخطوة في السلك الدبلوماسي.في عام 1886، انتخب نائبًا عن أيسن، ثم عاد في عام 1889 إلى عمله في السلك الدبلوماسي. وفي 31 مايو 1894، تم اختياره من قبل تشارلز دوبوي ليكون وزير الشؤون الخارجية، واحتفظ بالمنصب حتى 14 يونيو 1898، مع فترة انقطاع واحدة في وزارة ألكسندر ريبو في الفترة من 26 يناير 1895 - 2 نوفمبر 189.انتخب هانوتو عضوًا في أكاديمية اللغة الفرنسية في 1 أبريل 1897، وشغل منصب مندوب فرنسا في عصبة الأمم، وشاركت في الدورة الأولى (15 نوفمبر - 18 ديسمبر 1920)، والثانية (5 سبتمبر - 5 أكتوبر 1921)، والثالثة (4 سبتمبر - 30 سبتمبر 1922) والرابعة 3)سبتمبر - 29 سبتمبر 1923)..توفي غابرييل هانوتو في باريس عام 1944، ودفن في مقبرة باسي، من أعماله كمؤرخ:دراسات تاريخية عن القرنين السادس عشر والسابع عشر في فرنسا *(1886)*-تاريخ الجمهورية الثالثة" (1904)، التاريخ الرسمي لفرنسا المعاصرة-.تاريخ الأمة الفرنسية" (17 مجلد، (1920).كتب هانوتو وهو أحد أعلام السياسة الخارجية الفرنسية ووزير خارجيتها في مرحلة دقيقة من علاقة الغرب وليس فرنسا وحدها مع العالم الإسلامي مقالات ملئت اتهامات للإسلام والمسلمين ولكنه في الواقع كانت تصور ما نعتبره نحن أمرا ايجابيا لدى المسلمين والسعي لدى الغرب من أجل القضاء عليه وإنهائه لأنه العقبة الكأداء في تحقيق الأهداف الاستعمارية الفرنسية في العالم الإسلامي أننا عندما نتمعن في مقال المستشرق والوزير الفرنسي نجده يطرح ثلاثة أمور أساس وخطيرة في نظره ويجب معالجتها لأنها تشكل فقط قوة لدى المسلمين وهذه النقط هي:

– 1التضامن الحاصل بين المسلمين وهو يسرد بالاسم الأقطار التي تم استعمارها كما يسرد نقط الارتكاز للحكم الإسلامي ومواقع الربط بين هذا العالم وهو من خلال ذلك ينبه إلى ضرورة إنهاء هذا الارتباط الموجود بين المسلمين، وفي الوقت نفسه يلحظ الدور الذي يلعبه موسم الحج في جمع الكلمة والدور الذي يلعبه الدراويش في المقاومة والتعبئة ضد الاحتلال الأجنبي.

– 2الرقعة الجغرافية التي يوجد فيها الإسلام والمسلمون وأهميتها ومكانتها الإستراتيجية.

– 3سرعة انتشار الإسلام والتجاوب الذي يلقاه لدى الشعوب فلا تخلو رقعة من الأرض من وجود الإسلام والمسلمين، وهم يتزايدون ويكثرون ولا ينقصون.

إن هذه النقاط الثلاث هي التي تؤرق الرجل وتطرح أمامه مشاكل باعتبار ما يريد تحقيقه من القضاء على الإسلام واحتلال أرضه بكل ما في هذه الأرض من موارد وما لها من أهمية إستراتيجية على مستوى الصراع بين الأمم والشعوب.

إن الخوف من الإسلام يأتي من وجود هذه العوامل الثلاثة التضامن –الامتداد الجغرافي، سرعة الانتشار، وما يتحدث به في العالم اليوم ويشكل مصدر قلق للغرب الاستعماري هو أن هذه العوامل لا تزال قائمة رغم كل ما قاومه الغرب طيلة عقود وربما قرون من مكائد ودسائس من أجل القضاء على هذه العوامل.من أبرز من رد على كتابات هانوتو الشيخ محمد عبده في كتابه الشهير (الإسلام بين العلم والمدنية) ومحمد رشيد رضا عبر صفحات المنار ، أنظر: سلسلة مقالات هامة و الموضوع للدكتور محمد السوسي في ثلاث حلقات ، بعنوان " في صحبة محمد عبده في الذكرى المئة وعشرة أعوام على وفاته"، في **جريدة العلم المغربية**، الأعداد 3622-3626-3629 بتاريخ 10 و14 و17 أفريل 2015.

كما نشر "رشيد رضا" مقالا بعنوان " فرنسا والجزائر"[1] على صفحات المنار نصح فيه فرنسا التي وصفها بالدولة العظيمة بحسن معاملتها لمسلمي مستعمراتها وإدارتها في الجزائر لكي تملك قلوبهم، وقد إعتذر رشيد رضا لفرنسا بأنها غير مرتاحة للطريقة التي تسوس بها الجزائر ولكنها سياسة ضرورية إلى أن يأتي ما هو خير منها، ونوهت المنار بوعود رئيس جمهورية فرنسا للجزائريين أثناء زيارته لبلادهم سنة(1902م) بأن أحوالهم ستتحسن.

هذا بعد أن كان "رشيد رضا" قد كتب مقالا بعنوان " فرنسا والإسلام" إتهم فيه فرنسا بأنها تتبع في إفريقيا ومنها الجزائر " سياسة خرقاء" كما إتهمها بأنها سلكت مع المسلمين طريقة العنف والقهر وأنها حالت بينهم وبين التعليم. وإتهمها أيضا بالتخبط معلنا :" **لو أطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت لهم على أحكام شريعتهم وآدابها ومساعدتهم على ترقي بلادهم وعمرانها وأقامت فيهم العدل لكانت هذه المعاملة الحسنى أقوى جانب يجذب جيرانهم**"[2] وقد فند "رشيد رضا" في هذا المقال إدعاءات "هانوتو" في مانشره من أن عقائد المسلمين هي السبب في تأخرهم وانحطاطهم وإفتقارهم للرابطة القومية التي كانت محرك التطور في أوروبا والفصل بين الدين والدولة، لكن رشيد رضا عاد وقلل من حدة إنتقاده للسياسة الفرنسية وحولها إلى نصح محض تمهيدا لزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر، فكتب مقاله المعروف (فرنسا والجزائر).

كما تحدث "رشيد رضا" عن نية الشيخ "محمد عبده" في القيام بزيارة للجزائر وتونس بعد زيارة أوروبا وأن الهدف منها هو سعيه لنشر مبادئ الإصلاح والإطلاع على أحوال المسلمين فيهما والعمل على الإتصال بتلاميذه الذين كانوا يراسلونه والذين كان بعضهم أعضاء في جمعيته (العروة الوثقى) ، ورغم محاولة "رشيد رضا" التكتم عن الزيارة تخوفا من المناوئين لها فإن خبرها وصل لهذه الأطراف التي عملت على الحيلولة دون حدوثها.

أما علاقاته الشخصية مع النخبة الجزائرية فأنها لم تكن دائما في تلاءم فكرى فقد عرف عنه خلافه مع "صالح الشريف" في دمشق،فقد كان الرجلان غير متفاهمين على نقطتين فيما يبدو: الموقف من الوهابيين و الموقف من تقليد الأئمة، وقد دافع "صالح الشريف" أحد شيوخ الزيتونة، أمام "محمد عبده" أثناء زيارته الثانية لتونس عن وجوب تقليد الأيمة المجتهدين في الدين، بينما دافع "محمد عبده" عن "ابن تيمية"، أما سنة(1919م) فقد وقع الخصام بين "رشيد رضا" و"صالح الشريف" في الجامع الأموي بدمشق حول نفس النقطتين وكان "صالح الشريف" ينظر إلى كل من يحبذ الوهابية على أنه معاد للدولة العثمانية وكل من يدعو إلى الإجتهاد على أنه لا يقول بتقليد الأيمة الأربعة المجتهدين في الدين، وكان على رشيد رضا أن يدافع عن نفسه حول هاتين المسألتين بقوله أنه لا ينكر زيارة القبور

[1] - أنظر الملحق بجريدة **المنار**، (ج8)-(مج5) ، 22 يوليو 1902،ص292.

[2] - محمد رشيد رضا ، " فرنسا والإسلام"، **المنار**،ج8، مج5،الثلاثاء 06 ربيع الثاني 1320-22 يوليو –تموز 1902،ص ص 296-297.

مطلقا وأنه لا يدعو إلى عدم تقليد الأيمة ولكنه لم يكتف بذلك بل إتهم صالح الشريف بأنه " رجل مغربي" في خدمة "أبي الهدى الصيادي" والطريقة الرفاعية، والغريب أن "رشيد رضا" و"صالح الشريف "كانا كلاهما غيورين على بقاء الدولة العثمانية وكانا متحمسين عندئذ (1909) لجمعية الإتحاد والترقي[1].

أما بالنسبة للجيل الثاني من المصلحين الجزائريين فقد تحدث الشيخ "محمد البشير الابراهيمى" عند صلته برشيد رضا منذ أوائل القرن العشرين ، فقد كان أول لقاء بينهما سنة (1911م) بالقاهرة عندما زار الإبراهيمي دار الدعوة والإرشاد التي أسسها رشيد رضا، حيث يذكر الإبراهيمي أنه عند إنتقاله للحجاز سنة (1911م) للالتحاق بوالده المستقر بالمدينة المنورة:" فمررت على القاهرة وأقمت بها ثلاثة أشهر،طفت بها بحلق الدروس في الأزهر، وزرت شوقي الذي كنت راوية لشعره وحافظ إبراهيم في مقهى من مقاهي القاهرة. والشيخ "رشيد رضا" في دار الدعوة والإصلاح...هذا الطور من حياتي هو الذي تفتح فيه ذهني للأعمال العامة فشاركت برأيي في الآراء المتعلقة بالسياسة العامة للدولة العثمانية وفي علاقة العرب بها..."[2]

كما إلتقى معه بعد ذلك في منزل "بهجت البيطار"[3] ،حيث يقول :" **لقيته– رحمه الله– ببلدة دمشق على إثر إنتهاء الحرب العظمى وقد جاءها ليتصل بالهيئات العاملة لخير العرب وليزور أهله في القلمون من لبنان الشمالية.ونزل ضيفا على صديقنا العالم السلفي الشيخ" بهجت البيطار"...كنا نذهب ليلا إلى دار صديقنا البيطار للسمر مع الشيخ رشيد. ورفيقي إذ ذاك الأستاذ الشيخ "الخضر بن الحسين" المدرس الآن في**

---

[1] - أبو القاسم سعد لله ، بحوث في التاريخ العربي ...، مرجع سابق، ص 112..

[2] - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،، الجزء الخامس (1954-19641،دار الغرب الإسلامي،1997،ص ص 165-166.

[3] - ولد محمد بهجت البيطار بدمشق سنة 1894 في أسرة دمشقية عريقة اشتهر كثير من أبنائها بالعلم والأدب والتقوى، وكان جدها الأعلى هبط دمشق مهاجراً من "بليدة" من أعمال الجزائر في المغرب العربي واختار لسكناه حي الميدان الكبير.

تلقى محمد بهجت البيطار مبادئ علوم الدين واللغة على والده الشيخ محمد بهاء الدين، وأتم دراستيه الابتدائية في المدرسة الريحانية والإعدادية في المدرسة الكاملية بدمشق، وتابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية على والده وعلى جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار، وعلى كل من الشيوخ الأعلام في عصره جمال الدين القاسمي الدمشقي، محمد خضر حسين التونسي نزيل دمشق وعلى محدث الديار الشامية الكبيرمحمد بدر الحسيني ، ونال الإجازة منهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية. تقلد العديد من المناصب منها :

كان محمد بهجت البيطار من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطاً، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة والأبحاث المتعمقة، وفي تحرير مجلة المجمع وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية، كما شغل عضوية لجنة المطبوعات في مجمع دمشق منذ1953 ، واستمر على القيام بمهامها في الإشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى قبيل وفاته بأسابيع قليلة.توفي محمد بهجت البيطار يوم السبت 30 جمادى الأولى 1396هـ / 29 أيار 1976 .ترك العديد من المؤلفات .أنظرمقال بعنوان : "محمد بهجت البيطار "**مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، عدد تشرين أول سنة1976 ، صص787- 804.

الأزهر. وأشهد أنها كانت ليالي ممتعة يغمرنا فيها الأستاذ رشيد بفيض من كلامه العذب في شؤون مختلفة. وإن أنس فلا أنس إحسانه في التنقل ولطف تحيله في الخروج بنا من معنى آية إلى شؤون المسلمين...[1].

وقد ربط الإبراهيمي بين دعوة "محمد رشيد رضا" وحركة جمعية العلماء المسلمين التي كان نائبا لرئيسها فإعتبر نشرة(سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)" **تمت إلى أعماله ومبادئه بالنسب العريق"**[2]

وقد جاء نبأ وفاة الشيخ "محمد رشيد رضا" شديدة الوطأة على النخبة الجزائرية ذات التوجه الإصلاحي فقد نعى "عبد الحميد بن باديس" "رشيد رضا" في مقال مطول في حلقات نشرها في "الشهاب" تحت عنوان «رزء الإسلام – وفاة مجتهد العصر الأستاذ رشيد رضا» يقول في بدايته:

"نعت أخبار مصر وفاة هذا الإمام وقد كانت وفاته إثر رجوعه من مشايعة "الأمير سعود" إلى الإسكندرية...و ما بلغ مصر حتى وافاه الأجل وقد شيعت جنازته في مشهد عظيم ودفن بجوار الأستاذ "محمد عبده".

لقد كان الأستاذ نسيج وحده في هذا العصر فقها في الدين وعلما بأسرار التشريع وإحاطة بعلوم الكتاب والسنة ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والاجتماع.[3]

وفي جزء أخر من المقال نجده يقول تحت عنوان : **"أثر السيد رشيد رضا في العالم الإسلامي": إن السيد رشيد بما نشر من تفسير القرآن الحكيم على صفحات المنار هو الذي جلى الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وغير المسلمين وما كتب في المنار وهو الذي لفت المسلمين إلى هداية القرآن ، وهو الذي دحر خصوم الإسلام من المنتمين إليه وهتك أستارهم حتى صاروا لا يحرك أحد منهم أو من أشباههم يده إلا أخذ بجنايته، فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية بيانا ودفاعا – كلها من آثاره فرحمه الله وجزاه أفضل ما يجزي العاملين"**[4] .

أما "شارل روبير آجرون" فيؤكد أن "بن باديس" كان واضح التأثر ب"رشيد رضا" و أفكاره ليشكل بذلك نشاطه الإصلاحي إستمرارا طبيعيا لهذا التأثر، يقول: "كانت هذه الشخصيات تلتفت مبدئيا حول مصدر إلهام مشترك وهو الإصلاح كمذهب سلفي إصلاحي على النحو الذي نشره وعممه رشيد رضا في مجلة المنار، وكان ابن

[1] - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،، (ج1) (1929-1940)،دار الغرب الإسلامي،1997، ص 180.
[2] - المصدر نفسه، ص 199.
[3] - عبد الحميد بن باديس، آثار عبد الحميد بن باديس (ج1)،مصدر سابق، ص 82.
[4] - المصدرالسابق ، ص ص: 95، 96

باديس على الخصوص يظهر دوما كأحد أتباع رشيد رضا وعمل جاهدا من أجل السير على منواله في سبيل إحياء تقاليد الأصالة وفتحها على قيم الحداثة المعاصرة، وكان يعتقد على غرار رواد الإصلاح في سوريا وفي مصر أن الإسلام الصحيح يتقبل جميع أشكال التقدم العصري".[1]

فيما يقول عن رشيد رضا "**حمل لواء الإصلاح بعد موت الإمام تلميذه الأكبر ووارث علومه السيد "محمد رشيد رضا" وقد كان في حياة الإمام ترجمان أفكاره بإعتراف الإمام والمنافح عنه والمدافع دونه واضطلع بعد موته بحمل أعباء الإصلاح حين نكل عن حملها أقوام وضعف عن حملها أقوام، واستقل بتسيير سفينته فكان الربان الماهر وأقام على مبادئ أستاذه وفيا لها وله فتمادى على إصدار التفسير على منهاج الإمام فكان أضخم عمل استقل به فرد وليس تاريخ الأستاذ الإمام بالأمر الهين الذي يقوم به فرد لو لم يكن ذلك الفرد (رشيدا)...**

وكان طول حياته بلاء مسلطا على طائفتين: دعاة التدجيل من المسلمين ودعاة النصرانية من المسيحيين لم نعرف من فضح الطائفتين شر فضيحة غير الأستاذ السيد رشيد ...وإن من واجب الوفاء والإعتراف بالفضل لأهله أن نجري ذكره بما يتسع له المقام في هذه النشرة الإصلاحية التي تمت إلى أعماله ومبادئه بالنسب العريق وتتصل إلى علومه ومعارفه الواسعة بالسبب الوثيق وقد فعلنا، ولكن أين تقع هذه الجمل مما يوجبه الوفاء لرجل هو في بناء الإصلاح الركن والدعامة وهو في هيكل الإصلاح الرأس والهامة؟ وعسى أن تساعد الأقدار فنوفيه بعض حقه"[2].

4-ج : شكيب أرسلان يدعم الإصلاح في الجزائر :

ساهم "الأمير شكيب أرسلان"[3] في بعث وتوجيه الحركة الوطنية في المغرب العربي في فترة العشرينيات والثلاثينيات ففضح السياسة التبشيرية الفرنسية في المغرب الأقصى ونبه على مكائد الفرنسيين في تونس والجزائر وأطلع العالم الإسلامي على فضائع الإيطاليين في ليبيا وسخر قلمه في الدفاع عن العروبة والإسلام في بلاد المغرب العربي[1].

---

[1]- شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، (ج2)، المرجع السابق، ص 529.

[2] - عبد الحميد بن باديس، آثار عبد الحميد بن باديس،مصدر سابق، ص ص:178، 179.

[3] - هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان ، المعروف بأمير البيان شكيب أرسلان (1286 هـ / 1869 م – 1366 هـ / 1946 م): من سلالة التَّنُوخِيِّين ملوك الحيرة : عارف بالأدب ، والسياسة ، مؤرخ ، من أكابر الكتاب ، ينعت بأمير البيان ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق . عالج شكيب أرسلان السياسة الإسلامية قبل انهيار الدولة العثمانية ، وكان من أشد المتحمسين من أنصارها، واضطلع بعد ذلك بالقضايا العربية فما ترك ناحية منها إلا تناولها تفصيلاً وإجمالاً . وأصدر مجلة La Nation Arabe باللغة الفرنسية في جنيف للغرض نفسه. وقام بسياحات كثيرة في أوربا وبلاد العرب ، وزار أميركا سنة 1928 وبلاد الأندلس سنة 1930 وهو في حله وترحاله لا يدع فرصة إلا كتب بها مقالاً أو بحثاً . من أشهر آثاره =

وهكذا فإن هذا الرمز النضالي القومي والإسلامي الكبير لم يغب عن الساحة الجزائرية فقد إرتبط إسمه كثيرا بأعمال نجم شمال أفريقية في فرنسا وأوربا على العموم وقيل الكثير عن علاقة هذا الأمير ب"مصالي الحاج" زعيم النجم ثم حزب الشعب، كما ربطته علاقات مع شخصيات جزائرية أخرى، مع العلم أن أغلبها ينتمي إلى جمعية العلماء المسلمين ومن أبرزهم "الشيخ عبد الحميد بن باديس" رئيس جمعية العلماء و مراسلاته مع "الشيخ الطيب العقبي "باعث الفكر الإصلاحي الجديد، والأستاذ "أحمد توفيق المدني" الكاتب المعروف والشيخ "إبراهيم بن عيسى أبي اليقظان" الصحفي الشهير والشيخ "محمد سعيد الزواوي".

وفي الحقيقة لم يحدث أن زار "شكيب أرسلان "الجزائر ولعل ذلك يعود لشدة عدائه للسياسة الفرنسية ، حتى وصف بأنه "عدو فرنسا الأول"، لكن الأكيد هو ماربطه من علاقات و إتصالات بالعديد من رجالات النخبة الجزائرية بعضها يرجع إلى فترات متقدمة ومما زادها دعما وجود عائلة "الأمير عبد القادر" بالشام ونشاط أبنائه وأحفاده فيها سياسيا وعسكريا وثقافيا.

وفي ظل إهتمامه المعروف بالقضايا العربية والإسلامية والمستعمرة منها بشكل خاص ،فقد زاد إهتمام "أرسلان" بالجزائر مع مطلع العشرينيات عندما كتب مقالين كتعليق على كتاب (حاضر العالم الإسلامي)(The modern of Islam) لمؤلفه (لوثروب ستودارد-Lothrop Stodart)[2] والذي عربه "عجاج نويهض"ففي المقال الأول الذي يحمل عنوان" الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا"تعرض أرسلان لحكم الأتراك في الجزائر ثم إلى فساد نظامهم ،ثم تطرق إلى إستيلاء الفرنسيين على هذه الإيالة والثورات التي واجهتهم فيها، والتي كان من أبرزها ثورة "الأمير عبد القادر". وقد أثنى على هذا الأخير في جهاده ضد الفرنسيين وذكر بإقامته في سوريا وبدور أبناءه وأحفاده في مختلف النشاطات السياسية والعسكرية. وفي مقال أخر تحت عنوان " الجزائر وقبائل البربر"تعرض لسياسة فرنسا في الجزائر ومساعيها لتقسيم سكان هذا البلد،كما ناقش سياسة تجنس الجزائريين المسلمين ومحاولة ضمهم إلى فرنسا. وهو في

=: " الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية " ، و " غزوات العرب في فرنسا وشمالي إيطاليا وفي سويسرا " و" لماذا تأخر المسلمون " و" الارتسامات اللطاف " ، ... وله نظم كثير جيد .أنظر: الزركلي: الأعلام 3 / 173 : 175(

[1] - مولود عويمر ،أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، دار الخلدونية ، الجزائر ،2007،ص 30.

[2]- في أعقاب الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918) اجتاحت العالم الإسلامي روح اليقظة وباتت تنذر المستعمر بأسوأ العواقب ، ولقد أصدر الباحث الأميركي ثيودور لوثروب ستودارد كتابه The) New World of Islam العالم الإسلامي الجديد) ليرصد هذه الروح التي سرت في جسد الأمة منذرا قومه ما ينتظرهم . ولقد فهم الغرب ذلك التحذير وذاع الكتاب في أوربا والولايات المتحدة ذيوعا عظيما ، وتُرجم إلى الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية، وأعيدت طباعته بالإنجليزية مرات، وأحله الساسة والباحثون المحل الأرفع وأقبلوا عليه واهتدوا به في الإحاطة بطبائع المسلمين والانقلاب الإسلامي في آسيا وإفريقية، واتخذوا منه عونا على تدبر ما بين العالم الإسلامي وبين دول الغرب المستعمِرة من علاقات، وقد وصفته إحدى المجلات الإنجليزية بأن صاحبه إ رميا القرن العشرين وقد بلغ صداه العالم الإسلامي أيضا فترجم إلى التركية، وتبارى أدباء العرب إلى ترجمته للعربية حتى حاز قصب السبق عجاج نويهض، وقد تقدم نويهض بعد تمام الترجمة إلى شكيب أرسلان (المعروف بأمير البيان) يسأله تقريظ الكتاب؛ إلا أن أرسلان استرسل في التعليق وإلحاق البحوث بالكتاب، حتى جاوزت حجم الأصل، لتصدر الطبعة العربية باسم " حاضر العالم الإسلامي " ، وهو ما رآه مترجمه أقرب إلى موضوعه،مقتبس بتصرف من عجاج نويهض : مقدمة ترجمته لِـ " حاضر العالم الإسلامي.

تحليله يدعم رأيه بالرجوع إلى (غوستاف لوبون-Gustave Lebon)في كتابه" السيكولوجية السياسية، ليرد على الفرنسيين الذين أيدوا السياسة الاستعمارية في هذا المجال[1].

ومن أبرز رموز عائلة "الأمير عبد القادر" التي تعامل معها "شكيب أرسلان"نجد "الأمير علي بن الأمير عبد القادر" الذي سبقت العلاقة بينهما في حرب طرابلس (1911م)، وقد تحدث "شكيب أرسلان" عن "الأمير علي "في فصل من كتاب " حاضر العالم الإسلامي " أبرز فيه خدمتهما معا للدولة العثمانيةحيث يذكر ما نصه:" **وأما الأمير علي فقد كان مبعوثا عن الشام منذ سنة(1914م) في مجلس الأمة بالأستانة وكان محرر هذه السطور قد أُنتخب عن حوران أيضا وسافرنا يومئذ إلى دار السعادة معا.فلما أُفتتح المجلس وصارت المذاكرة في إنتخاب الرئيس ونواب الرئيس وكانت العادة أن يكون الرئيس الأول تركيا والرئيس الثاني من أبناء العرب ، واستشارني طلعت بك حينئذ وكنت العضو العربي الوحيد في القلم العمومي لمجلس الأمة و"طلعت" هو الرئيس، فاتفقنا على دعوة المبعوثين لإنتخاب "الأمير علي" رئيسا ثانيا، وهكذا كان"." ولما شبت الحرب العامة أرسلته الدولة على ألمانية حيث قابل "الإمبراطور غيليوم" وأمضى مناشير ألقت بها الطيارات الألمانية على العساكر المغربية تحثهم على ترك العسكر الفرنساوي. والإلتحاق بالألمان حلفاء الدولة العلية، فأخذ الفرنسيين حذرهم من مفعول هذه المناشير، وصاروا يؤخرون المغاربة إلى الوراء بعد أن كانوا يضعونهم دائما في الأمام وقودا للنار"**[2].

"وبعد أن قضى "الأمير علي" مدة في ألمانيا عاد إلى الأستانة ومنها إلى سورية إذ وجد أخاه "الأمير عمر" محبوسا مع من حبسهم "جمال باشا" قائد الجيوش في سورية أثناء الحرب ،لأوراق وجدت عليه في قنصلية فرنسا، فتشفع إلى جمال في أخيه ، فلم يقبل شفاعته، ونفاه أيضا مع أولاده وسائر أسرة "الأمير عبد القادر" إلى برصا ولم يرع حرمة جهاد والده ولا خدمة "الأمير علي" في ألمانيا ولا قبل ذلك في حرب طرابلس الغرب فاشتد عليه الغم ولم يلبث أن مرض ونقل إلى الأستانة وتوفي بها رحمه الله"[3] **" وأما "الأمير عمر" فكان من جملة الأعيان المشنوقين وطالما راجعنا في أمرهم وطلبنا عنهم العفو أو تحويل جزاء القتل إلى**

---

[1] - أحمد صاري، " شكيب أرسلان والحركة الوطنية الجزائرية"،**مجلة العلوم الإنسانية** ،تصدرها جامعة منتوي – قسنطينة ،عدد 13،سنة 2000،ص 132.

[2] - لوثروب ستوارد، حاضر العالم الإسلامي، (وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير الأمير شكيب أرسلان)،نقله إلى العربية عجاج نويهض، (ط4)،(مج1)،(ج2)،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1973،صص 172-173 .

[3] - لوثروب، المصدر نفسه، ص173.

النفي فلأمر يريده الله أبى "جمال باشا" إلا إزهاق الأنفس"[1]

كما أشار "شكيب أرسلان" مشيدا بأدوار أبناء الأمير عبد القادر سيما "الأمير محيي الدين" الذي ثار ضد الفرنسيين سنة(1870م) ولو خالف في ذلك موقف والده الذي كان يعمل على إحترام عهوده مع الفرنسيين ، أما (عبد الرزاق) فقد وصفه بأنه" كان نادرا في الذكاء وجمال الصورة والسيرة"[2]

في ما أخبر عن "الأمير عبد المالك" **أنه قضى بضع عشرة سنة مجاهداً في المغرب الأقصى بين القبائل الثائرة على فرنسا وعلى إسبانية وأنه لم يزل في تلك الديار يتحرك تارة ويسكن أخرى إلى كتابة هذه السطور "**[3]**.ومن جهة أخرى يذكر "شكيب أرسلان" عبارة عن "الأمير خالد" توحي بأنه كان ما يزال في الجزائر أي قبل نفيه منها. والمعروف أن الفرنسيين قد نفوا "الأمير خالد" سنة(1923م).وهذه هي عبارة أرسلان عن" الأمير خالد" وهو على رأس الحركة الوطنية الحاضرة في الجزائر"**[4]

وهكذا نجد أن "شكيب أرسلان" كان على صلة بالحركة الوطنية الجزائرية منذ الحرب العالمية الأولى، وأثناء كتابة تعاليقه على كتاب " حاضر العالم الإسلامي "نجده يستعيد الأحداث الماضية عن تاريخ الجزائر المرير مع الإستعمار الفرنسي و يذكر الشخصيات التي ساهمت في مقاومته من أمثال عائلة "الأمير عبد القادر" و يبدو أن الصلة بين "شكيب أرسلان" و أعيان الكتاب الجزائريين أخذت تتوطد منذ هذا التاريخ " عقد العشرينات " و لعل هذا ما يؤكده"أحمدتوفيق المدني" بأنه كان على صلة بشكيب أرسلان منذ(1923م).

كما يتحدث المدني على أنه كان يراسل "شكيب أرسلان" أدبياً وسياسياً وإجتماعياً منذ كان في إدارة الحزب الدستوري بتونس وأنه قد أمده طوال سنوات بمعلومات عن المغرب العربي ومشاكله السياسية ومقاومته للإستعمار، ويضيف المدني أن " الأخوة الصادقة قد ربطت بين قلبينا، وألفت بين روحينا منذ (1925م) بعد أن أبعدتني السلطة الاستعمارية الفرنسية عن تونس"[5].

وقد أُعجب "شكيب أرسلان" بمؤلف (كتاب الجزائر) لتوفيق المدني " وكتب عنه فصولا ممتعة في مجلة الفتح" [6] وقد وصف في كتاب حاضر العالم الإسلامي، الكتاب قائلا : " **بينما كنا نتحرى لنعرف الحقيقة إذ ظهر كتاب الجزائر، بقلم الوطني الفاضل المحقق السيد أحمد توفيق المدني المقيم اليوم بمدينة الجزائر– بأمر**

[1] - لوثروب، ؛حاضر العالم الإسلامي ، المصدر السابق، ص173

[2] - لوثروب ، نفسه،173.

[3] - نفسه ،ص173.

[4] - نفسه،ص 172.

[5] - أحمد توفيق المدني ،" شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل مكان "، الثقافة ،عدد 76،جويلية – أوت 1983،ص74.

[6] - أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح (مذكرات)، الجزء الثاني في الجزائر 1925-1951، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1977، ص 207.

الحكومة الأفرنسية التي أبعدته من تونس – وهذا الكتاب قد جمع كل ما تلزم معرفته من شؤون الجزائر بحيث لايصح أن يخلو منه أحد ممن يريدون حق الإطلاع على أحوال المغرب الأوسط"[1]، ويذكر المدنى أن مراسلاته مع أرسلان ظلت متواصلة حتى عودته إلى سورية بعد إستقلاله قائلا:" إستمرت المراسلة بيننا دون إنقطاع، بواسطة سيدة في لوزان وصديق في الجزائر" وكانت المراسلات كلها كما يصفها المدني:" تدور حول المشاكل السياسية عامة والمغربية خاصة.

وهكذا فإن صلة شكيب أرسلان بالجزائر وشمال إفريقية قد مرت بعدة قنوات قبل أن تتبلور وتصبح التزاماً بقضية وإندماجاً في مصير المنطقة، بدأت بحرب طرابلس و الإختلاط بالجزائريين والتونسيين فيها ومرت بالعلاقات مع أولاد الأمير عبد القادر وبعض أفراد الجالية الجزائرية مثل "الشيخ طاهر الجزائري" وبالقراءات فيما كتبه الجزائريون لمعرفة آرائهم في الاستعمار الفرنسي لبلادهم وردود الفعل مثل الرجوع إلى ما كتبه "إسماعيل حامد" بالفرنسية وإلى ما كتبه "أحمد توفيق المدني" بعد حلوله بالجزائر[2].

ولم يتأكد لقاء أرسلان بالأمير خالد بعد نفي هذا الأخير من الجزائر لأنه حل كما هو معروف في فرنسا ولعله قد ذهب أيضاً إلى سويسرا حيث كان أرسلان، وربما إلتقى به في القاهرة أو في القدس، أما سورية فلم يلتقيا فيها لأن الأمير توفي في (فاتح 1936م) ولم يزرها أرسلان إلا بعد أكثر من سنة من ذلك التاريخ.

كما تراسل أرسلان أيضاً مع شخصيات أخرى غير المدني قبل(1930م) مثل "الطيب العقبي" و "الزواوي" و"ابن باديس"و"أبي اليقظان"... أما المراسلات مع مصالي فقد بدأت بعد تأسيس "شكيب أرسلان" جريدته (الأمة العربية . La Nation Arabe)[3] تلك المجلة والتي ورغم قصر عمرها، أثرت بشكل كبير في الرعيل الأول من مناضلي الحركة الوطنية في بلدان المغرب العربي وكانت تعمل لوحدة النضال المغاربي ومحذرة في نفس الوقت من السقوط في فخ اليسار الأوروبي عامة والشيوعيين بشكل خاص خشية أن يغيروا طبيعة النضال المغاربي من نضالي

[1] - لوثروب ستوارد، حاضر العالم الإسلامي...مصدر سابق،ص 105 .

[2] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ج4)،دار البصائر،الجزائر،2007،ص 119.

[3]- *"La Nation Arabe*" est un journal libanais, créé à Genève par Chekib Arslan et Ihsan al-Jabiri en 1930 et disparu en 1938; ce journal influença beaucoup de chefs nationalistes arabes, en particulier les indépendantistes maghrébins ,voir: Anne-Claire de Gayffier-Bonneville, « Renaissance arabe et solidarité musulmane dans La Nation arabe », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* [En ligne], 95-98 | avril 2002, mis en ligne le 12 mai 2009, consulté le 10 janvier 2016. URL : http://remmm.revues.org/227.

سياسي ضد المستعمر إلى نضال إجتماعي طبقي"[1]. والتي تتحدث العديد من الدراسات أنها ورغم مراقبة السلطات الإستعمارية فإنها كانت تحضى بإطلاع العديد من المثقفين الجزائريين عليها[2].

وللتذكير فإن العلاقات مابين "شكيب أرسلان" وبعض الشخصيات الإصلاحية تعود إلى ما قبل تأسيس جمعية العلماء سنة (1931م) فحسب بعض المصادر أن المراسلات كانت متواصلة بين أرسلان وبين "الشيخ الطيب العقبي" بعد رجوع هذا الأخير إلى الجزائر وبذلك يكون العقبي أول من كان في إتصال مع "شكيب ارسلان". وتعتقد بعض تقارير الشرطة أن أصل هذه المراسلات يعود إلى تعرفهما ببعضهما بمكة[3] وهذا أيضا ما تؤكده الباحثة جوليت بسيس(Bessis) التي تقول :" **حتى عشية(1930م) وبإستثناء وجوده في ليبيا قبل عام (1914م) حين كان يخدم الإمبراطورية العثمانية فإن شكيب أرسلان لم يبد أبدا" إهتماماخاصا" بالشؤون المغربية(المغرب الأقصى)كما لا يبدو أنه تعاطى بأي شكل من الأشكال مع الحركة الوطنية التونسية التي تطورت بعد الحرب الكبرى ،كما لا يبدو أنه أقام صلات تعاون مع قادتها بمن فيهم الأساسي بينهم "عبد العزيز الثعالبي" . كما أننا لا نجد أيضا" أي أثر لمواقف معلنة خلال حرب الريف ..غير أننا نجد مراسلة بين الأمير وبين الإصلاحي الجزائري "طاهر العقبي" ولعلها تندرج في سياق صلات أقدم قامت بين الحركة الإصلاحية الإسلامية ورائدها "الشيخ ابن باديس" وبين "شكيب أرسلان"** [4].

إلا أنه لا يوجد ما يؤكد إن كان العقبي قد عرف أرسلان قبل إنتقاله إلى الجزائر سنة(1920م) "والمعروف أن العقبي قد نفته السلطات العثمانية من المدينة المنورة سنة(1917م) وأنه أقام في الروم إيلي وأزمير ولعله إلتقى عندئذ بأرسلان في إستانبول أو غيرها، وما نملكه من إشارات عن العلاقة بين الرجلين ترجع أيضاً إلى العشرينات، فقد جاء في كتاب " شعراء الجزائر " الذي صدر سنة(1927 م) أن بين العقبي وأرسلان " علاقة صداقة خاصة من نوعها " وأن أرسلان أرسل إلى العقبي صورة له فكتب العقبي تحتها بيتيين وقد وجدنا في بعض المراسلات أن الشيخ "الطيب

---

[1] - youssef Gerard, L'Emir Chekib Arslan : l'intellectuel organique de la renaissance arabo-islamique (partie 2/2), En savoir plus sur http://oumma.com/L-Emir-Chekib-Arslan-l,2308#Udy8PzvjAKrbQDhG.99, le12-03-2015- 11:.36

[2] - أنظر مقال حول شخصية المناضل هواري سويح وعلاقته بالمجلة من خلال المقال التالي : Carlier Omar. "Homme fétiche" ou "Homme-symbole" ? Un notable-militant : Houari Souiah, Premier préfet d'Oran (1915- 1990). In: Cahiers de la Méditerranée, n°46-47, 1, 1993. Bourgeoisies et notables en Méditerranée (XVIIIe-XXe siècles) [Actes du colloque de mai 192 à Grasse] pp. 203-247. doi : 10.3406/camed.1993.1654 http://www.persee.fr/doc/camed_0395-9317_1993_num_46_1_1654

[3] - أحمد صاري ، "شكيب أرسلان والحركة الوطنية..."، مرجع سابق ،ص133.

[4] - جولييت بسّيس:" شكيب أرسلان والحركات الوطنية في المغرب"، المجلة التاريخية، باريس،نيسان- حزيران 1973،ص 475 – 526. نقلا عن:سعود المولى،"شكيب أرسلان والمغرب العربي"، *ورقة قدمت الى مؤتمر معهد الدراسات الاسلامية في جامعة المقاصد ، لبنان،تموز 2002*،ص1.

العقبي" كان أيضاً يجمع الاشتراكات لجريدة" الأمة العربية" ففي المراسلة المذكورة من أرسلان إلى" الحاج بنونة" أن "الطيب العقبي" و"سعيد الزاهري" و المدني يعملون على جمع الاشتراكات للجريدة ومما جاء فيها عن العقبي أنه قد جمع مائتي فرنك سويسري في بسكرة لمشتركين جدد، ويفهم من السياق أن الجريدة " رائجة في المغرب الأوسط " وأن لها هناك نحو 150 مشتركاً قد دفع أكثرهم ماعليه[1].

و مع إستقرار "شكيب أرسلان" بمدينة جنيف السويسرية وإصداره "لمجلة الأمة العربية"، وجه إهتماماته أكثر إلى أقطار المغرب العربي وقد ساعده وجوده في أوروبا ومعرفته باللغة الفرنسية على تفهم مشاكل هذه البلدان وسهل له الإتصال بقيادة الحركة الوطنية في الأقطار الثلاث والإلتقاء بهم وللعلم فإن العديد من رجالات الإصلاح الجزائريين قد وقفوا بقوة مع "شكيب أرسلان" بعد إنشاء الجريدة ، وقد تجند لمساعدة أرسلان في نشر ها نخبة من المثقفين الجزائريين منهم "أحمد توفيق المدني "و"محمد السعيد الزاهري[2] و"الطيب العقبي" فكانوا يجمعون لها الاشتراكات والتبرعات والإعلانات ويتحدث المدني عن نفسه في هذا المجال قائلا:" كنت من بين العاملين على نشر تلك المجلة الراقية " لانسيون آراب " ودعمها مادياً "وتثبت ذلك الرسالة التي بعث بها أرسلان إلى "الحاج عبد السلام بنونة" من برلين (15 يناير 1931م) من أن "أحمد توفيق المدني" مجتهد في جمع الإشتراكات للجريدة، وفي رسالة أخرى

---

[1] - سعدلله ، آراء وأبحاث ، المرجع السابق ،ص ص 121-122.

[2] - ولد محمد سعيد الزاهري "بليانة"، قرية من قرى الزاب الشرقي (بسكرة)، وقد أختلف في تاريخ ميلاده ن فيذكر عبد القادر السائحي سنة 1897م، أما الزبيري وموسوعة شعراء الجزائري فيقدمان سنة 1899م، أما الدكتور صالح خرفي فيقدم سنة 1900م، تلقى دروسه الإبتدائية في مسقط رأسه وكان أوّل ما بدأ به تعلّمه حفظ القرآن الكريم وتلقي بعض المعارف الأولى في العلوم الدينية واللّغوية، ثم تاقت نفسه إلى المزيد من ذلك فالتحق بدروس الإمام عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة، بيد أنه لم يمكث بها سوى أربعة عشر شهرا . انتقل بعدها إلى (جامع الزيتونة) بتونس، فمكث به أربعة أعوام، نال في نهايتها شهادة التطويع.

ويذكر الزّاهري من شيوخه بالزّيتونة ثلاثة منهم، كان قد لازمهم مدّة فترة التحصيل، وأفاد من واسع علمهم، وسديد توجيهاتهم، وهم : (الشيخ معاوية التميمي، والشيخ محمد النّخلي، والشيخ عثمان بلخوجة)، غادر الزاهري في سنة 1925 تونس عائدا إلى أرض الوطن، فاستقر بالجزائر العاصمة، = =وانضم إلى جماعة الإصلاح التي كانت في هذه الفترة في بداية عهدها تعمل على غرس البذور الأولى للفكر الإصلاحي في النفوس وفي السلوك، فأخذ مكانه بين أعضائها كان الزّاهري في هذه الجبهة من أكثر المصلحين الجزائريين صلابة في مقارعة أولئك المتمربطين الدجالين ودحض أباطيلهم وضلالاتهم وخرافتهم . وكان لتلك الجهود أن أتت أكلها رغدًا طيّبًا بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931.، وهي جمعية دينية، وطنية، إصلاحية، تربوية، حضارية.

كان الزّاهري من بين مؤسسي هذه الجمعية وأحد الأعضاء الفاعلين في مجلسها الإداري. وقد انتظم في هذا المضمار نشاطه على إثر ذلك وازدادت فاعليته، وأصبح يمثل هذه الجمعية في مدينتي (تلمسان ووهران) في الغرب الجزائري . إلا أنّه لم يلبث أن بدأ في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين يقلّل من نشاطه في جمعية العلماء التي تمثل الجناح الحضاري في الحركة الوطنية، وبدأ يتقرب في نشاطه من الجناح السياسي لهذه الحركة، وانتهى به هذا التحوّل إلى أن استبدل أو يكاد ركوبه متن المنهج السّياسي بالمنهج الحضاري للجمعية. فأصدر سنة 1947 جريدته (المغرب العربي) ، وأصبح من خلالها ينشط في الميدان السياسي أكثر ممّا ينشط في غيره.

أغتيل الأستاذ محمد السعيد الزاهري سنة 1956م. والظاهر أنه لم يحظ بتلك العناية من المؤرخين والكتاب الجزائريين فبقيت جوانب كثيرة من سيرته العلمية غير مدروسة ولم يعرفها الجزائريون ، أنظر: أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط ، قسم التاريخ والآثار ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2005-2006،صص2-4.

منه إلى نفس الشخص بتاريخ (30 إبريل 1931م)أن توفيق المدني قد جمع إشتراكات للمجلة " الأمة العربية " قدرها ثلاثة آلاف فرنك سويسري[1].

زد على ذلك أن مجلة" الأمة العربية "كانت أداة وصل ما بين الطرفين، فقد كانت هذه المجلة تصل إلى الجزائر، حيث يقول المدني:" **...وإنه ليسعدني و يشرفني أنني كنت من بين العاملين على نشر تلك المجلة الراقية ودعمها والوقوف ماديا...**"[2] .و قد حملت بعض أعداد "مجلة الشهاب" لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعض الإعلانات عن جريدة " الأمة العربية " فبعد أن يذكر الإعلان المعلومات المعروفة عنها و عن محرريها و أهدافها وإهتماماتها ولغتها نجده يتوسع ليخبر القراء أن الأمة العربية تضم سبعين مليوناً وإنها أنجبت الكلدانيين والفينقيين والتتابعة... إلخ، وإنها الأمة التي نشرت الإسلام والمدنية، وإن محرر الجريدة هو " أكبر كاتب سياسي في الشرق"، وأن أبناء الأمة العربية يجهلون ماضيهم ودينهم وحضارتهم، وأن هناك ضرورة لكي يعرف الغربيون والمغتربون " أي النخبة المفرنسة " أيضاً ماضي الأمة العربية و حاضرها، وبعد أن ذكر الإعلان بمواضيع العدد الأول من الجريدة، دعا " كل من يمت للعروبة بعرف " أن يشترك في الجريدة بنفسه وأن يهديها إلى غيره من المغتربين من أبناء جنسه، ولم يكتف صاحب " الشهاب "بالإعلان العريض بل أنه أهدى إشتراكاً سنوياً في الجريدة لشخصيتين من المتغربين، وهما" الزبير بن باديس" المحامي بقسطنطينةو "الهادي مصطفاي" المحامي بسطيف، وقد إنتهى الإعلان بذكر عنوان الجريدة الفرنسية في جنيف وكأنه يدعو إلى مراسلاتها والاتصال بها[3].

وبالإضافة إلى ذلك جرت مراسلات بين "شكيب أرسلان" و"الشيخ أبي اليقظان" (إبراهيم بن عيسى) وغيره من أعيان الجزائر، وقد أشار من ترجموا لأبي اليقظان إلى هذه المراسلات وأخبروا أن مجموعة منها توجد ضمن أوراق "الشيخ أبي اليقظان"[4]، وهي مراسلات تدور في أغلبها حول مستقبل البلاد الإسلامية وحاضرها مع الاستعمار، وتدعو إلى وجوب تجنيد الرأي العام الأوربي لصالح الإسلام " و وجوب تصفيته من السموم التي يمزجها به السواحون

[1] - أبو القاسم سعد الله ، آراء وأبحاث ، المرجع السابق، ص121.
[2] - أحمد توفيق المدني ، "شكيب أرسلان..."، المرجع السابق ،ص74.
[3] - سعدالله ، آراء وأبحاث ، المرجع السابق ،ص121.
[4] - ممن أشار لوجود مراسلات بين أبي اليقضان وشكيب أرسلان الدكتور محمد ناصر في بحوث له حول رسائل الشيخ أبي اليقضان والدكتور بوعمران الشيخ في تقديمه لكتاب شكيب أرسلان " لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم ةغيرهم" في نسخة جزائرية.

ضد الإسلام " وقد نشرت صحف أبي اليقظان مقالات ل"شكيب أرسلان "كما نشرت أخرى حوله، ومن ذلك مقالة " خذوا حذركم من السواحين" التي كتبها أرسلان ونشرتها في جريدة " وادي ميزاب ".

ويبدو أن "أبي اليقضان" قد تبادل الرسائل مع مجموعة من رجال الإصلاح ذكر منهم: "سليمان الباروني وشكيب أرسلان" وفي هذا السياق تأتي رسالة "شكيب أرسلان" التي كتبها بعد إطلاعه على "جريدة ميزاب" يطلب من خلالها أبا اليقظان أن يرسل إليه مزيدا من الأعداد، رغم أن"ميزاب" جريدة بسيطة في شكلها لكنها عميقة في محتواها ومتنوعة في مضمونها وطموحة في أهدافها[1].

ولا شك أن هذه المراسلات خاصة القادمة من خارج الجزائر كانت تخضع للرقابة، ويظهر ذلك جليا من خلال التقارير الإدارية والمراسلات التي كانت تتابع تطور الرأي العام الجزائري وعلاقته بالخارج، ففي دراسة سرية تحت عنوان" مساهمة لدراسة النشاط السياسي للأمير شكيب أرسلان"مرسلة إلى الحكومة العامة بالجزائر، يذكر صاحبها أن تأثير هذا الأخير المباشر بدأ يظهر أكثر في الوسط المسلم الجزائري خلال الثلاثينيات، وتذكر التقارير أسماء بعينها تتواصل معه من بينها "ابن باديس" و"العقبي" و"المدني" و"الزاهري"[2].

وكانت جريدة " البلاغ الجزائري " لسان حال الطريقة العليوية في الجزائر تنشر لشكيب أرسلان أيضاً. ولعل الشيخ "أحمد مصطفى بن عليوة" صاحب الطريقة المعروفة، كانت له مراسلات شخصية معه أيضاً، ونكاد نجزم بأن شخصيات من أمثال "عمر بن قدور" و"عمر راسم "لا يخلو بريدهم من مراسلات مع "شكيب أرسلان" خلال العشرينات و الثلاثينات و قد عرفنا أن "محمد سعيد الزاهري" كان على صلة به و كان "الزاهري" من كتاب "مجلة الفتح"، ومن أنصار حركة الإصلاح في أول أمره ، و للعلم فقد أبان الزاهري في العديد من المناسبات عن تقديره وإعجابه بأرسلان، كقصيدته المسماة (تحية لأمير البيان) التي خصصها للتشهير بدعاة التغريب والتفرنج كما سماهم ومما جاء فيها:

وإن كان شيئ جد في الغرب تافه**** أقام ذوي الأقلام فينا وأقعـــــــد

وإن جد في الإسلام أعظم حادث**** تعاموا كأن الأمر لم يكن ذا صدى

[1] - مولود عويمر ،" الشيخ أبو اليقضان وحركة الإصلاح في الوطن العربي "، أنظر المقال على الموقع التالي (موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين): http://www.oulama.dz/?p=5843

[2] - محمد قنانش ومحفوظ قداش،نجم الشمال الإفريقي 1926-1937،وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ،دم ج، الجزائر، 1984،ص118.

وحرر في إطرائهم ومديحهـــــــــم**** صحائف ضد المسلمين وســـودا[1]

وكانت أيضا بين "شكيب أرسلان" و"علي الحمامي"[2] صلات و مراسلات، و قد تردد إسمه في مجموعة من الرسائل التي تبادلها أرسلان مع "الحاج عبد السلام بنونة"[3] يقول في واحدة منها:" **تعرفت في برلين بشاب أصله من المغرب الأقصى وأقام أبوه بتاهرت من عمالة وهران وهو ذكي مُطلع ، يحسن الإنشاء بالإفرنسية و كان في حرب عبد الكريم، و قبلها مع عبد المالك، وإسم هذا الشاب الحمامي...**"[4] و يبدو وفق بقية الرسائل أنه أُعجب بالحمامي و تعاطف معه وسعى في البحث له عن عمل.

وبالنسبة للرموز الأدبية الجزائرية الفاعلة فل"شكيب أرسلان" رأي مميز في الشاعر الكبير "محمد العيد آل خليفة[5] " حيث كان شديد الإعجاب بشعره بل إعتبره القادر على أن يمحو الهوة الأدبية بين المشرق العربي والجزائر وهاهو يصفه قائلا:"**كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك علي جميع مشاعري**

---

[1] - الزاهري، " تحية أمير البيان"، الإصلاح ،(ع5)،(س3)،17 أكتوبر 1929،ص2.

[2] - للمزيد حول هذه الشخصية أنظر المبحث المخصص له في مذكرتنا صفحة (394)

[3] - عبد السلام بنونه ابن الحاج العربي بن المهدي بن العربي بن محمد بن الحاج أمحمد لفقيه محمد بن عبد الواحد بنونة الفاسي الأصل، ترى بعض المصادر بأن أسرته من أصول أندلسية،هاجرت إلى الجزائر بعد 1492م،حيث استقرت بتلمسان ،من مواليد 22 فبراير1919 م - توفي 8 ربيع الثاني 1431 هـ 24/ مارس2010 م (صحفي وسياسي ودبلوماسي مغربي من الحركة الوطنية المغربية، ومؤسس وكالة المغرب العربي للأنباء وناشط بارز في منظمة الهلال الأحمر المغربي، كما شغل بين 1985 - 1988، منصب الخازن العام للمجلس التنفيذي للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر.، أنظر : الطيب بنونة،نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب ارسلان والحاج عبد السلام بنونه، مطبعة دار أمل،طنجة، المملكة المغربية ،1400هـ / 1980،ص164.

[4] - نفسه ،صص 168-169.

[5] - ولد الشاعر محمد العيد يوم الأحد لستة عشر يوما خلت من جمادى الآخرة عام 1322 هـ - الموافق لـ 28 أغسطس سنة 1904 م، في بلدية عين البيضاء بولاية أم البواقي .وسط عائلة دينية محافظة ، تنحدر أصلا من بلدة كوينين من ولاية واد سوف .انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة ليكمل بها حفظ القرآن الكريم ويجلس في دروس الشيخ علي بن إبراهيم العقبي إلى سنة 1921م، حين ألزم الشيخ سيدي العيد الثاني والده بإرساله إلى جامع الزيتونة للدراسة بعد أن كان ينتدبه للعمل معه في التجارة، ، انتسب محمد العيد إلى جامع الزيتونة ، وأصبح طالبا في الطبقة الثالثة (سبع طبقات) وبعد سنتين توقف عن الدراسة بتونس لأسباب صحية ليعود إلى بسكرة ويكمل مشواره العلمي على يد علمائها ومشايخها منهم الشيخ المختار اليعلاوي أرطبار في دروسه الليلية بالمسجد العتيق، وفي سنة 1927م انتدبته جمعية الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة معلما بمدرستها فمكث بها معلما لمدة ثلاث سنوات ثم مديرا لها خلفا للشاعر محمد الهادي السنوسي إلى غاية 1941م ليعود إلى بسكرة ثم انتقل إلى باتنة.، إرتبط بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها وكان شعره أداة من أدواتها وسجلا لمواقفها وكتابا لتاريخها ، وأطلق عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس لقب: "أمير شعراء الجزائر " ، واصل محمد العيد رسالته في التغني بالحرية والتبشير بالنصر والاستقلال والدعوة إلى دعم الثورة، ليجد نفسه وجها لوجه أمام آلة الاحتلال، فقد دعاه قاضي التحقيق للتصديق على مناشير تندد بالثورة تحت طائل التهديد بالسجن، فرفض رفضا قاطعا، وهكذا أوقف عن العمل بمدرسة العرفان ثم أغلقت المدرسة نفسها وحولت إلى ملحقة لثكنة عسكرية، فواصل نشاطه النضالي بالمسجد والساحات، ليؤخذ في شهر جوان 1955م مكبلا إلى سجن المدينة ثم إلى سجن الكدية بقسنطينة وبعد 14 يوما قدم للمحكمة بتهمة التحريض ضد السلطة والدعوة للثورة ومساندتها. وبعد إطلاق سراحه عاود نشاطه من جديد إلى آخر السنة حيث اقتحموا عليه منزله بتهمة التحريض على إعدام المستوطن الفرنسي "جوليان" لتفرض عليه الإقامة الجبرية بمنزله ببسكرة تحت الحراسة المشددة، فظل حبيس جدران بيته طوال أيام الثورة.

أما بعد الاستقلال فقد لازم الاعتكاف ببيته متعبدا ذاكرا زاهدا في الدنيا قليل المشاركة في النشاطات العامة والخاصة، فكان يقضي نصف السنة ببسكرة ونصفها الآخر بباتنة حتى توفي بمستشفى مدينة باتنة يوم الأربعاء 07 رمضان.، أنظر :1399 هـالموافق لـ 31 جويلية1979 م، ونقل جثمانه إلى بسكرة حيث دفن بمقبرة (العزيلات) بعد يومين من وفاته. أنظر: ديوان محمد العيد آل خليفة ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة ، الجزائر ،2010،ص544.

وأقول :"إن كان في هذا العصر شاعر يصح أن يمثل البهاء زهيراً في سلاسة نظمه وخفة روحه ودقة شعوره و جودة سبكه وإستحكام قوافيه التي يعرفها القارئ قبل أن يصل إليها وإن التكلف لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه فيكون محمداً العيد الذي اقرأ له القصيدة المرتين والثلاث ولا أمل وتمضي الأيام وعذوبتها في فمي.كان يظن أن القطر الجزائري تأخر عن إخوته سائر الأقطار العربية في ميدان الأدب ولا سيما في الشعر، ولعله بعد الآن سيعوض الفرق بل يسبق غيره بمحمد العيد..."[1] .

كما أنشد فيه شعرا فقال : إرق بالشعر لاعدمت رقيا **** قد عرفناك نابغا عبقريا

قد عرفناك نابغ الفكر حرا **** نابه الذكر مخلصا وطنيا

قد عرفناك بالجـــــزائر براً **** يوم أحييت ذكرها الأدبيا

غير أن الشخصية السياسية الجزائرية البارزة التي كان لشكيب أرسلان مراسلات معها وعلاقة وطيدة بها، هي "مصالي الحاج" زعيم نجم الشمال الإفريقي وحزب الشعب الجزائري ،وقد أبان "شكيب أرسلان" أكثر من مرة عن إعجابه بمصالى الحاج نتيجة وطنيته وحماسه النضال.

ونتيجة لهذا التواصل المتين بين شكيب أرسلان وكثير من الشخصيات الجزائرية فإنه لم يسلم من النقد والتشهير من طرف الفرنسيين الذين كانوا يعتبرون أن نشاطه ودعايته تلك قد أسهمت بشكل كبير في نشر أفكار الوطنية والوحدة العربية في أقطار المغرب العربي ، على حد قول " جوزيف ديسبارمي"(Joseph Desparmet) :" **إن الوحدة العربية قد أُدخلت إلى الجزائر عن طريق الجريدة المصرية المنار لصاحبها رشيد رضا والذي كان من بين مساعديه شكيب أرسلان، عدو كل الشعوب المستعمرة (بضم الميم) ورسول الوحدة العربية"[2]**

وفي معرض دفاعه عنه يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس :"**و الأمير شكيب الذي تعده الدول المستعمرة ألد أعدائها وتنسب إليه ظلما وزورا كل حركة تقع في الأمم المصابة بإستعمارها، يصرح في خطابه بعدم الوحدة السياسية بين شعوب العرب المغلوبة على أمرها وشعوبهم المستقلة لأنه وهو أكبر مدافع عن العرب والإسلام في الغرب والشرق، رجل عملي لا خيالي وسياسي مجرب خبير..."[3]**

---

[1] - شكيب أرسلان ،" البهاء زهير ينشر في هذا العصر" **الشهاب** ،(ج1)،(مج13)،1356هـ /1937م ،ص8.

[2] - J.Desparmet," le panarabisme et l'Algerie",in :**l'Afrique Française**,Juin 1936,p314.

[3] - عبد الحميد بن باديس،"الوحدة العربية ،هل بين العرب وحدة سياسية "، نقلا عن آثار الإمام عبد الحميد بن باديس،(طبعة خاصة)(ج5)،سحب الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر،2007،ص359.

وهكذا يتضح لنا ثقل هذه الشخصية البارزة والناشطة في إطار حركة الجامعة الإسلامية وتشعب علاقاته مع النخبة الجزائرية بمختلف توجهاتها تحقيقا لما يسمى بالتضامن العربي الإسلامي ووحدة النضال في مواجهة الإستعمار الأوروبي وسياسته، في هذا الحيز الجغرافي وعلى رأسها الجزائر.

4– د : سليمان الباروني والوفاء لشيوخه في الجزائر :

يرتبط إسم الباروني في كثير مما كتب عن الجزائر جغرافيا بمنطقة بني ميزاب، وشخصيا بالشيخ "محمد بن يوسف أطفيش" و لاغرابة في ذلك وهو تلميذه ،حيث أقام في بني يسقن[1] ثلاث سنوات مابين(1896–1899م)، طالبا العلم عنده، دون أن ننسى أنه يتبع المذهب الإباضي، الذي يتركز في هذه المنطقة من الجزائر.

لقد كان الباروني وفيا لشيخه أطفيش وأدى إليه زيارة أخيرة سنة (1907م) إلتقى أثناءها بالشيخ "أبي اليقضان" والذي أصبح من أقرب أصدقائه بعد أن التقى به عدة مرات في تونس (1913م) ، ويمتلأ ديوانه بالعديد من القصائد التي يعبر فيه عن إعجابه بطبيعة القطر الجزائر وقد شملت العديد من المدن الجزائرية[2] فيما هناك عدد أخر من القصائد التي عبر فيها عن حبه الكبير لشيخه لدرجة وصفه بإمام المسلمين وحجة الإسلام وقطب الهداية، وفيما يلي بعض مما كتبه في مدحه،ففي قصيدة كتبها عند زيارته له في مدينة غارداية (1326هـ– 1908م) [3] حملت القصيدة الكثير من الثناء والتبجيل لشيخه قائلا :

سلام يا إمام المسلمينـــا **** ويا نور الهدى للمؤمنينا

بقاؤك للهدى عمرا طويلا **** نجاة بل حياة العالمينـــا

وفي قصيدة أخرى يقول مادحا إياه :

هذا ابن يوسف حجة الإسلام **** كنز العلوم وروضة الأكمام

هذا ابن يوسف شيخنا وإمامنا **** ودليلنا في الدين والأحكام

[1] - بني يسقن : بني يزغن أحد القصور الرئيسية لمدينة غارداية

[2] - هنالك العديد من المدن التي وصفه الباروني بكثير من الإعجاب في ديوانه ، نذكر منها مدينة تلمسان(تسمو تلمسان افتخارا ولتعش ****فاس إذا ما أمها هذا الأديب) – القليعة (طود به قصر القليعة**** والمناخ الأخضر)،-البليدة(وترى البليدة كالعرو****سة في فسيج أزهر)، بوسعادة (قصر السعادة دم بالله محروسا **** وبالكرام بني ميزاب مأنوسا)- قصر البخاري (قصر البخاري هل يممت يا صاح **** وهل رأيت به قوما كأرواح) – الشلف (– قصور مدينة غرداية (العطف ، مليكة)(إلى العطف حركنا الركاب وعرجنا **** على مجلس الذكر الجليل وحاججنا) – المدية:(هذي المدية فانزل بي حواليها*** واقصد مشيدا عتيقا في أعاليها)- تيهرت (قفا نبك أطلالا تناقص ظلها*** ونندب آثار الذين بقوا ذكرا)

[3] - سليمان بن عبد الله الباروني النفوسي،ديوان الباروني،مطبعة الأزهار البارونية،مصر،جمادى الأولى 1326،ص45.

هذا ابن يوسف واحد في عصره **** أعظم به من مرشد ومحام

كما عرف عن الباروني عمله على تشجيع النهضة العلمية في منطقة ميزاب فقام بنشر مؤلفات شيخه أطفيش في مصر وشجع على إنشاء المطابع والمجلات وكان كثيرا ما يغطي أخبار منطقة ميزاب في جريدته " الأسد الإسلامي"[1] التي أنشأها في مصر سنة (1907م) وكان الباروني هو من شجع أبي اليقضان على إنشاء المطبعة العربية في الجزائر وعلى إنشاء الصحف التي كثيرا ما كانت السلطات الفرنسية تعمد إلى منعها ،ولعل الباروني كان وراء إنشاء مجلة "المنهاج" بالقاهرة أيضا مع الشيخ أطفيش[2].

ورغم إهتمامه الشديد بمنطقة ميزاب، فقد زار الباروني العديد من المناطق والمدن الجزائرية ابتداء من(1896م) وتعرف على العديد من رجالها، وقد أبان عن رأيه في الجزائر، فكان معجبا بطبيعتها وتغنى بها في شعره وكان يرى أن أهل الجزائر يتمتعون بغيرة دينية عميقة، وبالصرامة في الحق والتشدد فيه، ولكن الإستعمار قد رماهم في غياهب الجهل، ولذلك ندر فيهم العلماء والمثقفون، ورأى الباروني أن تخفيف قبضة فرنسا على حرية التعبير أدى إلى إنشاء الجزائريين للصحف الخاصة بهم وهي الصحف الكفيلة في نظره ببث الوعي والنهوض للمستقبل ، وهو دون شكك يصف عهد "شارل جونار في الجزائر" (1903-1913م)[3].

أما العلماء والأعيان الجزائريين الذين تواصل معهم أو قام بالمراسلة معهم إضافة إلى شيخه أطفيش و صديقه أبي اليقظان فنذكر "الحاج عمر العنق" و"حمدان لونيسي" الذي أرسل للباروني شعرا[4] بمناسبة إصداره لجريدة (الأسد الإسلامي(سنة 1907م) مما جاء فيه :

أذا (الأسد الإسلامي) لله دركم ****بجامعة الإسلام فاسط بتبيان

وفاخر بعقل في المصالح وادخر**** أجورا بها في الحشر تأبى لحسبان

فرد الباروني بقطعة على نفس الوزن والقافية مما جاء فيه :

قريظ همام اليـــم "حمـــــــدان" **** سمي ابن قيس بالسلامة هنـــــاني

[1] - كان عمر صحيفة (الأسد الإسلامي) قصيرا ، فقد رأت النور بتاريخ 2 رجب 1325هـ / 12 أوت 1907م ثم صدر عدده الثاني بتاريخ الثلاثاء 13 ربيع الأول 1326هـ/14 أفريل 1907م، تلاه بعدها بأسبوع عددها الثالث والأخير يوم الخميس 22 ربيع الأول 1326هـ / 23 أفريل 1908م، ثم تمت مصادرتها، أنظر : الفيكونت فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية، مج2،ج4، المطبعة الأدبية ، بيروت ، 1913،ص 188.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،لبنان ، ص 403.

[3] - نفسه ، 403.

[4] - سليمان الباروني،،ديوان الباروني،المصدر السابق،،ص48.

فقلت إرتجالا ناشرا لكمالـــــــه**** هو البحر علما ما لمنصبه ثـــــاني

له الأدب الغض النضـــار خطابه**** له الخلق السامي فأعجب بحسان

وكيف وعبد القادر الطود شيخه**** فأكرم بتلميذ لمنبع عرفـــــــــان

أحمدان حققت العلوم فـاعنقت **** بذكرك آي الحمد للأنس والجـان

فأنت أخ والناس في الدين إخوة **** وهل مذهب الإنصاف هجري لإخواني [1]

أما "عباس بن حمانة" ذلك الذي يصفه مالك بن نبي بأنه" أول جزائري عمل على بعث اللغة العربية في البلاد،وبفضله إرتفعت ضمن أسوار تبسة جدران أول مدرسة"[2] فقد إلتقى به الباروني عند زيارته لمدينة تبسة سنة(1911م).

أما خارج الجزائر فقد كان "الأمير علي بن عبد القادر" أبرز الشخصيات الجزائرية التي إجتمع بها الباروني ، حيث وحد بينهما الجهاد ضد الإيطاليين على أرض طرابلس الغرب أين حظي كليهما بمكانة سياسية وعسكرية بارزة ، كما كان كلاهما متشبعا بفكر الجامعة الإسلامية ونصرة الدولة العثمانية[3].فجمعت بينها رغبة ملحة في الدفاع عن الوجود العثماني في ولاية طرابلس الغرب وخدمة قضايا الدولة العلية.

2-5 :رموز من النخبة الجزائرية خدمت الجامعة الإسلامية

5- أ : عبد العزيز الثعالبي من الجامعة الاسلامية إلى الجامعة العربية :

كان الشيخ عبد العزيز الثعالبي في بداية نشاطه السياسي ينظر إلى الآستانة كعاصمة أُم، فهي مركز الخلافة الإسلامية التي يدور في فلكها المسلمون ويرنون إليها بإعتبار أن "الدولة العثمانية هي صاحبة الخلافة في الأمم الإسلامية منذ أحقاب عديدة وأجيال مديدة، رفعت للدين منارا وللجامعة عزا وفخارا"ثم أتبع الثعالبي الرأي بالعمل حين إنظم إلى حزب تونس الفتاة الذي كان يصدر "جريدة التونسي" بإشراف "علي باش حانبه " وكان شعارها

[1] - الباروني ، ديوان...،المصدر السابق،ص48.

[2] - مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن ،دار الفكردمشق، سورية ،204،ص27.

[3] - من أبرز أفكار الباروني الإصلاحية، دعوته إلى جامعة إسلامية، تلم شتات المسلمين وترأب صدعهم، وكان يستهجن كل حركة مذهبية بغيضة تنخر في صفوف أبناء الإسلامي ، أنظر: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني ، في موكب الإصلاح(صفحات من التواصل بين أعلام الإباضية والسيد محمد رشيد رضا من خلال مجلته المنار في فترة صدورها بين سنتي 1315-1354هـ ،مطبعة ذاكرة عمان ،مسقط ، عمان،2015،ص35.

سلوك سياسة التريك، لأن الدولة العلية العثمانية هي الحامية لديار الموحدين" مؤكدا أن المسلمين " لا يستمدون روح الحياة ولا يستنشقون نسيم العزة المحمدية إلا من الدولة العثمانية التي ببقائها يبقى الإسلام"[1]

لقد بدأ عبد العزيز الثعالبي حياته السياسية مبكرا كحركي (Activiste) من كبار دعاة الجامعة الإسلامية فأصدر أسبوعية هي "سبيل الرشاد"[2]...دافع فيها عن الخلافة الكبرى وممثلها السلطان عبد الحميد الثاني، كما في إفتتاحية يوم(1896/03/29م) حيث كان يقول :"**لولا الطالع الحميدي في أفق هذا الزمان لأنقضت من الجامعة الإسلامية الأركان وهدت أثار هذا البنيان من عالم الإمكان....**"[3].

لقد كان الثعالبي يرى في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية تطبيقا لمبدأ من مبادئ الدين الإسلامي" الذي جمع أمما متفرقة ليجعل منها أُمة واحدة"[4] وهو ما دفع الثعالبي لتخصيص جزء هام من نشاطاته وأسفاره وكتاباته داعيا لوحدة العالم الإسلامي.

كما شكلت جريدة "سبل الرشاد" فضاء واضحا للدفاع عن الخلافة الإسلامية، فقد ميزت بحق المرحلة الأولى من فكر الثعالبي المرتكز أساسا في الدفاع عن الخلافة العثمانية ورمزها "السلطان عبد الحميد الثاني" ففي عددها الرابع كتبت إفتتاحية تندد ببعض الصحف المصرية التي هاجمت السلطان العثماني وتصف مصر بأنها عثمانية، ويتكرر هذا الهجوم على الجرائد "السافلة" الصادرة بالمشرق والمتوجهة بنقدها للخلافة :"يقول الجاهلون السفهاء إن الأمة العربية هي أحق بالخلافة الإسلامية وأولى برفع منار الملة المحمدية"،(العدد التاسع)[5]

ولم يتوانى الثعالبي في كثير من كتاباته في مواجهة السياسة الإستعمارية التي كانت تهدف إلى تفكيك أواصر الدولة العثمانية و الإستيلاء على أجزاءها.ولم يكن الثعالبي يفرق في جهاده الفكري والسياسي بين الإستعمار الفرنسي والإنجليزي والإيطالي بل كان همه الوحيد هو توحيد المسلمين وجمعهم في كفة واحدة ضد القوى الاستعمارية. وكان هدفه الأسمى إحداث إنقلاب في نفوس الشباب المسلمين ينقذ به العالم الإسلامي من نكبته.

وقد ساهم في تقوية هذا الشعور لدى الثعالبي تواصله مع نخبة عصره ورحلاته العديدة إلى بلاد المشرق العربي، ليتجلى هذا الشعور في معظم أعماله الصحفية من خلال جريدة "سبيل الرشاد" في البداية أو في جريدة "الإتحاد الإسلامي" التى أنشأها سنة(1909م) مع علي باش حامبه ثم لما عاد إلى تركيا منفيا عام (1912م)، وحينما

---

[1] - هشام نشابة و مسعودة مسعود بو الخضرة ، عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي، المكتبة العصرية ، بيروت، ص،96.

[2] - تعتبر سبيل الرشاد(1895-1896م)، إمتداد للعروة الوثقى، فقد حفلت بتوضيح حقائق الإسلام والرد على المستشرقين والقساوسة وكشف واقع لمسلمين المتردي ، أنظر ، علي الشابي و أخرون ،الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتجديد الفكر الديني، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، تونس ، 1993،ص10.

[3] - أحمد خالد ، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي ،الدار العربية للكتاب ،تونس ، 2001،ص28.

[4] - عبد العزيز الثعالبي ، روح التحرر في القرآن ،(تر)حمادي الساحلي ، (تح) محمد المختار السلامي،،دار الغرب الإسلامي، 1985،ص116.

[5] - علي الشابي وأخرون ، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ...، مرجع سابق،ص46.

أرسله "الملك فيصل الأول ابن الشريف حسين" من بغداد ممثلا للعراق في "مؤتمر الخلافة" المنعقد بالقاهرة عام (1926م) علما أنه كان من أبرز الداعين لعقد المؤتمر الإسلامي الأول بالقدس عام(1931م).

إشتغل الثعالبي في إسطمبول بعد إنتقاله لها سنة(1912م) على ما سُمي بمشروع "الوحدة الإسلامية" ضمن تنظيم سري يتغطى بواجهة منظمة طلابية مغاربية كان يعتني فيه بوضعية المهاجرين التونسيين والجزائريين والمغاربة.

ثم سافر إلى العديد من البلاد الإسلامية بدأ بمصر سنة(1913م) ثم اليمن فعدن حتى بلغ الهند وملايو وسنغفورة وغيرها باحثا عن التأييد والدعم لفكرته،ومع قيام الحرب العالمية الأولى ضم الثعالبي جهوده "للأمير خالد" فشكل معه "لجنة لتحرير تونس والجزائر" تقدمت بعريضة لمؤتمر الصلح تطالب بإستقلال شعوب المغرب العربي و أردفتها ببرقية إلى الرئيس "ولسن" تضمنت نفس المطالب[1]لكنهما أصيبا بخيبة أمل من نتائج هذا المؤتمر على البلاد العربية كما هو معروف.

ولذلك جاء كتابه " تونس الشهيدة" بمثابة البيان السياسي شديد اللهجة الموجه للفرنسيين من خلال تحقيقه صورة قاتمة عن السياسة الاستعمارية في تونس ومخلفاتها، كمصادرة الأراضي وتدهور للحرف وتمييز رهيب في الجباية والتعليم والأجور.

ليعرض بعد ذلك برنامجا سياسيا إصلاحيا مستوحى في خطوطه العريضة من عهد الأمان الصادر سنة (1875م) ولذلك كان تقييم قاضي التحقيق العسكري (colonel Baron) قاسيا لهذا الكتاب فاعتبر : " **المصنف تقريضا عنيفا مثيرا في الأهليين الضغينة و الإستخفاف بالحكومة وبالمؤسسات الإدارية لنظام الحماية، خصوصا في الباب الثالث عشر بعنوان– الجنس الرفيع والجنس الوضيع– المهيج للعنصرية العرقية إنه في نظره نداء للثورة"[2] كيف لا ومن ضمن ماجاء فيه إدانة واسعة للمارسات الإستعمارية الفرنسية ، يقول الثعالبي :"هل يريدون إمتداد ونشر الثقافة والحضارة الفرنسية؟ إننا نعتقد كما يعتقد كل عاقل أن القسوة والنهب والظلم، وقد أصبحت مؤسسات في الدولة لا تجعلنا نحكم لمصلحة الحضارة الفرنسية.إننا نُقدر عبر صغار الأشخاص الذين يقتحمون بلادنا أن الشعب الفرنسي هو شعب من الجائعين وقطاع الطرق وأن حضارته التي نرى في صور أخلاق هذه النماذج هي كذبة هائلة تخفي عقلية أصحاب المتعة الدنيئة."[3]**

وقد أدى ذلك إلى إستياء كبير لدى الإدارة الفرنسية من محتوى الكتاب و"اعتبرت السلطة الفرنسية المطالبة بالدستور توجها نحو سحب النفوذ منها، فبادرت بإلقاء القبض على الثعالبي يوم(28 جويلية 1920م)، ونقلته إلى

[1] - جلول الجريبي ،أسس النهضة عند عبد العزيز الثعالبي ، رسالة دكتوراه في العلوم الاسلامية، معهد أصول الدين جامعة الزيتونة ، تونس، 1987-1988،ص136.

[2] - أحمد خالد ، الزعيم الشيخ عبد العزيز ...،المرجع السابق ،ص146.

[3] - عبد العزيز الثعالبي ،تونس الشهيدة ، ترجمة وتقديم : سامي الجندي ،دار القدس ، بيرت ،لبنان،1975،ص 201.

تونس تحت الحراسة لتزج به في السجن العسكري مدة ثلاثة أشهر خرج بعدها في(أكتوبر 1920م) ليواصل نضاله المباشر ويشرف من قريب على الحياة السياسية والفكرية[1].

كما سخر الثعالبي جريدة "الإتحاد الإسلامي" للدعوة إلى الجهاد ودعا إلى مساعدة المجاهدين الطرابلسيين ماديا ومعنويا،وقدأثرت أحداث طرابلس في فكر الثعالبي بشكل عميق حتى جعلته أكثر تطرفا وقوة في نقد المخالفين ودعاة الإستعمار، ليصبح بذلك من أبرز المفكرين في مهاجمة الإستعمار ومن أبرز الداعين للوحدة الإسلامية ، ذلك أنه يختلف عنهم في ثقافته وإتجاهه وبعده الفكري الحضاري ، فلم تفته أي فرصة لإظهار عدائه الصريح للإدارة الفرنسية ..... وإعلان ولائه المطلق للخلافة الإسلامية وتفانيه في خدمتها[2].

وتبرز من خلال مؤلفات الثعالبي الأهمية البالغة لكتاباته و التي نجح كثيرا في صياغتها بأسلوب تاريخي متميز ، جمعها على شكل حوليات ضمنها آراؤه وأفكاره المختلفة تحت إسم (رسالة الشرق) وصف فيها نشاطات السلطان عبد الحميد الثاني وأفكار ومآسي المشرق العرب آنئذ والأخطار التي كانت تواجهه وأسبابها والتي نذكر منها الدراسة المميزة التي قدمها في المؤتمر العربي ببغداد سنة(1936م) ونشرتها "مجلة الهلال" المصرية سنة(1939م) تحت عنوان " العرب والإسلام في العصر الحديث، أمراض العالم العربي، أسباب إنحطاطه أصولها ومداواتها".[3]

وهكذا نستطيع القول بأن تناول الثعالبي لموضوع الجامعة الإسلامية و الدفاع عن السلطان العثماني بإعتباره رمزا لوحدة العالم الإسلامي والتركيز على مهاجمة من يهدف لأضعاف الدولة العثمانية وتجزئتها، قد جاء في إطار سياق تاريخي واضح وضمن الإشكاليات الكبرى التي شغلت الفكر الإسلامي الحديث في حينه لتتطور النظرة بعد ذلك لدى الثعالبي ويصبح من أنصار الجامعة العربية.

وفجأة وفي ظل ما قام به الإتحاديون ولحظات اليأس التي أعقبت إلغاء الخلافة سنة(1924م) نعى الثعالبي الجامعة الإسلامية واعتبرها :"خيالا كاذبا إخترعه قساوسة السياسة الاستعمارية، لتبرير الفتك بالشرق الضليل"[4]و سرعان ما صار أكثر توجها نحو فكرة القومية العربية التي روج لها الرواد الأوائل من أصدقائه أمثال "عبد الرحمان الكواكبي" و"محمد شكري الألوسي" و"عبد الله النديم "و"عبد القادر المغربي" وذلك بعد أن يئس من تركيا وسياستها

---

[1] - محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، (ط3)،لدار التونسية للنشر، تونس، 1983 ،ص137.

[2] - مناصرية ، الحزب الدستوري التونسي 1919-1934،(ط1)، دار البصائر ، الجزائر ،2009،ص96.

[3] - مناصرية ، الحزب الدستوري... ، مرجع سابق ،ص99

[4] - **جريدة الشورى** ،11 أوت 1927 ،ص2، نقلا عن : هشام نشابة ومسعودة مسعود بو الخضرة،عبد العزيز الثعالبي ودوره في الاصلاح الإسلامي، المكتبة العصرية ، بيروت ،ص،98.

نحو البلاد العربيةفي ظل قيام الجمهورية التركية وتوجهاتها الكمالية سنة (1923م) وإلغاء الخلافة نهائيا سنة (1924م).

كما أن بحوثه التي تناولت أسباب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية[1] تشير إلى تحول واضح في خطه النضالي وإنتقاله من إيديولوجيا إلى أخرى ، أي من الجامعة الإسلامية إلى القومية العربية وأن رحلته إلى الشرق سنة (1923م) قد أتاحت له إثراء تجاربه السياسية ، ولم تكد تمر على إقامته هناك مدة طويلة حتى سقطت الخلافة العثمانية وارتفعت راية التتريك والتغريب معا وقطع الكماليون صلاتهم بالتراث العربي الإسلامي... ونظرا لتلك التراكمات التاريخية وإلى الصلات الدينية التي تربط العرب والأتراك، توزعت النخبة بين آسف على سقوط الخلافة العثمانية، عامل على إعادة بعثها ومنصرف عنها إلى دائرة نضالية أخرى تستجيب للمطامح الوطنية القومية. وما لبث أن تحدد الموقف، إذ لم يترك التعصب التركي للقومية الطورانية سبيلا إلى هذا الإنقسام، فسرعان ما حدث رد فعل تمثل في العزوف عن الرابطة العثمانية والإنصراف إلى النضال الوطني والعربي وهذا بحق ما مثله عبد العزيز الثعالبي، فقد زكى توجهه العروبي منذ(1919م)بتجاربه في الشرق وبالعبرة من سقوط الخلافة العثمانية، فأدار ظهره للأتراك بعد أن كان داعية لهم وأصبح من أكبر الدعاة للوحدة العربية[2].

بلغت هذه المشاعر القومية ذروتها لدى الثعالبي مابين سنوات (1939 و1944) من خلال كتاباته المختلفة، فكتب في جريدة "الإرادة" بتاريخ(22-06-1939م) مقالا بعنوان " الوحدة العربية في طور التحقيق" يقول فيه :" **ليست الوحدة العربية أُمنية كاتب مهووس ولا حلم مؤرخ أو خيال شاعر واهم ولا خاطرة متردية في ذهن مكدود لكنها حقيقة واقعية لاريب فيها.....فالوحدة العربية كيان عظيم ثابت غير قابل للتجزئة والإنفصال،يشغل قسما كبيرا من رقعة آسية الغربية وشطرا من إفريقية.. الوحدة العربية تمليها جميع الظواهر البارزة من وحدة الرقعة الجغرافية واللغة والدين والتهذيب والتاريخ**"[3].

ومما يبرز تحول الثعالبي تجاه الأتراك هو ما يحمله نفس المقال من إتهام واضح للأتراك ب:" **تعاقدهم مع الدول المنتدبة على البلاد العربية لإعاقتها عن السير نحو التقدم ، لقاء سلخ لواء الإسكندرونة العربي عن سورية وذلك لكي تحول دون وصول العراق إلى البحر المتوسط يوم يحاول إنقاذ سورية من غير طريق الصحراء، فكان العرب ، ضحية الترك قبل أن يصيروا ضحية لأوروبا، فقد أسسوا لهم قياده تفاديا من حدوث إنقسام**

[1] - نشر هذه البحوث في أعداد مجلة الفجر(التونسية) سنة 1920.

[2] - علي الشابي وأخرون ، الزعيم الشيخ عبد العزيز ...، مرجع سابق،ص15-16.

[3] - أنظر نص المقال كاملا " الوحدة العربية في طور التحقيق" في : أحمد خالد ، الزعيم الشيخ الثعالبي... ، المرجع السابق ،ص477-481.

جنسي في الإسلام، وركنوا لهم طواعية لا عن إستجداء، ولكن الأتراك لم يقدروا لهم هذه اليد البيضاء، بل أفحشو في توهينهم"[1].

ومن أقوى ما كتبه الثعالبي في توجهه العروبي مقال بعنوان" أمراض العالم العربي " ظهر في "جريدة الإرادة "سنة (1939م) وتضمن نقدا شديدا للحكم العثماني في البلاد العربية معتبرا ذلك الحكم نكبة أودت بالسيادة العربية ، إذ توهم العرب أنهم بخضوعهم للأتراك يجسمون الوحدة الإسلامية ، لكن الأحداث برهنت بطلان ما حسبوا[2].

لقد تأكد للثعالبي أن النضال الوطني يجب أن يُصرف لتحقيق الإستقلال والوحدة العربية، وقد كشفت الأحداث منذ هزيمة العثمانيين في ليبيا أمام الإحتلال الإيطالي على أن الجامعة الإسلامية لم تعد السبيل الموصلة ، لأنها بحكم ربطها بالسياسة العثمانية وبالولاء للخلافة- وهو ربط إيديولوجي لا موضوعي – قد أصابها ما أصاب هذه الخلافة التي تتالت عليها الهزائم[3]،لكننا سنتطرق لموقفه من قضية الخلافة ذاتها بشكل أكثر تفصيلا من خلال الفصل المتعلقة بقضية الخلافة لاحقا .

5- ب : عائلة الأمير عبد القادر هل هو الوفاء للدولة العلية؟

لاحظنا في مبحث سابق تطور علاقة "الأمير عبد القادر" بالدولة العثمانية وكيف أنه رفض أن يشارك في مشروع إسقاطها ، فكان يفضل إستمرارها أمام ما لاحظه من حملة شرسة على العالم الإسلامي و في ظل تشتته وحاجته الماسة لقيادة روحية مركزية.

ومع وفاة "الأمير عبد القادر" لم تنته علاقة أسرته بموضوع الجامعة الإسلامية والدولة العثمانية ،فقد برز العديد من أبناءه وأحفاده كمنافحين عن الدولة العلية،لا سيما وأن بعض ولاياتها بدأت تعرف نفس مصير الجزائر الواحدة تلو الأخرى،فنشطوا في سبيل الجامعة الإسلامية وعملوا جهدهم للمساهمة في إنقاذ ما تبقى من أراضيهاوسيادتها على إمتداد الوطن العربي.

وكما تعرضنا له سابقا عند حديثنا عن موضوع الهجرة الجزائرية إلى البلاد العثمانية ، فبمجرد وفاة "الأمير عبد القادر" بدمشق سنة(1882م) سعت الدولتان العثمانية والفرنسية لإستقطاب ولاء أولاده وبذلت لهم من الأموال والمغريات الشيئ الكثير و أستطاعت الدولتان شق موقف عائلة الأمير مما أثر عليها في وقت لاحق فقد قبل بعض أولاد الأمير ومنهم الهاشمي الجنسية الفرنسية و إنتقل مع ولده خالد إلى الجزائر وأستقر في بلدة بوسعادة الجزائرية[4].

[1] - أحمد خالد ، الزعيم الشيخ الثعالبي... ، المرجع السابق ،ص477-481.
[2] - المرجع نفسه ،ص52-53.
[3] - علي الشابي وآخرون ، الزعيم الشيخ عبد العزيز ...، مرجع سابق،ص18.
[4]- سهيل الخالدي،دور الجزائريين في حركة التحرر العربي ...، مرجع سابق،ص79.

لكن الأولاد الأكثر أهمية وتأثيرا من أولاد الأمير هم "محي الدين" بسبب دوره في ثورة "المقراني" و"عبد المالك" بسبب دوره في ثورة المغرب وولده علي بسبب دوره في مقاومة الغزو الإيطالي لليبيا ثم ولده "محمد" وهو الكبير بسبب قربه من الخليفة العثماني كمرافق ومستشار له ،كانوا أكثر ميلا وخدمة للسياسة والدولة العثمانية.

ولم تكن الدولة العثمانية حتى(1912م) في حينه قد إعترفت علنا لفرنسا بالجزائر،فأغدق الباب العالي على أولاد الأمير الذين اختاروا الجنسية العثمانية المال والمناصب والألقاب فمنح "محمد" رتبة فريق في الجيش العثماني ودرجة "ياور" أي المرافق المستشار للسلطان نفسه ،وأما "علي" فقد منحه لقب باشا وهو الوحيد من الجزائريين في المشرق العربي الذي حظي بهذا اللقب رسميا،فحتى والده" الأمير عبد القادر" على أهميته لم ينل هذا اللقب رسميا .

كما فتح السلطان العثماني الباب واسعا ل"لأمير علي" للعمل السياسي حين سمح له بدخول البرلمان العثماني الذي يسمى "مجلس المبعوثان" ويكون أحد نائبي دمشق،ثم إختاره ليكون نائبا لرئيس هذا المجلس أي أن "علي بن عبد القادر" أوشك أن يكون الشخصية الثالثة في دولة بني عثمان.

فبالنسبة للأمير علي يسجل له دورا هاما في هذا المجال وهو الوحيد من أبناء الأمير الذي لعب دورا سياسيا معتبرا في بلاد الشام،وكان بإعتراف القناصل الفرنسيين أكثر أبناء الأمير ذكاء وفطنة وشجاعة،كما كان شديد الكره للفرنسيين ،ونتيجة لموقفه هذا فقد أبدى بعض القناصل آراء قاسية إتجاهه فوصفوه أوصافا فيها الكثير من التلفيق والتزييف الصريح،مثل وصفه بالطمع والبخل الشديد ولهفه الدائم وراء تحقيق أي عمل أو هدف يمكن أن يكسب من ورائه أموالا وأراض وعقارات[1].

إلا أن ذلك لا يمت للحقيقة بصلة ف"الأمير علي" بشهادة العرب والأتراك كان شخصية قوية،كثير السعي للمصلحة العامة وخدم إخوانه من المهاجرين الجزائريين فقد إشترى مثلا قرى مثل"عولم"و"معزر"وشعارا" وكفرسيت" بفلسطين عندما علم أن أهالي هذه القرى وغالبيتهم من الجزائريين ستُباع أراضيهم من طرف البنك الزراعي لديون مستحقة عليهم.وإستطاع أصحاب هذه الأراضي من الجزائريين وبفضل الموارد التي وضعها "الأمير علي" بين أيديهم أن يعيدوا لأراضيهم وقراهم الرفاهية والإزدهار[2]

ولما كان "الأمير علي" أكثر تأثرا بتيار الجامعة الإسلامية وأكثر ميلا لسياسة الدولة العثمانية فقد إستقبله السلطان العثماني ووزير داخليته في (ديسمبر 1914م)، ووجهته لجنة الإتحاد والترقي إلى برلين في (14 ديسمبر) في مهمة لزيارة الأسرى الشمال أفارقة لإقناعهم بضرورة التطوع في الجيش العثماني[3]، ولما فسافر "الأمير علي" إلي برلين

[1]-P, Bardin, Algeriens et…,Op.cit,p181.

[2]-Alfred,le Chatelier," les musulmans Algériens au Maroc et en Syrie" ,in RMM,(Vol2),numéro5,mars 1907,paris,p 510.

[3] - Bardin, Op.cit,p185.

إصطحب معه الشيخين ""صالح الشريف و"إسماعيل الصفائحي" والذين سبق الحديث عن دورهما في الدعاية للجامعة الإسلامية والدولة العثمانية، ليشكلوا ما نموذجا عن تضافر النخبة الجزائرية المنتشرة في عدة بلدان في خدمة تيار الجامعة الإسلامية.

ولم يكن "**الأمير علي" مجرد ناشط للجامعة الإسلامية على مستوى ضيق فقط ، فقد ذكر "ليوتي" في تقرير له حول المغرب الأقصى ضمنه معلومات سنة (1915م) قدمها لسلطات بلاده، تحصل عليها من "الرائد هيوت" (Huot) مسؤول مصلحة مخابراته ، الذي عاد من مهمة من باريس إلى الرباط عن طريق إسبانيا ، أوضح من خلاله أن :"سفارات ألمانيا والنمسا والمجر وتركيا في إسبانيا" تعمل "لإثارة شمال إفريقيا ضد فرنسا " وأن العقيد كالي (Kalle) الملحق العسكري بسفارة ألمانيا بمدريد قد حصل على أمر من القيصر طالبه من خلاله بالإهتمام أكثر بالمسائل المغربية...**

وأرسل" ليوتي" رفقة التقرير كذلك" المنشور الأخضر" وهو نداء الجهاد الذي وجهه "محمد الخامس" من إستانبول إلى كافة المسلمين ولاحظ عليه أنه وُزع في الجزائر و تونس وطرابلس وتحدث التقرير عن نشرية عنوانها: نداء إلى كل المسلمين العاملين في الصفوف الأجنبية الفرنسية والانجليزية والروسية، وقد ذكر" ليوتي" أن تحرير النداء كان من إيحاء "الأمير علي باشا"، وأورد عبارة من النداء إستدل بها على ذلك جاء فيها :"إن محرر هذا النداء شريف ، ويعلمكم أن "الأمير علي باشا بن عبد القادر الجزائري" ، يرافق القوات الألمانية ، ويطالبكم بإنقاذ بلادكم(....) وأن المغرب والجزائر وتونس هي الآن في حالة ثورة ضد فرنسا"[1].

أما من الأحفاد فقد سجل التاريخ للعديد منهم على غرار الأمير عبد القادر الحفيد والأمير محمد سعيد جهودهما في الدفاع عن الدولة العلية ، وخدمة تيار الجامعة الإسلامية ،إما عسكريا كما فعل الأول ، أو سياسيا وإعلاميا كما فعل الثاني و الذي يعترف بذلك قائلا :" **وكنت بحكم تربيتي الأولى وبحكم تقاليد أسرتي الشريفة منظما إلى الفريق المؤيد لفكرة الجامعة الإسلامية...."[2]**

وهكذا بقيت أسرة الأمير عبد القادر أو على الأقل أبرز رموزها من بعده وفية لقضايا التضامن الإسلامي ومواجهة الإستعمار الأوروبي مشرقا ومغربها في ظل تمسكها بالخلافة العثمانية وتفانيها في خدمة حركة الجامعة الإسلامية.

[1] - محمد بلقاسم، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، مرجع سابق ،ص84.
[2] - أنظر الملحق (رقم 6).

5- ج :آثار وصدى حركة الجامعة الإسلامية في الجزائر

رغم الإنكار المتكرر أو حتى محاولة التقليل من صدى حركة الجامعة الإسلامية في الجزائر من طرف الساسة والإعلاميين الفرنسيين فقد كذبت الكثير من الحقائق والأحداث ذلك الإدعاء بشكل قاطع وبُطون المصادر التاريخية ووثائق السلطات الأمنية الفرنسية تمتلئ بما يدحض ذلك الإدعاء ، فقد عثر مثلا لدى طالب يسمى "أحمد المدني" عرف عنه كتابته للمنشورات الداعية لمقاطعة الفرنسيين مراسلات مع قريب له في إسطمبول وصور للقيصر الألماني ولشخصيات تركية ، كما عثر لديه على منشورات تنتقد الإدارة الفرنسية التونسية وقد ثبت أن له صلات بالصحفي "حسن الجزيري"[1] المعروف بعدائه لفرنسا وكل ذلك يجعله مؤهلا للمثول أمام محكمة عسكرية وليتجاوز الضابط العسكري "دوت Dot" إشكالية صغر سن المدني في رغبة بحبسه طيلة سنوات الحرب ، فإنه برر ذلك الحكم لدى وزير الشؤون الخارجية بوصف" أحمد توفيق المدني" ب"الخطر الكبير Danger sérieux" في نص الحكم[2]، وقد حمل نص الحكم جملة من الإتهامات من بينها أن "المدني" بصحبة "الجزيري" يعدان من أخطر المشوشين والداعين للثورة ضد فرنسا وأنهما يخدمان الدعاية الألمانية المعادية لفرنسا.

هكذا كانت النخبة الجزائرية المحافظة والمرتبطة بالجامعة الإسلامية داخل الجزائر وخارجها لا تتوانى في التعبير عن تضامنها مع الدولة العثمانية ممثلة في سلطانها ومؤسساتها عن طريق كل الوسائل المتاحة لنشر هذه الدعاية لاسيما من خلال الصحافة والمنشورات وحتى اللقاءات مع الجماهير متى سمحت الظروف بذلك.

وبالحديث عن آثار الحركة في الجزائر فإن الحكم على مدى نجاح مشروع حركة الجامعة الإسلامية في الجزائر وإستمرار هذا التأثير بعد سقوط الخلافة سنة(1924م)كان محل إختلاف واضح بين الكثير من الكتاب والباحثين سواء الفرنسيين و الجزائريين من جهة أو حتى بين بعض الجزائريين أنفسهم.

فالسيد "درسون(Dresson)" قد أرجع من جهته إثارة الشعور لوطني عند سكان شمال إفريقيا إلى حقيقة الجامعة الإسلامية دون أدنى شك ،فيما أن "عبد العزيز الشناوي" كان يرى من ناحيته بأن مشروع حركة الجامعة الإسلامية كان ناجحا وأن نسبة نجاحه وإن تأرجحت بين الصعود والهبوط مابين(1876-1919م) لكن مظاهر

[1] - حسن الجزيري : (1894-1974م)، ولد في تونس، تلقى تعليمه المبك في الكتاب، ثم إنتظم في سلك طلبة الزيتونة، ولم يتم دراسته فيه ، بسبب إنضمامه إلى المطالبين بإصلاح الزيتونة ، مارس الكتابة في صحف مثل "اللواء" و" المنار"، وأختص بتحرير " المضحك، كما كتب في جريدة " جحا"، وعمل مراسلا لجريدة" الفاروق "الجزائرية، اصدر جريدته " النديم سنة 1921م، التي إستمر صدورها 22سنة ، رغم أنه كان يقوم على شؤونها لوحده، شغل عدة مناصب بوزارة العدل وبالإذاعة، كانت له علاقة جيدة بزعماء الإصلاح خاصة محمد رشيد رضا، كان من المؤسسين الأوائل للحزب الدستوري (1920م)، ثم انشق عنه وبقي مناضلا بقلمه.أنظر : عمر بن قفصية ، أضواء على الصحافة التونسية ، دار بوسلامة ، تونس، 1972،ص34-36.

[2] - Daniel Goldstein,"Liberation ou Annexion…" Op.cit,p139

نجاحها كانت متجلية وعلى رأسها إهتمام العالم الإسلامي الواسع بالحرب العثمانية- الروسية (1877-1878م)، وما أقيم من إحتفالات عارمة بهذه الإنتصارات العثمانية، وما أعقب ذلك من إنتفاضات جماهيرية عارمة كانت تطالب بالاستقلال والوحدة والتحرر من نير الحكم الاستعماري في كل من تركستان وأندونيسيا والجزائر ومدغشقر[1].

ومما لاشك فيه أن الجزائريين قد تأثروا أيضا بأفكار الرواد التونسيين المناضلين في إطار الجامعة الإسلامية خاصة عند دخولهم إلى الجزائر في فترات مختلفة من أجل تحرير منطقة المغرب العربي من الإستعمار الفرنسي ومن هؤلاء الرواد: "إسماعيل الصفائحي" و"صالح الشريف" و"عبد العزيز الثعالبي" و"علي باش حمبه" وأخيه محمد" و"محمد الخضر الحسين" و"المكي بن عزوز" وغيرهم.

وكان كثير من الجزائريين قد ناضلوا من أجل نصرة مشروع حركة الجامعة الإسلامية وشاركوا في حرب البلقان الثانية (1912-1913م) وفي اليمن التي قادها كل من " سليم السمعوني" و السيد "الطيب بن سالم"[2].

كما استمرت العلاقة مع التيار الإصلاحي في الجزائر عن طريق " شكيب أرسلان" الذي وثق صلته مع العديد من الشخصيات الجزائرية مثل الشيخ "عبد الحميد بن باديس" و"البشير الإبراهيمي" و"الطيب العقبي".

ومما يلاحظ هو أن صدى الجامعة الإسلامية قد بلغ أوجه لدى عامة الجزائريين بمناسبة الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب سنة (1911م) و كذلك أثناء حرب الريف(1921-1926م) وهي حروب أشعرت الجزائريين عامة ونخبة بطبيعة المشروع الإستعماري الذي لم يعد يستهدف الجزائر وحدها بل يتوسع كالسرطان في الجسد المغاربي والعربي ، مما يتطلب تضامنا واسعا لمواجهته .

أما عن أشكال التأثر لدى الجزائريين بمشروع حركة الجامعة الإسلامية في الجزائر فقد تعددت ملامحها فمن أبرزها تمسك الجزائريين بعروبة وإسلام الجزائر وتأييد الحركات الإصلاحية القادمة من المشرق العربي والتي عرفت بقربها من تيار الجامعة الإسلامية، وخير مثال على ذلك المدرسة العبدوية ومدرسة المنار للشيخ رشيد رضا والتي كان لها صدى واضحا في الجزائر في الوقت الذي كثف المستعمر من جهوده لضرب هذه الهوية كإصداره لقانون فصل الدين عن الدولة والذي بدأ تطبيقه بمرسوم تنفيذي في أواخر شهر (سبتمبر 1907م).

كما برزت منذ بداية القرن شخصيات ظهر عليها بوضوح تأثير فكرة الجامعة الإسلامية برفضها لمبدأ التجنيس والإندماج والتمسك بالقيم العربية الإسلامية من أمثال "أبي بكر بن عبد السلام بن شعيب"[1] و"محمد بن رحال"[2]

[1] - عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،(ج3)، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ،1974،،ص1217

3- الشناوي، الدولة العثمانية... نفسه،ص524.

[2] ، عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية ،(ج3)، مرجع سابق ،ص524-525.

الذي أعطى رأيا واضحا بضرورة التعاون والتضامن بين الدول الإسلامية وقد أشار أثناء محاضرته في المؤتمر الإستشراقي المنعقد في باريس سنة(1897م) إلى وجود نوع من سياسة التقارب والتضامن التي كانت بين الملوك والحكومات الإسلامية، الشيئ الذي لم ترض به حكومات أوروبا الإستعمارية ،غير أنه أكد بأن فرنسا لن تنجح في مسعاها هذا طالما توفر الإصرار على هذا التضامن، ثم أضاف كلما إشتد ضغط المسيحيين على المسلمين كلما قوي معه التطلع لنهضة الإسلام[3]

أما على مستوى الصحافة العربية الجزائرية فقد كانت صحف مثل "الفاروق" و"ذو الفقار" منبرا للأقلام المؤمنة بفكرة الجامعة الإسلامية فهاهي جريدة "الحق الوهراني"[4] ذائعة الصيت في غرب الجزائر تثبت إلى حد بعيد مرجعيتها إلى "الجامعة الإسلامية وحركة التنوير العربية الإسلامية قبيل الحرب العالمية الأولى وهي التي كانت ترى:" **أنه من الواجب المحتم على عقلاء المسلمين في جميع أقطار العالم "عقد المؤتمرات العديدة التي تكون فروعا من المؤتمر العالمي(الحج) الذي وضع دعائمه المولى سبحانه وتعالى وإنشاء الصحف والمجلات"وإرسال المبشرين لهذه الغاية الشريفة عملا بأوامر دينهم وأكثر المسلمين مسؤولية بهذا الواجب..."**[5]**، بل وتجاوزت الجريدة الدعوة إلى التوحد إلى الدعوة للجهاد بدعوتها إلى"المجاهدة في سبيل الله ورسوله بالمال والأرواح... أيها المسلمون ماذا أنتم فاعلون، هاهي دول أوربا اليوم قد قامت تهدد كيان الإسلام بالتعرض إلى معابده المقدسة، بينما نحن نيام، هاهي دولة القرصان، الباغية إيطاليا الوحشية السافلة تحدثها نفسها بمهاجمة الحرمين الشريفين والعبث بكرامتهما...."**[6].

وترى الحق الوهراني بكل تفاؤل أن إيطاليا: " **لم تجد نفعا ما بغزوها سواحل طرابلس ولمهاجمتها الأماكن المقدسة ..وهو ما لا نتوقع حدوثه، وإلا رأينا مسلمي البلاد العثمانية لا يلوون على محبة وإخاء أو مدينة بل**

---

[1] - أبي بكر عبد السلام بن شعيب : كان الرجل كثير التآليف واغلب كتبه باللغة الفرنسية منها كتاب" التحليل القانوني للشريعة الإسلامية وكتاب " الفكر الفلسفي للشريعة الإسلامية" الصادر سنة 1901م، وله عدة مقالات منها :"إدماج أهالي الجزائر المسلمين مع الفرنسيين" وهي في الأصل نص لمحاضرة في المؤتمر العالمي للسوسيولوجيا لسنة 1900م،أكد فيها استحالة تخلي الجزائريين عن هويتهم العربية الإسلامية.أنظر: إبراهيم مهديد، الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900-1940 الجذور الثقافية والهوية الوطنية والنشاط السياسي، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الدكتور صم منور، جامعة وهران ، السنة الجامعية 1999-2000،(ج1) ،ص141.

[2] - محمد بن رحال (1875-1928م)، مفكر ومصلح جزائري،إشتهر بالفكر التنويري الحر ،خدم كثيرا التراث الجزائري من خلال إهتمامه بالتعليم العربي الذي ناضل من أجله.

[3] - إبراهيم مهديد، الجزائريون في القطاع الوهراني ، المرجع السابق،ص140

[4] - الحق الوهراني :هي ذات الإنطباع الإسلامي والنهضة العربية الإسلامية ، ظهر أول عدد لها يوم 14 أكتوبر 1911م، وكان اخر عدد لها – السادس والأربعون- بتاريخ 24 أوت 1912م. دعمت الصحيفة من بعض الملاك الجزائريين وتاجرين في المجوهرات وصيدلي، كان جل المحررين في الصحيفة يمضون بأسماء مستعالرة ك" أحمد ريسا" و" بربروس" و" صال"، ساهم في تحريرها ابن منصور الصنهاجي(جريدة الفاروق)، والتاجر دريسي من مدينة سلا المغربية ، أنظر ، إبراهيم مهديد ، الصراع حول الهوية والإنتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية " الحق الوهراني نموذجا 1911-1912م"،**مجلة عصور** ،ع 6-7، جوان- ديسمبر 2005،ص19.

[5] - الحق الوهراني ، ع39 ،من 6 إلى 13 جويلية 1912.

[6] - المصدر نفسه.

يهبون عن بكرة أبيهم كالأسود الكاسرة للإنتقام لدينهم وسرعان ما تتبعهم الممالك الإسلامية....لاشك ولا شبهة قط في أن الظفر سيكون حليف العثمانيين لأنهم على أقل تقدير ببلادهم من الكنائس وأربابها عشرات ألاف مرات ما قد يوجد من المساجد بالممالك الإسلامية"[1].

2- 6 : السياسة الفرنسية في مواجهة فكر وحركة الجامعة الاسلامية في الجزائر:

كانت السلطات الفرنسية ترى في حركة الجامعة الإسلامية خطرا بارزا لا بد من التصدي له منعا لإنتشار أي إمتداد روحي بين الجزائر ومركز الخلافة وخشية تطوره إلى إمتداد سياسي يهدد وجودها في الجزائر ولذلك فإنها شددت عن طريق أجهزة مخابراتها مراقبة الكثير الشخصيات والدعاة ومقرات الطرق الصوفية التي تتهمها بدعم مشروع حركة الجامعة الإسلامية والدعاية لها وحتى المتسللين من الخارج،فقد سبق لها إعتقال وفد قبرصي كان يضم ثمانية عشر رجلا وامرأة وكانت التهمة الموجهة إليهم نشر أفكار مشروع الجامعة الإسلامية ضد فرنسا، وتحدثت التقارير الأمنية عن مكان تواجد هذا الوفد الذي كان في الصحراء الجزائرية لشراء الإبل، ولكنها تؤكد بأن حقيقة هؤلاء لم يكن هدفهم التجارة ولكنهم كانوا متخفين بزي الرحل ويبشرون بقرب نهاية الحكم الفرنسي في الجزائر والبلدان الإسلامية في إطار مشروع حركة الجامعة الإسلامية.[2]

وإضافة إلى ماعُرف على فرنسا من تضييق واسع على الجزائريين داخليا عبر إصدارها للعديد من القوانين الإستثنائية فقد أبدعت في وضع كل العراقيل التي من شأنها منع تسلل وتسرب كل مايمت للجامعة الإسلامية بصلة ، من أشخاص ووسائل دعائية ولو كانت مرتبطة بشعائر الجزائرية الدينية وفيما يلي أبرز وسائل السياسة الفرنسية لمواجهة إنتشار أفكار الجامعة الإسلامية في الجزائر.

6- أ : مراقبة ومنع الحج :

وجدت فكرة الجامعة الإسلامية في الحج مجالا خصبا لها لما تحققه من تجمع لآلاف المسلمين لا يمكن تحقيقه في أي مكان أو زمان أخر ، ويبدو أن كل الأطراف كانت مقتنعة بأهمية المناسبة للدعاية والدعاية المضادة، فعند زيارته الإستعلامية للحجاز سنة(1894م)بتكليف من الحاكم العام للجزائر " جول كامبون" عبر المصور الفرنسي "جيل جيرفييه كورتالمون" (jules Gervais-courtellemen) لدى زيارته لمقرات المطبعة الوطنية الجديدة في مكة

[1] - الحق الوهراني ، ع39، المصدر السابق.

[2] - أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،(ج5) ،مرجع سابق ،ص134.

بشيئ من القلق قائلا :"**من يعرف ما ستطبعه هذه المطابع يوما ما إذا قامت الحرب المقدسة، الكثير من المطالب التي ستنتشر في الجهات الأربع من العالم والتي ستطالب طغاة الغرب بحرية الإسلام.**"[1]

و شيئا فشيئا وبعد أن تدخلت الإدارة الكولونيالية في تنظيم المساجد،قررت مزيدا من التشديد وصل إلى الحد من الحج إلى مكة حاذية بذلك حذو القوى الأوروبية الكبرى الأخرى التي كانت تسعى إلى مراقبة الإتصالات التي يجريها رعاياها المسلمون أثناء قيامهم بهده الفريضة،فبدأت السلطات الفرنسية في الجزائر تباعا في إصدار مجموعة من القوانيين التنظيمية التي تسمح لها بوضع الحج والحجاج الجزائريين تحت رقابة شديدة ، تحت شعار واضح أعلنه الحاكم العام "غريفي" سنة (1880م):"**تقليص أعداد الحجاج إلى مكة بأكبر قدر ممكن مما يحول دون إنتسابهم إلى تنظيمات دينية معادية لنا صراحة.**"[2]

إذن كانت الرقابة على الحجاج لدى الفرنسيين جزء من الرقابة على الصوفية التي كانت مراكز معظمها في بغداد ودمشق ومصر وشبه الجزيرة العربية والمغرب، وإن إرتباط هذه الفرق بمراكز خارجية طرح مشكلة مالية...إن مثل هذه المبالغ الكبيرة الموضوعة بتصرف رؤساء فرق دينية مشكوك في نزاهتهم وعلى صلة دائمة بالخارج، أوجدت مبررا لشكوك مكتب شؤون السكان المحليين الذي أكثر من طلب الدراسات والتقارير عن الجمعيات المتهمة بالتواطئ مع تيار" الدعوة إلى الوحدة الإسلامية" التي يشتبه بأنه يقف وراء كل حركة تمرد كبيرة"[3].

ومما يلاحظ على السياسية الفرنسية المتعلقة بالحج أنها أخذت في البدايات الأولى للإحتلال مجرد ترتيبات إدارية تتعلق بعملة تأطير نقل الحجاج إلى الحجاز ودون تدخل للسلطات العليا في فرنسا، غير أنه ومع مرور السنوات وتأكد الفرنسيين من أهمية مراقبة عملية الحج على المستويين الداخلي والخارجي "شهدت سنة(1894م) تحولا جذريا، ليظهر ولأول مرة نص رسمي يشير إلى الحج بإعتباره (فعلا خطيرا يهدد سلامة المستوطنين)"[4] وهاهو الصحفي الفرنسي "بول لفييت "Paul Laffite" في مقال له في صحيفة "صدى الجزائر" L'écho d'Alger"[5] يعرب عن تحول الحج إلى مصدر قلق للجزائر وظاهرة خطيرة في وسط الأهالي سينتج عنها نقل للأمراض الخطيرة من الحجاز إلى الجزائر خاصة الطاعون والكوليرا ، والأخطر من ذلك ملاحظة ذلك الشعور الإسلامي المتزايد لدى الأهالي العائدين من الحج[6].

---

[1] - J.Gervais- courtellement,Mon voyage a la Mecque,Paris,librairie Hachette et cle,79 Boulvard;1897,p94.

[2] - صادق سلام،فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005،(ط1)،(تر)زهيدة درويش جبور،هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)،أبوظبي ،2010. ،صص 177-178.

[3] - نفسه ،ص180.

[4] -Laurent,Escande, "D'Alger a la Mecque L'Administration Française et le contrôle du pèlerinage (1894-1962",in,_,n95-96,mai 1999,p277.

[5] - أنظر الملحق: (رقم 07)

[6] - Paul,Laffite," le Pélerinage à la Mecque in"**L'écho d'Alger**,(N 538),24oct1913,p01.

ولمدة خمسين سنة (1870-1920م) سيتحول الخوف من الحج والمظاهر المرتبطة به إلى رعب فرنسي واضح من مؤامرة إسلامية تنسج خيوطها في مكة وليصبح عدم القدرة على التحكم في عملية الحج وما يليه مظهرا من مظاهر فشل السياسة الفرنسية في الجزائر، وهاهو الحاكم العام "لويس دوقيدون Louis de Gueydon" يكتب سنة (1866م):"**إن التجربة أثبتت أن الجزائريين يعودون أكثر تطرفا عند عودتهم من الحج**"، وهو ما حرك السلطات الفرنسية لأن تصدر مجموعة من الترتيبات والإجراءات لتنظيم التنقل نحو الحجاز، عبر مجموعة من القوانين المختلفة[1].

والملاحظ أنه مع قيام الإدارة المدنية في الجزائر إبتداء من (1870م) إزدادت عمليات مراقبة السفر نحو الحجاز،أما إبتداء من(1875م) فأصبحت الإدارة الاستعمارية كثيرا ما تصدر قرارات بمنع عملية الحج ، عادة ما تكون على خلفية مبررات صحية كالتخوف من إنتشار الكوليرا والطاعون في الحجاز أو إنعكاسا لتطورات دولية ما تحت مسمى عام هو وجود (توترات في الشرق)، وإبتداء من(1879م) إلى غاية(1890م) أصبح الحج يمنع كل سنة [2] إلا لبعض الشخصيات الإسلامية التي تريد الإدارة الفرنسية كسب ودها وتعاونها.

لتبدأ كما سبق الإشارة له منذ (1894م) أولى عمليات تنظيم الإدارة الفرنسية في الجزائر لعملية الحج بعد توقيع الحاكم العام "جيل كامبون Jules Cambon" على مرسوم ينظم عملية الحج إلى مكة، تنص مادته الأولى على ضرورة المراقبة الصارمة للوضعية المالية للحاج وعلى هذا الأخير أن يثبت إمتلاكه لمبلغ مالي[3] يكفي لسفره ذهابا وإيابا وأن لا يكون في مغادرته للحج أي ضرر يلحق بأسرته وأن يكون معفيا من كل الضرائب أو قام بدفعها كلها.

وبما أن التنقل في داخل الجزائر كان مراقبا، فعلى الحاج الحصول على إذن بالتنقل نحو الميناء المحدد له من طرف إدارته المحلية المدنية والعسكرية ليتم تحويل هذا الإذن في كل من وهران والجزائر و عنابة إلى جواز سفر خاص مكتوب عليه بالعربية إسم ولقب وسن الحاج ومقر سكناه، أما ما يكتب بالفرنسية فكان أكثر دقة، فهو يحوي مهامه ونشاطاته وسوابقه وأحيانا حتى وضعه المالي.

---

[1] - Pierre Boyer," L'Administration Française et la reglementation du Pélerinage à la Mecque(1830-1894),in, **RHM**,n9,juillet,1977,pp,275-293.

[2] - منع الحج كليا سنوات 1897 و1899 و1901 وسنة 1908(بسبب الأحداث في تركيا)، وسنوات 1909 و1912 و1913 بسبب االتطورات المرتبطة بالحرب العالمية الأولى.

[3] - المبلغ المالي المطلوب كان في حدود الألف (1000)فرنك فرنسي في الوقت الذي كان الأجير يتقاضي يوميا مابين 2و3 فرنك فرنسي.مما كان يعني حرمان معظم الجزائريين من عملية الحج ولا يستفيد منها إلا من أغنتهم فرنسا بالأموال والمناصب.

أما على السفينة التي تنقل الحجيج فكانت المراقبة شديدة أيضا، حيث يقسم الحجاج إلى مجموعات في حوالي العشرون فردا، على رأسهم رئيس مجموعة تعينه الإدارة مُطالب بتقديم تقريره وملاحظاته حول الحجيج، لمحافظ الأمن الممثل للحاكم العام الموجود على ظهر السفينة.

إضافة إلى ذلك حدد هذا المرسوم إجراءات عقابية صارمة ضد الحجيج السريين تبلغ حد السجن لمدة يحددها الحاكم العام، ففي سنة(1894م)كانت محددة بشهرين (02)، وغيرت سنة (1911م) لأربعة أشهر(04) ورغم تلك الإجراءات فقد أصبحت ظاهرة الحجاج السريين مقلقة للفرنسيين ومتزايدة بعد (1896م) فقد قدرها الدبلوماسيون الفرنسيون مابين 200 و 400حاج لكل سنة أغلبهم كانوا يمرون عبر تونس وطرابلس من خلال نطاق عبور يصعب مراقبتها وإحصاءهم فيها.

وبينما مُنعت عملية الحج سنة(1915م) لنفس المبررات دائما وعلى رأسها الأوضاع الصحية السيئة في الحجاز شهدت سنة(1916م) تحولا جذريا في جانبها السياسي في الحجاز بخضوعه لسلطة "الشريف حسين" ، وهنا عملت الإدارة الفرنسية عبر قنصلياتها في تونس والمغرب كإبراز لدعمها "للشريف حسين" بتمويل سفر 600 حاج من بينهم 293 حاج جزائري[1] وبذلك تحول شعيرة الحج أيضا إلى مجال للدعاية للإسلام الفرنسي.

ولم تكن فرنسا وحدها من يراقب هذه التطورات، ففي (جويلية 1873م)جاء في تقرير لوزارة الخارجية البريطانية جاء ما نصه أن:" **هنالك توجهات متطرفة، أصبحت تدعو لها بعض الفئات من المجتمعات الإسلامية والمعروفة بتشددها والتي تدعو إلى وحدة العالم الإسلامي وإعادة السلطة الدينية" والدليل على ذلك حسب التقرير نفسه المقاومة الشرسة لسكان إقليم أتشين(Atchin) الأندونيسي للوجود الهولندي ، وكيف أن سكان هذا الإقليم أرسلوا مبعوثا إلى السلطان في إسطمبول يرجون فيه تدخله العسكري باعتباره خليفة لهم".**[2]

وفي سنة (1910م) يشير تقرير موجه لوزير المستعمرات الإيطالي قائلا:" **لا شك أن الحج إلى مكة له تأثيرات أخرى غير تلك المنتظرة منه من بعض السلط الحاكمة الأوروبية ، فهو لا يفعل أكثر من تقوية التطرف الديني والحقد تجاه المسيحيين، مما يجعل الحجاج القائمين به الأكثر رفضا للحكم والسيطرة الأجنبية، ولهذا السبب بالذات علينا أن نهتم أكثر لهذا الموضوع أكثر."**[3]

---

[1] - Abdeljelil,Temimi, "le Gouvernement du Chérif Hussein au Hedjaz et la mission politique et militaire française en Arabie(1916-1918),in,**R H M**,n83-84,juillet 1996,pp.753-784.

[2] - luc,Chantre, Le pèlerinage a la Mecque a l'époque colonial(v 1866-1940):France-Grande –Bretagne-Italie,Thése Histoire moderne et contemporaine.Poitier: Université de Poitier,2012,p108.

[3] - luc,Chantre, Le pèlerinage a la Mecque, op.cit,p147.

وفجأة وفي ظل تحامل كبير على العربي والمسلم والإسلام تصبح كلمة " الخوف من العدوى" هي الأكثر شيوعا وإستعمالا "فالعربي والمسلم لدى منظري الاستعمار الأوروبي وفلاسفتهم[1] هو ذلك" المعروف بإتساخه الجسدي وعدم قدرته على علاج نفسه لأن هنالك إسلاما سحريا ومرابطيا يجعل من أولئك الذين يدعون القدرة على العلاج من الأطباء الأهليين المنتشرون بين السكان والذين يحضون بكثير من الإحترام والتبجيل بينهم."[2] وهم بطبيعة الحال في نظره مشعوذون لا أكثر ولا أقل، فيما يرفض هؤلاء الأهالي الطب الحديث الذي جاء به الأوروبيون والذي كان تحت سيطرة المبشرين واليسوعيين.

ولا يتأخر "أرنست رينان" في محاضرته بعنوان "الإسلام والعلم " سنة (1883م) في التحامل المطلق على الدين الإسلامي بقوله :" **إن أي شخص ولو ذو ثقافة محدودة في عصرنا الحالي يرى بوضوح مدى الإنحطاط الذي بلغه العالم الإسلامي والتخلف الذي تشهده الدول التي يحكمها المسلمون، إن الضعف الفكري للأجناس التي تربط بهذه الديانة ثقافتها وتربيتها، وإن كل من يعيش ضمن هذه الحلقة الحديدية المغلقة في الشرق وإفريقيا يتميز بإنغلاقه الواضح على العلم وعدم قدرته على التعلم وعلى الانفتاح على أي فكر جديد، إنطلاقا من تكوينه الديني إبتداء من سن عشرة أو إثني عشرة سنة، ذلك السن الذي سرعان ما يتحول فيه ذلك الطرف المسلم إلى متطرف يفتخر بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة وسعيد بما هو في الحقيقة مصدر إنحطاطه."**[3]

ولعل ما يخيف القوى الأوروبية في هذا المجال هو إعتبار" السلطان عبد الحميد الثاني" نفسه خليفة لجميع المسلمين بمن فيهم المناطق الخاضعة للسيطرة الفرنسية والبريطانية وغيرها بحجة أن السلطة الروحية لا حدود جغرافية لها، وأنه قادر عن طريق ما يجيشه من علماء وطرق دينية أن يثير العديد من الشعوب ضد مستعمريها.

وفيما يتعلق بالحج ذاته فإن السلطان أطلق على نفسه لقب "خادم الحرمين الشريفين" و"راعي زوار البيت الحرام" ولا وجود لسلطة غير سلطته في البقاع المقدسة مما يعني تعطيل الحماية الدبلوماسية للدول الأوروبية المسيحية هناك ،فعلى سبيل المثال فإن الحجاج القادمين من تونس رغم حملهم لجوازات سفر رسمية، فقد منحوا تذكرة تجعلهم تحت حماية السلطان، فيما رُفض الطلب البريطاني بحماية المسلمين الأفغان بأمر من وزير الداخلية العثماني.[4]

---

[1] - Ernest.Renan,L'islam et la science ;Paris,l'archange Minotaure,1883,pp.10-11 .أو أنظر نص المحاضرة كاملا على الرابط التالي : http://www.culture-islam.fr/contrees/maghreb/ernest-renan-lislamisme-et-la-science-1883

[2] - Luc chanter, Le pèlerinage ,Op.cit,p145

[3] - E.Renan," L'islam et la science.. " ,Op.cit.

[4] - luc,Chantre, Le pèlerinage a la Mecque, opcit,p114

وهكذا أصبحت فرنسا تعتقد أن الحج تحول إلى وسيلة مناسبة لمضاعفة العداء لفرنسا، لاسيما من أبناء مستعمراتها في المغرب العربي،لذلك راحت تعمل بالتضييق على حجاج هذه المنطقة وكانت تجبرهم على أخذ الإذن من شيوخهم،وأن يكون الحج إجباريا بواسطة السفن الفرنسية[1]وهو ما يُعتبر بوضوح تدخلا سافرا في الشؤون الدينية للجزائريين وإخوانهم المغاربة وهو ما ينافي ما ترفعه فرنسا كذبا من شعارات بإسم الحرية الدينية وسياسة العلمانية وفصل الدين عن الدولة التي تدعيها فرنسا في الجزائر منذ 1907م.

وكان الهدف من هذا التضييق المتعدد الأشكال هو حصر الحجاج ومنعهم من الإختلاط بمسلمي الدول التي قد يمرون بها إذا ما ذهبوا برا مثل تونس وليبيا ومصر،إما تخوفا من تأثرهم بالتوجهات المعادية لفرنسا في تلك المناطق أو إغتنامهم الفرصة للفرار من هذا النظام الإستعماري وإستغلال ذلك للهجرة ،إضافة إلى عدم القدرة على إحصائهم ومراقبتهم إذا تنقلوا برا وهاهي جريدة المنار القاهرية تعزو نقص عدد الحجاج الجزائريين لموسم الحج (1315هـ) لتلك الإجراءات الفرنسية الظالمة مؤكدة أن ها السبب في تناقص عدد بشكل واضح في مواسم الحج[2].

ووصل الحد من الخوف إلى درجة قيام ممثل فرنسا في القاهرة بلوم حكام بلاده وإتهامهم بالتساهل مع هذه الظاهرة التي تسمح بإلتقاء أبناء المغرب العربي في هذا الموسم وتداولهم لأفكار "الجامعة الإسلامية" مما يستوجب إنتهاج سياسة التفريق بينهم من جهة وبينهم وبين مسلمي المشرق من جهة ثانية و دعى إلى ضرورة أن يشرف على هذا العمل فرنسيون مدنيون وعسكريون ذوو كفاءة.[3]

وقد تجاوزت المضايقة رحلة الذهاب فقط ،فإن القانون المتعلق بالتجمعات الصادر في (جويلة 1919م) لم يكن يسمح للجزائريين العائدين من الحج بتنظيم (زردة) أو إستقبال الضيوف دون تصريح من السلطات الفرنسية،وواضح أن الهدف هو منع أي إحتكاك بين الحجاج العائدين والذين قد يحملون من الأخبار أو الأفكار ما يهدد سلم فرنسا في الجزائر.

وبذلك ينضاف الحج إلى الشعائر والمؤسسات الدينية المختلفة التي يمنع الجزائريين من أدائها حتى ولو كانت أركانا أساسية في الدين الإسلامي، رغم الإدعاءات الفرنسية الكاذبة منذ (1830م) بأنها تحترم شعائر المسلمين ، بل والمضحك أحيانا أن تمنعهم من أداء هذه الشعائر بحجة حمايتهم..؟

---

[1] -**RMM**,1914,T27,p397.

[2] - أنظر الملحق :(رقم 8)

[3]- P,Bardin,Algeriens et tunisiens….,op-cit,p233.

6- ب : الخلاف العثماني – الفرنسي حول تجنيس الجزائريين :

كان الخلاف واضحا بين الدولة العثمانية والإدارة الفرنسية حول مسألة تجنيس الجزائريين المهاجرين للبلاد العثمانية فالدولة العثمانية تدعم مبدأ تثبيت سيادتها على جميع الرعايا المقيمين على أراضيها بإختلاف أصولهم لا سيما الذين يستفيدون من حقوق الملكية داخلها، أما فرنسا فلا تريد تدخلا عثمانيا في شؤونها من خلال التدخل في جالياتها على إمتداد الدولة العثمانية ومنهم بطبيعة الحال الجزائريون من وجهة نظرها، رغم أن الجزائريين الموجودون في معظم الولايات العثمانية لاسيما في بلاد الشام لم ينتقلوا إليها في أطار عمل دبلوماسي فرنسي مما يجعلهم دبلوماسيا رعايا ومواطنين فرنسيين ولكنهم على العكس من ذلك فروا من إضطهاد السلطات الفرنسية نفسها.

وقد إستدعى الفصل في هذا الخلاف إلى الدخول في مفاوضات بين الطرفين عجزت أن تحل الإشكال إلى غاية نشوب الحرب العالمية الأولى وسقوط النظام العثماني .

لقد أصرت الدولة العثمانية على أن الجزائريين في بلاد الشام هم رعاياها ولا يمكن إعتبارهم تحت الحماية الفرنسية، لسبب بسيط وأنهم فروا من الإحتلال الفرنسي وهو ما يترجم رفضهم الخضوع للسلطة والسيادة الفرنسية عليهم، كما أن الباب العالي لم يعترف مطلقا بالإحتلال الفرنسي للجزائر ومن هنا فهم رعايا عثمانيون.

أما موقف فرنسا فلم يكن يعتمد على أي سند قانوني مما ألجأه إلى الإجراءات بدل القانون والمنطق، إذ قرر البرلمان الفرنسي سنة (1884م) رواتب شهرية للأمير عبد القادر وعائلته وصل مجموعها إلى 80 ألف فرنك بعد أن كانت تدفع للأمير فقط، وطلبت فرنسا كذلك من الجزائريين تسجيل أسمائهم في قنصلياتها في بلاد الشام وبالتالي منح عدد منهم جوازات سفر فرنسية[1]، وبذلك أصبحت الإمتيازات والإغراءات السلاح المفضل للدبلوماسية الفرنسية ، متناسية أن الجزائريين إنما كان فرارهم لأراضي عربية وإسلامية ، هو بالأساس فرار من أجل هويتهم وعقيدتهم وهذا شيئ لايمكن تعويضه ماديا إضافة إلا أن ما منتحته لهم الدولة العثمانية قد حسن من وضعهم الإجتماعية بل وحتى السياسية بما يجعلهم منطقيا سيرفضون كل العروض الفرنسية لتجنيسهم.

إشتد هذا الخلاف بشكل واضح بين الطرفين على عهد "السلطان عبد الحميد الثاني" نتيجة إهتمامه الكبير بقضية المهاجرين والحراك الكبير لنشطاء الجامعة الإسلامية وعلى رأسهم الجزائريون الذي كثفوا دعايتهم داخل الأوساط الجزائرية خاصة من المهاجرين، وزادت مواقف الطرفين مع بروز الصراع الدولي وإقتراب الحرب العالمية الأولى من حدة هذا الخلاف، فكان السلطان يرفض أية حماية أجنبية على أي رعايا مسلمين مقيمين على أرض دولته

[1] - كمال فيلالي، سوسيولوجية الهجرة....، مرجع سابق،ص96.

وقد وقفت بريطانيا في هذا الأمر إلى جانب الدولة العثمانية، مما جعل الفرنسيين يضنون أن بريطانيا تقف وراء المعارضة العثمانية لموقفها من الجزائريين و إلا فما سر إلحاح السفير البريطاني في الأستانة على ممثله في دمشق بتوفير معلومات وافية عن الجزائريين في سورية[1].

ولم تتأخر فرنسا في الرد على بريطانيا والدولة العثمانية، حيث طلب القنصل الفرنسي في دمشق من نائبه في حمص وحماة التحقيق في وضعية المستوطنات والوقوف على رغبات الجزائريين فيها من موضوع المواطنة العثمانية والجنسية الجزائرية، فزار هذا مناطق الجزائريين وقراهم في الجليل بفلسطين وسوريا ليخرج بنتائج مقررة سلفا، أشار فيها أن الجزائريون يتعرضون في تلك المناطق إلى ضغوط ومضايقات وتهديدات من موظفي الدولة العثمانية كما إشتكى من تدخلات الأميرين "محمد" و"علي" إبني "الأمير عبد القادر" في حض الجزائريين على التسجيل في سجلات النفوس العثمانية.

وعندما بدأت الدولة العثمانية في تسجيل وإحصاء أولئك الرعايا المسلمين على أراضيها إندفع الكثير من الجزائريين للتسجيل، فطلبت الحكومة الفرنسية من سفيرها في إسطمبول توضيح هذا الموضوع لكنه قدم تقريرا زعم فيه أنه يستحيل في الوقت الحالي عرض المسألة على الباب العالي لكنه رأى أن كل الجزائريين فرنسيون ما دامت فرنسا هي التي تحكم الجزائر حتى ولو حصلوا على أراض وأملاك مجانية في داخل الدولة العثمانية.

ومع تفاقم الخلاف رفضت الدولة العثمانية كل المقترحات الفرنسية في وقت يتزامن مع تدفق الهجرة الجزائرية، حيث رأت فيها بيئة خصبة يمكن أن تنفذ منها فرنسا لتحقيق عدد من المصالح ووصل الحد إلى قيام الضبطية العثمانية بإقتحام مقر القنصلية الفرنسية في دمشق مرتين بحثا عن جزائريين فارين في جانفي ومارس(1888م) مما جعل فرنسا تفكر في إرسال قوة عسكرية بحرية إلى شواطئ بيروت لإرهاب الدولة العثمانية، لكن السفير الفرنسي إقترح على الدولة العثمانية عزل والي دمشق، فاقترحت هذه بالتالي عزل القنصل الفرنسي وهكذا إنتهت قضية الإقتحام المشار إليها[2].

دخلت قضية الوجود الجزائري على أرض الدولة العثمانية مرحلة جديدة حين إقتنعت فرنسا والدولة العثمانية أن لاحل لهذه القضية إلا بالمفاوضات فقد أكد السفير الفرنسي في إسطمبول لحكومته في تقرير خاص بالقضية أنه لن يكون هنالك حل ما دامت فرنسا تطالب بتبعية كل الجزائريين في بلاد الشام لها والمطلوب هو تقديم بعض التنازلات ،ومن أمثلتها الموافقة على إهمال الجزائريين الذي هاجروا أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر وقبول الجنسية العثمانية من كل جزائري يعلن أمام مرجع قنصلي فرنسي الرضا بها وسحب الحماية عن كل جزائري دخل الجيش

[1] - طرشون، الهجرة الجزائرية...، مرجع سابق، ص327-328

[2] - نفسه ،صص 331-332

العثماني والوظائف الإدارية العثمانية، والموافقة على قانون (1857م) الذي يشترط على من يريد قطعة أرض أن يصبح عثمانيا مقابل موافقة الدولة العثمانية على الحماية الفرنسية للجزائريين الذي يحملون جوازات فرنسية وإعادة العمل بقانون (1868م)الذي يسمح للأجانب بالتملك في الدولة العثمانية وتحكيم المحاكم في أي خلاف ينجم عن ذلك دون تدخل من القنصل الفرنسي.

لقد كان التنازل عن الجزائريين الذين هاجروا إلى بلاد الشام أثناء الحملة الفرنسية يعني التنازل عن أبناء الأمير عبد القادر للعثمانيين، فرفضت السلطات العثمانية مقترح السفارة الفرنسية حول هذا الموضوع وإشترطت على كل جزائري يريد أن يحصل على الجنسية العثمانية أن يحصل على إذن من السفارة الفرنسية وردت الحكومة العثمانية على ذلك أنها تتقدم بتنازل من جهتها يقضي بتخيير الجزائري بين التبعية العثمانية والتبعية الفرنسية ومقابل هذا يكون من حق الدولة العثمانية إبعاد كل جزائري تكون سلوكاته خطرا عليها ، لكن السفارة الفرنسية رفضت ذلك على إعتبار أنه مخالف لما تتمتع به رعايا الدول الأخرى في الدولة العثمانية.[1]

ولكن ذلك لم ينه الخلاف تماما فحاول العثمانيون إنهاء الخلاف جذريا فتقدموا بمقترح متكامل ومكتوب من وجهة نظرهم مما مثل منعطفا كبيرا في إهتمامهم بقضية المهاجرين الجزائريين، لكن أهم ما شغلهم في هذا المقترح هو تخوفهم من قيام مستوطنة إسلامية فرنسية في بلاد الشام، مما يعتبر مسا واضحا لسيادتهم وتهديدا لأمنهم ، وتضمن المقترح مايلي :

1- الجزائريون المهاجرون ضمن جماعات إلى بلاد الشام، والذين خدموا في الجيش والوظائف الإدارية العثمانية هم رعايا عثمانيون،ومن أراد منهم الحصول على الجنسية الفرنسية عليه أن يغادر البلاد، ومن يرفض المغادرة يصبح عثمانيا.
2- المهاجرون الذين يحملون جوازات سفر فرنسية هم فرنسيون، لكن من أراد منهم حمل الجنسية العثمانية،فإنها ستمنح له، لكن سيتم طرد أي جزائري يحمل الجنسية الفرنسية ويقوم بمخالفة القانون.
3- تمنع الدولة العثمانية الزواج بين المواطنات العثمانيات والجزائريين الذين يحملون الجوازات الفرنسية، ومن يخالف ذلك عليه مغادرة البلاد ، ولزوجته الحق في مرافقته أو البقاء في الدولة.
4- يتم تسليم قوائم بأسماء الجزائريين المسجلين في القنصليات الفرنسية ليتم فحصها فيما إذا كانت تتضمن أسماء عثمانيين (جزائريون يحملون الجنسية العثمانية).

[1] - طرشون، الهجرة الجزائرية ، مرجع سابق ،ص 332.

5- يتم البت في موضوع جنسية اليهود المقيمين في بلاد الشام، والبلاد الأخرى الذين حصلوا على جوازات فرنسية.

6- تظل الدولة العثمانية ترحب بكل مهاجر جزائري ، يصل إليها في المستقبل بنية الإقامة الدائمة، أما الجزائريون الزائرون وأصحاب المصالح من حملة الجوازات الفرنسية، فعليهم مغادرة البلاد في غضون سنتين، وإذا تأخروا يعتبرون عثمانيين.

وقد تلت هذا المقترح العديد من الإجتماعات والمناقشات التي لم تسفر عن أية نتيجة، لتمسك كل طرف بمواقفه، ليعود الطرفان إلى التفاوض سنة (1889م)،حيث توصلا إلى إتفاق مبدئي يقضي بإعتبار الجزائريين المهاجرين للإقامة في بلاد الشام عثمانيين بإستثناء من إختار الجنسية الفرنسية، فلا يحق لهم الزواج من عثمانيات وعليهم مغادرة البلاد، لكن لهم الحق في إكتساب الجنسية العثمانية وإعتبار الجزائريين الذين وصلوا البلاد بجوازات سفر فرنسية ،فرنسيين إذا سجلوا جوازاتهم في السفارة الفرنسية، كما يتمك تسفير كل من يرتكب أي خلل بالنظام.

وتطبيقا لهذا الإتفاق بدأت القنصليات الفرنسية بمراجعة قوائم الجزائريين المسجلين لديها وبعد عمليات الفحص التي إتسمت بالشدة لم يبق تحت الحماية الفرنسية سوى 9 اشخاص من 318 مسلما جزائريا كانوا مسجلين في القنصلية الفرنسية في دمشق ، إضافة إلى 11 شخصا كان من بينهم ثلاثة من أبناء "الأمير عبد القادر" وشخصين من عائلة المرابط، ويبدو أن عملية الشطب كانت مقصودة إذ لم تبقي القنصلية الفرنسية إلا على أسماء النافذين والمتمتعين بالمكانة الإجتماعية الرفيعة، ومن ثم أمرت القنصلية الفرنسية برفض أي طلب من أي جزائري ليس مسجلا فيها، أما في بيروت فلم تبق عمليات الفحص إلا 79 إسما سنة 1907م مع أنه تم تسجيل 433 إسما سنة (1888م)، وهذه القلة موزعة على النحو التالي: 23 في صفد، شخص واحد في طبرية ،38 في بيروت،7 في حيفا و4في صيد ،وشخصان في حمص، و4 في طرابلس[1].

لكن هذا الإتفاق لم ينه مشاكل الجزائريين بل زادها حدة وتراكما ، فليس كل المهاجرين الجزائريين مسلمين ، أما أبناء الجزائريين المحميين المولودين في الدولة العثمانية فكانت السلطات العثمانية لا تعترف بجنسيتهم الفرنسية وتعتبرهم عثمانيين ،كما أصر والي بيروت على أن الحماية الفرنسية لا تمنح إلا للجزائريين الزائرين للبلاد، وأخذت الدولة العثمانية ترفض المهاجرين اليهود.

كل هذا وغيره أعاد الطرفين إلى نقطة الصفر من جديد ووجد الطرفان نفسيهما في حاجة إلى مفاوضات جديدة وإتفاق جديد، لكن هذا الإتفاق لم يتم سوى سنة (1911م)، وقد دخلت الدولة العثماني المفاوضات في ظل

[1] - طرشون، الهجرة الجزائرية...، المرجع السابق،ص333-335

معطيات جديدة، حيث كانت قد طلبت قرضا من البنوك الفرنسية ونص الإتفاق الجديد على :" **أن كل الذين يقطعون صلتهم بالجزائر وينوون الإقامة في الدولة العثمانية هم عثمانيون ونساؤهم وأبناؤهم بشرط تقديم طلب بهذه الرغبة"**[1].

كما أن الجزائريين المقيمين في الدولة العثمانية ويرغبون في الحصول على جنسيتها، عليه تقديم طلب للسلطات العثمانية وإخبار السفارة الفرنسية بذلك، حيث يمكنها الإعتراض على ذلك في ظرف 75 يوما، وكل جزائري مقيم في الدولة العثمانية ولم يطلب الحماية الفرنسية يصبح عثمانيا، وقد علق السفير الفرنسي على هذا الإتفاق بأنه يعتبر إعترافا ضمنيا بتبعية الجزائر الفرنسية.

وبذلك ظلت قضية الهجرة والمهاجرين الجزائريين ورقة إستعملها الطرفان لخدمة إستراتيجيتهما وورقة ضغط تستعمل بين الفينة والأخرى، فتزداد حدتها أوتقل بناء على الظروف والمعطيات الدولية ، لكن الأكيد في الأمر أن المهاجرين الجزائريين كانوا حاسمين في إختيارهم للجانب العثمانتي على الأقل قبل وصول الإتحاديين للسلطة.

6-ج :التجسس على الجزائريين ومراقبتهم في الداخل والخارج:

لقد كانت نشاطات الجزائريين في الخارج مثار قلق السلطات الفرنسية ودوائرها المختلفة مما جعلها تستنفر أجهزتها للتجسس على الجزائريين ،فكانت تقوم بمراقبة نشاطاتهم السياسية والدينية والثقافية عبر قنصلياتها المتواجدة هنا وهناك كما هو الحال في دمشق وبيروت والقاهرة، وكان التجسس بطبيعة الحال يطال بالدرجة الأولى الزعماء السياسيين والدينيين، أي ما يمكن وصفة بالشخصيات المؤثرة ونخبة الوجود الجزائري في الخارج ، ومن ذلك مراقبتها مثلا لتحركات الشيخ "محمد بن مبارك" ممثل الطريقة القادرية أثناء تنقله من بور سعيد إلى يافا والقدس والعودة إلى دمشق[2].

كما كانت أيضا عائلة الأمير عبد القادر ضحية بارزة لهذا التجسس، فقد كان قنصلي فرنسا في دمشق وبيروت يرسلان بشكل متواصل تقارير دقيقة عن "الأمير عبد القادر" وأبنائه ، فقد أرسل قنصلها في دمشق تقريرا مفصلا عن "الأمير محي الدين" و"الأمير محمد" عند سفرهما إلى الجزائر سنة(1880م) وأنجزت المخابرات الفرنسية تقريرا

[1] - طرشون، المرجع السابق.

[2] - جمعة بن زروال ،" موقف الدولة العثمانية و فرنسا من النشاط السياسي للجالية الجزائرية في بلاد الشام في أواخر القرن التاسع عشر"،ضمن أعمال الملتقى الدولي الثاني حول : العلاقات الجزائرية التركية في ميزان التاريخ والسياسة والثقافة والاقتصاد، بتاريخ 18-19 فبراير 2014،تنظيم كلية العلوم الانسانية بجامعة بسكرة ، الجزائر ،ص191.

مفصلا عن رحلته التي إنطلقت من دمشق نحو طرابلس ثم جزيرة مالطة فتونس إلى غاية دخوله الأراضي الجزائرية عبر ميناء عنابة، ووجهت تعليماتها لنائب مقاطعة عنابة بضرورة مراقبته جيدا هناك[1].

ومن الأمثلة التي يمكن أن نعطيها في هذا الصدد دور القنصلية العامة الفرنسية في القاهرة والرابطة الفرنسية لنشر وتعليم الفرنسية بمصر وبين نخبتها، وهذه المؤسسات المسيرة من طرف نخبة على درجة كبيرة من الخبرة ببلاد العرب مرورا بالشام إلى كل بلاد المغرب، وكانت تمد الخارجية الفرنسية بفرنسا والسلطات الفرنسية بالجزائر بأدق المعلومات عن الجزائريين الذين حطوا رحالهم بالقاهرة، وكانت مصر والقاهرة والمراكز الحدودية تعج بالجواسيس الذين يمدونها بالتقارير الوافية عن حركات وسكنات الطلبة والدراويش والزعماء والمثقفين،بصورة لافتة لحرص هؤلاء على مصالحهم"[2].

وقد عمد مخطط السلطات الفرنسية في هذا المجال إلى مجموعة من الأساليب أولها " أسلوب سياسي يتمثل في تدجين هؤلاء الطلاب من خلال التكفل بهم على المستوى المادي بعد أن إطلعت على أدق ظروفهم المعيشية في الأزهر الشريف الذي يفتقد كجامعات الغرب الميزانية الكافية لحماية طلابه لأداء رسالة علمية وإصلاحية في بلدانهم التي تئن تحت وطأة الاحتلال والجهل والفقر والمرض، فوضعية هؤلاء الطلاب في رواق المغاربة تثير الشفقة حقيقة وهو الباب الذي حاولت فرنسا من خلاله إختراق صفوف هؤلاء الطلاب بداية من عام(1911م)".

أما الأسلوب الثاني فتمثل في عملية مساعدة السلطة العلمية والسياسية بتأسيس قسم اللغة الفرنسية،ففي مراسلة سرية مؤرخة في(10 ابريل 1914م) مرسلة من السيد دوفرانس (De France) الوزير المفوض فوق العادة للجمهوري الفرنسية بالقاهرة إلى السيد "دومبرق" رئيس المجلس وزير الشؤون الخارجية، جاء فيها أن:" القنصلية والرابطة الفرنسية بالقاهرة إستطاعت أن تحقق إنتصارا عظيما في إحياء قسم اللغة الفرنسية في جامع الأزهر، وقد قام الوزير المفوض المذكور أعلاه بتدشين دروس اللغة الفرنسية والعناية بها في أوساط المسلمين بالقاهرة ، وهذه الدروس يتلقاها 482 طالبا أغلبهم من المغرب العربي والمدرسة جاءت في أحسن موقع بجامع الأزهر، ويقوم على هذه الدروس مدة ساعتين يوميا كل من السيد "شريف أبوبكر" خريج جامعة الجزائر والسيد "ليون بناني" خريج معهد سان كلود بباريس والمدرسة الفرنسية للقانون بالقاهرة...."

---

[1] - جمعة بن زروال ،" موقف الدولة العثمانية، المرجع السابق ،ص192.

[2] - محمدالأمين، بلغيث ، الطلبة الجزائريون بجامعة الأزهر وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة ، **مجلة الموافقات**، مجلة جامعية تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصد دوريا عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر ، ع4، السنة الرابعة ،محرم 1416هـ -جوان 1995م،ص367.

هذا العمل الذي يبشر به الفرنسيون العاملون بالقاهرة في مؤسسات شتى لها الدور المؤسساتي في إدارة مصالح فرنسا بالقاهرة والحجاز من خلال قناصلها بالقاهرة وجدة والإحاطة بكل حركات وسكنات الأهالي، حتى حجاج بيت الله الحرام الذين تعرفهم معرفة دقيقة و تتجسس عليهم في أدق الأماكن التي يؤدون فيها مشاعرهم ومناسكهم وهذا لحمايتهم من عدوى" المشاغبين" و"المتعصبين" في الحرمين الشريفين وأثناء زيارتهم للقاهرة.

وتتوقف الوثائق الرسمية عند هذا الأسلوب محذرة السلطات الفرنسية من خطر هؤلاء الطلبة الذين غادروا إلى الشرق بدل الميتروبول، حيث يسهل عليهم الإلتقاء وجها لوجه مع المدنية الغربية فيبدأ إدماجهم في حضارتهم بعد الصدمة الأولى،صدمة الإعجاب فالإستلاب والتقليد والخروج أخيرا من محيطه بعد أن يتزوج سيدة فرنسية تخرجه من تقاليد القربى وثقافة الكتاب والمدارس الحرة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذه هي أقصى ما يتمنى الساسة الإستعماريون في جزائر مابين الحربين، لكن هؤلاء الطلاب أختاروا الشرق والجامع الأزهر وهنا يكمن الخطر.أما الأسلوب الأخر فيتمثل في الترهيب والقمع وتهميش عائلته في الجزائر والتضييق عليها في كل المصالح وهو الأسلوب الثاني المتبع الذي تنصح به هذه الوثائق.

وأول ما عملته عيون المخابرات الفرنسية بالقاهرة أنها جعلت لكل طالب جزائري ملفا كاملا عن أخلاقه وسلوكه وإتجاهه السياسي والفكري، وتظهر أول قائمة بأسماء هؤلاء الطلاب في مراسلة من القاهرة في(15سبتمبر 1916م)[1] مع تقرير يقدم مجموعة من الملاحظات على رأسها أن هؤلاء الطلبة لم يستفيدوا من تكوينهم في الأزهر وقد أضاعوا بذلك وقتهم وعواطفهم الفرنسية و يوصى بمجموعة من الإجراءات لحمايتهم من الأوساط المعادية لفرنسا، وهي منعهم من السفر ومراقبتهم بعد عودتهم مراقبة دقيقة حتى لا يأثروا على الأهالي بالجزائر من خلال ما أخذوه من مصر والجامع الأزهر وإندماجهم بعد عودتهم بالأوساط الإصلاحية وهو ما حدث فعلا.

وعلى العموم فإن الإدارة الفرنسية ظلت تنظر للطلبة الجزائريين رغم قلتهم في داخل الجزائر وخارجها كما هو الحال في الأزهر والزيتونة والقرويين وفي الشام والحجاز والعراق وغير ذلك من الأقطار العربية بكثير من الشك والريبة وأعتبرتهم" بمثابة بركان هادئ" قد ينفجر فجأة ليلحق ضررا بمصالحها في الجزائر، بل يهدد كيانها في الجزائر وقد عكف الساسة الفرنسيون على مختلف مستوياتهم على دراسة وتحليل وضعية الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في العواصم الإسلامية بعيدا عن نفوذهم ومراقبتهم وأجمعوا أن الجامعات الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب العربيين تشكل خطورة سياسية كبيرة بالنسبة للإستعمار الفرنسي في الجزائر، ذلك لأن الطلبة يحتكون قطعا ويقفون بأنفسهم

[1] - أنظر القائمة كاملة في : محمد الأمين بلغيث ، الطلبة الجزائريون بجامعة الأزهر، مرجع سابق ،ص372-373، الهامش:8.

على تطور ونتائج النهضة العربية في المشرق العربي وعندما يرجعون إلى وطنهم سيعملون في إطار خارج إطار الإستعمار الفرنسي في الجزائر، إن لم يعملوا ضده مباشرة...ذلك لأنهم لايحملون معهم أفكار نهضة سياسة والجامعة الإسلامية فحسب ولكن يطمحون إلى نهضة سياسية عربية، تغذيها ذكريات تلك السياسة التي طبقها محمد علي في مصر"[1].

وفعلا بدأ هذا التهديد الذي كانت فرنسا تخشاه مع عودة أوائل الطلبة الجزائريين الذين درسوا في مصر وتونس وغيرها حاملين فكرا مشبعا بالقيم العربية الإسلامية، مما دفع بالحاكم العام للجزائر سنة (1927م) لأن يطلب من كل المسؤولين الإداريين والعسكريين على مستوى الجزائر كلها أن يشددوا الرقابة على أولئك الطلبة العائدين وأن يزودوه بتقارير مفصلة حول تحركاتهم واتصالاتهم[2].

ولإزالة هذا الخطر إقترح القنصل الفرنسي المقيم في مصر على الحكومة الفرنسية ووزارة الخارجية خصوصا :"**البحث في مسألة عودة الطلبة الجزائريين الذي كانوا يدرسون في الأزهر في عام (1916م) مُقترحا عليه وضع حد نهائي لهجرتهم إلى مصر بحجة أن الطلبة في الجزائر يجدون ما يصبون إليه لتحقيق رغباتهم الدنيوية والدينية" كما تم إقتراح دراسة العوامل المؤدية لهذه الهجرة بهدف منعها وتداركها ، لكن الحاكم العام الفرنسي للجزائر رد على وزير الداخلية الفرنسي بما يلي:"... أحول دون هجرة الطلبة الجزائريين إلى الأزهر إذا توفرت لدي الوسائل الناجعة لذلك... ولكن هؤلاء الشبان الذين يلتحقون بالأزهر لمزاولة دراستهم يمتنعون كلهم عن طلب رخص للخروج من الجزائر أو جواز سفر، يسافرون بطرق غير شرعية وليس لدينا أية وسيلة لمنعهم من مغادرة إقامتهم نحو أي بلد كان ومما يحول دون فرض رقابتنا عليهم هو أنهم لا يسافرون عن طريق البحر، أين نستطيع أن نراقبهم في الموانئ ونلقي عليهم القبض لعدم إحرازهم جواز سفر ولكنهم يضعوننا أمام مشكلة حقيقية عندما يسافرون من الجزائر إلى مصر عبر البر..."**[3]. ورغم كل ذلك لم يتناقص عدد الطلبة الجزائريين المتجهين نحو مدارس الشرق متجشمين الصعاب والمخاطر ومتحديين كل الإجراءات الفرنسية الظالمة ومعتبرين ذلك شكلا من أشكال الجهاد الواجب ممارستها في وجه المستعمر.

[1] - عمار هلال ، "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916م"، **الثقافة** ، ع79،السنة الرابعة عشر، ربيع الثاني – جمادى الأولى 1404هـ/ يناير – فبراير 1984م ،ص135.

[2] - أنظر كنماذج من هذه التقارير الملاحق رقم 1-3-4-5-6، المرافقة لدراسة عمار هلال السابقة الذكر.

[3] - هلال ،الطلبة الجزائريون ، مرجع سابق، ،ص137.

6-د : تفعيل البحث الأكاديمي المضاد لدعاية الجامعة الإسلامية

صنفت فرنسا منذ أول يوم من إحتلالها للجزائر الدين الإسلامي ومؤسساته في خانة العدو الأكبر الواجب محاربته والقضاء عليه رغم إدعاءاتها الزائفة بإحترام المؤسسات الدينية في بيان دي بورمون الشهير[1]، فأطلقت العنان لجيشها ومعمريها ومبشريها ليعيثوا فسادا في الأرض، ليهدموا ويصادروا ويسيطروا على أغلب المؤسسات الدينية والتعليمية من مساجد وأوقاف وزوايا و مقابر وأضرحة وغيرها بدعوى المنفعة العامة تارة وبدعوى الشغور وعدم الجدوى تارة أخرى.

والظاهر أن سلطات الإحتلال الفرنسية قد فوجئت بهذا الحضور القوي للعامل الديني والروحي في حياة الجزائريين على مختلف درجاتهم وتحوله إلى عامل مقاومة ومحافظة على الهوية في وجه الهوية الوافدة ويصف"جاك بيركJacqueBerque " **هذا الحضور الكبير للدين بين الجزائريين قائلا:" إنه من السهولة أن تصادف إلها على أن تصادف رجلا أو قديسا من أن تصادف حيا**"[2] .

وأمام ذلك سعت فرنسا إلى التعرف أكثر على منطقة المغرب العربي من وجهة نظر دينية تتعلق بحجم العامل العقدي الديني الذي يمارسه الأفراد أو المؤسسات الدينية المختلفة وكيفية التحكم فيها أو إزالتها كليا نتيجة لما قوبل به إستعمارها للجزائر من مقاومة عنيفة، كانت الطرق الصوفية ورجال الدين من العلماء والمتصوفة طرفا أساسيا فيه مما حتم عليها دراسة المنطقة المذكورة، ليس طبيعيا وعسكريا فقط وإنما كذلك بشريا ودينيا وذلك قصد تحديد المستعمر للقوى الفاعلة والمؤثرة في تلك المجموعات البشرية المتمردة على سلطته وفي هذا الإطار جاء إهتمام العديد من المغامرين وحتى المختصين في المسائل الدينية بالطرق الصوفية في الجزائر فأنجزوا حولها العديد من الدراسات و ألفوا العديد من الكتب ،وإن المتأمل فيما ورد فيها يتبين أن أغلب تلك المؤلفات يمكن إجمال أهم توجهاتها في:

- المبالغة في إبراز هيمنة الطرق على الأهالي ومن ذلك أن "دستورنال دو كنستان"(Destournelles de[3] Constant) ذهب إلى القول أن" **مد التعصب زحف في صمت نحو قلب القارة الشاسعة، فغمر جزءها**

---

[1] - نجد في نص البيان مايلي :" ونعدكم وعدا حقيقيا مؤكدا غير متغير ولا متأول أن جوامعكم ومساجدكم لاتزال معهودة معمورة على ما هي عليه الآن وأكثر وأنه لايتعرض لكم أحد في أمور دينكم وعبادتكم"، أنظر : " La premiére proclamation "Op.cit,p154.

[2] - Jacque,Berque,"quelques problem de l'Islam maghrèbin"in,**Archive des sciences socials des religions**,(N3),1951,p02.

[3] - Paul Henri Benjamin Balluet d'Estournelles de Constant, baron de Constant de Rebecque, né à La Flèche le 22 novembre 1852 et mort à Paris le 15 mai 1924, est un diplomate et homme politique français, lauréat du prix Nobel de la paix en 1909. In http://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Henri_Balluet_d%27Estournelles_de_Constant.

الأكبر... وأن الإسلام ينتشر كبقعة زيت على القماش.... وأن الطرق الصوفية إجتازت الصحراء حتى تبدو للناظر وكأنها ضاعت في أرجاءها ثم تظهر فجأة في مناطق نائية وسرعان ما تتفرع وتتقاطع و تتعدد"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن جل المؤلفات قد ركزت أكثر على الطريقة السنوسية تبعا لما عُرفت به من مناهضة شديدة للإستعمار ودعوتها المسلمين إلى إعلان الجهاد المقدس ضد الذين إستباحوا أرض الإسلام، لذلك أبرزتها المؤلفات والكتب على أنها أخطر الطرق الصوفية على الإطلاق، ليس فقط لخطورة ما تدعو إليه وإنما كذلك لكثرة أتباعها ونقمتها على الغرب، حتى أن "هنري دوفيرييه" (Henri Duveyrier) ذهب إلى القول بأن مبادئها تقوم على الإحتجاج على الغرب في عدة مسائل كرفضها لأية تنازلات تتم للغرب، كما أنها تستهجن المستحدثات التي أحدثها الشرقيون على الإسلام ورفضها المطلق لتلك التوسعات الجديدة التي يمارسها الغرب في مناطق جديدة من العالم الإسلامي، وإمعانا في وصف خطورتها أضاف بأن هذه الطريقة تمنع أتباعها حتى من تحية ومخاطبة اليهود والمسيحيين والإتجار معهم بل وإنها تفرض عليه قتالهم أينما كانوا إذا كانوا تابعين لدولة أخرى[2].

– المبالغة في الخطر التنظيمي للطرق الصوفية مما يبرر متانتها وصعوبة إختراقها وأنها تمثل سلاحا فتاكا لمن يعرف كيفية توجيهها وإستخدامها وأن تنظيمها الهرمي يمنحها القدرة الكبيرة على الحصول على المعلومات والتنقل بسرعة ، وتبعا لذلك تعقد الاجتماعات وتؤخذ القرارات وفجأة يحصل الانفجار[3]

ولم يكتف بعض الساسة الفرنسيون بذلك بل دعا بعضهم مثل "أندريه سرفييه André Servier[4]" إلى وسيلة جديدة تتمثل في تربية الأهالي الجزائريين وإخراجهم من الفقر والبربرية وإعطاء التلاميذ التعليم التطبيقي الذي يتماشى مع متطلباتهم الحياتية والعمل على تحسين وضعية المرأة الجزائرية[5]،ولكن ذلك لم يكن أكثر من سياسة ذر الرماد في الأعين.

هذا وقد كانت فرنسا شديدة التخوف من دور ألمانيا في تحريك مشروع "الجامعة الإسلامية" في المغرب العربي عامة والجزائر بشكل خاص وأعلنت شعورها بوجود نشاط سري لهذه الحركة في المنطقة المذكورة وأن "السلطان عبد الحميد الثاني" يسعى لإيجاد "جيش وطني مغربي منظم" ويعمل أيضا على تجنيد الطرق الدينية المعروفة بمناوئتها للاستعمار مثل القادرية والشاذلية وذلك من أجل تفعيل مشروع "حركة الجامعة الإسلامية"وعقد إجتماعات دورية لمشايخ

---

[1] -Paul-Henri-Benjamin d' Estournelles de Constant ,les congrégations religieuses chez les Arabes et la conquéte de l'Afrique du Nord, Maisonneuve et C. Leclere , Paris,1887,p6-7.

[2] -H, Duveyrier , la confrérie musulmane de sidi ,Op.cit,p1-2.

[3] - التليلي العجيلي ،الطرق الصوفية ...، مرجع سابق ،ص22.

[4] - مؤرخ فرنسي عاش في الجزائر في بداية القرن 20م ،رئيس تحرير جريدة ***La Dépêche de Constantine***،عرف بدراساته حول الدولة العثمانية والجامعة الاسلامية،من أشد المنافحين عن السياسة الاستعمارية والمناهضين للنخبة ذات التوجه المحافظ في الجزائر.

[5]- André,Servier, le péril de l'Avenir ..,Op.cit ,p62.

الطرق الصوفية تحت إشراف الهيئة الفرعية لبلدان "المغرب العربي" التي كان يترأسها الشيخ "محمد ظافر الطرابلسي"[1] ليستعملها ضد الإحتلال الفرنسي والإسباني والإيطالي للمنطقة ،لذلك سارعت فرنسا بحملة لكشف هذه النشاطات السرية وكيفية مواجهتها[2].

وبذلك إتفقت معظم هذه الدراسات و المؤلفات على ضرورة تحييد الزوايا التي لم تعد مكانا لتحفيظ القرآن فقط ... وإنما أصبحت وكرا للثورة ترسم في ضلال أركانها مخططات الإنتفاضات" وتنصح بضرورة إخضاع الطرق إلى مراقبة شديدة ببث العيون في صفوفها وزرع التناقضات والإختلافات بين الطرق والسعي إلى إحتواءها و تدجينها ومن أبرز تلك التوصيات نجد التأكيد على ضرورة توظيف مشائخ الطرق وكسب المعادين منهم للإحتلال وذلك بإستعمال "طُعم جاذب" كالإمتيازات الشرفية وخصهم ببعض المكاسب الكفيلة بأن تزرع بينهم بذور الفرقة والإختلاف[3].

وزادت فرنسا من مظاهر عدائها للدولة العثمانية ومظاهر" الجامعة الاسلامية" بمنع التبرعات والإكتتاب السري للمعاملات خاصة المالية منها،بل وتبنت موقفا متصلبا حتى من إبراز الجزائريين للفرح أيام انتصار العثمانيين على اليونان سنة(1896م) على إعتبار أن هذا النوع من الأفراح هو شكل من أشكال التعصب الديني ضد الكفار.[4]

ولم تتوانى فرنسا حتى في تفعيل الجانب الأكاديمي فقد" فتح علماؤها ملف هذه الحركة وأخذوا يدرسونه ورقة ورقة ويكتبون عنه التقارير والمؤلفاتويضعون أمام الحكومة الفرنسية عدة بدائل."[5]

6-هـ :الإستنزاف البشري والاقتصادي:

فتحت أبواب الحرب العالمية الأولى لدى فرنسا الباب على مزيد من الإحتياجات للجزائرين ليس فقط على الصعيد البشري بل حتى على الصعيدين العسكرى والسياسي خدمة لمصالحها وإستراتيجيتها الحربية،فزادت وتيرة إستنزافها لطاقات الجزائريين وإمكانياتهم لأجل إنقاذ فرنسا من الوضع الجديد الذي خلقته ظروف الحرب العالمية الأولى .

وبعد أن كانت فرنسا تستنزف الجزائريين بشريا جنودا وعمالا ،جاء الدور على الجانب المالي فأنشأت السلطات الفرنسية لذلك لجانا للتبرع داخل وخارج الجزائر ومن هذه اللجان "اللجنة المركزية الأهلية للطيران" التي أطلق عليها للتضليل إسم "المسلم الفرنسي" والتي جمعت مبلغا ماليا محترما قدر بحوالي29.896 فرنك فرنسي والتي كان السيد

---

[1] الشوابكة ، حركة الجامعة الإسلامية ...،المرجع السابق ،ص 263.

[2] - توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري 19018-1914 ،معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة، 1961، ص 82.

[3] - للمزيد حول هذه الإجراءات أنظر : ...''M,Sliman,''les confréries islamiques en Algerie ,Alger,A Jourdan,p5,Note1

[4] - الشوابكة ، حركة الجامعة...،المرجع السابق ،ص266.

[5] - أبو القاسم سعدالله ،تاريخ الجزائر الثقافي ...، مرجع سابق،ج5،ص588.

"بلقاسم بن تامي"[1]،هو من قدمها إلى باريس في بداية الحرب العالمية الأولى[2] كتعبير عن ولاء وتضامن الجزائريين مع دولتهم فرنسا.

وتتحدث الكثير من المصادر الفرنسية عن عمليات التبرع تلك بكونها مساهمات طوعية لدعم فرنسا،إذ تم جمع مبلغ مالي قدره(85.000) فرنك فرنسي كان قد تبرع به حوالي 186 جزائري فقط من مدينة الأغواط، وفي ضواحي قسنطينة وصل المبلغ الذي تم جمعه حوالي(10.315) فرنك ،أما في مدينة بوسعادة فتم جمع(16.705) فرنك فرنسي قديم .[3] ،دون أن ننسى ماكان الجزائريون يدفعونه سنويا من الضرائب الباهضة التي أرهقت كاهلم في ظل أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية الرديئة والعجيب أن "جون ميليا" يرى بأن كل جزائري كان يقوم بذلك(التبرع) هو يبرهن على وطنيته وحبه لفرنسا وأن ذلك مجرد قيام بالواجب[4].فيما أغفلت هذه الدراسات مثلا حقيقتين بارزتين ، أولهما أن الجزائريين أُجبروا بالقوة المادية والمعنوية من طرف السلطات الفرنسية أو عبر عملائها من الجزائريين على دفع هذه التبرعات رغم ظروفهم السيئة والفقر الشديد الذي كان يعيشه الجزائريون خاصة مع ظروف الحرب القاسية.

وثانيا لم تتحدث هذه الإحصائيات عن الحالات التي كان الجزائريون وكل حماسة يتبرعون للتضامن مع أشقائهم في طرابلس الغرب أو الأموال التي تم جمعها للريفيين بل وأحيانا للهلال الأحمر العثماني نفسه لأن هذا النوع من التبرعات يعتبر دعما لمقتضيات الجامعة الإسلامية.

6- و :الدعاية الصحفية لفرنسا ومراقبة الصحافة العربية الإسلامية

وظفت السلطات الفرنسية في الجزائر ترسانة من الصحف الفرنسية التي تصدر في الضفتين لنشر دعايتها المضادة لفكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر،فكانت جرائد مثل" المبشر" و "التصاوير" وجريدة" أخبار الحرب"تعمل على " **مد الأهالي بمعلومات رسمية عن سير المعارك وإقناع الأهالي بقوة فرنسا التي لا تقهر**"[5]. وفي ظل محدودية حركة النشر الصحفي في الجزائر لم تمانع فرنسا في إستخدام الصحافة العربية الصادرة في المشرق بما يخدم أهدافها ومصالحها،فعلى سبيل المثال روجت مصالح الدعاية الفرنسية لأعداد من جريدة " المقطم" لا لشيئ إلا لأنها تسيئ للأتراك ، وقامت الهيئات الفرنسية بتكليف ممثليها في القاهرة بتوفير الأعداد المنتقاة من المقطم وإرسالها إلى الحاكم العام بالجزائر ليتولى بدوره إيصالها إلى بعض الشخصيات والأعيان المحليين[6].أما على الضفة الأخرى فكثيرة

[1] - بلقاسم بن تامي (1873-1937)،طبيب وسياسي ومستشار رئيسي جزائري بباريس،كان عضوا في المجلس البلدي لمدينة الجزائر.

[2] -Jean Melia , L'Algrie et la Guerre 1914-1918,4éme ed,librairie Plon,Paris,1918,p 148 .

[3] - J,Melia, l'Algerie et la guerre,Ibid,p127.

[4] - J, Mlia,L'Algrie et la Guerre, Op.cit,174.

[5] - التليلي لعجيلي، صدى حركة الجامعة...،مرجع سابق ،ص320.

[6] - نفسه ،ص370.

هي النماذج من تلك الصحف والجرائد الفرنسية التي كانت تكيل التهم للأتراك العثمانيين وحلفاءهم الألمان، إما بكتابة الأخبار المزيفة أو بتحريف الحقائق، دون أن تنسى إستخدام الرسوم الكاريكاتورية في هذا الشأن كسلاح إعلامي متميز في تلك الفترة وللحط من نفسية الجزائريين المؤيدين لكل ما هو عثماني فمثلا وعند إنهزام العثمانيين في حربهم أمام اليونانيين كتبت(Le petit Parisien) في عددها الصادر يوم الأحد(30 ماي 1897م) ، عنوانا بارزا:" رفع قائد الجيوش التركية أدهم باشا الراية البيضاء مشيرا لنهاية الحرب اليونانية التركية (1897م)" أما جريدة (Le Rire) الساخرة فلم تخلو معظم أعدادها مع نهاية القرن التاسع عشر إلى غاية ما بعد الحرب العالمية الأولى من صور تهكمية وإستهزائية من السلاطين العثمانيين وحلفاءهم الألمان ، ففي عددها الصادر بتاريخ(29 ماي 1897م) صورت شخصية "السلطان عبد الحميد الثاني" كشيطان مصاص للدماء ، وكثيرا ما كانت تصور "الإمبراطور الألماني غليوم الثاني" في شكل حيوانات أو بلباس عربي وغير ذلك من التعبيرات السخيفة .

ولم تنس السلطات الفرنسية من جهة أخرى تشديد الرقابة على الصحافة وما كانت تكتبه الجرائد والمجلات العربيةوالإسلامية من دعاية للجامعة الإسلامية، ومن أمثلة ذلك ما كتبته جريدة "سبل الرشادSebilurrichad"[1] بتاريخ أكتوبر من سنة (1914م)وهو في الحقيقة بيان أذاعته "لجنة الجامعة الإسلامية "في إسطمبول و أرسلته إلى بلدان المغرب العربي تحذر في السكان من مساعدة الاستعمار الفرنسيوالتجنيد العسكري في صفوفه بإعتباره ألد أعداء الإسلام ،بل وطالب هذا البيان من المغاربة رفع السلاح ضد الاستعمار الفرنسي.[2]

ولم تقتصر هذه المراقبة على الصحف الصادرة في الجزائر لوحدها بل تجاوزت ذلك للصحف التركية والألمانية وأحيانا دول أخرى مثل أيطاليا وفي هذا السياق يذكر جون ميليا أن الجريدة الإيطالية " la tribunat Italienna" الصادرة في شهر (فيفري 1915م) أعلنت أن مجموعة من نشطاء الجامعة الإسلامية قد أُرسلوا في مهمة سرية إلى مدينة"الجزيرة" الإسبانية وكان الهدف منه إحداث إضطرابات في المغرب والجزائر،وأضافت ذات الجريدة أن الدولة العثمانية وألمانيا قد أرسلتا شخصيات خطيرة تخدم مشروع الجامعة الإسلامية من أبرزهم "سليمان الباروني"و أنهم يحملون مبلغا ماليا كبيرا أرسل من طرف حزب تركيا الفتاة،وزادت الجريدة على ذلك سببا أخر من أجل نشر الدعاية في وسط الجزائريين بأن الطرادان الألمانيان (برسلوBreslau و قوبنGoben)سيعودان مجددا لقنبلة السواحل الجزائرية .[3]مما دفع السلطات الفرنسية لمنع دخول كل الصحف أو على الأقل كل الأعداد التي ترى أجهزة رقابتها أنها تحمل أخبارا قد تثير مشاعر الجزائريين وتحرك تضامنهم مع العاية الألمانية– العثمانية.

[1] - جريدة إصلاحية وإجتماعية وتعليمية أصدرها عبد العزيز الثعالبي سنة 1895م ،عطلتها السلطات الفرنسية سنة واحدة بعد صدورها.

[2] - J, Mlia,-l'Algerie et la guerre, Op.cit,p208.

[3] - J,Melia,l'Algrie en guerre, Op.cit Ibid,T2,p210.

6-ل: تحريك النخبة التغريبية لخدمة الدعاية الفرنسية :

شرعت الدوائر الاستعمارية في الجزائر في التكلم بإسم الشعب الجزائري عن طريق ممثليه في المجالس البلدية والولائية وتعددت الجلسات والتصريحات التي إدعى فيها هؤلاء المقربون من السلطات الفرنسية أن الجزائريين يرفضون فكرة الجامعة الإسلامية وأنهم إلى جانب فرنسا إلى الأبد،ففي شهر نوفمبر سنة(1914م) صرح السيد الأميرال في المجلس البلدي في مدينة الجزائر متحدثا بإسمه وبإسم زملائه النواب الجزائريين وهم السادة:"ابن التهامي" و"عمار بوضربة" و"مصطفى حاج موسى" و"ولد عيسى" قائلا :**"بإسم الشعب الجزائري الذي أعطى لنا حق تفويض التمثيل نؤكد أمام الملأ وبقوة شعورنا وإرتباطنا المطلق بفرنسا ،وأقول لكم بأنه لا توجد أي حركة يمكن أن تغير رأي المسلمين تجاه واجباتهم نحو الدولة الفرنسية.**[1]

فيما أرسل الطالبان الجامعيان[2] "عمار قاضي" ومحمد جندي" من عنابة برقية في شهر (نوفمبر 1914م)إلى السيد"شارل لوتو"يؤكدان إخلاصهما لفرنسا بل و إستعدادهما المطلق للدفاع عنها ضد ما أسموه بالتهديد التركي – الألماني[3].

كما أقيم تجمع شعبي في مدينة العطاف في شهر (ديسمبر 1917م) بحضور العديد من الشخصيات الفرنسية والجزائرية،منهم السادة:"بوزيان رحماني" و"عبد الحاكم عتبة بن عتبة" و"السيد محمد جودي" قاضي بمحكمة (ديبيري Duperré)[4] و مستشاروا بلدية وادي العلايق الواقعة شمال البليدة والسادة "لاوري" و"تشان" و"تيفالي".[5]

وكانت هذه التصريحات المؤيدة لفرنسا والمعادية للأتراك والألمان وهي في أغلبها موجهة من لدن جهات مختصة بالشؤون الدعائية لدى الإدارة الفرنسية ،وحتى تلك الولائم والحفلات التي تمولها السلطات الفرنسية أو المقربين منها من الجزائريين ، نجدأن هذه التصريحات والتجمعات كانت تحضى بكامل الإهتمام والتغطية من الصحافة المحلية والفرنسية والتي تعطيها بعدا ورمزية ترتبط بحب الجزائريين لوطنهم فرنسا الذي نسيت ان أغلب من يحضر هذه التظاهرات يكون إما بالترهيب أو الترغيب .

6-م : تدجين الطرق الصوفية و إصدار الفتاوى المضادة:

وظفت فرنسا بعض رجال الدين الرسميين وشيوخ لطرق والزوايا لإقناع الجزائريين بسياستها الإسلامية في الجزائر مركزة على الإعلام الموجه، كإصدار البيانات والبلاغات والفتاوى الصادرة عن مفتين من المذهبين المالكي والحنفي

[1] - J,Melia,L'algerie et la guerre,Op.cit,p218.

[2] - في وقت كانت فرنسا بموجب قوانينها الجائرة تمنع الجزائريين من التعلم

[3] - Melia, l'Algerie, Op.cit,p219.

[4] - التسمية الاستعمارية لمدينة عين الدفلى التي أسست سنة 1875م واطلق عليها إسم الأميرل فيكتور ديبيري الذي قاد الأسطول الفرنسي في حملته ضد الجزائر سنة 1830.

[5]- Melia,Op.cit,p172-173.

وهما المذهبان الرئيسيان السائدين في الجزائر لتتبنى السلطات الفرنسية ما يمكن تسميته ب"الإسلام الرسمي" ذلك الذي يبرز فرنسا كمدافعة عن الإسلام وعن قيم المجتمع الجزائري ضد "الشيطان الألماني" الذي حسب قولهم قد غرر بالدولة العثمانية وزج بها في الحرب العالمية الأولى.

ولم تتوانى فرنسا حتى في تطويع ولي عنق الآيات القرآنية بما يخدم نظرتها وسياستها،فقد إستشهدوا بالأية ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ بأن الذين يقاتلون الجزائريين هم ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية وأن هذه الأخيرة تخاف وصايا الرسول(صلعم) في الحرب بتجنب قتل الصبيان والنساء و الشيوخ والمرضى وغيرهم[1].

وتنصح تلك المناشير التي تستنسخها فرنسا وتوزعها في مناطق كثيرة من الجزائر ، الجزائريين "**بعدم الإشتغال بالأمور السياسية لينالوا العافية والسلامة وينجون من الحسرة والندامة**".[2]

ومن الوصايا التي كانت تصب في هذا الهدف وتم تداولها وصية "إبن الموهوب"[3] مفتي المالكية و"عبد الكريم باش تارزي"[4] مفتي الحنفية بقسنطينة وأعيان البلاد بقسنطينة،حيث تصف هذه الوثيقة ألمانيا بدولة الحرب والعنف وأن سياسة إمبراطورها "غليوم الثاني"[5]عرجاء ،أما فرنسا فهي دولة السلم والأمان وركزت هذه الوثيقة على تحميل ألمانيا مسؤولية الحرب ونتائجها الخطيرة،كما أضافت أن ألمانيا غدرت "بتركيا المحبوبة لدى فرنسا"[6].فلم على تركيا أن تدخل الحرب وترتكب هذا الخطأ الفادح.

وعلى تركيا تصحيح هذا الخطأ بوقف تحالفها مع ألمانيا والتحالف مع معسكر إنجلترا وفرنسا" حبيبة الإسلام والمسلمين وأن الإتصال لايزيد بينها وبينهم إلا وثوقا"[7].

وإضافة إلى وصية الشيخ "مولود بن الموهوب" و"عبد الكريم باش تارزي"أقحمت فرنسا شخصيات فاعلة أخرى ك"أحمد بن ناجي رحمانية" و "عبد القادر بن الشيخ الحسين"[8] و"عبد الحميد بن الشريف" و"عبد القادر بن الموفق" و"علاوة بن عبد الرحمان" و"سعيد عمران" مقدم الطريقة الشاذلية و"الطاهر بن تليس" و"محمد بن الشيخ الفكون"

---

[1]- **RMM**,1914,T19,p174.-

[2] -**RMM** ,op-cit,p176.

[3] - مولود بن الموهوب (1863-1935م)، مصلح إجتماعي جزائري ،كان أستاذا بالمدرسة الكتانية في قسنطينة سنة 1895م ومفتيا للمالكية سنة 1908م،كان من دعاة الاصلاح الديني و التربوي والاجتماعي لدى الجزائريين.،لكن ما يلاحظ هو كون بن الموعهوب هو من دعاة الجامعة الاسلامية مما يدفع للتشكيك في صحة الوثيقة.

[4] - عبد الكريم باش تارزي (1863-

[5] - غليوم الثاني (1895-1944) إمبراطور ألمانيا منذ 1888م،عرف بتوجهاته العسكرية التوسعيو وتطويره للجيش الألماني..

[6]- **RMM** 1914,T29,p180-186.

[7]- **RMM**, Op.cit,p184.

[8] - أحد أعيان مدينة قسنطينة الثلاثة عشر(13) الذين أصدروا فتوى بعنوان "وصية للمسلمين" أثناء الحرب العالمية الأولى تحاملوا فيها على تركيا والمانيا بينما مدحوا فرنسا، أنظر :أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج4 ، مرجع سابق ،ص380.

[1]و "محمد أمزيان بن حمادي" و"محمد الشريف رغداني" و"محمد المصطفى بن باديس" [وهو والد الشيخ عبد الحميد بن باديس] و"محمود بن الشوبكي" و"مصطفى حمو بن الحاج"[2].في موجة محمومة من الفتاوى والتصريحات التي تسير في إتجاه واحد هو تجريم الموقف الألماني – العثماني مقابل تبرئة الفرنسيين والتأكيد على الواجب الديني للجزائريين في الدفاع على فرنسا وكأدنى حد عدم التضامن مع الأتراك.

وكانت فرنسا تعتقد أن تعاون مثل هذه الشخصيات قادر على صد مشروع الجامعة الإسلامية في الجزائر،كما قامت بتدعيم هؤلاء بمجموعة من الطرق الصوفية في الجزائر والتي من أبرزها من حيث تأييد وخدمة الموقف الفرنسي الطريقة التجانية التي أصدر شيخها" الشيخ علي بن القطب الكبير سيدي أحمد التيجاني[3] بالزاوية الأم في عين ماضي[4]بيانا يذم فيه تركيا لدخولها الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا،بينما يمجد فرنسا ومواقفها بشكل متحيز بوضوح.

بل ووصل الحد إلى تسابق الجرائد الفرنسية على نشر أية فتوى مضادة لتلك الفتاوى التي كانت تدعو إلى قتال الفرنسيين ولوكانت مجلوبة من أصقاع بعيدة من العالم الإسلامي، كنشر مجلة العالم الإسلامي(RMM) سنة(1915) لفتاوى تحت عنوان :"حول فتوى شيخ الإسلام التركي"" Apropos de la Fetwa du «Cheikh-ul-Islam turc"[5] نشرت ضمنها فتاوى مضادة صادرة عن مفتي الديار الروسية ومفتي مقاطعة قوقازيا "حسين أفندي هايبوف" بل وحتى من مفتي إقليم تركستان الصيني ذو القاطنة المسلمة ، تحت عنوان "موقف أتباع محمد الصينيين من تركيا"(Attitude des Mahométans chinois à l'égard de la Turquie)[6]ومن أبرز ماجاء في الفتوى الأولى الصادرة عن مفتى الديار الروسية ما يلي :"**إن السؤال المطروح هو إلى أي حد يحق لمفتي القسطنطينية أن يعتبر نفسه يملك سلطة الإفتاء و تقديم أوامر للمسلمين في كل مكان بضرورة الجهاد مع تركيا وحلفاءها....وأنا يمكنني القول وبكل ثقة أن فتوى شيخ القسطنطينية لا يمكن أن يكون لها أي صدى خارج الحيز الذي يوجد فيه ، بل وأكثر من ذلك سيكون لها مفعول عكسي**

[1] - عضو بمجلس النيابات المالية

[2]-**RMM** ,op-cit,p186.

[3] - يفترض أن يكون شيخ الزاوية في هذه الفترة علال بن أحمد بن عمار شيخا في زاوية عين ماضي(1911-1923م) والبشير بن محمد بن محمد العيد في زاوية تماسين(1912-1918) ،انظر :تلمساني بن يوسف، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني-الأمير عبد القادر- الادارة الاستعمارية1782 -1900)،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،تحت إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني ،معهد التاريخ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية97-98،ص100.

[4] - عين ماضي : مدينة تتبع حاليا ولاية الأغواط في الجنوب الجزائري وهي مقر الخلافة التجانية ، وبها دفن معظم أبناء وأحفاد أحمد التيجاني مؤسس الطريقة.

[5] - Aprops de la fetwa du Cheikh-ul-Islam, in: **RMM**,V30,1915,pp,391-402.

[6] - **RMM**,op.cit,p403

،حيث ستؤدي إلى فقدانه الإحترام لدى بقية المسلمين، فلا أحد يجهل أن هاته الفتوى أُمليت عليه من طرف الحكومتين الألمانية والتركية... إن روسيا هي وطننا، هي التي ربتنا، و لايمكن لأي نداء أو فتوى أن تقنع المسلمين الروس على التحرك ضدها".

وهكذا نستخلص مدى حدة التنافس والصدام الذي أفرزته حركة الجامعة الإسلامية في وجه القوى الإستعمارية في البلاد الإسلامية عامة والبلاد العربية بشكل خاص وذلك بإعتمادالصحافة المكتوبة والدعاة والطرق الصوفية الداعمة للفكرة ومدى نجاح هذا التيار من التغلغل وسط الجزائريين رغم الإجراءات الردعية الفرنسية،كما تعرفنا على الدور المهم الذي لعبته النخبة الجزائرية المحافظة داخل الجزائر وخارجها في نشر فكرة الجامعة الإسلامية ولعل إستمرار هذه الدعوة إضافة إلى ذلك الشعور بالتضامن مع القضايا العربية والإسلامية لدى عامة الجزائريين ونخبتهم المحافظة هو ما أبقى تلك الروح الرافضة للمستعمر وسياسته حتى بعد مرور ما يقارب القرن من الإحتلال البغيض.

لقد هز مشروع "الجامعة الإسلامية" فعلا السياسة الفرنسية في الجزائر وإلا كيف نفس هذا الإستنفار للنخبة السياسية والعسكرية والفكرية على السواء وإعتماد كل الوسائل المتاحة لمحاربة هذا التوجه لدى الجزائريين والذي عرف نموا متصاعدا خاصة بعد العدوان الايطالي على طرابلس الغرب(1911م).

الفصل الثالث

النخبة الجزائرية وإشكالية التوظيف الفرنسي والألماني للإسلام

1- النخبة الجزائرية محور الإسلام الفرنسي
2- أدوات إنجاز الإسلام الفرنسي في الجزائر
3- الإسلام الألماني مفتاح للتحالف الإستراتيجي وإضعاف للأعداء
4- إندلا ع الحرب العالمية الأولى بين ضرورة التجنيد وتوظيف النخبة الجزائرية
5- صدى ومدى نجاح الدعاية الألمانية- العثمانية في الجزائر
6- الدعاية الفرنسية " فلينصر الله أمنا فرنسا"
7- مواقف النخب المختلفة وعامة الجزائريين من التجنيد الإجباري

3- 1:النخبة الجزائرية محور الإسلام الفرنسي:

منذ بدايات الإحتلال الفرنسي للجزائر برز حديث في الأوساط الفرنسية عما سمي بالشؤون الإسلامية في الجزائر الفرنسية والذي لم يكن بأي حال من الأحوال يعبر عن أي تعاطف مع الديانة الإسلامية أو إهتمام بتطويرها بقدر ما كانت تعبيرا عن تخوف المحتل الفرنسي من يقظة وتوظيف هذا العنصر الهام لدى الجزائريين وتفعيل الجماهير لعناصره الحيوية ضده على شكل مقاومات فكرية أو حتى مسلحة، وبقي هذا التصور الحذر نفسه مع بداية القرن العشرين، فقد ذكر" لويس غوستاف بينغر Binger" الذي كان يعمل مديرا لشؤون إفريقيا في وزارة المستعمرات وفي مجلة"إفريقيا الفرنسية" ما مفاده أن الإستعمار في هذه المرحلة بدأ يطرح العديد من التساؤلات حول مستقبل الإسلام في إفريقيا، وذكر أن الإستعمار كان يعترف بكونه لايصل من وراء تساؤلاته تلك سوى إلى إجابات متناقضة ، ولذلك كان يصرح مرة أن قضية الإسلام قد خُسرت إلى الأبد[1]، وكان يصرح مرة أخرى أن الإسلام وحضارته وتعاليمه التي توحد بين المسلمين على إختلاف طبقاتهم وأماكنهم تشكل خطرا نعته ب"الخطر الإسلامي."[2]

هذا "الخطر الإسلامي" كما يصفه الفرنسيون الذي يبدو أنه له في الجزائر منحى خاص حسب "هانوتو" فهو يقول :" **الواقع أن الإسلام لا يقف في وجه المحتل بشكل يثير القلق إن لم نقل يهدد بالخطر في بعض الأحيان إلا في الجزائر وحدها...في إفريقيا السوداء لاأحد ينتظر البطل المنتصر....لن نتحدث عن مكة و لا إسطنبول، فإسطنبول عظيمة ولكنها تركية ومكة مقدسة لكنها بعيدة...تونس تنعم بالهدوء...لو إفترضنا أن الفرنسيين سيحتلون المغرب في يوم ما فكل قبيلة سوف تدافع عن نفسها أو تستسلم من دون رجوع لسلطة المخزن...لن تكون هناك حرب مقدسة...الجزائر إذن هي وحدها التي تحتاج في الوقت الحاضر إلى أن نعيرها إنتباهنا..."**[3]

ولعل هذا هو ما دفع أحد أكبر رموز التمسيح والتنصير ومحاربة الإسلام "الكاردينال شارل لافيجري"[4] إلى الإعلان عن رغبة فرنسا في إنشاء إفريقيا لاتينية مسيحية قائلا :" **يجب علينا أن نتخطى جميع المصاعب**

---

[1]- Louis Gustave,Binger,"le peril de l'islam",publication du comité de l'Afrique Française,Paris,1906,p17.

[2] - أحمد محمود حسين،الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1986،ص20.

[3] - صادق سلام ،فرنسا ومسلموها ،مرجع سابق،ص52.

[4] - الكاردينال شارل مارسيال ألمان لافيجري: (1825-1892م)، كاردينال فرنسي ،رئيس أساقفة الجزائر،عمل أستاذ تاريخ بجامعة السوربون(1854-1856م)إنتقل إلى الجزائر سنة 1867م حيث أسس جمعية الأباء البيض (1868م)، ثم جمعية الأخوات البيض، كان يعتبر ان الجزائر هي بوابة إفريقيا المسيحية، أنظر : محمد ضيف الله ،الحركة الطلابية التونسية 1937-1939 ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، تونس، 1999،ص 48.

لتحرير هذا الشعب من قرآنه على الأقل، كما يجب الإعتناء بالأطفال وتربيتهم وفق مبادئ غير مبادئ أجدادهم ويجب تدريسهم الإنجيل أو نفيهم إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتقدم"[1].

وجاء تعيين "جول كامبون" في الحكومة عام (1891م) ليعيد للإختصاصيين بالشؤون المحلية وللمكاتب العربية حركية جديدة وبطلب منه إنخرط الإداريان الإستعماريان"دوبون" وكوبلاني" في بحث عملاق عن الدور السياسي للطرق الإسلامية وكان عملهما المنشور عام (1897م) عمل كلاسيكي رائد في هذا المجال،وراحت فرق أخرى تجمع تحت عنوان" **وثائق من أجل خدمة تاريخ الشمال الغربي الإفريقي" مجموعة كاملة من المعلومات عن المغرب الأقصى والصحراء..." وكان الهدف من تكثيف هذه الدراسات والبحوث"إمكانية إستخراج فتوى من العلماء تخلع المشروعية على الهيمنة الإستعمارية."[2]**

وهكذا تزايدت حاجة الفرنسيين لإعادة النظر في سياستهم الإسلامية التي أثبتت فشلها في الجزائر منذ (1830م) خاصة مع إقتراب الحرب العالمية الأولى ووجود منافسة بريطانية ألمانية حادة في هذا المجال.

لكن شعور فرنسا المهين بعدم قدرتها على القضاء على مقومات الهوية الجزائرية رغم حربها القذرة ضد الدين الإسلامي ومؤسساته ورجالاته دفعها إلى التفكير في مراقبة و تأطير شؤون الدين الإسلامي ولو بإعتماد العنصر المحلي، محاولة منها لتفكيك بنية المنظومة الدينية والثقافية في الجزائر ، وبذلك ستستولي على الأوقاف وتدمجها مع الدومين(Domaine) العام وتستحدث مكتبا للعمل الخيري في محاولة للاستيلاء على ما تبقى من مداخيل الأوقاف وتنظيم شؤون دور العبادة والمساجد ،وكما قال المستشرق الفرنسي" لوشاتولييه le chatelier" :" **إن فرنسا إصطنعت في الجزائر إسلاما فريدا خاصا بها كما إصطنعت له رجال من نوع خاص، وكل هذا الإصطناع جاء عن طريق إضطهاد المؤسسات الإسلامية، إن فرنسا قد دخلت إفريقيا الإسلامية عن طريق الجزائر وخلال ثمانين سنة قد إصطنعنا إسلاما فذا في العالم بدون أوقاف و بمساجد إدارية وأهل دين ورعين وقضاة موظفين وحج برخصة...لا يمكن الرجوع إلى الوراء، لكي نأسلم الجزائر من جديد، إن الإساءة قد وقعت..."[3]**

---

[1] - التادلي محمد أمين، "الإسلام في مواجهة الصليب"، **مجلة المرشد المغربية** ، السنة الأولى ، (عدد 04)،13 ربيع الأخر 1431هـ / ، 28 مارس 2010، صص 4-5.

[2] - جاك فريمو ،فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتيران،(تر):هاشم صالح ،دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ،ليماصول ،قبرص ،1991،صص 109-110.

[3] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،(ج2)،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ص 344.

وفي الوقت الذي إستمرت فيه فرنسا في محاربة هذا الخطر والمتمثل في دعاية الجامعة الإسلامية نجد أنها في سنة (1906م) قام الحاكم العام "جونار" بمحاولة وضع حد لهذه النشاطات بمنح الصلاحيات الكاملة للإدارة الإستعمارية بإتخاذ مجموعة من الإجراءات التي يراها مناسبة ضد تلك الدعاية المرتبطة بالجامعة الإسلامية.[1]

وهكذا دشنت فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى ما يمكن وصفه بالدعاية "لفرنسا الإسلامية" في مواجهة النشاط العثماني – الألماني المضاد لها في الجزائر ،فأصدرت لهذا الغرض سنة(1913م) جريدة "فرنسا الإسلامية" كما بنت مساجد للجنود الجزائريين والمغاربة في بعض المدن والثكنات على الجبهة الأوروبية ووظفت مجموعة من الأئمة ليؤموهم في الصلاة ويبثوا فيهم الدعاية الفرنسية من خلفية إسلامية مدروسة ومحضرة سلفا تستهدف الجزائريين وتُصور فيها" أن تركيا عدوة الإسلام وعدوة العرب كما كان القيصر الألماني يُنعت بسخرية بإسم "الحاج غليوم" وهو لقب خاص بالمسلم الذي حج إلى مكة،أما ألمانيا فقد كانت توصف بالبربرية وبأنها عدوة للحضارة و الإنسانية"[2] كما تُتهم تركيا بأنها لم تعد قادرة على حماية الإسلام وأن فرنسا أمة قوية تُعنى بالدرجة الأولى بشؤون الإسلام والعالم الإسلامي، وحتى الكولون في الجزائر لم يتأخروا عن فتح حملة تآخ مزعومة مع الجزائريين المسلمين،لكن أهم ما كان يهُم الفرنسيين من كل هذه الإجراءات هو وقف أية موجة للوطنية الجزائرية ومنع أي ثورة وطنية تستمد روحها من هذا الإسلام الجزائري المتطرف[3].

وفي نهاية عام(1915م)أصدر قائد الجيش الفرنسي في الجزائر منشورا يوصي فيه بإستعمال أساليب مغرية في تجنيد الأهالي ومنها إستعمال الموسيقى و الولائم ، للدلالة على كرم فرنسا و وبهدف تحويل أنظار الجزائريين عن الدعاية المضادة لها وجذبهم للخدمة في الجيش الفرنسي خاصة مع الحاجة الماسة للجنود في الجبهات خلال الحرب العالمية الأولى.

وتواصل إبداع الفرنسيين بالتفكير في حل جذري، لماذا لا ننجز إسلاما وفق النظرة الفرنسي؟ إسلام يطلب من الجزائريين أن لايحاربوا فرنسا وأن يعتبروا الدولة العثمانية قوة معادية وأن يرضوا بقدرهم وغير ذلك كثير، ولكن هذا الإسلام لاشك يحتاج أيضا لصناعة نخبة من الجزائريين تُنظِر له وتدعو لإعتناقه ، و لابد له من مؤسسات تمارسه...وهكذا وجدت الجزائر نفسها مخبرا كبيرا لتجربة هذا الإسلام الفرنسي.

[1] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية لجزائرية،(ج2)، مرجع سابق ،ص123.
[2] - نفسه ،ص284.
[3] - نفسه،ص262-263.

3-2 :أدوات أنجاز الإسلام الفرنسي في الجزائر

2-أ :الإستشراق ورجاله:

دفع إحتلال فرنسا للجزائر سنة (1830م) إلى توسيع دائرة الإستشراق الفرنسي خاصة الإهتمام باللغة العربية وتضاعف نشاط المؤسسة الإستشراقية ومنظريها بتوسع دائرة الإستعمار الفرنسي لباقي دول المغرب العربي، أي تونس والمغرب الأقصى(مراكش) إذ صار التعرف على اللغة والتاريخ و الدين الإسلامي وحضارته حتمية يجب إستدراكها لتحقيق هدف الحركة ، وإبتداء من سنة (1870م) ظهر تحول واضح في منهجيتها بإنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا بباريس مما أدى إلى تجديد المواد المتنوعة والمتخصصة في الدراسات الإستشراقية.

لقدحركت فرنسا لفيفا من الأكاديميين و المستشرقين الغربيين عموما و الفرنسيين بشكل خاص ، لتشريح الدين الإسلامي محاولة لفهم جوانبه الظاهرة والباطنية، ليقدم هؤلاء خدمات جليلة للإدارة الاستعمارية بفضل خبراتهم و عملهم كمستشارين عملوا في كبرى الهيئات والإدارات والمكتبات العربية وكانت دراساتهم لا يُستغنى عنها في أي قرار تتخذه الإدارة الإستعمارية بخصوص تنظيم شؤون الدين الإسلامي و نذكر من أبرز هؤلاء " ألفرد لوشاتولييه Alfred Le chatelier" وأعماله الكبرى في "مجلة العالم الإسلامي" Revue du Monde Musulman"، و "إدموند دوتي"Edmond Doutté في كتابه "L'Islam Algérien en 1900" و"جورج و وليام مارسييه Georges etWilliam Marçais"، صاحبا المؤلفات العديدة في مجال العادات والتقاليد، إضافة إلى "إميل لاووست "Emile Laoust" و"هنري باسي"Henri Basset و "ديبارمي Desparmet" الذي إشتهر بدراسته للآداب والأشعار والأغاني الجزائرية، إضافة إلى "دوفول Devoulx" و"أوميرا "Aumérat" اللذان قدما دراسات حول المؤسسات الدينية، ودراسات "لويس ماسينيون Louis Massignion" حول التصوف والعقائد، ومرورا بكتابات "إميل درمنغهام Emile Derminghem"وليس إنتهاء بأعمال "أوغستين وجاك بيرك Augustin et Jacques Berque".

أما علاقة الحكام العامون بالديانة الإسلامية فمن الصعب أن نضبط لها وتيرة ثابتة فهي تتغير بتغير الأهواء والمعطيات الداخلية والخارجية بالنسبة للجزائر و المتروبول نفسه، أو ما يمكن أن نصفه بدرجة التهديد لمصالح فرنسا ووجودها بالجزائر، فهل من الصحيح أن نعتمد على تصنيفات جاهزة للحكام العامون بين معاد للإسلام أمثال" دوغيدون De guydon" و"تيرمان"(Tirman) اللذين إشتهرا بالتضييق على دور العبادة ورجال الدين والزوايا ومنعهما المتكرر للحج وبين من يوصف بالمتسامح ومن يمكن وصفه بالمتعاطف مع الإسلام على غرار "جول

كامبون Jules Combon" الذي يرجع له الفضل في سن القانون الرئيسي في تنظيم عملية الحج في (10 ديسمبر 1894م) وكذلك علاقته الطيبة مع الطرق الصوفية وخاصة الزاوية الطيبية التي مكنه من فرض السيطرة الفرنسية على الجنوب والغرب الجزائري[1] كما كان وراء فكرة تأسيس مسجد باريس و"شارل ليتو Charle Lutaud" الذي حاول نشر عدةكتب لتمجيد فرنسا في مكتبات القاهرة والإسكندرية ولبنان وهذه المساعي التي أكملها الرئيس" أرستيد بريون Aristide Brian" بمنح مكتبة الأزهر الشريف بحوالي200 كتاب للغرض نفسه[2].وكذلك "جونار"Jonnar" ومحاولاته التقرب من رجال الدين[3].

إن تسخير هذه الترسانة من الأكاديميين والمفكرين ورجال السياسة والإدارة يبين بوضوح ضخامة المشروع الحضاري التغريبي التنصيري الذي كانت فرنسا تنوي تنفيذه في الجزائر أولا ثم إلى بقية إفريقيا من خلالها ،ولم يخفى على هؤلاء ما يمثله الإسلام والعربية من حجر عثرة لهذا المشروع الخطير ، فشرعت الإدارة الإستعمارية عبر مجموعة من الوسائل والتشريعات في إستهداف هذه المكونات الأساسية للمجتمع الجزائر والتأكيد على صنع ما أطلقنا عليه إسم" الإسلام الفرنسي".

" لقد عوض الفرنسيون شريعتنا بقوانين نابليون وتدخلوا في أصول وفروع قضائنا وفلسفة الحكم عندنا ، بل تدخلوا حتى في تفاصيل أحوالنا الشخصية فكانوا هم المشرفين على مؤسساتنا الدينية والتعليمية....هم الذين قاموا بتفسير شريعتنا من مصادر ديننا بل هم الذين قرروا في مكاننا ماذا ندرس وماذا نترك من أبواب الفقه الإسلامي....

تخصص بعض القضاة الفرنسيين في شريعتنا وأصبحوا هم الآمرين و الناهين فيها...فترجموا مراجعنا في الفقه المالكي مثل سيدي خليل و رسالة أبي زيد القيرواني...لقد أصبحت الشريعة الإسلامية غريبة بين أهلها كما أصبح التاريخ واللغة لغزا أو حراما على أهلهما، ومن القضاة الفرنسيين الذين تخصصوا في الشريعة الإسلامية وحلوا محل القضاة المسلمين : زيس،ووتيرا، وموورينو، وبوسكي..."[4].

لقد ساهمت المدرسة التاريخية والإستشراقية الفرنسية خلال المائة سنة الأولى من إحتلالها للجزائر في نشر العديد من الدراسات التاريخية التي شملت الإسلام واللغة العربية واللهجات العربية والبربرية والآثار بهدف تسيير المنطقة وفق منظورها الإستعماري في محاولة الإثبات التاريخي لعجز "العنصر الأهلي" عن بناء

[1] - Charle Robert,Ageron,Histoire de l'Algerie contemporaine,(PUf),coll,QeSais-je ?Paris, 1964,p175.

[2] - Pascal,Pautermat, la politique musulmane de la France au XXe siècle,Maisonneuve et larose,Paris,2003,p 122.

[3] - قبايلي هواري، مسألة الحج في السياسة ...، مرجع سابق،صص 20-21.

[4] - أبو القاسم سعد الله ، مجادلة الآخر ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،2006،ص44.

دولة قوية وحضارة مستنيرة..."[1] وهكذا بينما كان للإستشراق واجهة الأكاديمة والعلمية كان له في الجزائر وجه مظلم أو باب خلفي يتسلل منه الإستعمار.

2- ب :الموظفون الدينيون الرسميون

صرح أحد مدراء الشؤون الإسلامية في الجزائر المستعمرة قائلا :" **إن خطأ سياستنا الدينية الكبير...هو أننا قبلنا بأن يقوم على خدمة المساجد موظفون جهلة بلا ثقافة، جشعون ولا شيئ يشبعهم، حسنتهم هي تفاهتهم المطواعة...إن العمل المحدد الأقوى لإختيار علماء الدين الرسميين هو أن يكونوا مخبرين للشرطة.."**[2]

هكذا كانت الإدارة الفرنسية تتصور طبيعة الموظف الديني في المؤسسات العبادية الجزائرية وما تريده أن يقوم به من أدوار وبذلك كانت المناصب الدينية مثل الإمامة والإفتاء والقضاء من أوائل الوظائف التي نالتها يد الاحتلال نظرا لخطورتها ومدى تأثيرها على المجتمع الجزائري ولطالما شهد تاريخ الجزائر على غرار الفترة العثمانية على المكانة المرموقة لهاته الفئة في وسط الجزائريين وبقي التاريخ يحتفظ لنا بأسماء كبيرة في هذا المجال أمثال "سيدي محمد بن بلقاسم بن إسماعيل المطماطي" و"محمد بن إبراهيم بن موسى النيقرو" و"سعيد قدورة" وغيرهم، لكن وقوف هؤلاء في وجه الإحتلال ومخططاته سرعان ما عرض هؤلاء الأئمة والمفتين والعلماء للنفي والسجن والتضييق عقابا على معارضتهم للوجود الاستعماري كما حدث مع المفتي الحنفي "محمود ابن العنابي"[3] وبعده "الشيخ مصطفى الكبابطي"[4] الذي نُفي إلى كورسيكا سنة(1843م) لرفضه تسليم عقود ووثائق وسجلات الحبوس إلى إدارة "المارشال بيجو".

وشيئا فشيئا بدأت الإدارة الفرنسية بتحييد العنصر الوطني المقاوم لسياستها من هذه المناصب الحساسة وإستبدالها بفئة من العملاء الذين يأتمرون بأوامرها ويمررون لها ما تريد من الفتاوى و القرارات ذات الصلة ، فكان أول إجراء

[1] - كريم بوترعة ، "الإستعمار وظاهرة الإستشراق في الجزائر": مداخلة ضمن الملتقى الدولي محمد بن شنب والإستشراق المنظم بولاية المدية من 07 إلى 10 ديسمبر 2014،منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية،الجزائر ،2015،ص356.

[2] - صادق سلام ،فرنسا ومسلموها ،مرجع سابق،ص183.

[3] - أرغمه كلوزيل على مغادرة الجزائر بتهمة التآمر للقيام بانقلاب ضد الوجود الفرنسي في الجزائر من أجل إقامة حكم إسلامي فيها...هاجر إلى الإسكندرية فولاه محمد علي باشا فتوى الحنفية في المدينة، وظل فيها إلى وفاته سنة 1852م ، أنظر : أبو القاسم سعدالله ، محمود بن العنابي رائد التجديد الإسلامي ، وكذلك : أبو القاسم سعد الله ،حصاد الخريف ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2011،صص 117-118.

[4] - يرجح أبوالقاسم سعد الله تاريخ ميلاده حوالي 1187ه/1773م وتوفي سنة 1277ه/ 1860م، كان الكبابطي عالما بالحديث والفقه المالكي، كما كان أديبا وشاعرا رقيقا،ظل الكبابطي مفتيا في الجزائر لأكثر من عشر سنوات، إستجوبته اللجنة الإفريقية سنة 1833م ،حكم الفرنسيون بنفيه من الجزائر سنة 1843 ، بسبب رفضه ضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة الفرنسية، أنظر، أبوالقاسم سعد الله ،تجارب في الأدب والرحلة،ط3،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009،ص72،وأيضا أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال)، (ط خ)،دار الرائد، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009،ص102.

إتخذه الفرنسيون هو إلغاء منصب " شيخ الإسلام"[1] الذي كان يحمله المفتي الحنفي ليتحول منصب الإمام بعد ذلك إلى منصب تصطاد به فرنسا المسترزقين وطالبي الوظائف وخلافا لدوره العبادي والدعوي يتحول الإمام إلى جاسوس وعين لها يراقب بقية إخوانه من الجزائريين في الأحياء والقرى والمدن، وفي محاولة لتفكيك جهاز القضاء الشرعي أيضا لصلته الوطيدة الإمامة والإفتاء وتجريده من أية صفة رقابية وتوجيهية لم يعد للقاضي أي سلطة على الإمام وأصبح القضاة أنفسهم لا يتحركون إلا بأوامر من الإدارة الفرنسية.

ومن عجيب الأمور أن تعمد الإدارة الفرنسية إلى إختيار أناس لا يحسنون أحيانا حتى القراءة والكتابة بشكل جيد و أصبح:"(مختصر خليل) والذي كان يختصر أحكام المذهب المالكي الذي يحفظه جميع الأئمة على ظهر القلب إضافة إلى القرآن الكريم مصدر رزق للمثقف الجزائري في هذه الفترة...إن كل كلمة منه يمكنها أن تطعمك كل يوم كبشا"[2].

وبذلك يتحول هؤلاء إلى مجرد وظ تخدم المستعمر لا رجالا يحملون علما ويقدمون مواقفا تحسب له وهو ما وصفه " الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" عند قوله :" **وما ظن الناس؟ أيظنون أننا نقصد في ما كتبنا ونكتب من هذه الأسماء والألقاب أصحابها المعروفين؟ لا والله فهم عندنا أقل من أن يجول لنا فيهم خاطر أو يثور لنا فيهم إهتمام وإنما نقصد من هذه الأسماء والألقاب التي تجري على أقلامنا في هذه المواضيع معاني خبيثة وفِكرا شيطانية أصبحت هذه الأسماء دوال عليها وأعلاما لها...إن هذه الأسماء والألقاب التي فُرضت علينا ليست أعلام أشخاص ولا ألقاب أشخاص وإنما هي أعلام أجناس لمعان إستعمارية...فإذا حاربنا إسما من هذه الأسماء فإنما نحارب الفكرة التي رضي صاحبها بأن يكون بوقا لها... وما ذنبنا إذا رضي هؤلاء أن يمثلوا أفكارا خبيثة لا رجالا ومبادئ لعينة لا أشخاصا...**

---

[1] - شيخ الإسلام: مركز مرموق في دولة الخلافة العثمانية، هوالمسؤول عن الشؤون الدينية في البلاد. وكان على قمة هرم تسلسلي يبدأ بعلماء الدين وينتهي بشيخ الإسلام. وكان يتم اختياره بأمر سلطاني من قضاة المدن الهامة. كان لشيخ الإسلام سلطة التصديق على السلطان الجديد، لكن بمجرد التصديق عليه، كان سلطة السلطان أعلى من سلطة شيخ الإسلام. وكانت مهمته إصدار الفتاوى، المعتمدة على القرآن. وكان شيخ الإسلام يمثل الشريعة الإسلامية وازدادت أهميته في القرن السادس عشر. عين السلطان مراد، الصوفي يحيى، في منصب شيخ الإسلام في محاولة لمنع العنف، حيث كان الناس يخشون من شيخ الإسلام، الذي كان يمكنه تهديد حياتهم بإصداره أية فتاوى جديدة.

بعد تأسيس الجمعية الوطنية التركية عام 1920، تحول منصب شيخ الإسلام إلى وزارة الشريعة والأوقاف حتى 1924، حيث حلت الوزارة بعد فصل الدين عن الدولة، وتأسست رئاسة الشؤون الدينية.أول ما ظهر مركز شيخ الإسلام واخذ شكل مؤسسة لها كيانها وأهميتها في الدولة العثمانية.وقد اجمع المؤرخون على ظهور هذا المركز في عهد السلطان محمد الثاني(الفاتح) ،وآخر من تولى مشيخة الإسلام بالدولة العثمانية الشيخ المجاهد العالم مصطفى صبري التوقادي ونفي من دولة الخلافة قبيل إسقاطها هو ووكيله الشيخ العلامة محمد زاهد الكوثري.من أشهر شيوخ الإسلام في الجزائر نذكر: عبد الكريم بن الفكون - سعيد قدورة - محمود بن العنابي وغيرعم ،أنظر : أكرم كيدو ،مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية ، منشورات جروس برس، طرابلس ، لبنان، 1992،ص 12-14.وكذلك : شيخ الإسلام عبد الكريم بن الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق ، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، 1987صص 15-16.

[2] - Jacque,Berque,L'interieur du Magrheb XV-XIX siècle,Gallimard,Paris,1978. p12.

نحن نريد جادين فصل ديننا بجميع شعائره وعلائقه عن حكومة الجزائر اللائكية المسيحية فصلا ناجزا حاسما...والحكومة تريد بقاء حبالها بحباله مربوطة ويدها في التصرف فيه مبسوطةفإذا أعشاها الحق بنورهو أفحمها البرهان بظهوره عمدت إلى شخص من هذه الشخوص فغطت به مقصدا من مقاصدها المفضوحة وسترت بإسمه الإسلامي مكيدة من مكائدها المكشوفة، فبالأمس غطت فضيحة إستعباد المساجد بإسم المفتي العاصمي واليوم تتستر مكيدة تدخلها في الأعياد الإسلامية بإسم القاضي ولا مفتي ولا قاضي وإنما هي الحكومة متسترة بهذه الأسماء...."[1]

و لعل في وصف الإبراهيمي كثير من البلاغة والدقة في وصف الحال الذي وصل إليه أولئك الموظفون الرسميون الذين كلفتهم فرنسا بإنجاز وحراسة إسلامها المنشود ،وسرعان ما تحولت نظرة الجزائريين لأصحاب هذه الوظائف من التبجيل والإحترام إلى الإحتقار و الإستهزاء ، ولعل هذا هو ما أدخلهم في صراع مرير وتنافس مع الإصلاحيين الجزائريين الذي كانت مستوياتهم أفضل بكثير نتيجة ما تلقوه من تكوين وتعليم لاسيما خارج الجزائر في تونس والمشرق وتأثرهم بأفكار الجامعة الإسلامية وحركة التنوير العربي وهم الذين نهلوا كما عرفنا سابقا من مدرسة الإماميين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وبما كانت تنشره المنار القاهرية وأخواتها من العلم والنور، بينما بقي هؤلاء حبيسو الإرادة الفرنسية. وفي الوقت الذي كانت سلطات الإحتلال تمنع رجال الإصلاح من الإمامة والإفتاء والتعليم كانت تفتح لهؤلاء مجال الخطابة والفتوى وغيرها وهو ما يجعلهم في صدام دائم مع المصلين والمسلمين الجزائريين خاصة في المواسم والقضايا التي تحتاج إلى فتوى ومن أبرز الأمثلة على ذلك قضية " رؤية هلال رمضان"[2].

وبذلك لم يعد مخفيا على الجزائريين الذين أدركوا أن منتسبي الوظائف الدينية الرسمية ليسوا أكثر من عملاء للمشروع الفرنسي في الجزائر، فأمثال "قدور بن غبريط" و "بلقاسم حمدي" والمفتي العاصمي وغيرهم والكثير من رجال الطرق الصوفية أصبحوا المرآة العاكسة لإسلام إنهزامي متخاذل تريده فرنسا في وجه الإسلام الإصلاحي التحرري المناهض للإستعمار ومشاريعه.والذين وصفهم "الشيخ البشير الإبراهيمي" بالتملق للحاكم واللهث وراء الإستغناء والمناصب قائلا :"**ووا عجبا لما تصنع هذه الحكومة ببعض الرجال منا تعمد إلى الواحد منهم فتبقيه على سحنته ولكن تفرغه من شحنته... تفرغه من معاني الإسلام والغيرة عليه، والطيرة له والدفاع عنه والإعتزاز به وتملأه بمعان أخرى منها الإفك والزور ومنها الأنانية والغرور ومنها الإستخفاف بالإسلام وإحتقار**

---

[1] - محمد البشير الابراهيمي،"فصل الدين عن الحكومة"(5)، أو فصل رمضان والأعياد عن قاضي الجزائر.."، **البصائر** ،(ع89)،08 أوت1951م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، (الجزء الثالث)، عيون البصائر ،دار الغرب الإسلامي،1997،ص 112-113.

[2] - كما حدث سنة 1934م ،عندما أعلن المفتي ثبوت رؤية الهلال ، بينما رفض علماء الإصلاح ذلك، وفي سنة 1949م ، تأخر قاض المالكية في إعلان ثبوت رؤية هلال رمضان ، فحاصر العامة بيته، مما أدى لإستدعاء الشرطة، وقد اتهم الشيخ الطيب العقبي في هذه الفتنة ، أنظر : قبايلي هواري، مسألة الحج ...،مرجع سابق،ص91.

المسلمين ومنها الإنقياد إلى الحكومة والاعتماد عليها والإعتزاز بها و التعالي بقوتها على عباد الله والتغني بمدحها حتى في بيوت الله، فيصبح الواحد لا يأبه لنقض الإسلام ولا يغضب لنسخ الأحكام...كل ذلك لأن الحكومة شاءت ذلك..."[1]

2-ج :البعثة الفرنسية للحجاز بحضور جزائري :

نجحت فرنسا في نسج علاقات متميزة بالشرق نظرا للأحداث السياسية والعسكرية التي عرفتها المنطقة خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وفي الوقت الذي كانت فرنسا قد أقامت تلك العلاقات بمصر وبلاد الشام فإنها كانت مغيبة تماما بالجزيرة وبالخليج خلال نفس هذه الفترة الزمنية مما منح فرصة كبيرة لبريطانيا لتتفرد بالمنطقة [2].

لكن التغيرات الهامة التي شهدتها هذه المنطقة الإسترتيجية ستدفع فرنسا إلى التنسيق و لو ظرفيا مع بريطانيا كنتيجة للتحالف العثماني الألماني قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى، مما نتج عنه حركة سياسية وعسكرية بريطانية فرنسية في مواجهة هذا التحالف في بلاد المشرق العربي عامة ومنه الحجاز وهو ما أثمر في آخر الأمر إنضمام "الشريف حسين" للحلفاء أي في مواجهة الألمان والأتراك بطبيعة الحال.

وإذا لم يكن الفرنسيون قد أخذوا قبل هذا فكرة الإعداد لحركة عربية تؤطرها فرنسا وتحدد مساراتها وأهدافها فإن المستجدات في المنطقة سرعان ما فرضت هذا التوجه على السلطات الفرنسية،حيث جاء في أحدى تعليماتها السرية ما يلي "**فإن خطوتنا ستصاب بالفشل وإن الأهالي الذين نحميهم ربطوا لسبب أو لأخر مصلحتنا بمصلحة الشريف وبالتالي فمن منفعتنا دعمه، وأخيرا فإن فرنسا بإعتبارها قوة إسلامية كبرى إذ أنها تحكم أو تتولى أمر ملايين المسلمين لا يمكنها أن تهمل ربط علاقات صداقة مع شخص بسبب أصله أو بصفته حامي الحرمين وخاصة أنه يتمتع ببعض التأثير على إخوانه في الدين حتى ولو كان ذلك بمناسبة موسم الحج**[3].

وفي إجتماع لها بتاريخ (08 جويلية 1915م) أبدت اللجنة الوزارية المكلفة بالشؤون الإسلامية قلقها من تأخر الحكومة الفرنسية عن التحرك في منطقة المشرق (الحجاز والشام) بما يحمي مصالحها في الوقت الذي زاد فيه الإنجليز من وتيرة حركتهم وحضورهم في المنطقة ، وقد جاء في نفس التقارير ما يلي :"**وفي إنتظار الإنهيار الكلي للقوة التركية...إنه لمن المهم العمل على تسريع الأحداث وذلك بالإعتراف بشريف مكة كخليفة ودعمه....يجب أن نكون مستعدين للحركة بسرعة متى توجب الأمر ذلك ويجب أن نعمل على زيادة تأثير(influance)**

[1]- محمد البشير الإبراهيمي،"فصل الدين عن الحكومة"(13)، "أهذه هي المرحلة الأخيرة من فصل الحكومة عن الدين"، **البصائر** ،ع 139،29جانفي 1951م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير. ، (ج3) ، مرجع سابق،ص149.

[2] - سلطان القاسمي، العلاقات العمانية الفرنسية 1715-1905،دار الغريب للطباعة والنشر ،الإمارات العربية المتحدة، 1993،ص61.

[3] - ضمن تعليمات وزير الخارجية إلى سي قدور بن غبريط، نقلا عن: عبد الجليل التميمي ،"حكومة الشريف حسين بالحجاز والبعثة السياسية والعسكرية الفرنسية بالجزيرة العربية (1916-1918)" **المجلة التاريخية المغاربية** ، عدد 83-84، زغوان ، تونس، 1996،ص42.

الشريف مشرقا ولكن بشكل خاص غربا أي بلاد المغرب..." وختم التقرير قائلا :" إذا كانت بريطانيا هي أكبر دولة إسلامية بإعتبار عدد السكان فإن فرنسا هي أكبر قوة إسلامية–عربية"[1].

لكن حسب اللجنة نفسها يجب أن لا يشعر شريف مكة في أي حال من الأحوال أنه "ملك كل العرب" ولا أن يعطى له لقب "صاحب الجلالة" أو" صاحب السمو" وأن الحكومة الفرنسة تتوجس خيفة منه على تطلعاتها في سورية وعليه فيجب إستغلال نقاط ضعفه الآن وحاجياته لتوقيع إتفاق معه يحد من أطماعه في بلاد الشام.

والملاحظ أن جزءا مما يمكن أن نصفه بالسياسة الفرنسية في سوريا قد شهد حضورا لجزائريي "الإسلام الفرنسي " و بيادقه فقد كان من بين الموصين به والراسمين لخطوطه "قدور بن غبريط"[2] الذي كتب في أحد تقاريره له حول علاقة فرنسا بشريف مكة :" **إن روح الإستقلال العربي لا تتمثل في مخيلة شريف مكة فقط في تحرير الأماكن المقدسة، ولكنه يأمل ويسعى إلى تكوين قوة تتجاوز حدودها منطقة الحجاز...وعليه فأنا أؤكد على ضرورة تركزنا في سوريا التي قد تكون مصدر صعوبات لنا مع شريف مكة وإذا إستفدنا من وضعه الصعب وضعفه حاليا سنتوصل معه إلى إتفاق يحد من مطامعه وبما يخدم سياستنا ومصالحنا نحن"[3].**

كما سجلنا حضورا لشخصية جزائرية أخرى وهو "مصطفى الشرشالي"[4] ودائما في هذا المجال الجغرافي ضمن السياسة الفرنسية في بلاد الشام، فقد تلقى بدوره في الفاتح ماي(1917م) تعليمات دقيقة من "العقيد بريمون"[5] توضح له كيفية الدفاع عن النظرة الفرنسية تجاه سوريا لدى" الشريف حسين"و من أبرز ما أحتوته التوصيات الآتية:

- بالنسبة لسوريا وما يتبعها من إقليم فإن فرنسا لن تسمح لأي كان بالتحكم في مصير المنطقة...
- إن الحكومة الفرنسة كانت وستستمر دائما بتحسين أوضاع ساكنة الإقليم من كل العرقيات و الإثنيات المختلفة.

---

[1] -André,Nouchi,"La France et le Proche – Orient 1918-1920.Cohérance ou contradiction?",in,**Cahier de la Méditerranée**,(N48),1994,p73.

[2] - سي قدور بن غبريط: ولد سنة 1868 بسيدي بلعباس يعد من سامي موظفي الحكومة الشريفية وهي شخصية متميزة والجميع يعرفونها لما تتمتع به من نفوذ،خدم سي قدور فرنسا بكل وفاء وإخلاص بالجزائر وتونس والجزيرة العربية وأخيرا بباريس عندما تم تعيينه إماما لجامع باريس ومديرا للمعهد الإسلامي فيه، وقد أصبح في الفترة مابين الحربين حديث الصالونات الباريسية، عين رئيسا لجمعية حبوس الجرمين، وشكل لزهاء أربعين سنة أكبر المستشارين الفرنسيين فيما يخص شؤون الدين الإسلامي، تولى عمادة مسجد باريس ، توفي سنة 1954 أنظر: G, Meynier,L'Algerie révélée …,Op.cit,pp536-537.

[3] - André,Nouchi,"La France et le Proche ,OP.cit,p73.

[4] - مصطفى الشرشالي : درس في مدرسة الجزائرالمسماة (الفرنكو ميزيلمان)، وهي مدرسة كان يديرها مستشرقون فرنسيون لتخريج القضاة المسلمين والمدرسين الجزائريين الذي تحتاجهم الإدارة الفرنسية، تولى عدة وظائف منها وظيفة قاض في ذراع الميزان، كما تردد إسمه في لجنة تدوين الفقه الإسلامي التي عينها الفرنسيون في أوائل القرن العشرين لصياغة مرجع فقهي للقضاة ورجال القانون...، أنظر : أبو القاسم سعدالله، على خطى المسلمين ، مرجع سابق ،ص66.

[5] - إدوارد بريمون:(5 نوفمبر 1868-22 نوفمبر 1948م)،ضابط فرنسي ، عمل بنشاط في المغرب الأقصى والحجاز، وكان من أبرز المؤيدين لثورة الشريف حسين ضد الأتراك والمخططين لتوسيع النفوذ الفرنسي في المنطقة، قاد البعثة الفرنسية الشهيرة إلى الحجاز 1917-1918.

- لا تمانع الحكومة الفرنسية في منح الأقليات في المنطقة أنظمة إدارية تناسبها شرط أن لا تصل إلا حد الإنفصال التام.
- لا تمانع فرنسا في قيام إمارات صغيرة في دمشق وحلب و غيرها وأن تربط هذه الإمارات علاقات مع شريف مكة شرط أن تحتكر فرنسا لوحدها مهمة تزويد الشريف بمستشارين يضطلعون بمهمة التنسيق معها.
- على الواجهة البحرية أين تتنوع التركيبة العرقية للسكان ، فرنسا ستملك لوحدها سلطة الإدارة والتسيير....[1]

وعلى ضوء تلك التوصيات أخذت الحكومة الفرنسية قرارا في أعلى هيئة لها بوزارة الخارجية يقضي بتبني مشروع قانون ينص على فتح إعتماد مالي قدره(24.000.000) فرنكا ذهبيا لحساب وزارة الخارجية الفرنسية لتغطية نفقات ما سمي "البعثة الفرنسية "إلى الجزيرة العربية[2] والتي ستشهد حضورا لنماذج من تلك النخبة الجزائرية التغريبية المفرنسة السباقة لخدمة الإستراتيجيات الفرنسية حتى على نطاق العالم العربي- الإسلامي.

جاءت هذه البعثة ظاهريا لتهنئة "الشريف حسين" على إستقلاله عن دولة الأتراك العثمانيين سنة(1916م) والتهيئة لظروف أحسن لإستقبال الحجاج المغاربة غير أن أهدافها غير المعلنة كانت أكثر تعقيدا من ذلك ومنها محاولة التقليل من نفوذ الإنجليز والحط من قيمتهم في نظر حكومة الحجاز الناشئة بقيادة "الشريف حسين"،فقد كان الحجاز يشكل في حينه مسرحا لتوتر واضح بين الإنجليز و الفرنسيين لتضارب مصالحهما هناك مع سعي كل طرف تأسيس وجود دائم ومستمر في المنطقة في البلاد العربية على أشلاء الدولة العثمانية المنهارة ، ولم يعد الحجاز منطقة تحوى المدن المقدسة لدى المسلمين فقط وتجمع آلاف الحجاج في موسم الحج الذين يمكن الإستفادة منهم ماليا ودعائيا بل منطقة بإمكانها أن تصنع واقعا جديدا في العلاقات العربية – العثمانية يجب إستغلاله مع قيام الثورة العربية سنة(1916م) بقيادة "الشريف حسين" وطيد الصلة مع الإنجليز عبر مراسلاته الشهيرة مع "اللورد هنري مكماهون"[3]، وخاصة بعد بدأ "الشريف حسين" في توجيه طلب يد المساعدة من الفرنسيين بعد أن أبانت الدبوماسية الإنجليزية عن حدود في مساعدتها له وفقا لمصلحتها بعدم إسقاط الدولة العثمانية بشكل كلي لأسباب

[1] - للإطلاع على التعليمات كاملة أنظر: André,Nouchi,"La France et le Proche, op.cit,Annexe II,p80.، أو: Pascal Le Pautremat ,La mission du lieutenant- colonel Brémond au Hedjaz, 1916 – 1917, in *Guerres mondiales et conflits contemporains*,No. 221 (Janvier 2006), pp. 17-31

[2] - صدر مشروع هذا القانون ، ثم نشر بتاريخ 7 جوان 1917، على إثر نقاش في البرلمان.

[3] - المقدم السير هنري مكماهون (Sir Henry McMahon) :الممثل الأعلى لملك بريطانيا في مصر (1862-1949م) ،إشتهر بمراسلاته مع شريف مكة، الشريف حسين بن علي بين عامي 1915 و1916 خلال الحرب العالمية الأولى .موضوع الرسائل يدور حول المستقبل السياسي للأراضي العربية في الشرق الأوسط، حيث كانت المملكة المتحدة تسعى لقيام ثورة مسلحة ضد الحكم العثماني. وعد مكماهون الحسين بن علي بأعتراف بريطانيا بالجزء العربي من آسيا إذا شارك العرب في الحرب ضد الدولة العثمانية ،منح عام 1920 وسام النهضة من الدرجة الأولى من ملك الحجاز.

كثيرة نذكر منها وقوع العثمانيين حجر عثرة أمام الفرنسيين للتوجه نحو المشرق العربي في وجهة نظر الإنجليز في الوقت الذي كانت فرنسا المنافسة تود توطيد وجودها في بلاد الشام (سوريا ولبنان)"[1]. وهذا ما يؤكده "مصطفى الشرشالي" نفسه في تقريره حول البعثة من أن مهمة الوفد لم تكن فقط تهنئة "الشريف حسين" بنجاح الثورة العربية ولكن أيضا بهدف الدعاية لفرنسا وجهودها الإسلامية في المنطقة أثناء موسم الحج والدفاع عن مصالحها المنافسة لمصالح بريطانيا في الشرق الأوسط على ضوء إتفاقية (سايكس – بيكو) وربما كان هذا هو الأساس من إرسال البعثة ويدخل ضمن الأهداف أيضا إستعلام العرب في الحجاز عن الوضع السائد عندهم حتى تتمكن الدبلوماسية الفرنسية رسم الإستراتيجيات المناسبة للمنطقة إذ يشير الشرشالي في تقريره أيضا بقوله :" ومن جهة أخرى أضن أنه من غير الضروري التوسع في الدعاية التي حُملناها، أما أنا شخصيا فأشعر أنني قمت بواجبي."

هذا من جهة ومن جهة أخرى تقديم دعائي لفرنسا لدى القوة الجديدة الناشئة في الحجاز للتعريف بها وبقوتها ومدى ما بلغته من تطور علمي وحضاري وعسكري[2] وسعيا لمحو أية صورة منافية لذلك لدى عرب الحجاز تكون الدعاية العثمانية أو الحجاج المغاربة يكونوا قد رسموها عن فرنسا وسياستها في ما يحتلونه من بلاد عربية في جزئها المغربي في مخيلة الحجازيين.

إضافة إلى كون فرنسا كانت تريد إستخدام الثقل الروحي لعاملي المكان والزمان الذي تمثله منطقة الحجاز (مكة والمدينة) وموسم الحج في هذه المنطقة ومحاولة التقرب من قيادتها متمثلة في " الشريف حسين" للتحكم ولو نسبيا في منطقة المغرب العربي والتخفيف من حالات التمرد فيها ، لاسيما في هاته السنوات المرتبطة بالحرب العالمية الأولى والتي عرفت دعاية عثمانية – ألمانية واسعة ضد فرنسا وحلفائها وبالذات أثناء موسم الحج.

وقد تكفلت حكومة الجزائر العامة[3] بتجهيز هذه البعثة وإختيار رجالها المدنيين والعسكريين من بين المتضلعين في العلوم العربية الإسلامية أساسا لضمان نجاح مثل هذه المهمة الرسمية لدى السلطة الدينية بالأماكن المقدسة للإسلام، أي لدى "الشريف حسين" فإن الإختيار الأمثل للأشخاص الذين سوف يقومون بها يكتسي أهمية خاصة ، وعليه فقد تم تعيين كل من "العقيد إدوارد بريمون" كمسؤول أول لمراقبة كل شؤون البعثة ، هذا فضلا عن إشرافه على المسائل العسكرية و"سي عبد القادر (قدور) بن غبريط" بإعتباره الناطق بإسم الحكومة الفرنسية وهو الوحيد الذي له صلاحية تمثيل الحكومة لدى "الشريف حسين".

---

[1] - Pascal, Le Pautermat," La mission du Lieutnant-colonel Brémond ...Op.cit,p 18.

[2] - شارك العديد من العسكريين المرافقين للبعثة في بعض العمليات العسكرية التي قامت بها قوات الشريف حسين ضد العثمانيين فعلا ، وعمل بعضهم كمستشاريين عسكريين ، ومنح الشريف حسين كميات من الأسلحة الفرنسية، أنظر:.Pascal, Le Pautermat," La , Op.cit,p26. mission..

[3] - كان الحاكم العام هو شارل ليتو(Lutaud)، الذي عرفت فترة حكمه تشجيع سياسة فرق تسد ،بتحريك النعرة العرقية (البربرية)، وما عرفته من رد فعل جزائري موحد ضدها ،مما أدى بالحكومة الفرنسية إلى تغييره بجونار كحاكم عام جديد على الجزائر.

كانت البعثة المعينة متركبة من ست شخصيات مدنية وأعيان من الدرجة الأولى من المغاربيين ومن إفريقيا الغربية وأُختيروا بدقة من بين الأوفياء للسياسة الفرنسية[1]، وقد حرصت الحكومة الفرنسية على تمثيل كل مستعمراتها الإسلامية ضمن أعضاء البعثة، أما البعثة العسكرية فقد ضمت الضباط المسلمين الذين لهم صلاحية الإتصال بالشريف، وبالإضافة إلى ذلك فإن فريقا من (600) من الحجيج المسلمين سوف يصاحب هذه البعثة إلى الحجاز[2].

إن النص الكامل للتعليمات السرية التي سلمت إلى "سي قدور بن غبريط"، أثناء البعثة إلى الجزيرة العربية يعد نصا ذا أهمية إستثنائية فهو بالإضافة إلى تحليله الناقد والدقيق للسياسة الفرنسية الإسلامية العامة تجاه هذا الملف التاريخي، يحدد من جهة أخرى للبعثة الضوابط والحدود بشكل دقيق و طبيعة الالتزامات السياسية والدينية التي يمكن أخذها مع "الشريف حسين" وهو الأمر الذي بموجبه درست أدق التفاصيل وتأثير النتائج المحتملة على سياسة فرنسا الإسلامية في مستعمراتها ، ويمكننا حوصلة هذه التعليمات للتوجهات الكبرى للسياسة الفرنسية في النقاط الرئيسة التالية:

- إن شريف مكة ليس شخصية دينية بل رئيس سياسي للقبائل العربية التي ثارت ضد الإتحاديين ....وإن الحكومة الفرنسية قد قبلت بمزيد من الإرتياح مطالب الشريف بحقوق أجداده القاضية بالإستقلال.
- إن الحكومة الفرنسية ضد إقامة الخلافة العربية... و إن بعثتها لا يمكن لها في أي حال من الأحوال إعتبار وجودها إعترافا بهذه الخلافة الجديدة أو خضوعها لسلطة دينية.
- إن فرنسا مع التنسيق التام مع حلفائها مستعدة أن تساعد" الشريف حسين" بتقديم دعمها الأدبي وكذا دعمها العسكري على الخصوص.

[1] - شملت البعثة قسمين عسكري ودبلوماسي: أولا : الفرع العسكري ويتالف من العقيد بريمون، والرائد قاضي (الشريف بن العربي)، الذي رقي منذئذ على عقيد، والنقيب كوس، والنقيب رقيق سعد، والنقيب رحو(محمد)، والملازم لحلو (محمد)، والملازم بريشيه Bercher(مترجم).كما رافق البعثة ،عدد من الحجاج المغاربة من بينهم 290 حاجا جزائريا.
ثانيا: الفرع الدبلوماسي ويتالف من : عبدو خان (ممثل السينيغال) وهو قاضي أعلى متقاعد، وابن غبريط عبد القادر رئيس جلالة سلطان المغرب، وسكيرج احمد ناظر أحباس فاس الجديد مندوب المغرب.، -العقبي الشاذلي قائد ضواحي تونس، والحاج العربي بن الشيخ من الأعيان والملاكين مندوبان عن تونس- الآغا الصحراوي وهو آغا شرفي على أولاد سيدي خالد، بلدية مختلطة لجبل الناظور.- وشرشالي (مصطفى بن أحمد) أستاذ شرفي في المدرسة، قاضي موثق في ذراع الميزان، مندوب الجزائر.- مالك (علي) . عدل في محكمة برج بوعريريج ، كاتبا للبعثة، أنظر ، أبو القاسم سعدالله ، على خطى المسلمين ،حراك في التناقض، (ط1)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 70-71. وكذلك : يوسف مناصرية ، " تقرير السيد:مصطفى شرشالي عن البعثة الفرنسية في الحجاز في سبتمبر 1916، **الثقافة** ، السنة الخامسة عشر ،العدد 89، ذو الحجة – محرم 1405 -1406 هـ / سبتمبر – أكتوبر 1985م،ص ص 119-125.

[2] - التميمي ،"حكومة الشريف حسين ...، مرجع سابق، ،ص43.

- إن فرنسا تهنئ الشريف حسين الذي إنتقم للجرائم التي إقترفها الإتحاديون وإن مساعدة مالية بمقدار(12.500.00) فرنكا ذهبيا سوف تسلم له شخصيا لدعم مجابهته للأتراك وإن هذا الدعم لا يمكن أن يكون منتظما ولا دوريا.
- إن التعليمات قد سلمت للقيادات بالإستماع بكل إنتباه لأقوال الشريف وأنه في حالة ما إذا كان هذا الأخير قد أثار مسائل سياسية أخرى فعلى البعثة أن تصرح له بأنه ليس لديها أي تعليمات بهذا الخصوص.
- إن على البعثة تغيير رأي الأوساط الشرقية حول السياسة الإسلامية الفرنسية في المغرب العربي،وإن كان هذا الموضوع محل إنتقاد شديد اللهجة من طرف هذه الأوساط الشرقية.
- وأخيرا دعا المسؤولان الرئيسيان للبعثة إلى الأخذ بالإعتبار النشاط السياسي لبعض اللاجئين السوريين الوطنيين والذين إتسمت مواقفهم بمعارضة السياسة الفرنسية...[1](وفي ذلك إيحاء واضح لم تمارسه النخبة الجزائرية الشامية من مناهضة للسياسية الفرنسية في البلاد العربية).

وقدجاء في تقرير مصطفى الشرشالي عن البعثة [2] بعد ذلك قوله أن تساؤلات مسلمي الحجاز كانت ترتكز أساسا على أحوال إخوانهم في المغرب،فبينما كانوا يشعرون (بالهدوء) يسود كلا من تونس والمغرب الأقصى، فإن القلق كان يعمهم بالنسبة للجزائر ويظهر تعاطفهم بارزا مع مسلميها خاصة وأنهم يعلمون مدى التعاسة التي كان يعيشها الشعب الجزائري من جراء فقد ممتلكاته بالقوة والعنف وإضطهاده في ممارسة شعائره الدينية وتجريده من قيمه الاجتماعية.

ويفتخر السيد الشرشالي أن أعضاء البعثة قد إستطاعوا إقناع مسلمي الحجاز بعكس ما كانوا يعتقدون، فتغير سخطهم على الوجود الفرنسي في المغرب الإسلامي إلى رضاء شامل"[3] وهنا تتضح أهمية ونذالة هذا الدور الذي حظيت به تلك الشخصيات الجزائرية في محاولة تزييف الواقع المرير الذي يقاسيه الجزائريون تحت الإحتلال الفرنسي.

ووفاء لتعليمات الحكومة الفرنسية إستقبل "الشريف حسين" أعضاء البعثة في حفل كبير وقد برزت مظاهر الحماسة الدينية والفرحة بالدعم المالي الفرنسي،وقد بدأ "بن غبريط" بإلقاء خطاب خال من أي التزام سياسي أو عسكري أومالي قطعي للشريف حسين إلا أنه من جهة أخرى قام بالثناء والشكر للإنتفاضة التي قام بها" الشريف حسين" ضد العثمانيين ثم عرج بعد ذلك للتنويه بالسياسة الإسلامية الفرنسية في مستعمراتها فقال: "**إن حركتكم**

---

[1] - التميمي، حكومة الشريف حسين بالحجاز ،المرجع السابق ،ص43-44.

[2] - (تقرير حول البعثة الفرنسية إلى الحجاز(،قدمه أحد أعضاء البعثة ، هو مصطفى الشرشالي إلى حاكم الجزائر العام، وهي مؤرخة في 02 فيفري 1917 ، بمدينة ذراع الميزان وتقع في 136 صفحة،...رتبها صاحبها على شكل يوميات وصف فيها أحوال الحجاز العامة أثناء إقامته هناك، وكل لقاءاته ومحادثاته مع الحجازيين، كما قدم أيضا وصفا مفصلا لجميع المدن الإسلامية التي مرت بها ....، أنظر : مناصرية يوسف ، تقرير...، المرجع السابق،ص120.

[3] - أبو القاسم سعد الله ، على خطى المسلمين ...، مرجع سابق، ص ص 66- 135.

كان لها تأثير مباشر على أرواح ملايين المسلمين القاطنين بإفريقيا تحت ظل وحماية هذه القوة والتي في ظل حضارتها وإنسانيتها تحترم الإسلام وتقاليده الإسلامية...[1]

أما جواب "الشريف حسين" فكان عبارة عن رسالة ذات أبعاد سياسية واضحة قائلا :" **لقد قمنا بإنتفاضة للإنتقام للحق والمحافظة على البلد وأبناءه...وعليه فإننا لا نستغرب إذا دعمت فرنسا هذه الحركة الوطنية العربية، فبإسمي الخالص وبإسم كل مسلم نقدر مثل هذا الموقف، أحيي فرنسا بهذا العمل الجليل وهو يضاف على أعمالها الجليلة السابقة تجاه المسلمين ولتتأكد حكومتكم أننا نثق فيها وفي دعمها... وأن سياستي سوف تكون وفية وأمينة شأنها في ذلك وفاء حكومتكم"**[2].

من وجهة نظر الفرنسيين فإن البعثة الفرنسية بالجزيرة العربية قد خدمت التوجهات العامة للسياسة الفرنسية بدءا بنجاحها في تغيير نظرة بعض الأعيان و المسؤولين بالجزيرة العربية لتلك الصورة السيئة التي كانت مهيمنة على الرأي العام المشرقي تجاه فرنسا ،وقد ذكر "بن غبريط" ذلك بوضوح في تقريره إلى وزير الخارجية الفرنسية :"**إننا نعتقد أننا حققنا الهدف الذي رسمناه لأنفسنا للعمل على تثمين وتقدير إسم فرنسا في الشرق..." ومن جهة أخرى فإن هذه البعثة سمحت للمسؤولين السياسيين الفرنسيين أن يؤدوا دورا تاريخيا حاسما لإحتلال سوريا و قد تم ذلك من خلال الفهم العميق للشخصيات والأحداث التي كانت الساحة العربية مسرحا لها ولا شك أن مصالح إستعلامات هذه البعثة ساهمت في إنجاح هذا الدور وقد علق "بريمون" على نتائج مهمته بالحجاز بقوله :"إذا كنا قد سجلنا أقل الأضرار من البريطانيين فإننا بعيدون كل البعد على أن نكون قد قمنا نحن بأشياء طيبة..."**[3]

وعند عودة البعثة إلى باريس في شهر أكتوبر سنة(1916م) علق "غاستون دومارغ Gaston Doumergue" وزير المستعمرات قائلا في إستقباله لوفدها :" **هذا يبين بوضوح مدى الإهتمام الذي توليه الحكومة الفرنسية بالإسلام في إفريقيا الشمالية وإفريقيا الغربية والوسطى ،وأنا أهنئ وأشكر كل من ساهم في هذه البعثة ولدي شعور عميق بأن الجميع إتضح له مدى إحترام فرنسا للإسلام، إن حضارتينا تشبهان نخلتين مترادفتين نمتا إلى جنب بعضهما وترتفعان معا نحو سماء الحرية وسط الشمس والنور، تتشابك فروعهما بشكل يرسم لهما ظلا واحدا على الأرض..."،ثم ليتدخل بن غبريط قائلا :" لقد بينا للمسلمين في الشرق أن المسلمين في المغرب يتمتعون بكل التسهيلات والإمكانيات لممارسة شعائرهم الدينية، كما وضحنا لهم**

[1] - التميمي، حكومة الشريف، مرجع سابق ،ص45.
[2] - المرجع نفسه
[3] - نفسه ،ص49.

مدى التعاطف الفرنسي مع الإسلام في إفريقيا وأن البعثة قد نجحت فعلا في وقف أي خطاب " معادي لفرنسا" [1].

لكن المتفحص بدقة في نهاية عمل البعثة يلحظ أن "بن غبريط" أقر بأن فكرة إقامة خلافة عربية بقيادة "الشريف حسين" أمر مستحيل في ظل ما تنويه فرنسا وبريطانيا في المنطقة مما يعني أنه لم يفعل أكثر من تكريس للخيانة الفرنسية والبريطانية للشريف حسين ، إذ نجده يصرح قائلا :"**إن المعلومات والملاحظات التي توصلت بها خلال سفري للحجاز...تؤكد إستحالة حدوث مشروع الخلافة العربية وأن من يحلمون بخلافة عربية توجه ضد الخلافة (التركية) لا يفعلون أكثر من تضييع لمصالحهم ...إن الإسلام لم يعرف في تاريخه الوحدة ولا لدى منظريه ولا في تقاليده، فحتى القرآن والتاريخ لم ينجحوا في توحيد الرؤى مما يعتبر خطرا علينا..."**[2]

وبذلك إختار بن غبريط ومن نحا نحوه من النخبة الجزائرية المنساقة وراء السياسة الإستعمارية خدمة المشروع الفرنسي وسياسته الإسلامية، ليس في الجزائر والمغرب العربي فحسب بل حتى في الجزء الشرقي للوطن العربي ، لقد إختار الطرف الذي يمثله دون صعوبة أو تراجع إلى النهاية.

2– د :موت من أجل فرنسا ودفن على الطريقة الإسلامية:

من أبرز الإجراءات الفرنسية فيما يتعلق بالديانة الإسلامية ما عرف بمشروع المقابر الإسلامية في فرنسا الذي قدمته وزارة الحربية إبتداء من شتاء(1914م) فمنذ الحرب ضد بروسيا سنة (1870م) كان القتلى من المسلمين في الجيش الفرنسي يدفنون في مقابر جماعية دون أدنى إعتبار لمقتضيات الدفن على الطريقة الإسلامية من تغسيل وصلاة جنازة ودفن وتوجيه للقبلة وغير ذلك مما كان يثير إستنكار بعض الجنود المسلمين وذويهم، ولكن ضخامة الخسائر في الأشهر الأولى من الحرب العالمية الأولى والرغبة في تخفيف تأثير تلك الخسائر على نفسية الجنود لا سيما المسلمين وأبناء المستعمرات منهم دفع الإدارة الفرنسية إلى إصدار قانون(2 جويلية 1915م) الذي يعطي صفة(مات من أجل فرنسا Morts pour la France) وقانون (29 ديسمبر 1915م) الذي يعطى للعسكريين بشكل خاص الحاملين لصفة (مات من أجل فرنسا) أثناء الحرب، الحق في جنازة رسمية تتكفل الحكومة الفرنسية بتكاليفها و أضاف مجموعة من الإجراءات التي تخص طريقة الدفن وشكل القبور بالنسبة للمسلمين.

[1] - Pascal, Le Pautermat," La mission du Lieutnant-colonel Brémond",op.cit,p28.

[2] -Hamza Ben Driss ottman, Kaddour Ben ghabrit un Maghrébin hors du commun,(2ed), edition Marsam,Rabat,Maroc,2010,p156.

و بموازاة مع تلك الإجراءات قامت إدارة الصحة ضمن وزارة الحرب إبتداء من شهر (أكتوبر 1914م) بنشر تعليمات حول الإجراءات المصاحبة لوفاة جندي مسلم تُلزم قادة الوحدات بتنفيذها، تقضي بإعلام زملاء الجندي المسلم المشرف على الموت والعاجز عن نطق الشهادة بأن يرفعوا له سبابته وينطقون الشهادة بدلا منه والسماح للذين يعرفون من المسلمين بتغسيله وفق الشريعة الإسلامية ثم الصلاة عليه وحتى توجيه قبره وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، ثم أن يتم كتابة شاهد على القبر بما يسمح بالتعرف على صاحبه وأن يكتب على شاهد القبر (هنا قبر المرحوم فلان)[1] ، ولكن وفي الوقت الذي كان يمكن تتبع مثل هذه الإجراءات بالنسبة للذين يتوفون داخل الثكنات أو المستشفيات بسبب الأمراض والجروح فإنه كان من الصعب بما كان القيام بذلك على طول جبهات القتال في ظل شراسة المعارك وفقد الآلاف من الجثث[2].أما داخل المستشفيات فقد أُعلن عن تعليمات خاصة داخل المستشفيات العسكرية بإحترام خصوصيات المقاتلين المسلمين ، كصيام رمضان و العمل على تقديم غذاء(حلال) للمرضى، كأن لا تقدم لهم أطعمة تحتوى شحوم الخنازير ومن الأفضل تهيئة مطبخ خاص لهم كسبا لثقتهم وإبعادا لشكوكهم[3].

وكما هو ليس بالغريب على فرنسا ومنظريها فرغم ظاهرية الإجراءات إلا أنه في الحقيقة قد تم " إعتماد ما يشبه نظام الفصل العنصري في مجال الصحة فعند إنشاء المستشفى الفرنسي- الإسلامي في بوبيني أبدى مجلس باريس قلقه من الأخطار المتمثلة " بأصحاب لقب سيدي" وهم برابرة يجب إيوائهم ومواكبتهم ومراقبتهم.."بينما رأى بعض المختصين أمثال "ماسينيون" بأن المستشفى ما هو إلا وسيلة دعاية لفرنسا في أوساط جماهير المسلمين وأداة للتأثير عليهم" فيما إنتقد" عزل المرضى المسلمين بدل التشجيع على إختلاط أفضل بين السكان حتى في حالات الألم الذي بحسب رأيه يُقرب بين البشر..."[4].

ورغم هذه الإدعاءات فإن عدد المستشفيات التي أُنجزت في هذا الإطار لم تتجاوز مستشفيين(02) في كامل فرنسا وثلاث مقابر فقط مقارنة بمئات الألاف من القتلى المسلمين الذين لم يحضوا بالدفن بأي طريقة كانت بل بقيت جثثهم مرمية في الخنادق وساحات المعارك.

[1] - أنظر الملحق (رقم 12)

[2] - Thierry Hardier et Jean François Jagielski,Combattre et mourir pendant la grande guerre (1914- 1925), paris,imago,2001,pp, 70-75.

[3] - Michel Renard, "gratitude,controle,accompagnement: le traitement du religieux islamique en métropole (1914- 1950)",in : **Bulletin de l'Institut d'histoire du temps présent**,(N83),juin 2004,p22.

[4] - صادق سلام ،فرنسا ومسلموها..، مرجع سابق ،ص215.

2- هـ :اللجنة الوزارية لشؤون الدين الإسلامي: (Commission Interministérielle des Affaires Musulmane):

عمدت فرنسا أيضا ضمن سياستها الإسلامية المزعومة إلى إنشاء العديد من المؤسسات الحكومية التي يمكن أن تشتغل في المواضيع ذات شؤون بالشأن الإسلامي ، لكن توحيد نشاطها تطلب إنشاء هيئة وزارية لمنع تصادم هذه المؤسسات في الصلاحيات والقرارات، لاسيما ما حدث من خلاف في الشؤون الإسلامية بين وزارة الخارجية والحكومة العامة، وهكذا تم إستحداث" اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية"، بناء على مرسوم صادر بتاريخ(25 جوان 1911م) على أن تكون رئاستها تحت يد وزير الخارجية وممثل عن وزارة المستعمرات وممثلين عن وزارة الداخلية ووزارة الحربية[1]،

وقد جاء في القانون التأسيسي لهذه الجمعية في فقرته التاسعة ، ضرورة تعيين أعضاء مسلمين وفق مرسوم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد وعددهم خمسة من بينهم واحد من منطقة القبائل وواحد من الصحراء، إضافة إلى إختصاصي في الشؤون القانونية والدينية يختاره أساتذة المدارس الإسلامية أو من طرف علماء مسلمين[2]، وتتكفل هذه اللجنة بتقديم مجموعة من الإستشارات والدراسات التي ستستفيد منها معظم الإدارات والمؤسسات الحكومية في علاقاتها مع الإسلام وقضياه في فرنسا ومستعمراتها الإسلامية والعالم الخارجي وهو ما يفسر وجود الكثيرين من المختصين في الدراسات الإسلامية ضمنها[3] وقد أعلنت عن أهدافها كما يلي :

- تحرير وتمدين الشعوب الإسلامية.
- تفكيك النظام الإقطاعي السائد في البلاد الإسلامية والقضاء على الإقطاعية.
- ترقية أوضاع المرأة.
- مراقبة المحاكم الأهلية الخاصة في الجزائر.
- تعميم التعليم الديني ، وتعميم اللغة الفرنسية.
- العمل على منع وصول التأثيرات الفكرية والسياسية القادمة من الشرق(النزعات القومية العروبية(Pan arabisme) وأفكار الجامعة الإسلامية(Panislamisme)[4].

---

[1] - Pascal,Pautermat, la politique musulmane de …,Op.cit,p 42.

[2] - قبايلي هواري، مسألة الحج ...، مرجع سابق ،ص100.

[3] - من بين هؤلاء نذكر المستشرق وليلم مارسي (William Marçais) ، أوغسطين بيرك (Augustin Berque)،لويس ماسنيون (louis Massignon)،جورج مارسييه (George Marçais)، ألفريد لو شاتولييه (Alfred le chatelier)....

[4] - Pascal,Pautermat, la politique..,op.cit,44

لكن ما يميز هذه اللجنة كونها لا تتدخل في الشؤون الاقتصادية وليس لها الحق في إصدار أية قرارات بل تقدم مجرد تقارير وتوضيحات ونصائح للهيئات صاحبة القرار.

ولعل أبرز عمل قامت به هذه اللجنة هو تأسيسها "جمعية حبوس الحرمين" التي تكفلت بتأطير عملية الحج إلى الحجاز، لكن تقلص أهمية دور" لجنة الشؤون الإسلامية" مع نهاية الثلاثينيات و التطورات التي عرفتها فرنسا والعالم قُبيل الحرب العالمية الثانية أدى إلى حلها سنة(1938م) لتظهر بعد ذلك بدائل أخرى ومؤسسات مشابهة لخدمة السياسة الإسلامية الفرنسية.

وما يهمنا في شأنها أيضا أن فرنسا قدجندت ضمن هذه المؤسسات العشرات من الأئمة والمفتين والقضاة والمترجمين من الجزائريين الذين تم تكوينهم وتأهيلهم ضمن المدارس والهيئات الفرنسية المختصة والذين أوكلت لهم في هذا السياق ثلاث مهام رئيسية ، أولها التصدى لكل أشكال الدعاية التي يتبناها مناصرو الجامعة الإسلامية في الجزائر وثانيها الترويج للإسلام الفرنسي السابق الذكر وثالثها منع تأثير العلماءالجزائريين من ذوي الإتجاه الإصلاحي المحافظ من التحكم في عقول وتوجهات عامة الجزائريين.

2– و : مسجد باريس خدمة إسلامية أم دعاية فرنسية :

"لقد عمدت فرنسا منذ مدة في إبراز صداقتها للبلدان الإسلامية ، في العديد من المناسبات كما حدث سنة(1854م) عندما قرر "نابليون الثالث" وبطلب من السلطان العثماني "عبد المجيد الأول" حليفه في حرب القرم الذي رغب في منح المسلمين في العاصمة الفرنسية باريس مقبرة إسلامية تحتوى على مسجد ،وفعلا أُنشأ مسجد صغير في الضاحية الباريسية ولكن تم هدم هذا المسجد سنة(1914م) و سرعان ما أدى إلى تدهور العلاقات من جديد بين الطرفين"[1].

لكن فرنسا التي إعتبرت نفسها بعد ذلك قوة إسلامية كبرى وراعية لشؤون المسلمين و أنها تلك الدولة التي يحوى مجالها أكبر عدد من المسلمين في دولة مسيحية ، أدركت أهمية وجود مؤسسة إسلامية وعلى رأسها المسجد على أراضيها لتلميع صورتها خاصة إبان الحرب العالمية الأولى في وجه السياسة الإسلامية للمنافسة بريطانيا و العدوة الأبدية ألمانيا.

حيث تشير الدراسات إلى أن فكرة تأسيس مسجد باريس بدأت منذ (1895م) بتشجيع من الجمعية الإفريقية التي كان يرأسها "جول كامبون"لكن المشروع فشل لوجود معارضة شديدة داخل الحكومة الفرنسية ، وإبتداء من (1906م) ومع ظهور (جريدة الأهالي – La revue Indigéne) شرعت هذه الأخيرة في الدعوة لإحياء

[1] -Mohammed Telhine,L'Islam et les musulmans en France - une histoire de mosques,L'harmattan,Paris,2010,p19.

المشروع من جديد و بفضل مشاركة العديد من المثقفين أمثال " بول بورداري Paul Bourdarie " مدير هذه الجريدة المتحمس كثيرا لفكرة بناء المسجد و" إدموند دوتي Edmond Doutté" و بعض السياسيين أمثال "إدوارد هيريو Edouard Herriot" وشخصيات جزائرية على غرار "قدور بن غبريط"، حيث " كثفت الجريدة من دعوتها الحكومة الفرنسية للإقتداء بما تقوم به بريطانيا من محاولة لتثبيت وجودها في الفضاء الإسلامي، فعلى فرنسا حسب رأي الجريدة أن تستثمر علاقاتها التاريخية مع الدولة العثمانية والمميزة منذ عهد (فرنسوا الأول" و"السلطان سليمان القانوني")[1] وأن تلعب دورها كأكبر قوة "عربية إسلامية" وأن تعمل على بناء وشائج وروابط روحية بينها وبين المكونات الدينية المشكلة لها ومن بينها المسلمين"[2] وفي وقت أبانت فيه منافستها وعدوتها ألمانيا عن سياسة إسلامية قوية بعد تحالفها الإستراتيجي مع الدولة العثمانية و الإنخراط الكبير لإمبراطورها" غيليوم "الكبير في هذه السياسة كما سنوضحه لاحقا عند الحديث عن السياسة الألمانية في هذا المجال .

وعند إفتتاح مسجد باريس بتاريخ (1مارس 1922م) [3] صرح محافظ دائرة السين (La Seine) مقدما لهذا المشروع:" **سيشعر المسلمون هنا أن فرنسا و باريس تستقبلانهم ليس كأجانب ولكن كأصدقاء محترمون**

---

[1] - بسبب التنافس بينه وبين شارل الخامس على عرش الإمبراطورية الرومانية، رأى فرنسوا الأول أن يستغل مكانة الدولة العثمانية وقوتها ويكسب صداقتها. وقد تطورت العلاقة بين الطرفين إلى تحالف عبّرت عنه «معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية» (1535م). وابرز ما نصت عليه هذه المعاهدة، الآتي:

•حرية التنقل والملاحة للسفن سواء كانت مسلحة أو غير مسلحة.

•حق التجارة في كل أجزاء الدولة العثمانية بالنسبة لرعايا ملك فرنسا.

•دفع الرسوم الجمركية وغيرها من الضرائب للدولة العثمانية مرة واحدة.

=•جعل الضرائب التي يدفعها الفرنسيون في الدولة العثمانية مماثلة لتلك التي يدفها الرعايا الأتراك.

•حق التمثيل القنصلي، مع حصانة قنصلية للقنصل ولأقاربه وللعاملين معه.

•منح القنصل الفرنسي حق النظر في القضايا المدنية والجنائية التي يكون أطرافها من رعايا ملك فرنسا، وإصدار الحكم فيها والاستعانة بالسلطات المحلية لتنفيذ أحكامه. وفي القضايا المختلفة التي يكون أحد أطرافها رعية من رعايا السلطان العثماني، لا يستدعى ولا يستجوب رعية الملك الفرنسي ولا يحاكم، إلا بحضور ترجمان القنصلية الفرنسية.

•إفادات رعايا الملك في القضايا تكون مقبولة ويؤخذ بها عند اصدار الحكم.

•منع استعباد رعايا الملك الفرنسي.

وكان من نتائج هذه المعاهدة زيادة التعاون بين الأسطولين الفرنسي والعثماني وشن الأسطول العثماني هجمات قوية على شواطئ مملكة نابولي التي كانت تابعة لشارل الخامس. وفي العام 1543م تجمعت وحدات الأسطولين العثماني والفرنسي وهاجمت الموانئ التابعة لدوق سافوي حليف شارل الخامس.

استفادت فرنسا من تقاربها مع الدولة العثمانية عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا، واتخذت من المعاهدة السابق ذكرها وسيلة لفتح أبواب التجارة مع المشرق من دون الخضوع للاحتكار التجاري الذي فرضته البرتغال بعد اكتشافها طريق رأس الرجاء الصالح. كما حصلت بموجب هذه المعاهدة على الحق الكامل في الحماية تحت علمها كراعية للدول الغربية الأخرى، مما جعل لها مكانة مرموقة بين دول الغرب الأوروبي.

في المقابل لم يستفد رعايا الدولة العثمانية من هذه المعاهدة وكأنها عقدت فقط لتلبية مطالب الفرنسيين، وتحقيق مصالحهم من دون مقابل يذكر. وقد كانت هذه المعاهدة الأساس الذي بني عليه وسار على نهجه الكثير من المعاهدات التي عقدت في ما بعد بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية بصفة عامة، أنظر : عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة العثمانية...، مرجع سابق،صص ،290-291.

[2] - Paul,Bourdarie,"L'institut musulman et la Mosqué de Paris",in:**La revue indigène**,(N 130-132),oct-dec 1919,p08.

[3] - دامت أشغال بناء المسجد مابين 1922 إلى غاية 1926.

وكإخوة....ولذلك فقد راعينا أن يجد المسلمون نفس الشعور الذي يحسون به في بلدانهم الأصلية وأن تستريح أعينهم عند النظر لصورة المسجد التي تعكس حضارتهم الضاربة في التاريخ..."[1]

لكن الأكيد أن فرنسا التى أرادت من وراء بناء هذا الصرح أن تكرم الضحايا المسلمين في حربها الكونية لم تغفل أنه سيرمز أيضا لنظرتها المبنية على صناعة "**إسلام تنتجه جمهورية لائكية، يجعل من المسجد باعتباره مؤسسة حكومية وسيلة مفيدة لإدارة ومراقبة ساكنة باريس القادمين من شمال إفريقيا**"[2].

وهي الإستراتيجة والأهداف التي أكدها أحد النواب الفرنسيين في البرلمان "إدوارد هيريو Edouard Herriot" عند دفاعه على فكرة بناء المسجد بعد صدور قانون(1905م)[3] في عرض له أمام البرلمان جاء فيه :" **ليس هنالك أي تناقض، فالدولة الفرنسية ستمون مشروعا كبيرا يتضمن بداخله مسجدا لاشك أنه سيقوم بدراسة كل ما من شأنه تحسين أوضاع المسلمين والدفاع عنهم وعلاقتهم مع الميتروبول" أي أن ما تمونه الحكومة الفرنسية هو مؤسسة ذات طابع علماني يخدم المصالح الفرنسية وليس مؤسسة دينية صرفة،ثم يضيف قائلا :" إن الدولة الفرنسية تعطي للمواطنين الفرنسيين من أبناء المستعمرات الحق في ممارسة شعائرهم أينما كانوا وعليه فما هو المانع من إعطاء المسلمين مسجدا ، إذا كنا بطريقة قانونية أيضا نعطي للكاثوليك والبروتستانت كنائسا ولليهود معابد يهودية"**

و أكثر من ذلك أن من سيقوم على إدارة هذا المسجد ليست هي الحكومة الفرنسية بل مؤسسة خاضعة لسلطة الحكومة وهي (جمعية الحبوس)".

وأضاف قائلا :"وكانت الدوائر الحكومية الفرنسية تدرك بأنه من الصعب عليها بما كان أن تحول هؤلاء عن ديانتهم الإسلامية بشكل نهائي ومطلق ، ولكن ما يمارسه المسجد عبر نشاطاته يمكن على الأقل أن يجعل البعض منهم مسلمين "علمانيين غير متطرفين " وهذا ما يفسر إهتمام تلك الدوائر بطبيعة من ستوظفهم ضمن هذا المسجد وملحقاته لتحقيق هذا الغرض، لكن الغريب" أن المسجد لم يكن يرتاده

[1] - Naomi,Davidson,"La Mosquée de Paris,Construire l'Islam Français et l'islam en France,1926-1947",in:**Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée**, (N125),Juillet 2009,p197.

[2] - Naomi,Davidson , La Mosquée de Paris …,op.cit.

[3] - هو القانون المتعلق بفصل الدين عن الدولة وضمان حرية المعتقد والتعبير، الذي صدر في 09 ديسمبر 1905معن البرلمان الفرنسي، تأكيدا للطابع العلماني للجمهورية الفرنسية وأحد مبادئ ثورتها الكبرى (1789م)، ولم يطبق في الجزائر بشكل رسمي إلا بتاريخ 27 ديسمبر 1907م، وقد شمل في البداية الكاثوليك والبروتستانت واليهود وأستثنى الديانة الإسلامية ، خوفا من إستقلالية الأوقاف ورجال الدين ودور العبادة وهو ما إعتبرته فرنسا تهديدا لمصالحها.

الكثير من الأهالي المسلمين الموجودين في باريس والقابعين في أحياءها الفقيرة، بينما هو موجود في قلب باريس وفي منطقة تعرف بتحضرها ، مما جعله في أخر الأمر معلما سياحيا أكثر من أي شيئ أخر"[1]

وفي الوقت الذي كانت فرنسا تُمعن في هدم المساجد وإذلال المؤسسات الدينية وأهلها في الجزائر، لم يكن أحد ليتوقع نجاح هذا المسجد في صناعة مسلمين جزائريين وفق المقاييس الفرنسية والدليل هو أن الحركة المطلبية الممهدة لظهور التيار الإستقلالي ستخرج من فرنسا ذاتها دون أن يؤثر هذا المسجد على تغيير قناعاتها بأن فرنسا الإستعمارية لم ولن تتغير.

كما أن هذا المسجد قد لاقى الكثير من الإنتقاد من لدن الفرنسين والجزائريين ، فقد أظهر المناضلون في نجم شمال إفريقيا ردة فعل قوية ضد إستقدام ما أسموه بالإسلام الرسمي إلى باريس :"**إن مسجد باريس سيكون موضع إستنكار لدى حزب نجم شمال إفريقيا الذي دعا إلى لقاء إحتجاجي لخصته الصحيفة اليسارية " لومانيتي"(L'humanité) في مقالة ورد فيها :"إن المسلمين الحقيقين كانوا بالأمس في غرانج أوبال (Grange– aux–Belles)حيث نددوا كما يجب بإتحاد الطغاة المقدس....وقد رفع النجم صوته ليعبر عن غضبه وإحتجاجه على تهريجة إفتتاح مسجد باريس قائلا: إن الإستقبال الفخم الذي أُعد لملك المغرب والخطب الوزارية حول عظمة الإسلام لم تنس النجم أن الجيوش الإستعمارية تسحق جمهورية الأمير عبد الكريم في منطقة الريف وثورة الدروز في ليبيا"**[2]

أما بالنسبة لأراء بعض الرموز الإسلامية في حينه فقد إتهم الشيخ رشيد رضا فرنسا بأنها بنت المسجد بأموال أوقاف الأماكن المقدسة قائلا :" **تبين لي من خلال الأبحاث الكثيرة التي قمت بها بأن الأوقاف المرصودة لصالح المدن المقدسة كثيرة جدا وهي تغني بلاد الحجاز عن كل مساعدة أجنبية وتكفي لإنجاز كل المشاريع الإصلاحية المطلوبة، لكن عائدات هذه الأوقاف بُددت للأسف...وقد أُخبرت بأن عائدات الأوقاف المرصودة في الجزائر وفي تونس لصالح المدن المقدسة قد حُصلت وخُصصت للمسجد الذي تم بناؤه في باريس..."**[3].

الحجاز وعملية الحج تحت الفرنسة :

منذ البداية لم تغفل سلطات الإحتلال الفرنسي ما إعتبرته خطرا يمثله الحج على مصالحها ليس داخل الجزائر فحسب بل حتى خارجه، وقد أشرنا إلى ذلك سابقا فيما يتعلق بعلاقة الحج مع الدعاية لحركة الجامعة الإسلامية

[1] - Naomi,Davidson," La Mosquée ...,Op.cit,p198.

[2] - صادق سلام ،فرنسا ومسلموها ..، مرجع سابق ،ص205.

[3] - محمد رشيد رضا، عضو لجنة" أوقاف المدن المقدسة، في مؤتمر العالم الإسلامي في مكة، جلسة 14 جوان 1926 للمؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة من 17 جوان إلى 5 جويلية 1926، للإطلع على محاضر الجلسات باللغة الفرنسية : أنظر:.RMM,(vol)(LXIV),1926,P150

والنشاط الكثيف للطرق الصوفية المناهضة للإستعمار خلال موسم الحج مما دفع السلطات الإستعمارية إلى مراقبة الحجاج بإرسال الجواسيس معهم وتأكيد مسؤوليها ومثقفيها بشكل مستمر أن الحج معتقد عربي متخلف ومادي وبحاجة ماسة للتحديث و العصرنة و رأت في الحاج المسلم ذلك المتشرد الذي تلح السلطات على وجوب محاصرته أو هذا المتمرد المتطرف المتعصب الذي يجب حراسته[1]، وما فتئت تقارير و تصريحات المسؤولين الفرنسيين في الجزائر وفرنسا نفسها تصف الحج بأنه فعل أصبح يدل على التعصب الديني و يصنع من الجزائري شخصا يملؤه التطرف والإنغلاق عن الحضارة ومكوناتها، فهاهو الحاكم العام "دوغيدون (De guydon" يصرح معلنا موقفه من الحج قائلا :" **عودتنا التجارب بأنهم يرجعون – أي الحجاج– أكثر تعصبا وأقل إستعداد لقبول سيطرتنا"**[2].

ورغم إجراءاتها القاسية بمنع الجزائريين من الحج أو التجسس عليهم لا سيما في الفترة الممتدة بين(1870 و1920م) فإن فرنسا لم تغفل من جهة أخرى إستغلال شعيرة الحج لخدمة أهدافها الإستراتيجية سواء في الجزائر أو الحجاز بالإعتماد على إصلاحات يبدو ظاهريا أنها تخدم الإسلام والمسلمين وتسهيل متطلبات الحج بالنسبة للجزائريين والمغاربة عموما من حيث النقل والإقامة وغيرها، ففي سنة(1916م) قررت وزارة الداخلية و وزارة الخارجية الفرنسية اللتان تتكفلان بشؤون الحج لدى الجزائريين، قررتا إقتناء عمائر وسكنات لحجاج شمال إفريقيا خاصة المرضى منهم والمتعبون وذلك بإقتراح من السفير الفرنسي في جدة على غرار ما قامت به الحكومات الهولندية والبريطانية لأبناء مستعمراتهما الإسلامية ، وعليه تم شراء عمارات في مكة بينما لم تنجح العملية في المدينة المنورة وقد واجه العملية منذ البداية إشكالية شراء الأراضي التي يتم عليها بناء المشاريع المتعلقة بالإيواء لأن الملاك لن يبيعوا الأراضي لدولة مسيحية وهنا تم التحايل والإستنجاد برجالات الإسلام الفرنسي سابقي الذكر فتم توكيل "قدور بن غبريط" للقيام بذلك،حيث إشترى المبنى وسجله بإسمه[3] وهو الدور الذي جازاه الفرنسيون عليه بتعيينه بعد ذلك بصفة رئيس للجمعية المشرفة على ما سمي ب(رباط المغاربة في الحجاز) والتي عين ضمنها أيضا جزائريان أخران هما

[1] - Luc, Chantre, Le pèlerinage a la Mecque sous la troisiéme République,in,**Cahiers de la Méditerranée**,(N78),2009,p2.

[2] - charle André,Julien, Histoire de l'Algerie contemporaine, edition Casbah,Alger,2010,p171.

[3] - بلغ سعر العقار 125000فرنك فرنسي، بعملة ذهبية وبعد تسجيله باسم قدور بن غبريط في البداية،عادت الحكومة الفرنسية وسجلته تحت صيغة (ملك للدولة الفرنسية) بقرار صادر بتاريخ 60جانفي 1918، أنظر : Pascal, Le Pautermat," La mission du Lieutnant-colonel Brémond au Hedjaz,1916-1917,Op.cit,p23.

"الأغا الحاج الصحراوي"[1] كمندوب مالي و"الحاج مصطفى شرشالي "كعضو عامل إضافة إلى جزائريين أخرين إختارهم "بن غبريط" بنفسه للعمل معه مثل "الحاج كسوس "ككاتب عام و"الحاج علي مالك" أمينا عاما[2] .

ولم تكن عملية الإيواء تلك تخلو من طابع سياسي متعلق بمراقبة الحجاج المغاربة خاصة الجزائريين منهم ومحاولة فصلهم عن أي أطراف مشبوهة تريد الإحتكاك بهم لإثارتهم ضد الفرنسيين عند عودتهم للجزائر ، وفي سنة (1920م) ولتتماشى ظاهريا مع التعاليم الإسلامية تم تحويل مصلحة الفندقة الفرنسية تلك إلى تسمية (أوقاف مؤسسة الحبوس للأماكن الإسلامية المقدسة)(Le Wakf de la Société des Habous des Lieux Saint de l'Islam) والتي يجب التفريق بينها وبين "مؤسسة أوقاف الحرمين" المعروفة جزائريا منذ العهد العثماني فأصل الفكرة الفرنسية تبلور مع الحرب العالمية الأولى و نتيجة للزيارة التي قامت بها البعثة سابقة الذكر إلى الحجاز ما دفع بالإدارة الإستعمارية إلى التفكير في تأسيس إقامة دائمة للحجاج في مكة والمدينة تكون وقفا على مسلمي فرنسا في الحج وكان الهدف من ذلك طبعا تحسين صورة فرنسا في العالم الإسلامي من جهة ومن جهة أخرى تسهيل مراقبة الحجاج القادمين من المستعمرات الفرنسية المسلمة، ولعل فرنسا تأثرت في هذا المجال كثيرا بالتجربتين الإنجليزية والمصرية في مجال إقامة دور للحجيج وفنادق لبعثاتهم إلى الحج [3]، وهكذا ظهر المشروع الفرنسي لبناء ما أطلق عليه بداية " التكايا- TeKKié"، والذي قدم في(9 ديسمبر 1915م)، ثم استبدل بقانون(31 جانفي 1916م) الذي إقترحه النائب "بول بليسن Paul Blyssen" على البرلمان الفرنسي وهو القانون الذي سوف يتحول إلى جمعية "حبوس الحرمين" وبذلك أصبحت هذه المؤسسة هي التي تشرف إبتداء من هذا التاريخ على شؤون حج الجزائريين والمغاربة، ولكن محدودية جوازات السفر التي كانت تمنح للجزائريين والتي عرفت تضييقا جديدا سنتي(1920و1921م) فهي لم تتجاوز 20 جوازا أبانت محدودية الإجراءات الفرنسية وأنها لاتريد خدمة الجزائريين عامة بل فئة محدودة ممن ترضى عليهم إدارتها، وأصبح الوضع أشد تضييقا مابين (1923-1926م) بحجة التوتر الذي تعرفه منطقة الحجاز والخوف على سلامة الحجاج[4]، لينعكس هذا التضييق بمحدودية عدد الرخص الممنوحة للحجاج الجزائريين و بإعتماد مقاييس مشبوهة وغريبة في إختيار الحجاج مما ولد الكثير من الغضب لدى

---

[1] - هو الباش آغا الصحراوي بن الباش آغا محمد بن الحاج، ولد بقرية سيدي خالد سنة 1884، تولى قيادة عرش أولاد سيدي خالد بعد أبيه ، كما اصبح باش آغا على منتطقة جبال عمور، عضو في اللجنة المالية الجزائرية والمحلس الجزائري العلى، ساهم في الجهود المتعلقة ببناء مسجد باريس وشارك في البعثة الحجازية ، عمل كمستشار لدى سلطان المغرب، توفي سنة 1937 ، للمزيد أنظر : عبد الله بن محمد بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف ، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول،نشر دار الذاكر المذكور ، البليدة،2006،ص 103.

[2] - عبد اللطيف الحناشي ،"جمعية أحباس الحرمين الشريفين:من تنظيم رحلات الحج إلى الإشراف على جامع باريس 1916-"1952، **مجلة الدارة**، المملكة العربية السعودية، العدد الثالث، السنة 35،ص 178.

[3] - عبد اللطيف الحناشي ،جمعية أحباس الحرمين ...، مرجع سابق،ص 150.

[4] - LaurentEscande," D'Alger a la Mecque L'Administration Française et le contrôle du pèlerinage (1894-1962",in,(**RHM**),(N95-96),mai 1999,p286.

الجزائريين ، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي واصفا تلك الحالة :" **الحج في الإسلام ركن من أركانه التي بني عليها يشاركها في الركنية والروح والمعنى العام للتعبد.....والحج في نظر الإستعمار أداة مهيأة لإستعباد الأمم الإسلامية التي أوقعها القدر في قضبته، يصرفهم بها في مصالحه ويستخدمهم بسببها في أغراضه ويسخرهم بها كما تشاء أهواؤه، لا كما يشاء الإسلام وتقتضيه حكمته ويجعل من وجوبه عليهم وسيلة لإخضاعهم وإذلالهم....**" [1]

ويتعجب الإبراهيمي من طبيعة إشتراطات الحكومة الفرنسية على الحجاج الجزائريين ، خاصة الشروط المتعلقة بالوضعية القانونية للحاج :" **وأنظر ما تشترطه الحكومة في الحاج تتبين صدق ما قلناه وتعلم أننا غير متجنين عليها ولا مبالغين في نقدها، تقول الحكومة في أول شرطها ما نصه:**

أولا : البراءة من التهم و الإجرامات المدنية والسياسية،يا للعجب.أيكون الإجرام المدني مانعا للحج؟أيكون الإجرام السياسي مانعا للحج؟

وما هو الإجرام المدني؟ إنه السرقة وأكل أموال الناس بالباطل وشهادة الزور،...إلخ ، ولا نقول الزنا وشرب الخمر والقمار، لأن قوانين الإستعمار تبيحها وتعدها من الحلال الطيب...

ثم ما معنى الإجرام السياسي؟ إنه حب الوطن، والعمل على نفع أبنائه وبغض الإستعمار والعمل لمقاومته: فهذا هو الإجرام السياسي الذي تعتبره الحكومة الجزائرية مانعا من أداء واجب ديني، ولا ندري لماذا لم تجعله مانعا من أداء الصلاة والصيام.."

أما بالنسبة لتخوفها من أن يستغل الجزائريون الحج للتشهير بالإستعمار الفرنسي في الجزائر فيواصل الإبراهيمي قائلا :"فإن كانت تعتبره في الحج خوفا من تشهير الحاج السياسي بسياستها والتنديد بها بين المسلمين، فلقد أخطأت التقدير، فإن مسلمي الشرق لا يحتاجون إلى من يندد بسياسة فرنسا وظلمها ولا يحتاجون إلى من يكشف لهم مساوئ الإستعمار الفرنسي فهم يعلمون من ذلك كله فوق ما نعلم لأن من ذاقه منهم ذاق السم الزعاف ومن سمع عنه سمع ما يصم الآذان ويسيل العبرات..."[2]

غير أن هذه الجمعية في آخر الأمر فشلت بوضوح في تأطير وتنظيم عملية الحج لعدة أسباب ومبررات بدء بخطورة الأوضاع الدولية في تلك المرحلة وعلى رأسها الحروب في منطقة الحجاز ثم بسبب عمل بعض المشككين من الإدارة الاستعمارية نفسها والرافضين لهذه السياسة الفرنسية الإسلامية لإظهار هذه الجمعية التي يرأسها رجال دين

[1] - محمد البشير الابراهيمي،" قضية فصل الدين ومن فروع هذه القضية: الحج"، **البصائر** ،ع20،11أكتوبر1947م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثالث ، عيون البصائر ،دار الغرب اللإسلامي،1997،ص73.

[2] - الإبراهيمي ، "قضية فصل الدين ..."المصدر السابق،ص73.

مسلمون بمظهر الفاشل في عيون رعاياها المسلمين؟ في إنتظار طلب إشرافها المباشر على شؤون الحج ومن مظاهر فشلها الواضحة أنها تحولت لمجرد جمعية للإنتفاع وخدمة المصالح الشخصية فهذا "حمدي بلقاسم" رجل فرنسا في الحجاز منذ العشرينيات إلى الاستقلال كان من معارف" قدور بن غبريط" ورغم أنه أُتُّهم في تقارير عدة بخدمة مصالحه الخاصة والإغتناء على حساب الجمعية، هذا الرجل الذي كان ينعت برجل السياسة الإسلامية الفرنسية رغم ذلك لم يتعرض لأي محاسبة أو مساءلة قانونية؟[1]

كما نلاحظ ما لقيته تلك الجمعية ورجالاتها من إنتقادات واسعة ،منها إستغلال الأموال المخصصة لبناء مسجد باريس لمنافعها الخاصة وأن أعضاءها لا يبحثون سوى على النياشين و إهدار المال وهو ما يشير له "المولود الحافظي" بقوله :" **فجميع النفقات فيما ذكر ماعدا ما به قوام المسجد من المباني المتينة وبعض غرف بسيطة تابعة مع ما توسط من الفراش تعد من باب ضياع المال في شريعة مصلحة المساجد الإسلامية لأن عمارة المساجد وإحترامها إنما تكون بالقائمين بها فقط**"[2].

ولا يتأخر" الحافظي" في تحميل "بن غبريط" المسؤولية عن ذلك واصفا إياه ب "الجنرال"مسؤولية ما يحدث داخل الجمعية :"**فكان حقا على جمعية الحرمين أن تتولى تخطيط المسجد وأن لا تكتفي بالبنائين والعمالة المراكشيين الذين لا يهمهم سوى إيجاد صورة المسجد على الطراز المراكشي العتيق....فمن المسؤول حينئذ عن ضياع تلك الأموال الباهضة التي تبرعت بها الأقطار الثلاثة وبلدية باريس في الزخرفة وغرس المنتزهات وجر المياه المتدفقة في حين أن مساجدنا حتى بالعواصم والحواضر أصبحت مأوى لنسج العنكبوت والأوبئة والخراب يهددها؟ اللهم إن المسؤول عن ذلك مباشرة هي الجمعية وعلى رأسها "الجنرال بن غبريط"، فهم رعاة هذا المسجد وكل راع مسؤول عن رعيته..**"[3].

ولم تنس الشهاب في عدد أخر لها تعرض للموضوع أن تذكر الجمعية و مسؤوليها بالمهام الحقيقية المنوطة بهم وهي مهام دينية كبرى تخدم المسلمين في مصالحهم الدينية عوض خدمة "الدولة الفرنسية في مصلحتها السياسية وسمعتها الخارجية...فنغتنم هذه الفرصة لتنبيه أعضائها الموقرين إلى مهمات دينية يجب عليهم القيام بها في هاته الأيام التي هي أيامها.

---

[1] - Pierre jean,Luizard,Le Choc colonial et l'Islam.Politique religieuses des puissances colonials en terre d'Islam,La découvert,Paris,2006,p224, a lire sur le site: http://www.prizeebook.org/1e56wx_pdf-book-choc-colonial-et-l-islam-le.pdf.

[2] - المولود بن الصديق الحافظي الأزهري،" بحث حول جمعية الحرمين" ، **الشهاب**، السنة الأولى ،ع13، الخميس 21 رجب الفرد 1344هـ / 4 فيفري 1926،ص05.

[3] - الحافظي، المصدر نفسه ،ص05.

المهمة الأولى : تسهيل الحج إلى بيت الله الحرام بإستصدار الإذن العام من الحكومة ومفاوضة شركات البواخر وإختيار أحسنها عناية بالحجاج....

المهمة الثانية : تكوين بعثة من أعضاء الجمعية وغيرهم لتحضير المؤتمر الإسلامي الذي سيفصل في أمر الأماكن المقدسة الإسلامية.....

المهمة الثالثة: تكوين بعثة كذلك لتحضُر مؤتمر الخلافة الذي سيعقد بالقاهرة....[1]

وخلاصة الأمر بالنسبة لهاته الجميعة أنه كان من المستبعد لها أن تخرج عما رسمته لها الإدارة الاستعمارية إلى خدمة مصالح الجزائريين الحقيقية كما صورتها الشهاب وكتابها وغيرهم ممن إنتقد هذه الجمعية ، أما "بن غبريط" فقد كان من منتسبي الوظيفة الدينية الرسمية لدى الإدارة الفرنسية الذين لا يعول عليهم كثيرا إلا في صناعة إسلام يناسب السياسة الفرنسية مبني على الخنوع والإنبطاح :"**سي قدور بن غبريط هذا الأخير، ضمن داخل التراب الفرنسي إنتشار إسلام بنزعة وممارسة لا تلتزم بالإصدام والمواجهة السياسية مع القوى الاستعمارية**"[2]. **فهو الذي قال له الشيخ النقشبندي " من المأمول أن تستعيدوا إستقلالكم في يوم من الأيام " وكان ذلك في الحجاز في(1916م) فقال له "بن غبريط" كما شهد صديقه "الشرشالي" :" إننا نحمد الله على أن ميكروب هذا المرض، الإستقلال ، غير معروف عندنا"**[3]

و مما سبق تناوله يثبت بوضوح ذلك الطرح العقيم في محاولة صنع إسلام فرنسي، لم يسهم في تحرير وتنوير الشعوب الإسلامية بل زاد من مسخها الفكري وضاعف من وسائل التدخل الإستعماري في شؤونها حتى العقدية منها ، ولا شك أن الجزائر كانت من أكثر المستعمرات الفرنسية معاناة في ذلك الشأن.

و في ظل هذا التجاذب بين الإسلام الفرنسي المذكور والإسلام الجزائري الحقيقي جاءت قضية أخرى ستثير الرأي العام الإسلامي في الجزائر كثيرا لا سيما نخبته المحافظة ألا وهي قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية اللائكية. وهذه القضية لم تكن مفهومة ربما إلا لدى الساسة الفرنسيين وبعض المسلمين العلمانيين وأنصار الإندماج من النخبة المفرنسة، فيما ترى النخبة المحافظة إستحالة طرفي المعادلة ، فمن جهة لا يمكن القبول بإسلام تنتجه المنظومة الفرنسية الغربية المسيحية، ومن جهة لا يمكن إستمرار الوضع البائس ببقاء المؤسسات والشؤون الدينية تحت سيطرة الإدارة الفرنسية.

---

[1] - لجنة التحرير ، جمعية أحباس الحرمين الشريفين ومهمتها الدينية"، **الشهاب** ، السنة الأولى ،ع19،الخميس 11 رمضان 1344 هـ / 25 مارس 1926م ،ص ص ،2-3.

[2] - Michel, Renard, "gratitude,controle,accompagnement: le traitement du religieux islamique en métropole (1914- 1950)",in : **Bulletin de l'Institut d'histoire du temps présent**,(N83),juin 2004,p21.

[3]- محمد الهادي الحسني ،" مسجد لم يؤسس على التقوى" ، **الشروق** ،ع 4819، الخميس 06 أوت 2015 الموافق ل21 شوال 1436هـ ،ص15.

فعندما توصلت الليبيرالية الفرنسية إلى حسم الموضوع في فرنسا ذاتها سنة(1905م) بفصل الدين عن الدولة، فعلت عكس ذلك في الجزائر فطبقته على الديانتين المسيحية واليهودية وأستثنت منه الإسلام."**فأعادت شؤون الديانتين إلى المؤمنين بهما ولكنها أبقت شؤون الإسلام تحت سيطرة الإدارة الاستعمارية ولم تسلمها للمسلمين. وحجتها في ذلك أن:" الإسلام دين ودولة" ومادمت فرنسا هي الدولة التي تقوم مقام دولة الإسلام فإنها حافظت على شؤونه تحت جناحيها"**[1].

وعندما أكثر القادة المسلمون المطالبة بتسليم شؤون دينهم إلى هيئة منهم، أظهر الفرنسيون دعوى جديدة وهي غياب الجهة التي يسلمون إليها المقاليد الإسلامية. وقد تنازعت في ذلك جمعية العلماء وجهات أخرى في المجلس الجزائري وتيار المرابطين والعلماء الرسميين، وكان ذاك التنازع الذي تغذيه الإدارة الفرنسية نفسها بردا وسلاما على الفرنسيين لأنه برر لهم الإحتفاظ بشؤون الديانة الإسلامية تحت أيديهم[2].

وقد شرح "الشيخ البشير الإبراهيمي" قضية فصل الدين الإسلامي على الحكومة الفرنسية في الجزائر بشكل دقيق ومفصل[3] وخرج فيها بقول فصل يعبر عن موقف الجزائريين وعلماءهم من القضية قائلا :" **سلكت هذه الحكومة الإستعمارية منذ كانت إلى محو الإسلام من الجزائر مسالك شتى، فلما أيقنت أن ذلك لا يتم لها من طريق الشعوذة والترغيب عمدت إلى تشويهه بهذه الأساليب التي مازالت محتفظة بها دائبة عليها إلى الآن، وغايتها من هذه الأساليب ثلاثة أمور : تكوين إسلام جزائري مقطوع الصلة بماضي الإسلام الحقيقي وتكوين مسلمين مقطوعي الأسباب من جميع المسلمين وتكوين طائفة تقوم لها بذلك ممن تسميهم رجال الدين، تنشئهم على الشروط (الوظيفية) وتروضهم على الأساليب الحكومية حتى ينسوا أنفسهم وعلاقتهم بالدين وصلتهم بالأمةوتمتهنهم في مهن أخرى غير الدين حتى يعتقد أنهم يؤدون عملا للحكومة ورجالها لا لله ودينه وأنهم يصلون الركعة لمائة فرنك لا للواجب الديني...خابت الحكومة في الأولى والثانية خيبة ذريعة ، أما في الثالثة فقد نجحت بهذا الجند العاطل المرتزق الذي جندته واصطادته بشبكة المطامع من الأئمة والمفتين**

[1] - أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ، (ج9) (1954-1962)، دار البصائر ، الجزائر ، 2009،ص42.

[2] - نفسه ،ص43.

[3] - أنظر سلسلة " فصل الدين عن الحكومة " المتكونة من أكثر من 26 مقالا كتبها الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر ، أنظر : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثالث ، عيون البصائر ،دار الغرب اللإسلامي،1997،صص 73-173.

والخطباء والمؤذنين و القومة و الحزاب... كورتهم وصورتهم و نقحتهم و حورتهم وعلى المنوال الحكومي دورتهم حتى أصبحوا جزءا أصيلا من الأدوات الحكومية..."[1]

3-3 : الإسلام الألماني مفتاح للتحالف الإستراتيجي وإضعاف للأعداء :

إن ما سبق من حديث حول جهود فرنسا وبريطانيا في مجال إستغلال الديانة الإسلامية لأهداف الحرب ، و إدراكهما لأهمية مستعمراتهما في أي صراع تدخلانه،جعلت ألمانيا هي أيضا تولي أهمية بالغة لقضية الإستفادة من العامل الديني من خلال تحالفها الإستراتيجي مع الدولة العثمانية ومركز خلافة المسلمين ، لتوظف هذا الحلف (المقدس) على حد تعبير الألمان ،كسلاح في حربها ضد أعدائها خاصة فرنسا وبريطانيا وفي محاولة لتحريك هذه المستعمرات الفرنسية والبريطانية على إمتداد العالم الإسلامي والوطن العربي ضدهما عند الحاجة.

وإذا صح أن الحرب العالمية الأولى كانت في الأساس سياسية ،فلم تكن ألمانيا لتشذ عن هذه الإستراتيجية بدورها وهي ترى إقتراب حرب أوروبية فجرها التنافس الإمبريالي المحموم بين تلك القوى الإستعمارية الأوروبية التقليدية لتتحول إلى مواجهة أوروبية بإمتياز، ولكن من الصحيح أيضا إدراك أنها تلونت بطابع شرقي إسلامي منذ إنضمام الدولة العثمانية للصراع إلى جانب دول الوسط(ألمانيا والنمسا وهنغاريا وبلغاريا) سنة (1914م) وبكلمة أخرى أصبح لهذه الحرب جانبها الإسلامي الواضح والجلي بعد إعلان السلطان العثماني "الجهاد المقدس" ضد دول الوفاق الودي المسيحية، بريطانيا وفرنسا وروسيا ولكن مستثنيا من هذا العالم المسيحي و من هذا الجهاد مسيحيين آخرين هم حلفاؤه في دول الوسط.

وهكذا ستحفل هذه الحرب بالنسبة للعرب والمسلمين وبطبيعة الحال الجزائريين بإشكاليات عديدة، منها ظهور ثلاثية للجهاد الإسلامي المقدس ،جهاد عثماني داعم لألمانيا وحلفاءها المسيحيين وجهاد أخر عربي مضاد دعا إليه شريف مكة "الحسين بن علي" المتحالف مع بريطانيا وجهاد شيعي للمرجعيات الدينية في النجف وكربلاء ضد البريطانيين حث عليه الألمان، كما صدرت فتاوى عن علماء مغاربة لمصلحة خلافة إسلامية بشخص "السلطان يوسف" تكون منافسة للخلافة العثمانية، وذلك إستنادا لنسبه الشريف.[2]

[1] - محمد البشير الابراهيمي،"فصل الدين عن الحكومة (7) ،ونعود إلى فصل الحكومة عن الدين"، **البصائر** ،(ع 105) ،30 جانفي 1950م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثالث ، عيون البصائر ،دار الغرب الإسلامي،1997،ص121.

[2] - عبد الرؤوف سنو، الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى،بحوث تاريخية مهداة على منير إسماعيل، بيروت 2002، ص 179.

ورغم أن الألمان قد بدأو في ترتيباهم الدعائية والمرتبطة بتوسعهم في المجال العربي الإسلامي مثلهم مثل الفرنسيين بنظرة خاصة للإسلام (الجهادي) وهو في الحقيقة ما يمكن وصفه بإسلام ألماني ظرفي في حينه، فإن نشوب الحرب العامية الأولى أدى إلى أن تتحول السياسة الألمانية بسرعة نحو إستغلال فكرة الجهاد المقدس لتحريك ثورات وتمردات في المستعمرات الفرنسية والبريطانية خاصة في البلاد العربية والإسلامية بما يخدم رغبتها في الإضرار بمصالح فرنسا وبريطانيا المنافستين لها.

وبذلك يصح القول بأن ألمانيا هي آخر الدول الأوروبية إنغماسا في إشكالية المسألة الشرقية وآخرها أيضا في مجال السياسات الإسلامية المستحدثة بفعل التنافس والحروب حيث سبقتها فرنسا وبريطانيا لذلك بسبب وحدتها المتأخرة (1871م) ودخول المتأخر أيضا للتنافس الإستعماري مع بداية القرن العشرين.

والصحيح أيضا أنها أصبحت أكثر الدول إهتماما بتلك المسألة – المسألة الشرقية– منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وتحديدا منذ وصول "غليوم الثاني" إلى عرش ألمانيا وطرحه شعار تأمين مكان تحت الشمس« Plaz an der sonne» لبلاده مع كل ما حمله هذا الشعار من زحف نحو الشرق ومناهضة الدول الأوروبية الأخرى.

ويشير ظاهر الأمور بوضوح إلى إهتمام ألماني رسمي بالإسلام الذي كانت الدولة العثمانية تدعي تمثيله، أي صفة السلطان العثماني كخليفة على المسلمين وعن طريق إعلان ألمانيا وقيادتها عن صداقتها للإسلام وخصوصا "للسلطان عبد الحميد الثاني" بغرض فتح السبيل أمامها للتغلغل الإقتصادي والتجاري في الدولة العثمانية من جهة ومنافسة الدول الإمبريالية الأخرى سياسيا وخصوصا فرنسا في إدعاءاتها حماية الكثلكة في الشرق من جهة أخرى... وهكذا تحول الإسلام منذ الثمانينيات من القرن التاسع عشر إلى ركن رئيسي في سياسة ألمانيا الخارجية وصراعاتها الدولية بعدما أعلنت صداقتها للمسلمين ونهجت سياسة إسلامية وسعت لإستخدام وإستغلال نفوذها لدى السلطان العثماني لضرب المصالح البريطانية في الهند ومصر وأطراف الجزيرة العربية وكذلك مصالح فرنسا في شمال إفريقيا وبلاد الشام[1].

ففي خريف عام(1914م)كتب السياسي والمستشرق الألماني البارون "ماكس فون أوبنهايم (Max von Oppenheim"[2] الذي كان يعمل في وزارة الخارجية الألمانية بقسم الشؤون الشرقية ، كتب تقريرا بعنوان " إثارة

[1] - عبد الرؤوف سنو، سياسة ألمانيا الإسلامية في حوض البحر المتوسط 1885-1918، ضمن كتاب : العثمانيون والعالم المتوسطي مقاربات جديدة ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ،2003،ص219-220.

[2] - ماكس فون أوبنهايم (1860-1946م) مستشرق ألماني من اصل يهودي قام برحلات إستكشاف إلى المغرب والصحراء الغربية وسوريا والعراق والخليج العربي، وأقام في مصر بين 1896 و1909، وضع إثني عشر مجلدا تضمن تقارير حول كيفية إستغلال ألمانيا الإسلام والجامعة العربية في=

المناطق الإسلامية ضد أعدائنا" ومما جعل فكرة إثارة الشعوب هذه أقرب إلى القبول أن تركيا كانت تطالب بأن يكون سلطانها خليفة على العالم الإسلامي كله . وقد تطلب تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي جمع معلومات دقيقة عن هذه الدول الإسلامية، وبناء عليها تم وضع خطة ذكية للدعاية التي ستؤدي إلى تحريض هذا العالم الإسلامي على الثورة ضد الفرنسيين والإنجليز، وسرعان ما أدركت الحكومة الألمانية أنه لتحقيق هذا الهدف يجب عليها أن تجلب إلى ألمانيا بعض الوطنيين العرب وتجلب بالإضافة إلى ذلك مكافحين من أجل الحرية من إيران والهند وغيرها.[1] ولاغرابة أن تكون النخبة الجزائرية الفاعلة ضمن تيار الجامعة الإسلامية رأس حربة هذه الإستراتيجية كما سنرى.

لقد لعب " البارون ماكس أوبنهايم" دورا محوريا في هذه السياسية الألمانية في البلاد العربية والإسلامية لحد أن" صحيفة "La Gazette de France" في عددها بتاريخ(8 أوت 1906م) إتهمته بأنه من خطط للدخول المنتصر للقيصر الألماني لمدينة طنجة والساعي لتوطيد العلاقات الألمانية مع المغرب بمساعدة الصحفي الإسباني(Ximénés) صاحب جريدة(El Africa Espanola) التي تصدر في طنجة وهو المعروف بعدائه للفرنسيين، وقد كان مراسلا للعديد من الصحف والجرائد الألمانية وهو نفسه الذي طُرد منذ مدة من مدينة وهران لإتهامه بالتجسس لصالح الألمان[2].

وبدأت العديد من الأجهزة والإدرات الألمانية ذات الصلة بالشؤون السياسي والشؤون الخارجية والدعائية في إنتاج وتطوير تصور ألماني خالص للإسلام يختزله في "قضية الجهاد المقدس" حتى قيل أن ألمانيا تُصنع الجهاد.

3- 1 :الجهاد صنع في ألمانيا :

إن دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا وإعلانها الجهاد ضد أعدائها وإنتهاج ألمانيا سياسة إسلامية تقوم على إستغلال هذا الجهاد لمصلحة أهدافها الإستراتيجية جعل للحرب عنوانا عريضا وهو أن الجهاد العثماني "صنع في ألمانيا"[3] مع كل كماحملته سياسة ألمانيا المتحالفة مع الاسلام من مواقف مؤيدة لها داخل ألمانيا وفي العالم

= صراعاتها ضد كل من بريطانيا وفرنسا وقد وضع عدة مذكرات تتعلق بالبتطورات في مصر وشمال إفريقيا ، أنظر : عبد الرؤوف سنو، سياسة ألمانيا الإسلامية في حوض البحر المتوسط 1885-1918...، مرجع سابق،ص229.(الهامش)

[1] - ورنير أنده ، الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي ...، مرجع سابق،ص50.

[2] - Béchir,Tlili,Nationalisme,Socialisme et Syndicalisme dans le Maghreb des années 1919-1934,imprimerie officielle de la republique tunisienne,Tunis,1984,p85,nbp,11.

[3] - من المروجين الرئيسيين لمقولة" الجهاد صنع في ألمانيا" المستشرق الهولندي سنوك هورغرونجيه (1857-1936م): مستشرق هولندي، تعلم العربية وأجادها، أقام سبعة عشر عاماً في خدمة الإستعمار الهولندي، سافر إلى الحجاز لأسباب إستعمارية، وأظهر الإسلام وتسمى ب(عبدالغفار)، وإستطاع دخول مكة، ومكث فيها نصف عام، وقد وصفها وصفاً دقيقاً في كتاب أسماه(مكة وجغرافيتها)، شغل بعد ذلك مناصب قيادية في السلطة=

الإسلامي وأخرى مضادة مشحونة بالتجربة التاريخية بين المسيحية والإسلام أو الاعتقاد بعدم فائدة التحالف مع العثمانيين بالنسبة لرافضي هذا التحالف.

ولتتبع جذور هذا التوظيف والإستغلال يجدر بنا العودة إلى منتصف ثمانينات القرن التاسع عشر عندما ركزت ألمانيا سياستها حول السلطان العثماني بإعتباره خليفة للعالم الإسلامي من أجل مصالحها الاستعمارية الخاصة في أسيا وإفريقيا وقد كان مشروع سكة حديد برلين بغداد[1] أحد أوجه ألمانيا في الجزء الأسيوي كتجسيد لسياسة برية مناهضة للوجود البحري البريطاني في المنطقة.

وضمن سياستها للحفاظ على الدولة العثمانية الحليف الإستراتيجي رفضت ألمانيا سنوات (1895 و1912م) مشروعين بريطاني وأخر دولي لتقسيم الدولة العثمانية ولا شك أن المصالح الإقتصادية هي القاطرة التي كانت تقود هذه السياسة الألمانية أمام التقديرات الألمانية التي كانت تتحدث بإسهاب عن قدرات آسيا الصغرى الإستيعابية للتطور الرأسمالي الصناعي والتجاري الألماني آنذاك.

وجاءت دراسات الكثير من المستشرقين و الإقتصاديين الألمان لتؤكد هذا المنحى وتشجع الحكومة الألمانية على المضي قدما في هذه السياسة ومن أمثلة هؤلاء نذكر مجموعة من المستشرقين أمثال : "ماكس فون أوبنهايم Max von Oppenheim" و"باول روررباخ"Paul Rohrbach" [2] و"أرنست ياكهErnest Jakh" وغيرهم.

ويعتبر "ماكس فون أوبنهايم" كما سبق ذكره من أبرز المستشرقين الألمان الذين لفتوا إنتباه حكومتهم إلى أهمية إستخدام تيار الجامعة الإسلامية وفكرة الجهاد ومنصب الخليفة العثماني لتحريك الشعوب الإسلامية الخاضعة لبريطانيا وفرنسا وروسيا نتيجة لعمله وإستقراره لمدة في الشرق كعالم أثار ودبلوماسي ومعرفته الواسعة بأوضاع العالمين

=الإستعمارية الهولندية الهندية ، للمزيد راجع مقاله الشهير : Dr,C,Snouk .Hurgronje,"The holy War made in Germany ",G.P.Putnam's Sons,New york and London,1915.

[1] - سكة حديد برلين بغداد: بالتركية ((Bağdat Demiryolu :طريق حديدي له أهمية دولية، يربط قارة أوروبا بآسيا الصغرى و الشرق الأوسط، وتمت آخر حلقاته في عام 1940م .ويربط محطة حيدر باشا في أسطنبول، بمحطة البصرة في العراق، و يتصل عن طريق الخطوط البديلة والفرعية بشمال إيران وروسيا وسوريا وفلسطين .ولقد مولته بشكل خاص رؤوس الأموال الألمانية، وتمت أجزاؤه المارة بالأناضول في عام 1896م، ثم ظهر مشروع آخر وبحجم أكبر لمده إلى بغداد، وتكونت شركة لهذا الغرض برؤوس أموال ألمانية، ولم تلبث أن احتجت لدى تركيا دول فرنسا وروسيا، و إنجلترا على الخصوص، والتي رأت في الخط المقترح تهديداً مباشراًلإمبراطوريتها في الهند، فتوقف العمل عدة سنوات بسبب هذهِ الاعتراضات وبعض العقبات الهندسية، ولكن استؤنف العمل في عام 1911م، وأثر ذلك في المنافسات الاستعمارية، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى لم يبق لإتمامهِ إلا الجزء الممتد من محافظة الموصل إلى مدينة سامراء، فبني برؤوس الأموال الإنجليزية خاصة. إذ أصبح لإنجلترا حينذاك نفوذا في العراق، و قد صارت أرض العراق مملكة مستقلة تحت الانتداب البريطاني أول الأمر. أنظر : منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية ،(ط1)،(ج2) ،دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،1999،ص973.

[2] - عمل روررباخ بعد إندلاع الحرب في قسم الأخبار في دائرة البحرية، ثم أصبح سنة 1914 رئيسا لدائرة الشؤون الخارجية في وزارة الخارجية الألمانية.

العربي والإسلامي وإرتباطه بصداقات مع عدد كبير من الشخصيات السياسية والحزبية والفكرية العربية والإسلامية، وبذلك إستطاع أن يكسب ثقة إمبراطور ألمانيا كخبير في أوضاع العالم الإسلامي يمتلك برنامجا واسعا لمناهضة دول الوفاق الودي في مناطق نفوذها وإستعمارها حتى أُطلق عليه "الأب الروحي للجهاد الإسلامي" و"لورانس القيصر" تشبها بلورانس العرب، في حين وصفته الدوائر البريطانية والفرنسية ب"جاسوس القيصر".[1]

وقد كان أوبنهايم وراء الخطاب الشهير الذي ألقاه "الإمبراطور وليم الثاني" في دمشق عام (1898)[2] الذي أعلن فيه عن صداقته للمسلمين في العالم وخليفتهم "السلطان عبد الحميد الثاني" فقد جاء في خطابه قوله: **" إن ما لقينا من الإحترامات والتعظيمات سواء في صورة إستقبالنا هنا و أثناء تجوالنا في المدن العثمانية التي مررنا بها وجرت لنا فيها المراسم الإحترامية خصوصاً مدينة دمشق الشهيرة التي كنا شهدنا فيها مظهر الإستقبال الشائق والقبول اللائق يحملني على أن أرى من الواجبات إبداء الشكر بإسمي وبإسم حضرة الإمبراطورة. فكما أنني متمتع بهذا السرور العميق والإمتنان لهذه المراسم الإحتفالية الشائقة الفائقة كذلك أراني مبتهجاً من صميم فؤادي عندما أفتكر بأنني في مدينة عاش بها من كان أعظم أبطال الملوك الغابرة بأسرها الشهم الذي تعالى قدره بتعليم أعدائه كيف تكون الشهامة ألا وهو المجاهد الباسل السلطان الكبير "صلاح الدين الأيوبي". منتهزاً هذه الفرصة لأن أبين قبل كل شيء بسرور لا مزيد عليه تشكراتي لذي الشوكة لحضرة السلطان عبد الحميد خان. الذي أفتخر بخالص محبته وجميل مجاملته، وليوقن صاحب الشوكة السلطان عبد الحميد خان الثاني و300(مليون من المسلمين المرتبطين بمقام خلافتكم العظمى إرتباطاً قوياً والمنتشرين في جميع أنحاء الكرة الأرضية، أن إمبراطور ألمانيا سيبقى مُحباً لهم إلى الأبد. وها أنا أشرب نخب حضرة صاحب السلطان عبد الحميد خان الثاني**[3].

وفي سنة(1905م) وزع أوبنهايم في بيروت رسما لإمبراطور ألمانيا يظهر فيه رأسه في وسط الهلال الإسلامي كإشارة إلى المركز الذي كانت ألمانيا تسعى لإحتلاله في العالم الإسلامي وفرض الوصاية عليه. [4]

[1] - عبد الرؤوف سنو ،الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي ..،المرجع السابق ،ص 180.
[2] - وصل الإمبراطور غليوم الثاني إلى دمشق مساء يوم الاثنين في السابع من تشرين الثاني 1898، بعد أن كان زار إستنبول وفلسطين.
[3] - محمد كرد علي ، خطط الشام ، (ج3) ، مصدر سابق، ص133.
[4] - عبد الرؤوف سنو ،المرجع السابق ،ص 181.

كل هذه الأمور كانت تريد تأكيد قناعة لدى المسلمين بأن ألمانيا هي دولة صديقة للإسلام تعمل من أجل تحرير الشعوب الإسلامية المستعمرة، والغريب أنه ساد فعلا لدى الكثير داخل البلدان العربية شعور بإمكانية أسلمة إمبراطور ألمانيا وشعبها وبالتالي تقوية الإسلام السياسي تجاه دول الإستعمار المتربصة بالبلاد العربية.

وفي مذكرة [1] أرسلها أوبنهايم لرئيس الوزراء "بتمان هولفيغ" أكد وبقوة على أن الإسلام سلاح يجب أن يستعمل لخدمة المصالح الألمانية فقال " **إن الإسلام سوف يكون أهم أسلحتنا على الإطلاق في الصراع المجبرين عليه ضد إنكلترا ، لأن علينا أن نخوضه بالسكين" وأضاف لقد تمكنا من فرش الأرضية لثورة إسلامية عامة وأن إمبراطور ألمانيا قد " أدرك منذ الوهلة الأولى أهمية هذه اللحظة التي يمكن من خلالها الإستفادة من الشعوب الإسلامية بعدما ثبت في نظر المسلمين إجلاله للإسلام وأظهر لأتباع هذا الدين المودة والمساعدة.."**[2]

وهكذا أصبحت الإستراتيجية الألمانية جاهزة للتنفيذ من خلال مجموعة من الأليات والوسائل المادية والبشرية، فسنحاول تتبع هذه الوسائل ومدى توظيفها للنخبة الجزائرية خاصة المنخرطة منها ضمن تيار الجامعة الإسلامية.

3-2 : مؤسسات وتقنيات الدعاية الألمانية :

2- أ :الدعاية والدعاية المضادة:

قال رئيس الوزراء الألماني "هولفيغ باتمان" قبيل بداية الحرب :" إن على ألمانيا أن لا تحارب سلاح العدو فحسب وإنما عليها أن تصد أيضا دعايته الكاذبة حول ألمانيا والنظرة الخاطئة التي تعطى عنها" مما يعنى أن إدارة الحرب الألمانية كانت تولى أهمية بالغة للجانب الدعائي في هاته الحرب، لذلك ظهرت إلى الوجود في برلين سنة(1915م) مؤسسة هدفها الإشراف على الدعاية الألمانية في البلدان الشرقية والإسلامية بشكل خاص وهي" وكالة أخبار الشرق"(Nachrichtenstelle fur den Orient) برئاسة "أوبنهايم" وإشراف وزارة الخارجية الألمانية والقسم السياسي في قيادة الأركان بشخص "رودولف نادولني" سبق ذلك بأشهر قليلة قيام "أوبنهايم" وعدد من المستشرقين والخبراء بنشاط دعائي متواضع لألمانيا ضمن خمس دوائر وهي : الصحفية والتركية والعربية والهندية والروسية .[3]

[1] - أرسل أوبنهايم ثلاث مذكرات لرئيس الوزراء سنة 1914. تشرح تصوره وخطته المقترحة لإثارة العالم الإسلامي.
[2] سنو، المرجع السابق، ص 181.
[3] - نفسه ،ص 183.

وقد حُصر دور الوكالة في الدعاية بالدولة العثمانية والبلاد الإسلامية فقط كما حُددت مهامها بالتصدي لدعاية العدووالقيام بدعاية مضادة تؤدي إلى تحريض المسلمين في العالم على الثورة ضد دول الوفاق الودي من خلال مبعوثين ألمان إلى تلك البلدان[1] وخصوصا إلى الهند ومصر وشمال إفريقيا والحصول على المعلومات الإقتصادية والسياسية والعسكرية في تلك المناطق وفي الدول المحايدة وإقناع شعوبها وحكامها بوجهة النظر الألمانية، كما يندرج تحت هذا العنوان تشكيك المسلمين بأهداف دول الوفاق الودي من جراء الحرب ومحاولة إحتواء نُخبهم وتوظيفها ضمن هذه الدعاية والدعاية المضادة.

وقد كانت هذه الوكالة تقوم بتحرير الأنباء التي تردها من برلين ثمن نقلها إلى المسلمين بلغات منها العربية، مما جعلها تستخدم مستشرقين وألمان مختصين في ترجمة هذه المواد الدعائية كما أنشأت مكتبة شرقية عن الحرب تتضمن صحفا وكتيبات دعائية عثمانية وشرقية. ولم تستثن الوكالة من مهامها عرض الأفلام الدعائية، ولم يستثن أوبنهايم دور المعلمين الألمان في البلاد العثمانية ودور الشركات كشركة خط برلين بغداد ، لكن الأهم هو دور الطرق الصوفية ومكانة مكة الدينية كمركز للحج،ومنه أولى الألمان إهتماما كبيرا بنشر الدعاية بين الحجيج.

وعليه فقد سار عمل الوكالة في أربعة مجالات رئيسية، جبهات القتال مع العدو التي يحارب فيها جنود مسلمون حلفاء لألمانيا وذلك عبر التشهير بالعدو بأنه يحارب بجنود شرقيين ومسلمين وعملية التأثير النفسي على أسرى الحرب المسلمين في المعتقلات الألمانية لجعلهم يلتحقون بالجيوش العثمانية ثم الإهتمام بنشر الدعاية في الدول المحايدة وفي البلدان الإسلامية الحليفة لألمانيا وإقامة علاقات شخصية مع دوائر شرقية في ألمانيا والدول المحايدة، وأخيرا الدعاية في ألمانيا نفسها من خلال التبرير للرأي العام الألماني حول أسباب التحالف مع دولة إسلامية وهي الدولة العثمانية.

2- ب :معسكر الهلال نموذج الإسلام الألماني :

من ضمن أبرز أدوات الدعاية التي أبدعتها الدعاية الألمانية ، جاء إنشاء ما سمي بمعسكر الهلال أو(نصف القمر) للأسرى المسلين خلال الحرب العالمية الأولى وهو معسكر صغير في منطقة زوسين (Zeussen) بالقرب من مدينة برلين، وقد تم تخصيصه في الأساس لتحويل المسلمين المقاتلين في صفوف الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) إلى جهاديي حرب في صفوف الجيوش الألمانية. فلم يكن المعسكر كغيره من معسكرات أسرى الحرب في التاريخ ، فقد حُجز المعسكر في الأساس للأسرى المسلمين الذين عاشوا فيه حياة فاخرة و أُعطوا كل ما طلبوا لإقامة الشعائر

[1] - أنظر الملحق (رقم10)

الدينية ووُفرت لهم الكتب الدينية وإستطلعوا هلال رمضان وأقاموا لهم مسجدا [1]يعتبر الأول على أراضي ألمانيا وأحضروا لهم قادة ومعلمون دينيون لإلقاء المحاضرات.

فبعد أن سمع القيصر وليام الثاني سمع لكلام أوبنهايم وتعهد بإثارة المسلمين ضد أعدائه قام في الثاني من (أوت 1914م) بعقد معاهدة بين ألمانيا والدولة العثمانية ، وفي نفس الوقت إنتقل أوبنهايم إلى مكتبه في برلين لبداية تنفيذ خطته الدعائية والتي كان أحد محاورها إستهداف الجنود المسلمين في الجيوش الفرنسية والبريطانية بدعاية خاصة تُبرز لهم وجودهم في الموقع الخطأ ، فهم يحاربون مع الطرف الذي يجب أن يحاربوه لأنه يحتلهم ولن يقوم الألمان بأكثر من تهيئة الفرصة لهم للقيام بذلك ، وإن المتصفح لهذه الدعاية لوجد أنها تستهدف بالدرجة الأساسية المسلمين المغاربة (الجزائر وتونس والمغرب) المجندين ضمن القوات الفرنسية أساسا.

وهكذا يتضح لنا كيف تم إستخدام الأسرى المسلمين كرهائن للمشروع الجهادي منذ اللحظة الأولى، ففي بداية نوفمبر عندما أعلن السلطان العثماني عن توقيع الإتفاق مع ألمانيا من على منبر مسجد بالقسطنطينية، لم ينس أن يُذكر حينذاك بأن بريطانيا وفرنسا وروسيا هم أعداء الإسلام وأن على المسلمين بمن فيهم الموجودون ضمن جيوش هؤلاء قهرا التمرد عليهم ومحاربتهم، كما قام السفير الألماني في الأستانة بالإعلان عن نفسه من شرفة السفارة الألمانية في الأستانة محاطا بأربعة عشر من أوائل الأسرى المسلمين لدى ألمانيا والذين كانوا من الجزائر وتونس والمغرب.

"لقد كانت مهمة أولئك الأسرى هي كتابة سيناريوهات باللغة العربية والتركية تَعِدُ الجموع بأن الجهاد الألماني سيصل إلى شمال إفريقيا، ويقال بأن هؤلاء الأربعة عشر أسيرا قد قاموا فيما بعد بحمل أحد حلفاء" أوبنهايم "يدعى "شباينغر" على كرسي وطافوا به في الشوارع لتحريض المتظاهرين على حرق ونهب أي محل مملوك للفرنسيين والبريطانيين، وعندما دخلت حاشية " شباينغر" الفندق الذي يقيم فيه قام شرطي مرافق له بإطلاق رصاصة على ساعة رجل بريطاني عجوز" [2].

ليصف أحد الكتاب الأنجليز يُدعى "روغان" مُعلقا على ذلك :" **أنا واثق أن الألمان قد آمنوا أن الأسرى سيكونون مطيعين عند توجيههم ضد الحلفاء، لقد لعبوا بعقولهم عن طريق الإسلام"** [3].

وقد ساهم هذا الحدث ومثيلاته بتأثير دعائي كبير ، حيث إعتمد معسكر أوبنهايم لأسرى الحرب على هذه الدرجة من الإثارة المدبرة نفسها ، وللعلم فقد إحتوى هذا المعسكر على ما بين (4000-5000) محتجز،

[1] - أنظر الملحق (رقم 11)
[2] - عبد الرؤوف سنو ، الإسلام في الدعاية...، مرجع سابق ، 186.
[3] - نفسه.

وبالرغم من أن جنودا من المسلمين كانوا قد أُحتجزوا في معسكر" وينبرغ" المجاور حيث إمتدت تأثيرات الدعاية إلا أن رمزية معسكر " نصف القمر" قد جعلته يتسم بالوعي الذاتي كمسرح للعالم الأوسع في الخارج على حد تعبير عبد الرؤوف سنو.

كما أخذت الدعاية الألمانية أشكالا متعددة أخرى فقد طُبعت الطوابع البريدية التي تُظهر المساجين وهم يمارسون الرياضة والشعائر الدينية ويشاركون في ذبح الحيوانات للحصول على اللحم الحلال، وكان أكبر إنجازات هذا المعسكر هو المسجد الخشبي المبني على الطراز العثماني والذي تم زخرفة أبوابه المقوسة وكان له منارة واحدة وقبة عريضة، وقد تم بناؤه لإثبات أن ألمانيا صديقة المسلمين، لكن المسجد لم يكن مبنيا على أساس ديني وإنما بنازع دعائي إستكمالا للحملة الدعائية التي تقوم بها ألمانيا، ولم ينس مكتب "أوبنهايم" بنشر شائعات بأن هذا المسجد تم بناؤه من مال القيصر الخاص إثباتا لحسن نوايا الإمبراطور تجاه المسلمين ، ولعل هذا ما ساهم في نشر ظاهرة " الحاج غيلوم المعروفة"[1]،فيما كانت مجموعة من الندوات والمحاضرات تقدم للسجناء فيما أُستغل هذا المنبر في أيام الجمعة لإيصال الرسائل السياسية سواء للمساجين أنفسهم أو لبقية العالم الإسلامي عبر خطب كان يتادول عليها أفراد معروفون بولائهم للدولة العلية وحركة الجامعة الإسلامية من أمثال " الشيخ صالح الشريف" و"الأمير علي بن عبد القادر" و " محمد الخضر حسين "كما وسبق الإشارة إليه.

أمابالنسبة لمدى نجاح هذا المعسكر في تحقيق أهداف الإسترتيجية الألمانية فهناك من يرى فشل مهمته و أن من أسباب الفشل الرئيسة هو العدد القليل للأسرى المسلمين والمبالغة في مدى تأثيرهم على جبهات القتال وأنهم أيضا لم يكونوا متحمسين من الأساس للقتال، فلم يكن من الطبيعي أن تستهدف الدعاية ثلاث دول غربية مسيحية هي فرنسا وبريطانيا والنمسا وتترك دولا مثل ألمانيا وبلغاريا فليس لهذا معنى.

ودائما وعلى صلة بالمجال العسكري فقد إغتنم الألمان فرصة تفوق قدراتهم العسكرية والسمعة الجيدة التي كان يتمتع بها الألمان على المستوى العالمي في مجال تدريب الجيوش لعرض خبرتهم على العديدن من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها بطبيعة الحال الدولة العثمانية.

[1] - نشر العثمانيون الشائعات وسط الناس، بأن ألمانيا اعتنقت الإسلام، وأنها ستقاسم تركيا كل البلاد التي ستفتحها، وربما الأهم والأعجب ان إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني سمي محمدا، وأنه سيذهب إلى الحج، لاداء الفريضة في مكة. ويذكر الباحثون في هذا الشأن، مقطعا من الأهازيج التي كان يرددها الفلاحون حين يتوافدون إلى القدس للخدمة العسكرية "غليوم يا خالنا، بسيفك نأخذ ثارنا". ولتأجيج المشاعر، كانت تبث أقوال مثل أن المسيحيين في حرب البلقان، كانوا يغتصبون المسلمات، ويقطعون أثداءهن ويبقرون بطونهن، ويقذفون أولاد المسلمين في الهواء، ويتلقفونهم بالسيوف والحراب، مما يذكر ببعض ما يتداول من شائعات فى بعض البلدان فى أولى سنوات القرن الواحد والعشرين. أنظر : أسامة العيسة ، "كيف أصبح إمبراطورألمانيا خالد المسلمين" ،**مجلة إيلاف الإلكترونية** ،ع 4605 الإثنين 30 ديسمبر 2013،ص12.

فمثلا عند قيام الخبراء الألمان بتحديث الجيش المخزني المغربي في عهد "السلطان عبد الحفيظ" قام هؤلاء المدربون إضافة إلى مهمتهم الرسمية بالدعاية لأفكار«تركيا الفتاة» و قد كتب في هذا الشأن بعض هؤلاء الضباط قائلين:"**بينما كنا نقوم بتحديث الجيش السلطاني أسسنا في الوقت ذاته منظمة بإسم" الشبان المغاربة" والتي إنخرط فيها أيضا جزائريون وتونسيون ومصريون،وكان هدف هذه المنظمة هو تقوية الشعور الوطني في البلاد ودعم الجيش"**[1].

2-ج : الصحافة وسيلة للدعاية الألمانية في البلاد العربية والإسلامية :

أما بالنسبة للصحافة فقد اعتمدت الوكالة السابقة الذكر على الصحف الإسلامية التي تأسست في برلين منها صحف" العهد" و"الرأي العام"و"الشرق" و"الإتحاد العثماني" كما كانت تدعم ماليا العديد من الصحف في البلاد العربية المعروفة بدعمها للسياسة الألمانية العثمانية ، كصحيفة "جورنال دي بيروتjournal de Beyrouth" وعملت القنصلية الألمانية في حيفا على تقديم دعمها المالي لصحيفة "المهاجر" التي كانت تصدر لمصلحة الجالية الجزائرية في دمشق، كما تقربت الوكالة إلى "محمد كرد علي" صاحب "المقتبس" وعملت على نقل "جريدة المفيد" ل"عبد الغني العريسي" من بيروت إلى دمشق بسبب قوة تأثيرها على الرأي العام.[2]

وبهدف تفعيل الدعاية بين المسلمين جاء إنشاء "مجلة الجهاد" (EL DSCHIHAD)[3] التي ظهرت في شهر (مارس 1915م) وطبع منها أكثر من 15 ألف نسخة، وقد صدرت بلغات شرقية مختلفة ومنها العربية ولم يكن المقصود بإصدار هذه المجلة توزيعها على الجبهة أو في الدول الأجنبية بل كان توزيعها يقتصر فقط على الأسرى المسلمين فقط و تم تأليف هيئة التحرير فيها من فريق من المستشرقين الألمان وهم : "هربرت مولر" وعالم الهنديات "هلموت فون غلاسناب" و"البارون رانتزاو" و"البروفيسور شباتز"، كما إستعان الألمان ببعض الشخصيات الإسلامية للتحرير في المجلة المذكورة ومنهم "عبد العزيز جاويش" و"صالح شريف" و"محمد الخضر حسين" و"منصور رفعت" وكان بعض هؤلاء يزور معسكري الإعتقال من وقت لأخر لإلقاء المحاضرات والخطب على الأسرى.

أما الهدف الرئيسي لجريدة " الجهاد" كغيرها من وسائل الدعاية الألمانية فهي أن تنقل أخبار الحرب عارضة إنتصارات الألمان على أعدائهم وما تقدمه ألمانيا من مظاهر الإحترام للسجناء المسلمين دون أن تنسى في معظم

[1]- Jean deny, " instructeurs turcs au Maroc sous Moulay Hafidh" ; in Mémorial de Henri Basset : Nouvelles études nord- africaines et orientales ;Pub de l'institut des Hautes Etudes Marocaines,tomes17,lib,Orientale PaulGeuthner,Paris,1928,p224.

[2] - عبد الرؤف سنو، الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق...،المرجع السابق ،ص 185.

[3] - أنظر الملحق (رقم12)

أعدادها أن تنشر بيانات وفتاوى يوقعها أولئك الشيوخ والعلماء المسلمين سابقي الذكر ومنهم شخصيات جزائرية بارزة ك"صالح الشريف" و"الصفائحي" وغيرهم تدعو المسلمين للثورة على مستعمريهم الفرنسيين والإنجليز والهروب من الجيش الفرنسي والإنجليزي والإلتحاق بألمانيا حيث سيلقون كامل الإحترام والتقدير.

2– د : إستقطاب الرموز القومية والإسلامية الكبرى :

كان "الأمير شكيب أرسلان" من الشخصيات العربية البارزة التي حظيت بزيارات رسمية متميزة إلى ألمانيا كزيارته لها سنوات(1917و 1918م) بصفته نائبا في مجلس الأمة العثماني مبعوثا من الحكومة التركية.

فقد تم إستقباله إستقبالا حافلا و عومل معاملة خاصة وسبب ذلك أن الحكومة الألمانية قد رأت على ما يبدو في فيه عنصرا عربيا هاما لمساندة وتقوية السياسة التركية تجاه لشعوب العربية.[1]

وكنا قد أشرنا فيما سبق للعلاقة القوية للأمير شكيب أرسلان مع العديد من الشخصيات الجزائرية والإسلامية البارزة مما يجعله ورقة رابحة وقوية في نظر السلطات الألمانية وأجهزتها الدعائية بشكل خاص.

أما الوطنيون المصريون والمغاربة الذين أقاموا بألمانيا في ذلك الوقت ،طالت إقامتهم فيها أم قصرت فكانوا يساندون وجهة النظر التركية الألمانية بالتحريض على الثورة في المحميات والمستعمرات الإنجليزية والفرنسية.. حيث كانت ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى هدفا لزيارة الكثير من الوطنيين العرب وعلى سبيل المثال فقد عاش الدكتور "رفيق مصطفى كامل" مكافحا في برلين ولاجئا سياسيا حتى توفي بها في (سبتمبر 1913)..بينما إتخذ بعضهم من سويسرا مقاما لهم ومن هناك شنوا أثناء الحرب حملاتهم في الصحافة، وقد فضل هؤلاء الإقامة في سويسرا لعاملين إثنين: الأول موقف سويسرا المحايد والعامل الثاني هو وجود صحافة سويسرية حرة باللغتين الفرنسية والألمانية، لا سيما وأن هذه الصحافة كانت تُوزع في كل أنحاء أوروبا وقد يصل بعضها ولو سرا لدول شمال إفريقيا.

وفي جنيف تمكن" محمد باش حامبه" من سنة(1916 إلى غاية 1918) من إصدار "مجلة المغرب" Revue du Maghrib" باللغة الفرنسية، أما "مجلة الشرق الجديد Der Nene Orient" التابعة لوزارة الخارجية الألمانية فكانت تقوم بنشر عدد هائل من رسائل القراء ومقالات هؤلاء الوطنيين العرب الذين كانوا يعيشون في سويسرا، وكثيرا ما يصعب معرفة الشخصيات الحقيقية التي كانت تحرر هذه الرسائل والمقالات لأنها كثيرا ما كانت

[1] - ورنير أنده ، الوطنيون العرب ونشاطهم ...، مرجع سابق ،ص51.

تحمل أسماء مستعارة ولكنها كانت على العموم تحمل نفس الرسائل المناهضة للإستعمار الفرنسي والإنجليزي وتدعو للثورة عليه كما تدعو لدعم الموقف العثماني- الألماني بكل الوسائل المتاحة.

ولم يُهمل الوطنيون المغاربة وعلى رأسهم تلك النخبة الجزائر العالمة ضمن تيار الجامعة الإسلامية مغربا ومشرقا من إستغلال هذه المساعدة وعملوا على نشر أفكارهم في الأقطار الإسلامية خاصة منها المغاربية وساعدتهم الدعاية الألمانية في إيصالها إلى أوساط المسجونين المغاربة بما وفرتها لهم من وسائط دعائية وعلى رأسها الصحافة المكتوبة.وقد نشر هؤلاء المنفيون في دول أوروبا كألمانيا وسويسرا الكثير من مقالاتهم وحتى كتبهم كما عرفنا سابقا مع الشيخين "صالح الشريف" و" إسماعيل الصفائحي" و" بوكابوية" وغيرهم كما شنوا الحملات العنيفة على الإستعمار الفرنسي والانكليزي معا كما فعل "محمد باش حامبه" صاحب مجلة (المغرب) الأسبوعية[1] و زادهم حماسا تصريحات الحكومة الألمانية وإلحاحها على منح الشعوب المستعمرة الحق في نيل إستقلالها ما سلب منها ظلما وعدوانا.

كماشارك "محمد باش حامبه" إلى جانب الوفد المصري في مؤتمر القوميات الثالث المنعقد في (جوان 1916م) بمدينة لوزان السويسرية أين عرض مطالب الجزائر وتونس وركز على ضرورة منحهما الإستقلال الكامل وإسترجاع حقوقهما المغتصبة، وفي نفس السياق الدعائي حضر وفد مغربي جزائري تونسي أخر برئاسة "الشيخ محمد العتابي" و"صالح الشريف" و"إسماعيل الصفائحي" إلى جانب ممثلي الدول الإسلامية الأخرى أمام "مؤتمر اللجنة الهولندية السكندنافية" المنعقد في شهر (نوفمبر 1917م) بمدينة ستوكهلم وطالبوا فيه بإستقلال بلدانهم دون شرط.بل إنهم هددوا فرنسا بتنظيم ثورة مسلحة ضدها بعد أن ذكروها بوعودها خاصة منها تصريحات السيد ريبو (Ribot)، الناطق باسم الجمهورية الفرنسية "بأن فرنسا تقاتل فقط من أجل حقوق الشعوب"[2].

وفي أواخر سنة(1918م) تكونت لجنة جزائرية تونسية في المهجر من السادة "صالح الشريف" و"محمد الخضر حسين" و"محمد مزيان التلمساني" و"محمد الشيبي التونسي" و"محمد بيراز الجزائري" و"حمدان بن علي الجزائري" و"محمد باشحامبه" وبعثت لائحة بإسمها إلى مؤتمر فرساي طالبت فيه بمنح هذين البلدين حق تقرير مصيرهما ثم حررت رسالة إلى الرئيس الأمريكي ولسن في (2جانفي) ألحت عليه فيها بإحترام مبادئه وتطبيقها بعدالة على شعبي الجزائر وتونس.[3]

[1] - كانت تصدر بجنيف إبتداءا من سنة 1916م باللغة الفرنسية ، ودافعت عن حقوق المغرب العربي.
[2] - يوسف مناصرية ، الحزب الدستوري ...،مرجع سابق ص44-45.
[3] - نفسه ،ص45.

ومن الجزائريين البارزين الذين كانوا ينشطون بحماس كبير لتحرير المغرب لعربي نذكر "الشيخ الخضر حسين" الذي كان يعيش في دمشق سنة(1912م) ثم رحل منها إلى إسطمبول، ومن هناك رحل إلى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى ليكتب مقالات عديدة في الكثير من الصحف الصحف للتأثير بها على الأسرى المسلمين الذين وقعوا في قبضة الألمان والذين كانوا قبل ذلك يعملون في الجيوش الإنجليزية والفرنسية والروسية ولكن "الشيخ الخضر الحسين" لم يحظ لدى الرأي العام الألماني بتلك الشهرة التي كان يتمتع بها "الشيخ صالح الشريف" الذي إنتقل من تونس إلى إسطبول قبيل إندلا ع الحلاب العالمية الأولى ثم توجه بدوره إلى ألمانيا في نوفمبر أو ديسمبر سنة 1914..

وقد حظيت معظم نشاطاته على الجبهات وداخل ألمانيا من خطب ومحاضرات ومؤلفات بتغطية واسعة ،فقد ذكر الدبلوماسي الألماني" البارون شابنجر Schabinger" في مذكراته أنه ترجم أثناء الحرب العالمية الأولى إلى اللغة الألمانية كتيبا للشيخ صالح الشريف عن الجهاد في الإسلام وظهر هذا الكتاب في برلين عام(1915م).

وللعلم فقد رافق شبانجر "الشيخ صالح الشريف" إلى الجبهة الغربية حيث وجه الشيخ صالح عن طريق مكبر الصوت نداءا إلى الجنود والضباط المسلمين وحثهم على الهروب واللجوء إلى الطرف الألماني. وفي برلين ألقى "الشيخ صالح الشريف" مرة محاضرة أمام جمهور منتخب من الألمان ومرة أخرى أمام الدبلوماسيين الأجانب، مما يعني تعامله المباشر مع الطبقة السياسية من الدرجة الأولى في ألمانيا وهو ما لم يُتح مثلا ل"محمد الخضر حسين" أو "الأمير علي"وهو ممن ثبت وجودهم في برلين عدة مرات بهدف زيارة معسكر الهلال الذي عادة ماكانت السلطات الألمانية تدعو إلى زيارته هذه الشخصيات المعروفة في إطار سياستها ، وكان ذلك أحيانا برفقة "الأمير عبد المالك الجزائري" كما حدث سنة 1916م مما جعل السلطات الفرنسية تندد بهذه الزيارات التي تعتبر نفسها مستهدفة بها بالدرجة الأولى وقد إتهمت على سبيل المثال "الأمير محمد سعيد الجزائري" إبن "الأمير علي" بأنه قصد ألمانيا سنة (1916م):" **ليفسد عقول الجنود المغاربة ويقنعهم بالقتال إلى جانب تركيا وتوجيه أسلحتهم ضد الفرنسيين."**[1]

غير أن هناك جزائريا ممن كانوا أقل شهرة ولكنهم قدموا قدرا أكبر من التعاون مع الألمان وهو المدعو الملازم "الحاج عبد الله" (رابح بوكابوية)[2] والذي يُعد من أبرز الجزائريين الفاريين من الجيش الفرنسي فبعد فراره رفقة عدد

[1] - صادق سلام ،فرنسا ومسلموها ، مرجع سابق ،ص200.

[2] - المعروف باسم الحاج عبد الله، ابن أحد الأعيان ولد في مليلة سنة 1871م، كان مؤمنا بالإندماج في الجمهورية ،عندما عُين مدرسا بعد تخرجه من مدرسة المعلمين ببوزريعه، وقد قدم إستقالته وإنخرط في الجيش حيث رقي بسرعة ،تردد على الدكتور موسى وعلى الحامي مختار اللذين كانا يدافعان عن برنامج حركة " الشباب الجزائري" في مقاطعة قسنطينة ،في بداية الحرب فر من الجيش مع بعض الضباط المساعدين والجنود الجزائريين، ألف كتابا بعنوان الإسلام في الجيش الفرنسي، تحول إلى أداة أساسية للتأثير على نفوس المسلمين، كما نشر عدة مقالات ندد فيها على الأخص بالدور الذي لعبه قدور بن غبريط بدأ من عمله في طنجة ودوره في بعثة الحجاز 1916.أنظر : صادق سلام ، فرنسا ومسلموها ،مرجع سابق ،ص211.

كبير من الجزائريين أصبح يكتب صفحة خاصة في "مجلة الجهاد" التي كانت تنشر في معسكر الهلال ينتقد فيها الإستعمار الفرنسي إنتقادا شديدا ويدعو إخوانه المسلمين للجهاد في صفوف الجيش العثماني ،كما ألف كتيبا بعنوان (L'Islam dans l'armée Française) دعا فيه الجزائريين إلى معارضة فكرة الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي والثورة ضد فرنسا،كما ألف كتيبا أخر يشمل نفس الأفكار بعنوان (Les Musulman de l'Afrique du Nord et le djihad) .او كتاب (les Soldats Musulmans au service de la France)[1] جاء في صفحته (67) رد على من يتهمه بخدمة الدعاية الألمانية " **إن السجناء المسلمين ليسوا بحاجة إلى دعاية من هذا النوع ، إن قلوب الجزائريين هي مليئة بما يكفي من الكراهية نحو الطغاة الذين يستعبدونهم..."**[2]

كما نشر مقالتي نقد وهجاء للفرنسيين وسياستهم الإستعمارية في عام (1915م) ومقالتين أخريين بعد ذلك.كان يعبر فيها بشكل خاص عن تظلمات الجنود الرتباء من الجزائريين الذين آلمهم التجسس المتكرر الذي كان مسلطا عليهم ويهاجم الضباط و المسؤولين المناوئين للعرب ويطلقون على جنودهم إسم (الناز) تحريفا لكلمة (الناس) وتعني المخابيل بالفرنسية. كما كان يطلق في هذه المقالات النداءات الملتهبة داعيا المسلمين من أبناء المغرب العربي وخاصة الجزائريين منهم إلى التمرد والفرار من الجيش الفرنسي.

و يبدو أنه ورغم إخلاص العديد من الشخصيات الإسلامية في خدمة الدعاية الألمانية ومنهم العديد من الجزائريين أملا منهم في أن يساهم ذلك في تحرير بلدانهم من الإستعمار الفرنسي أو البريطاني فقد تشكك بعضهم ،كما فعل صالح الشريف في السياسة الألمانية نتيجة غموض موقفها في شأن مصير المستعمرات عند نهاية الحرب ففي سنة (1917م) أرسل رسالة إلى القيصرالألماني يطلب منه فيها أن يقوم بتصفية كل مستعمراته الألمانية حتى يستطيع أن يقدم للعالم الدليل على حسن نواياه ويبدو أن القيصر لم يرد على هذه الرسالة.

وبذلك تبين لصالح الشريف وزملائه الوطنيين أن التعاون مع ألمانيا له حدود لا يمكن تخطيها. ويعزو العديد من الباحثين فشل هذه السياسة الألمانية التي تم إعتمادها أثناء الحرب العالمية الأولى وإستمرت خلال الحرب العالمية الثانية مع وصول النازيين للسلطة وأنه لم يكتب لها النجاح لعدة أسباب:

[1] - أنظر الملحق (رقم 13)

[2] - Boukabouya Hadj Abdallah,les soldats musulmans au service de la France,librairie Nouvelle de Lausanne, Lausanne, 1917, p67.

1- تركيز الدعاية الألمانية من بين مضامين الجامعة الإسلامية بين المسلمين على ضرورة إطاعة السلطان – الخليفة – في وقت تجاوزت فيه المشاعر القومية للعرب مغريات هذا النوع من التضامن الديني والولاء السياسي.

2- تمكن بريطانيا من إحتواء كل مخططات ألمانيا ودعايتها وتطويق التحالف الألماني – العثماني عير سلسلة من الإتفاقات مع العرب أو إعطاء الوعود لهم كما حدث مع الشريف حسين .

3- تصوير الكثير من الحركات الإسلامية الإصلاحية التحررية على أنها حركات تعصب ديني ضد أوروبا المسيحية، إلا أنهم يحتاجون لتعصبها في صراعهم مع دول الوفاق.

4- في الوقت الذي كان الألمان يعملون فيه على إستقطاب الإسلام وجعله أداة في حربهم كانوا يخططون من أجل المكاسب الاقتصادية التي سيجنونها من المنطقة.

3-4 :إندلاع الحرب الأولى بين ضرورة التجنيد وتوظيف النخبة الجزائرية

مع قيام الحرب العالمية الأولى تزايدت الحاجة لتسريع عمليات الدعاية المختلفة لدى كل طرف من جهة، ولضرب إستراتيجيات الطرف الأخر المعادي من جهة أخرى ، ولذلك وجد الألمان في إصدار الفرنسيين في الجزائر لقانون التجنيد الإجباري وما ولده لدى هؤلاء من ردود مناهضة وقوية فرصة لتحريك الجزائريين عبر نخبتهم العاملة معهم ضد هذا القانون وإبراز ما يحويه من تمييز عنصرى وحتى تصادم مع بعض التشريعات الإسلامية التي تُحرم أن يُقاتل المسلم أخا له في جبهات القتال ، وتمنت ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية أن يكون صدور هذا القانون الشرارة التي ستشعل ثورة عارمة ضد الفرنسيين في الجزائر ، أما الفرنسيين فهم بدورهم كانوا يدركون خطورة الوضع وتربص الألمان بهم ، فأخضعوا الجزائريين في هذه الفترة لمزيد من التضييق والمراقبة وإصدار المزيد من القوانين الجائرة ولم يتأخروا بدورهم في تحريك أجهزتهم الدعائية وتحريك النخبة الموالية لهم في الجزائر لتمرير هذا القانون والرد على إدعاءات الألمان السابقة الذكر.

وهكذا أصبحت الجزائر غداة الحرب العالمية الأولى مسرحا واسعا لدعاية ألمانية- عثمانية ، تقابلها من جهة أخرى دعاية فرنسية تُستخدم فيها كل الوسائل المتاحة تحت شعار " الغاية تبرر الوسيلة".

4- 1 :الدعاية العثمانية- الألمانية ضد التجنيد الإجباري وأثرها على الجزائريين

مع إندلاع الحرب الكونية الأولى (1914-1918م) لم تتأخر الادارة الاستعمارية في الجزائر عن فرض حالة الطوارئ القصوى والرقابة الشديدة على الجزائر و الجزائريين توقعا منها لأسوأ الإحتمالات، ووسط رعب

فرنسي من أن يستغل الجزائريون الحدث للثورة على فرنسا وهي التي لم تغب عنها ذكريات ثورة (1871م)[1] بعد الحرب الفرنسية – البروسية سنة(1870م)[2] فرغم الحرب ومقتضياتها و رغم تعرض التراب الفرنسي نفسه للحرب فإنه لايمكن لفرنسا في أي حال من الأحوال التفريط في مستعمراتها وعلى رأسها الجزائر، جوهرة المستعمرات الفرنسية في نظر دهاقنة الإستعمار الفرنسي.

والواقع أنه ومع إندلا ع الحرب العالمية الأولى ،إزداد غليان وعداء الجزائريين لفرنسا بشكل واضح ومتوقع فقد أصبحت الجزائر قبيل وخلال الحرب مسرحا لكثير من الدعاية العثمانية– الألمانية في مواجهة الدعاية الفرنسية ،وقد نشطت هذه الدعاية منذ البداية مستقطبة الجزائريين عامة ونخبهم بشكل خاص ، معلنة أن هدفها هو "مساعدة شعوب شمال إفريقيا على تحرير بلدانهم من الإستعمار الفرنسي الكافر".

وفعلا وجدت هذه الدعاية لها صدى بين الجزائريين ففي (ديسمبر 1914م) طالب سكان مدينة قسنطينة بعودة أراضيهم التي كانت قد صودرت بعد ثورة (1871م) فقد تحدوا الكولون بأنهم سيسترجعون أراضيهم

---

[1] - ثورة 1871م في الجزائر : أو ثورة المقراني في 16 مارس 1871م، بعد أن كان قد قدم استقالته من منصبه كباشاغا للمرة الثانية في 27 فبراير 1871، وما ميز مرحلة الانطلاقة الفعلية هو إعادته شارة الباشاغوية آنذاك إلى وزارة الحربية والمتمثلة في البرنوس الخاص بها، وبداية عقد اجتماعاته مع رجالاته وكبار قادته وكان آخرها الاجتماع ذو الطابع الحربي الموسع المنعقد في 14 مارس 1871، وفي 16مارس بدأ زحفه على مدينة برج بوعريريج على رأس قوة قدرت بسبعة ألاف فارس قصد محاصرتها والضغط على الإدارة الاستعمارية الجديدة.

بعد محاصرة مدينة البرج انتشرت الثورة عبر العديد من مناطق الشرق الجزائري ,حيث وصلت إلى مليانة وشرشال ،و إلى جيجل والقل , وكذلك الحضنة والمسيلة و بوسعادة,ومنطقة التيطري العذاورة و سور الغزلان، يضاف إليها كل من توقرت وبسكرة وباتنة وعين صالح. وقد لعب ابن الشيخ محمد امزيان بن علي الحداد دورا بارزا إلى جانب المقراني, واستطاع إقناع والده بإعلان الجهاد في 08 أفريل 1871 وهو ما سمح لبعض الأتباع من الإخوان الرحمانيين بالانضمام إلى صفوف الثورة وأصبحوا قوتها الضاربة حيث خاضوا مع الباشاغامحمد المقراني عدة معارك انتصروا فيها على جيوش العدو الفرنسي، وتعتبر معارك المقراني، وأخوه بومرزاق والشيخ عزيز بالإضافة إلى الإخوان الرحمانيين من المعارك التي أثبتت لقادة الاستعمار توسع رقعة هذه الثورة التي لم تكن محصورة في مجانة أو البرج بل وصلت إلى دلس وتيزي وزو و سور الغزلان و العذاورة وذراع الميزان والبويرة ووصلت إلى مشارف الجزائر العاصمة ، حققت هذه الثورة انتصارات كبيرة أخافت الإدارة الاستعمارية وأصبحت تشكل خطرا على مصالحها ومستوطنيها في المنطقة.

رغم قوة الشيخ الحداد وابنه عزيز في التعبئة العامة للجهاد ودور أتباعهم من الرحمانيين إلى جانب دور كل من الباشاغا محمد المقراني وأخيه بومرزاق إلا أن الخلافات عادت لتطفو على السطح وقد غذتها الإدارة الاستعمارية بطرقها الخاصة بعد استشهاد بطل المقاومة الباشاغا في محمد المقراني معركة وادي سوفلات قرب عين بسام في 05 ماي 1871 على يد أحد الخونة التابعين للإدارة الفرنسية.

[2] - الحرب الفرنسية – البروسية –(1870-1871م)، حرب قصيرة الأمد نشبت بين القوة المسيطرة في أوروبا آنذاك وهي فرنسا وبين القوة الفتية الصاعدة بقوة حينها والمنتشية بهزيمة النمسا في حرب الأسابيع السبعة ,فظهور بروسيا كقوة ألمانية قيادية تسعى لتوحيد الأمصار الألمانية مدعاة تخوف وتوجس للإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث كما كان لرغبة القائد بسمارك رئيس وزراء مملكة بروسيا في توحيد الأمة الألمانية دور كبير في اندلاع هذه الحرب الأوروبية لإدراكه سهولة إمكانية خلق وحدة ألمانية حينما يتعلق الأمر بمجابهة النفوذ الفرنسي. وبعد ضمان بسمارك حياد الأطراف الأخرى ذات القوة العسكرية مثل الإمبراطورية الروسية والمملكة البريطانية وإيطاليا ,باشر تحضيرات حرب مع الفرنسيين إتسمت بالإتقان من الجانب البروسي وغياب الكفاءة من الجانب الفرنسي.إنتهت الحرب بهزيمة فرنسا وتوحيد ألمانيا بقيادة بروسيا، أنظر : عبد العزيز نوار ، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى ،(ج1)، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999،صص 243-250.

بمساعدة ألمانيا، ويقال بأن الجزائريين عبروا بوضوح عن فرحتهم الكبيرة بإنتصار القوات التركية في معركة غاليبولي سنة (1915م) بل وأنشدوا بالمناسبة أناشيد معادية لفرنسا وهللوا لإنتصار الملك وليام الثاني على الفرنسيين. [1]

ولا شك أن الحرب العالمية الأولى قد منحت فرصة ثمينة للدولة العثمانية لتأكيد أو على الأقل محاولة إستعادة نفوذها الروحي والديني في العالم الإسلامي خاصة داخل تلك الأقاليم و الولايات التي فقدتها في ظل الحركة الإستعمارية من جهة ولخلط أوراق الدول الأوروبية المعادية لها ولحلفائها في الحرب عن طريق تحريك العالم الإسلامي ضد هؤلاء الأعداء بدواعي "الجهاد المقدس" خاصة دول شمال إفريقيا، وبشكل أخص الجزائر وتونس.

ومنه يتضح لنا أن الهدف الإستراتيجي والعسكري لألمانيا بالدرجة الأولى كان خلق صعوبات ومشاكل للعدوين فرنسا وبريطانيا اللتان تحتلان أجزاء واسعة من البلاد العربية والإسلامية و التي كان بعضها تابعا للدولة العثمانية يوما ما ، ولا شك أن في ذلك تأثير على مسار الصراع وموازين الحرب عندما نعلم ما تمثله تلك المستعمرات خاصة مُستعمرة الجزائر بالنسبة لفرنسا وما توفره من مجال حيوي إستراتيجي ومستودع كبير للمقاتلين والعتاد.

وتحت شعار كسب الحرب بأي ثمن و ضمن مبدأ الغاية تبرر الوسيلة لم تتوان الدولة العثمانية في هذا الإطار من إستخدام سلاح الفتوى كخصوصية إسلامية معروفة لما تجده الفتاوى الدينية الصادرة عن هيئات أو شخصيات دينية مؤثرة داخل المجتمعات الإسلامية قديما و حديثا، ومحاولة منه لإستغلال سرعة تأثير العامل الديني داخل مجتمعات دول المغرب العربي ومنها الجزائر وتونس ، وهي التي ما فتئت لا تفصل إستعمارها وإحتلالها عن إطار الحروب الصليبية المتواصلة و التي يمثل الصراع الديني أوسع جبهاتها وفي أقل من ثلاث سنوات برز الطابع الديني الإسلامي للدولة مرة أخرى واضحا قويا عقب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى في(5 نوفمبر 1914م) إلى جانب دولتي الوسط ، ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية ضد روسيا و إنجلترا و فرنسا . ولم تكد تمر ساعات محدودة على دخول تركيا الحرب حتى صدرت فتوى من شيخ الإسلام في أستانبول ثم لحقت بها فتوى أخرى أصدرها "السلطان محمد رشاد الخامس" بصفته الخليفة ثم أعقبتها فتوى ثالثة وقع عليها شيخ الإسلام وثمانية وعشرون من كبار العلماء ذوي المناصب الدينية الكبرى، ومن دراسة تحليلية لمضمون هذه الفتاوى الثلاث تتضح لنا عدة حقائق أهمها :

أولا : أن هذه الفتاوى الثلاث موجهه إلى جميع المسلمين في بقاع الأرض سواء الذين يعيشون تحت حكم الدولة العثمانية أو الخاضعين لحكم الدول"عدوة الإسلام" روسيا وبريطانيا وفرنسا.

[1] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الحركة الوطنية ...(ج2)، مرجع سابق ،صص 205-206.

ثانيا: إن الحرب التي تخوضها الدولة العثمانية هي حرب دينية تستهدف تحرير المسلمين..

ثالثا : دعوة جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الإتحاد والاشتراك للدفاع عن الإسلام والأماكن المقدسة في مكة والمدينة.

رابعا : إن الجهاد الديني فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل.[1]

4-2 : مضمون الدعاية الألمانية وأدواتها خلال الحرب العالمية الأولى في الجزائر:

تشير العديد من الدراسات أن الدعاية الألمانية المضادة لفرنسا في الجزائر قد سبقت إندلاع الحرب فعليا سنة (1914م)حيث ذكر"جوزيف ديسبارمي "Desparmet"في دراسة له :" **أن ألمنة (Germanisation) الجزائر قد بدأت منذ الخمسة عشر سنة الماضية"[2]، عن طريق جواسيس ألمان ترددوا على الجزائر في السنوات السابقة للحرب وهو ما أكده أيضا كاتب فرنسي أخر وهو "أوغسطين برنارد "مبينا : " أن هؤلاء الجواسيس حاولوا إظهار ألمانيا لدى الجزائريين بمظهر حسن و عملوا على ربط علاقات جيدة مع الأهالي محاولين تحريضهم على الثورة ضد فرنسا".[3]**

لقد هدفت الدعاية الألمانية من تقارير وكتب وكتيبات وصحف ومجلات ومناشير وصور فوتوغرافية وبطاقات بريدية وغير ذلك من الوسائط التي كانت ترسل إلى المراكز العربية والإسلامية للوكالة، فضلا عن الرسائل المفتوحة من قيادات وطنية عربية وإسلامية إلى شخصيات دولية إلى إثارة العالمين العربي و الإسلامي ضد دول الوفاق مركزة على فضح ما أستمه بالسياسات الخطيرة التي تعتمدها فرنسا وإنجلترا في البدان الإسلامية والعربية التي تحتلها.

وإن أبرز ما شددت عليه الدعاية الألمانية هما مسألتان: العمل على توطيد علاقات المسلمين بالسلطان العثماني كخليفة والحصول على تأييد المسلمين ودعمهم من وراء ذلك لسياسة ألمانيا ودول الوسط بإعتبارها حليفا إستراتيجيا للخليفة العثماني والدولة العثمانية، ولأجل ذلك لم تتأخر الدعاية الألمانية في التأكيد على شرعية الخليفة العثماني وأحقيته في الخلافة و دوره في حماية بيضة الإسلام، وعلى أن الجامعة الإسلامية هي تضامن إسلامي بعيد عن التفرقة المذهبية بين السنة و الشيعة، فيما أن الجهاد واجب على كل مسلم ولا يشكل أي خطر على المسيحية بإعتباره دفاع شرعي عن النفس ضد المحتل فقط .

[1] -عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها , الجزء الأول , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة 1992, ص 75 - 76.

[2]-J,desparmet,"Quelque échos de la propagande allmande à Alger",**bulletin de la Societé de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord**,(T10),1915,p48.

[3] - Augustin,Bernard,"L'Allemagne et l'Afrique du Nord,"Algerie" in,**Bulletin du comité de l'Afrique du Nord**,Avril 1915,p.88.

ومن جهة أخرى ركزت الدعاية الألمانية على تأكيد أواصر الصداقة والود التي تجمع مابين الألمان والمسلمين وعلى أخوة السلاح بين الجيشين الألماني والعثماني والتحالف المقدس[1] بينهما ، وهدفت إلى إعطاء صورة مشرفة عن ألمانيا وأهدافها النبيلة من الحرب وأنها تسعى جاهدة إلى مساعدة العالم الإسلامي على الارتقاء في مرحلة ما بعد الحرب.

ولم تغفل هذه الدعاية حتى في البحث عن الرموز المشتركة، فلفتت الإنتباه إلى مقبرة قرب قلعة "حميدية" في الدردنيل تجمع رفات الجنود الألمان والعثمانيين كدليل للمرة الأولى على وحدة الصليب والهلال و إرتباط مصير كل من الدولتين الألمانية والعثمانية بالأخرى.

ولمزيد من التأثير النفسي في المسلمين شددت الدعاية على أن ألمانيا لم تستعمر أي بلد إسلامي منذ إعلان صداقتها للإسلام بل تعمل على العكس من ذلك بإخلاص لتحرير الشعوب الإسلامية والحفاظ على علاقات حسنة بهم بعد الحرب، وحاولت هذه الدعاية أن تعطي للمسلمين الإنطباع بأن تحالفهم مع ألمانيا ليس دون أساس وإنما هو مع أقوى دولة في أوروبا لناحية متانة إقتصادها وماليتها وصناعتها وثقافتها وبناها التحتية، هذا فضلا عن حسن تنظيم قواتها العسكرية[2] و قوة تضامن الشعب الألماني مع جيشه وقيادته وفي هذا المعنى جرت طباعة كتيب "الحياة الإقتصادية في ألمانيا قبل الحرب وأثناءها" إلى خمس لغات شرقية.

ونشطت في ظل هذه الدعاية أيضا حركة واسعة من التأليف بهدف تلميع صورة ألمانيا لدى الشعوب والنخب العربية ،فبرز في هذا السياق على سبيل المثال المستشرق الألماني "مارتن هارتمان" الذي أصدر عدة كتب منها :" رسائل من تركيا"،" المسألة العربية" ،" الإسلام تاريخا عقيدة وتشريعا" وقد كانت لهذا المستشرق علاقات وطيدة مع العديد من الوطنيين العرب على غرار "الشيخ صالح الشريف" و" محمد خضر الحسين" وللعلم فقد قام "هرتمان" نفسه بتذييل كتاب "صالح الشريف" (إرشاد العباد إلى حقيقة الجهاد)، الصادر سنة(1914م)[3]

بالإضافة إلى ذلك لفتت الدعاية إلى المعاملة الكريمة التي يلقاها الأسرى المسلمون في معسكراتها و كيف يسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية والإحتفال بكل الأعياد الإسلامية داخل معسكر الهلال وغيره. ويبرز ذلك من

[1] - الحلف العثماني الألماني إتفاقية سرية وقعت ما بين الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الألمانية في 02 أوت 1914م أدى لدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى بجانب قوات المحور عبر قصف الموانئ الروسية في البحر الأسود وبالتالي أعلنت فرنسا والمملكة المتحدة الحرب على الدولة العثمانية.

[2] - رأت الدولة العثمانية أن ألمانيا دولة ناشئة وقوية اقتصاديا وعسكريا فلذى ستكسب الحرب فمن مصلحة الدولة العثمانية مساندتها لكي تعيد أراضيها التي أحتلت من قبل بريطانيا (وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني عام 1882م وطرابلس الغرب تحت الإحتلال الإيطالي 1911م). كما تأثر الضباط العثمانيين وعلى رأسهم وزير الحربية أنور باشا بالقوة العسكرية الألمانية فلذلك انضمت الدولة العثمانية الى جانب ألمانيا.

[3] - مولود عويمر ، "المستشرق الألماني مارتن هارتمان والنضال السياسي للوطنيين العرب في برلين" ، على الرابط الإلكتروني : http://www.fenni-dz.net.

خلال مراسلة مؤرخة في السادس من (سبتمبر 1915م) يبلغ فيه أسير مسلم في معسكرات الإعتقال الألمانية أبيه عن المعاملة الحسنة التي يلقاها من قبل الضباط الألمان، وكيف يسمح له بالصلاة والصوم وقراءة القرآن الكريم ويخبره في رسالة أخرى كيف أنه لا يقوم بخدمة شاقة وأن جميع زملائه الأسرى يشكرون ألمانيا على حسن معاملتها وأياديها البيضاء ويتضرعون إلى الله كي ينصرها مع الدولة العثمانية لتخليص الإسلام والمسلمين من إستبداد الطغاة.

كما أظهرت هذه الدعاية نفسها الإمبراطور الألماني وليم الثاني[1] على أنه صديق للمسلمين ويقدر أبطالهم التاريخيين مركزة على زيارته للدولة العثمانية وبلاد الشام وما صرح به عند وقوفه على قبر صلاح الدين الأيوبي سنة (1898م).

هكذا تنوعت أدوات ووسائل الدعاية الألمانية بما يناسب كل الفئات الجماهيرية وبما يؤكد أنها كانت خاضعة لرقابة وإنجاز جهاز متخصص في الدعاية وفنونها ، وقد برز من بين هذه الأدوات إصدار المناشير سواء بالعربية الفصحى أو العامية الجزائرية أو المغربية عموما ، وإن المطلع على هذه المناشير يلاحظ أنها في أسلوبها العام تعتمد على خطاب ديني واضح يهدف إلى إستغلال هذه العاطفة المرتبطة بالشعور والتضامن الديني لدى الجماهير في الجزائر وبقية العالم الإسلامي، بل و يلاحظ عليها إستخدامها الدقيق لمصطلحات دينية بعينها مثل "الحرام" و"الحلال" و"الجهاد" و"الثواب" و"الجزاء" وغيرها...، فقدجاء في أحد المناشير الألمانية الموجهة للمسلمين ما يلي :" **إنهضوا أيها المسلمون لأمر الله و لأمر خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة "السلطان محمد رشاد الخامس" نصره الله الذي أعلن الجهاد المقدس في سائر أقطار الأرض على الدول الثلاث المذكورة...إن دولة الإسلام والألمان والنمسا معكم و الحال بيننا وبينهم واحدة وإن من يكون مع جيش الأعداء وفي صفوفهم، فحرام عليه أن يحارب الدول المتفقة مع الإسلام ، فإنه مسؤول عند الله فيجب عليه أن يلتحق بصفوف الألمان والنمسا و الدولة العثمانية وعليه أمان الله ورسوله ويكون معززا مكرما ومن فعل خلاف ذلك فقد باء بغضب الله .**"[2]

وبعدما عدد منشور أخر سياسة دول الوفاق الودي في تقاسم العالم الإسلامي ونهبه وتدنيس مقدساته وإخضاع بريطانيا وروسيا وفرنسا على التوالي(100مليونا) و(40مليونا) و(30 مليونا) من المسلمين لحكمها ختم بلفت إنتباه المسلمين إلى أعدائهم فقال :"**هؤلاء هم أعداؤكم و هذه هي أفعالهم معكم وهذه هي أفكارهم فيكم وفي دينكم وفي كتابكم المقدس وبيتكم الحرام...**" **ثم يوجههم إلى ما يتوجب عليهم القيام**

[1] - وليام (فيلهلم الثاني) إمبراطور ألماني(1859-1941م)، أخر قياصرة الإمبراطورية الألمانية وملك پروسيا (1918 - 1988) زارعبد الحميد الثاني والدولة العثمانية (من خلال التحالف الألماني - العثماني دخل الحرب العالمية الأولى مع دول المحور. اسقط عن عرشه عام 1918. بنهايته انتهى حكم أسرة هوهن تسولرن التي حكمت پروسيا منذ 1701م.

[2] - عبد الرؤوف سنو، الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق ...،مرجع سابق،ص191.

به تجاه فرنسا بالقول :" أقتلوا جميع الفرنسويين، أقتلوهم جميعا جميعا....إذبحوا الفرنسويين إذبحوهم جميعا جميعا...".

أما حلفاء الإسلام ومناصريه ومحرريه فهم الألمان تبعا لما جاء في المنشور فالله" قيض الأمة الألمانية صاحبة الإخلاص للإنسانية والعالم الإسلامي وصديقة خليفتنا المعظم...وعقدوا النية جميعا على تخليصكم من يد أعداء الله الموسكوف و الإنكليز والفرنسيين وأعلان الجهاد بإرادة من أمير المؤمنين وصار الجهاد بذلك فرض عين على كل مسلم ومسلمة كبير وصغير....."[1] ويختم المنشور بالتحذير من الإستماع إلى أكاذيب الأعداء وخدعه.

ولم تكن الجزائر بما تملكه من أهمية إستراتيجية وإقتصادية وبشرية خارج هذا الإهتمام الألماني فقد كان الجزائريون ولا سيما نخبتهم محط إهتمام ودعاية أولئك المتصارعين في هذه الحرب التي لم يكن خافيا فيها على أحد أن الهدف الأهم للحليف الألماني هو السيطرة على المستعمرات الفرنسية بعد هزيمة فرنسا ، وهو ما لم يكن يخفى أيضا على الدوائر الفرنسية ، يقول ديسبارمي : "**مما لاشك فيه أن ألمانيا بتفجيرها لحرب(1914م) والتي تريد من وراءها التحضير لهيمنتها على العالم وضعت نصب أعينها كنتيجة حتمية لهذه الحرب و التي هي متأكدة من النصر فيها أن تُلحق المستعمرات الفرنسية بنفوذها فيما وراء البحر وخاصة تلك المتواجدة في شمال إفريقيا"**[2] **ليضيف بعد ذلك " أن الجزائر كانت الأكثر طلبا من بين تلك الغنائم التي تعول ألمانيا عليه كثير".**[3]

ومما يلاحظ أيضا أن ألمانيا قد تبنت هذه السياسة الدعائية تجاه الجزائريين داخل الجزائر وخارجها، فبالرغم من الحصار الذي ضرب على المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا إلا أن الدعاية الألمانية تمكنت من التسرب إلى داخل المدن الكبرى، و حسب"جان ميليا Jean Melia" فإن تورط الألمان في هذه الدعاية أمر لاشك فيه وأن النخب الجزائرية في الخارج لم تتأخر في تقديم خدماتها للألمان في هذا المجال سواء داخل الجزائر أو خارجها معتقدين أنها الفرصة للتخلص من فرنسا وجاءت الكثير من الأحداث هنا وهناك لتؤكد هذا الطرح ، فقد تم إلصاق أشرطة من الورق بجانب ساحة الحكومة تحمل العبارات الآتية :"ليعيش (غليوم) وليسقط (بوانكاري)، لتعيش ألمانيا ولتسقط فرنسا"[4]، وبذلك فإن هذه المناشير والمعلقات كانت تعتمد لغة واضحة ومباشرة في تحديد أهدافها و مبتغاها وكانت أماكن تعليقها وتداولها في أماكن شعبية ومعروفة ، تؤكد رغبة واضعيها في أن تكون(الإنتفاضة)

[1] - عبد الرؤوف سنو، الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق ...،المرجع سابق،ص191.
[2]- J,desparmet,"Quelque échos de la propagande allmande …",OP.cit,p47.
[3] -Ibid.
[4] - jean Melia, "l'Algerie et la guerre…,Op.cit,p20.

حركة جماهيرية عامة لا فئوية ضيقة ولزيادة مصداقية هذه الحملة الدعائية والرفع من مستوى تأثيرها فإن القوات البحرية الألمانية تمكنت بواسطة الباخرتين (Goeben) و Breslau) من قصف مدينتي عنابة وسكيكدة يوم(4 أوت 1914م) وحسب الكاتب نفسه فإن هذا القصف لم يكن له أي صدى يذكر على الرأي العام الجزائري.[1]

أما خارجيا فكان الألمان يقومون بحملة دعائية واسعة النطاق وسط الفرق العسكرية المغربية التي كانت آنذاك مشكلة أساسا من الجزائريين الذي يحاربون في المغرب الأقصى وكان الألمان في الحرب يرفعون الأعلام الخضراء الموشاة بالهلال ويبعثون نداءات إلى الجزائريين يدعونهم إلى الفرار من صفوف الجيش الفرنسي.[2]

و لإبراز مدى مساهمة النخبة الجزائرية خاصة الموجودة في الخارج يُذكر" أن خمسة على سبعة من أعضاء "لجنة إستقلال تونس والجزائر" التي كان مقرها في برلين كانوا من الجزائريين المتخرجين من الزيتونة بتونس وتم توظيفهم من طرف الأتراك، وكانوا يشترطون عليهم الحصول على لقب "عالم"ومن لم يحصل عليه لا يحق له ممارسة الدعاية التي كان يقوم بها الألمان و الأتراك في المغرب خلال الحرب العالمية الأولىلعل الهدف من ذلك السمعة الكبيرة التي كان يتمتع بها من يوصف بالعالم وتحقيقا للمصداقية لدى العامة عن القيام بالعمل الدعائي[3].

وبما أن رفض الجزائريين للتجنيد الإجباري كان من أهم القضايا التي أثارت معارضتهم للسياسة الإستعمارية قبل الحرب بقليل فقد كان أبرز محاور تلك الدعاية التي إستهدفت الجزائريين و بالإعتماد على عمل الجواسيس الذين كانوا ينشطون داخل الجزائر وخارجها قد إستغلوا هذه القضية كثيرا في تحريض الجزائريين وهو ما أكدته جريدة"Akhbar" منذ سنة (1909م) من أن إهتمام الصحف الألمانية قد تزايد بهذه القضية وذكرت على الخصوص صحيفة "Strassburg Post"[4] مؤكدة ضرورة إستغلال هذا القانون لإثارة الجزائريين ضد السلطات الفرنسية.

و بالعودة إلى المناشير فقد عمدت الدعاية الحربية الألمانية والتركية وبإشراف مصالح الإستخبارات الألمانية بطباعة عدد هائل من المناشير والمطبوعات باللغة العربية الفصحى وحتى الدارجة الجزائرية.وكانت الشعارات المزدانة أحيانا بالأعلام الخضراء والنجمة تدعو إلى الثورة أو إلى الفرار ، مع الإصرار على واجب كل مسلم جزائري في الإعتراض على تجنيده من قبل النصارى وتكفي عناوين المناشير للدلالة على مضمونها مثل: "إستعراض مناكر فرنسا إزاء المسلمين"،"مرارة الإحتلال"،"إعلان الجهاد"،"تذمر الأعيان المسلمين"، "آيات في حق الخائنين" ، "ألمانيا

[1]- Melia, "l'Algerie et la guerre…,Op.cit, pp-183-192.

[2]-Gilbert,Meynier,"les Algeriens en France (1914-1918)" ,in :**RHM**, Tunis,(N5),janvier 1976,p52.

[3] - Amar,Hellal, Le movement reformiste Algerien , ..,Op.cit,p69

[4] - "le projet d'armée indigéne"**Akhbar**,(N13597),dim26sep1909.

والإسلام"و قد ورد مثلا في أحد هذه المنشورات:"**إعلموا أنكم إن عملتم على تفجير ثورة في بلدكم ضد العدو وإستمرت مقاومتكم له فإننا سنهب مسرعين لنصرتك، بأمر أمير المؤمنين(...) إن كل ما سلبكم إياه الطغاة من أملاك أسلافكم سيرد إليكم وإلى كل من شارك منكم في الخلاص.**"[1]

و إضافة إلى "الحاج عبد الله بوكابوية" الذي سبق التعرض لدوره ضمن هذه الدعاية، كان هناك جزائري أخر يحرر ورقة تسمى (الواجب) وتصل إلى الجزائر عبر مدينة إشبيلية، ويوقع تلك المقالات بإسم" محمد الجزائري" الذي إنتقل لتركيا لمحاربة الجائرين على الإسلام[2]. وفي غضون السداسي الثاني من عام (1915م) نادت الدعاية الألمانية – العثمانية فجأة بالمطالبة بالإستقلال وكتبت إحدى المنشورات المطبوعة في سويسرا سنة (1915م) ،قائلة :" آن أوان صحوة الإسلام، ويجب أن يكون واجب المسلمين تحرير الأوطان الإسلامية من أيدي الكفار. ولقد حان الوقت لرفع الصوت للجهر بأن الجزائر للمسلمين الجزائريين، وتونس للمسلمين التونسيين"، وأصدرت "الجمعية الدولية الإسلامية" التي كان يشرف عليها مبدئيا الخديوي السابق لمصر" عباس الثاني حلمي"، و تمولها مصالح الإستخبارات الألمانية في مدينة لوزان السويسرية و من ثم في مدينة جنيف، كما أصدرت مجلة شهرية باللغة الفرنسية تدعى (مجلة المغرب) وفي النهاية تأسست في برلين في (7 يناير 1916م) ، لجنة من أجل إستقلال الجزائر وتونس... وقامت هذه اللجنة بتحرير منشورات وتأليف كتب باللغات العربية والألمانية والفرنسية، كان أشهر هذه المنشورات يحمل عنونا بالفرنسية:"تظلمات الشعوب المستضعفة تونس والجزائر، وكانت المعلومات والنداءات التي تصدرها لجنة الحرب المقدسة ذات الصنع الألماني، كما يسميها المتأسلم الهولندي الكبير "سنوك هورغرونيي Snouck Hurgronje" تنشر في الصحف المكتوبة باللغة الفرنسية في المناطق المحتلة ومنها صحيفتي"La Gazette des Ardennes"و"Le Bruxellois"، كماكانت تلك الصحف توزع في مراكز إعتقال جنود شمال إفريقيا وكان يُقرأ فيها مثلا:"**أن يدعي الفرنسيون بأن الجزائر إمتداد لفرنسا أو مستعمرة محتلة أو مفتوحة فذلك شأن لا يعنينا نحن المسلمين الجزائريين ، طالما ظلت قلوبنا غير محتلة، فلنفكر في الجزائر المسلمة**"[3].

كما نشر الشيخ "محمد بن عبد السلام التجاني" في إسطنبول كتابه ،" فرنسا في نظر المسلمين " للرد على ثلاث مقالات بعنوان " مسلمو فرنسا والحرب " صدرت بمجلة" العالم الإسلامي"[4]، الهادفة لكسب تأييد المغاربة

---

[1] - شارل روبير أجرون ،تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضة 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954،(ط1) ،المجلد الثاني ،دار الأمة ، الجزائر ،2008،ص426.

[2] - نفسه ،صص428-429.

[3] - روبير أجرون ،تاريخ الجزائر...،المرجع السابق ،ص429.

[4] - أنظر : -" les MusulmansFrançais et la Guerre",in, **RMM** ,vol (29),décembre 1914,Ernest le roux éditeur,28 rue Bonaparte(VI),Paris.

للجبهة الفرنسية ،فشدد من خلال كتابه إنتقاده لسياسة السلطان المغربي وموالاته للفرنسيين وطالب من كل الجنود المسلمين، خاصة الجزائريين في الجيش الفرنسي تلبية نداء الجهاد ورفع نير الأسر من على رقابهم[1]

وفي سنة(1917م) نشرت مجلة "المغرب" ، ميثاق الشعب المغاربي الذي يرجح أن محرره هو "محمد باش حانبه"، ليظهر في شتاء (1917-1918م) تحت قيادة "علي باش حانبه" أيضا، مبدأ "حق شعوب شمال إفريقيا "في الإستقلال إلى الظهور في الدعاية الألمانية- التركية وطالبت" مجلة المغرب" بإجراء إستفتاء شعبي وراسل "بوكابوية" بإسم لجنة الوطنيين الجزائريين الرئيس الأمريكي "ولسن" وقامت لجنة جزائرية – تونسية يقودها "محمد باش حانبه" قبيل إفتتاح مؤتمر فرساي تؤكد أنها تضم ثلاثة جزائريين بإرسال مذكرة إلى المؤتمر ورد فيها :" إن الشعب الجزائري التونسي يطالب بإستقلاله الكامل"[2].

وتحركت النخبة الجزائرية وبالتعاون مع نظيرتها في تونس والدولة العثمانية في تنشيط حرب المنشورات والعرائض،فحين تكونت في أواخر (1918م) " اللجنة الجزائرية – التونسية " متألفة من الشيوخ: "صالح الشريف" و"محمد الخضر حسين" و"محمد مزيان التلمساني" و"محمد الشيبي التونسي" و"محمد بيراز الجزائري" و"حمدان بن علي الجزائري" و"محمد باش حامبه" ، قامت هذه اللجنة بإرسال برقية إلى الرئيس الأمريكي "ودرو ولسن"، أثناء مروره بروما في (جانفي 1919م) ، أبرز فيها كاتبوها إعجابهم بتصريحات "ولسن المتعلقة" بحق تقرير المصير[3] متمنين تطبيقه على الجزائريين والتونسيين.

وقد شكلت تحركات الجزائريين تلك ، مصدر قلق لدى السلطات الاستعمارية التي كلفت قنصلياتها وإستخباراتها في الخارج لمتابعة أولئك الجزائريين ونشاطاتهم المختلفة والشروع في دعاية مضادة لأفكارهم، كما عمدت إلى الحيلولة دون وصول هذه المناشير وشبيهاتها من المواد المحرضة، فمثلا كانت مجلة " المغرب Le Maghreb" ،محرمة وممنوعة في بلدان المغرب العربي،كما عمدت إلى مطاردة ونفي وسجن ومصادرة أملاك أولئك النشطاء، خاصة من الجزائريين والتونسيين.

[1] - محمد بلقاسم ، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا- الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954،(ط1)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2013 ،صص 99-100.

[2] - أنظر الملحق (رقم14).

[3] - إن رئيس الولايات المتحدة وودرو ويلسون هو الذي أبدع المصطلح بعد الحرب العالمية الأولى، مع أن بعض الأدباء والعلماء استخدموا مصطلحات مماثلة من قبل. وكان مبدأ حق تقرير المصير من أسس معاهدة فيرساي التي وقعت عليها الدول المتقاتلة في الحرب العالمية الأولى، والتي أمرت بتأسيس دول أمة جديدة في أوروبا بعد إنهيار الإمبراطورية النمساوية المجرية والقيصرية الألمانية ("الرايخ الثاني"). في فترة لاحقة من القرن ال20 كان هذا المبدأ في أساس سياسة إزالة الاستعمار التي سعت إلى تأسيس دول مستقلة في إفريقيا وآسيا بدلا من المستعمرات الأوروبية.

3-4 :ثقل النخبة الجزائرية ضمن الدعاية الألمانية – العثمانية :

ومما يجدر تسجيله في إطار إبراز الجهود الدعائية الألمانية وفعالية النخبة الجزائرية ضمنها ، أن الألمان لم يكونوا متفقين كليا على مدى قوة الحركة الوطنية الجزائرية وقدرتها على إضعاف السلطة الفرنسية،فبعضهم كان يرى أنها غير قادرة على إعلان الإستقلال عن فرنسا، وبعضهم الأخر كانوا يرون عكس ذلك بأنها قادرة على إعلان الإستقلال أو على الأقل تشكيل خطر حقيقي على فرنسا خلال الحرب و يظهر ذلك جليا من خلال دراسة المستشرقين الألمانيين "جورج كامفماير" و"كارل بيكر" ففي سلسلة "ألمانيا والإسلام" Deutchland and der islam" التي تصدر ببرلين نشر "كامفماير"دراسته بعنوان (شمال غرب إفريقيا وألمانيا) "Nordwestafrika und Deutchland"بين فيها المساعي الحثيثة للجواسيس الألمان الذين كانوا في شكل تجار وسياح وأكد أن المغرب العربي يعتبر مجالا هاما لطموحات ورهانات ألمانيا في حربها وبالرغم من ذلك فهو يرى بأنه "لا يمكن لألمانيا أن تعتمد على سكان شمال إفريقيا" لأنهم غير قادرين على القيام "بثورة وطنية" لاسيما في الجزائر وفسر ذلك بكون الإستعمار فيها قديم و متسلط، كما أن ظروف ثورة (1871م) ، غير متوفرة في سنة(1914م)، وحتى وإن قام الجزائريون بالثورة فلن تكون شاملة وربط ذلك بعدم وجود أي حركة أو صحافة وطنية أو أدب حي وبالإضافة إلى ذلك قال بأن أعضاء حركة الشبان الجزائريين المثقفين كانوا ولم يكن لهم أي تأثير على الأهالي الذين عانوا من سياسة التجهيل وإنتشار فكرة القدرية[1] في أوساطهم أي إستسلامهم إلى أن :"الاستعمار قدر محتوم من الله ولا مفر منه، وبالتالي فليس لألمانيا ما تنتظره من الإسلام في إفريقيا الشمالية،وحتى وإن هزمت ألمانيا فرنسا في أوروبا فإنها لا يمكنها أخذ مستعمراتها في شمال إفريقيا لاسيما وأنها مركز حيوي بالنسبة للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية"[2]،أما بيكر فهو من أصحاب الرأي المخالف ففي كتابه(ألمانياو الإسلام) "Deutchland and der Islam"الذي كتبه سنة(1914م) أكد أن الإسلام عامل مهم ورهان من رهانات ألمانيا في الحرب،فهي تعتبر نفسها صديقة حميمة للإسلام بحكم تحالف الدولة العثمانية معها وكانت تنشر في الجزائر دعايتها بأنها حامية المسلمين وأن مستقبل الخلافة العثمانية مرهون بها.وأكد "بيكر" في كتابه أن الجزائريين يشكلون خطرا حقيقيا على فرنسا،بدليل رفضهم لحكمها منذ عهد "الأمير عبد القادر" ويبدو أن الدعاية الألمانية قد أخذت بهذا الرأي فحاولت أن تثير الأهالي ضد فرنسا وأن تدفعهم للقيام بثورة ضدها مستغلة في ذلك تحالف السلطان العثماني مع القيصر الألماني وإعلان الجهاد على الغرب المسيحي الإستعماري مباشرة بعد

[1] - يذكر صادق سلام أن الجزائريين كانوا يرددون نتيجة فكرة الإستسلام للقضاء والقدر الذي نشرته الصوفية المتواطئة مع الإستعمار :" نتغذى مما تيسر ونعيش بإنتظار الموت..."، أنظر صادق سلام ،فرنسا ومسلموها ،مرجع سابق ،ص75.

[2] Augustin Bernard, L'Allemagne et l'Afrique du Nord, Op,cit,p89.

مبايعة السلطان الخليفة "محمد الخامس "في مسجد محمد الفاتح" في (14 نوفمبر 1914م)، حيث أعلن أن على المسلمين الذين يخضعون للإستعمار الفرنسي والإيطالي أن يوحدوا صفوفهم لمحاربة هذا الاستعمار وهو ما أحدث هلعا كبيرا لدى الفرنسيين الذين يحتلون دول المغرب، خاصة أنه تلا ذلك إصدار فتوى من كبار مشايخ المسلمين بإعلان ثورات ضد الغرب المسيحي.وعلى هذا الأساس كانت الدعاية العثمانية تنشر أفكارها بين مسلمي شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة ولم يكن ذلك حكرا على المؤسسة الدينية الرسمية لوحدها بل جاء في سياق فكري ميز النخبة الإصلاحية الإسلامية مشرقا ومغربا ،فقد نشر "الأفغاني" و"محمد عبده" في صحيفتهما "العروة الوثقى" أفكارا تحررية معادية للإستعمار وداعية للجهاد في سبيل الوحدة الإسلامية التي تجمع بين المسلمين مهما إختلفت أوطانهم، فهما يريان وخاصة الأفغاني أن لاجنسية للمسلمين إلا في دينهم. وكانت جريدة "الفاروق" و"ذو الفقار" تحملان هذه المبادئ و الأفكار نفسها وتحاولان نشرها بين أوساط الجزائريين، حتى أن "عمر راسم" قد صرح في العدد الثالث من "ذو الفقار" أنها (عبدوية)، وأنها تلتزم بالخط الدعوي والتحرري لهذه المدرسة.

ولكن هذا المفهوم العثماني العام والشامل للجهاد ،لم يفد بشكل مباشر الجزائريين الذين كانوا يعتبرون جهادهم في هذه المرحلة محليا، يقتضى العمل على تحرير الجزائر بشكل مباشر ، ويستدعى جهدا عثمانيا خاصا بالجزائر وحاسما في إجراءاته،و لكن أي عمل مباشر كان من الصعب القيام به ،في ظل تلك المعطيات التي تأتت بدورها من ذلك الحصار الرهيب الذي تمارسه كل الأجهزة المرتبطة بالإدارة الفرنسية في الجزائر ، العسكرية والمدنية منها، بل وحتى الكولون الذين كثفوا من مراقبتهم للأهالي الجزائريين ، خشية تمردهم.

وبالعودة للجبهة الأوروبية فقد كانت الدعاية العثمانية – الألمانية خلال الحرب تنشط بفضل الجهود البارزة لمهاجرين مغاربة هاجروا إلى المشرق في فترات مختلفة لاسيما بعد (1908م) ،أغلبهم قد هاجر هربا من التجنيد ،من أبرزهم "علي باش حامبه" وأخوه "محمد باش حامبه" و"الشيخ المكي بن عزوز"[1] و"إسماعيل الصفائحي" ،وكان هؤلاء يعملون رفقة شخصيات عثمانية بارزة مثل "الأمير شكيب أرسلان" و"سليمان الباروني" و"عبد العزيز جاويش" تحت شعار "خدمة العالم الإسلامي والدفاع عن شعوب المغرب العربي" المضطهدة من طرف الإستعمار،حيث كتب "علي باش حامبه" في الجرائد والصحف العثمانية مثل "الشباب التركي" و"تصوير الأفكار" وجريدة "طنين" ينتقد الإستعمار الفرنسي ويدعو سكان المغرب العربي للثورة وقد أنشأ هؤلاء المغاربة في برلين بألمانيا كما هو معروف "لجنة استقلال الجزائر وتونس" في (جانفي 1916م)برئاسة الشيخين "صالح الشريف"

[1] المكي بن عزوز(1854-1916م) من مواليد تونس من أصول جزائرية رحلت عائلة بعد الاحتلال من برج بن عزوز بطولقة،عالم بالدين والأدب،له زاوية بنفطة جنوب غرب تونس،توفي في إسطمبول :أنظر محمد بلقاسم ،الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي ،رسالة ماجستير،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،1995،ص62.

و"إسماعيل الصفائحي، وكانت مهمة هذه اللجنة تتمثل في تحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية لصلح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي و إنتقاد الإستعمار الذي إعتبروه أسوا المظطهدين للشعوب.[1]

وعندما بأت" مجلة المغرب" تبرز في نشر أفكارهم بدعم من ألمانيا والدولة العثمانية كتب أحد الجزائريين في عددها الثاني :**"إننا جزائريون مسلمون وسنبقى مسلمين جزائريين"**[2] ،وكانت الكثير من البيانات التي يحررها جزائريون في الجانب الألماني، تشجع جنود إفريقيا الشمالية على الهروب من الجيش الفرنسي وقد وُزع بعضها فعلا في جبهات القتال بطرق خفية، ففي(1915م) إحتجز الفرنسيون بعضها كان موجها إلى الجنود الجزائريين والمغاربة حصريا في الجبهة الأوروبية،وهي عبارة عن بيانات تدعوهم إلى الإنضمام إلى(أعداء فرنسا) إستجابة لنداء الجهاد إلى جانب الدولة العثمانية ضد الحلفاء وبالتالي فإن من واجبهم كمسلمين أن يستجيبوا لهم" فالعثمانيون إخوانهم في الدين"[3] وهدف هذه المناشير كما وسبق توضيحه هو إضعاف معنويات الجنود المسلمين في الجيش الفرنسي وجيوش الحلفاء.

و لم يقتصر دور أولئك الجزائريين المشاركين في الدعاية العثمانية – الألمانية على الجانب التنظيري تأليفا وفتوى ، بل تجاوزه لجوانب ميدانية فقد تم تجنيد الكثير من الأسرى الجزائريين والمغاربة في الجيش العثماني،وكانت العملية تتم عن طريق كل من "إسماعيل الصفائحي" و"عبد العزيز جاويش" اللذان تنقلا لأسطمبول وبرلين وتمكنا من تجنيد(800) ثمانمئة جندي وضابط في دفعة أولى ثم حوالي(480) أربعمئة وثمانين في دفعة ثانية،ضمن فرق كونتها الحكومة العثمانية خلال الحرب عرفت بإسم "التشكيلات" هدفها تحرير بلدان العالم الإسلامي[4].

وفي إطار هيئة"التشكيلات" قررت الحكومة العثمانية سنة(1916م) تأسيس هيئة لغزو المغرب العربي وتحريره،إذ تم تعيين "سليمان الباروني" واليا على طرابلس الغرب وإنتقل إلى ليبيا بعد الإنتصارات التي حققتها الحركة السنوسية على الإستعمار الإيطالي،وبدأ في تنظيم المقاومة وبعث رسله لنشر الدعوة للمقاومة في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وكان قد ربط صلته قبل ذلك ،مع بداية الحرب الكبرى بمنطقة وادي ميزاب بالجنوب الجزائري،في وقت كان رجال "الحركة السنوسية" يناوشون القوات الفرنسية على الحدود الجنوبية التونسية،وتذكر الوثائق في هذا الصدد القائد الجزائري "محمد برالي" الذي كان يتمتع بنفوذ كبير على الحدود الطرابلسية الجزائرية وقد دامت هذه المناوشات من(1916-1921م) و ينبغي أن نشير أيضا إلى مقاومة التوارق التي إستهدفت المراكز الإستعمارية

[1] - J, Desparmet, "la turcophilie en Algérie" **S.G.A**,1917,p05

[2] - Ibid.

[3] - J, desparmet,"Quelque échos de la propagande allmande à Alger",op,cit,p70.

[4]- محمد بلقاسم ، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، مرجع سابق ، صص67-68.

في الصحراء وقد إمتدت هذه المقاومة من أعالي النيل إلى أدرار بالجنوب الغربي الجزائري، وأنها كانت على صلة بالحركة السنوسية،وهناك إنتفاضة منطقة الشرق الجزائري التي شملت منطقة الأوراس وبسكرة ،وقد عزاها الكتاب الفرنسيون الى أسباب إقتصادية وإجتماعية مختلفة،في حين أنها كانت إنتفاضة تحررية دينية مرتبطة بما يحدث في العالم الإسلامي[1]

و هكذا لم يتوقف نشاط تلك النخبة من الوطنيين، عند حد الدعاية في وسط الأسرى المغاربة ،بل تعداه إلى مشروع إعلان الثورة في شمال إفريقيا، التي كانت محاورها المخططة تتمثل في "علي باش حانبه" و"سليمان الباروني" و "عبدالعزيز الثعالبي" و"محمد الخضر حسين" و"محمد باش حانبه" وغيرهم ، وكانت الخطة تقضي بتشكيل جمعيات سرية في كل شمال إفريقيا، وتستعد، في إنتظار وصول "جمال باشا التركي" الذي كان عازما على إحتلال مصر ثم يتجه غربا إلى الجزائر والمغرب[2].

ويتحدث الشيخ "أبو اليقضان الجزائري" ، بصفته أحد المنضوين تحت لواء هذه التشكيلات قائلا :" **حيث كانت الحرب العالمية قائمة قاعدة على موقعها تم إنشاء تشكيلات سرية ترمي بمجموعها إلى إشعال الثورة في شمال إفريقيا بزعامة "عبد العزيز الثعالبي"، وكنا كلنا قد إنخرطنا في تلك التشكيلات بشروط... وكان يعمل فيها زعماء الأقطار الثلاثة: ليبيا، المجاهد الكبير" سليمان الباروني"، تونس، "عبد العزيز الثعالبي" ،الجزائر ، "الأمير خالد الهاشمي"، المغرب ، أضن من بينهم" عبد السلام بنونة" و"أحمد بلفريج"، هكذا كانت هذه التشكيلة السرية ، ناشطة في عملها لتكوين الخلايا التي أقسمت على المصحف أن تعمل بمبادئ هذه الجمعية... وبينما كنا نعمل في هذا الأفق العالي إذ سمعنا بهزيمة "جمال باشا" في قناة السويس، ففسد برنامجنا في شمال إفريقيا كله، وتحولت فكرة الثعالبي إلى إنشاء نظام الدستور...."**[3]

3-5 :صدى ومدى نجاح الدعاية الألمانية – العثمانية في الجزائر :

لقد كان تأثير الدعاية العثمانية – الألمانية في الجزائر يختلف من منطقة لأخرى نتيجة لمستوى إنفتاحها على ما يحدث في الخارج ومدى سيطرة السلطات الفرنسية عليها ، فهذا الأمر كان يبدو ضعيفا في الجنوب مقارنة بمدن الشمال فعندما زار "سليمان الباروني" وادي ميزاب سنة(1914م) لحضور جنازة أستاذه "الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش" علق الحاكم العام قائلا"(...) كانت مناطق الجنوب تدين بولائها لنا بشكل واضح...ولكن هذا ليس

[1] - محمد بلقاسم ،الإتجاه الوحدوي ،مرجع سابق،صص68-69.

[2] - صالح خرفي ، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1995،صص 429-430.

[3] - محمد ناصر ، أبو اليقضان وجهاد الكلمة ،(ط2)، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1983،ص90، أنظر المتن والهامش.

حال غردایة التي صيرها الميزابيون بؤرا للعناصر الثائرة والخطيرة،ومصدرا للأخبار السيئة فقط.فرغم عدم قدرتهم على مواجهتنا مباشرة بالسلاح إلا أنهم يشكلون خطرا غير مباشر علينا،لذلك لابد من فرض رقابة وقيود صارمة وقاسية جدا تجاه هذه العناصر المعادية لنا بهذه المنطقة للحد من تنقل العدوى الثورية إلى المناطق المجاورة،وربما قد تنامت هذه الروح المعادية لنا بعد زيارة السيناتور[1] التركي سليمان القانوني في (جوان1914م) الذي ترك في الميزابيين آثارا بليغة جدا"[2]

وفي الوقت الذي كان الجزائريون في مختلف مناطق الجزائر يرزحون تحت رقابة إدارية شديدة بفعل حالة الطوارئ التي فرضت عليهم أثناء الحرب، لم يكن بالإمكان لهم أن يظهروا تأييدهم للعثمانيين بشكل علني،إلا من خلال الأدب الشعبي الذي كان متنفسا للكثير من الجزائريين ،فكان هنالك الكثير من الأغاني والأشعار التي تتابع مسيرة الحرب وتؤيد العثمانيين والقيصر الألماني غليوم، الذي كانت تنعته"بالحاج غيوم" و"منقذ الإسلام"[3]، وفي هذا السياق يذكر "مالك بن نبي" عن هذا الأدب ما يلي :"**في تلك الفترة وفي تلك الظروف بدأت تظهر أسطورة (الحاج غيوم) وبدأ الشعراء الشعبيون يمجدونه مستعينين في ذلك بالأدب الشعبي القديم يبعثونه من سباته،وأحيانا كانوا يخلقون أدبا جديدا لهذه الغاية،وقد أعاد هؤلاء إلى الأذهان في منطقة تبسة أقوال (سيدي علي بن الحفصى) القديمة حول الحرية والبطولات** "[4].

وكانت تلك الأغاني الشعبية منتشرة في كل أنحاء الجزائر،ومثلت تعبيرا صادقا عن الرأي الشعبي العام آنذاك،وكانت تسخر من هزائم فرنسا وتشيد بإنتصارات ألمانيا، وتمدح إمبراطورها "غليوم" حليف الخليفة العثماني "محمد رشاد الخامس" ،وبذلك فقد لعب "الخيال الجماعي " في أوساط الجزائريين دورا هاما في هذه المرحلة شديدة الصعوبة،فظهرت الأغاني والأشعار الشعبية المعبرة بصدق عن مشاعر الجزائريين.

وفي هذا السياق يذكر جوزيف ديسبارمي في مقال له بعنوان :"أغنية الجزائر أثناء الحرب الكبرى:" **أنه عثر في أحد الأيام مكتوبا على أبواب المسجد الكبير بالعاصمة الإحتجاج التالي" هذا زمان السكوت، متكلم الباطل فهو ثبوت، ومتكلم الحق فهو يموت" وقد إعتبر أن هذا النوع من العبارات فيه تأييد واضح لتركيا وألمانيا ومعادة لفرنسا.**

[1] - كان سليمان الباروني في هذه السنة1914م نائبا في البرلمان العثماني.

[2] - Charles,Lutaud,situation générale du territoire du sud de l'Algerie pendant les années 1914et 1915,AdolpheJordan,Alger,1916.

[3] -Signoret,"L'Algerie et les indigenes pendant la guerre**" Revue Politique et Parlementaire**,(T98),jan-fev-mars1919,p291.

[4] مالك بن نبي ،مذكرات شاهد للقرن ،(ط2)، دار الفكر ،دمشق، 2004،ص30.

ويذكر المؤلف أن هذه الأغاني الشعبية بقيت متداولة حتى بعد الحرب، وكان الإعتقاد السائد في الأرياف أن ألمانيا لم تنهزم" **فمنشار هذه المقاطع بقي صريره في أذان معمرينا في الأرياف حتى نهاية الحرب، وحتى بعد ذلك فالأهالي الريفيون والجبليون خاصة رفضوا الإعتقاد بسنتين أو ثلاث بعد الهدنة ، بهزيمة ألمانيا"**[1].

إضافة إلى ذلك كان الأدب الشعبي والأغاني أحد الوسائل التي عبر بها الجزائريون بوضوح عن مقتهم للإستعمار الفرنسي وتعاطفهم مع تركيا وألمانيا، ففي أغنية سياسية طويلة، قام "ديسبارمي" بترجمتها والتعليق عليها ، سماها " أغنية الحاج غليوم " (La Chanson d'El Hadjdj Guiom) – هكذا في الأصل– عبر فيها الجزائريون عن موقفهم وشعورهم الحقيقي نحو فرنسا خلال الحرب ، معتبرا "**أنها وثيقة هامة وأغنية العصر، وإنه نشيد سمع في البدايات الأولى في الأحياء العربية بمدينة الجزائر مع بدايات الحرب و حركة التجنيد في الجزائر ، لينتشر من ساحات وأحياء العاصمة الجزائر فيصل إلى كل مكان من شمال الجزائر إلى الصحراء جنوبا ،لقد وصل إلى تونس شرقا وعبر الشلف غربا وصل إلى وهران ومعسكر وتلمسان وتازة وما وراء ذلك، لقد نقله الزواف والجنود المحليون ليصدحوا به في كل مكان قاتلوا فيه ، على جبهات طرابلس وبلجيكا وفرنسا وسالونيك وفلسطين، إنه التعبير الصادق عن شعور الفرد الشعبي الجزائري البسيط ، مدنيا كان أو عسكريا في حينه ... لقد ولدت هذه الأغنية من التمييز العنصرى الناتج عن حالة الحصار.."**[2] .

لقد كانت هذه الأغنية تتبع أحداث الحرب خطوة خطوة، بما في ذلك إنتصار الأصدقاء وهزيمة الأعداء، كما أعطت وصفا حيا عن معاناة الجنود الجزائريين من الحرب، وعن شعور نسائهم وأطفالهم وأهلهم في الجزائر، وعن الأسعار في ذلك الوقت، وانتهت الأغنية بالصلاة والدعاء إلى الله أن يساعد ألمانيا وتركيا وأن يهين فرنسا "[3]

و قد جاء في هذه الأغنية (القصيدة) مايلي :

يا الفرنسيس واش في بالك **** الجزائـــــر ماشي ديالـك

يجي لالمـــــان يديهالك **** لابد ترجع كيف في الزمان

أي أي كي نعمـــــل له **** الحاج غيوم يطلع سعده

وبعد بدايتها بتهديد الفرنسيين ، بأن الألمان سيخرجونهم من الجزائر لتعود كسابق عهدها، تعرج القصيدة(الأغنية) على محطات كثيرة من بينها وصف الجزائريين المجندين بدء من نقهلم من الجزائر إلى فرنسا ، والظروف القاسية التي تم فيها ذلك :

[1] -Joseph, Desparmet, " La chanson d'Alger pendant la grande guerre",in: **RA**,(N73),1932,pp45-83.

[2] - Joseph, Desparmet,Ibid , pp45-83.

[3] - أبو القاسم سعدالله ، الحركة الوطنية (ج2)، مرجع سابق ،ص 207.

هبطونا من الماشينـــــا **** كي لكباش يدمـــــــروا فينا

أو رحنا للمـــــــارينا **** باش الديك دومال يسافر بينا

نهبطـــــوا لباب الدزيرا **** بالبردعة والقامـــــــــــيلا

صباط مسمر في رجلينا **** والكبران ايحـــــرب فينـــا

كيف اركبنا في البـــابور **** وسقونا كيف البـــــاكور

القينـــا عربي بـــالنور **** سرواله يقطـــــــر بالبول

أي أي كي نعمـــــله **** الحاج قيوم يطلـــع سعده

ثم تصف القصيدة مدى الشعور بالألم من هذا التجنيد الإجباري وفراق الأهل

ياربي واش هاذ الغبينـــا **** نحونا من عند والدينـا

كنا ناكلوا كوارع وتفينا **** دابا ناكلوا صوبة في القاميلا

ثم تصف المعاناة على جبهات القتال :

يا ربي واش هذا الشي **** دزاير كامل مبليزي

شي ميت وشي بليسي **** أو شي مطيـــش

وتظهر القصيدة كذلك تأسي والد عن ولده الذي فقده في الحرب:

كان وليدي في الطرانشـي **** والمكحـــــلة في يده

حكماته رصاصه في جبينه **** أو خلات له دمه سواقي

أي أي كي نعملـــــــو **** الحاج غيوم يطلع سعده

ثم تمنت القصيدة انتصار العثمانيين والألمان الذي فيه انتصار للجزائر ودعت الله لذلك:

الجزايـــر ليك البشرى **** بسناجق ترفرف خضرا

تاتي في الصبحة بكـــرة **** بطبول أو وزناجيـــــة

يا عيوني يا عيوني الله الله

الدردنيل أصبح مفتوح **** وسفاينا تمشي وتروح

وعدونا باكي مقـروح **** قـــــــدام الحميدية

ياحي يا قيـــــــوم **** الله ينصـــــــر الملك غيوم

يـــــارب يا ذا الملك **** الله يخذل جيش الموسكـــو

نتوسلك بالخـــــواص **** الله يذل جيش لافـــــرانس

ياجبـــــار ياعــزيز **** أخلي الملك من جنس لانجليز

أمين أمين أمين **** أمين يارب العالمين[1]

وفي أغنية شعبية أخرى أظهر الأدب الشعبي أيضا كيف يشعر الجزائريون نحو فرنسا وأعدائها (تركيا وألمانيا)،وكيف كانوا يأملون أن يسقط الستار الفرنسي عنهم قريبا بمساعدة القوات المركزية (التركية)، تقول تلك الأغنية:" **تحية ل (وليام الثاني)، الذي يحلق في طيارة ويتحارب مع النجوم أيها الرومي(الفرنسي)، أيها الإنسان الكئيب؟ إن وليم لابس دروعا برونزية محاطا بكل الأمم، مؤيدا من الأتراك، إنني أؤكد أن الجدران العالية التي تحيط بالجزائر ستسقط قريبا من أساسها"**[2].

فيما تحدثت أغنية ثالثة عن إنتصار الألمان الذين سيزحفون على فرنسا ويدمرون باريس ، كل ذلك بفعل "غليوم" المرعب الذي يضرب في السماء بمناطيده وتحت الماء بغوصاته وعلى سطح الأرض بمدافعه، وبذلك سيمحق الفرنسيين بواسطة تلك الأسود التركية والألمانية وتعود الجزائر إلى ما كانت عليه سابقا قبل الإحتلال الفرنسي، وينهض عرب الصحاري، كل ذلك بفضل غليوم الثاني المنتصر كسبعة أمم[3].

غير أن هذه الأغاني و القصائد الشعبية ، بقدر ما كانت تعكس ذلك الحقد الدفين ضد الإحتلال وتترجم الآمال الكبيرة في إنهزام الفرنسيين وإنتصار العثمانيين وحلفائهم الألمان لم تكن أكثر من مرآة عاكسة لخيال شعبي بعيد عن حيثيات الحرب وتطورها ، ما جعلها تتميز بالإنفعال العاطفي و البعد عن حقيقة ما يجري على جبهات القتال حتى أنها إستمرت تنادي بنصر العثمانيين والألمان لسنوات بعد الحرب ، بل إن بعض هذه الأغاني أُعيد إستخدامه في الحرب العالمية الثانية (1939-1945م). وهكذا يتضح أن هذه الأغاني والأشعار الشعبية"قد جسدت بصفة جلية معاني التشفي من الإستعمار والإنتصار عليه بواسطة الأخر ومن خلاله"[4] ، وشكلت دعامة ولو نفسية للدعاية الألمانية – العثمانية في الجزائر.

ومن اللافت للنظر أيضا أن هذه الأشعار و الأغاني، كانت منتشرة في مختلف المدن والقرى الجزائرية ولم تكن حكرا على فئة دون أخرى، فقد كانت جماهيرية التداول لدى معظم الجزائريين ، اللهم من كان منهم معاديا لهذا التوجه و لا شك أنها تمثل للباحثين وثائق تاريخية هامة، لأنها تصور تطورات الحرب العالمية الأولى وتداولها من وجهة نظر عامة الجزائريين وتبرز مواقفهم منها، ويضيف "مالك بن نبي" في مذكراته"واصفا بعض مدن الشرق الجزائري "**أما في الجانب الغربي(لمدينة تبسة) فكان الناس يستمعون إلى فصل من قصص ألف ليلة وليلة**

[1] -J, Desparmert,"la chanson d'Alger pendant la guerre"op,cit,pp,75-83.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية (ج2) ، المرجع السابق ،صص 207-208.

[3] - التليلي العجيلي ، صدى حركة..، المرجع السابق ،ص286.

[4] - نفسه ،ص287.

يقرأه أحدهم في أحد المقاهي الجزائرية ،لكن البلاد أخذت رويدا رويدا تدرك حقيقة ما يجري،خاصة حين بدأت أولى فرق المتطوعين تغادر المدينة ،فكانت أمهاتهم ترافقهم حتى المحطة وتودعهم بالبكاء والنحيب(....)و في منطقة قسنطينة أضيف إلى التراث الشعبي عدة أسئلة تدور حول الحرب...[1]

وهذا "جمال الدين سفينجة" وهو من أسرة مورسكية ومن أعيان العاصمة يذكر مثلا أنه خلال الحرب إتفقت مجموعة من شيوخ العاصمة (المفتي،الإمام ، الحزاب ، التاجر...) ومن بينهم والده وحلفوا أن لا يحلقوا ذقونهم حتى دخول الأتراك الجزائر العاصمة، ويذكر أن هزيمة الأتراك وحلفاءهم الألمان كانت بالنسبة لهم ضربة قوية جعلتهم ينعزلون عن الناس، وأن والده مات ولم يحلق ذقنه[2].

ومن جهة أخرى يذكر "جيلبير مينييه" أن أحد المساكن الواقعة بشارع دامريمون بقسنطينة والتي كانت معروفة بأنها تستعمل كمحششة ، قد أُكتشف في (جانفي 1915م) بأنها كانت تستغل كمكان للتجمعات المؤيدة للأتراك.أما على الحائط قد كانت معلقة صور كل من "أنور باشا" و"محمود شوكت باشا".[3]

كما ذكرت بعض المصادر[4] أن الدعاية الألمانية في الجزائر كانت تأتي من دول الجوار أيضا فقد عُثر في القنصلية الألمانية في طرابلس سنة(1914م) على توصيات بإرسال عملاء إلى الجنوب التونسي وقد كلفت القنصلية نفسها أحد الأعيان الجزائريين من الشرق الجزائري ليخطط للثورة ضد الفرنسيين في الجزائر ، وفعلا دخل للجزائر بعض العملاء والجواسيس الألمان و السويسريين و الإسبان إلى الداخل التونسي والجزائري، وأنه قد أُكتشف البعض منهم وتم طردهم فعلا.

ووصل التخوف الفرنسي لدرجة إتهام بعض السواح الألمان الذي قدموا إلى تونس قبيل الحرب أنهم قاموا بتعليم بعض الأطفال التونسيين النشيد الوطني الألماني (Deutschland Ueber Alles)، وأن زوجة القنصل الألماني كانت تقوم بأدوار مشبوهة في هذا المجال.[5]

وفي غياب واضح لأراء الأطراف الأخرى وعلى شكل أبحاث ودراسات موثوق بها ، تشكك أغلب المراجع والمصادر الفرنسية في تعامل الجزائريين مع الدعاية الألمانية ومدى إستجابتهم لها، حيث يذكر "شارل روبير أجرون" مثلا أنه : **"لا يبدو أن الجزائريين كانوا قد ظهروا بمظهر المتقبل لتلك الدعاية إن كانت قد وصلتهم فعلا ،**

---

[1] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد...المصدر السابق،ص ص29-30.

[2] - Mahmoud, Bouayad,l'Histoire par la Bande,(SNED),Alger,1974,p68.

[3] - أحمد صاري ، "النخبة الجزائرية مابين الوفاء للخلافة العثمانية والإعجاب بتركيا الكمالية، التحديث والحداثة في البلاد العربية وتركيا في القرن العشرين" ، أعمال المؤتمر الثاني للحوار العربي التركي، تقديم عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان، جوان/ حزيران2001،ص65.

[4] - أنظر مجلة المغرب (La revue du Maghreb) لشهر مارس سنة 1916.

[5] - Daniel Goldstein," Liberation ou Annexion ..",Op.cit,p142.

إذ على الرغم من النداءات الملحة والمتكررة إلى الفرار من الخدمة في الجيش ظل عدد الجنود الجزائريين الذين التحقوا بالجبهة الألمانية ضئيلا جدا، وكانت الحكومة العامة تقدر هؤلاء بحوالي 3000 جندي مع نهاية عام(1916م)، ولكن ألم تكن تخلط عن قصد أم لا بينهم وبين عدد 3000 أسير جزائري موجودين في محتشد زوسن (Zossen)، و مهما يكن من أمر فإنه من المعلوم أن جل هؤلاء المساجين رفضوا التطوع في صفوف الجيش العثماني وأغلب من إلتحق منهم سلم نفسه للأنجليز دون أن يقاتلهم" ويواصل قائلا:"...**وإذا ما صدقت بعض الشهادات ، فإن عقلية الأهالي على الجبهة وحتى عقلية الضباط منهم ،كانت تثير القلق والريبة في عام(1917م) في بعض الوحدات. ومع ذلك فلم يسجل أي تمرد في صفوف الجنود المناوشين الجزائريين ، بل على العكس من ذلك تماما فلقد تم التنويه بعدة وحدات من جنود المناوشة في مصف الإستحقاق العسكري ونالت ثلاث منها أعلاما مزينة بوسام جوقة الشرف ، وفي الأخير فإن تقارير الضباط المترجمين الذين كانوا يراجعون مراسلات الجنود الجزائريين ، لم تجد ما تلاحظه ما عدا بعض الشكاوى المكبوتة من التجنيد الإجباري أو وجود بعض الآيات القرآنية التي حامت حولها بعض الشبهات"**[1].

أما في الجزائر فلم تلاحظ مصالح الشرطة إلا موضة بعض الأغاني المناوئة لفرنسا وبعض المظاهر المعادية لها التي لم تكن تربطها في الظاهر أي صلة بالدعاية الألمانية– التركية،لقدكان الناس في مدينتي الجزائر و قسنطينة يغنون أسطورة "غليوم الثاني" التي تقول لازمة منها "حاج غيوم طلع نجمه آي آي ما العمل ضده "(السابقة الذكر)، وتكررت هذه اللازمة طوال مدة الحرب، وكانت بعض الأغاني الشعبية الأخرى تبشر :"إن الجزائر ستعود إلى سابق عهدا، أيها الفرنسي ماذا تظن؟ الجزائر ليست لك للأبد..."، كما كانت تسمع في ربوع الجزائر كلها، أغاني تبتهج بتقدم طلائع القوات الألمانية وتفرح لإندحار قوات الفرنسيين في معارك الدردنيل، وشاعت آنذاك تنبؤات منسوبة إلى الأولياء الصالحين تبشر بقرب ساعة الخلاص، وعلى إثر الخسائر التي تكبدها الأتراك في عام (1916م) تحدث الأولياء عن جيش عربي يأتي من مصر المحررة ويصل إلى غاية مراكش"[2].

وكانت أغاني من نوع أخر تشكو تجنيد شباب المسلمين و تتألم لذلك، مثل جندي إبن الثمانية عشر عاما حيث تقول :" **الفرنسين، هذا العام أخذوا إبن الثمانية عشر، العام القادم سيأخذون إبن السابعة عشر**"، أو

[1] - شارل روبير أجرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة... ، مرجع سابق ،ص 428-429.
[2] - نفسه ،ص 428-429.

تلك الأنشودة المأساوية التي تقول :"ياربي سيدي، واش أعملت أنا ووليدي، ربيته بيدي وأخذته الدولة الرومية". وكانت كلها أغاني تتحسر لظلم وجور إستبدال المجندين(من له المال معفي...ونحن نمد رقابنا للبايلك كالكباش التي تساق إلى الجزار)، أو أغاني أخرى تتألم لضيق حال وحيلة الفقراء أمام المعيشة الغالية.كما سجلت الشرطة بعض الإحتجاجات على الرقابة والحراسة المفروضتين من قبل السلطات العسكرية، وعثر في يوم ما على منشور علق على أحد أبواب المسجد الكبير بمدينة الجزائر ينتقد إنتقادا لاذعا حيث ورد فيه :" إننا نعيش زمن الصمت الإجباري.كل من يكذب يصدق ومن يصدق يموت"، وكان الزبائن الذين يرتادون المقاهي العربية في شتى الأنحاء يتبادلون أيام الجمعة بعد الصلاة الرسائل التي ترد إليهم من أقاربهم وأصدقائهم المغتربين في المشرق، ولم يكونوا يخفون آنذاك مناصرتهم للأتراك"[1].

ولكن أجرون يرى بأنه "**لايمكن الحكم من خلال مظاهر الإستياء تلك المنتشرة هنا وهناك، أو من الأغاني الناقدة والمعارضة بوجود موقف عام إتخذه الرأي العام الجزائري في صالح الألمان والأتراك، فلقد كانت مصالح الرقابة البريدية تعرب عن دهشتها بين(1914و 1916م) من المشاعر المناصرة لفرنسا التي يعبر عنها الجزائريون المقيمون في فرنسا في رسائلهم التي تكون بحسب رأي الحاكم العام قد ساهمت في حسن سلوك سكان منطقة القبائل أثناء تلك السنوات "[2].**

ومن الغريب أيضا أن يهمل أجرون في هذا السياق حقائق تثبتها الوقائع التاريخية مثل التمردات المختلفة في العديد من المناطق الجزائرية[3] و فرار الآلاف من الجزائريين إلى الجبال هربا من عملية التجنيد، فمثلا يذكر "علال الفاسي" قائلا :" **عندما أعلنت الحرب الكبرى سنة (1914م)، وجند الفرنسيون أبناء المغرب العربي وخصوصا الجزائريين ، أخذ هؤلاء يفرون من الجندية ويلتجئ الكثير منهم إلى شواهق الجبال، حتى بلغ عدد اللاجئين مائة وعشرين ألفا. ونشأ على ذلك إضطراب كبير أدى إلى مظاهرات عدائية قتل فيها عدد من الموظفين والمعمرين الفرنسيين من بينهم العامل "كاسي لوني" والمدير الرئيس "مارساي". وثارت على إثر ذلك حركات منظمات في المدن تنادي بالتحرر وتطالب بالجلاء"[4]**

[1] - شارل روبير أجرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة... ، مرجع سابق ،ص 428-429.
[2] - نفسه ،ص 430-433.
[3] - نذكر في هذا السياق العديد من الثورات التي شهدتها الجزائري أثناء الحرب العالمية الأولى ولعل أشهرها : ثورة الأوراس 1916، وثورة الهقار 1916-1920م.
[4] - علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، (ط4)، لجنة تراث زعيم التحرر المرحوم علال الفاسي،مطبعة الرسالة ، الرباط،1980،ص10

كما أن العديد من الدراسات تحاول أن تصور موقف الجزائريين في تلك الفترة بأنه موقف المتفرج الذي كان يريد أن يرى أي الطرفين سيتنصر ليكون معه فإن الكثير من الحقائق التي تبين معارضة الجزائريين للفرنسيين تم عن عمد إخفاؤها" ففي تقرير مفصل للحاكم الإداري لبلدية خنشلة المختلطة، مؤرخ في (17 جانفي 1915م) يتحدث بوضوح عن علاقات متزايدة بين الجنوب القسنطيني من جهة والجنوب التونسي وطرابلس من جهة أخرى، وأن وكيلا شرعيا هو (محمد بن الحاج رابح) وباش عدل محكمة تبسة (إبراهيم بن الشافعي)، قاما بالإتصال بعملاء أتراك في طرابلس وأنهم يروجون لما مفاده أن جيشا تركيا من80 ألف رجل وصل لبن قردان" .

كما أن هناك تقارير كثيرة في القطاع القسنطيني بين(1914-1915م) تتحدث عن خطورة ما يتناوله الجزائريون في أحاديثهم المتعلقة بالحرب والتي تبين بوضوح ميلهم للطرف التركي في الحرب، وأن حاكم مدينة القالة يبدي قلقه من العدد الهائل من الرسائل التي يتم تبادلها مع تونس أما في القطاع الوهراني، فكثيرة هي التقارير التي تهول من رفض الكثير من الأهالي الجزائريين إرسال أبنائهم للحرب مع الفرنسيين بعد إعلان الأتراك دخولهم الحرب إلى جانب الألمان كما يلي :

- 24 أكتوبر 1914 عامل مدينة سدراتة يعلن رفض الأهالي لعملية الإحصاء ومقتل دركيين فرنسيين في المدينة.
- 24 أكتوبر 1914 عامل مدينة ريغة يعلن تخوفه من الشعور المساند للأتراك الواضح الذي يظهره سكان المنطقة....الخ

و بماذا يمكن تفسير اللجوء المتكرر للسلطات الإستعمارية في معاقبة كل من تشتبه في ولائه ولو البسيط للأتراك ،ففي فيفري من سنة(1915م) حكم على شخص في مدينة عنابة بشهر سجنا و200فرنك فرنسي كغرامة لأنه كان يصيح :" تحيا ألمانيا، إن إسطمبول معهم، ليسقط الفرنسيون"، وفي تقرير للشرطة في مدينة سطيف في (جانفي 1916م) أعلن عن القبض على أربعة أشخاص يقومون بالتحريض ضد الفرنسيين"

وفي (24 جويلية 1917م) حاكم بلدية الميلية المختلطة يسجل في تقرير له :" إن النخبة المثقفة في المدينة لا تخفي توجهها المساند للأتراك، وأنها تتمنى بقاء الأماكن المقدسة في الحجاز تحت سيطرة العثمانيين ، تخوفا من تحولها تحت سلطة المسيحيين كرد على التحالف البريطاني مع الشريف حسين"[1]

[1] - Gilbert,Meynier," loyalisme et insecurité en Algerie pendant la guerre de 1914-1918",in,**les Cahier de Tunisie**,(T15),(N75-76),3éme et 4éme trimester 1971,p,194-196.

وهكذا وفي وسط هذه التجاذبات بين الطرفين لم يكن أمام فرنسا ، وما سجلته من عجز واضح أمام القوات الألمانية خاصة في بداية ، إلا أن تكشف من عملية تجنيد الجزائريين بمختلف شرائحهم.

كما أن هذا التعاطف الواضح من الجزائريين مع الأتراك العثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى، لم يعرضهم فقط للتضييق الفرنس بل حتى خارج الجزائر الجزائر فجعلهم يتخذون موقفا معاديا من الثورة العربية سنة (1916م) ولأنهم كانوا كذلك قام "الشريف حسين "حاكم الحجاز بطرد عدة آلاف من أهالي شمال إفريقيا من المدينة بعد ثورته ضد السلطان، ولعل ذلك كان تحت ضغط الحلفاء ، أو ربما خوفا من إفساد أهل شمال إفريقيا لثورته ، لأنهم كانوا متعاطفين خصوصا (الجزائريين والتونسيين والليبيين) مع الأتراك.

وفي الوقت الذي كانت صورة "الشريف حسين" سيئة جدا في الجزائر، حيث كان الرأي العام الإسلامي ينظر لخليفة إسطمبول كرمز لوحدة الإسلام[1]،وقبل إندلا ع الثورة العربية ، أي مع بدايات الحرب العالمية الأولى قام مجموعة من الجزائريين يتقدمهم "عمر راسم"، بتوجيه رسالة إلى مدير مجلة "الشعب" المصرية، من جملة ما جاء في تلك الرسالة:" يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم وألا يعينوا أعداءهم"، لكن هذه الرسالة وقعت في يد إدارة (البريد الإنجليزية)، ما جعل السلطات الفرنسية تزج ب"عمر راسم" في السجن خلال شهر(أوت 1915م)، ومعروف عن "عمر راسم" كرهه الشديد للإستعمار وتعاطفه القوي مع الأتراك وتمسكه بفكرة الخلافة، ويظهر ذلك في موقفه من المؤتمر الإسلامي الذي إنعقد بالقدس سنة(1931م) ، عندما وجه رسالة "للأمير شكيب أرسلان" يلومه فيها على عدم إثارة قضية الخلافة في المؤتمر الإسلامي[2]

كل هذه صور كانت توضح بشكل جلي مدى التعاطف الجزائري مع الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا و لو غابت حتى مبررات التعاطف مع ألمانيا، فإن كراهية الجزائريين للفرنسيين المحتلين والشعور بالظلم الذي تعرضوا له في ظل القوانين الإستثنائية التي شرعتها فرنسا خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى ،تجعلهم يتعاطفون مع أي طرف يعادي عدوهم أما تعاطفهم مع الدولة العثمانية فقد كان شعورا طبيعيا ومستمرا بالتضامن مع الدولة العلية كرمز للخلافة الإسلامية الواجب الوقوف معها.

3– 6 :الدعاية الفرنسية للتجنيد" فلينصر الله أمنا فرنسا":

أمام الدعاية الألمانية – العثمانية وقوتها خاصة مع إستخدامها للبعد الديني كما سبق ذكره ،عمدت الإدارة الفرنسية مع بداية الحرب إلى تحريك دعايتها بين الجزائريين على جبهتين: تجنيد آلاف الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، كحاجة مستعجلة من حاجيات الحرب من جهة والرد على الدعاية العثمانية – الألمانية التي تستهدف

[1] - صادق سلام ،فرنسا ومسلموها ،مرجع سابق ،ص198.
[2] - محمد ناصر ، عمر راسم...، مرجع سابق ،ص33.

الجزائريين من جهة أخرى، فبمجرد إندلاع الحرب وقصف الغواصتين الألمانيتين للسواحل الجزائرية في أوت (1914م)وجه الحاكم العام" شارل ليتو" بيانين أحدهما موجه للمستوطنين والآخر للجزائريين والذي دعاهم فيه إلى الذود عن حمى فرنسا وطنهم الأم، ونصحهم ألا يستجيبوا لدعاية الألمان المخادعين-على حد تعبيره- وناشدهم قائلا "**ساعدونا في هذا الموقف وكونوا لنا إخوانا**" [1] وسرعان ما أدعت فرنسا أن الجزائريين قد إستجابوا لها وإستدلت على ذلك من تصريحات الموالين لها التي غصت بها الصحف الفرنسية وبمساهمتهم المادية و إنضمامهم إلى الجيش الفرنسي،وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب وإعلانها الجهاد ضد الإستعمار ،صرحت الدعاية الفرنسية أن هذا الإعلان كان خدعة للمسلمين حيث قال الحاكم العام في نداء بتاريخ (07نوفمبر1914م) واصفا إياه:"**إن فخا قد نصب للإسلام(...) فيجب أن تتفطنوا" وقال أيضا:"الألمان هم الذين يسيرون الحرب ويوجهونها أما العثمانيين فهم لعبة في أيديهم**"[2].

ولم ينس الحاكم العام أن يذكر الجزائريين قائلا:"إن الألمان يراهنون على خيانة الجزائريين لفرنسا،ناسين بذلك حديث النبي الذي يقول "إن الله لا يحب الخونة"،وأكد بأنه واثق من عدم وجود خونة بين المسلمين الجزائريين،وبين من جهة أخرى أن هجوم الألمان على السواحل الجزائرية دليل على أن مصير الجزائريين والفرنسيين مشترك وأنه لامناص من الدفاع عن الجزائر التي تعتبر جزءا من فرنسا،

وكعادتها لم تتأخر فرنسا في توظيف بعض الجزائريين من النخبة التغريبية الموالية لها ليظهروا في مقدمة الصورة على أنهم من المستعدين للتضحية من أجل فرنسا والدفاع عنها ، وأنه يدعو كل الجزائريين لأن يحذو حذوهم،حتى أن أحد الأعيان الجزائريين وهو "الطيب مرسلي" إبن مدينة قسنطينة ، ومن الذين وعوا دورهم في خدمة الدعاية الفرنسية جيدا كتب في صحيفة:"Le Républicain de Constantine " بتاريخ (12 أكتوبر 1914م) قائلا :" **إن الألمان قاموا بهدم كنيسة "ريمسReims "،أيها المسلمون ماذا سيتركون من مناراتكم ومساجدكم ومدارسكم وفنونكم، وكل ما يشكل إيمانكم وفكركم ، هؤلاء المخربون.... ستكونون الآن يا أهل الكتاب(القرآن) من بين أفضل السواعد التي إختارها الله للقضاء على هذا الجنس الملعون .**

فلتفخروا يا مسلمي إفريقيا الشمالية ، فلتفخروا أيها المسلمين الفرنسيين"، ثم في خطاب موجه للألمان والأتراك نجده يواصل قائلا :" لا تتكلوا علينا، نحن لانعرفكم، نحن لسنا لا بالشبان الترك و لا أصحاب العمائم ولا أتراك مسلمون، نحن وسنبقى دائما فرنسيون مسلمون"[3]

[1]- أنظر تصريح الحاكم العام كاملا في : **المبشر** ،ع 5690،السبت 16 رمضان 1332هـ-08 اوت1914م

[2] المصدرنفسه.

[3] - Gilbert,Meynier," loyalisme et insecurité ...",Op.cit,192.

ولذلك لم يجد الحاكم العام حرجا من دعوة الجزائريين إلى مشاطرة أبناء فرنسا في الحرب ووعدهم بأنهم سيشاطرونهم في السلم أيضا،كما لم ينس أيضا أن يذكر الجزائريين بتضحياتهم من أجل فرنسا في حرب السبعين(1870م) بين فرنسا وألمانيا وكيف إمتزجت الدماء الجزائرية والفرنسية،كما ستمتزج أيضا بمناسبة هذه الحرب وفي الأخير طلب منهم أن يبقوا هادئين و متعاونين مع الإدارة الفرنسية وأن يصلوا من أجل إنتصار الحق والعدل والحرية ومن أجل تحطيم ألمانيا البربرية مدمرة الحضارة والآثار والمدن.[1]

وكأن من دمر مساجد الجزائريين ومدارسهم وفنونهم وجميع مقوماتهم ، هم الألمان الذين لم يطأوا يوما أرض الجزائر أو كأن فرنسا نفسها غير مسؤولة على هذا الدمار الذي حل بالجزائر منذ (1830م) وفي ذلك تأكيد على أن الإدارة الفرنسية وآلتها الدعائية، هي بنفسها من صنع هذا الخطاب لدى فئة من الموالين لها في وسط الجزائريين من رجال السياسة والدين، والذين في حقيقة الأمر لم يكن الكثير من الجزائريين يصدق أقوالهم.

وقد أدركت الدعاية الفرنسية أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه رفع شعار "الإسلام "في هذه الحرب في مواجهة الدعاية العثمانية التي رفعت بدورها لواء الجهاد في سبيل الله ، وهنا يقول "مالك بن نبي ": **وقد تتدخل أحداث الحرب الدائرة التي دخلت فيها تركيا إلى جانب ألمانيا و النمسا فتجذب إليها أطراف الحديث،فهذا الحدث وضع موضوع الحرب على الصعيد الديني لأن خليفة المسلمين في إستنبول أصبح طرفا فيها.والخليفة لديه بحسب إعتقادهم سلاح رهيب ،فإن سيدي (زرودي) معلم القرآن الذي يسكن معنا في الدار نفسها قال لهم:" لو لوح الخليفة براية النبي محمد التي لديه فالعالم سيلتهب"**[2]،لذلك إستعملت الإدارة الفرنسية في دعايتها رجال الدين الرسميين الموالين لها من أئمة ومفتين طلبت منهم إضفاء الشرعية الدينية على مشاركة الجزائريين في الحرب إلى جانب فرنسا ضد الألمان والعثمانيين على السواء. ليستجيب لنداءها الكثير من الائمة و المفتين الرسميين بحكم كونهم موظفين لديها ونخبة أعدتها فرنسا طويلا لهذا النوع من المواقف والمهام،فباركوا الوقوف إلى جانبها ونادوا بكونها مظلومة معتدى عليها ويجب نصرتها ضد المعتدى الألماني[3] وأن في الدفاع عن فرنسا دفاع للجزائريين عن أنفسهم ولم ينسوا أن يرفعوا كذلك شعار أن فرنسا هي (ناصرة العدالة ورمز الحرية والتحضر)، والمدافعة عن الإنسانية وحقوقها من نير البربرية الجرمانية مثلما نجده في بلاغ" الجمعية الدينية الإسلامية بالعاصمة" في(07 أوت 1914م) الذي جاء فيه وهو يخاطب الجزائريين:"**تدركون جيدا أن تهور الألمان هو الذي أدى إلى إشعال الحرب حيث رفضوا النقاش الدبلوماسي لإيجاد حل سلمي للصراع القائم**

[1] - **المبشر** ، المصدر السابق .
[2] بن نبي ، مذكرات...،المصدر السابق ،ص34.
[3] - أنظر الملحق (رقم 15).

،لقد غزوا بلدانا محايدة لهم و أستولوا على أراضيها بوحشية ،وقاموا بذلك دون إعلان رسمي للحرب ودون سابق إنذار،وهم اليوم يهجمون على وطننا الأم فرنسا،لقد حطموا وداسوا حقوق الإنسان والقوانين الدولية،وهم معروفين بالعنف والغطرسة والإستكبار منذ القدم،وفرنسا بالمقابل رمز العدالة والشهامة والحضارة والمدافعة عنها ،قد خطت خطوات هامة في خدمة الإنسانية ولذلك منحها الله مستعمرات واسعة،وسيمنحها الإنتصار في الحرب (...) فأثبتوا أيها المسلمون شجاعتكم ،وأثبتوا أن دم آبائكم يسري في عروقكم،ولا تستمعوا إلى الأكاذيب والدعايات،إن مساعدتكم للفرنسيين واجب عليكم من باب حسن الجوار والمعاشرة الذي ستدخلون به الجنة"[1].

ومن الغريب أن هذه الجمعية تدعوا الجزائريين للإنظمام إلى الجيش الفرنسي للمشاركة في الحرب مقابل دخولهم "جنة النعيم"، وهي الفكرة التي حملها أئمتها ومفتيوها الذين منحتهم تلك الوظائف لينشروا ما تريده هي نفسها من أفكار ومبادئ ،في خطبهم المسجدية ومحاضراتهم وتجمعاتهم الشعبية،إضافة إلى دعواتهم في صلاة الجمعة للفرنسيين بالنصر المبين على الألمان وحلفاءهم الأتراك ، حتى ولو كان الأخيرون مسلمون والفرنسيون مسيحيون، فقد جاء مثلا في خطبة جمعة للإمام "الفقون زواوي بن محمد صالح"،إمام المسجد الكبير بقسنطينة في بداية (ديسمبر1914م) قوله :"**إننا نحن المسلمون متحدون مع الأمة الفرنسية في حربها لأنها حاميتنا (...) فلنبقى موالين لها ولننضم إلى صفوفها،فإما ننتصر أو نموت،لنرفع أيدينا إلى السماء و ندعو الله أن ينصر بلادنا الأم فرنسا،وأن يحطم الأعداء ويحفظ الحكومة الفرنسية" أما المفتي الرسمي بنفس المسجد فقد صرح قائلا :" الله ندعو أن يرحم الذين ماتوا في الحرب (...)إن أبناءنا وأبناء المسيحيين و الإسرائيليين يحاربون بنفس الروح و الهدف وهو الدفاع عن فرنسا(...)نصرهم الله.**[2]

وأمثلة أولئك كثيرون ممن سخروا أنفسهم لخدمة الدعاية الفرنسيين في وسط إجتماعي كان شديد الإحترام لرجل الدين والعالم والمثقف،حيث كان عملاء فرنسا من بين هؤلاء ومع إستغراب الكثير من الجزائريين يعتبرون الميت من جنود المسلمين في الجيش الفرنسي (مرحوما) دون التفريق بين من جندوا إداريا وبرغبتهم وبين من جندوا إجباريا وإن قاتل في الجهة الأخرى بني جلدته وإخوانه في الدين ،وفي كل ذلك تغافل مقصود عن الأمور العقدية مقابل إستخدام ساذج لنفس الإسلام لصالح فرنسا التي حاولت الكثير تناسي أنها هي نفسها ذات يوم من حارب هذا الإسلام المقاوم المجاهد في الجزائر منذ (1830م) وأعتبره مصدرا للتطرف وإنحطاط الجزائريين والواجب التخلص منه.

[1] -J,Melia,"L'Algérie et la guerre...",Op.cit,pp117-120.
[2] - Ibid.

كما عمل الفرنسيون على دفع الكثير من الطرق العميلة لهم والكثير من رجال الدين المأجورين والمدجنيين إلى نشر فكرة "القدرية" بين الجزائريين لاسيما العامة منهم ،فقد صرح أحد النواب مخاطبا الجزائريين وناصحا إياهم بعدم التمرد على واقعهم " **الله هو الذي وضع الجزائر تحت كنف حماية فرنسا(...) اقتنعوا بقدركم ولا تصدقوا الأكاذيب،فالدين الإسلامي ينصحنا أن نرضى بالقدر الذي يقسمه الله لنا"**[1]

أو كما صرح مقدم الطريقة التيجانية بالزيبان ووادى سوف"الحاج علي" عندما إشتكى لديه أتباعه من الرقابة التي فرضتها عليهم السلطات الاستعمارية خلال الحرب،فأجابهم قائلا :**"إن الله هو الذي منح الجزائر للفرنسيين وجعلهم مسيطرين عليها،لذلك أبقوا في سلام معهم ولا تسيئوا لهم"**[2].

وقد إستطاعت فرنسا بهذه الطريقة أن تسطير على فئة معتبرة من الجزائريين وهو ما قد يتوافق مع تحليل المستشرق الألماني "كامفماير" سنة (1914م) حيث قال بأن الدعاية الألمانية لا يمكنها أن تنجح في الجزائر نظرا لقوة الدعاية الفرنسية التي كانت ترسخ في أذهان الأهالي بأن "الإستعمار قدر محتوم من الله و لا مفر منه".

أما في ساحات المعركة وفي الثكنات فقد كانت الإدارة الفرنسية تمارس دعاية حثيثة بين الجنود الجزائريين لكي تقاوم الدعاية العثمانية-الألمانية ومنع الجنود المسلمين ومنهم الجزائريون من الفرار من الجيش الفرنسي والإلتحاق بالجيش العثماني تحت شعار "الجهاد"، فحاولت إرضاء بعض طلباتهم الدينية والإجتماعية كما فعل الألمان في معسكر "الهلال" فبنت لهم مسجدا في "نوجون –سير مارن"(Nogent- sur-Marne) للصلاة وإستقبال الجرحى في الحرب[3]،كما تم مراعاة تناولهم للأطعمة المشروعة مثل اللحم المذبوح على الطريقة الإسلامية،وتم تعيين بعض الأئمة لتأدية الصلاة بهم وتعليمهم،لكن الهدف الفرنسي كان بطبيعة الحال دعائيا محضا فقد ذكر الكاتب الفرنسي "ميرسيهMercier"سنة (1918م) أن أولئك الأئمة " أفتوا للمجندين بعدم الصوم،ولكن بشرط قضائه بعد ذلك بحجة أن الصوم يوهن قواهم في محاربة عدوهم" وقد أورد نفس الكاتب نماذج من رسائل لجزائريين أبدوا رضاهم على وضعيتهم في الثكنات الفرنسية قال أحدهم في بعضها :"أنا لا أشرب الخمر و لا أتلاعب بالمال ،ولا أذهب إلى الأماكن المشبوهة(...).[4]

ولكن في الواقع كان معظم الجزائريين بمن فيهم المجندون يدركون أن فرنسا لم تفعل ذلك إحتراما لدينهم بل خدمة لمصالحها الظرفية المرتبطة بالحرب، و دائما وفي إطار هذه الدعاية المضادة تحت شعار "فرنسا الإسلامية" كما

[1] - Mohamed Ben siam ,"jours d'epreuve",**Akhbar**,(N13762),fev1911,p2.
[2] -A ,Bernard,"L'Allemagne et l'Afrique du Nord…",op.cit,p88.
[3]-Victor, Demontes,"L'Algérie pendant ces18mois de guerre",**S.G.A**,t10,1915,p130.
[4]- Mercier Gustave,"les indigénes Nord- Africain et la guerre",in :**Revue de Paris**,(T4),04 juil-Aout 1918,pp28-30.

أشرنا له سابقا أنشأت فرنسا دارا للإستقبال في مكة المكرمة لإستقبال الحجاج الجزائريين وكان إسمها الرسمي "دار الضيوف" وذلك بعد أن سمحت الإدارة الفرنسية بالحج سنة(1916م)بعد نجاح ثورة "الشريف حسين" وطرد كل العملاء العثمانيين والألمان من الحجاز حسب رأيها ،وقد بعث الحاكم العام ببعثة حجيج خاصة إلى الشريف في نفس السنة لتعبر له عن سرور الفرنسيين بتحقيق البقاع المقدسة إستقلالها من الإحتلال التركي،مع تقديم هدايا إلى الشريف من طرف الحكومة الفرنسية.[1] والهدف من كل هذا هو تحسين صورة فرنسا داخل الجزائر وخارجها وإظهارها بمظهر بلد يهتم بالإسلام والمسلمين ردا على الدعاية العثمانية –الألمانية.

وبالإضافة إلى إستعمال الإدارة الاستعمارية للدين الإسلامي في دعايتها للحصول على المجندين الجزائريين إستعملت و بتوجيه من متخصصي الدعاية والحرب النفسية ،أيضا وسائل إغرائية مختلفة،فقد قامت بعدة حملات دعائية واسعة استعملت فيها الموسيقى والولائم،فمنذ (1915م) أصدر قائد الجيش الفرنسي في الجزائر منشورا يحث فيه على التجنيد بطرق مغرية ، وبناء على ذلك خصصت فرقا موسيقية تعزف الموسيقى وتضرب على الدفوف لجلب الناس إليها،وكانت تقيم الولائم من حلويات و مشويات وأطباق من الطعام معروضة أمام أنظار الفلاحين والفقراء من الأهالي الجزائريين لمن يريد أن يتناول، وكانت بعض الفرق العسكرية تشارك في الإستعراضات التي كانت تضم بالإضافة إلى ذلك راقصين وموسيقيين لإغراء الجزائريين بكرم فرنسا لجذبهم للخدمة في الجيش الفرنسي.[2]

وفي (جانفي 1915م) إتخذ الحاكم العام إجراءا إغرائيا أخر بالنسبة للجزائريين للإنضمام للجيش الفرنسي وهو قرار (03 جانفي 1915م) الذي يعفي كل الأهالي الجزائريين الذين يجندون أو ينضمون للجيش الفرنسي خلال مدة الحرب وأولياءهم من قانون الأهالي.[3]وقد نجحت الإدارة الفرنسية بهذا الإجراء ترغب في تجنيد الكثير من الجزائريين في صفوف جيشها لاسيما من الفقراء والمحتاجين أو الذين رأوا في هذا القرار تخلصا من أسوأ القوانين الإستثنائية والإضطهادية ألا وهو قانون الأهالي البغيض.

أما بالنسبة لتلك الفئة من الجزائريين الذين رفضوا قانون التجنيد الإجباري وقاوموه فلم تتأخر فرنسا عن تطبيق سياسة زجرية وقهرية قاسية لإجبار هؤلاء الجزائريين المترددين والذين كان عددهم يكبر، من الإلتحاق بالجيش الفرنسي وهو مايصفه "سينيوريه (Signoret) "ب:"**سياسة العصا والشعير لتجنيد الجزائريين**"[4]

[1] -"Le pélérinage a la Mècque",**B.C.A.F**,Aout-sep1916,p289.
[2]-Signoret, "L'Algerie et les indigenes…", op.cit,p289.
[3]- Augustin Bernard,"L'Allemagne et l'Afrique du Nord", "Algerie "in: **B.C.A.F**,Avril1915,pp 88-90.
[4] - Signoret, "L'Algerie et les indigenes …",op.cit,p289

و في نفس الإطار قام "جورج كليمانصو" (رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ) و "جورج ليق" بتوجيه رسالة إلى رئيس مجلس الوزراء "أريستيد بريون" و طلبا منه إصلاح و تحسين الحالة الاجتماعية و السياسية للأهالي الجزائريين على ضوء ما صوت عليه مجلس النواب في(09 أفريل 1914م) وطلبا منه :

– تجنيس الأهالي بغض النظر عن الأحوال الشخصية الإسلامية (أي عدم إشتراط التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية, و هو ما لم يكن عليه الحال من قبل، إذ أن الأهالي الجزائريين كان عليهم أن يتخلوا عن أحوالهم الشخصية الإسلامية إذا ما راموا تجنيسا).

–توسيع الدائرة الإنتخابية بالنسبة للأهالي و منحهم حرية التعبير و الانتخاب.

–تمثيل الأهالي في المجلس الأعلى بباريس تمثيلا مباشرا يساهم في تحسين الرقابة الإدارية و السياسية للجزائر.

–تحسين تمثيل الأهالي في الوفود المالية و في المجالس البلدية و العامة و تخصيص اعتمادات مالية إضافية.

– مشاركة المجالس البلدية الخاصة بالأهالي في انتخاب رئيس البلدية.

– مراجعة الضرائب الخاصة بالأهالي (الضرائب العربية).

وقد أجابهما رئيس مجلس الوزراء في(05ديسمبر 1915م) بأن الحكومة توافقهما في هذا وأكد لهما أن وزير الداخلية قد شرع فعلا في تحضير إجراءات في هذا الصدد ،وقال أنه يسعى شخصيا لتمثيل أهالي شمال إفريقيا تمثيلا مباشرا في فرنسا .[1]

ورغم ما حققته هذه الإغراءات من تجنيد العديد من الجزائريين إلا أن عددا معتبرا ظل بدوره يرفض التجنيد لكثير من الإعتبارات، أهمها الدينية والوطنية وهو ما دفع الفرنسيين لاسيما مع تزايد خسائرهم في الحرب وتناقص عدد المنظمين إلى إستعمال الترهيب والقسر في إجبار الشباب الجزائري على الخضوع لنداء التجنيد،حيث كانت الفرق العسكرية تصاحب الفرق الخاصة بإجراء القرعة والتجنيد في مهمتها،وبدأت تلاحق الفارين في العديد من المدن والقرى،ففي (02 سبتمبر 1914م) صدر المرسوم الخاص بإحصاء دفعة (1915م)ثم في الثاني (02) من نفس الشهر أصدر وزير الحرب منشورا كلف فيه الأعوان الإداريين البلديين وأعوان الشرطة والدرك بالتحري وتحديد الشباب البالغ سن التجنيد وإحصاء الفارين والذين غيروا أماكن سكناهم،ثم إجبارهم على تسوية وضعيتهم وإيقاف كل من لم يفعل ذلك وحجزه لدى السلطات العسكرية مباشرة.[2]وقد إستمرت الإدارة الفرنسية في تطبيق قانون التجنيد الإجباري سنوات 1914,1915و1916م ، وتم تجنيد الآلاف من الشبان رغما عنهم،حيث لم يكن لهم سبيل أخر سوى القبول بالأمر الواقع لأنهم كانوا مراقبين مراقبة شديدة،فبالإضافة إلى حالة الطوارئ أصدرت

[1] -"Algerie "in: **B.C.A.F**,Jan-Fev1916,p43-44.

[2]-"la recherche des insoumis" **L'echo d'Oran**"(N15604),Dim 27sep1914.

الإدارة الفرنسية قرارا في(23 أكتوبر1915م) قوت به سلطة الشرطة في الإشراف المباشر على الأهالي الجزائريين.[1]

3-7 :مواقف النخب المختلفة وعامة الجزائريين من التجنيد الاجباري:

يتفق معظم الباحثين على أن هذه المرحلة المرتبطة بالحرب العالمية الأولى قد أدت إلى تحولات كبيرة وواسعة على مستوى يوميات وحياة الجزائريين ، ولكن الأهم أنها غيرت الكثير على مستوى ذهنياتهم و نظرتهم للفرنسيين من جهة وحتى لنخبهم من جهة أخرى ، حيث أن المواقف من هذه الحرب كشفت العديد من الأطراف ومستوى وطنيتها أو مدى عمالتها وخدمتها للفرنسيين ولم تعد نظرة الجزائريين للأوضاع تتم من زاوية ضيقة تصنعها حالة الإنكفاء والإنغلاق على النفس التي صنعها الفرنسيون تجاههم طويلا، كما وتزايدت في هذه المرحلة روح الإنتقاد للأوضاع ومستويات الحقوق والتطور الإجتماعي والإقتصادي ، وكل ذلك نتيجة مشاركتهم في الحرب وإطلاعهم على التطورات التي عرفها العالم شرقا وغربا ، فمن الملاحظ أن أغلب الشباب الجزائري قبل الحرب الأولى ، لم يكن لهم همٌ سوى الإستقرار بقدر الإمكان في الإطار الاستعماري[2].لكن الحرب وفرت ظروفا موضوعية تمكن من الإعتراض على تصرفات الاستعمار[3]. وتطوير الخطاب خاصة النخبوي منه ، نحو الفرنسيين وسياستهم في الجزائر ، وإن كانت الحرب قد خلقت في الحقيقة خطابا مزدوجا متعاكس الإتجاه ، بين خطاب مهادن للإستعمار متعامل معه وبين خطاب يدعو إلى أغتنام تلك الأوضاع الجديدة وأزمة الفرنسيين، لإفتكاك الحقوق وتحسينها ولما لا الإستقلال نفسه.

وكنتيجة حتمية لتلك التطورات شهدت الجزائر في الربع الأول من القرن العشرين بداية نهضة وحركة وطنية متعددة الأشكال والوسائل أسهمت فيها مجموعة من العوامل والمؤثرات الداخلية والخارجية ودفعت إلى التحول من العمل المسلح في ظل المقاومات الشعبية المسلحة (1832-1920م) نحو العمل السلمي على الصعد الإجتماعية والثقافية والسياسية وما صاحب ذلك من جدل ونقاش للعديد من القضايا التي أهمت الجزائريين كقضية التجنيد الإجباري[4] و التي قسمت فعلا وبقوة الجزائريين ونخبتهم إلى مجموعات وإتجاهات متباينة .

---

[1] -"Algérie" in:**B.C.A.F**,Op.cit,p44.

[2] - مالك بن نبي ،مذكرات شاهد للقرن... ، مصدر سابق ،ص20.

[3] - عبد القادرجغلول ،الإستعمارو الصراعات الثقافية في الجزائر ، دار الحداثة للطباعة والنشر ،بيروت،1981،ص194.

[4] - صدر المرسوم المتعلق بالتجنيد الإجباري بتاريخ 03 فيفري 1912م،بعد مناقاشات بدأت منذ 1907م عبر فكرة (ميسمي) الذي طرحه على لوزير الحربية انذاك،وعند وصول ميسمي لتولى الوزارة تابعه شخصيا منذ 1911م،ووضع لجنة خاصة لدراسة المشروع والتي خرجت بما أصبح قاعدة رئسية لمرسوم فيفري 1912م،نشر في الجريد الرسمية ،يحتوى على ثلاثون بندا مقسمة غلى ثلاثة اقسام،أهمها القسم الثالث الذي يشمل (23) بندا،تخص فيه البنود(3-8-12) تجنيد الأهالي،أنظر لقراءة التقرير والمرسوم كاملا: Ministre de la guerre,Rapport au président de la république Française,**El Mobacher**,(N5436),samedi02 mars 1912.

وقبل الشروع في دراسة تلك الإنقسامات من حيث مكوناتها وأفكارها ، يجدر بنا أن نلاحظ إتفاق جميع الأطراف على أن قانون التجنيد الإجباري لم يكن إلا عبءا إضافيا زاد من معاناة الجزائريين و محطة أخرى في قطار القوانين الزجرية الاستثنائية التي عودت فرنسا الجزائريين إصدارها من حين لأخر،و لم يكن لأحد أن يتوقع قبول الجزائريين ماعدا الموالين منهم لهذا القانون.

موقف النخبة المحافظة :

إرتكز فكر النخبة المحافظة الجزائرية على تعاليم الدين الإسلامي و التعليم العربي الذي نهلوا منه في الزوايا والمدارس العربية داخل وخارج الوطن مما جعلهم يطالبون ويجتهدون في نشر الإصلاح الإجتماعي والثقافي، كخطوة لامفر منها قبل أي عمل سياسي يحتاج إلى كثير من الوعي والنضال، غير أن إحتدام النقاش السياسي حول قضايا مثل التجنيس والتجنيد جعلهم لا يتأخرون عن المشاركة في الجدل القائم خشية أن ينجح الطرف الآخر سواء الفرنسيين أو التغريبيين من الجزائريين في إستغلال غيابهم للمس بمقومات الشخصية الجزائرية.

وكان هؤلاء المحافظون في معظمهم علماء ومصلحين ووعاظ وإن كان جزء منهم موظفون لدى الإدارة الفرنسية ولكنهم مثقفون ثقافة مزدوجة أبقتهم متمسكين بقيمهم العربية الإسلامية.

ومن أبرز الرجالات الإصلاح في هاته المرحلة الشيخ "المولود بن الموهوب"[1] و"عبد القادر المجاوي" [2]،وغيرهما ممن عاصر النهضة العربية وحركة الإصلاح المرتبطة بفكرة الجامعة الإسلامية،سواء عن طريق ما يصل للجزائر من صحافة محافظة أو عن طريق السفر للحج والدراسة في المشرق العربي ،مما جعلهم واضحي التأثر بأفكار "محمد عبده" و"جمال الدين الافغاني" و"محمد رشيد رضا"،وقد كان لهؤلاء شعبية ومكانة داخل المجتمع الجزائري وحتى لدى الإدارة الفرنسية نفسها و التي تحاول بين الفينة والأخرى إستغلالهم كما حدث مع زيارة الشيخ "محمد عبده" للجزائر ، التي هدفت من ورائها لتلميع صورتها أمام الجزائريين والعالم الإسلامي،مما جعل مواقفهم تجاه هاته القضية أو تلك يهم الطرفين الجزائري والفرنسي في آن واحد.

[1] - المولود بن الموهوب : (1866-1939)، المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود ،ابن الموهوب، كاتب وخطيب وشاعر، نشأ وتعلم بقسنطينة ،عين سنة1895م ، أستاذا للفقه بمدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة ، ثم مفتيا للمذهب المالكي بها سنة 1908م ،وفي نفس السنة أسهم في تأسيس نادي " صالح باي"، وكان فيه يلقي محاضراته الثقافية، نشر العديد من المقالات والأشعار في " كوكب إفريقيا" و" الإقدام"، مكن آثاره : " نظممقدمة بن آجروم" و" مختصر الكافي في العروض والقوافي".، أنظر : عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، مرجع سابق، ص 324.

[2] - عبد القادر المجاوي : (1848-1913م)، عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي، مصلح تقليدي ،سلفي، خطيب ، من كبار العلماء، ولد بتلمسان وتعلم بها، وأكمل دراسته بجامع القرويين بفاس ، عين مدرسا بجامع الكتاني بقسنطينة ،ثم بالمدرسة الكتانية. ونقل إلى مدينة الجزائر (1898م)، وولي التدريس بالمدرسة الثعالبية ،خرج أفواجا من القضاة والمترجمين والمدرسين والأئمة، من آثاره ،" اللمع في إنكار البدع" و" نصيحة المريدين" وغيرها.، أنظر، عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، مرجع سابق، ص278.

لقدعارضت النخبة المحافظة الجزائرية بوضوح الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي من حيث المبدأ والأساس،فهم حسب تصورهم لا يجدون أية فائدة سيجنيها الجزائري من حربه تحت راية "فرنسا المسيحية" لا على المستوى الديني ولا على المستوى الدنيوي مع ما في ذلك من تعارض واضح مع الدين الإسلامي،فهو يمس عقيدة الجزائريين إذ يجبرهم على القتال تحت راية غير إسلامية، قد يحاربوا من خلالها أخوة لهم في الدين والجنسكما أنه يناقض إتفاق (05 جويلية 1830م) الذي نص على إحترام فرنسا الكامل للدين الإسلامي والقوانين و الأعراف الجزائرية، ولعل هذا الإجراء أي التجنيد قد يجبر المجند المسلم على الإضرار ببعض أركان دينه مثل الصلاة والصوم و طبيعة الطعام الذي يتناوله وغيره، لأن السلطة الكافرة لا تحترم و لا تدرك مدلولات الفقه الإسلامي ،وهنا يقول "عمر بن قدور" :"**هل من المعقول أن الحكومة الفرنسية إذا حشرت أبناء المسلمين تحت لوائها العسكري تعتني بذلك الإعتقاد الراسخ في قلوبهم فتزيده قوة ورسوخا بإجبارهم على الصوم والصلاة في أوقاتها سواء كانوا في الثكنات أو في مواطن الوغى.**"[1]

و من جهة أخر عارض المحافظون ربط التجنيد الإجباري بمطالبة بعض الشبان الجزائريين من النخبة المجددة بأية مطالب سياسية لاسيما الجنسية الفرنسية لما في ذلك من إخلال بالعقيدة الإسلامية حسب إعتقادهم، إضافة إلى التشكيك أصلا في إمكانية تقديم فرنسا أية تنازلات مهما كان نوعها للجزائريين ، فكيف في المجال السياسي، وهو ما عبر عنه "عبد الحليم بن سماية" سنة(1911م) بأنه لا يجب على الجزائريين أن يلهثوا وراء الحقوق السياسية حتى ولو خول لهم ذلك التحكم في إدارة بلادهم ،فإن هذه الحقوق لو منحت للجزائريين مقابل تجنيسهم فهي الضربة القاضية لدينهم وشخصيتهم الإسلامية الأصيلة، فإذ منحت الجنسية الفرنسية لهؤلاء الشباب من المجندين بعد فترة،سيرون أنفسهم في أعلى عليين،أما آباءهم فسون يرونهم في أسفل سافلين وهو ما جعل "عمر بن قدور" يتهم فرنسا بالعمل على صناعة جيل من الجزائريين سيصطدم لا محالة مع أبائه وأجداده نتيجة أفكاره الجديدة والمخالفة لقيم هؤلاء، فيقول :" **لقد أنجبت رجالا يرمونا في كل وقت بشظايا المحارق والقنابل،أفلا يحق لنا أن نتذمر من هذا السلوك العجيب؟ لاسيما وهنالك الأمل في تنمية قوى التفرنج بتعليم أبناءنا في الثكنات وإخراجهم إلينا أعداء ألداء بعد أن كانوا أبناء أصدقاء.**"[2]

و من أبناء هذا التيار المحافظ الذي عرفوا بمعارضتهم للتجنيد الاجباري نجد" عمر راسم" الذي عارض التجنيد الإجباري ووقف ضد الفئة الإندماجية التي قبلت بشرط كسب الحقوق السياسية دون مراعاة مسألة الدين

[1] - خرفي صالح،"من أمجادنا الصحفية "،**مجلة الثقافة** ،ع03،جويلية 1981،ص ص132-162 نقلا عن :عمر بن قدور:" الخدمة العسكرية والرفض الأخير"،**الحضارة**،عدد 08 أوت 1911.

[2]- خرفي صالح، من أمجادنا الصحفية...،مرجع سابق ،ص133.

والرابطة الإسلامية والعلاقة مع الخلافة الإسلامية،ولعل ذهابه إلى مصر سنة(1912م)كان تعبيرا مباشرا عن سخطه على قانون التجنيد الإجباري الذي صدر في هاته الفترة بالذات،خاصة إذا عرفنا أن السلطة الإستعمارية كانت قد منعت الهجرة إلى المشرق بالقوة على الجزائريين الساخطين" [1]و لكنه وأمام التعنت الفرنسي لسحب هذا المشروع أو حتى تعديله،طرح النقاش بذكاء كبير فإبتعد عن الثورية في الرفض وآثر المعارضة المبطنة وذلك من خلال مقالاته التي بعث بها للصحافة التونسية بعيدا عن قمع السلطات الفرنسية و بإعتماد إسم مستعار هو "إبن منصور الصنهاجي"،فقدم رسالة بإسم مواطن بسيط يغار على وطنه وعلى مجتمعه في رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء الفرنسي ووزير الحربية والحاكم العام تحت عنوان "رأي حر" على صفحات جريدة "التقدم" التونسية،حيث طالب الإدارة الفرنسية بضمانات هامة لكي يستجيب الشاب الجزائري للتجنيد وذلك بمنحه كل الحقوق التي تؤهله ليكون جنديا مقاتلا بموجب قانون التجنيد الذي إعتبره حلا لمشاكل فرنسا على حساب الجزائري المضطهد على أرضه،أي أنه أجدر لفرنسا قبل أن تفكر في تجنيد الجزائريين أن "**تنشر مصابيح العلم النافع بين أفرادها لتضيئ على أفكارهم" ولذلك يجب أن "تُنشأ المدارس في كل قرية ودشرة،وتجعل التعليم الإبتدائي إلزاميا ومجانيا،وتؤسس المدارس الصناعية لترتقي بالصناعة الجزائرية و تنظم التجارة ،وتفرض فنون المحاسبة ومسك الدفاتر في بعض مراحل التعليم،وتشرك الأهالي في الوظائف حسب مؤهلاتهم العلمية"،وتمنح الجزائريين "حرية الفكر وتبيح ممارسة صناعة الصحافة للمسلم لما في ذلك من تثقيف للعقول وسلامة للقلب**" ثم يخلص إلى نتيجة وهي المساواة بين الجزائري و الفرنسي في السراء والضراء لأن"**شهامة العربي لا تسمح أن تكون نفسه متساوية في الموت مضطهدة الحقوق في الحياة**"[2]

وقد لقيت كتابات "عمر راسم" تلك ،صدى واسعا لدى الجزائريين لاسيما المتابعين منهم للصحافة التونسية ونجد "عمر بن قدور" يثني على ذلك في جريدة "التقدم" التونسية في مراسلة تحت عنوان "كلمة حق"أثنى فيها على عمر راسم لدرجة أنه إعتبر ما قاله برنامجا سياسيا وطنيا يلخص مجموع أراء الجزائريين المسلمين الذي لمح أنهم يوافقون على ما جاء فيها من حديث :" **وإبتهج جل الجزائريين إن لم نقل كلهم من تلك الرسالة المفتوحة المنشورة في العدد(20)عشرين من التقدم(...) وسعدوا بوجود مثل الكاتب و الأديب السياسي(...)"ابن منصور الصنهاجي".إن الشعب الجزائري قضى عليه التقهقر شر قضاء(...)ولذلك أخذت الآمال هنا تنتظر بفارغ الصبر الوقت الذي تعبر فيه الجمهورية الفرنسية إلتفاتتها إلى تلك الخطة السليمة (...) ولا عجب إذا**

[1] - مزاري عبد الصمد، " أهمية الإصلاح وعوامله في الجزائر ،عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر،منشورات مخبرالبناء الحضاري للمغرب الأوسط الجزائر إلى نهاية العهد العثماني،جامعة الجزائر 2،دار هومة ،الجزائر ،2009،ص ص ،96-97.

[2] محمد صالح الجابري ،النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس(1900-1962)،الدار العربية للكتاب،تونس،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983،ص231،نقلا عن :مقال لعمر راسم في جريدة **التقدم** ، بتاريخ 26 ديسمبر 1907.

لهجت ألسنة الجزائريين بالشكر والثناء للصنهاجي الذي خط في خدمة الوطن حروفا لا ينساها له التاريخ،وإن تعاقب الدهور وتوالت العصور."[1].

وعندما أوفدت الحكومة الفرنسية في أواخر(1908م) لجنة رودييه لبحث سبل تطبيق التجنيد الإجباري في الجزائر وجس نبض الجزائريين تجاهه ،توجه "عمر بن قدور" إلى الحكومة الفرنسية بمقال نشرته جريدة " التقدم"شرح فيه الأسباب الإجتماعية والدينية التي تجعل الجزائريين يرفضون قرار الحكومة الفرنسية بتجنيدهم،لأنها بقرارها ذلك تتعدى على دينهم وقيمهم وأكد أن من الجزائريين" من يرى أن الأمر إذا تم وصارت الخدمة العسكرية على المسلمين فرضا لازما، فمن المحال أن تبقى سياسة الإستعباد والإسترقاق قاضية على الشعب الإسلامي،وضاربة أطنابها عليه" وبالتالي فلا بد أن "تستبدل بالحرية والمساواة في الحق الانتخابي" ودون تحقيق ذلك يضيف الكاتب" يبقى الفكر الغالب على المسلمين عندنا هو عدم الرضوخ لأداء الخدمة العسكرية،وغاية المقاومة أنهم يهاجرون الأوطان،ويقصدون الشرق بدلا من أن يجهزوا في البعوث والتجنيد،ولا غرو فإنهم يرون في ذلك سقوطا عظيما في الدين الإسلامي حين ذاك"أما إذا ما تم إجبارهم على الإستجابة لنداء التجنيد فلا بد على فرنسا مراعاة دينهم ومشاعرهم"بإفراد العساكر المجندين في جيشها بتراتيب خاصة تتيح لهم القيام بما يجب القيام به من العبادات،ومنحهم قوانين مشابهة لقوانين العساكر الإسلامية الروسية،من وجود المساجد في الثكنات،وأئمة يؤدون بالعساكر الصلاة في أوقاتها مع تعليمهم أركان الدين ولوازمه."[2]

ولم يكتف "عمر راسم" بالكتابة لفضح هذا القانون، فقد أمر أحد أقربائه (جمال الدين سفينجة)،بإلصاق بيانات على جدران بالعاصمة[3]،يكذب فيها الفتوى[4] التي جاء بها"بيجو" من الشرق بواسطة "ليون روش"[5]، التي

---

[1] - الجابري ، النشاط العلمي والفكري...، مرجع سابق،ص231.نقلا عن :عمر بن قدور،"كلمة حق"،**التقدم**،العدد الصادر في 23 جانفي 1908.

[2] - محمد صالح الجابري ،مرجع سابق،ص231.نقلا عن :عمر بن قدور،**"التقدم"**،العدد الصادر في 09 جانفي 1909.

[3] - Charles Robert Agéron,Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919,(T2),ed,Press Universitaires de France,Paris,1968,p106.

[4] - قدم ليون روش إلى سلطات بلاده ، مشروع فتوى إذا وافق عليها علماء المسلمين ، ستبطل إعتبار الجزائر دار حرب وتوهن حركة الجهاد، فأعطوه الضوء الأخضر، فراسل بعض زعماء الطرق الصوفية في الجزائر وعلى رأسهم الشيخ محمد الصغير التجاني الذي صاغ له نص الفتوى، ثم قام الحكم العام للجزائر المارشال بوجو بتموين الرحلة إلى المشرق،سافر روش مع مرافقيه في شهر يوليو 1841م، إلى مصر عبر تونس ومالطة، أين قدم نص الفتوى لعلماء الأزهر، فتداولوها حوالي ثمان ساعات، حسب ليون روش ووافقوا عليه في الأخير، ثم إنتقلت الرحلة على الحجاز، أين طالب بالتصديق على الفتوى من علماء المذاهب الأربعة ، الذين قبلوا بها أيضا ، ماعدا مهاجر جزائري ، هو محمد بن علي السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية بعد ذلك)، وعلى العموم فإن نص الفتوى يحرم على المسلم هجرة بلاده ومقاتلة الكافر الغالب في بلده ، إذا كان هذا الكافر قد سمح له بممارسة شعائر دينه ، أنظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،(ج5)، دار البصائر ، الجزائر، 2007، صص 31-46 .و أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية(ج1)، مرجع سابق ،صص237-240 . و ، يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847،دار هومة ، الجزائر ، 2014

[5] - ولد ليون روش (Leon Roche)، في قرونوبل – فرنسا – سنة 1809، شارك والده في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م ، حل بطلب من أبيه بالجزائر سنة 1832م، ودخل في خدمة الجيش والدبلوماسية الفرنسية غلى غاية وفاته سنة 1901.، أنظر ، يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش ، مرجع سابق، ص 10-15.

تدعي أنه يمكن للمسلم أن يُحكم من عدوه ما لم يمنعه من القيام بواجباته الدينية[1] وقد كان هذا الأسلوب الجديد المتمثل في إلصاق المناشير من أكثر الوسائل قدرة على إثارة السكان من جهة و الأكثر إثارة لتخوف الإدارة الفرنسية لصعوبة التحكم فيما يكتب فيه ، كما تتحكم في الإجتماعات أو العرائض أو تخوفا من أن تكون أطراف خارجية (العثمانية – الألمانية)، وراء توزيع هذه المناشير و صياغة محتواها.

ومن ذلك يتضح أن معارضة الإصلاحيين تراوحت بين رفض مطلق وبين من يحاول أن يربط قبول ذلك بتحسين أوضاع الجزائريين الإجتماعية والدينية وتحسين أوضاعهم السياسية، وإن كانوا على ثقة بأن فرنسا لن تمنح للجزائريين أية فرصة من شأنها أن تساوى بينهم وبين الأوروبيين والأهم من ذلك أن الجزائريين يتوقون لطرد هذا المستعمر فكيف يهبون للدفاع عنه ما لم يُجبروا على ذلك.

ففي سنة(1914م) كتب "عمر بن قدور" في جريدته الفاروق :" **إن فرنسا تطلب الجندية وتسعد بنا في ميدان الحرب، فلنعطها أطفالنا، ولكن بعد أن نملأ أوعية قلوبهم إيمانا وعواطفهم إحساسا وشعورا وأخلاقهم حسنا وجمالا**"[2].

ومع إدارك "بن قدور" إستحالة منع فرنسا من تجنييد الجزائريين ، رأى أنه من الأفضل إستغلال هذه الحاجة الفرنسية لإجبارها على تقديم إجراءات وإصلاحات تهدف إلى تحسين أوضاع الجزائريين الإجتماعية والإقتصادية والسياسية،فعاد ليقول بأن فرنسا :"**قد أخذت تنتبه لحاجتنا وتعتني بتحسين معاملتنا،فحاجتنا إليها أن تحترم قوميتنا وملتنا وأخلاقنا وتمهد لنا السبيل لنسترجع ما فقدناه من هذه الأصول الثلاثة،وتسمح لنا بفتح المدارس لتهذيب أبناءنا على وفق مقتضيات مصلحتنا ثم مصلحتها** (...)**وإنا عنصر شريف يبجل مبادئ قوميته وملته قبل كل شيئ وهذا التبجيل هو الذي يجعله متسامحا مع الغير،لينُ العريكة،كريم العواطف والشمائل**"[3].

كما عمد "بن قدور" إلى تغطية كل النشاطات الفردية والجماعية المناهضة للتجنيد الإجباري[4] ففي سنة(1911م) خلال حملة الجزائريين[5] ضد التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي والتي أخذت أشكالا متعددة منها تلك

---

[1] - محمد ناصر، عمر راسم، المصلح الثائر، مرجع سابق ،ص34.

[2] - عمر بن قدر ،"طور جديد للجزائر والجزائريين"،**الفاروق**،(ع40)، 24 ربيع الأول1332 هـ-30 فيفري 1914م.

[3] - نفسه.

[4] - أنظر الملحق (رقم 16).

[5] - أخذت هذه الحملة المعارضة للتجنيد ، أشكالا متعددة من بينها كتابة العرائض واللوائح ففي 25 ديسمبر 1907 بعث " المستشارون الأعيان" الجزائريون في البليدة رسالة إلى محرر جريدة " لا ديباش أرجيليان" رافضين فيها رسميا التجنيد الإجباري ...كما أرسلت العديد من الوفود إلى باريس لنفس الغرض كما حدث سنة 1908م الذي قابل رئيس الوزراء جورج كليمانصو..ووفد أخر سنة 1912م قابل رئيس الجمهورية الفرنسية ، بوانكاري.... وقد جرت في كامل أنحاء الجزائر سنة 1908م ، مظاهرات تلقائية وجماعية ، ولكن سلمية لمعارضة التجنيد الإجباري...، أنظر : أبو القاسم سعدالله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج2)، مرجع سابق ،ص ص 173-177.

الإجتماعات التشاورية التي كان يقوم بها أعيان المدن والحواضر الكبرى بشكل خاص أي أولئك الذين يتمتعون بنصيب معقول من الثقافة والوعي السياسي بغرض تقريب وجهات النظر وتقديم إقتراحات أو إنتقادات للسلطات الفرنسية فيما يتعلق بقضية التجنيد الإجباري ،كتب "عمر بن قدور" تقريرا يغطي فيه أحد هذه الإجتماعات العمومية، جرى بالعاصمة لمعارضة التجنيد،ونشر هذا التقرير في جريدة" الحضارة " العثمانية في العدد(70) بتاريخ(08 أوت 1911م)[1]،وقد عقد هذا الإجتماع في(25 جويلية 1911م) تحت رئاسة رئيس بلدية الجزائر العاصمة (دوغلان) مع أعيان العاصمة لأخذ رأيهم في الموضوع،حيث تدخل الشيخ "عبد الحليم بن سماية" بعدما زكاه الجميع ليتحدث بإسمهم" فتقدم جنابه وشرع في الكلام شروعا جميلا وأتى على خط مستقيم وإستدل بآيات قرآنية على أن المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسوية، لايكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة، ولو نالوا من الحرية ما يخول نبغاءهم التربع في دست رئاسة الجمهورية.ودعا جنابه إلى أن الحرية والحقوق السياسية إذا منحت للمسلمين تكون هناك الضربة القاضية على القومية الدينية والجنسية إذ يقع إندماجهم بالأمة الفرنسوية نهائيا(...)ولما أتم كلامه،صاح الأعيان بأنهم موافقون تمام الموافقة على إحتجاجه ورفضه للمشروع.ثم أعرب المفتي الحنفي السيد "محمد بوقندورة" عن رأيه بأنه موافق على كلام الأستاذ عبد الحليم ،و إنتهت المفاوضة بقرار رفض التجنيد سواء بنيل الحقوق السياسية أم لا.ولم يفلح المتفرنجون في معارضتهم، وبحسب تقرير بن قدور فإن خطبة ابن سماية التي تملأ ست صفحات،كانت وثيقة وطنية صريحة لم يكن أجرأ منها ولا أثقل وطأة من أية معارضة في العهد الإستعماري لذلك العهد."[2].

وبالرغم من أن التجنيد الإجباري أصبح بعد إصدار مرسوم(03 فيفري 1912م) أمرا مقضيا،واصل الإصلاحيون معارضتهم له مادامت وضعية الجزائريين الإجتماعية والإقتصادية على حالها و أكدوا أن أغلبهم رافضون للتجنيد،لكنهم قد يقبلون به إذا ما منحت لهم حقوقهم الطبيعية في الحياة،وعن هذا جاء في "جريدة الحق" قولها :**"كيف يكون الأمر حينما تجبر الدولة الوطنيين على المحاماة عنها بون مقاصة ؟–بدون مقابل–إنهم يقولون أي الجزائريين:لم يقع بيننا وبينكم إتفاق،بل كان لكم القوة فألزمتمونا بالمحاربة ،فلن نحارب،لأنكم كنتم بخلاء علينا بما جدتم به عن غيرنا (...) إن الدولة إن لم تساعد الوطنيين في مرغوباتهم–مطالبهم–بأن تعطي للمجندين الحقوق السياسية وتحترم شرائعهم وتنزع عنهم المغارم الثقيلة والشرائع الخصوصية،لا تعد عليهم للتباهي في العدوان".**[3]

---

[1] - خرفي ، "من أمجادنا الصحفية" ، مرجع سابق،ص 132-162.

[2] عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون،الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى1920-1936،م و ك ،الجزائر،1984،ج1،ص ص،35-36

[3]- "قلة الولادات في فرنسا ومسألة التجنيد الاجباري"،**الحق**،ع 35،من 08إلى 15 جوان 1912.

إنها معارضة علنية ومباشرة للتجنيد الاجباري من طرف الصحيفة التى أنذرت الفرنسيين من إحتمال إنفجار الوضع ،بسبب الضغط النفسي الشديد الذي تمارسه على الأهالي من جراء القوانين الإستثنائية.

ومن جهة أخرى كانت الصحيفة تحث الجزائريين على المطالبة والدفاع عن حقوقهم الشرعية في الحياة،وكانت تنصح الوفود التي تنوى التنقل إلى باريس :"**بالكلام عن العسكرية الإجبارية وطلب إسقاطها من أصلها والإكتفاء بالمتطوعين،أو إن تعذر الأمر إعطاء الحقوق السياسية لكل مجند أو لكل الوطنيين مع إحترام الشرائع الاسلامية.**"[1]

وهذا أخر ما أصبح بوسع الجزائريين فعله في هذا الظرف ،حيث قام "محمد بن رحال"[2]،بالتوجه إلى باريس على رأس وفد من أعيان ندرومة وتلمسان في (جويلية 1912م) للإحتجاج ضد التجنيد الاجباري،حيث طالب الحكومة الفرنسية "بسحب مرسوم(03 فيفري1912م) أو منح الجزائريين تعويضات على العبء الجديد الذي يفرض عليهم،أو السماح لهم بمغادرة الجزائر بحرية."[3]

إن مطالبة المصلحين بالمساواة في الحقوق بين الجزائريين والمستوطنين الفرنسيين،هو من باب إصلاح حالة المسلمين المتردية من جراء إستعمار بلادهم وليس من باب طلب الإندماج في الكيان الإستعماري الفرنسي مثلما

[1] - "البعثة الوطنية في العسكرية "،**الحق**،ع 39 ،من 15 إلى 20جوان 1912.

[2] - ولد العلامة سي أمحمد بن رحال يوم16ماي1858في مدينة ندرومة بتلمسان وعاش في وسط عائلي مثقف كان الوالد أغا ندرومة الملقب بالحاج حمزة بن بشير بن رحال، نشأ العلامة في منطقة جبل فلاوسن بسلسلة طرارةالمشهورة بكونها قلعة للموحدين.
ينتمي سي أمحمد بن رحال إلى أسرة عريقة في الثقافة والسؤدد، اشتهر أبناؤها بتولي مناصب الإمامة والتعليم والقضاء، أما والده أبوه حمزة فقد تولى منصب القضاء بندرومة في عهد الأمير عبد القادر وساهم في إعادة تنظيم العدالة الإسلامية في الجزائر ، ليتولى بعدها منصب الأغا وبعد مدة قدم استقالته في سنة1878 م سانحا لابنه سي محمد تبوأ هذا المنصب المذكور سالفا وتجدر الإشارة أنه والد سي أمحمد كانت له مكتبة ثرية لمجموعة من المراجع الدينية الثقافية التاريخية و القانونية وقد شرع في تأليف تاريخ مدينة ندرومة باللغة العربية في سنة1848م ثم أعاد ترجمة الكتاب من العربية إلى الفرنسية ،ابنه سي أمحمد في سنة1877م. اهتم والده بتربيته وتعليمه, فأدخله إلى المدرسة الرسمية الأولى المزدوجة اللغة بندرومة التي افتتحت أبوابها سنة1865 ، وبموازاة ذلك كان سي أمحمد بن رحال الطفل يتردد على كتّاب حيّه، أين حفظ القرآن الكريم كما تشرّب الثقافة الصوفية من محيطه الاجتماعي والزاوية الدرقاوية، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر لمواصلة تعليمه بثانوية الإمبراطورية، حيث كان له الشرف بنجاحه في شهادة البكالوريا كأول شاب جزائري سنة1874م وكان يبلغ من العمر16سنة. هذا وقد مكّنه مساره الدراسي الرصين من امتلاك ناصية اللغة الفرنسية دون أن ينبهر بثقافتها, الأمر الذي مكّنه من تقلد منصب خليفة أغا سنة 1876م وبعد تولى قيادة ندرومة بمنصب قائد1878م. وبصفته مساعد في المجلس العام إذ حظي بمهمة إلقاء خطاب رسمي تضمن 3 صفحات باللغة الفرنسة بمناسبة استقبال رئيس الجمهورية الفرنسي(أيميل لوبي) بتلمسان في شهر أفريل1903م وبدأ الخطاب بهده الجملة الترحيبية(الملكة العتيقة للمغرب.....عاصمة بني زيان القادمة ترحب بكم...) وكان فحوى الخطاب يتمحور حول مطلب رئيسي ألا وهو عدم الإدماج وعدم المواطنة ولكن المطالبة بتمثيل سياسي في البرلمان.، تلقى دعوة من السلطات الفرنسية بزيارة المعرض الدولي المقام بباريس سنة1878م حيث انبهر بعاصمة الأضواء باريس حيث خص باستقبال خاص واحتك بهذه المناسبة بشخصيات مرموقة .
تميز سي أمحمد بأنه كان يرتدي اللباس التقليدي الجزائري على غرار هيئة الأمير عبد القادر.وقد وافته المنية بندرومة يوم6أكتوبر1928م وقد حضر مراسيم الجنازة ممثل أعلى ممثل الإدارة الفرنسية بالجزائر العاصمة. أنظر : M'hamed Ben Rahal, « l'avenir de l'Islam » conférance au Congrés des Orientaliste-Paris, in,Revue des questions diplomatiques et coloniales, Paris,1nov 1901- et- Gilbert GrandGuillaume, Nédroma,l'evolution d'une medina,E.J Brill, Leiden, 1976.pp-51.

[3] -"La conscription des indigénes",**El Hack**,(N40),Du 13au 20 juillet1912.

كان يطالب به جماعة الشبان الجزائريين،و قدجاء في جريدة الحق ما يلي :"**إن هذه المسألة ضارة بنا نحن معشر المسلمين من النواحي الدينية والسياسية و الإجتماعية،ولكن من سوء حظنا قامت جماعة ممن تخلقوا بمفاسد التمدن الحديث وشرور الحضارة الجديدة ،وانتصروا للمشروع السيئ وأظهروا حبهم له ظنا منهم أن سبب إنحطاطنا هو الدين،وأن الخدمة العسكرية تجبرنا على مخالطة إخواننا الفرنسيين وأبناء الأجانب فنتخلق بأخلاقهم وتذهب من عقولنا تلك الأوهام الدينية والخرافات الإسلامية،خلاف ما يظهره من أن الذي دعاهم إلى قبولها و الرضى بها هو الطمع في بعض إمتيازات ينالها المسلمون بعد خدمتهم العسكرية،وعلى كلا الحالتين فهم في ضلال مبين.**

الدين هو السعادة بعينها،السعادة التي لا شقاوة بعدها(...) فلو تتبع المسلمون دينهم حسب ما أتى به نبي الرحمة و روح الإصلاح صلى الله عليه وسلم،لما بقي شبر في البسيطة يحكمه غير المسلمين، والتاريخ شاهد عدل لا راد لبراهينه،أما الإمتيازات التي طمع فيها المغررين– والتي لم ينالوا منها شيئا–فقد تشهد لها المدة التي إستولت فيه فرنسا على الجزائر وهي قريبة من قرن كامل."[1]و هو إنتقاد مباشر وصريح لجماعة الشبان الجزائررين وأولئك الموالين لحزب الاستعمار.

وبعد المعارك الأولى للحرب والتي يبدو أن بعض الجزائريين قد أبلوا فيها كتب "عمر بن قدور" واصفا ما قام به الجنود الجزائريون :"**هي الشهامة الإسلامية ذات الجمال الباهر الذي أدهش القريب و البعيد ،قد شيدت في أعماق القلب صروحا في أعلاها شعار مسلمي شمال إفريقيا الذين لم يدافعوا عن الدولة الجمهورية لأنهم يخلصون لها فقط،بل ولأنها في عرفهم أقنوم الإنسانية والعدالة والحرية الوحيد،ولأنهم يتيقنون منها الإعتراف لهم بما يطلبون من مجد ونمو تحت كنف مجده الأثيل(...) إن هذه الشهامة الإفريقية ستخدم نفسها بنفسها ،وإنها لقادرة على نحت طريق للشعب خاليا من كل العراقيل والعوائق بحمد الشعب عبر سلوكه حيث يسود الوئام بين الجنسين المتعاشرين في هذه الديار**[2].

[1] - وخصوصا بعض الموظفين والأعضاء البلديين والماليين الذين كانوا أداة طيعة في يد المستوطنيين،وقد إنتقد عمر بن قدور بعضهم سنة 1909م،كانوا أعضاء بلديين في العاصمة"وهم حضرات السيد يوسف بن رضوان ،ابن الرابط ابراهيم بن علي ،بن صياح المندوب المالي بالمجلس الأعلى ،وقد قدموا مذكرة الى الحكومة الفرنسية رفضوا فيها الخدمة العسكرية رفضا باتا.ولقد عضدهم في ذلك حزب المعمرين،وإن في ذلك عبرة لقوم يعقلون..." أنظر :الجابري ،مرجع سابق،ص239 نقلا عن:مقال لعمر بن قدور بجريدة **التقدم** ،بتاريخ 09 جانفي 1909.

[2] - عمر بن قدور،" الشهامة الاسلامية" ،**الفاروق** ،ع79 ،الجمعة 05 ذي الحجة 1332هـ-15 سبتمبر 1914.

ومن أبرز المصلحين الثائرين على التجنيد الإجباري في الشرق الجزائري نجد "عباس بن حمانة"[1] الذي كان معارضا لكل مشاريع فرنسا الإستعمارية في الجزائر،ومن بينها التجنيد الإجباري حيث طالب بإلغائه كلية وإعتبر أنه من أكبر المظالم التي حلت بالجزائريين، ولم تفعل أكثر من زيادة آلامهم التي بدأت سنة (1830م).

ولم تكن الصحافة ذات التوجه العربي الإسلامي بدورها بعيدة عن هذا النقاش المحتدم بشأن الموضوع ، فسمحت لنا بتتبع مستوى النقاش الحاصل وطبيعة الأطراف المشاركة فيه وما يقدمه كل طرف للدفاع عن آرائه فجريدة "الحق الوهراني"[2]مثلا عُرفت برفضها الواضح لتجنيد الشباب الجزائري ،مبرزة ما في العملية من خطر على الجزائريين ،بل إنها كانت تحرض الجزائريين على الوقوف ضده، حتى لا تسمح للسلطات الإستعمارية بتطبيقه، فقد أفسحت الجريدة" المجال واسعا أمام أصحاب الأفكار الإصلاحية،والذين ساءهم ما آلت إليه حالة الجزائريين من جراء التجنيد الإجباري، ففي مقال بعث به إلى الصحيفة مهاجر جزائري من القاهرة من الفارين من نير القوانين الفرنسية الجائرة ولاسيما التجنيد، تعجب لأمر فرنسا كيف سمحت لنفسها أن تفرض على الجزائريين قانونا مماثلا :"**قبل أن تسترضيهم وتسمع صوتهم" رغم علمها برفضهم له منذ أمد بعيد وبالرغم من أن "صوت الأمة ليس بالأمر اليسير كما تفهمه فرنسا"و إعتبر الكاتب أن "حادثة هذه السنة قد نقضت أخر عهد من العهود التي عقدتها فرنسا معنا" وهي بذلك تسببت "بحفر هوة عميقة بيننا وبينها" وإن التجنيد الإجباري "لا يتفق إلا مع أهواء الذين ينظرون إلى مصالحهم الشخصية".ولو أن البعض"أظهر الميل إلى الرضاء بالتجنيد ولكن على شرط أن يمنح الجزائريون حقوقهم الطبيعية في الحياة."**[3]

لقد إستطاع المصلحون أن يحصلوا على ثقة فئة كبيرة من الجزائريين بفضل أفكارهم الإصلاحية والتي نشروها من خلال مقالاتهم الصحفية في كل من جرائد" التقدم"و"المشير" في تونس ،وجريدة "الحق" بالجزائر ومن خلال منابر المساجد ومجالس الوعظ و الإرشاد فيها،وكذلك من خلال النوادي الثقافية التربوية مثل نادي"صالح باي" بقسنطينة،وقد أثارت هذه النهضة في مطلع القرن العشرين مخاوف الإدارة الاستعمارية والمستوطنين وأتباعهم ،لأنهم أدركوا أن هؤلاء المصلحين يكونون وينشئون جيلا مناهضا للإستعمار الفرنسي ومخططاته ومنها التجنيد

[1] - لم يكن معروفا قبل قضية التجنيد،كان عالما بالأحوال السياسية،مزدوج اللغة،على علاقات وطيدة بسليمان الباروني باشا،حيث كان ضمن النشطين في تجنيد المتطوعين للمشاركة إلى جانب العثمانيين ضد الإيطاليين في ليبيا،له مراسلات مع زعماء المعارضين التونسيين خاصة عبد العزيز الثعالبي.ويذكر مالك بن نبي أن عباس بن حمانة إتجه مع محمد بن رحال إلى باريس في وفد للإحتجاج ضد التجنيد،أغتيل في 16 جويلية 1914م،وكان إغتياله سياسيا،أنظر: مالك بن نبي،مذكرات شاهد ، المصدر السابق ،ص ص ،30-33.

[2] - الحق الوهراني (1911-1912)،هي جريدة ذات الانطباع الاسلامي والنهضة العربية الاسلامية، ظهر اول اعدادها يوم 14 اكتوبر 1911 وكان أخر عدد لها- السادس والأربعون – بتاريخ 24 أوت 1924، دعمت منبعض الملاك الجزائريين وتاجرين في المجوهرات وصيدلي، كان جل المحرري في الصحيفة يمضون مقالاتهم بأسماء مستعارة ك"أجمد ريسا"و"بربروس" و"صال"، أنظر : إبراهيم مهديد ،الصراع حول الهوية والانتماء العربي الاسلامي من خلال الصحافة الجزائرية: الحق الوهراني نموذجا (1911-1912)، **مجلة البحث التاريخي**،مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي،كلية الأداب والعلوم الانسانية بالرباط، (ع4،)، 2006 ،ص55.

[3] - الطاهر بن شريف ،"إستصراخ الجزائر للأمة الفرنسوية"،**الحق الوهراني**،ع39،من06إلى 15 جويلية 1912.

الإجباري،وتعكس لنا أدبيات هذه المرحلة بكل وضوح تخوف الفرنسيين وخشيتهم،حيث حذر أحدهم سنة (1913م) من إمكانية قيام ثورة في الجزائر يقوم بها المحافظون-لأن أولئك المحافظون حسب تعبيرهم –شكلوا جمعيات دينية قوية ضامة للجزائريين بالآلاف في كل مكان في الجزائر بفضل إتجاهها الإصلاحي الإسلامي،والذين قد يغتنمون فرصة ضعف فرنسا-مثل دخولها في حرب أوربية-" لكي يرموا بها في البحر".[1]

ومما كان يثير قلق فرنسا بشكل كبير ، هو ذلك الجانب الديني في الرفض وربط وضعية المجند الجزائري دائما بمدى ملائمة ذلك مع تجنيده تحت لواء دولة كافرة وإمكانية أن يقاتل الجزائريون إخوانا لهم في الدين سواء من العرب أو العثمانيين، وهو أمر قد حُسم في نظر الفرنسيين ن بإختيار الجزائريين ولو عاطفيا الوقوف إلى جانب العثمانيين في هذه الحرب.

ورغم كل التضحيات والجهود التي بذلها الجزائريون لصالح فرنسا في هذه الحرب فقد كتبت التقارير الفرنسية تحت ختم "سري للغاية" تقريرا جاء فيه تحليل للوضعية التي أُنجزت عن مشاركة" الشبان الجزائريين" في الحرب يقول فيه كاتبه :" **إن الخطر في الجزائر ذو طبيعتين، خطر ذو طبيعة داخلية وخطر ذو طبيعة سياسية،ويرجع ذاك إلى كون تجنيد الأهالي في المدن و الأرياف وحملهم إلى فرنسا ،خلص المستعمرة مؤقتا من العناصر الأكثر شغبا،ولكن عودتهم إلى الجزائر كان لها نتائج وخيمة ،فالمقاهي الشعبية صار يتردد عليها كثيرا الشباب البطالون والغاضبون علينا والذين يطالبون بحقوقهم المترتبة على أداء واجباتهم العسكرية(...)و في قسنطينة مثلا كان هناك إجتماع إنتخابي انتهى بهتافات تحيا تركيا**[2].

7- ب :موقف النخبة الاندماجية ودعاة المساواة :

ولنبدأ الحديث حول موقف هذ الفئة بحركة الشبان في الجزائر والتي تشكلت بتأثير تونسي كبير عبر ثلاثة سبل رئيسة:تونس ذاتها والقاهرة وإسطانبول. وقدكان قوام هذه الحركة بعض الأطباء والحقوقيين وحملة ليسانس جامعية ومدرسين،لكن أغلبيتهم تشكلت من صغار موظفي الإدارة العامة والعدالة والتعليم،في حين تشكلت أقليتهم من ممثلين للبرجوازية التجارية المرتبطة بالسوق الإستعماري.هذه المجموعة غير المنسجمة،المتولدة عن الأقلية الهزيلة للذين تلقوا تكوينا فرنسيا حاولت على غرار الشبان الأتراك والتونسيين إستلاف وسائل وشعارات القوة الإستعمارية، لقدكانت تبحث عن المساواة عن طريق التماهي مع الفرنسيين[3].

[1] - أبو القاسم سعدالله،الحركة الوطنية الجزائرية ،(ج2)، مرجع سابق ،ص158.

[2] - عطاء الله فشار ،النخبة الجزائري جذورها- تطوره- اتجاهاتها(1914-1954)،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف الدكتور تلمساني بن يوسف،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، السنة الجامعية2008-2009،ص148.

[3] - أحمد رضوان شرف الدين ، مشروع الدولة- الأمة العروبة...، مرجع سابق ص29.

وينتمي أغلب من عرف بالشبان الجزائريون[1] إلى فئة تخرجت من المدارس والجامعات الفرنسية أين تأثروا بوضوح بالثقافة الغربية وقد كانوا عموما من عائلات ميسورة الحال يمارس أفرادها وظائف لدى السلطات الفرنسية سواء مدنية أو عسكرية فقد كان جلهم من المحامين و الأطباء والمعلمين والضباط العسكريين،وقد حملت هذه التسمية نوعا من التمييز لهم داخل النخبة نفسها،بإعتبارها تجمع التيارين المحافظ والإندماجي،فهاهو أحد منتسبيه يعرفها قائلا إنها[2] :"**إنهم ذلك الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية والذين إستطاعوا بفضل عملهم أن يرتفعوا فوق العامة، ويتموقعوا في الجزائر الحاملين للحضارة عن جدارة، وهو نيشان لا تستطيع منحه لكل الأهالي**".[3] **أي الذين أصبحوا يشبهون الأوروبيين في كثير من مناحي حياتهم ،حتى وصفهم المؤرخ الفرنسي "لوري بوليو" بأنهم أولئك "الجزائريين المتأوربين"**[4].

ومما يلاحظ أن هؤلاء الشبان لم يشكلوا حزبا سياسيا منظما بل كانوا في البداية ينشطون ضمن نوادي أو جمعيات ثقافية مثل "الراشدية" التي تأسست بالعاصمة أو عن طريق الكتابة في جرائد مثل " الإسلام" (L'Islam) و" الرشيدي"(Rachidi).

وقد تبنت هذة الفئة من الجزائريين الثقافة الغربية وأسلوب عيش الغربيين ومبادئ الديموقراطية والعدل والمساواة الفرنسية كنموذج للمجتمع الجزائري المأمول،لكنهم كانوا أحيانا ما يفرقون بين فرنسا الديموقراطية وفرنسا الإستبدادية،ويستنجدون بالأولى ضد الثانية وبالفرنسيين الليبيراليين والجمهوريين الأحرار ضد المستوطنين المستبدين.[5]كما كانوا يطالبون بالمساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين،وبإلغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الإستثنائية[6]، وبالتمثيل النيابي للجزائريين والمساواة في التعليم والضرائب وفرص العلم والتجنيس بالجنسية الفرنسية،لكن دون إشتراط التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين،عكس ما نص عليه قانون مجلس الشيوخ لسنة(1865م) من أن الجزائري لا يمكنه أن يتحصل على إمتيازات الجنسية الفرنسية إلا عندما يتخلى عن حالته الشخصية كمسلم،وكانت مطالبتهم بهذه المطالب بأسلوب سلمي متخذين في ذلك سبل التسامح واللين ونابذين

[1] - يجدر التذكير أن حركات شباب كثيرة نشأت غداة ثورة 1830 الأوروبية، بتأسيس مباشر أو بإيعاز من جيوسبي مازيني:إيطاليا الفتاة،سويسرا الفتاة،فرنسا الفتاة، ألمانيا الفتاة...وتلتها تركيا الفتاة ثم العربية الفتاة ، فالشباب التونسي والشباب الجزائري للمزيد أنظر : أحمد رضوان شرف الدين ،مشروع الدولة ، مرجع سابق ،صص 20-21.

[2] - الشريف بن حبيلس، الجزائرالفرنسية كما يراها أحد الأهالي، (تر)عبد الله حمادي وأخرون،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ،2009،ص93.

[3]- Ben habiles,Chérif,L'Algérie Française vue par un indigéne,Alger orintale,1914,p104.

[4] -Leroy Baulieu,"La France dans l'Afrique du nord,indigénes et colons",**Revue des deux mondes**,1906,pp,60-62.

[5] - عباس فرحات ،حرب الجزائر وثورتها ،ليل لاستعمار ،تعريب أبوبكر بن رحال،المحمدية،المغرب،1962،ص106.

[6] - أصدرت فرنسا العديد من القوانين الجائرة ضد الجزائريين ،لعل أشدها إجحافا قانون الأهالي الذي صدر سنة 1871م وتم تجديده سنة1881م،والذي إنجرت عنده العديد من القوانين أخطرها تحميل الجزائريين المسؤولية جماعيا مقابل الأخطاء الفردية،كما أعطيت صلاحيات كبيرة للمحاكم في معاقبة الجزائريين دون إعطائهم أية حقوق قضائية.

أسلوب القوة والعنف ،حيث إعتمدوا على الصحافة والعرائض وإرسال الوفود،وهي أساليب مقاومة جديدة في الحركة الوطنية الجزائرية بدأت بشكل أوضح مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ميلادي.

وقد وجد هؤلاء الشبان في قضية التجنيد فرصة لطرح مجموعة من الأفكار علنيا لاسيما ما يتصل بوضعية الجزائريين السياسية و الإجتماعية ،ومسألة توافق هذا مع الأحوال الشخصية الإسلامية ،وقضية المساواة وغيرها من القضايا التي كثر النقاش فيها.

ومنذ البداية عبر الكثير من الشبان عن آرائهم حول هذه القضايا، فقد صرح "علي بن فخار"[1] معترفا بأن الوضع الذي كان يعيشه الأهالي في هاته المرحلة جد صعب وأن" **التجنيد الإجباري حمل ثقيل عليهم وسيؤدي إلى نتائج خطيرة لأنه لم يمنح لهم بالمقابل أي شيئ،إن التجنيد الإجباري يجعل منهم شعبا مُسخرا ومُستعبدا**[2].

أما "عبد الرحمان محمد" وهو نائب مالي وبلدي بمستغانم فأبدى رأيه قائلا أن " **الوقت لم يحن بعد لتطبيق التجنيد الإجباري على الجزائريين،ذلك أنهم خاضعون لوضع خاص تضبطه القوانين الإستثنائية(...)ثم إن الخدمة العسكرية الإجبارية تتطلب أولا الحصول على الحقوق المدنية الفرنسية التي تتعارض مع الأحوال الشخصية الإسلامية ولذلك فإن تطبيق التجنيد الإجباري أمر مستحيل في ظل الوضع الراهن**"[3].

وفي هذا التصريح بيان واضح لمدى التباين في الآراء بين حركة الشبان أنفسهم ،بين فئة ترى أن في التجنيد تعارض واضح مع الأحوال الشخصية الإسلامية وهم الأقل وفئة أكبر منها لا تعير ذلك إهتماما وترى أن الفرصة مواتية للمطالبة بحقوق المواطنة الفرنسية، أو على الأقل للنخبة المثقفة منهم كما أوضح ذلك النائب المالي والبلدي بحسين داي "محمد بن صيام" الذي قال :"**إنني أرى أنه من المستحق مقابل تجنيد المسلمين،توسيع وزيادة الحقوق السياسية بالنسبة إليهم .وبالطبع لن تمنح هذه الحقوق لكل العرب و لا سيما الجنسية الفرنسية،وإنما تمنح للذين تتوفر فيهم بعض الشروط الخاصة.**"[4]

---

[1] - علي بن فخار: من مدينة تلمسان ،درس في مدرستها الفرنسية،ذهب إلى فرنسا سنة 1901م حيث علم اللغة العربية الدارجة في الغرفة التجارية بمدينة ليون وهناك درس القانون وتخصص في الشريعة الإسلامية وتحصل سنة1908 على الدكتوراه ، أنظر :أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج06، مرجع سابق نص 241.

[2] - "la consicription des indigénes",**La Dépèche Algérienne**,(N8493),vendredi30oct1908.

[3] - مقتطف من تصريحه أمام المجلس المالي في دورة 03 افريل 1908م، أنظر "les veux des indigenes »,**la Revue indigénes**",*N30,oct1908,pp404-411.*

[4] -" le veux indigénes",op-cit.

وفي كل هذه التصريحات إبراز لمسألتين إثنتين، أولهما إنعدام وجهة نظرة موحدة لهذا التيار حول تلك القضايا المطروحة ،خاصة فيما يتعلق بالتجنيد والأحوال الشخصية وقضية التجنيس والمسألة الثانية هي وجود جزء من هذا التيار من يرى في نفسه أنه مختلف عن بقية الجزائريين وأنه أولى من الجزائريين الأهالي في بعض الحقوق السياسية بحكم تكوينه وثقافته الفرنسية الغربية والتي لا يحظى بها أغلبية الجزائريين.

وبعد صدور مرسوم (17 جويلية 1908م) الخاص بإحصاء الشباب الجزائري البالغ سن الثامنة عشر و أكثر قصد تجنيدهم،حاول الشبان الجزائريون العمل جماعيا ،للحصول على مقابل من التجنيد من لدن الإدارة الفرنسية،فشكلوا وفدا ذهب إلي باريس ليسلم عريضة خاصة بالخدمة العسكرية،والتي نصت على أنهم يقبلون مبدأ الخدمة مقابل حصولهم على الحقوق السياسية للمسلمين الأهالي ، وقاد الوفد "عمر بوضربة" ،عضو المجلس البلدي للعاصمة،وقد إلتقى الوفد برئيس الوزراء الفرنسي "كليمنصو" في(03 أكتوبر1908م) وقدموا إليه العريضة بإسم الجزائريين.

إلا أن تسارع الأحداث وتزايد الحاجة الفرنسية للجزائرية في حربها،دفع الإدارة الفرنسية سواء في المتروبول (Metropole)أو على مستوى الجزائر نفسها إلى التسريع في إصدار القوانين المرتبطة بتجنيد الجزائريين،فكثرت على إثر ذلك التصريحات والتلميحات الفرنسية،ولما أحست مجموعة من الجزائريين الممثلين لتيار النخبة الإندماجية،بتلك التلميحات من الحاكم العام في خطابيه في أوت ونوفمبر (1914م)،بإمكان إحداث إصلاحات على واقع الجزائريين السياسي والإجتماعي بعد نهاية الحرب في حال إنتصار فرنسا ،فيما إذا كان الجزائريون طرفا في هذا الإنتصار، فضل العديد من الشبان الجزائريين، الإنضمام إلى الجيش الفرنسي والدفاع عن فرنسا،لعل تضحياتهم تشفع لهم بعد ذلك،فتمنحهم فرنسا بعض حقوقهم الطبيعية كمواطنين كاملي الحقوق.

لكن هؤلاء كانوا دائما يعلنون أن هدفهم الأول هو الدفاع عن العدالة والحق ضد الظلم والقهر،فها هو "الأمير خالد" يصرح :" **إن الجزائريين يشاركون في الحرب دفاعا عن الحق والعدالة،ضد طغيان وبربرية ألمانيا**"[1].

ومما يؤكد أن الشبان الجزائريين كانوا يهدفون إلى الحصول على بعض الحقوق مقابل مشاركتهم في الحرب إشارة "الأمير خالد" لذلك سنة(1919م) في قوله:" **إن مئات الجزائريين ماتوا من أجل وطن بقي دائما يعتبرهم رعايا، ومن أجل حقوق لم ينالوا منها شيئا،حتى بعد إنتصار فرنسا**"[2].

[1]- Emir Khaled,la situation des musulmans d'Algérie 1924,OPU,Alger,1987,p41.
[2]- Khaled, la situation des musulmans.cit,p41.

ولئن كان موقف "الأمير خالد "متميزا برفضه للتجنس منذ البداية ودعوته لبعث الجنسية الجزائرية بتشديده في كلامه وسلوكه على هوية الجزائري المبنية على مرجعية الإسلام الممزوجة بالدفاع عن اللغة العربية والثقافة العربية وقضايا العرب والمسلمين،وهو ما جلب له ثناء البعض وكراهية الأخر حتى من بين الشبان الجزائريين، فإن مجموعة معتبرة من هؤلاء الشبان أبدوا ولائهم المطلق لفرنسا ،حيث صرح "الحاج عمار"[1] قائلا:" **نحن نحمل السلاح للدفاع عن الحق وعن بلدنا المهدد فرنسا** (...) **يا مسلمي الجزائر يجب أن نحمل السلاح رفقة إخواننا الفرنسيين ونحارب من أجل العدالة والحرية**"[2].

أما "الصادق دندان" فقد عبر عن سعادته بهذه الفرصة التي سمحت له ولرفاقه بإثبات ولائهم لفرنسا قائلا :" **إننا سعداء بأننا أخذنا مكاننا في العائلة الفرنسية ،إن الحرب فرصتنا لإثبات إخلاصنا لفرنسا**"[3].

كما دعا الشبان الأهالي الجزائريين إلى إلتزام الهدوء وعدم الإصغاء إلى الداعين للثورة على فرنسا في الجزائر،حيث وجه النائب البلدي بحسين داي، "محمد بن صيام"نداء للأهالي جاء فيه :"**أجيبوا نداء فرنسا وكونوا في خدمتها،فأنتم تدافعون عن الحق وعن قضية إنسانية**(...) **وحافظوا على هدوئكم ولا تثيروا الإضطرابات**(...) **إنه من واجبكم حسن الجوار،والله يأمركم بالإحسان إلى الجيران،فأحسنوا إلى جيرانكم لتكونوا مسلمين حقا**"[4].

ولم ينس هؤلاء أن يبينوا للجزائريين ما ينتظرونه من هذه الخدمات الجليلة لفرنسا فقد جاء في أحد تصريحات الدكتور "مرسلي"[5] :"**لقد تربينا مع الفرنسيين، نحن نعرفهم، قد يحدث أحيانا أن نتلقى منهم بعض الضربات، و التي نردها لهم وعليه فنحن متساوون، بينما بالنسبة للآخرين (الألمان) لن يكون الأمر كذلك، وعليكم أنتم يا أيها السكان المسلمون في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى ، أنتم الذين بدون مساومة منكم، قدمتم أبناءكم للوطن الأم، أكيد لن تجازون بنفس الطريقة، لقد تحصلتم من الآن فصاعدا على مكانة مرموقة ضمن العائلة الفرنسية، وعند المحاسبة وبنهاية الحرب بهزيمة أعداءنا والتي لن تتأخر، لن يتم**

[1] - الحاج عمار من الشبان الجزائريين وهو مدير جريدة " Rachidi"،كما كان نائبا بلديا في بلدية جيجل.

[2] - Hadj,Ammar,"Tous pour la France",**L'Islam**,(N205),samedi03oct1914.

[3] - Denden,Sadek,"Notre action dans la guerre",**L'Islam**,(N204),22Aout1914.

[4] - Ben Siam mMohamed;"Jour d'epreuve",**Akhbar**,(N13762),dim 30Aout1914.

[5] - الدكتور مرسلي (Morsli)، من مواليد وهران،كان والده ضابطا في الصبايحية، تخرج من مدرسة الطب الفرنسية بالعاصمة ،ثم إنتقل إلى قسنطينة أين شارك في الكثير من النشاطات التي قام بها الأعيان،كتوقيع عريضة 1891م،التي قدمت لجول فيري،متجنس ومتزوج بفرنسة ، له كتاب بعنوان (la question indigéne) ألفه سنة 1884،أنظر :أبو القاسم سعدالله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،(ج6)، مرجع سابق ،ص231.

نسيانكم، صدقوني إن ولاءكم لثمانيين (80) سنة سيؤخذ بعين الإعتبار ومزيد من الحقوق ستمنح لكم و تحفظ"[1].

وفي محاولة للرد على إتهامهم بأنهم يحرضون الأهالي على المطالبة بالحقوق السياسية مقابل تجنيدهم وهو ما يخدش ولائهم البديهي لفرنسا ، كما فعل الكاتب الفرنسي" أوكتاف ديبون"،مفتش عام على مستوى البلديات المختلطة الذي إتهم الشبان بإثارة الأهالي لكي يطالبوا بالتعويض السياسي على الخدمة العسكرية[2].نفى بعض الشبان تلك التهمة عنهم، ونفوا أي علاقة لهم بالجامعة الإسلامية ،مقابل ولائهم لفرنسا وقضاياها،ففي رسالة للمحامي "الحاج سعيد" إلى أصدقائه من جماعة الشبان الجزائريين بين علاقة جماعته بالجامعة الإسلامية بوضوح تام قائلا :" **إن الجزائريون المسلمون يعتبرون إسطمبول و الخلافة ،بنفس الإعتبار الذي يضفيه المسيحيون على روما والبابوية،ورغم إعترافهم–أي الشبان– أنهم قاموا بنشاطات مختلفة لصالح الليبيين ولصالح لجنة الوحدة والتقدم التركية خلال الحرب العثمانية – الإيطالية،لكنها نشاطات أذنت بها الإدارة الفرنسية نفسها"**[3].

ومع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، لم يتأخر النائب البلدي بوهران "علي محي الدين" في التصريح بدوره قائلا:"**إن موقف الدولة العثمانية لا يعنينا ولا يغير من ولائنا وإخلاصنا لفرنسا شيئا،بل يربطنا بها و بحكومتها أكثر فأكثر "**[4].

وفي نفس السياق يذكر "جون ميليا" أن الجزائريين كانوا مع فرنسا منذ اليوم الأول. وأن الشبان الجزائريين كانوا في رأيه صادقين نحو فرنسا والدليل على ذلك تصريحاتهم المعادية لتركيا ومن بين الذين يذكرهم الدكتور "بلقاسم بن التهامي" الذي قاد وفد الشبان سنة(1912م) إلى باريس و "مختار حاج سعيد" و "الصادق دندان"مدير جريدة" الإسلام "وجريدة "الرشيدي" التي أوقفت من طرف مسؤوليها للتعبير عن مشاركتهم في مجهود الحرب. ومن التصريحات في هذا الصدد ما جاء على لسان " الطيب مرسلي" والتي يتهجم فيها على تركيا بسبب دخولها الحرب قائلا:" **وهكذا تعاود تركيا السقوط بين مخالب ألمانيا وهذه المرة لتبقى إلى الأبد، فهي بدل أن تحافظ على حيادها في الحوادث الحالية، تنضم إلى أعداء فرنسا..**" ثم يضيف"..:" **لاتعتمدوا علينا**

[1] - G,Meynier, "loyalisme et insecuriteé en Algerie.." , op-cit,p192.

[2] - Octave,dépont,"une insurrection en Algérie pendant la guerre",in**: Revue de l'Afrique du Nord**,(T01),Nov-Déc 1921,p11.

[3] - Ben habiles, L'Algérie Française, op-cit,128.

[4] - " les protestations de loyalisme des Musulmans d'Algérie",**le Temps**,(N19481),07nov 1914.

فنحن لانعرفكم،لأننا لسنا لا بالشبان الأتراك ولا بأصحاب العمائم ،بل نحن فرنسيون مسلمون وسنبقى كذلك إلى الأبد "[1].

7- ج :موقف الأعيان وشيوخ الطرق الصوفية الموالية لفرنسا:

لم يكن الأعيان في معظمهم سوى مجموعة من الجزائريين الذين حصلوا على العديد من الإمتيازات الإجتماعية والمالية والإدارية في ظل الإدارة الإستعمارية مقابل تقديمهم العديد من الخدمات لهذا المستعمر وتسهيل تحكمه في الشعب الجزائري ، فلا غرابة إذن أن يُلبى العديد من هؤلاء الموالين لفرنسا نداء الحاكم العام في أوت ونوفمبر للإنظمام للجيش الفرنسي،وقد كان عدد منهم من الموظفين في الإدارات العامة والأعيان والأئمة الرسميين وبعض النواب وأصحاب بعض الطرق الصوفية الموالية للإستعمار ولعل البعض منهم كان مجبرا على إعلان ولائه لفرنسا حتى لا يتميز عن البقية أو طمعا في الحصول على نصيبه من الغنائم السياسية و الإدارية في حالة ما كسبت فرنسا هذه الحرب.

وقد عملت الصحافة الفرنسية و الأهلية المقربة منها على أن تعطي زخما إعلاميا مبالغا فيه ، بشكل يصور أن الجزائر بأكملها هبت لنجدة فرنسا والدفاع عنها وبرغبتها لا مكرهة فقد كتبت إحدى هذه الجرائد وهي "لوطان" (Le temps) بتاريخ(17 أوت 1914م):" إن كل طبقات الأهالي سواء كانوا من النخبة أو كتلة المحافظين، قد فهموا بدقة أن الحرب كانت بالنسبة لهم فرصة فذة يبرهنون فيها عن ولائهم لفرنسا" وقد أشارت هذه الجريدة إلى عدة جمعيات من بينها ، "الرشيدية" و "الإتحاد الفرنسي- الأهلي" و"التوفيقية" وقالت أن هذه الجمعيات قد دعت أعضاءها أن يحاربوا بجانب فرنسا، ورغم أن هذه الجمعيات كانت تدار من طرف جماعة النخبة المقربين من فرنسا ، فإنها ذكرت العناصر المحافظة أيضا[2].

فبالنسبة لكثير من الأعيان المحليين من قياد وأغوات كانوا يعتبرون أنفسهم بمثابة الممثلين الرسمين للأهالي الجزائريين لدى الإدارة الفرنسية والذين كانوا عادة من أبناء العائلات الكبيرة وذات النفوذ ،فإن الحاكم العام كان يُعول على تجنيد عدد كبير منهم ،حتى يكونوا قدوة في نظره لغيرهم من الجزائريين وكذلك بهدف الإستفادة من ممتلكات هذه الأسر في تموين المجهود الحربي الفرنسي ،ومن العائلات التي سارعت منذ البداية في إعلان ولائها ودعمها لفرنسا نذكر عائلة "محي الدين" بوهران وعائلة "يعقوب" بعنابة وعائلة "بوطيبة" بالظهرة وعائلة "بن الشيخ" و عائلة "بن سويقي" بقسنطينة وغيرهم ،ومن بين تصريحات ممثلي تلك الأسر، نورد تصريح الآغا "الطاهر بن محمد" باسم عائلة

[1] -G Meynier, "loyalisme et ..."op-cit,p267.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ..(ج2)، مرجع سابق ،ص195.

بومعيزة بعنابة الذي قال :" **إنه هو وعائلته موالين ومخلصين لفرنسا وأنه واثق من إنتصارها وخاطب الفرنسيين قائلا،نحن نبقى إخوة لكم في زمن السلم والحرب"**[1].

وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب[2] إلى جانب ألمانيا ،إجتمع عدد من أبناء تلك العائلات الموالية لفرنسا في منطقة طولقة ببسكرة مع قاضي المنطقة وقرروا تأييد "الحكم الفرنسي الراشد" و البقاء مخلصين له وأنهم "مستاءون من قرار الدولة العثمانية المتهور.[3]

وفي البليدة إجتمع رئيس البلدية مع عدد من الأعيان و النواب والقضاة والضباط والجنود المتقاعدين في صبيحة يوم(07 نوفمبر 1914م) وخرجوا بالتصريح الأتي :"**بإسم أهالي البليدة،وبحكم كوننا ممثلين رسميين عنهم فإننا نعارض موقف تركيا[4] لأنه موقف جنوني وإنتحاري،وليس بالقرار الرشيد ،ولذلك فنحن نؤيد وطننا فرنسا التي لم نعرف غيرها وطنا،كما أن دماء أبناءنا تمتزج في ساحات الحرب بدماء الفرنسيين إخواننا".**[5]

وفي قسنطينة إستقبل الحاكم الإداري وفدا من أعيان بلديات كل من سدراتة ومكيان وعين البيضاء وممثلين عن أكبر قبيلة بالمنطقة (قبيلة الحراكته)[6] ،الذين أعلنوا ولائهم لفرنسا ووقوفهم ضد الدولة العثمانيةوأعلنوا إستعدادهم للقتال ضدها أما في منطقة" الأرباع"[7] فقد شكل القياد و الآغوات فرقا للقومية(Goumiers)،تم نقلها لجبهات القتال كما فعل "الأغا جلول بن لخضر" ،الذي شكل فرقة جند فيها الكثير من عائلته وفعل مثله أخويه اللذان شكل فرقتين أخريتين توجهت إحداهما إلى المغرب الأقصى والثانية إلى أوروبا.[8]

وكان العديد من الأعيان يدفعون أبناءهم للإنضمام للجيش الفرنسي إثباتا لولائهم لفرنسا،كما كانوا يعقدون الإجتماعات مع الأهالي يذكرونهم بفضل فرنسا عليهم ولذلك تؤكد بعض المصادر الفرنسية أن مساهمة العائلات الجزائرية الكبيرة الموالية لفرنسا وأبناءها كانت كبيرة ،حيث نجحوا في تجنيد الآلاف من الشبان الجزائريين الذين دفعتهم الحاجة للتجنيد في الجيش الفرنسي.

---

[1] "le loyalisme des indigenes",**L'écho d'Alger**,(N967).07nov 1914.

[2] - أعلنت فرنسا الحرب على الدولة العثمانية عن طريق وزير الشؤون الخارجية في 05نوفمبر 1914م،وذلك بعد الهجوم الذي شنه الأسطول العثماني على سفينة تجارية فرنسية مما أدى إلى مقتل فرنسيين إثنين،أنظر :.**L'écho d'Alger**,(N966),06nov1914.

[3]-"Algerie",in**:B.C.A.F**,jan-fév,1915.

[4] - نلاحظ أن الكثير كمن التصريحات الفرنسية أو للموالين لها من الجزائريين كانت تستعمل كلمة تركيا بدل الدولة العثمانية ،بهدف قطع الجزائريين عن مرحلة من تاريخهم ولو إسميا.

[5] - "Algerie" in ,**B.C.A.F**,Op.cit .

[6] - كما كانت فرنسا تدعي كاذبة أنها تمثل الجزائريين ،فإن هؤلاء الأعيان أيضا لم يكونوا يمثلون سوى أنفسهم.

[7] - قبائل تستوطن إقليمي الجلفة والأغواط.

[8]- " les indigenes de l'Algerie protestes contre l'attitude de la Turquie",**L'echod'Alger**,(N969),jeudi 09nov1914.

وكانت الإدارة الفرنسية كثيرا ما تدعي أن إنضمام هؤلاء للجيش الفرنسي، عربون وفاء لفرنسا ومظهر من مظاهر الولاء الصادق لها،ففي أحد التقارير الصادرة عن الولاية العامة بالجزائر بتاريخ (22 ديسمبر1914م)،بين فيه مدير مصلحة شؤون الأهالي أن **"الحالة النفسية للأهالي جيدة،حيث لم يسجل أي رد فعل سلبي منهم(...) لقد أعطوا الأدلة على إخلاصهم وولائهم لها ،وذلك بإنضمامهم إلى الجيش في مختلف مناطق الجزائر،ومن مختلف الفئات الاجتماعية(...) وقد عبروا جميعهم عن إستعدادهم للتضحية من أجل وطننا فرنسا."**[1]

وبعد أقل من أسبوعين نشرت نفس الجريدة تقريرا عن كيفية تعبير الجزائريين عن ولائهم والذي كان بثلاث طرق حسب رأيها :

- بتصريحات الجمعيات والشخصيات ذات النفوذ.
- بالتطوع في الجيش.
- بجمع الإشتراكات لمساعدة هذا الجيش

ولم تتوقف حملة الولاء تلك مع الأسابيع الأولى للحرب، فعندما أصدر شيخ الإسلام في إسطنبول، في أكتوبر من سنة(1914م) فتوى تدعو كل المسلمين لكي يحاربوا مع الدولة العثمانية، قالت الدعاية الفرنسية إن الجزائريين قد عبروا عن سخطهم من هذا العمل. وقالت أيضا أنهم إستنكروا موقف ألمانيا (مغتالة النساء والأطفال والشيوخ، ومحطمة الآثار والمدن)، وقالت أن الجزائريين، يرون في إنتصار الحلفاء إنتصارا للحضارة والعدالة[2].

وكانت مثل هذه الأخبار والتصريحات تملأ صفحات الجرائد والبيانات كشكل واضح من أشكال الدعاية والحرب النفسية، ضد مناهضي مشروع التجنيد وتأييد لموقف تلك النخبة الموالية والداعمة لفرنسا .

وما دام أن الفرنسيين كانوا يعيشون في حالة رعب من ثورة جزائرية، فإنهم قد أوحوا إلى رجالهم المختارين بعناية فائقة ، وهم المسمون "ببني وي – وي" أن يعلنوا ولائهم المطلق لفرنسا وأن يطلبوا من الأهالي أن يفعلوا مثلهم و هكذا نشرت كل وسائل الإعلام الفرنسية عددا ضخما من البرقيات والرسائل والتصريحات والتقارير عن إجتماعات دارت مع الفرنسيين حضرتها الجمعيات الدينية والقياد والمرابطون والأعيان و" الممثلون" في المجالس المحلية. وكان هؤلاء جميعا بناء على وسائل الإعلام الفرنسية قد دعوا الأهالي الجزائريين على أن يأكدوا ولائهم لفرنسا ويأتوا للدفاع عنها. وبناء على التقارير الفرنسية المختلفة فإن الجزائريين لم يعبروا عن ولائهم لفرنسا فقط، بل

[1] -ChR,Ageron,les algeriens musulmans et la France,Op.cit,p1141.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية (ج2)،المرجع السابق ،ص196.

أعلنوا أيضا إستعدادهم للحرب ضد ألمانيا والدولة العثمانية، وفي سنة(1918م) ، كتب مؤلف فرنسي قائلا بأن ولاء الجزائريين لفرنسا كان :" **يفوق كل العواطف الأخرى، حتى العاطفة الدينية"**[1].

وخلال النصف الأول من شهر (نوفمبر 1914م) تهاطلت نداءات الولاء و التضامن مع فرنسا في حربها ضد الألمان لتملأ واجهات الصحف المحلية "وصلت من عائلات مسلمة مرموقة كعائلة "محي الدين من وهران و"بني يعقوب" من عنابة مرورا "بن الشيخ الفكون"و"بن السويكي" من قسنطينة.... ولم تتأخر شخصيات دينية معروفة بولائها للفرنسيين في إصدار تصريحات الولاء، فهاهو مقدم الطريقة العمارية في قسنطينة، الشابي" الحاج مبارك بن الشيخ" يكتب في إحدى الجرائد المحلية (La Dépéche de Costantine):" **إن حكومة الجمهورية، يا إخوتي المسلمين قد عاملتكم كأبناءها، لقد حان الوقت لتبينوا لها وفاءكم وتقديركم ، يجب أن لا تتأخروا عن هذا الواجب، يجب أن تحبوا فرنسا وتقدموا لها دعمكم، رغم أنني لا أملك أي صفة رسمية، لكن ضميري دفعني كرجل دين، أن أبين لكم واجبكم في الظروف الحالية بضرورة مساعدة فرنسا بكل الوسائل المتاحة.....ليخدم الشجعان منكم تحت الراية الفرنسية وليساعد أغنياؤكم ضحايا هذه الحرب ، هذا ما عليكم القيام به لتنالوا رضى الرب"**

وبلغ الولاء إلى حد أن يقوم مفتي مدينة عنابة "بومعيزة عمار" بإصدار فتوى: "**يطلب فيها من المسلمين عدم الإحتفال بالعيد الصغير(عيد الفطر)،" لأننا لانريد أن نبرز فرحتنا في الوقت الذي تدافع فيه فرنسا عن ترابها"**[2]

و أثناء الحرب(1914-1918) بعث عدد كبير من الوجهاء الدينيين شهادات"وفاء" للسلطات الفرنسية ولوائح معارضة للفتوى الصادرة من إسطنبول بتكفير المسلمين المحاربين في صفوف أعداء الدولة العثمانية،وعندما قامت إنتفاضة الجنوب القسنطيني[3] في(1916-1917م)، ركن هؤلاء إلى السكون والحذر.وسواء بالشرق أو بالغرب وسواء تعلق الأمر بالدرقاوة أو السنوسية أو التجانية،فإن السلطات الإستعمارية إستطاعت إحتواء شيوخ الطرق بحلول الثلاثينات.[4]إحتواء كاملا.

[1] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، المرجع السابق ، ص195.

[2] - G,Meynier, "loyalisme et insecuriteé en Algerie.." , op-cit,p194

[3] - تعرف أيضا بمقاومة الأوراس (1916-1917م)،حاولت الإدارة الإستعمارية ان تنسب هذه الانتفاضة إلى الحماس الديني ونشاط الزوايا والطرق الدينية، ومعارضة مرسومي 7 و14 سبتمبر 1916م، القاضيان بتسخير الناس لأغراض الحرب، لتعويض المجندين، كما حاولت أن تنسبها للدعاية الألمانية المعادية لفرنسا، لكن سببها الرئيسي هو رفض التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين ، على غرار أحداث بني شقران 1914م، وذلك عكس ما كانت تتوقعه الإدارة الاستعمارية من إقبال الناس على التجنيد..، أنظر : يحي بوعزيز،ثورات القرن العشرين ،مرجع سابق،صص 42-43.

[4] - أحمد رضوان شرف الدين،مشروع الدولة-الأمة العروبة ...، مرجع سابق،ص 13.

كما لم يتأخر شيوخ الطرق والزوايا الموالين لفرنسا عن إبداء تأييدهم ودعمهم المطلق لفرنسا وإستعدادهم لمحاربة ألمانيا والدولة العثمانية ،وقد دعوا الكثير من مريديهم إلى فعل ذلك أيضا و الإلتحاق بالجيش الفرنسي والحقيقة أنه و مع نهاية القرن التاسع عشر نجد معظم الطرق الصوفية كالقادرية و الطيبية و الرحمانية و الدرقاوية وغيرها تنصاع لأوامر الإدارة الفرنسية والدليل على ذلك مواقف هذه الطرق من الحرب العالمية الأولى ،حيث نجدها تصدر رسائل إلى أتباعها تحثهم على الوقوف إلى جانب الدولة الفرنسية ومحاربة الألمان والدولة العثمانية، مما يبين لنا نجاح الإدارة لاستعمارية في تدجين الكثير من شيوخ الطرق الصوفية في الجزائر[1].

ومن أكثر الطرق التي سارعت في إبداء هذا الموقف الطريقة التيجانية التي أعلن مقدموها في عدة مناطق من الجزائر دعمهم لفرنسا،فبعين ماضي[2] وجه "سيد علي سيد أحمد التجاني" مقدم الطريقة نداءا طلب فيه من أتباعه التعلق بفرنسا لأنها:" **صاحبة الفضل والفضائل ،شاكرين أنعمها العظيمة ومزاياها الجسيمة التي لا تعد و لا تحصى،فهي أمنا الحنينة** (...) **ويجب علينا معشر المسلمين أن نُعينها بأنفسنا و أموالنا لا وأولادنا على عدوتها ألمانيا وحليفتيها النمسا وتركيا."**[3]

أما بالنسبة للطريقة الرحمانية فقد أبدى بعض شيوخها أيضا الولاء لفرنسا،فبمنطقة أقبو، أبدى مقدم الطريقة "أحمد بلحداد" للحاكم الإداري بالبلدية المختلطة أقبو، إستعداده وأتباعه للتعاون مع الحكومة الفرنسية والدفاع عنها ،ولما كان بعض شيوخ الرحمانية متأثرين بفكر الجامعة الإسلامية ،وخوفا من تأثيرهم على الأتباع،وجه الشيخ "محمد بن الحامل بن عزوز" بسوق أهراس،خطابا إلى أتباعه بين فيه أن " **سبب الحرب هو إستبداد ألمانيا وطغيانها**(...)**فقوموا بواجبكم بمساعدة فرنسا وإعطائها كل ما تطلبه من تفان وتضحية إلى جانب أبنائه** (...) **إبقوا هادئين وإجتنبوا تهييج العامة"**[4].

كما قام العديد من شيوخ الطريقة الشاذلية بإعلان ولائهم لفرنسا أيضا ونذكر من بينهم الشيخ "بوقشابية عمر بن بلقاسم" من منطقة أيدوغ بعمالة قسنطينة الذي حث أتباعه على أن يثبتوا لفرنسا بأنهم أبناءها وذلك

[1] - تلمساني بن يوسف ، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني-الأمير عبد القادر- الادارة الاستعمارية1782 - 1900)،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية97-98،ص245.

[2] - عين ماضي: مدينة تتبع حاليا ولاية الأغواط ، تبعد عنها بحوالي 60كلم، مقر الخلافة العامة للزاوية التيجانية.

[3] -"Les Algeriens Musulmans et la guerre", in :**Revue du monde Musulmans**,déc1914,p192.

[4] - "Algerie",in**:B.C.A.F**,Op.cit,p22.

بإنظمامهم إلى جيشها،و بمليانة أبدى مقدم الطريقة الرحمانية ومقدم العيساوة[1]،معارضتهما لموقف الدولة العثمانية من الحرب ودعيا بالمقابل بالنصر لفرنسا.[2]

ولعل كل ذلك يدخل في إطار التأكيد على أن الولاء للإستعمار والتفاني في خدمته ، كان هو الضمان الوحيد لهولاء للبقاء في المناصب الرسمية الدينية بل إن ذلك الولاء هو وحده الموصل إلى تلك المناصب والمحافظ عليها ولو على حساب القيم الدينية ومصالح الجزائريين ولو من أتباع الطريقة نفسها.

"إلا أن هذه السمفونية المتناغمة والتصريحات المتزامنة وذات الصياغة الموحدة والمتشابهة تبين بوضوح أنها كانت نتيجة إملاءات من الإدارة الفرنسية ودعايتها وأن أصحاب هذه البيانات من أعيان وشيوخ دينيين قد قبضوا ثمن ذلك وأثروا من وراء ذلك بوضوح بعد نهاية الحرب"[3]، ولكنهم في الوقت الذي إقتربوا كثيرا من السلطات الفرنسية، إبتعدوا كثيرا عن الجماهير الشعبية التي كانت وقود هذه الحرب وخسرت فيها أبناءها وأرزاقها.

وما يلاحظ على هذه التصريحات المختلفة من طرف النخبة المتفرنسة والأعيان ورجال الطرق ، وبخاصة ما نشر منها بإسهاب في "مجلة العالم الإسلامي"(RMM)[4]،تلك المسحة المنطقية من التشكيك فيها ، فقد جاءت كلها في سياق واحد يؤكد أن مماليها طرف واحد بعينه، دون أن ننسى بأنها كلها تمثل وجهة نظر واحدة ومحبذة من طرف الإدارة الفرنسية ، ولا وجود فيها للرأي المخالف الذي لم تكن فرنسا تسمح به لا سيما في هذه الظروف المرتبطة بالحرب، وهو ما يجعلنا غير قادرين على الجزم بصحة هذه النداءات المؤيدة لفرنسا والمعادية لتركيا.

وبذلك يتضح لنا كيف أن النخبة الجزائرية بشقيها المحافظ والتغريبي كانت مع نهاية القرن التاسع عشر و مع قيام الحرب العالمية الأولى محورا وجزء فاعلا من الإستراتيجيتين الألمانية المرتبطة بالحليف العثماني ، والفرنسية من جهة أخرى ، وكيف أن النخبة الجزائرية بحسن نية ورغبة منها في إستغلال الظروف المرتبطة بذلك الصراع ، أرادت أن تغتنم الفرصة لتحقيق هدفين في آن واحد ،تحرير الجزائر من الإحتلال الفرنسي ولو بمساعدة أطراف خارجية من بينها دولة تربط بيننا وبينها روابط تاريخية وحضارية ضاربة في التاريخ، والهدف الثاني هو الدفاع عن الخلافة الإسلامية ورمزها ألا وهي الدولة العثمانية ،هذا حال النخبة الجزائرية المحافظة ، بينما نجد أن النخبة المرتبطة بفرنسا كثفت من نشاطها لتمرير الإسلام الفرنسي وخدمته مشرقا ومغربا ، ووجدت في الحرب العالمية الأولى الفرصة

[1] - العيساوة : طريقة صوفية مثل التيجانية والقادرية وغيرهما، وهي طريقة صوفية إسلامية، مغربية، مكناسية المنشأ، انتشرت بقوة في الجزائر وتونس وليبيا وأوربا.ظهرت الطريقة العيساوية لأول مرة في مدينة مكناس، ومؤسسها الذي تنسب إليه هو الشيخ محمد الهادي بن عيسى، الذي عاش في هذه المدينة وتوفي بها سنة 1526 للميلاد بحسب بعض المؤرخين.

[2] - "les indigénes Algeriens protestes",**L'écho d'Alger**,op-cit.

[3] - Ali,Merad,Le Réformisme Musulman en Algerie de 1925à 1940,Essai d'histoire religieuse et sociale,Paris- la Haye,1967,p54-56.

[4] - أنظر الملحق: (رقم 17).

السانحة ، وهي بدورها ترغب في تحقيق إحدى الغايتين ، فجزء من هذه النخبة كان صادقا في السعي للحصول ولو على تحسين بسيط لظروف الجزائريين السياسية والإجتماعية مستغلا حاجة فرنسا لتجنيد الجزائريين في هذه الحرب بينما كان غاية جزء آخر مجرد الرغبة في إثبات الولاء لفرنسا و الإغتناء شخصيا أو عائليا أو قبليا وأحيانا حتى للطريقة الدينية من الحرب، بما توزعه فرنسا من أموال ومناصب على المقربين منها.

وفي كلتا الحالتين فلا الطرف الأول نال مبتغاه وحرر الجزائر بأية وسيلة كانت في غياب نية ألمانية صادقة لمساعدة الجزائر ودول شمال إفريقيا ولا تم الحفاظ على الخلافة التي ستتلقى ضربات قاتلة بعد الحرب ستؤدي إلى زوالها،ولا الطرف الثاني حسن من ظروف الجزائريين ، أو حظي هو نفسه بتقدير فعلي من لدن فرنسا التي بقيت تنظر له لهم على أنهم أهالي جزائريون مسلمون لايستحقون شرف المواطنة الفرنسية أو كما قال فرحات عباس في كتابه ليل الإستعمار:" Quand un Algérien se disait arabe, les juristes français lui répondaient : non, tu es français. Quand il réclamait les droits des Français, les mêmes juristes lui répondaient : non, tu es arabe !"[1].

[1] - Ferhat,abbas , guerre et révolution d'Algérie ,la nuit coloniale, édition Julliard, Paris, 1962.p62.

الفصل الرابع

النخبة الجزائرية ومساهماتها في النضال القومي مشرقا ومغربا

1- الإتحاديون وتغريب الدولة العثمانية
2- النخبة الجزائرية تتصدر مقاومة التتريك مشرقا
3- النخبة الشامية تتصدر حركة التحرر السوري
4- النخبة الجزائرية والثورة العربية (1916م) بين مؤيد ومندد.
5- النخبة الجزائرية تتصدر جبهات النضال في المغرب العربي (طرابلس الغرب – تونس – المغرب الأقصى)

4-1 : الإتحاديون وتغريب الدولة العثمانية

إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر لم يكن هناك داخل المجتمع التركي أي شعور واضح بالعصبية في ظل شعور أقوى بالعامل الديني الذي يربط الأتراك ببقية مكونات الدولة العثمانية، فبالنسبة للمثقفين داخل هذا المجتمع كانت كلمة "تركي" تطلق على سكان منطقة الأناضول من سكان الأرياف غير المتعلمين، ولم يكن هنالك أي إستخدام واسع للغة تركية بل كانت تسود داخل الأوساط الإدارية والفئات المستنيرة لغة عثمانية (Osmanli)ممزوجة باللغات العربية والفارسية والتركية، بل ومن الثابت أن مصطلح " تركيا" في حد ذاته لم يكن يستعمل إلا من طرف الغرب نفسه[1].

وهناك من الآراء والدراسات ما يرجح أن هذا الشعور القومي إنتقل إلى الأتراك من الأقاليم المسلمة ضمن الإمبراطورية الروسية التي بدأ سكانها يعلنون عن تميزهم في ظل إستمرار الصراع الروسي- العثماني بعد إنتقال الآلاف من المهاجرين من تلك الأقاليم نحو مركز الدولة العثمانية[2].

ثم بدأ هذا الشعور يتسع لدى الأتراك في البداية عبر مجموعة من الدراسات التي قام بها بعض المستشرقين مع منتصف القرن التاسع عشر الذي تمحورت حول تاريخ وحضارة آسيا الوسطى، ومن أبرز هذه الدراسات كتاب : الأتراك في القديم والحديث (Turc Anciens et modernes) للكاتب البولوني الذي دخل الإسلام (Mustafa Celaleddin Pacha) أبرز فيه العديد من الخصائص العرقية و التاريخية للأتراك و إرتباطهم الوثيق بالعنصر الطوراني (Touro- aryenne)[3] والدور الكبير للكاتب (Arminius Vambery) في

---

[1] - Alexader Bennigsen et Chantal lemercier, Les Musulmans oubliés.l'Islam en Union soviétique, Maspéro, Paris,1981,P31.

[2] - أنظر : Hélène Carrére,Réforme et révolution chez les Musulmans de l'Empire Russe,fondation nationale des science politique,Armand Collin,Paris,1966,pp 102-104.

[3] - الطوراني : الطورانية Turanism أو الجامعة الطورانية Pan-Turanism ، هي حركة سياسية لوحدة كل الشعوب الطورانية .وتتضمن ليس فقط وحدة كل الشعوب التوركية كما في الجامعة التوركية، ولكن أيضاً توحيد العرق الطوراني الأوسع، والذي يُعرف أيضاً بالإسم المثير للجدل "العرق الاورالي-ألطائي، المعتقد أنه يضم كل الشعوب التى تتكلم" اللغات الطورانية."المناصرون الأتراك للعنصرية العلمية ادعوا أن هذه المجموعة العرقية تضم :

الأتراك العثمانيون في اسطنبول والأناضول، تركمان آسيا الوسطى وبلادفارس، وتتار جنوب روسيا والقوقاز، وماگيار المجر، وفن فنلندا ومقاطعات البلطيق، والقبائل الأصلية في سيبريا وحتى الأقاصي المنغول والمانچو.

أما الطورانية أوالبانطورانية Panturanism فهي حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر، هدفت إلى توحيد أبناء العرق التركي الذين ينتمون إلى لغة واحدة وثقافة واحدة. واللفظ مأخوذ من «طوران»، إقليم يكتنفه الغموض في وسط آسيا، وهو عندهم مهد الشعوب التركية التي انتقلت غرباً في مرحلة تاريخية معينة واستقرت قي إقليم الأناضول.=

نشر الدراسات الطورانية والإرث التاريخي واللغوى لهذا العنصر البشري ، ويبدو أن تزايد هذه الدراسات جاء في ظل حركة حثيثة مماثلة لدى العناصر السلافية داخل الدولة العثمانية والتي بدأت تسودها روح الإنفصال عن الدولة العثمانية.

وشيئا فشيئا أصبح إستعمال مصطلحات "الترك و "الطورانيون" ينتشر ضمن أدبيات عدد من المثقفين خاصة من إحتك منهم بالتيارات والمدارس الغربية عبر وسائط مختلفة، لننتقل من التتريك كمظهر فكري وتاريخي إلى حركات سياسية سيكون لها دورها الكبير في رسم مستقبل الدولة العثمانية من جهة وعلى علاقاتها الخارجية مع الأقاليم التابعة لها خاصة الولايات العربية ، التي سرعان ما سيتبنى أبناؤها بدورهم فكرا قوميا عربيا نتيجة لما شعروا به من مساس هذا التيار الجديد لمكونات قوميتهم العربية.

لقد قدم الإتحاديون أنفسهم روادا ليس لتنظيم سياسي بارز فحسب، بل ولحركة أيديولوجية كبيرة، وصوروا أنفسهم "اللسان الناطق للشبان الأتراك. وتمكنوا بتلك الصفة من جذب أنصار التحديث إلى "جمعية الإتحاد والترقي"بغض النظر عن توجهاتهم السياسية، فاعترف العديد من الإتحاديين بأنهم إنتموا إلى الجمعية على الرغم من جهلهم بأفكارها، تأثرا بمواقف زعمائها المناصر للتغريب[1].

= ظهرت هذه الحركة في القرن التاسع عشر الذي تميز بظهور الحركات القومية في أوربا وقيام بعض الدول والفدراليات على أسس قومية، وكان أول ظهورها عند المهاجرين الأتراك الذين قدموا من الامبراطورية الروسية تحت وطأة سياسة التنصير التي أخذت تطبقها روسيا القيصرية عنوة بدءاً من عام 1830، فكان من البدهي أن توجه هذه الشعوب أنظارها إلى اصطنبول التي كانت مركز الخلافة الإسلامية. وفي منتصف القرن التاسع عشر؛ أسس عِلْمَ الدراسات التركية مستشرقون أوربيون أشهرهم المجري أرمينوس فامبيري، وكانت دراسات هؤلاء المستشرقين للشعوب الطورانية تنصب على أصل الأتراك وتاريخ لغاتهم ولهجاتهم وحضارتهم القديمة، ولاسيما أنهم كانوا منجذبين نحو فكرة توحيد شعوبهم المضطهدة وإعادة إحياء الماضي الزاهي، وهذا ما جعل الدولة العثمانية محط أنظارهم. وفي عام 1879م أنشأ الصحفي التتاري إسماعيل كاسبرينسكي في بغجه سراي جريدة ترجمان، التي تعد الشرارة الأولى في مسألة بعث القفقاس وتتاريا. وبدأت المراحل الأولى لليقظة القومية بالظهو ر عن طريق البعث الأدبي، وكان الشيخ شهاب الدين المرجاني رائد هذه الحركة الأدبية، وتابع عمله كل من عبد القيوم الناصري وإسماعيل كاسبرينسكي وزوجته[2].

وفي عام 1895 بدأت حقبة جديدة في الأدب التتري من خلال ما عُرِفَ بأدب إيدلي، الذي يُعَدُّ الأدب الحقيقي للحركة الطورانية، وانطلاقاً من هذا التاريخ بدأ أدباء وشعراء عديدون يتداولون توعية الشباب قومياً وعرقياً، فتأسس أدب شعبي قومي تطور سريعاً، وخاصة بعد الثورة الروسية (1904-1905)، وأدى إلى ازدهار حقيقي في العلوم والمسرحيات الوطنية والتاريخ والشعر والقصة. ويعد الكاتب إياز إسحاقوف والشاعرطوغاييف من أشهر رواد هذا الأدب القومي وممثليه، كما يعد يوسف أقتشوره الأبرز بين هؤلاء جميعاً، لأنه أول مثقف وضع أطر عقيدة البانطورانية السياسية، وبرنامج عمل واضح لها، وجنَّد نفسه لتحقيق ذلك.، لم يكن الشعور بالبانطورانية سائداً في الدولة العثمانية حتى عام 1908، وفي عام 1908، تم إعلان الدستور العثماني مع وصول حزب الاتحاد والترقي إلى السلطة، إذ عدّ نفسه حامي الحرية وهادم أركان الاستبداد، فالتفت حوله الأمة العثمانية،إلا أن الاتحاديين تمسكوا بمبدأ سيادة الترك لبقية العناصر الأخرى، , فضلاً عن استعمال سياسة الشدة والعنف ومحاولة تتريك العناصر غير التركية. وفي هذه الأثناء كان النشاط الدعائي الطوراني على أشده ، أنظر : Arnakis, George G, Turanism: An Aspect of Turkish Nationalism ». In**, Balkan Studies**,(Vol.1) (1960),pp 19-32 .

[1] - سنان صادق جوادي السعدي، "موقف جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الصهيونية (1889-1914م)"،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة بغداد ، كلية الأداب،العراق،2005،ص31.

وهكذا بدأ التباعد والهوة تتسع بين العديد من الساسة والمثقفين الأتراك وبين بقية مكونات الولايات العثمانية لاسيما العربية منها بعد أن عد الإتحاديون الغرب الأوربي أفضل ما في العالم وأبدوا حماسهم للحضارة الغربية جملة وتفصيلا، رافضين أي محاولة لتمييز بعضها عن البعض الآخر أو تقسيمها إلى جانبين مادي يخص المنجزات العلمية والإختراعات التقنية وآخر روحي يشتمل على ثقافة وقيم الغرب السياسية والإجتماعية وأنتقدوا جهود العثمانيين السابقة لهم في محاولات أخذ الأول دون الثاني، مشددين على أن محاولات التغريب الإنتقائية أو الجزئية والجمع بينها وبين ما هو موجود في الدولة العثمانية لن يكون كافيا لإنقاذها، وإن من غير المجدي الإبقاء على قيم النظام العثماني القديم ومحاولة أخذ التقنيات الغربية ليس إلا، بل إن تحقيق نهوض حقيقي في الدولة العثمانية يستلزم المزيد من التغريب والإستيعاب السريع للحضارة الغربية التي كانت بالنسبة لهم كلا لا يتجزأ، ولا تنحصر بالإبداعات العلمية الخارقة فقط، ولكن أيضا نمط التفكير المختلف تماما عن كل ما هو موجود في الشرق، وإن كل الإنجازات التي حققتها الحضارة الغربية ليست إلا إظهارات لأفكار وقيم الغرب ومن دون تبني أسس الثقافة والحضارة الغربية لن يكون بالإمكان تحقيق أي تغريب أو إصلاح. فمثلا كتب "عبد الله جودت" ذلك المدافع المتحمس عن التغريب:

"**إن العلاقة بيننا وبين الغرب هي علاقة بين الضعف والقوة، بين الجهل والعلم... الغرب هو معلمنا، محبته هي محبة للعلم والتقدم والرقي المادي والأخلاقي. أن نكون تابعين مجدين وشاكرين للغرب هو قدرنا... ينبغي علينا أن نفهم شيئا واحدا: لا توجد هناك حضارتان، بل حضارة واحدة فقط هي الحضارة الغربية التي يجب أن نتلقفها بوردها وشوكها**".[1]

وحتى في المجال السياسي أقر الكثير من الكتاب أن نمط الدساتير الأوروبية من حيث مضامينها وتطبيقاتها هو الأفضل للإرتقاء بالدولة العلية نحو واقع أفضل عما هي عليه ،فالأنظمة الدستورية هي التي بنت وأقامت أكثر الكيانات المدنية تطورا في أوروبا، وفي هذا الصدد كتب أحد المتحمسين أيضا لتغريب الدولة العثمانية وهو "ضياء باشا" قائلا: " **أرجو أن تلتفتوا إلى دول القارة الأوروربية. هل هناك حكومة إستبدادية ؟ الجواب لا...والحل علينا أن نقلد الأنظمة الأوروبية تلك، وبما أن تيار الرأي العام الأوروبي يسير بهذا الإتجاه، وما دامت الدولة العلية تمثل دولة أوروبية، فسيكون من المستحيل علينا الإستمرار إذا ما عزلنا أنفسنا عن العالم الغربي وربطنا أنفسنا بأجسام غريبة عنا....**"[2]

[1] سنان صادق جوادي،موقف...، المرجع سابق ،ص33.

[2] - Bernard.Lewis, The Emergence of Modern Turkey,(3rd ed), Oxford University Press,Oxford, 1961,pp.139-140.

هكذا لم يُخفِ الإتحاديون إعجابهم الشديد بالغرب كونهم رأوا فيه الضوء الذي يجب على الدولة العثمانية الاهتداء به والأنموذج الكفيل بتقديم الحلول لكل مشاكلها، وسعوا لأن يكونوا سفراء مخلصين للحضارة الغربية إلى العثمانيين، فشرحوا من خلال الرسائل التي بعثوا بها إلى صحف إسطنبول تجاربهم ومشاهداتهم المعجبة بكل ما هو أوربي سياسة وإقتصادا وفكرا ومجتمعا. وحاولوا تقديم الأفكار التي آمنوا بها.

وعلى الرغم من وجود رؤية أولية لدى الإتحاديين تدعو للحفاظ على مبدأ العثمنة للحفاظ على كيان الدولة العثمانية ، إلا أن هذا التوجه لم يصمد كثيرا أمام سياسة"الأتركة"(التتريك)، ف"حلمي الطوني" الذي تغنى كثيرا بالعثمانية وأعلن "**أنا عثماني فقط... أنا لا أرتبط بأي مجتمع غير المجتمع العثماني**"أكد في كتابات أخرى على أهمية اللغة التركية والعنصر التركي بأسلوب ناقض به نفسه وكل ما دعا إليه سابق: "**إن الأتراك هم أصل العثمانيين، ينبغي على كل عثماني أن يكون قادرا على قراءة ما يكتبه الأتراك... فاللغة التركية تعني اللغة العثمانية**"،ووصف الأهداف المستقبلية لطرحه بأنها" **ستكون اللغة الرسمية للدولة العثمانية، وعلى كل موظف التحدث بالتركية وإتقان قراءتها وكتابتها بما ينسجم وموقعه، وكل الإجراءات في جميع الدوائر سيتم إتخاذها باللغة التركية**".[1]

مثل هذه اللمحات وضعت أسسا لتطورات أبعد بإتجاه تبلور الوعي القومي التركي وميول "الأتركة" التي بدأت معالمها تتضح بعد العام(1902م) وساعد على ذلك زيادة العنصر التركي بين صفوف "جمعية الإتحاد والترقي" وتغيير الهيكل التنظيمي للجمعية داخل الدولة العثمانية بتأسيس فروع نظامية لها في البلقان، حيث الإحساس بالهوية العرقية أقوى من المناطق الداخلية للدولة العثمانية. فبدأت تظهر في كتابات الإتحاديين إشارات تعبر عن إمتعاضهم من إستخدام كلمة "عثماني" واستنكروا أن تسمى دولتهم على إسم الأسرة الحاكمة، موضحين مبعث إنزعاجهم بضربهم مثلا أن يطلق على الألمان "هوهينزوليرنيون"، أو يسمى الفرنسيون "بربونيين" أو "بونابرتيين". وبدأت تظهر محاولات تؤكد على القومية التركية وتدعوا إليها. [2]

وهكذا أصبحت الكثير من النخب العربية مشرقا ومغربا ترى أن من واجبها مواجهة هذه السياسة في حال ما إذا تحولت إلى سياسة تستهدف العنصر العربي في وجوده وكيانه ومقوماته، خاصة في الولايات العربية التابعة للحكم العثماني ، وفي ظل وصول الإتحاديين للسلطة إبتداءا من(1908م) وإبرازهم العداء بشكل متصاعد لكل ما هو

[1] - سنان صادق جوادي السعدي، موقف جمعية..، مرجع سابق ،ص36 .

[2] - أسامة أحمد تركماني، تاريخ الأتراك قبل الإسلام وما بعده ، دار الإرشاد للنشر، حمص ، سورية ،2007،ص236.

عربي وإسلامي داخل السلطنة ومركز الخلافة ثم البلاد العربية،إنتهاء بإلغاء الخلافة نفسها والتي كانت تشكل أهم رابط بين الدولة العثمانية والبلاد العربية.

4-2 : النخبة الجزائرية تتصدرمقاومة التتريك مشرقا

لا شك أن النخبة الجزائرية مشرقا ومغربا وجدت نفسها بحكم تجربتها المريرة مع الإحتلال الفرنسي الذي إستهدف بدوره مقومات شخصيتها العربية الإسلامية ، وبحكم تجربتها النضالية وجدت أنه ليس من واجبها البقاء في الظل ولو خارج الجزائر ، بل عليها أن تتصدر طليعة النضال العربي مغربا ومشرقا على ثلاث جبهات كبرى:

- محاربة الإستعمار الأوروبي للبلاد العربية مشرقا ومغربا في سوريا وتونس والمغرب وطرابلس وغيرها وهو ما إعتبرته النخبة الجزائر واجبا قوميا ودينيا يجب المشاركة فيه.
- محاربة السياسات والمشاريع التي تستهدف الأمة العربة والإسلامية على الصعيد الحضاري والفكري ، ومن أخطر تلك المشاريع حركتي التتريك والحركة الصهيونية فيما بعد.
- الدفاع عن وحدة العالم الإسلامي ممثلة في منصب الخلافة بإعتبارها النموذج الوحدوي السائد في تلك الفترة، والذي يجب التمسك به في وجه التحديات والتي على رأسها الإستعمار الأوروبي بطبيعة الحال.

وهكذا لم يجد الجزائريون حرجا في الجمع بين النضال الوطني والقومي والإسلامي ، وفي جبهات مختلفة طالما ان هذا النضال ثلاثي الأبعاد، يلتقي في العديد والغايات وعلى رأسها التحرر و الإستقلال بمفهومه الشامل في وقت جعلهم وعيهم يدركون أن هذا النضال لا يتجزأ ، فالجزائري الذي يدافع عن طرابلس أو المغرب هو يدافع في حقيقة الأمر عن الجزائر و الجزائري الذي يتصدر حركة النهضة والتعليم في سوريا فكأنما يسعى لنهضة الجزائر ، والجزائري الذي يذود عن الخلافة في الدولة العثمانية ،إنما يدافع عن وحدة العالم الإسلامي من شرقه لغربه.

هكذا ولدت هذه السياسة العنصرية التي تبناها الإتحاديون ردود أفعال قوية لدى الكثير من أبناء البلاد العربية الذين لم يتقبلوا موقف الإتحاديين من العنصر العربي واللغة العربية وعدم الإعتراف بالدور العربي في محاربة الإستبداد ونضالهم من أجل الدستور وحرمان العرب من تقلد أية مناصب هامة مدنية أو عسكرية.

وقد كان للجزائريين و نخبتهم مشرق ومغربا، كغيرهم من أبناء الأمة العربية دورهم في هذا النضال القومي لاسيما وأن البعض منهم قد تبوأ دورا بارزا في حركة النهضة العربية وداخل الحياة السياسية في المشرق العربي، خاصة في بلاد الشام حيث ساهم الجزائريون بشكل وافر في تشكيل الكثير من الجمعيات السياسية والثقافية التي كانت تتبنى

النضال القومي العربي والسعي لإعادة العنصر العربي إلى الصدارة السياسية والحضارية في العالم الإسلامي بشكل خاص.

ومن الواضح أن الهجرة إلى المشرق لم تمنع الجزائريين الموجودون في بلاد الشام وخاصة بسوريا من الشعور بأنهم في وطنهم الأكبر وأنهم مطالبون بمواصلة نضالهم ضد الإستعمار الغاشم حتى خارج الجزائر في ظل تمدد هذا الإستعمار وتبعاته السياسية والفكرية هناك ، ليظهروا بذلك مستوى رفيعا من الوعي والشعور بالمسؤولية تجاه القضايا الإسلامية والعربية ،والمشاركة في تحرير بلادها سياسيا وثقافيا وصحفيا وحتى عسكريا إذا ما إستدعت الضرورة.

وباتت الأسر الجزائرية العريقة في بلاد الشام ، الحاملة منها للواء العلم والإصلاح، الأكثر إستقطابا لهذه الوثبة الواعية لاسيما وأن كثيرا من الأسر التي غادرت الجزائر شرقها وغربها نحو الشام ، كانت أُسرا متعلمة وشديدة الوعي بتلك المخاطر نتيجة ما تعرضت لهم من ظلم إستعماري في وطنها الأم وهو ما دفعها لمغادرة الجزائر ، ونتيجة ممارستها لفعل المقاومة بكل أشكالها ربما قبل معظم إن لم نقل كل الشعوب العربية.

وهنا سيلمع في سماء النضال العربي شاميا ثم عربيا نجم عائلة السمعوني ، فقد هاجرت أسرة الشيخ "أحمد الصالح السمعوني الوغليسي" أصيل قرية بني سمعون من عرش وغليس في وادي الصومام من ولاية بجاية الجزائرية و الذي كان من رجالات "الأمير عبد القادر" وجيشه في المنطقة، هاجر إلى بلاد الشام مع هجرة العلماء الأولى التي قادها خليفة الأمير "أحمد بن سالم" [1]عام (1847م)،عُرف عن "الشيخ صالح" أنه من علماء الجزائر المتميزين، فهو فقيه إشتهر بعلم الفلك وعلم الميقات وله رسالة في هذا العلم، كما أنه مال إلى علوم الطبيعة والرياضيات، وبعد هجرته إلى دمشق، عُهد إليه بإفتاء المالكية فيها، لأن معظم المهاجرين الجزائريين كانوا على المذهب المالكي. وقد ترجم له "عبد الرزاق البيطار" في حلية البشر، لكن أبرز من لمع نجمه في بدايات النضال العربي ورمز النخبة الجزائرية الشامية الصانعة للنهضة العربية الحديثة ، والذي كان ركنا أساسيا في صناعة ثقافة عربية مناهضة للتتريك كان "الشيخ طاهر الجزائري السمعوني".

1– ب : الشيخ طاهر بن صالح السمعوني الجزائري يغرس العروبة في حلقة دمشق الكبرى:

ولد الشيخ طاهرالجزائري بدمشق سنة(1852م) درس بداية على يد والده ثم أدخله المدارس الموجودة في دمشق وعند وفاة والده سنة (1868م)، لزم الشيخ "عبد الغني الغنيمي" وهو في حينه قامة علمية بارزة ثم عين مُعلما في

[1] - أحمد بن سالم : خليفة الأمير عبد القادر على منطقة بلاد القبائل، إنتهت مقاومتها في فبراير 1847م ، أي بحوالي عشرة اشهرقبل مقاومة الأمير عبد القادر، غادر ميناء الجزائر نحو الشام في 24 سبتمبر 1847م ، أنظر : نادية طرشون ،هجرة أحمد الطيب بن سالم وجماعته إلى الشام عام 1847م، ورقة خلال أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية.. ، مرجع سابق ، صص 83-93.

المدرسة الظاهرية بدمشق.عكف الشيخ طاهر على دراسة اللغات الشرقية و منها التركية والفارسية والسريانية والعبرية والحبشية والقبائلية [أي البربرية] زيادة على اللغة الفرنسية، مما مكنه من الإطلاع على الثقافة الغربية[1].

كما إشتهر الشيخ طاهر بسعة الإطلاع وقوة الحجة ومضاء العزيمة والعمل على إنشاء المدارسوإصلاح طرق التعليم ووضع الكتب المدرسية (...) وكذلك عرف أهمية التاريخ كمرآة للعصور الغابرة ومرقاة للأجيال الحاضرة،فعُني بإحياء التاريخ العربي وإرشاد الطلاب إلى دراسته (...) وكان يقاوم الظلم ويكره الإستعمار،وينتقد السياسة العثمانية،ويرى أن سيطرة الأجنبيعلى بلاد العرب هي التي أوقفت تطورها وأخرتها عن مسايرة ركب الحضارة،إلا أنه لم يكن قانطا من التحرر أو يائسا من الإصلاحوإنما كانت ثقته قوية بمستقبل الأمة العربية وإستعدادها للنهوض من عثرتها متى أخذت بأسباب العلم ونشأ أبناؤها على التربية القومية الواعية[2]

ولم يكتف "الشيخ طاهر الجزائري" بالجانب التنظيري فقط بل قرن القول بالفعل فكون مع بعض أصحابه جمعية خيرية هدفها نشر العلوم وفتح الكتاتيب بالجهود الشعبية والشخصية لهذه المجموعة، فقد كان الشيخ طاهر من الإصلاحيين الإسلاميين المتنورين. وقد شعر بمدى الإنحطاط الذي تعاني منه الأمة، وأرجع سبب ذلك للإستبداد العثماني والفساد وسوء الإدارة العثمانية، فأدرك وجوب الحركة لتدارك الأمر ،لكن المهم في ذلك هو بناء جيل عربي متشبع بقيم العروبة، وكأن أصول الرجل الجزائرية ظلت تحمل في جيناتها صفة التمرد على الظلم وكره المحتل مهما كانت صفته وجنسه، فكان بذلك من أبرز الأمثلة على تلك النخبة الجزائرية التي تركت بصماتها ، ليس فقط في بلاد الشام بل في العالم الإسلامي كله.

ومن خلال إدراكه لأهمية اللغة العربية في أي حركة إنبعاثية نجده يركز على تدريس اللغة العربية وآدابها وفنونها. وهو الأمر الذي كانت تركيا قد منعته فارضة تدريس اللغة التركية في الكتاتيب القليلة التي كانت موجودة في بلاد الشام كما ركز "الشيخ طاهر الجزائري" ومجموعته على تدريس التاريخ العربي هذا التاريخ الذي تجاهله الترك وفرضوا نسيانه."[3]

[1] -غالي الغربي ، المساهمة الفكرية للمهاجرين الجزائريين في بلاد الشام – الشيخ طاهر الجزائري نموذجا ،ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، المنعقد بفندق الأوراسي يومي 30-31 أكتوبر 2006،منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر ، 2007،ص115.

[2] - قدري قلعجي،الثورة العربية الكبرى1916-1925(جيل الفداء يوما بيوم مع كامل الاسماء والوثائق والأدوار)،(ط2)،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت،لبنان ،ص ص 52-53.

[3] - سهيل الخالدي ،الاشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام) ،شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع،برج الكيفان ،الجزائر، 1997،ص ص 113-114 .

هكذا كان الشيخ طاهر الجزائري يسعى للعمل على نهضة الأمة العربية وذلك بالأخذ بالعلم والمعرفة والأخلاق الفاضلة وأسباب الحضارة دون التخلي عن الدين الإسلامي بل إنه كان يؤمن بعظمة هذا الدين وصلاحه لكل زمان ومكان ولذلك فقد كان له خطة شاملة للنهضة من أبرز معالمها:

1 - إهتم بالعلم والتسلح به وكان يمضي وقته كله في العلم والبحث، وعاش حياته وحيداً ولم يتزوج، متفرغاً لتحصيل العلوم وتعليمها. وكان يهتم بالناشئة ويشجعهم على طلب العلم والبروز فيه ويحاول التيسير عليهم وعدم تنفيرهم من طلب العلم. ومما نُقل عنه أنه كان يرشد تلاميذه قائلاً: "**إن جاءكم من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام فلا تقولوا له إن هذا مستحيل بل علموه, فلعل إشتغاله هذه الثلاثة الأيام بالنحو, يحببه إليه**"[1]. و لا يخفى علينا ما لهذا الإرشاد من فائدة عظيمة في بث الثقة في النفوس وتشجيعها على طلب العلم،كما أنه إهتم بإصلاح التعليم وإفتتاح المدارس المتنوعة, وخصوصاً الإبتدائية منها، رغبة منه في نهضة الأمة ورقيها، حيث كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن نهضة الأمة هي في العلم.

2- إهتم باللغة العربية والتاريخ الإسلامي بشكل خاص لما لها من دور في تكون الشخصية الحقة، حيث يصف لنا أحد تلاميذه المقربين وهو "محب الدين الخطيب"[2] كيف أنه أحب اللغة العربية والعرب من أستاذه الشيخ طاهر.

---

[1] - علي الطنطاوي، رجال من التاريخ,(ط8)، دار المنارة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1411هـ / 1990م، ص 377.

[2] - ولد العلامة محب الدين الخطيب في حي القيمريّة بدمشق في الشهر السابع من سنة 1303 هـ1886 / م. أبوه الشيخ أبو الفتح الخطيب من رجالات دمشق، كان أمين دار الكتب الظاهرية، تولّى التدريس والوعظ في الجامع الأموي و له عدّة مصنفات ،بعد أن أنهى الخطيب دراسته الثانويّة عام1906 م في بيروت، إنتقل إلى عاصمة الخلافة :إسطمبول والتحق بكليتي الآداب والحقوق. نزل هناك في حي يكثر فيه أبناء العرب وطلاب العلم، ورأى هناك أمراً عجباً: الطلاب العرب يجهلون قواعد لغتهم، وإملاءها، وآدابها، ويتكلّمون بينهم برطانة الترك، فانتخب الشيخ محب الدين الخطيب من الشباب العرب طائفة أقنعها بوجوب تعلّم لسان العرب، واتفق مع صديقه الأمير عارف الشهابي أن يقوما على تعليم هؤلاء الشباب العرب لغتهم، وبعد فترة أسسوا «جمعية النهضة العربيّة»، وكان صديقه العلامة الأستاذ محمد كرد علي يرسل إليهم الصحف بالبريد.

شعر الأتراك الاتحاديّون الذين انقلبوا على الخلافة العثمانيّة بكيد من يهود الدونمة، وأبقوا للخليفة الاسم ولهم الرسم، شعروا بنشاط «جمعيّة النهضة العربيّة» فداهموا غرفة الشيخ محب الدين الخطيب، ووجدوا فيها أوراقاً وصحفاً عربيّة، وكاد الشيخ أن يهلك لولا أنّ الله قيّض له رجلاً كانت تربطه بأسرته روابط قويّة. اشتدت الرقابة الاتحاديّة على الشيخ فغادر الأستانة بعد الانتهاء من السنة الثالثة إلى دمشق.

عندما قامت الحرب الكونيّة الأولى وأعلنت الثورة العربيّة الكبرى طلبه الشريف الحسين بن علي برقياً فسافر إلى مكة فأسس المطبعة الأميريّة، وأصدر جريدة القبلة الناطقة باسم حكومة الحجاز، وكان الشريف حسين يستشيره في كثير من الأمور الخارجيّة مع الشيخ كامل القصاب .لمّا دخل العرب دمشق عام1918 م بقيادة الأمير فيصل عاد الشيخ محب الدين الخطيب، وأنيط به إدارة وتحرير الجريدة الرسميّة للحكومة باسم "العاصمة.«

لمّا دخل الفرنسيون عام 1920م دمشق غادر الشيخ محب الدين إلى مصر واستقرّ في القاهرة حيث عمل في تحرير جريدة الأهرام خمس سنوات، وهناك أسس المكتبة السلفيّة ومطبعتها، حيث قام بطباعة الكتب السلفيّة، ونشر كثيراً منها، وأصدر مجلة الزهراء، وهي مجلة أدبيّة اجتماعيّة دامت خمس سنين، ثمّ أسس جريدة الفتح، ثمّ تولّى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، ثمّ ساهم في إنشاء جمعية الشبان المسلمين في القاهرة.

كان الشيخ من أوائل العلماء الذين تنبّهوا لأخطار الصهيونيّة، وحذروا منها، وكشفوا الغطاء عن حقائقها وأسرارها، ومحاولة اليهود في الوصول إلى فلسطين عام1844 م ومطالبتهم لمحمد علي باشا بفلسطين، وما كان بينهم وبين السلطان عبد الحميد سنة1902 م، ومقالاته في الفتح شاهد صدق على ذلك. عد ثلاث وثمانين سنة قضاها في البحث، والتحرير، والتأليف، ضد المستشرقين، والمبشرين، والشيعه، والعلمانيين توفي يوم 22 =

3 . إهتم الشيخ طاهر بتعلم العلوم العصرية واللغات الحية، لأن ذلك أحد أدوات النهضة. فالتعرف على تلك العلوم واللغات كان في نظره مهم جداً لمواكبة ركب الحضارة.

4 . دعا الشيخ طاهر إلى إصلاح العادات وحارب الخرافات وكان يقف بشجاعة في وجه الجمود والتحجر ويدعو إلى بذل الجهد لنهضة الأمة قدر المستطاع، كما أنه دعا إلى إستخدام وسائل الإتصال المتاحة في عصره لتوعية الناس وردهم إلى جادة الصواب.

5 . كان الشيخ طاهر ضد الحكم الإستبدادي، لذلك فقد عادى الحكم" المستبد" وقد دعا الحكومة إلى الإصلاح والعدل والشورى وحرية التعليم وحرية الصحافة، مما جعل السلطات العثمانية تلاحقه وتضيق عليه حتى إضطر إلى الهرب إلى مصر [1].

وعندما تم الإنقلاب على السلطان سنة(1908م)، فرح به الناس وهللوا له، لكن "الشيخ طاهر الجزائري" لم يفرح به ولم يثق بمن قاموا به، وكان يقول: "**وما هذا الإنقلاب الخلاب إلا إنتقال من نير إستبداد الفرد إلى نير إستبداد الجماعات**" وبالفعل فقد صدقت رؤية الشيخ طاهر، وكان الإنقلابيون الإتحاديون أكثر إستبداداً من السلطان نفسه، وهذا كان من الأسباب القوية لقيام الثورة العربية الكبرى والتي فرح بها الشيخ وشجعها كثيراً، لأنه كان يعتبرها خطوة ضرورية لنهضة الأمة العربية. وساند الحكم العربي في دمشق وكان يدعو الناس إلى الدفاع عن هذا الإستقلال[2].

و من قراءته المتأنية لأوضاع الدولة العثمانية في ظل ماحدث بعد الإنقلاب الكمالي سنة (1908م) كان طاهر الجزائري يرى أن الدولة العثمانية موشكة على الإنهيار، فدعى العرب إلى التأهُب بالعلم والأخلاق لنيل إستقلالهم وصون بلادهم من أن يحتلها الإستعمار الأوروبي، وراح يبث هذه الأفكار بين طلابه ومريديه، وكان إخلاصه وثقافته

=شوال سنة 1389 هـ ,الموافق 30 ديسمبر من عام1969 م ,بمستشفى الكاتب بالدقي في مصر بعد إجراء عمليَّة جراحيَّة, وبعد أن أمضى حياة مليئة بالعمل والنَّشاط. أنظر : خير الدين الزركلي، الأعلام ،(ج5)، (ط15)، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،2002،ص285.

[2] - عارف بن محمد بن سعيد بن حسين الشهابي ، ولد في حاصبيا (لبنان) سنة 1889م ، تعلم في دمشق ن وإنتظم في حلقة دمشق الصغرى، وتردد على الشيخ طاهر الجزائري واخذ عنه، رحل إلى الأستانة طالبا العلم ، وتحصل على شهادة من كلية الحقوق، ليعمل مأمور معية في ولاية دمشق، إشترك في تأسيس جريدة (فتى العرب) سنة 1912، إشتغل بالعمل السياسي القومي العربي، وانشا مع طلبة مدرسة عنبر حلقة سياسية بدمشق، كان مكن مؤسسي جمعية النهضة العربية لمقاومة التتريك، فأعدم بامر من جمال باشا السفاح سنة 1916م.أنظر : فوزي الخطبا،شهداء النهضة العربية، مطبعة الصفدي، عمآن ، الأردن، 1998، صص179-192.

[1] - رغداء محمد أديب زيدان، طاهر الجزائري وحلقة دمشق الكبرى، **التراث العربي**،مجلة فصلية يصدرها إتحاد الكتاب العرب،دمشق ،سوريا، (ع 108)، السنة(27)،كانون الأول 2008- ذو الحجة1428،ص22-23.

[2] - المرجع نفسه ،ص23.

العالية قد جعلا منه القدوة في العلم والتحرر لأبناء جيله والعلم مما جعل له شهرة كبيرة في الشام خاصة والبلاد العربية عامة.

وكانت هذه الحلقة تجتمع في كل أسبوع من بعد صلاة الجمعة في منزل "رفيق العظم"[1]. وكان مجلس هذه الحلقة يستعرض كل ما يهُم المفكرين إستعراضه عن الحركة العلمية والفكرية والسياسية خلال الأسبوع، وكان "الشيخ طاهر" هو الذي يوجههم ويصحح لهم ويوقظهم لما خفي عليهم.

سميت هذه الحلقة بحلقة دمشق الكبرى، وقد راح "الشيخ طاهر" ورجال حلقته ينددون بالحكام وإستبدادهم، وينتقدون سوء الإدارة ويدعون إلى الحرية والعدل والنظام، من خلال هذه الحلقة ويعتبرونها نواة فكرهم وحركتهم ، مما ولد ضد "الشيخ طاهر" عدواة كثير من الأطراف ومن التُهم التي أخذت عليه وحورب بها ، الخيانة الوطنية والعمل على فصل البلاد السورية عن بقية الدولة العثمانية.

وخلال رحلة قام بها الشيخ طاهر إلى مدينة القدس علم أن رجال الأمن الأتراك قد فتشوا داره في دمشق فأخذ حذره وتوارى عن الأنظار فترة من الزمن كان خلالها يتنقل سرا مفكرا بالهجرة من بلاد الشام،فوجد أن خير بلاد

[1] - هو رفيق بن محمود بن خليل العظم، ولد عام 1867 في مدينة دمشق، في أسرة عريقة. والده الأديب الشاعر محمود العظم لم يصرفه إلى الدراسة في المدارس الحكومية العثمانية، وإنما دفعه إلى شيوخ العصر يتردد إليهم ويأخذ عنهم، لازم العلماء والأدباء ، وأقبل على الأساتذة سليم البخاري وطاهر الجزائري وتوفيق الأيوبي، ونزع كما ينزعون إلى البحث في الاجتماع والتاريخ والأدب، وتعلق بالإصلاح وكتب فيه لما وجد من أحوال العصر الإدارية والسياسية ،اجتمع رفيق العظم إلى أحرار العثمانيين وتعلم اللغة التركية، وتقرب من الجمعيات السياسية السرية ووقف على العنف والاستبداد والإستعمار، فأخذ ينتقد ويقبح في جرأة وصراحة لفتت الأنظار إليه.زار رفيق العظم مصر سنة 1892ومنها انتقل إلى الأستانة ثم عاد إلى دمشق، ليغادرها عام 1894 إلى مصر هرباً من مضايقة السلطات ، وفي القاهرة تعرف العظم على أعلام البلاد، واتصل بحلقة الإمام محمد عبده، وفي هذه الحلقة كبار الكتاب والمفكرين أمثال قاسم أمين وفتحي زغلول وحسن عاصم. فأفاد من مجالسهم وكذلك اتصل بالشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد، وعرف مصطفى كامل ومحمد فريد من زعماء الإصلاح في مصر، فاختمرت في نفسه فكرة الإصلاح السياسي والاجتماعي.كما انصرف العظم إلى الكتابة والتصنيف، وأخذ ينشر المقالات والدراسات في التاريخ والأدب والاجتماع والإصلاح في كبريات الجرائد: الأهرام، والمقطم، واللواء وفي أشهر المجلات: المقتطف الهلال، والمنار، والموسوعات فوثقت صلاته بعلماء وكتاب وسياسي مصر.ثم انصرف العظم إلى تأسيس الجمعيات السياسية، فأنشأ مع صحبه (جمعية الشورى العثمانية) الحرة، وفيها كبار الشخصيات من عرب وأتراك وجركس وأرمن، وكانت لها صحيفتها يحرر القسم العربي فيها. وتنبهت الجمعية (الاتحاد والترقي) إلى خطر هذه الجمعية وأثرها، فسعت إلى التقرب منها والاعتماد عليها في مقاومة الظلم والطغيان ولكن الشعار كان يختلف في كل منهما، والأهداف تباعد بينهما... فجماعة الاتحاد والترقي كانوا يعتمدون على العنصرية التركية في رفع الجنس الطوراني، أما جماعة الشورى فكانوا يريدون الحرية للشعوب.لذا سعى رفيق العظم مع صديقه الشيخ رشيد رضا في تكوين جمعية عربية سرية، هدفها التأليف بين أمراء الجزيرة العربية، والسعي في جمع شمل العرب لحفظ حقوق العرب في الدولة العثمانية، والعمل لمستقبل يعيد إليهم أمجادهم وتاريخهم. وقد ساق إلى تأليف هذه الجمعية ما ظهر من ضعف الدولة العثمانية بعد انكسارها في حرب البلقان، وبدا خطر وقوعها في براثن الغربيين، فنهض العظم مع زملائه من الساسة في تأسيس حزب اللامركزية، لئلا يصيب الأقطار العربية خطر الانهيار الذي يقع على العاصمة، وليصبح كل قطر في منجى من السقوط فريسة للأوربيين.وظل رفيق العظم يعمل في الأحزاب وفي السياسة لخير قومه وأمته وبلاده حتى ساءت صحته، فلما قامت الثورة العربية وتسلمت الحكومة الفيصلية مقاليد البلاد، عاد العظم إلى دمشق زائراً فاستقبلته البلاد خير استقبال، وعرضت عليه أن يتقلد بعض الرئاسات الكبرى، فاعتذر لسوء صحته، ولزهده في المناصب، وعاد إلى القاهرة ولازم داره.وقد أُعجب المجمع العلمي العربي في دمشق بكتابات العظم وروعة أسلوبه وجميل خدماته للعربية، فانتخبه عضواً مراسلاً إكباراً لأياديه، ولكنه لم يتح له أن يشارك في أعماله، وإنما أوصى بمكتبته كلها هدية إلى المجمع العلمي العربي، وهي في نحو ألف مجلد، كلها من أنفس الكتب. توفي في القاهرة سنة 1925م، أنظر : محمد رجب البيومى ، النهضة الإسلامية فى سير أعلامها،(ج1) دار القلم دمشق ـ الدار الشامية بيروت ، 1415هـ/ 1995 / ، ص ص 163- 185

يهاجر إليه هي مصر،لبعدها عن قبضة الدولة العثمانية بعد أن إحتلتها بريطانيا منذ(1882م) ونجح بالإفلات من قبضة مخابرات السلطة العثمانية عام (1907م) ووصل إلى القاهرة حاملا معه ما استطاع حمله من كتب ومخطوطات نادرة،و أقام في بيت متواضع في حي عابدين"[1]

وعندما غادر "الشيخ طاهر" دمشق متوجهاً إلى مصر للإقامة فيها، خلف وراءه نهضة وثورة فكرية تسري تحت الرماد وسرعان ما وجدت هذه الثورة متنفساً لها في الإنقلاب العثمّاني سنة (1908م)"،فقد شجع فكره ونضاله وتضحياته تلامذته والمتأثرين بأفكاره من شباب العرب، على حب التحرر والإعتزاز بالأمة العربية وبماضيها الحافل بالبطولة والعز والمجد،فألفوا الجمعيّات السرية التي إتخذت من أفكار هؤلاء المصلحين أمثال طاهر الجزائري مستنداً لها للمطالبة بالحقوق العربية المشروعة.

ومن بين هذه الجمعيات نجد جمعية عُرفت بحلقة دمشق الصغيرة تمييزاً لها عن الحلقة الكبرى، وقد قام بتأسيسها "محب الدين الخطيب" مع صديقه "عارف الشهابي"[2]. وفي هذه الحلقة كان يجتمع هذان الصديقان مع مجموعة من رفاقهما، يقرؤون من الكتب ما يقوي عقيدتهم وفكرهم القومي. ومن هذه الحلقة إنبثقت "جمعية النهضة العربية "، التي تأسست في (سبتمبر 1906م) في إستنبول على يد "محب الدين الخطيب" و"عارف الشهابي"، وكانت غايتها إحياء اللغة العربية والأخلاق الفاضلة، ثم إفتتحت فرعاً لها في دمشق.

وقد قام بعض أعضاء هذه الجمعية بتأسيس جمعيات أخرى كان لها أثر كبير في التاريخ العربي الحديث، وفي تاريخ القومية العربية. من هذه الجمعيات نذكر" المنتدى الأدبي" الذي قام بتأليفه بعض أعضاء "جمعية النهضة". وهناك أيضاً "حزب اللامركزية الإدارية العثماني" الذي كان من مؤسسيه "محب الدّين الخطيب"، "ورفيق العظم"، و"عبد الحميد الزّهراوي"[3]. وكذلك "جمعية الشورى العثمانية"، التي كان من أعضائها أيضا "رفيق العظم" و"محب الدين

[1] - هاني المبارك،الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام ، **التراث العربي**،مجلة فصلية يصدرها إتحاد الكتاب العرب،دمشق ،سوريا، ع 108، السنة27،كانون الأول 2008- ذو الحجة1428،ص 20.

[2] - عارف بن محمد بن سعيد بن حسين الشهابي ، ولد في حاصبيا (لبنان) سنة 1889م ، تعلم في دمشق ن وإنتظم في حلقة دمشق الصغرى، وتردد على الشيخ طاهر الجزائري واخذ عنه، رحل إلى الأستانة طالبا العلم ، وتحصل على شهادة من كلية الحقوق، ليعمل مأمور معية في ولاية دمشق، إشترك في تأسيس جريدة (فتى العرب) سنة 1912، إشتغل بالعمل السياسي القومي العربي، وانشا مع طلبة مدرسة عنبر حلقة سياسية بدمشق، كان مكن مؤسسي جمعية النهضة العربية لمقاومة التتريك، فأعدم بامر من جمال باشا السفاح سنة 1916م.أنظر : فوزي الخطبا،شهداء النهضة العربية، مطبعة الصفدي، عمآن ، الأردن، 1998، صص179-192.

[3] - عبد الحميد بن محمد شاكر بن إبراهيم الزهراوي، ولد بحمص سنة 1855م، من زعماء النهضة السياسية في سوريا ومفكر وصحفي وأحد شهداء العرب،في ديوان عاليه العرفي .ولد في حمص، وعمل على مقاومة السياسة الحميدية قبل إعلان الدستور العثماني فأصدر جريدة سماها المنير، كان يطبعها على الجلاتين ويوزعها سراً.

سافر إلى الأستانة فساعد في إنشاء جريدة معلومات التركية؛ فقامت السلطة الحميدية بطرده إلى دمشق، فصار يكتب إلى جريدة المقطم المصرية. لما علم به والي دمشق ناظم باشا أرسله مخفورا إلى الأستانة إلا أن أبا الهدى الصيادي توسط في أمره، فأعيد إلى مدينة حمص.=

الخطيب" وغيرهم. وكذلك الجمعية الأشهر "العربية الفتاة" وكان من أعضائها كثير من تلاميذ الشيخ طاهر ومن أعضاء جمعية النهضة العربية.

وسرعان ما أفضت نشاطات وجهود هذه الأحزاب والجمعيات إلى عقد "المؤتمر العربي الأول" سنة(1913م)في باريس و الذي خرج المؤتمرون فيه بمقررات هامة، تؤكّد مبادئ ومطالب الجمعيات السابقة الذكر ،على رأسها الإصلاح وإعطاء العنصر العربي حقوقه السياسيه والثقافية ضمن الحكم التركي.

وقد كان هذا المؤتمر من الأهمية بما كان، فقد أثر بشكل كبير في الحركة القومية العربية وفي تحديد مسارها المطالب بالإنفصال عن الدّولة العثمانية. وقد كانت حلقة الشيخ طاهر هي الملهم الأول لهذه النشاطات والتحركات العملية[1]، وبذلك ترك الرجل بصماته واضحة على جيل بل وأجيال من النخبة العربية والجزائرية مشرقا ومغربا ستنخرط تباعا في نضال قومي شاق لنيل الحقوق العربية في مواجهة التتريك والإستعمار معا ، سنعرج على بعض رموز هؤلاء من الجزائريين في بلاد الشام والذين وصل نضالهم إلى ذروته بإستشهادهم على مذابح الحرية.

2- ب :عمر الجزائري جزائري على مذبح الحرية:

إنه إبن "الأمير عبد القادر الجزائري"،ورث عن والده الكثير من الصفات الجليلة، ولد في دمشق عام (1871م) ودرس على يد كبار علماء الشام، فنشأ محبا للعرب والعروبة، إنظم إلى حزب العهد، وعندما كشف "جمال باشا السفاح" عن وجهه القناع بإستئصال الأحزاب والحركات القومية العربية وقرر سحقها وضرب رجالاتها، شعر "عمر الجزائري" بالخطر فهرب إلى منطقة الزاوية، وإستطاع "الأمير شكيب أرسلان" أن يقنع عمه "الأمير سعيد بتسليم عمر وأنه سيتوسط له عند جمال باشا السفاح[2]،فإقتنع برأي الأمير أرسلان وإتصل بعمر وأقنعه بالعودة من منطقة

=بعد صدور الدستور العثماني عام 1908 م، ووقتها عاد إلى دمشق وانتخب مبعوثاً عن حماة، اشترك في تأسيس حزب الحرية والاعتدال، وحزب الائتلاف المناوئين لجمعية الاتحاد والترقي التركية، وأصدر جريدة الحضارة الأسبوعية. ويأتي عام 1913 عام انعقاد المؤتمر العربي الأول بباريس الذي كان بداية نهضة عربية قومية وقد ترأس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي على الرغم من عدم كونه عضواً في حزب اللامركزية الذي دعا الى المؤتمر لكن أعضاء المؤتمر عينوه رئيساً له، لمكانته العلمية الاجتماعية والسياسية وقد قال في المؤتمر كلمته التي ظلت ترن في آذان الولاة العثمانيين طويلاً..." ان العرب كانوا قد ألفوا الترك وهؤلاء قد ألفوا العرب وامتزج الفريقان امتزاجاً عظيماً لكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة هذه الرابطة قد اصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت مهددة من قبل" وعند نشوب الحرب العالمية الأولى قبض عليه من قبل السلطات العثمانية، وحكم عليه في "ديوان عالية العرفي" بالموت. نفذ به الحكم شنقاً في دمشق في 6 أيار.1916 ، أنظر: ناجي علوش ، مدخل إلى قراءة عبد الحميد الزهراوي (حياته- مؤلفاته – افكاره)، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق 1995، صص 10-22.

[1] - رغداء محمد أديب زيدان ، طاهر الجزائري ،مرجع سابق،ص26.

[2] - أحمد جمال باشا : (1873-1922م)، قائد الجيش الرابع عثماني و وزيراً للبحرية عين حاكماً على سوريا وبلاد الشام عام 1915 وفرض سلطانه على بلاد الشام وأصبح الحاكم المطلق فيها. وهو من زعماء جمعية الاتحاد والترقي وقاتل البلغار في مقدونيا واشترك في الانقلاب على السلطان عبد الحميد .وشغل منصب وزير الأشغال العامة بعام 1913 ثم قائدًا للبحرية العثمانية عام1914 .

قام جمال باشا بإعدام نخبة من المثقفين العرب من مختلف مدن سوريا ولبنان ,فقد ساق لهم مختلف التهم التي تتراوح بين التخابر مع الاستخبارات البريطانية والفرنسية للتخلص من الحكم العثماني، إلى العمل على الانفصال عن الدولة العثمانية، وهو ما يقال أنه ما كان يسعى هو بنفسه إليه.=

الزاوية إلى دمشق، خاصة عندما علم ما شاع عنه من إتهامات ووشايات ليست بذات أهمية وأنه سيُفرج عنه بعد التحقيق معه، وبعد أن إنخدعت الأسرة الجزائرية بهذه الخدعة سلمت إبنها معتقدة أن "الأمير عمر" بريئ ولم يكن له أي نشاط علني ضد الحكومة الإتحادية، وقد رافق سعيد ابن أخيه إلى القدس من أجل مقابلة "جمال السفاح" وسأله عن سبب طلب عمه فأجاب السفاح أن عمه موقوف منذ هذه اللحظة لأنه يهدف إلى هدم كيان الدولة، وسيحال إلى الديوان العرفي وبتهمة أن عمه كان أيضا واسطة التعارف بين "شكري العسلي" و "عبد الوهاب الإنجليزي" وقنصل فرنسا، وبعد مناقشة طويلة ومستفيضة بين "جمال باشا السفاح" و"سعيد الجزائري" وعده وعدا قاطعا أنه سيحافظ على "الأمير عمر" حتى لو أن الديوان العرفي حكمه بالإعدام، فإنه سوف يخفف الحكم للسجن "جمال باشا السفاح" لم يوف بعهده، وسيق "الأمير عمر" إلى الديوان العرفي مقيدا ولم يصل الأمر عند حد ذلك، بل طلب جمال باشا أن يُعتقل "الأمير علي باشا الجزائري" شقيق عمر أيضا ، وأعتقله مع ولده "الأمير عبد القادر"(عبده) إلى أن صدر حكم الإعدام على "عمر" وذلك خوفا من رجالات الأمير علي أن يطلقوا سراحه وينقذوه من حكم الإعدام.

وجاء في قرار حكمه:" أنه كان يتقاضى أموالا من المعتمد الفرنسي إلى زمن الحرب العالمية، وكان ممن أمر إلتزام جانب فرنسا، وهو الذي قدم "شكري العسلي" وبعض أشخاص غيره إلى المعتمدة الفرنسية وأن مقدار ما أبداه من المعونة في إلتزام جانب الفرنسيين مدرج في أوراق السفير المعتمد"،ولكن نص الإتهام يجانب الواقع لأن "عمر الجزائري "وبقية أسرة "الأمير عبد القادر الجزائري" كان لهم إتصال مع القنصل الفرنسي منذ مدة بسبب كونهم جزائريين، وكانت فرنسا تعتبرهم من رعاياها وتدفع لهم رواتب كتعويض عن أملاكهم الكبيرة والموروثة في الجزائر، وحتى الوثيقة الخاصة ب"الأمير عمر" التي أرسلها سفير فرنسا في الأستانة يوم (27جانفي من عام 1913م)إلى قنصل دمشق لم تدنه،وهذا نصها :"**وأظن أن الأشخاص الذين رجوك بواسطة الأمير عمر كانوا يفكرون بالإطمئنان على أنفسهم**

=أحال جمال باشا ملفاتهم إلى محكمة عرفية في عاليه في جبل لبنان، حيث أديرت المحاكمة بقسوة وظلم شديدين، وبدون أن تحقق أدنى معايير المحاكمات العادلة والقانونية، صامّاً أذنيه عن جميع المناشدات والتدخلات التي سعت لإطلاق سراحهم, وخصوصاً تلك التي أطلقها الشريف حسين بن علي شريف مكة، الذي أرسل البرقيات إلى السفاح وإلى السلطان وإلى الصدر الأعظم، وأوفد ابنه الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق، وقابل السفاح ثلاث مرات في مسعى لإيقاف حكم الإعدام دون جدوى، إذ أن السفاح كان قد عقد النية على تنفيذ مخططه الرهيب.

نفذت أحكام الإعدام شنقاً على دفعتين: واحدة في 21 أوت وأخرى في 6 ماي 1916 في كل من ساحة البرج في بيروت، فسميت ساحة الشهداء، وساحة المرجة في دمشق.

قُتل جمال باشا في مدينة تبليسي عام 1922 م على يد أرمني يدعى اسطفان زاغكيان بحجة انه كان واحدا ممن خططوا لما عرف بإبادة الارمن ضمن حركة واسعة عرفت بعملية نيمسيس أي العقاب طالت جميع المسؤلين عن تلك الإبادة. أنظر :مواهب معروف الجبوري،جمال باشا السفاح واليا في العراق، مجلة ذاكرة عراقية ،(الملحق الأسبوعي)،ع 3342، السنة الثانية عشر ، الإثنين20 نيسان 2015،صص 4-5.

قبل كل شيئ، فيجب عليك أن تصغي لهم بمحبة ووداد لأن معرفة السوريين من مسلمين ومسيحيين بأنه يسوغ لهم أن يثقوا بنا من الأهمية على جانب عظيم"[1].

وبذلك أصبح واضحا مدى تخوف الأتراك من الثقل الذي تمثله النخبة الجزائرية الشامية ومنها عائلة الأمير عبد القادر، والتخوف من أن تقود النضال العربي في بلاد الشام مما يستوجب تحييدها ولو إستدعى الأمر القضاء على رموزها وهو ما يفسر إستمرار نفس المعاملة مع شخصيات أخرى من داخل عائلة الأمير عبد القادر ومن بين الجزائريين الشوام المعروفين بتأثيرهم السياسي والثقافي فكان الدور أيضا على شخصية بارزة أخرى ألا وهو "سليم الجزائري".

2-ج :سليم الجزائري من مزامير العروبة:

هو "سليم بن محمد بن سعيد الجزائري الحسيني" ولد في دمشق عام (1879م). نشأ وترعرع في بيت علم وتقوى، فعمه "الشيخ طاهر الجزائري"، أشرف هو ووالده على تربيته، وتفتحت عين "سليم الجزائري "على ما يدور حوله من نشاطات الحلقة العلمية السياسية، وكان في مقدمتها حلقة عمه المعروفة بحلقة "الشيخ طاهر الجزائري" ،حتى قيل أنه أصبح النسخة العسكرية والثورية من هذا الشيخ.[2]

تلقى سليم الجزائري تعليمه الأولي في المدارس الإبتدائية الأميرية، حيث درس القرآن الكريم والإملاء ومبادئ العلوم، ثم أُدخل المكتب الرشدي العسكري حتى يتلقن مبادئ الرجولة والحزم. وبعد الإنتهاء من دروسه في المدرسة الحربية، تخرج ضابطاً من ضباط أركان الحرب[3] فتم تعيينه في الدائرة العسكرية في دمشق وعندما حدثت الفتنة الشهيرة في اليمن بُعث بسليم الجزائري لإخمادها مع "عزت باشا الألباني" فسقط أسيراً هو ومجموعة من الضباط، وبقي في الأسر بضعة أشهر عانى فيها معاناة شديدة وذاق ألواناً من البؤس والجوع.

---

[1] - فوزي الخطبا ،شهداء النهضة العربية دراسات وثائقية ،مطبعة الصفدي ،عمان، الأردن ،1998،ص،101-102.

[2] - سهيل الخالدي ،دور الجزائريين في حركة التحرر ...، مرجع سابق، ص65.

[3]- ضابط من كبارضباط أركان الحرب في الجيش العثماني. كان رحمه الله من أشد الناس وطنية وأعظمهم للبلاد نفعا لم يفكر يوما في الانظمام إلى الدولة الأجنبية أو الانفصال عن الترك وقد قال لكاتب هذه السطور في إجتماعه الأخير به بعد إعلان الحلرب الأوروبية :"على هذه الحرب يتوقف كيان الدولة ومصير الشرق الأدنى. وسيكون إتحاد العرب قلبا وقالبا مع إخوانهم الترك في هذ الحين العصيب اكبر ضمان للمستقبل المجيد الذي ينتظرنا والذي هو مكفول لنا بإخلاص كل فرد منا وتفانيه في سبيل الوطن المشترك"

وقدإخترع رحمه الله" بركارا" سماه البركار العربي ، يرسم الرسوم الهندسية على إختلافها وقرر ان يرسل إلى أوروبا من يسجله له بإسمه ولكن الحرب حالت دون ذلك.

قضى المرحوم سليم الجزائري حياته في خدمة الدولة فتخرج من مكاتبها ودرس في مدرستها الحربية زمنا طويلا وإشترك في قمع معظم الثورات الداخلية وخاض غمار الحرب البلقانية الأولى في بولاير حيث كان رئيسا لهيئة اركان حرب إحدى الفرق وإسترجعت فرقته مدينة أدرنة في الحرب البلقانية الثانية وكان اول من دخلها من القواد والضباط العثمانيين. ولما أعلنت الحرب الأوروبية عينته وزارة الحربية في هيئة اركان الحرب في الدردنيل . ، أنظر : ثورة العرب الكبرى 1916، بقلم عضو جمعية عربية سرية ،سلسلة إحياء التراث الأردني (8)، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن،ص90-91.

وعلى الرغم من إخلاص الجزائري وتفانيه في خدمة الدولة العثمانية لم ينج من الظلم، لقد كتب لأحد رفاقه قائلا :" **لقد أخلصنا للإتحاديين فلا مجال للشك في إخلاصهم لنا ،نعم إن الإتفاق الذي أبرموه مع "الزهراوي" و"عبد الكريم" لا يسعدنا وليس فيه كل ما نحتاج إليه من الإصلاحات، وإن زعم فريق من الأصدقاء أنه "كجراب الكردي" يحتوى على كل شيئ ولكن ما العمل ؟ أيجوز لنا أن نخطئ "الزهراوي" وننتقده على هذا الإتفاق؟ أنا لست على هذا الرأي لأن "الزهراوي" لو لم يتفق مع الحكومة ، لكنا الآن في أشد المآزق حرجا، فإما أن نقوم بعمل يهدد إستقلال الدولة العلية ويؤدي إلى عكس الغاية التي نرمي إليها وهي نيل حقوقنا من إخواننا الترك ومشاركتهم في كل ما يؤول إلى تقوية الدولة وإسعاد سكانها أو أن نخلد إلى السكينة بعد كل هذه(الفرقعة) فيهزأ العالم بنا ويحتقرنا الإتحاديون أنفسهم ونصير مثلا بين الناس.إن الحالة السياسية حرجة جدا أيها العزيز فبقدر ما يسيئ الإتحاديون الأن يجب أن نحسن إليهم حرصا على كيان هذه الدولة المنكودة الحظ**"[1].

ومن خلال قراءة متفحصة لما جاء في نص الرسالة يتضح لنا مدى حرص "سليم باشا الجزائري" على الدولة العلية دون التفريط في حقوق العرب التي هي محصلة طبيعية لنضالاتهم والتي ليس بالضرورة هدفها القضاء على الدولة العثمانية ، بل في حقيقة الأمر مواجهة الظلم التركي الذي إنتشر على زمن الإتحاديين ، ولعل هذا هو محور تفكير النخبة الجزائرية الشامية منذ عهد" الأمير عبد القادر".

ولما حدث الإنقلاب العثماني عام (1908م) إعتقد "سليم الجزائري" أن له دوراً جديداً يلعبه هو وزملاؤه في مسيرة الحياة التي بشر بها الإنقلاب العثماني والدستور، فكان في مقدمة الضباط السوريين حيث أسندت إليه الشؤون العسكرية في دائرة أركان الحرب، وحقق إنتصارات كبيرة في مقدونيا، وكلف بالقضاء على "إبراهيم باشا الملى" الذي كان يدبر مع جنوده مؤامرة، وبعد الإنتهاء من هذه الفتنة كان هناك مؤامرة أخرى تحاك لهم في الخفاء، حيث أُتهم الجزائري ورجال العهد الجديد بأنهم يطالبون برفع الحجاب عن النساء، فحصلت بلبلة مما دعا إلى إجتماع حافل في حي الميدان من أجل إطفاء هذه الفتنة، وألقى سليم الجزائري خطبة أذهل فيها الحاضرين بما يتمتع به من ثقافة وبلاغة وحسن منطق. وعندما زار الشيخ "رشيد رضا" دمشق وألقى دروساً في الجامع الأموي، جعل ذلك سبباً للطعن بالجزائري لأنه على حد زعمهم هو الذي كان يشجعه على إلقاء دروسه المخالفة لما إعتادوا عليه، وقد

[1] - أنظر نص الرسالة في : ثورة العرب الكبرى 1916، بقلم عضو جمعية عربية سرية ،سلسلة إحياء التراث الأردني (8)، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن،ص59.

خرج الجزائري من سورية بعد هذه الفتنة وهو يؤمن أن الإتحاديين وأعوانهم كانوا وراء إخراجه حتى يضعفوا الصوت العربي في الجيش العثماني[1].

كما ساهم سليم الجزائري في تأسيس العديد من الجمعيات ذات البعد العربي و إنظم إلى العديد منها ، فإضافة إلى إنظمامه إلى حلقة "الشيخ طاهر الجزائري" نذكر إنظمامه إلى "جمعية النهضة العربية" التي تأسست سنة(1906م)في إستانبول و التي كانت تهدف إلى تعريف شباب العرب المثقفين بعروبتهم ودعوتهم إلى التعاون في إصلاح المجتمع الذي كان يتوقف على صلاحه صلاح المجتمع العربي من جبال طوروس إلى باب المندب، وقد أسس فرع لهذه الجمعية في دمشق ترأسه "صلاح الدين القاسمي" بمشاركة "لطفي الحفار" ،"عارف الشهابي" ،"عبد الرحمان الشهبندر"،"أسعد الطرابلسي"و "رشيدي الشمعة ، "سامي العظم" ،"جورج حداد" بالإضافة إلى "سليم الجزائري".[2]

وقد كان "سليم الجزائري" شديد التاثر بأفكار "الشيخ طاهر الجزائري "،فقد ذكر "الأمير مصطفى الشهابي" أنه إلى جانب الحلقة الأدبية للشيخ طاهر كان هناك حلقة سياسية سرية مؤلفة من عرب وأتراك ،فمن العرب ضابطان في الأركان هما "أسعد درويش الطرابلسي" و"سليم الجزائري "ومنهم "شكري العسلي" و"فارس الخوري" ومن الأتراك أمير اللواء "بدري بك" ومدير المعارف "حسين عوني بك" ،وكانت غاية هذه الحلقة أو الجمعية السعي لنشرالدستور،أي لجعل الحكم شورى في الدولة العثمانية،وكان لهم إتصال وثيق برجال "تركيا الفتاة" الذين قاموا بالإنقلاب سنة (1918م)."[3]

أما بالنسبة "للمنتدى الأدبي" الذي كان "سليم الجزائري" أحد أبرز مؤسسيه وأعضاءه فقد تأسس في الأستانة سنة (1909م) رفقة "عبد الكريم خليل" و"عارف الشهابي" و"يوسف حيدر" و"سيف الدين الخطيب" وغيرهم، وقد كان لهذا المنتدى الفضل في ضم شتات الطلاب العرب وتلقينهم مبادئ الوطنية وإفهامهم حقوق البلادالعربية،وإعدادهم لخدمة أمتهم ولغتهم،كما كان صلة الوصل بين أفراد الجالية العربية في إستانبول وملتقى القادمين إليها من البلاد العربية،وقد بلغ عدد أعضائه عدة آلاف ، لقد كان الغرض منه إيجاد رابطة ثقافية بين الطلبة العرب ولكنه بدأ يتحول إلى مركز سياسي منذ تبدلت سياسة الإتحاد والترقي مع العرب ".[4]

[1] - خير الدين الزركلي ، الأعلام، (ط10)، دارالعلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992،(ج3)، صص ، 119-120.
[2] - سهيل الخالدي ،الاشعاع المغاربي ، مرجع سابق ،ص177.
[3] - قدري قلعجى ،الثورة العربية ،مرجع سابق ،ص 81.
[4] - نفسه ،89.

كما شارك سليم الجزائري في إنشاء" جمعية العهد" التي أسسها "علي المصري" مع مجموعة من الضباط العرب في الجيش العثماني الذين يصفهم "مصطفى الشهابي" قائلا "ومعظم هؤلاء الرجال كانوا رجال حرب وثورة وعقيدة وطنية، وهذا شيئ كثير،وقد هلك منهم نفر في الثورات المختلفة،وكان لهم في القضية العربية تأثير لا يفوقه إلا تأثير الفتاة."[1]

ويضاف إلى الجمعيات التى كان من أبرز مؤسسيها سليم الجزائري "الجمعية القحطانية" والتي كان أعضاؤها" يختارون بعناية ودقة،فلم يكن يسمح لأحد بالإنتماء إليها إلا إذا كانت وطنيته فوق مستوى الشبهات وكان ممن يوثق بكتمانه للسر"[2] وقد أسسها مع زميله الضابط "عزيز علي المصري"الذي كان نفوذه أكبر كثيرا من مستوى رتبته العسكرية،وسبب ذلك أنه كان يحاضر في وقت ما في كلية الأركان فاستطاع أن يستميل قلوب الجيل الناشئ من ضباط الجيش(...) وكان هو الذي أسس بمعاونة وطني بارز آخر هو زميله الضابط "سليم الجزائري"، "الجمعية القحطانية" ببرنامجها المتضمن مملكة ذات تاجين ،تلتقي فيها الأهداف العربية مع الإخلاص للدولة العثمانية،وفي سنة (1910م) أُرسل الى حرب اليمن ،فاستطاع أن يفوز بإقناع الإمام أن يسوى خلافاته مع الباب العالي،ثم تطوع في ليبيا حيث أحرز أمجادا رائعة بقيادته المقاومة العربية ضد العدوان الإيطالي وعاد إلى القسطنطينة في صيف(1913م) ليرى الآمال العربية تذوي ببطء في الشهور التي تلت مؤتمر باريس،ووجد أن الفوضى والفساد كانا يسودان وزارة الحربية التي كانت تنتقص من شأن إنتصاراته في إفريقيا بعامل الحسد،ورأى إتجاه الإتحاديين إلى إصدار الأمر بنقل الضباط العرب المقيمين في العاصمة جماعات جماعات وهو من بينهم إلى حاميات الولايات النائية فإستقال من منصبه مشمئزا".[3]

هكذا نكتشف الدور الهام لسليم الجزائري في إنشاء أو تنشيط في تلك الجمعيات العربية التي شكلت في حينها ذروة الوعي والنضال السياسي القومي العربي ، في وقت لم تكن فيه ثقافة الأحزاب والجمعيات السياسية ثقافة سائدة في الثقافة العثمانية والشرقية عامة ، ولا يختلف إثنان فيما لهذه الجمعيات الناشطة في إطار النضال القومي من أهمية بالغة في تحديد ملامح النضال العربي ضد التتريك وتبعاته، وحتى دور هذه الجمعيات في مقاومة الإستعمار الأوروبي للبلاد العربية بما كانت تنشره من وعيو تنوير.

وفي نفس السياق المتعلق بالجمعيات نذكر جهود "الأمير محي الدين الجزائري" الذي يعد بدوره من مؤسسي "جمعية الاخاء العربي – العثماني" في الأستانة سنة(1908م) والتي كان هدفها" المحافظة على الدستور وتثمين

[1] - قلعجي ، الثورة العربية ن مرجع سابق،ص96.

[2] - جورج أنطونيوس ،يقظة العرب(تاريخ حركة العرب القومية)، (تر) ناصر الدين الأسد و إحسان عباس،(ط8) ،دارالعلم للملايين،بيروت،1987،ص 186.

[3] - نفسه،صص ،196-197.

الروابط بين العرب والعثمانيين وإعلاء شأن العرب والعربية ونشر المعرفة وتأسيس المدارس وطبع الكتب والصحف وحصول العرب على الوظائف والمناصب ونشر روح الإخاء والتعاون بينهم.[1]

وهنا يتضح لنا ثقل النخبة الجزائرية الشامية فمن النضال الثقافي والعلمي الذي مثله "الشيخ طاهر الجزائري" ، يبرز "سليم الجزائري" كشخصية سياسية وعسكرية مرموقة داخل الدولة العثمانية.

ولكن هذه التوجهات لم تكن لتُرضي الإتحاديين ممن أصبحوا ينظرون في هذه النخبة الجزائرية في الشام مصدر قلق لهم ، وبعد أن بقي "سليم الجزائري" في ولاية أزمير حتى عام(1916م) صدر أمر تعيينه قائداً لسواحل سورية فسافر على عجل ولما وصل إلى عالية في لبنان أبلغه ضابط المحطة أن الديوان العرفي يحتاجه في مسألة بسيطة فذهب معه، وهناك تم تجريده من أسلحته وتم توقيفه.

ورغم ما قدمه سليم الجزائري من خدمات جليلة للدولة العثمانية فإن الإتحاديين كانوا ينصرون فيه ذلك القائد العربي الذي سيشكل خطرا على وجودهم بما يحمله من أفكار عربية وتجربة سياسية وعسكرية ، قد يستغلها للثورة ضدهم وفي فجر يوم السادس من (ماي 1916م) سيق الجزائري إلى حبل المشنقة وهو مرتد بدلته العسكرية، ولما هم الجلاد بأن ينتزع نظارته صاح به: "**إليك يا هذا عني فإني أريد أن أموت وأنا مثل ما كنت آمر جنودي، قل.. لجمال لا يسترسل في السرور إذا رآني أموت، فإن روحي لا تزال حية وستطبع في نفوس العرب محبة الوطن، ثم إلتفت إلى زملائه وقال: لو متنا على فراشنا لكان لنا أقرباء ميتون على هذه المشانق، حيث يولي ألوف من الرجال والنساء وجوههم شطرنا، وتقوم أمة بأسرها فتبكينا دماً لا دمعاً. وتلك الأمة العربية التي تعظم حياتها بموتنا)، " وكان "سليم الجزائري" و"أمين لطفي الحافظ" من كبار الضباط،فسيقا إلى ساحة الاعدام بثيابهما العسكرية وهما ينشدان،وقال سليم الجزائر قبل أن يشنق مخاطبا ""رضاباشا": قل للخنزير جمال أن لايفرح بموتي لأن روحي ستظل حية،وستعلم أبناء البلاد دروس الوطنية من وراء القبر.**"[2]

وبالمناسبة فإن الأحكام المرتبطة بهذه القضية قد مست شحصيات جزائرية أخرى تُعد من أبرز وجوه النخبة الجزائرية الشامية ،فنجد من بين المحكوم عليهم بالإعدام "الأمير عمر إبن الأمير عبد القادر الجزائري" ومن بين المحكوم عليهم بعشر سنين سجنا "الأمير طاهر بن أحمد الجزائري" في سجن الكورك الشهير[3].

[1] - سهيل الخالدي ، الإشعاع المغاربي ،المرجع السابق،ص118.
[2] - قدري قلعجي ، الثورة العربية ،مرجع سابق ،صص 161-162.
[3] - لتفصيل أكثر في الأسماء والأحكام بنصوصها أنظر :قدري قلعجي ،نفسه،ص166 - 169

وفي ظل وجود هذه الكوكبة من بين المحكوم عليهم من نخبة الجزائريين الشوام يتضح مستوى التضحية الذي بلغه أولئك في وسط الحركة التحررية العربية منذ بدايتها، وأنه وبالرغم من تمسك الجزائريين بالكيان العربي- العثماني قبل الإنقلاب الكمالي ، لكن مظالم الإتحاديين وسياستهم العنصرية ، جعلتهم يختارون الوقوف إلى جانب أمتهم العربية وقضاياها.

4-3 :النخبة الجزائرية الشامية تتصدر حركة التحرر السوري

لقد كان "الأمير عبد القادر" الرمز الجزائري الأول للنضال العربي الإسلامي في سوريا وهو الذي دافع بإستماتة عن وحدة الوطن السوري ومكوناته البشرية والطائفية التي كانت تعكس الأطماع الإستعمارية المختلفة في بلاد الشام من جهة وسعي الدولة العثمانية إلى الإبقاء على تبعية الولايات العربية لها ولو بإضعافها ومحاربة أي فكر إنفصالي فيها.

وقد أدرك "الأمير عبد القادر" أن الفتنة الطائفية التي شهدتها سوريا سنة(1860م) ماهي إلا نتيجة لهذا التآمر والتخطيط الخارجي وأن المستهدف منها هي الوحدة الوطنية وتفتيت بلاد الشام بما يخدم مصالح القوى الأجنبية المتصارعة فيه، وعليه فإن حمايته للمسيحيين كانت رسالة مفادها أن الوطن ووحدته قبل خدمة المصالح الطائفية والمذهبية الضيقة، وأنه لامكان للتدخل الأجنبي تحت غطاء حماية الأديان والمذاهب وهو ما عجزت عنه الكثير من المنظمات الكبرى في الكثير من قضايا عصرنا الحالي[1] ولا شك أن هذا التصرف الحكيم قد ساهم بوضوح في تأخير وتعطيل الإحتلال الأوروبي لبلاد الشام إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد دفع هذا الدور الريادي والحاسم ل"لأمير عبد القادر" في أحداث الشام بأن بايعه أعيان الشام من مسلمين سنة وشيعة ومسيحيين عام (1877 م) ليكون ملكا على العرب وينفصل بهم عن تركيا، بل وطلب منه الحزب الوطني المصري منه رئاسة الحزب وقيادة الكفاح ضد الإحتلال البريطاني[2] وقد سبق وأن عرفنا كيف تعامل "الأمير عبد القادر" بحكمة كبيرة مع هذا الموضوع.

وقد ورث بعض أبناء" الأمير عبد القادر" منه هذه الروح التوفيقية التوحيدية فهاهو "الأمير علي" يلعب دورا بارزا في إخماد فتنة حوران سنة (1911م)بين الدروز وقبيلة المعجل الحورانية، وهو ما ساهم في إنتخابه في مجلس المبعوثان التركي كنائب عن سوريا[3].وهاهو "الأمير محمد سعيد" لايتأخر بدوره في حماية المسيحيين سنة(1920م)

[1] - القضية السورية، الليبية، الشيشان ، إفريقيا الوسطى ، قضية البوسنة والهرسك وهي كلها قضايا غذت وتغذت على الصراعات والتناقضات الطائفية سواء الدينية أو الإثنية.

[2] - سهيل الخالدي ، الدور الجهادي للمهاجرين الجزائريين في حركة التحرر القومي العربي خلال القرن العشرين، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال ...، مرجع سابق ،ص99.

[3] - طرشون نادية وأخرون ، الهجرة الجزائرية الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر ،2002،،ص 297.

بعد قصف الجنرال "غورو"[1] لدمشق وتخوف المسيحيين من إنتقام المسلمين منهم وحماهم في المنزل نفسه بحي العمارة الذي حمى فيه جده المسيحيين ذات يوم من فتنة (1860م).

وجاءت ثورة (1921م) لتشهد بما للمهاجرين الجزائريين من دور بارز وحظور دائم في الدفاع عن سوريا وإستقلالها ، خاصة نخبتهم المثقفة و العديد من أبناء وأحفاد الأمير عبد القادر، فلم نتفاجئ من وجودهم في مقدمة المقاومين واضعين إمكانياتهم البشرية والمادية في خدمة هذه الثورة .

وحتى عندما نقلت فرنسا ضمن قواتها المتنقلة إلى الشام ، مئات الجزائريين للمشاركة في قمع هذه الثورة دون علمهم ،بحيث أن فرنسا كانت تنشر بين المجندين الجزائريين فكرة أنهم ذاهبون لمقاتلة الأتراك والبريطانيين ، مما جعلهم لا يدركون أنهم سيقاتلون أشقائهم السوريين بل الجزائريين، لدرجة أنهم صُدموا لما علموا بالحقيقة ، مكتشفين خداع

---

[1] - الجنرال هنري جوزيف أوجين غورو (Henri Joseph Eugène Gouraud)ولد (17 .نوفمبر - 1867 / توفي 16سبتمبر 1946)جنرال فرنسي قاد الجيش الفرنسي في نهاية الحرب العالمية الأولى. قاد غورو القوات الفرنسية في الحرب التركية الفرنسية.(1923 - 1919) وصل الجنرال غورو إلى بيروت وفق مخطط الانتداب يوم 1919/11/21، وعندما تناهى نبأ توجهه إلى دمشق، اجتمع أعضاء المؤتمر السوري في اليوم التالي، واتخذوا قرارهم الشهير بضرورة الدفاع عن وحدة سورية الطبيعية، ومع تقدم القوات الفرنسية إلى الداخل بدأت أعمال المقاومة في البقاع ومرجعيون والقنيطرة، وامتدت إلى الشمال لتصل إلى اللاذقية، والتحق كثير من ضباط الجيش السوريين بالثوار في جبال اللاذقية وجبل عامل، ، ثم اشتعلت ثورة إبراهيم هنانو وصالح العلي، مما ألحق خسائر فادحة بالقوات الغازية، فلجأ غورو إلى تدمير العديد من المدن والقرى، ثم عمد إلى إثارة النعرات الطائفية بتسليح بعض الأفراد والجماعات من مسيحيي البلاد، بالوقت الذي قرر فيه الزحف إلى دمشق. وفي يوم 1920/7/14 (وهو يصادف يوم عيد الحرية في فرنسا)، وجه إلى فيصل بن الحسين إنذاره الشهير، الذي صيغ بطريقة استفزازية، وقد اشتمل على تسليم خط حديد رياق ـ حلب، وإلغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين، وقبول التعامل بالعملات النقدية الورقية، وقبول الانتداب الفرنسي، ومعاقبة المجرمين الذين تمادوا - على حد زعم غورو - في معاداة فرنسا، ومع أن فيصل قبل مع أركان حكومته تنفيذ بنود هذا الإنذار، غير أن الجنرال غورو أمر جيشه المؤلف من 70 ألف مقاتل بالتوجه إلى دمشق بحجة انقضاء مدة المهلة التي حددها بـ 48 ساعة، وكان هذا الجيش مدججاً بأحدث أنواع الأسلحة من دبابات ومدافع إلى جانب عشرات الطائرات من أجل الحماية الجوية، وقام الأهالي بمظاهرات حاشدة وهاجم بعضهم ثكنات الجيش لأخذ السلاح، بهدف التصدي للفرنسيين، وخطب فيصل في مسجد بني أمية حاثاً الناس على الدفاع عن البلاد، بعدما تأكد من غدر الفرنسيين قائلاً: «أردت أن أرد عنكم زحف جيش الأعداء بإجابة مطالبهم فلم يرتدوا، فإن كنتم في حاجة إلى بلدكم فاخرجوا للدفاع عنه"

وأعلنت الأحكام العرفية، وأخذت أفواج المتطوعين من الأهالي تتدفق إلى دمشق بما توافر لها من السلاح، وأمر وزير الحربية يوسف العظمة بوقف أعمال التسريح وإعداد من تبقى من الجنود للقتال متوجهاً بالجميع إلى ميسلون، حيث التقى القوات الفرنسية يوم 1920/7/24 فكانت معركة ميسلون، وهي في الأغلب مجزرة أكثر منها معركة، وارتد المتطوعون ومن تبقى من الجيش إلى الداخل نتيجة القصف المدفعي وقذف القنابل من الطائرات بكثافة، ومع ذلك تمكن الثوار من قتل ما يزيد على 150 جندياً فرنسياً، غير أن عدد الشهداء في الجانب العربي زاد على 400 منهم وزير الحربية يوسف العظمة الذي استشهد في هجوم يائس.

وبعد أن دخل غورو إلى دمشق، ذهب إلى المسجد الأموي شاهراً سيفه، وعلى مقربة من قبر صلاح الدين الأيوبي قال عبارته الشهيرة: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»، وتفنن باستخدام أساليبه القمعية التي ارتبطت بسمعته منذ أن كان في المغرب وإفريقيا، ففرض الغرامات الحربية على الأهالي (200 ألف ليرة عثمانية ذهبية و10 آلاف بندقية) وطبَّق الأحكام العرفية وأصدر أوامره بالقبض على كل من رفع سلاحه مقاوماً، وفي 1920/8/31 أعلن استقلال جبل لبنان وسلب سورية أقضيتها الأربعة (حاصبيا - راشيا - البقاع - بعلبك)، وأطلق على الدولة الجديدة اسم: دولة لبنان الكبير، ثم قسم سورية إلى أربع = دول على أسس طائفية (دولة دمشق - دولة حلب - دولة العلويين - دولة الدروز) وفرض اللغة الفرنسية إلى جانب العربية، مما جعل البلاد تهب في وجهه بثورات متلاحقة سجل فيها السوريون أروع صفحات الجهاد في التاريخ الحديث، وفي يوم 1921/6/23 تعرض لهجوم مباغت بموقع الرويسية على مقربة من القنيطرة من قبل المجاهدين (أحمد مريود ورفاقه)، فأصيب فيه بجراح وكاد أن يقتل، لو لم يختبئ تحت مقعد سيارته، وقد أضعفت تلك الحادثة من هيبته وأقضت مضجعه، وبعد ما يقرب من ثلاث سنوات في سورية، لم ينل من مقاومتها، استُبدل به الجنرال دوفانو يوم 1923/5/9، وغادر سورية إلى فرنسا، فعين هناك حاكماً عسكرياً لمنطقة باريس، واستمر في منصبه إلى أن أحيل على التقاعد، وأقام في باريس حتى وافته المنية سنة 194.، أنظر : منير المالكي، من ميسلون إلى الجلاء،(ط2)، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق 1991،صص 15-31.

الفرنسيين لهم ،وكرد فعل على ذلك :" **بدأ الجنود الجزائريون ينكسون سلاحهم، ويتظاهرون بأنهم يقاتلون في حي أنهم أبعدوا فوهات بنادقهم عن أشقاءهم السوريين ، فقد حسموا أمرهم في قلوبهم وأختاروا الموت عن قتال إخوانهم في الدين**"[1].

وينقل بعض الأحفاد عن آبائهم المجندين الذين طلبوا منهم تلقين هذه المعلومات لأبناءهم دور الجزائريين في الدفاع عن سوريا من خلال جملة من الأعمال التي قاموا بها مثل :

- شق صفوف الفرنسيين وإحداث التوتر وفتح الثغرات حتى يتمكن المجاهدون السوريون من إختراق الصفوف الفرنسية.
- كانوا يدفنون ذخيرتهم وأسلحتهم في التراب ، ويتركون فوقها علامات تدل الثوار السوريين على أماكنها.
- كان المجندون الجزائريون يتركون مقتنياتهم في طريق إنسحابهم حتى يدلوا السوريين على خط سير الفرنسيين، ثم يهربون من الصفوف تباعا ويسلمون أنفسهم للسوريين ويحملون معهم السلاح لمقاتلة المحتل الفرنسيين.

وعندما إكتشف الفرنسيون جهاد ونضال المجنديين الجزائريين ضدهم ، لجاؤا إلى تطبيق سياسة دموية تقوم على مبدأ إعدام عدد كبير منهم رميا بالرصاص، وإصدار أحكام غيابية بتهمة الخيانة العظمى.وفي السياق ذاته لعب المجندون الجزائريون دورا بطوليا في معركة جبل الزاوية التي إندلعت في (مارس 1921م) ، وذلك من خلال إنظمام المجندين الفارين من الجيش الفرنسي إلى صفوف الثوار ودورهم في تحييد زملائهم في صفوف العدو عن القتال[2].

3– أ :دور الجزائريين في قيام الحكومة العربية بدمشق :

لقدإضطلع الجزائريون كما وضحنا بأدوار مهمة في التاريخ المعاصر لبلاد الشام عامة وسورية بشكل خاص على كافة الأصعدة سواء ما تعلق بالحياة الثقافية أو الاقتصادية ، ولا سيما في المجالين السياسي والعسكري ،خاصة إذا تعلق الأمر بنجلي "الأمير علي"،"الأمير محمد سعيد" و"الأمير عبد القادر الحفيد"،فقد شهدت مرحلة الحرب العالمية الأولى وقيام الحكومة العربية في دمشق تكريسا واضحا لهذا الدور ،وصل إلى حد الإستشهاد من أجل هذه القضية،فقد لاحظنا كيف أُعدم "الأمير عمر" نجل "الأمير عبد القادر" مع بعض الوطنيين السوريين الذين حكم عليهم "جمال باشا" بالاعدام.

[1] - وليد عرفات ،"حكاية 12 الف جزائري جندتهم فرنسا لمواجهة الثورة السورية عام 1921م"،**الشروق** ،ع2136،الأربعاء31 اكتوبر 2007،22 شوال 1428ه،ص08.

[2] - نفسه،ص9.

كما قررت السلطات التركية بإيعاز من "جمال باشا السفاح"، وللحد من خطورة هذه الأسرة وفق نظرهم ، (سنة 1916م) نفي عائلة الأمير عبد القادر بأكملها إلى بروسة[1] خشية منها أن تعمل هذه العائلة على إثارة الرأي العام ضد السلطات التركية بعد تلك المجازر ضد الوطنيين ،ولكن "الأمير عبد القادر(عبده)" تمكن من الفرار من بروسة وإلتحق بالجيش العربي في بلاد الشام وعرض على "الأمير فيصل" خدماته وولائه وأبلغه أن الفرسان الجزائريين هم تحت إمرته جسدا وروحا ، وفي ملاحظة للعميل الإنجليزي لورانس[2] الذي كان في صحبة فيصل قال :"**إن الإتفاق كاد أن يتم لولا برقية وصلتهم من "الكولونيل بريموندBremond"، يحذرهم فيها من "الأمير عبده" ويعتبر أنه جاسوس يعمل لصالح الأتراك،فإتجهوا لمراقبته لكنهم لم يجدوا دليلا يدينه،فقبل الأمير فيصل مصاحبته لهم ،ووصفه "لورانس" بأنه "شديد التعصب للإسلام مجنون بحماسه الديني**"[3] وسرعان ما كشفت الأحداث اللاحقة مدى حقد لورنس الجاسوس الإنجليزي على أسرة الأمير تخوفا من أدوارهم الريادية وإخلاصهم الحقيقي للقضية العربية ، خاصة "الأمير عبده" فلم يترك فرصة في كتاباته على غرار " أعمدة الحكمة و" ثورة في الصحراء" إلا ووصفه بأقبح وأسوء النعوت وكان دائما يدعو للتخلص منه.

ولكن الأمير عبده إضطر للتخلي عن" الأمير فيصل" بعد فترة لما لاحظه ولمسه من تدخلات وسيطرة للعميل الإنجليزي على بقية القادة في الجيش العربي.

كما إنتدبت الدولة العثمانية "الأمير سعيد" لإجراء الصلح بينها وبين" الأمير فيصل" قائد الجيش العربي منعا للقتال بين المسلمين وكلفت "جمال باشا الصغير" لإبلاغ "الأمير سعيد" بذلك. وتأتي المرحلة الثانية قبيل دخول الجيش العربي مدينة دمشق بقيادة "الأمير فيصل" و"لورانس"،فقد كان مطلوبا من لجنة فيصل في دمشق تشكيل حكومة مؤقتة تخلُف الإدارة العثمانية إلى حين وصول فيصل،وتحرك "شكري الأيوبي" في هذا الإتجاه فوجد دعما غير منتظر من طرف الأخوين الجزائريين "سعيد" و"عبد القادر" وبقية الجزائريين في المدينة[4]،حيث قام الأخوان منذ(29 سبتمبر 1918م) بتنظيم فرقة من مليشيا من جزائريين مستوطنين في دمشق للمحافظة على الأمن وتنظيم الإدارة،فبعد خروج الأتراك إضطربت الأحوال في مدينة دمشق،فغادر القناصل المدينة،وعم الخوف الجميع وخاصة حي المسيحيين

[1] - أنظر حول الموضوع : الأمير محمد سعيدالجزائري، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي،(ط2)، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر ، الجزائر،1968،صص 106-109.

[2]- توماس إدوارد لورنس (16 أوت 1888- 19 ماي 1935م) ضابط بريطاني اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية عام 1916 ضد الإمبراطورية العثمانية عن طريق انخراطه في حياة العرب الثوار وعرف وقتها بلورنس العرب، وقد صُور عن حياته فيلم شهير حمل اسم لورنس العرب عام .1962 لاحقا كتب لورنس سيرته الذاتية في كتاب حمل اسم أعمدة الحكمة السبعة، قال عنه ونستون تشرشل" :لن يظهر له مثيل مهما كانت الحاجة ماسه له "لقي مصرعه نتيجة سقوطه من على دراجته النارية في 19مايو1935 م.

[3] - توماس إدوارد لورنس ،أعمدة الحكمة السبعة ،منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان، 1963،ص312.

[4] - المصدر نفسه،ص316.

الذي كان مهددا بدخول بعض القبائل فذهب "الأمير عبد القادر (عبده)" إلى هذا الحي واحتل الثكنة هناك رجاله المغاربة المسلحين وأخذ يُهدأ من روع النصارى.[1]

وإجتمع في دار البلدية بالمرجة عدد من الوجهاء وشكلوا مجلس شورى واختاروا "الأمير سعيد" رئيسا للحكومة،ورفع العلم العربي الذي جاء به الأمير عبد القادر(عبده) من مكة مكان العلم العثماني.وأرسل "الأمير سعيد" برقيات إلى المدن السورية المختلفة يعلن فيها إنهزام الجيش العثماني وقيام حكومة عربية في دمشق[2]،ولكن الإنجليز رفضوا قيام حكومة عربية مدنية وكانوا يرون أن مصير هذه البلاد سوف يقرره الحلفاء،لذلك أعلن لورانس قراره للإطاحة بالحكومة المدنية التي يرأسها الأمير سعيد،وتعيين "شكري الأيوبي" حاكما عسكريا على المنطقة إلى حين وصول الأمير فيصل.[3]

ويذكر "الأمير سعيد" في مذكراته أنه كان على إتفاق مسبق مع فيصل فعند إجتماعهما في وهيد غربي معان في أوت (1918م)، إتفقا على أن لا ينتظر قدومه ويعلن الإستقلال خشية أن تسبقه جيوش الإحتلال،وعندما سأل الأمير فيصل:" **ماذا يكون موقف الحكومة العربية عند دخول هذه الجيوش،وما هو الأمر المتفق عليه بينكم ،فكان جوابه ليس هناك أي إتفاق فعندما تُهاجم دمشق من قبل هذه الجيوش يرفع علم القوة التي تسبق إلى المدينة إلى أن تنظر جمعية الأمم بمصير هذه البلاد.**"[4]

وكان لورانس شديد الكره للأميرين الجزائريين خاصة للأمير عبد القادر الذي كان يصفه في كتابه بعدوه القديم ،ولا نعرف سببا معينا للعداء الذي يحمله لورانس للأميرين،وقد يكون ذلك خشية من ميولهما الفرنسية أو إلى كون سلطتهما في دمشق ستنافس سلطة فيصل."[5]

ولكن هذا يناقض لورنس نفسه الذي يوحي بميولهما العثمانية "فعندما أجرى محاورة مع "شكري الأيوبي" وقال له أن "الأمير سعيد" لم يكن رجل سياسة وإنما كان يتمتع بشعبية كبيرة أهلته لهذا الدور فرد عليه "شكري الأيوبي" بقوله:"**إن الجزائريين وحدهم في دمشق الذين قدموا الدعم للأتراك حتى آخر لحظة من إنسحابهم والدليل الأخر أن "جمال باشا السفاح" لم يتهم الأميرين "عبده" و"سعيد" بأي ميول فرنسية ولو تأكد ذلك ما تأخر في إعدامهما**"[6].

---

[1] - طرشون نادية وأخرون ، الهجرةالجزائرية...،مرجع سابق ،ص211.

[2] - خيرية قاسمية ،الحكومة العربية في دمشق 1918-1920، (ط2) ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1982،ص48.

[3] - لورنس، أعمدة الحكمة ، مصدر سابق ،ص319.

[4] - الأمير محمد سعيدالجزائري، مذكراتي ...، مصدر سابق،ص125.

[5] - خيرية قاسمية ، الحكومة العربية ،المرجع السابق ،ص49.

[6] - طرشون وأخرون ، الهجرة الجزائرية...،مرجع سابق ،ص212.

و إتضح للأمير سعيد بعد ذلك أن هناك خطة مدبرة لوضع الحكومة تحت نفوذ الإنجليز،وأمام التدخل الفاضح للأمير الإنجليزي في شؤون الحكومة العربية.قام" الأمير عبد القادر(عبده) بعد أن جمع حوله أتباعه بإعلان التمرد على الوضع الجديد،كما إنظم إليه الدروز وسادت البلاد إضطرابات ولم تنته إلا بتدخل فرق من الجيش بقيادة "نور السعيد" وغيره وتم القضاء على الثورة في مهدها وألقي القبض على "الأمير سعيد" وغيره ،وكان "لورانس" سيأمر بإعدامه لولا أنه قرر إنتظار إلقاء القبض على أخيه "الأمير عبده" الذي كان فارا وبعد أيام من نزول "الأمير عبده" إلى دمشق تم إغتياله في العفيف فأُطلق سراح "الأمير سعيد" لتنتهي الحكومة العربية بسقوط سورية ولبنان فريسة للإنتداب الفرنسي.

دور الجزائريين في الثورة السورية الكبرى 1925-1927:

ثم جاءت الثورة السورية الكبرى ليتحرك الجزائريون بقوة ويقدموا أدوارا هامة طيلة سنوات الثورة السورية ، عامتهم ونخبتهم ، وقد كان من بين هؤلاء "الأمير خالد الجزائري" فبعد نفيه من الجزائر صار على إتصال سري مع "الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي" في المغرب و"السلطان باشا الأطرش" في سوريا وذلك من أجل إحداث ثورة شاملة في البلدان العربية التي تحتلها فرنسا، مما يساهم في إضعافها وبعثرة قوتها [1].

وقد تعددت أدوار الجزائريين في هذه الثورة مابين عامة المهاجرين الجزائريين الذي شاركوا كجنود عاديين في هذه الثورة أو عملوا على دعمها لوجستيكيا أو تلك الأدوار القيادية التي مارستها نخبة الجزائريين الشامية ومن بينهم بعض أفراد أسرة الأمير عبد القادر الذين شاركوا ميدانيا أو بتقديمهم الدعم المادي والمعنوى لهذه الثورة ، فقد تولى "الشيخ عبد القادر المبارك"[2] ، إستقطاب عدد كبير من الجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي وإيصال الأخبار لقادة

[1] - محمد البجاوي ،حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر ، الجزائر، 1971، ص23.

[2] - ولد عبد القادر المبارك في دمشق عام 1876، لآل المبارك الأسرة العلمية العريقة في دمشق، والده محمد بن مبارك الجزائري الحسني الدمشقي من كبار علماء دمشق صاحب حلقة التعليم الشهيرة، والذي ساهم مع صديقه طاهر الجزائري في تأسيس المدارس والإشراف على الحلقات العلمية في دمشق.
وقد سماه الأمير عبد القادر الجزائري باسمه، تعبيراً عن محبته لأبيه.. وفي كنف والده الأديب العالم نشأ وترعرع، حتى إذا بلغ السعي كان يرافقه إلى حلقات العلم التي كان يعقدها في بيوت مريديه، ويحضر مجالسه الأدبية ولما ناهز الحلم انتظم مع طلاب مدرسة الحبّال في القيمرية، تلك المدرسة التي أنشأها أبوه، فدرس فيها الابتدائية، وكان رفيقه في الدراسة فيها صبي من أترابه هو محمد كرد علي، فانعقدت بينهما صحبة ومودة كتب لها أن تدوم وتثمر.. ثم أرسله أبوه إلى المدرسة الرشدية العسكرية، وكان مقرها بالبحصة، غير أنه سرعان ما تركها، إذ يبدو أن مناهجها لم تعجب أباه، فأخرجه منها.. ثم يذكر الزيبق أن عبد القادر (الفتى) انكب على القراءة يعينه عليها الشيخ طاهر الجزائري صديق والده وأستاذه، وقد أظهر عبد القادر ميلاً للغة العربية وحباً لها، فآثر الاختصاص بها، وأدرك أبوه ذلك منه، فأوصاه بالتعمق بدراستها.. ووضع له منهاجاً لدراستها..
وحين آنس منه أبوه اقتداراً على التأليف رغب إليه أن يتوفر على شرح القصيدة اللغوية المشهورة بالمقصورة الدريدية.. فأنجز لها شرحاً كبيراً في مجلدين كان في غاية الإحكام والتنسيق.. ولم ينس عبد القادر في غمرة ما هو فيه أن يحصل على إجازات من كبار علماء عصره..
ويقول الزيبق بأن علم عبد القادر في اللغة العربية كان سبيله إلى المجمع العلمي العربي.. ولم تقتصر معرفته باللغة على ألفاظها فحسب، بل كان من أعلم الناس بفقهها، ومن أحفظهم لشواهدها وشواردها..
وعندما أنشئت دار المعلمين العليا عام 1942م تولى الشيخ عبد القادر تدريس اللغة العربية فيها، وهي آخر ما تولاه من مناصب..
من مؤلفاته: شرح المقصورة الدريدية في اللغة، فرائد الأدبيات العربية، المعلومات المدنية، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي، الصبر مطية النجاح، مختارات شعرية، طرائف أدبية، شرح بانت سعاد، كراسات مدرسية.. ومن المحاضرات التي ألقاها في المجمع العلمي العربي: لغة المتنبي، ابن خلكان وقصصه في تاريخه، الشعر الخالد، المشجر في اللغة..

الثورة كما تحول بيت "الأمير عبد القادر" إلى مستودع للأسلحة، في حين لعبت والدة "الأمير عز الدين" دورا كبيرا في الثورة إعترف به كل من أرخ للثورة ، وقد تجسد دورها في تزويد الثوار بالمؤونة التي يحتاجونها[1] أما الأمير عز الدين[2] نفسه فقد كان شخصية محورية في هذه الثورة، حيث إنخرط فيها مبكرا من خلال رصد ومتابعة أخبار الجيش الفرنسي ونقلها للثوار وقادتهم أمثال "عبد الرحمان الشهبندر" و"سعيد العاص"[3] و قام بقطع الأسلاك البرقية والمشاركة في بعض العمليات العسكرية، والتي إنتهت إلى إكتشافه من قبل السلطات الفرنسية وسجنه ، وبعد الإفراج عنه واصل ثورته وشارك في معظم المعارك إلى أن أستشهد في معركة عين الصاحب بتاريخ (19 ماي 1927م).[4]

ويشير الزبيق إلى أن الشيخ عبد القادر المبارك كان ينظم الشعر غالباً في المناسبات.. وهو أقرب في شعره إلى شعر العلماء إلا في القليل النادر مما ظهرت منه الروح الشعرية، توفي الشيخ سنة 1945م بدمشق ودفن فيها رحمه الله ، أنظر :إبراهيم الزبيق ، العلامة اللغوي عبد القادر المبارك عضو مجمع اللغة العربية وجهوده في نشر اللغة العربية وتفانيه في تعليمها،(ط2)،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية ،2014،صص13-20.

[1] - سهيل الخالدي، الاشعاع المغرب في المشرق ،مرجع سابق،ص 179.

[2] - الأمير عز الدين الجزائري (1901-1927م) عرف ببطولته وشجاعته وشاعريته، فهو من حملة السيف والقلم في تاريخنا العربي القديم والحديث، أمثال الأمير سيف الدولة الحمداني، والشاعر أبي فراس الحمداني، والمعتمد بن عباد، وجده الأمير عبد القادر الجزائري .

وقد ولد في قصر دمر الذي يملكه جده الأمير عبد القادر الجزائري وذلك سنة 1901م. وهو ابن الأمير محيي الدين الجزائري درس على يد الشيخ عباس الأزهري في بيروت، ثم انتسب الى معهد الحقوق ونال الإجازة منه، وكان أديباً وكاتباً وشاعراً مطبوعاً، وله عدد من القصائد والأناشيد الوطنية والقومية وقد انتخبته «الجمعية العربية» في دمشق رئيساً لها، وعندما نشبت الثورة السورية اشترك البطل عز الدين الجزائري على رأس أربعمئة مقاتل في معارك الكسوة ويلدا ودوما وعين ترما ووعرة زاكية ووادي معربا وجباتا الخشب وأم الشراطيط وغيرها.. إلى أن استشهد في وقعة عين الصاحب «وادي بسيمة في شهرماي عام 1927م، وهي آخرمعارك الثورة السورية»، أنظر: أدهم آل جندي ، تاريخ الثورات السورية في عهد الإنتداب الفرنسي، مطبعة الإتحاد ،دمشق ، 1960،صص 455-456

[3] - أحد قادة الثورية السورية الكبرى سنة 1925 ومناضل نذر نفسه للجهاد في سبيل أمته. و"العاص" لقبه العسكري فهو من أسرة شهاب. ولد في مدرسة حماة السورية وتلقى فيها دراسته الابتدائية ثم أكمل الدراسة الرشيدية والاعدادية في دمشق وتخرج من الكلية الحربية في الابتدائية سنة 1907. عين ضابطاً في دمشق ثم تنقل بين مراكز عسكرية مختلفة حتى التحق بمدرسة الأركان الحربية سنة 1908. وقد أخرج من هذه المدرسة لأسباب سياسية عربية فسافر مع فرقته إلى المقاطعات الأوروبية من الدولة العثمانية حيث اشترك في قتال الثائرين ضد الحكم العثماني في البلقان. وأسره اليونان في منتصف سنة 1911 ولكنه فر من الأسر إلى الأستانة. اشترك أثناء وجوده في العاصمة العثمانية في التنظيمات العربية السرية كحزب العهد. ولما عين مأموراً في المهمات الحزبية بدمشق قوي نشاطه في الحركة العربية فأبعدته السلطات العثمانية إلى ميدان القتال في جناق قلعه. ثم استدعي للمحاكمة أمام الديوان العرفي في عاليه وحكم عليه بالإعدام لا تسابه إلى الجمعيات العربية، وأبدل بالاعدام الحبس سنة ونصفاً أمضاها في سجني حلب وعاليه، ونفي بعد ذلك إلى جوروم ثم عاد إلى وطنه يوم دخول فيصل بن الحسين حلب. تنقل سعيد العاص في عدد من المناصب العسكرية أيام الحكم العربي الفيصلي بدمشق فتولى الشعبة الثالثة بدائرة الشورى الحربية ثم نقل إلى منطقة الزبداني ومنها الى مفتشية التجنيد العامة. ثم ذهب إلى منطقة جسر الشغور وصهيون وجبل الأكراد. وبعد نزوح الملك فيصل عن سورية اشترك في الأحداث والمعارك الحربية ضد الفرنسيين الذين نزلوا ساحل اللاذقية وحضر معارك الشيخ صالح على الأخيرة أمام أبواب العمرانية. وقد قبض عليه في حماة وسجن شهرين. وفي عام 1921 هرب إلى شرقي الأردن وتولى هناك عدداً من المناصب فعين قائداً للسرية الاحتياطية ثم أميناً للسر العام للأمين العام، وقائدا لمفرزة "كاف" ثم وكيلاً لمدير التعليم، وأخيراً مديراً عاماً لشرطة عمان. ولما نشبت الحرب بين الهاشميين والسعوديين في الحجاز سنة 1923 تطرح في الجيش الحجازي وقاد الدفاع عن مدينة حدة وصمد طويلاً في وجه القوات الكبيرة المهاجمة. عاد إلى عمان ومنها إلى سورية عند نشوب الثورة السورية الكبرى سنة 1925 واشترك في بعض المعارك في جبل العرب والغوطة والنبك إلى حوار فوزي القاوقجي* وغيره من قادة الثورة السورية. وانسحب بعد ذلك إلى المناطق الشمالية وقاد الثوار في كثير من المعارك في مختلف المناطق كحمص وحماة والهرمل وعكار. ثم عاد إلى الغوطة وجبل العرب. وقد جرح سعيد العاص خلال هذه المعارك مرتين. لم يقر لسعيد العاص قرار بعد انتهاء الثورة السورية وظل يتوثب للنضال إلى أن تفجرت ثورة فلسطين الكبرى سنة 1936 (ثورة 1936 – 1939) فكان في طليعة أبناء الأقطار العربية الذين التحقوا بها بعد نحو شهر ونصف من بدايتها. وفي احدى معركه ضد الغزاة البريطانيين صباح 1936/10/6 ودار قتال عنيف بين الثوار القلائل وآلاف الجنود البريطانيين، واستخدم السلاح الأبيض حين نفذت الذخيرة من المجاهدين. وقد استشهد القائد سعيد العاص في هذه المعركة بعد أن أبدى من ضروب الشجاعة والبسالة ما يخلد ذكره. وقد دفن جثمان المجاهد الكبير سعيد العاص في قرية الخضر ، أنظر : محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، (ج1)، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان ،1959،صص 32-33.

[4] - حسين أمين البعيني ، السلطان باشا الأطرش والثورة السورية الكبرى ،مؤسسة التراث الدرزي ، لندن، 2008،ص375.

ويقدم لنا عبد الرحمان الشهبندر[1] شهادته عنه قائلا :" **لقد تناولت بيدي العديد من رسائل "الأمير عز الدين "في بداية التفكير في الثورة ، مُلئت صفحاتها حماسا وتشجيعا وأخبارا مفيدة عن تحركات العدو وعدد جنوده في مناطق شتى من البلاد . وفيها تفصيلات وافية عن أنواع أسلحتهم ،فكنا نتمنى أن ألا يعجل في الإقدام على حمل السلاح خوفا على المعلومات أن تنقطع"**[2].

ومما ورد في مذكرات المجاهد "سعيد العاص" عن الثورة السورية الكبرى" **إن الثورة ما كادت تنشر أعلامها إلا والأمير عز الدين يبث الأرصاد والعيون ليجمع للمجاهدين أخبار المحتلين مع تفصيلات وافية عن عدد الجنود وسلاحهم وتوزعهم،وبعد عملية نسف قطار حوران ألقي عليه القبض وأودع السجن،ولما أفرج عنه ثارت ثورته المشهورة.**

وقد إشتركت معه في معارك كثيرة وكانت له اليد الطولى في مجال الثورة السورية نظرا لشدة تفانيه وإقدامه عن العمل،وكان أول الأبطال إقداما على الأعداء،وإشترك في معظم المعارك في الغوطة،وكانت رصاصته أخر رصاصة إنطلقت في سبيل تحقيق الحرية لسورية،وأستشهد في معارك شهر آيار وهي آخر المعارك التي قام بها المجاهدون في ضواحي الشام[3]،كما يتحدث عنه عادل الصلح قائلا:"**كان لي في هذه الكلية رفيق إسمه "عز الدين الجزائري" ،و هو كذلك حفيد "الأمير عبد القادر"،كنا نقضي معظم أوقاتنا معا سواء في المدرسة**

---

[1] - عبد الرحمن الشهبندر(1879-1940)، ولد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في دمشق ، اين تحصل على دراساته الأولى ،ثم انتسب إلى الجامعة الأميركية في بيروت . عاد بعد تخرجه إلى دمشق وانضم إلى الحلقة الإصلاحية المناهضة للحكم العثماني والتي كان يرأسها الشيخ طاهر الجزائري. وكاد أن يسجن وربما يعدم بسبب هذا الانضمام وبسبب مقال في المقطم المصرية حول خلافة السلطان عبد الحمدي الثاني.عاد إلى الجامعة الأميركية عام 1902 ليدرس الطب. وبعد تخرجه اختارته الجامعة أستاذا فيها وطبيبا لطلابها.

رجع الشهبندر إلى دمشق عام 1908 وعمل على تأسيس جمعيات عربية حرة تدعو إلى الانفصال عن الدولة العثمانية. وحين اندلعت الحرب العالمية الأولى فرّ إلى العراق هرباً من ملاحقة العثمانيين له، وذهب من العراق إلى الهند ومن بعد إلى مصر. عاد الشهبندر إلى دمشق عام 1919 وتسلم وزارة الخارجية في أيار 1920. وبعد شهرين وقعت معركة ميسلون حيث استشهد وزير الدفاع السوري يوسف العظمة ودخل الجيش الفرنسي دمشق ففرّ الشهبندر، ثم عاد إليها بعد سنة وعمل على تنظم المقاومة للاحتلال الفرنسي.

ألقت السلطات الفرنسية القبض على الشهبندر وحكمت عليه بالسجن عشرين عاماً والنفي إلى بيت الدين في لبنان ثم إلى جزيرة إرواد. وبعد تسعة عشر شهراً صدر عنه عفو فسافر إلى أوروبا وأميركا للدعاية لقضية الوطن والعروبة.

دعم الشهبندر الثورة السورية بكل إمكانياته وطاقاته. ولكن الثورة، بعد سنة من قيامها بدأت تضعف فانسحب الشهبندر مع سلطان الأطرش ورفاقهما إلى الأزرق في الأردن. ولما صدر حكم فرنسي بإعدامه ذهب الشهبندر إلى القاهرة حيث بقي أكثر من عشر سنوات. وبعد أن ألغي حكم الإعدام عام 1937 عاد إلى دمشق فاستقبلته الجماهير استقبالاً حافلاً.

أغتيل الشهبندر في عيادته على يد ثلاثة من الحاقدين الملتفين حول المستعمر والذين اعترفوا في المحكمة أن المفوض السامي الفرنسي اجتمع بهم وحرّضهم على القتل وطلب إليهم أن يتهموا رجال الكتلة الوطنية بتدبير القتل ومن بين هؤلاء زعماء مثل سعد الله الجابري ولطفي الحفار وجميل مردم بك. حكم على القتلة بالإعدام ونفذ الحكم شنقاً.

[2] - سهيل الخالدي ، دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق ،1847-1948 ، دارهومة، الجزائر ،2013،ص116-117.

[3] - طرشون، الهجرة الجزائرية ، مرجع سابق،ص 213.

أو خارجها،وكان عز الدين شابا طيب القلب يتأجج صدره حماسا وطنيا،رافقنا في المدرسة سنتين ،ثم تركنا ليقيم مع أهله في دمشق.

وعندما إندلعت نيران الثورة السورية على الفرنسيين عام (1925م)،كان رفيقي عز الدين في طليعة زعمائها فحمل السلاح وخاض معاركها ببطولة فذة،وأستشهد في ساحة القتال وهو في ربيع العمر".[1]

وتاريخ الثورة السورية يشهد أيضا كذلك لتلك المساعدة التي لقيها الثوار في دمشق وضواحيها من طرف الجند الجزائريين الذي كانوا ضمن اللفيف الأجنبي للجيش الفرنسي الذي دخل سورية وعلى رأسهم النقيب الجزائري "العطافي" وقد لجأ غالبية أفراد الفرقة الجزائرية إلى صفوف الثوار بأسلحتهم وذخيرتهم،وكانوا كثيرا ما يتخلون عن قسم من المعدات لصالح الثوار.[2]

كما تذكر "الأميرة بديعة الحسني" في كتابها طائر في سماء المجد بعض التفاصيل عنه قائلة :" **والأمير عز الدين الحسني الجزائري بطل غار عين الصاحب السورية في ضواحي دمشق، خاض العديد من المعارك ضد الجيش الفرنسي في دمشق وغوطتها وكانت طلقته الأخيرة ، هي الأخيرة في الثورة السورية في منطقة دمشق و الغوطة حيث قاتل الفرنسيين حتى النفس الأخير ، وكانت معركته تلك في قرية عين الصاحب، إذ لجأ مع بعض مقاتليه الجزائريين إلى مغارة فيها وهو في طريقه إلى جبل القلمون ، وقد ذكر معركته ونوه بشجاعته العديد من الكتاب الذين أرخوا للثورة السورية الكبرى مثل" أدهم آل جندي" الذي توسع في الحديث عن عز الدين ومعاركه ، أما مؤرخ الثورة العربية "أمين سعيد"، فبدوره قدم معلومات ضافية وهامة عن أخر معاركه وحادثة إستشهاده قائلا:" وقصد الأمير عز الدين عين الصاحب بطريق الدريج، فهاجمه الجند قبل وصوله فدار قتال عنيف إستبسل الأمير خلاله وكان يقاتل وهو سائر إلى العين للتحصن في مغارة هناك فبلغها أخيرا بعدما فقد معظم رجاله، وتحصن فيها فأحدق به الجند من كل جانب فوالى إطلاق الرصاص عليهم فجندل منهم نحو 70 وخر من رجاله نحو 22 بين قتيل وجريح، وطوق الجند المغارة وبدأو يقذفون المجاهدين بالقنابل اليدوية ،فإنفجرت إحداها فجرح ساعد الأمير فهرول إلى الباب يريد الخروج وكان عتاده قد نفذ فهاجمته الجنود من كل جانب ، فإستبسل إثنان كانا معه وكثر الجند على الأمير**

[1] - عادل الصلح ،سطور من الرسالة، مصدر سابق،ص ص 18-19.

[2] - طرشون ، الهجرة...،مرجع سابق ،ص 213.

فقبضوا عليه حيا ثم أعدموه، بعدما أبرز بطولة خارقة ونقل أهله جثمانه إلى دمشق على سيارة وأَبَنه في المستشفى "الجنرال فالبير" قائد دمشق معترفا ببسالته وبطولته الخارقة..."[1]

ومما قاله "عبد الرحمان الشهبدر" في حق هذا الرجل :" **ليس غريبا أن تُنجب الجزائر أحدأبنائها يدافع عنها هنا في سورية وهذا الحفيد هو "الأمير عز الدين" حفيد البطل الذي خلده التاريخ العربي والإسلاميي وهو "الأمير عبد القادر"...**"[2]

ومن الشعراء البارزين الذين قاموا برثائه، الشاعر الكبير بدوي الجبل حيث قال في ذلك :

أيها الناعي إلى العرب فتاها **** لا تُطف زلزلت بالنعي قواهـــا

إن في (مات) التي جئت به **** صيحة قد يصدع البيت صداها

رحـــم الله فتى مات على **** غاية الأحـــــرار كل في مناها

وفي الوقت الذي نشط الكثير من الجزائر كما سبق على الواجهة العسكرية كان للأمير سعيد يد طولى في المجال السياسي فهو الذي رفع علم الاستقلال ودافع عن أمن دمشق ، بعد مغادرة الأتراك لها مباشر وعمل على الحد من أي صراعات طائفية داخلها ، لكن دوره كان أكثر خطورة بعد الثورة، فكان له إبتداء من سنة(1925م)، نشاط معتبر وإتصالات متعددة مع المفوض السامي الفرنسي " موريس بول سراي" Maurice Paul Emmanuel (Sarrail)، ناصحا إياه:" **بأن لا يريق الدماء الزكية هدرا، وأن يقر بمطالب الوطنيين الحقة ويعترف بالحقوق التي وضعتها لهم جمعية الأمم ، وأن لا يعاممل السوريين معاملة أهالي المستعمرات، فلقد سبقوا البلاد العربية إلى حمل مشعل القومية والنهضة الحديثة خلال القرن الماضي ، وقد قدموا خيرة رجالهم يوم شنقهم "جمال باشا" في بيروت ودمشق...لنوال إستقلالهم ، لا ليخرجوا من حكم الترك ليصبحو تحت كابوس الاستعمار الإفرنسي...**"[3]ولذلك ركز "الأمير سعيد" في كل نشاطاته على ضرورة إنهاء الإنتداب كحل جذري للتخلص من الاحتلال الفرنسي .

[1] - أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن(ج3)، مكتبة مدبولى ، القاهرة،(دت)، نقلا عن، سهيل الخالدي ،دور الجزائريين في حركة التحرر العربي، مرجع سابق ،ص480.

[2] - الأميرة بديعة الحسني الجزائري،طائر في سماء المجد الشهيد عز الدين الحسني الجزائري –تاريخ الجهاد- ثقافة المقاومة ،دار الفكر ، دمشق ، سورية ،2007،ص302.

[3] - الأمير محمد سعيد ، مذكراتي ...،المصدر السابق،ص204

كما يذكر الأمير سعيد في مذكراته ما كان يقوم به من دور هام في مساعدة الأهالي المتضررين من جراء القصف الجوي والمدفعي الذي تعرضت له مدينة دمشق في (أكتوبر 1925م) ، فيقول:" **وقمت بتقديم المساعدة لكل من أصيب بأذى القنابل وتخريبها وفتحت بابي للوافدين، فإذا بها تغص بهم على رحبها...**"[1] .

والظاهر أن روح الثورة والتضامن لم تكن غريبة حتى على نساء أسرة الأمير ،حيث تذكر "الأميرة بديعة الحسني" ، عن جدتها الأميرة زينب أنها :" **كانت على إلمام بعلم طب الأعشاب ،فكانت تصنع بيديها مراهم للجروح ومساحيق للحروق...وكانت تعالج بنفسها الحروق التي تصيب المجاهدين من شضايا قنابل العدو...**" **أما بيت أسرة الأمير عبد القادر فتصفه قائلة :"...لقد شهدت مزرعتنا أو هذا الحوش في أثناء الثورة السورية مآسي، وروت تربتها دماء طاهرة، كيف لا وقد كانت مركز إنطلاق الثوار وملاذهم...."**[2]

هذا على المستوى الشامي أما على المستوى الداخلي فقد تتبع الرأي العام الجزائري أحداث الثورة السورية بإهتمام شديد سواء من خلال الرسائل التي كان يتبادلها الجزائريون مع أهلهم في بلاد الشام، أوعبر ما تنشره الصحافة، منذ فرض الإنتداب الفرنسي في مؤتمر سان ريمو، فعندما كانت صحيفة " لومانيتي"" L'Humanité" تكتب في صدر عناوينها " أخرجوا من سوريا" كان عدد الجريدة يتخاطفه القراء من الأكشاك في مدينة الجزائر[3].

ورغم آلام الجزائريين نتيجة السياسة الإستعمارية وآثار الحرب العالمية الأولى عليهم ، على كافة الأصعدة، فلم يتوقف الجزائريون عن متابعة المشهد السوري بآلامه وبطولاته ، ومن الأحداث البارزة التي شدت إنتباههم،حادثة قنبلة دمشق الرهيبة من لدن الفرنسيين سنة(1926م) فقد لاقت تضامنا كبير من لدن الشعراء[4] فهاهو "أبو اليقضان" يكتب في قصيدة له معبرا عن مدى تأثره بالحدث وتضامنه مع أشقائه:

إنما الدنيا جهاد من ينم **** يومه، داسته أقدام الـرزايا

ولنيل الحق أدوار غدت **** خطوات جازها كل البرايا

فأنين فكلام فصيـــــاح **** فخصـــام فجـــلاد فسرايا

وثبات للمعالي وثبـــات **** للعوالي وخصـــال ومزايا[5]

[1] - الأمير محمد سعيد ، مذكراتي المصدر السابق،ص214.

[2] - بديعة الحسني،طائر في سماء المجد، المرجع السابق ،صص 306-308.

[3] - ChR,Ageron,histoire de l'Algerie contemporaine,(T1),p486.

[4] - من أبرز الشعراء الذين واكبوا الحدث وكتبوا عنه ، أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كتب قصيدته الشهيرة " نكبة دمشق" ، ومطلعها : سلام من صبا بردى أرق *** ودمع لايكفكف يا دمشق.

[5] - محمد ناصر ، أبو اليقضان وجهاد الكلمة ،(ط2)، ش و ن ت ، الجزائر ،1984،ص 271.

4-4 :النخبة الجزائرية والثورة العربية (1916م) بين مؤيد ومندد :

إختلفت المواقف العربية عموما من الثورة التي قام بها "الشريف حسين" سنة(1916م) بين مؤيد لها معتقد في أنها ستحرر العرب من نير الترك وظلم الإتحاديين وبكونها طريقا لبناء الدولة العربية المستقلة، وهو حلم مشروع كان يراود الرعيل الأول من أبناء التوجه القومي ضمن المفكرين العرب ومن بينهم من الجزائريين وبين من يرى فيها مخططا إستعماريا – صهيونيا لإسقاط الخلافة الاسلامية من أجل التفرد بالبلاد العربية وإحتلالها، وهو الرأي الذي تبناه أكثر الرعيل الأول من ذوي النزعة الإصلاحية التقليدية داخل النخبة العربية والإسلامية عموما في ظل خطاب قوى كان سائدا يدعم مشروع الخلافة والجامعة الاسلامية.

وكغيرهم من العرب فإن النخبة الجزائرية إنقسمت بدورها إلى فئتين تختلف نظرتهما ومواقفهما من هذه الثورة ، ولم تسلم من هذا الإنقسام كل من نخبتي الداخل والخارج .

وليس من الصعب إيجاد تفسير لهذا الإنقسام في ظل فهم علاقة كل من الإتجاهين من السلطة العثمانية من جهة أو العلاقة مع "الشريف حسين" أو من يحالفه من جهة أخرى ، فمعظم من وقف ضد الثورة العربية من الجزائريين، كان إما من الجزائريين الذين خدموا الدولة العثمانية وإستفادوا من إمتيازاتها وتشبعوا بفكر الجامعة الإسلامية ، أو من نخبة الداخل المحافظة التي كما سبق وأن رأينا تضامنها الشديد مع السلطنة العثمانية ورفضها تسليم الخلافة لأشخاص ترى بأنهم يخدمون مشاريع إستعمارية في البلاد العربية والعالم الإسلامي من أمثال "الشريف حسين" وغيره، ولو حاولنا وضع تقدير للتوجه العام داخل الجزائر نفسها لوجدنا أن الإتجاه السائد هو الرافض للثورة العربية والمتخوف من إنعكاستها السلبية على السلطنة، رغم ما بذلته فرنسا من جهد دعائي لصالح الثورة العربية بما يخدم مصالحها في الجزائر والمشرق العربي،فقد عمدت داخل الجزائر إلى توزيع البيان الذي أصدره "الشريف حسين" لشرح أسباب ثورته،بعد أن قامت بتعديل محتواه بما يناسب رؤيتها ومصالحها وبعد أن ضبطت قائمة من 26 شخصية أغلبها من مشايخ الطرق الصوفية والأغوات[1]،وقد حظي هذا البيان بتغطية إعلامية واسعة النطاق من قبل الجرائد التي تعبر عن وجهة نظر السلطات الفرنسية وعلى رأسها" أخبار الحرب"[2].

ولعل المنشور الذي وزعته تحت عنوان "أخر خيانات الإنجليز تجاه الشرق وسكانه" قد وصلت منه نسخ إلى الجنوب الجزائري حيث جاء في هذا المنشور:" **إن الجميع يعلم ماتريد إنجلترا منذ مئة عام،فهي تريد إستعباد كل الشرق،وخاصة القضاء على الاسلام،وهي تهدف إلى إزالة الخلافة العثمانية،وتنزع من العثمانيين**

[1] - عبد الجليل للتميمي،دراسات في التاريخ العربي العثماني ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات ،تونس ،1984،ص69،(أنظر الهامش رقم 96).

[2] - العجيلي ،صدى حركة الجامعة ، مرجع سابق ،ص430.

القسطنطينية و التخلص من المدينتين المقدستين،وأن تعلن عن تنصيب سلطان المسلمين أحد التافهين تختاره بين الخائنين لشعوبه ولدينهم ولوطنهم،سلطان من بين محبي الدينار والدرهم...إن إنجلترا ستستخدم هذا السلطان كواسطة لتخدر به المسلمين وتستغل جهلهم،وتحكم عن طريقه العالم الاسلامي"[1].

وقد إقتنع عدد هام من الجزائريين أن ثورة "الشريف حسين" لا تعدو كونها تمردا على شرعية الخلافة ودولتها وضربا لوحدة المسلمين [2]و بذلك لم تنجح الدعاية الفرنسية في إقناع الجزائريين بغير ذلك فهاهو "أحمد توفيق المدني" مثلا يعبر عن موقفه المتألم من ثورة "الشريف حسين" وهو في السجن قائلا :" **كنت أنهار أحيانا وتعتريني هزة تشبه هزة اليأس والقنوط عندما أسمع مثلا ذلك الحادث المؤلم الرهيب،حادث إنتفاض شريف مكة "الحسين بن علي"، على الخلافة العثمانية مغترا بوعود جوفاء من "مكماهون" ممثل الإنجليز بالقاهرة وممزقا شمل الإسلام ووحدة المسلمين** "[3].

كما إعتبر أن الثورة العربية شكل من أشكال التآمر الغربي لتمزيق المنطقة جغرافيا وإحتلالها عسكرياوذهب إلى أن إعدامات "جمال باشا" ماكانت لتحدث لولا إكتشاف مؤامرة خطيرة قادها السياسيون و الإعلاميون وبعض رؤساء الجمعيات والأحزاب. [4]

وفي هذا السياق فرغم بروز" الأمير سعيد الجزائري" بقوة من ضمن مؤيدي الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ودعاة المحافظة عليها فقد قام بتجنيد عدد من المغاربة في سوريا وفلسطين وعدد من الشراكسة والقبائل العربية في بلاد الشام.ودعاهم لمؤازرة الدولة العثمانية والوقوف إلى جانبهاو لكنه كان من المحبذين لحل الخلافات العربية – العثمانية بما يخدم الطرفين ، فعند لقاءه بالشريف حسين حاول أقناعه بتأييد الدولة العثمانية بإعتبارها رمزا للخلافة الاسلامية وأن يكون على وفاق مع الخليفة العثماني، مدركا أن خلافهما لن يخدم أي من الطرفين بل ستستفيد من القوى الإستعمارية فقط.

أما في الجانب الأخر فلم يتوانى عدد من الجزائريين في إعتبار ثورة "الشريف حسين" تعبيرا صادقا عن طموح قومي مشروع وردا على سياسة التتريك الجائرة ،فإنخرطوا في هذه الثورة دون تردد ،وفي هذا السياق يشير " عبد الجليل التميمي" إلى ثلاث رسائل عثر عليها في أرشيف الخارجية الفرنسية حول علاقة الإتحاديين مع بعض أفراد عائلة "الأمير عبد القادر"والذين حاولت فرنسا الإستفادة منهم لكسب الأنصار والموالين لها سواء في المشرق العربي أو في

---

[1]- عمار هلال ،"أصداء الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي في بعض التقارير الرسمية الفرنسية"،مجلة الثقافة،ع88 ،الجزائر ،جويلية-أوت 1985،ص243.

[2] - المدني ،حياة كفاح (ج1)، مصدر سابق،ص144.

[3] - المصدر نفسه ، ص145

[4] - أحمد توفيق المدني ،"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"،**الثقافة**،ع76،الجزائر ،1983،ص70.

الجزائر،ودعم موقف فرنسا ضد السلطان العثماني والإتحاديين الذين بادروا بإعلان فتوى الجهاد ضد الحلفاء عن طريق "الكولونيل بريمون" الذي ربطته علاقات مع بعض أفراد عائلة الأمير بسبب طول إقامته بالحجاز والرسائل التي نشرها التميمي تتمثل في رسالة حررها "الأمير عبد القادر بن علي باشا" بتاريخ(12 أكتوبر 1917م) وأرسلها إلى عمه "الأمير عبد المالك" عندما كان هذا الأخير مقيما في طنجة،أما الرسالة الثانية فقد وجهها "الأمير عبد القادر بن علي" إلى أخيه "الأمير خالد"وأما الرسالة الثالثة فقد حررها "أحمد مختار بن زيد العابدين" وأرسلها إلى" الأمير عبد المالك"ويلاحظ يوجد كثير من القواسم المشتركة بين هذه الرسائل ، من أهمها التركيز على الإعتداءات التي تعرضت لها عائلة "الأمير عبد القادر" نتيجة المواقف التي تبناها الإتحاديون منها،وما لحق من ضرر بأفرادها، من نفي وإعدام وتضييق وإهانات وصلت إلى حد تدنيس قبر "الأمير عبد القادر"،كما تناولت تلك الرسائل الخدمات الجليلة التي قدمتها فرنسا لعائلة "الأمير عبد القادر" وعلى حسن رعايتها لها،كما ركزت الرسائل الثلاث على محاولة إقناع "الأمير عبد المالك" على وقف التعاون مع الألمان والعثمانيين ومحاورة فرنسا،وحثه على الإنظمام إلى "جبهة الرابطة الشريفية المدعمة من فرنسا لمحاربة الإتحاديين وإقتلاعهم من سوريا[1].

ورغم الموقف القومي الذي تضمنته هذه الرسائل الثلاث والداعم لثورة "الشريف حسين"،فإن البعض يسجل ملاحظات سلبية تصل إلى درجة الولاء والإلتزام السياسي تجاه فرنسا من بعض أفراد العائلة وأن تعليمات وزارة الخارجية و"الكولونيل بريمون" تقف وراء إقناع الأميرين بتوجيه الرسائل على "الأمير عبد المالك" ومحاولة الضغط عليه لتغيير موقفه والإنضمام إلى معسكر "الشريف حسين".[2]

وهنا يجب التأكيد على أن "الأمير عبد القادر بن علي" كان قد دخل في خدمة الدولة العثمانية وتحالف مع ألمانيا وكان يريد إثارة المناطق الخاضعة لبريطانيا وفرنسا،وذلك بناء على ما أخبر به السفير الفرنسي بالقاهرة وزارة خارجيته في مراسلة بتاريخ(16 نوفمبر1915م) على وجود "الأمير عبد القادر بن علي" مع مجموعة من النشطين المغاربة المعروفين بتأييدهم للدولة العثمانية ك"صالح الشريف" و"علي باش حمبه"[3].

أما "الأمير محمد السعيد" فيشير إلى أن موقف أخيه عبد القادر من الدولة العثمانية قد تغير بعد إعدامات "جمال باشا"،وأنه بايع "الشريف حسين" وأنتقل إلى الشام لقتال ومواجهة جمال باشا[4].لكن "لورنس" وبعض قادة الجيش العربي إعتبروه جاسوسا وربما كان لهم دور في عملية إغتياله فيما بعد.

---

[1] - عبد الجليل التميمي ،"الأمير عبد المالك وعلاقات الاتحاديين بعائلة الأمير عبد القادر" ،**م ت م** ،السنة37،ع 140 ،جويلية –أيلول2010،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،تونس ،ص132.

[2] - التميمي ،المرجع نفسه ،ص130.

[3] - محمد بلقاسم ،الأمير عبد القادر الحفيد ،وردت في :دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله ،،دار الغرب الاسلامي، بيروت ،2000،ص375.

[4] - نفسه ،ص377.

هذا بالنسبة لأفراد من عائلة" الأمير عبد القادر" وبتتبع شخصيات جزائرية أخرى مؤيدة لهذه الثورة ، يبرز لنا "الشيخ الطيب العقبي"[1] بإعتباره من نماذج الوطنيين الجزائريين الذين أيدوا الثورة العربية بقوة،فقد عرف الرجل دائما بتبنيه لقضايا الإصلاح في العالم العربي الإسلامي،وبنشاطه الواسع وسعيه الحثيث، لاسيما خلال الحرب العالمية الأولى لمقارعة الاستعمار في البلاد العربية بكل الوسائل ،ولاشك أن ذلك يعود لمجموعة من المؤثرات كتأثره بالبيئة الحجازية،ورغم أنه لم يرتق إلى مصاف الزعماء السياسيين هناك وإنشغاله الواضح بالعمل الإصلاحي، فقد أسهم بكتاباته في تدعيم اليقظة العربية التي تألق نجمها في الحجاز بعدما عرفت المنطقة ركودا في مختلف المجالات السياسية و الثقافية والإقتصادية قبل الثورة العربية[2]

لكن أكثر ما تأثر به في الحجاز كان أفكار الحركة الوهابية[3]، كما أبان بوضوح عن إيمانه بفكرة الجامعة الاسلامية في ظل علاقته الوطيدة مع "الأمير شكيب أرسلان" فقد كانت بينهما العديد من المراسلات وتبادل الأفكار وقد وصف الزاهري العلاقة بينهما" **أنها كانت علاقة خاصة من نوعها**"[4] كما كانت له علاقة جد وثيقة أيضا بالمفكر العربي "محب الدين الخطيب" والذي كان رفيقه في النشاط الصحفي، خاصة في جريدة "القبلة" الحجازية[5].

وتحمل الكثير من مراسلات العقبي مع أساطين الفكر والثقافة في تلك المرحلة وكتابته في كثير من الصحف المشرقية ،شدة إهتمامه بقضايا الأمة،مما يجعله مساهما فعالا في النهضة العربية الحديثة،كما أنه قد حضي بمكانة كبيرة في بلاط "الشريف حسين" قبل الثورة وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى،كما تبرزه الكثير من القصائد التي مدح

---

[1] - هو الطيب بن محمد بن إبراهيم، ولد سنة 1890م(هنالك روايات أخرى : 1889-1888) في بلدة " سيدي عقبة" التي ينسب إليها.هاجرت أسرته إلى الحجاز للحج وهو ابن خمس سنوات ، سكنت عائلته المدينة النبوية ، هرباً من حملات الفرنسيين لتجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، ولايزال بعض أقاربه في السعودية لليوم ويحملون جنسيتها. يعد العقبي ركنا من أركان الإصلاح ومن أبرز رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، أسس في نادي الترقي سنة 1947م "لجنة الدفاع عن فلسطين"، والتي تطورت لتصبح "الهيئة العليا لإغاثة فلسطين" كهيئة جزائرية مشتركة بين عدة اتجاهات سنة 1948، والتي تمكنت من جمع ثمانية ملايين فرنك كتبرعات من الشعب الجزائري الذي هبّ لدعم ومساندة فلسطين ماديا ومعنويا رغم ظروفه القاسية، وقد قام العقبي ضمن وفد الهيئة بزيارة الأردن سنة 1950م لإيصال الأموال لمستحقيها، وزيارة اللاجئين الفلسطينيين هناك،توفي الشيخ =الطيب العقبي سنة 1960م، ودفن في مقبرة ميرامارباالرايس حميدو.أنظر : محمد الهادي الزاهري ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر،،(ج1) المطبعة التونسية، تونس، 1926، ص125 وكذلك:عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، مرجع سابق ، صص 238-239.

[2] - أحمد السباعي ، تاريخ مكة،دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، منشورات الأمانة العامة للإحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 425.

[3] - أدى تمسك العقبي بالفكر الوهابي والتطرف في التقيد به ولباسه الخاص إلى تسميته ب" الوهابي" وكذلك صراعة العنيف مع الطرقيين في الجزائر

[4] - محمد الهادي الزاهري ،شعراء الجزائر... ، المرجع السابق ،ص148.

[5] - أصدرت من مكة المكرمة في 15 شوال 1334هـ الموافق 15 أوت 1916م. وكانت تطبع في المطبعة الحكومية (الهاشمية) الأميرية الواقعة في أجياد بمكة المكرمة وكان الشيخ محب الدين الخطيب أول مسئول لها ثم خلفه أ. حسين الصبان .وكان الشريف حسين يشارك في تدبيج مقالات سياسية وأدبية ويوقعها باسم مستعار، وغالبا ما يكون "ابن جلا "وعرف أيضا، بأن الملك حسين نفسه كان يهتم اهتماما كبيرا بما ينشر في القبلة ويشرف على تحريرها اشرافا كاملا ,فلا تصدر الجريدة الابعد عرضها عليه قبل طبعها وكان يحرر أو يملي كثيرا من الأخبار والتعليقات السياسية وكان يحذف بعض المواد ويعيد تحريرها بنفسه. قام الشريف حسين بتولية العقبي رئاسة تحرير جريدة (القبلة) ، ومديرا للمطبعة الأميرية خلفا للكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب .

فيها العقبي الشريف حسين،وصداقته للأمير عبد الله أحد أبناء الشريف حسين الذي درس معه ،كما أنه كان عضوا في حركة (أحرار المدينة) ورفض الرحيل من المدينة إلى دمشق عندما طلبت السلطة العثمانية ذلك منه. ومن أجل ذلك نفاه الأتراك إلى بلاد الروم إيلي ثم إلى الأناضول ثم أزمير...[1]، وقد صادف قيام الثورة العربية سنة(1916م) وجود العقبي بالمدينة المنورة، وبعد إستفحال الثورة وتوسعها أمرت السلطة العثمانية بترحيل سكان المدينة المنورة إلى دمشق[2]، ولعل ذلك يعود إلى سبب عجزها عن التحكم في الأمور سواء بتموين جيشها أو السهر على راحة المدنيين في ظل التطورات العسكرية الحادثة في حينه.

يقول العقبي عن ذلك في ترجمة له عن حياته:"**كيف أبعدت عن المدينة ؟ : تناولت الكتابة في الصحف الشرقية قبل الحرب العمومية أمدا غير طويل،فعدني بعض رجال تركيا الفتاة من جملة السياسيين وأخرجوني في جملة أنصار النهضة العربية مُبعدا من المدينة المنورة على إثر قيام ثورة" الشريف حسين بن علي" في وجوههم بعد الحربإلى المنفى في أرضهم « الروم إيلي» أولا فالأناضول ثانيا،وهناك بقيت أكثر من سنتين مبعدا مع جملة الرفاق عن أرض الحجاز وكل بلاد العرب ثم إنتهت الحرب الكبرى بعد الهدنة يوم (11نوفمبر 1918ميلادية) ونحن إذ ذاك مع عائلتنا التي إلتحقت بنا بعد خراب المدينة في بلدة «أزمير» ومنها كان رجوعنا معشر أهالي المدينة المنورة إلى الحجاز،وما إن وصلت أنا إلى مكة المكرمة حتى لقينا من لدن جلالة الملك حسين كل ماهو أهل له من الإكرام والإجلال وهناك عُينت مديرا لجريدة القبلة والمطبعة الأميرية،يجري علي من سيل إنعامه وإكرامه ما لا أستطيع مجازاته عنه بطويل الشكر و عريضه**".[3]

وعليه فأنه من الواضح أن الدولة العثمانية كانت تخشى من نشاطات "العقبي" بإعتبارها نشاطات قومية إنفصالية، ومما زاد من هذا التخوف " تعرف العقبي على" الأمير عبد الله" مكنه من التقرب أكثر من أسرار الثورة العربية. وعندما شعرت السلطة العثمانية بإزدياد خطر دعاة النهضة العربية قامت بشن إعتقالات واسعة في صفوف دعاة القومية العربية ومن بينهم العقبي، فقد إعتبرته من دعاة الانفصال ومن الداعين لتأسيس الدولة العربية المستقلة.

والسؤال المطروح هو : هل كان العقبي قوميا؟"[4] "يبدو أن نشاط العقبي السياسي لم يكن متطرفا، بل أكثر إعتدالا في مفهومه للقومية، فقدكانت القومية التي يراها العقبي هي إنقاذ العالم العربي من الزوال بعد ضعف الدولة العثمانية،

[1] - أبو القاسم سعد الله ، شاعر الجزائرمحمد العيد آل خليفة ،(ط5)،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007،ص38.

[2] - كان من بين الموجودين أيضا في المدينة المنورة البشير الإبراهيمي ووالده ، وقد لبى دعوة السلطة العثمانية بالخروج وانتقل إلى دمشق سنة 1917م، أنظر: محمد البشير الإبراهيمي، "أنـــا"، مجلة **الثقافة**، ع87،ماي –جوان 1985م ،ص17.

[3] - أحمد الرفاعي شرفي،مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين(الشيخ الطيب العقبي)،(ج2)،دار الهدى،عين مليلة ،الجزائر،2011،ص ص،19-20.

[4] - أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنيةالجزائرية ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2007،ص48

وبالتالي كانت حركته تهدف إلى التواصل الحضاري للأمة العربية الاسلامية، ولم يدع إلى التواصل العرقي ولذلك يصح تسمية نشاط العقبي بالدعوة إلى القومية(الجامعة) الإسلامية ، أكثر منه دعوة إلى القومية العربية بمفهومها الحالي"[1]

ويبدو أن هذا التعامل القاسي من لدن العثمانيين مع العقبي،بدء بنفيه الذي أثر على نفسيته بإجباره على مغادرة المدينة المنورة و تسبب ذلك في توقف نشاطه الدعوي وضياع نتاجه الفكري، حيث يقول :" **فطوحت بي طوائح الحرب والإبعاد عن تلك البلاد بغتة ودون إستعداد منا لمواجهة ذلك البعد والبين فحالت بيني وبين كتبي...**"[2]، ويرى الزاهري أن هذا النفي لم يخلو من حرب نفسية ضد العقبي وأصحابه ، فإن تغيير مكان المنفى عدة مرات من الروم إيلي إلى الأناضول ثم نحو إزمير ، كان الهدف منه كسر نفسية العقبي وصحبه والحيلولة دون تمكينهم من ربط صلات ونشر أفكارهم داخل تلك المناطق"[3]

وتجاوزت حسرة العقبي على أثار هذه السياسية إلى التنديد بآثارها الوخيمة على النشطاء العرب فيقول :"**فسحقا لها سحقا وبُعدا لما أبقته من آثارها السيئة بعدا...**"، **ولعل حسرة العقبي لم يقصد بها ذاته ،بقدر ما قصد بها تأسفه على الأعمال الشنيعة التي إرتكبتها السلطة العثمانية في حق الأحرار العرب**"[4]

و بعد نهاية هذه التجربة المريرة والمنفى الذي دام سنتين ، و مع نهاية الحرب في(نوفمبر 1911م)، عاد العقبي إلى الحجاز ، ولكن هذه المرة ليستقر في مكة المكرمة " وعاد بعد الثورة العربية ليسهم في دعم حركة" الشريف حسين"، فمدحه بالقصائد الكثيرة، وكتب من أجل القضية العربية مقالات ثائرة، ولذلك كافأه الشريف بإسناد إدارة جريدة (القبلة) إليه .."[5]

ويبدو أن التهم ظلت تتابع العقبي حتى بعد عودته للجزائر في (4مارس1920م) ، إذ يقول في مقال له تح واصفا هذه المعاناة :" **يقولون إني كنت جاسوسا لفرنسا في بلاد الحجاز ومروجا لسياستها هناك،وذلك بعدما وشوا بي إلى الحكومة هنا،ففتشت منازلي ببلدة سيدي عقبة وبسكرة،وأخذت كل أوراقي وما وجد عندي من مخطوطات وغيرها،فأطلقت سبيلي بعد توقيفي أربعة أيام،ولم تذهب بي إلى حيث أموت ،وقد جراهم في قولهم هذا أولا كون فرنسا لم تقتلني،وثانية فرِية بعضهم لورقة عندي هي كشهادة أخذتها عند السفر إلى هذه**

[1] - أحمد مريوش ،المرجع السابق ،ص49.

[2] - محمد الهادي الزاهري ،شعراء الجزائر..، مرجع سابق ،ص 130.

[3] - الزاهري ، نفسه ،ص128

[4] - أحمد مريوش ، المرجع سابق ،ص50.

[5] - أبو القاسم سعدالله ، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ، المرجع السابق ،ص38.

البلاد من نائب فرنسا ورئيس البعثة أنذاك الكومندان «كاترو» شهد لي فيها أن عواطفي وحسياتي لم تكن ضد فرنسا،حيث أني جزائري قبل كل شيئ".[1]

وهكذا لم يسلم العقبي من إتهامات متناقضة ومن أطراف متعددة ، لكنه واصل بعد عودته إلى الجزائر نضاله على جبهة أخرى من خلال جمعية العلماء المسلمين، أو حتى بعد أنفصاله عنها ، ليبقى وفيا لمبادئه كما يتضح بعد ذلك خاصة من أدواره في مساندة القضية الفلسطينية.

4-5 :النخبة الجزائرية تتصدر جبهات النضال التحرري في المغرب العربي :

لم تحُد سياسة البطش الاستعمارية ومحاولة خنق الجزائريين ، ضمن حدود ضيقة يرسمها لهم المستعمر نفسه ، بغرض عزلهم عن فضائهم العربي – الإسلامي لم تحد هذه السياسة المذكورة من تطلع النخبة الجزائرية نحو هذا الأفق المشرقي والمغربي الرحب ، بتتبع أخباره تارة والتأثر سلبا وإيجابا بما يشهده من أحداث وتطورات تارة أخرى ، ووصولا إلى ذروة الشعور بالإنتماء إلى هذا المجال الرحب، إلى حد المساهمة الفعلية الميدانية وعلى مستوى الطليعة في أحايين كثيرة في نضال ومقاومة البلدان المغاربية على مختلف الساحات الفكرية والسياسية والعسكرية .

ويشهد التاريخ للعديد من رموز الوطنية الجزائرية والرعيل الأول من نخبتها المستنيرة،أنهم رفعوا في كتاباتهم وخطبهم شعار الوحدة المغاربية منذ بدايات القرن العشرين، فكانت الصحافة الساحة الأولى والمتقدمة لهذا النضال الوحدوي المشترك ،فنجد مثلا أن الصُحفيين "عمر راسم" و"عمر بن قدور"، وكلاهما كان منجذبا في تيار الإصلاح الإسلامي، أن تصورهما وتغطيتهما للأحداث ، لم تكن تقف عند بلادهما الجزائر أوحتى عند حدود المغرب العربي ،بل تعدته إلى العالم الإسلامي الكبير،كما تبرزه أعمالهما الصحفية الخالدة، ف"عمر راسم" قد شارك بقلمه في بعض الصحف التونسية بعدد من المقالات أدلى فيها بآراء بناءة في العديد من القضايا وعلى رأسها الدفاع عن الوحدة الإسلامية، أما "عمر بن قدور" و قد كان هو الأخر ضمن تيار الجامعة الاسلامية، فقد كان بحق من دعاة الوحدة المغاربية الأوائل، وهذا ظاهر من خلال كتاباته الصحفية ، فقد كتب في عدة صحف مشرقية ومغاربية، معالجا قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي في الفترة الممتدة ما بين (1906-1912م)، كما بادر إلى تأسيس" جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا" وظل يؤكد على ضرورة نزوع كل قطر من أقطار المغرب العربي إلى الإستقلال وتشكيل جماعات التعارف الإسلامي والإرتباط بمبادئها لخدمة أمة شمال إفريقيا الاسلامية.

ولم تكتف النخبة الجزائرية والمحافظة منها بشكل أدق بالتصدي للسياسة الفرنسية في الجزائر لوحدها ، بل إعتبرت أن هذه السياسة نفسها في تونس أو المغرب أو حتى في المشرق العربي والعالم الإسلامي، تنبع من نفس

[1] - الطيب العقبي،" يقولون وأقول "، جريدة **الشهاب**،قسنطينة ، السنة الأولى ،(ع05)، الخميس 23 جمادى الأولى1344 هـ-10ديسمبر1925،ص 16.

الجذور الإستعمارية العنصرية الحاقدة التي تعتمد نفس الأساليب، مما يوجب التصدي لها في أي جزء من البلاد العربية والإسلامية وأن المواطن العربي والمسلم قادر على أن يناضل في كل هذه الساحات،وكأن تلك النخبة الجزائرية هي أول من مارس ما يمكن وصفه بالنضال والجهاد الشامل، و من الأقلام المميزة أيضا في تناول قضايا الإستعمار وإنتقاد سياسته نذكر"الشيخ المكي بن عزوز"[1]، الذي هاجر إلى المشرق العربي وإستقر بإسطمبول مع مطلع القرن العشرين، بعد أن حل بها سنة(1905م) ، و قد زخرت معظم مقالاته الصحفية بإنتقادات مميزة للسياسة الفرنسية الإستعمارية في المغرب العربي. كما لم تتأخر جريدة " المهاجر " وصاحبها "محمد التهامي شطة " في تبني الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربة في المهجر، وفضح سياسة فرنسا الإستعمارية في المغرب العربي كله، أما الجزائري "محمد مزيان التلمساني" فقد ساهم إلى جانب إخوانه "إسماعيل الصفائحي" و"صالح الشريف" في(7 جانفي 1916 م) ببرلين في تأسيس" لجنة إستقلال الجزائر وتونس" المتفرعة عن اللجنة الأم والتي ترأسها محمد باش حامبه بجنيف وهو الذي أسس مجلة " المغرب " في شهر(ماي 1916م) ، وكانت تلك المجلة كما تناولناه سابقا تغطي وتبرز مختلف أعمال ونشاطات " لجنة إستقلال الجزائر وتونس" و قدجاء في ديباجة المجلة وصف لها بكونها :" منبر مطالب أهالي الجزائر وتونس ومراكش وطرابلس وفي إفتتاحية العدد الأول، (ماي 1916م)، كتبت تحت عنوان (برنامجنا) تقول :"**ستكون لسان حال أهالي المغرب... وتتابع الأحداث اليومية لشمال إفريقيا للتشهير بمظالم الإستعمار الفرنسي في المنطقة... وتسعى إلى ترجمة شعور إخواننا والتعريف بحاجاتهم ومطامعهم...**"[2].

هكذا كانت الصحافة تعبر بصدق عن مدى التواصل بين النخبة الجزائرية وقضايا المغرب العربي ، وتعكس نضالاتها الفكرية على صفحات الجرائد ، مما يفسر القمع المستمر للسلطات الإستعمارية لهذه الصحف وأقلامها.

وبعدما تطرقنا لمظاهر مقاومة النخبة الجزائرية ضد سياسة التتريك والطورانية والإستعمار الأوربي مشرق ،نلتفت الآن للجزء المغربي لنتتبع نضال هذه النخبة الجزائرية الثقافي والسياسي على الساحة المغربية ممثلا في كل من طرابلس و تونس ومراكش (المغرب الأقصى).

5-1 : الحرب الطرابلسية فرصةلإحياء التضامن القومي والولاء للدولة العثمانية

من بين الأحداث الهامة التي أسهمت بشكل واضح في تنمية الوعي القومي لدى الجزائريين وزادت من وهج شعورهم بالتضامن العربي الإسلامي وحركت النخبة الجزائرية بمختلف إنتماءاتها، الإعتداء الإيطالي على طرابلس

[1] - الشيخ المكي بن عزوز: (1854-1916) علم من أعلام العلم والأدب والمعرفة ، من اصول جزائرية، رحل والده بعائلته بعد إحتلال الجزائر إلى تونس، وهو من برج بن عزوز بطولقة، وصاحب زاوية نفطة الشهيرة بالجنوب الغربي التونسي : أنظر محمد بلقاسم، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي ،مرجع سابق ،ص34.

[2] - معمر العايب ، التوجه المغاربي في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية: حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء نموذجا، **م ت م**، السنة(32)، ع 119 ، جوان 2005، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس ،ص68-70.

الغرب سنة(1911م)، والذي حظي ليس فقط بمتابعة الجزائريين بل بتفاعل كبير على جبهات متعددة سنتعرض لها بمزيد من الشرح، ومما ساعد على ذلك تغافل فرنسا النسبي عن متابعة ذلك خاصة في بداية الأحداث بإعتبار أن إيطاليا لم تكن حليفة لها في تلك المرحلة[1].

وقد لاحظ "أندريي سرفييه" كيف أن هذه الحرب أيقظت الشعور الإسلامي لدى الجزائريين بقوة ، حيث وصف هذا التضامن القوي لدى الجزائريين بأنه : "**الوجه الأخر للشعور الديني الذي يصعب تحطيمه في وسط يمتزج فيه الروحي بالزمني، وهو ما يجعل المشاعر الدينية تخدم الأهداف السياسية بفاعلية كبيرة..**"[2]

فعند توالي أخبار الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب،سرعان ما تناولتها صحف الإنتلجنسيا المثقفة و تحركت العديد من الفئات محاولة أن تجمع أموالا كثيرة للمهاجرين الطرابلسيين، وبدأ التضامن يتحول شيئا فشيئا م إلى نظرة عداء واضحة للإيطاليين أنفسهم ، ففي الشرق الجزائري تصدى الجزائريون للإيطالين الذين كانوا يتركزون خاصة في الأماكن الواقعة في شرق البلاد، أمافي الجزائر العاصمة كان يلاحظ – وبغرابة حسب رأي الادارة الاستعمارية — أن الناس تجمعوا في ساحة الحكومة حول محلات بيع الصحف يشاهدون بينهم صورا لجرائد تركية تمثل إنتصار الجيوش الطرابلسية... والناس هنا يتابعون أخبار القتال... كذلك كان شأن الأوروبيين من أصل إيطالي(...) وقد أتخذت كل الإحتياطات خاصة بعد أحداث تونس (...) لقمع أي إستفزاز ضد الأوروبيين ولكن رغم هذه الإحتياطات فقد ألصقت كتابات على الجدران للإشادة بالمجاهدين الليبين فأزالتها الشرطة بسرعة ووردت أخبار إلى العاصمة أن الجزائريين والإيطاليين إشتبكوا في كل من مدينتي بجاية وعنابة الساحليتين.

وفي شهر (نوفمبر 1912م) علق مجهول في شجرة أمام مقهى ثلاثة ملصقات بساحة الحكومة وأمام المسجد الموجود بساحة الحكومة ،وأمام المسجد الموجود بنهج البحرية، وتدعو كل تلك الملصقات إلى مقاطعة الإيطاليين وتدعو الناس إلى التجمع أمام القنصلية الايطالية وأخيرا تدعوهم لجمع المال للمجاهدين.[3]

هكذا كانت التطورات منذ البداية تُنبأُ بأن الإحتلال الإيطالي لطرابلس لن يمر على الجزائريين عامتهم ونخبتهم في الداخل والخارج دون أن يحرك فيهم مظاهر الغضب والإستنكار من جهة ، ومظاهر التضامن من جهة أخرى . فما هي دواعي ومبررات هذا التضامن القوى لدى الجزائريين ونخبهم المختلفة؟

إن التواصل الجزائري مع طرابلس الغرب (ليبيا) لم يكن وليد مرحلة الإحتلال الإيطالي لهذا الإقليم،ولكنه يعود لفترات تاريخية أقدم من ذلك بكثير،فقد كانت ليبيا بحكم توسطها بين الجزائر والمشرق العربي خاصة مصر، ممرا

[1] - أبو القاسم سعدالله ،الحركة الوطنية (ج2)،ص122.

[2] - A,servier, "le péril de l'Avenir ,le nationalisme musulman…"Op.cit, pp 156-157.

[3] - حداد مصطفى ، "موقف الجزائر من الغزو الايطالي لليبيا" ، مجلة **الشهيد**، دورية تصدرها مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الايطالي ، ع 7-8، أكتوبر 1988 ، ص 49.

ومستقرا للكثير من الجزائريين بمختلف أطيافهم من طلبة علم وعلماء وتجار و من قاصدي الأماكن المقدسة في الحجاز وفلسطين.

ومنه فإن طرابلس الغرب (ليبيا) بالنسبة للكثير من الجزائريين كانت المعبر الطبيعي نحو البلاد العربية الشقيقة،وباب الشرق الذي يشد الجزائريين نحو إخوانهم في الدين واللغة والقومية وهذا ما تؤكده لنا العديد من رحلات التجار والطلبة والحجاج نحو المشرق العربي عبر الأراضي الليبية وعلى مر العصور لممارسة التجارة أو لطلب العلم أو لأداء فريضة الحج والتعرف على معالم الأقطار العربية الإسلامية.وقد تزايدت أهمية طرابلس الغرب (ليبيا) في نظر الجزائريين بعد الإحتلال الفرنسي لبلادهم في ظل سياسة من الخنق والحصار تعمدها الفرنسيون لمنعهم من التواصل مع مجالهم الحيوي عربيا وإسلاميا والإستفادة منه ،وبعد أن أصبح إقليم طرابلس الغرب و فزان وبرقة ،بمثابة القواعد الخلفية التي لا يكمن أن تستغني عنها أي مقاومة جزائرية محتملة ضد الفرنسيين،فعن طريق هذه المنافذ كان يمكن الحصول على السلاح والعون الضروري،وإليها يتوجه كل من إضطرته الظروف أن يغادر الجزائر خاصة بعد وقوع تونس هي الأخرى تحت الحماية الفرنسية سنة (1881م).[1]

ولا شك أن الكثير من العوامل الجغرافية والبشرية والدينية قد ساهمت في توطيد هاته الأواصر التاريخية وزادتها متانة مع مرور الأيام ومن أهمها نذكر مايلي:

– الترابط الجغرافي، حيث أن الحدود الجزائرية الليبية(الطرابلسية) تعد أطول حدود جزائرية مع دولة مجاورة.

– التداخل البشري بين سكان الإقليمين لاسيما في المناطق الحدودية للبلدين سواء بالنسبة للعنصر العربي أو العنصر البربري.

– ضرورة مرور الجزائريين المتنقلين برا بإقليم طرابلس، أثناء إنتقالهم لطلب العلم والتجارة والحج حيث:"كانت ليبيا مهبطا للعلماء الجزائريين ومحطة لحجاجها وملجأ لسياسييها."[2]وقد إزدادت هذه الروابط إشتدادا ومتانة بعد تعرض القطرين للإحتلال الأوربي الفرنسي للجزائر سنة ،(1830م) والإيطالي لطرابلس سنة(1911م) ، ولم يغب هذا الشعور عن الجزائريين حتى وهم يرزحون تحت نير الإحتلال الفرنسي وهو ما يصفه "الشيخ البشير الإبراهيمي" قائلا :"**ولإخواننا الليبيين أو الطرابلسيين كما نسميهم ،علينا حق الدين وحق اللغة وحق الجنس وحق الجوار،وحق الإشتراك في المحن المقرحة على الزمن وهذه كلها أرحام ،يجب أن تبل ببلاهة وحقوق في ذمة المروءة والوفاء يجب أن تؤدى.**"[3]

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني ،الجزائر منطلقات وآفاق ، دار الغرب الإسلامي،لبنان ،2000،ص394.

[2] - أبو القاسم سعد الله ،هموم حضارية،دار الأمة،الجزائر،1993،ص123.

[3] - محمد البشير الإبراهيمي،"ليبيا موقعها منا (1)"،جريدة **البصائر** ،ع112 ، السنة الثالثة من السلسلة الثانية،1جمادى الثانية 1369هـ- 20مارس 1950م،ص3.

– ومن العوامل البارزة أيضا وجود العديد من الطرق الصوفية التي كانت تنشط على تراب البلدين لكن أكثرها تأثيرا في القطرين كما هو معلوم الطريقة السنوسية، وللعلم فإن جذور هذه الحركة قد نمت في الجزائر[1]، بينما أورقت في الحجاز[2]، ثم تفرعت أغصانها وآتت أكلها في مناطق مختلفة من العالم، وفي مقدمتها بطبيعة الحال ،ليبيا والجزائر وتونس ، ومن هذه المناطق تمددت السنوسية إلى دول إفريقيا جنوب الصحراء ،وأمتد نفوذها إلى عاصمة الدولة العثمانية نفسها ،حتى قبل أن يعرف الأتراك رجالات الحركة وفي مقدمتهم "أحمد الشريف السنوسي "الذي نال إعجاب الأتراك إلى درجة أن إقترح عليه بعضهم منصب خليفة المسلمين وخاصة بعد أن ظهرت النوايا الحقيقية "لمصطفى كمال أتاتورك" في القضاء على مؤسسة الخلافة في مركز الدولة"

وفي سياق قوة الروابط تلك يحفظ التاريخ للطريقة السنوسية وقادتها تضامنهم المبكر بدورهم مع الجزائريين في مقاومتهم للإحتلال الفرنسي ، فقد كان الإمام" السنوسي" مقيما في الحجاز عندما إحتلت فرنسا الجزائر،وكان عمره قد جاوز الأربعين حينها ،فهزه هذا الحادث هزا عنيفا ونظر وقتها أن هذه الحروب الصليبية قد بدأت بالجزائر وسوف تمضي في طريقها دون توقف،وعليه راح يفكر في عمل جامع من أعمال المقاومة لهذا الاحتلال الغربي الزاحف.[3]

وبذلك بدأت هذه الطريقة في تكوين جيل من المجاهدين ذوي الرؤية الشمولية للعالم الإسلامي وقضاياه مع إشتداد تعرضه للغزو الأوروبي و ظلت تؤكد في أدبياتها على مبادئ التضامن والجهاد المشترك كضرورة ملحة ولذلك فإن الزوايا التي أنشأتها السنوسية هنا وهناك عبر دول المغرب العربي ،كانت في آن واحد مراكز ثقافية وثكنات حربية و رباطات جامعية ومدارس سلفية [4].حتى وصفها الرحالة الفرنسي "هنري دوفرييهHenri Duveyrier" قائلا: "**إن السنوسية هي المسؤولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر، وأنها السبب في الثورات المختلفة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر،كثورة " الشريف محمد بن عبد الله" في صحراء الجزائر سنة(1850–1861م)[5]، وثورة "محمد بن تكوك" في الظهرة سنة(1881م)...**"[1]

---

[1] - مؤسس السنوسية ،هو محمد بن علي السنوسي الخطابي ،ولد وتعلم وعاش فترة في الجزائر،و علم بها وتنقل فيها وتزوج منها قبل مغادرتها إلى المشرق ، أنظر : أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية 1860 -1900 (ج1)، مرجع سابق ، ص 173

[2] - بعد هجرة محمد بن علي السنوسي إلى الحجاز، أسس سنة 1837م زاوية أبي قبيس في مكة المكرمة، والتي أصبحت ملجأ للكثير من الجزائريين الفارين من السلطات الإستعمارية ، وأحيانا مركزا للتخطيط للإنتفاضة ضدها ، ويذكر يحي بوعزيز أن محمد بن عبد الله قد إشترك معه في تأسيسها ، ولكن ذلك مستبعد لأنه في هذه السنة لم يكن بن عبد الله معروفا حتى في تلمسان ، أي كانت بداياته الأولى ، أنظر : يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، (ج1)،(ط2)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر ، 1996، ص152.

[3] - محمد بن معمر،علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله،أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة(1842-1859م)،جمعية الانتفاضة الشعبية27 فبراير ،ورقلة ،فيفري 1998،ص61.

[4] - عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،(ج4) ، مرجع سابق ،ص240.

[5] - الشريف محمد بن عبد الله ، يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله ، أن اسمه الحقيقي هو إبراهيم بن أبي فارس، وبعد مبايعته سلطانا على ورقلة، أصبح يعرف باسم الشريف لإخفاء إسمه الحقيقي على السلطات الفرنسية وإضفاء للطابع الديني على حركته ، كوسيلة للتجنيد وقد ساعده في ذلك عودته من الحجاز، شملت حركت معظم الجنوب الشرق مابين (1842-1895م) ، أما وفاته فكانت سنة 1895م،كانت في تونس حيث دفن بقرية " دوز" ولاية

وكانت فرنسا لا تتوقف عن كيل الإتهامات تلو الأخرى للحركة السنوسية مُحملة إياها كل الأزمات والثورات التي كانت تحدث في الجزائر أو تونس ،كما حدث مثلا عند مقتل أعضاء بعثة "فلاترز Flaters" الإستكشافية في صحراء الجزائر في(أفريل 1881م)[2].

أما ثورة "الشريف محمد بن عبد الله "في الصحراء الجزائرية فقد كانت دليلا واضحا على نضج الحركة السنوسية ومدى وعيها وإستيعابها للدور الحقيقي الذي ينبغي أن تقوم به ضد الإستعمار الذي جاس خلال الديار في البلاد المغاربية بشكل خاص ، فكان إلتقاء "الشريف محمد بن عبد الله "بالسيد "محمد بن علي السنوسي" بالحجاز وإتفاقهما على تفعيل نشاط المقاومة في الجزائر، تدشين لسلسلة من الأنشطة تواصلت حلقاتها بعد ذلك ، وإنطلاقا من مكة المكرمة أخذ كل من "محمد بن علي السنوسي" و"محمد بن عبد الله" يلتقيان ويخططان في سبيل إيجاد الوسائل الكفيلة بإخراج الجزائر وتحريرها من الإستعمار الذي طغي فيها ، ولم يترددا في مراسلة رفقائهما وأصدقائهما في الجزائر وتونس وطرابلس مع تتبع لأخبار الجزائر بصفة منتظمة، وكانا أحيانا يرسلان مبعوثين خاصين عنهما لنشر مبادئ طريقتهما ظاهرا وبث أفكارهما السياسية الثورية باطنا، وذلك بتحريض الناس على مقاومة السيطرة الاستعمارية الفرنسية[3].

ويجدر بالذكر أن "الشريف محمد بن عبد الله" إستقر به المقام في زاوية الرويسات[4]،وبقي طوال عام (1850-1851م) يراقب الوضع عن كثب،وفي شهر فيفري فكر جديا في القيام بأول تجربة ثورية في مواجهة الإحتلال الفرنسي، وفيما كان "محمد بن علي السنوسي" قد عاد من الحجاز وإستقر به المقام في برقة بليبيا،وأخذ يراسله من هناك من أجل إيجاد جبهة تؤازره وتؤيده في العمل الذي يعتزم القيام بهوكان من ضمن الذين راسلهم ابن السنوسي زعيم قبيلة المخادمة "عبد الله بن خالد" الذي طلب منه أن يقف إلى جانب "محمد بن عبد الله"

قبلي حاليا،أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية (ج1)،مرجع سابق ،صص 355-357. وكذلك ، دحدي سعود، **"ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الإستعماري الفرنسي (1842-1895)"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية**، إصدار معهد العلوم الإجتماعية والإنسانية ، المركز الجامعي بالوادي ،(ع 01)، جوان 2010،ص 145.

[1] - علي محمد محمد الصلابي ،الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، دار التوزيع والنشر ، القاهرة،2005،ص45.

[2] - بعثة فلاترز(Mission Flatters) بتخطيط من جول فيري أحد مهندسي السياسة الإستعمارية الفرنسية ، ظهر مشروع لربط المستعمرات الإفريقية ما وراء الصحراء (السنغال والسودان) بفرنسا مرورا بالجزائر ، فجاء إقتراح إنشاء سكة حديدية لربط الإقليمين ، مما دفع إلى إرسال فرقة لإكتشاف الصحراء بقيادة الضابط فلاترز، والتي تعرضت لهجوم بتاريخ 10 مارس 1881م ، من طرف المقاومين الجزائريين ، أدى إلى القضاء على معظم أفرادها. للمزيد أنظر : Deuxiéme Mission Flatters – Historique et Rapport , Adolf Jourdan ,Alger, 1882. M,Bernard,

[3] - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها ،م و ك ، الجزائر ، 1983،ص116.

[4] - تقع جنوب مدينة ورقلة، عبارة عن تجمع سكاني، وسط واحة من النخيل، تعد مركزا دينيا وثقافيا هاما بالمنطقة ، وتحتوي على العديد من الزوايا التي لعبت دورا هاما في المقاومة ضد الإحتلال ، أنظر : تلمساني بن يوسف ، دراسة وصفية إجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقري فرنسي، مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف ابن عبد الله ،جمعية 27 فبراير، وقلة ،1998، ص111.

ويعضده في عمله الثوري،هكذا وبفضل جهود "عبد الله بن خالد"ورسائل السنوسي إستجاب الناس للعمل وتجندوا تحت لواء "محمد بن عبد الله" الذي سرعان ما إتسع نفوذه وإنتشرت سمعته[1]

ويتأكد وجود هذا التنسيق على الأقل في مستواه العسكري ف:" **إن الحركة السنوسية كانت وراء عدد من الإنتفاضات في جنوب الجزائر،وخاصة بالنسبة لثورة "محمد بن عبد الله" وثورة "الشيخ آمود" في بلاد التوارق، وقد نشطت السنوسية في الوقت الذي بدأ العياء يصيب الطرائق الأخرى كالقادرية و الرحمانية و الدرقاوية ونقصد هنا العياء المادي والفكري ،أما العياء المادي فكان من أثر إستيلاء الفرنسيين على مقدرات البلاد ومن بينها الأوقاف التي كانت المورد الرئيسي للدين والتعليم والأفعال الخيرية،وأما العياء الفكري فإن الطرائق لجأت إلى أسرارها وغموضها بعد الهزائم العسكرية التي منيت بها،وقد أدخلت أدعية وطقوسا ليست من الدين في شيئ وإنما فرضتها التحولات التاريخية،بينما كانت السنوسية طريقة حديثة العهد متجددة التعاليم،سُنية المنطلق والهدف**"[2]. وهذا التجديد والقدرة على التأقلم هو ما منح الطريقة السنوسية إمكانية التغلغل في الجزائر لاسيما جنوبها بسرعة وبسهولة تامة.

ومعروف أيضا أن الشيخ "محمد بن علي السنوسي" و أثناء وجوده بمكة، كان قد وصل إليها الجاسوس الفرنسي "ليون روش"[3]رفقة بعض المغترين به من رجال التصوف الجزائريين. وطلب "روش" من علماء مكة آنذاك موافقته على نص فتوى جاء بها تدعو إلى تحريم الجهاد ضد الفرنسيين في الجزائر،وقد ذكر "ليون روش" في كتابه (إثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام) ، أن "محمد بن علي السنوسي" كان الرجل الوحيد الذي عارض الفتوى لأنها تدعو الجزائريين إلى وقف الجهاد ضد الفرنسيين وأنه كان على علم مسبق بكونه رجلا متعصبا وشديد التأثير على الآخرين[4].

وقد أثبتت الأحداث التاريخية التي عرفتها الجزائر إلى غاية ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962م)مدى أهمية ليبيا بالنسبة للجزائريين ويكفي أن نشير إلى إتصال الطوارق الجزائريين بأهالي فزان عند تصديهم للتوسع الفرنسي بالصحراء وإلى تفضيل "محمد بن علي السنوسي المهاجري المستغانمي" نفسه المرابطة في طرابلس الغرب

---

[1] - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى ...، مرجع سابق ، ص118.

[2] - أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية (ج1)،مرجع سابق ،ص 174.

[3] - ولد ليون روش (حاج عمر) في غرونبل(فرنسا)، في 27 سبتمبر 1809م، ودرس في مدارسها، ثم في مدارس طولون شارك والده في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، تعلم اللغةالعربية على الشيخ عبد الرزاق بن بسيط، تولى الترجمة في الإدارة الفرنسية في الجزائروأثناء الهدنة بين الأمير عبد القادر وفرنسا طبقا لمعاهدة تافنة (1837م)،إلتحق بخدمة الأمير عبد القادر في نوفمبر 1837من ولازمه في كل حروبه الداخلية وتنقلاته وإجتماعاته وفي سنة 1839م هرب منعنده وأعلن أنه لم يكن مسلما، بل مجرد جاسوس في خدمة الجنرال بيجو،وبأمره أصدر مع التجاني فتوى بتحريم الجهاد وأخذها للحرمين لإقناع العلماء بها،وقد تقلد روش عدة مناصب سامية منها قنصل فرنسا بتونس سنة 1855، أنظر : ليون روش، إثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام- مذكرات ليون روش عن رحلته الحجازية،(تر) محمد خير محمود البقاعي،جداول للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان،2011 ،ص ص 12-16.وكذلك أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي..، مرجع سابق ،صص322-323.

[4] - Léon Roches,Trente- Deux ans a Travers l'Islam (b 1832-1864),(T2),librairie deFirmin-Didot et cie,Paris,1885,p130.

لتأسيس الطريقة السنوسية على العودة للجزائر والتسليم بالإحتلال الفرنسي لها،وفي هذا النطاق أيضا نجد أن "محي الدين بن الأمير عبد القادر" كما سبق ذكره قد أتخذ من طرابلس معبرا له نحو الجزائر عندما فكر في الثورة على الفرنسيين،وطريقا توصله إلى أتباعه بجهات نفزاوة والجريد و منطقة سوف ليثير القلاقل و الإضطراب في أوساط الإدارة الفرنسية،كما أن المجاهد المعروف ب"ابن ناصر بن شهرة" فضل هو الأخر الكفاح بجانب إخوانه الليبين ضد الغزو الايطالي بعد عودته من الشام، وقد سقط شهيدا بناحية طرابلس الغرب سنة(1912م) مع جمع من رفاقه الليبين[1].

هذا وقد تأثر الجنوب الجزائري بشكل واضح لاسيما منطقة الهقار بما حدث في طرابلس الغرب منذ (1911م)،حيث" إنتشرت أفكار الجامعة الاسلامية،كما بشرت بها السنوسية،إلى المناطق المجاورة بما في ذلك الهقار.ومع نداء الثورة من الشمال،حيث كان الجزائريون على ساحل البحر الأبيض المتوسط(...)ومن الشرق حيث كان الليبيون بقيادة السنوسية في حالة ثورة أيضا وأعلنوا الجهاد ضد فرنسا.[2]

وقد بدأ سخط الهقاريين سنة(1915م)وفي(فيفري 1916م)، أعلن الزعيمان "أحمد سلطان" و"الشيخ عبد السلام" الجهاد رسميا ضد فرنسا،وفي مارس من نفس العام بعث الهقاريون حملة ضد جانيت وحاصروها،وبذلك إضطر المعسكر الفرنسي وفي المدينة إلى مغادرتها (...) وشيئا فشيئا إنتشرت أخبار الثورة والإنتصار نحو الشمال،حيث إنفجرت في نوفمبر من نفس العام ثورة الأوراس.

ويتفق الكتاب الفرنسيون على أن سنة (1916 م)كانت حرجة ليس في الجزائر القريبة من البحر المتوسط فقط بل في الجزائر الصحراوية أيضا[3]،ومن خلال هذه الأحداث والوقائع يتضح لنا أن كثيرا من الجزائريين إعتبروا الإحتلال الإيطالي لليبيا بمثابة فصم للصلات الحضارية وقطع للروابط الثقافية مع بلاد المشرق وإحكام للستار الحديدي الذي ضربته فرنسا حولهم، لتحول دونهم ودون الإتصال بأشقائهم في البلدان العربية الأخرى.

وهكذا تحرك الجزائريون عبر العديد من الجبهات وبإستخدام كل الوسائل المتاحة لدعم الجهاد الطرابلسي وكانت نخبة من الجزائريين تتصدر هذا النشاط بين حامل للسيف والبندقية وحامل للقلم، وفيما يلي سنتعرض لأبرز أشكال هذا الدعم ورجالاته في الجزائر وخارجها

[1] - يحي بوعزيز،"وثائق عن محي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة "1871،مجلة **الأصالة**،الجزائر ،ع38، 1976،ص28.
[2] - سعد الله ،الحركة الوطنية (ج2)، مرجع سابق،ص232.
[3] - نفسه،ص232.

1– أ : النشاط الصحفي والأدبي لدعم الجهاد الطرابلسي:

منذ بداية الإحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب ،شنت الصحافة الجزائرية ذات التوجه العربي الإسلامي حملة إعلامية واسعة ضد إيطاليا الإستعمارية ، في محاولة للكشف عن فضاعة جرائمها وللتنديد بما سمته بالمؤامرة الهادفة إلى تفتيت العالم الإسلامي والقضاء على دولة الخلافة وتصفية أملاكها ، و قد كانت الأزمة الطرابلسية بحق من أكثر الأحداث التي شدت إليها الرأي العام الجزائري نخبة وعامة فقد كان كثير من "**الجزائريين يتجمعون حول نقاط بيع الصحف ملتفين ببرانسهم وعمائمهم ،ينظرون في الجرائد إلى الصور التي تبين إنتصار العثمانيين على الإيطاليين ،ثم يعلقون على الأخبار ويرجعون إلى منازلهم مفعمين بالرضا والفرح...**"[1]وفي ذلك دليل على ما كانت تلعبه الصحافة المكتوبة من دورهام في إيصال الأخبار المتعلقة بما يحدث خارج الجزائر المتتبعين بشغف لقضايا أشقائهم في العالمين العربي والإسلامي .

ويعد "عمر بن قدور" من أكثر الصحفيين الجزائريين الذي أولوا إهتماما كبيرا بقضية طرابلس ،فقد عالج هذه المأساة شعرا ونثرا،مبرزا ريادته في تلك الكتابات المتعلقة بالعالم الإسلامي وقضاياه وقد كانت كتاباته تلك تُعبر عن حمية قوية، وتعبير صادق عما شعر به من يأس وهو يرى مجاهدي طرابلس آخر الأمر يواجهون المحنة فرادى بعد أن تخلت عنهم الزعامات والقيادات التي إستمرأت الصلح مع إيطاليا، فقد عالج "عمر بن قدور" هذه المأساة في جريدة واحدة هي جريدة "الحضارة"[2] في الأستانة بالمقالات والقصائد التالية:

- "نبذة عن طرابلس الغرب"، العدد78، السنة الثانية ،8تشرين أول 1911.
- "بني الطليان" ،شعر،العدد55، السنة الثانية، 23 تشرين الأول 1911.
- "الغليان السياسي" ،العدد 103، السنة الثالثة، 28مارس 1912.
- "الأسوة الحسنة في حرب طرابلس الغرب" ، شعر،العدد131، السنة الثالثة ، 10 تشرين أول 1912.
- "ليتقوا الله في طرابلس"، العدد132، السنة الثالثة 17 تشرين اول 1912[3].

وهي مقالات وقصائد متعددة تبرز كما سبق الإشادة به ، تفوق "عمر بن قدور" في هذا النوع من الأدب والكتابة الصحفية المرتبطة بقضايا التضامن العربي الإسلامي.

---

[1] - سعد الله ، الحركة الوطنية ، المرجع السابق،ص122.

[2] - جريدة أصدرها عبد الحميد الزهراوي بمساعدة شاكر الحنبلي في الأستانة،وفي سنة 1910 إستقل بها لوحده،وهي جريدة إصلاحية وسياسية رافضة لسيطرة الاتحاديين وساخطة على الانحطاط الذي أصاب العالم الإسلامي ،أنظر :محمد راتب الحلاق،عبد الحميد الزهراوي،دراسة في فكره السياسي والاجتماعي،إتحاد الكتاب العرب ،دمشق،1990،ص74.

[3] - أنظر نص المقال كاملا في : صالح خرفي ،الجزائر والأصالة الثورية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1977 ،ص127-129.

فقد وصف لنا في إحدى مقالاته التي نشرها في جريدة "الحضارة" تحت عنوان (نبذة عن طرابلس الغرب- يا غارة الله عانيت فانتهكي) ، كيف وقع خبر الإحتلال الإيطالي لطرابلس على نفسه وعلى الجزائريين فوصفه قائلا:"**في هذا المساء ،وهو مساء الثاني من عيد الفطر فاجأنا بينما كنا نعايد الأصدقاء والأحباب ،نبأ عظيم إهتزت له قلوب المسلمين،فوقع على أسماعهم كالصاعقة المحرقة،فماجوا له فزعا ووجلا،ذلك النبأ خبر ذهاب الأسطول الإيطالي إلى طرابلس الغرب،يحمل القوة الإحتلالية ،لنزع تلك الدرة الثمينة من تاج الخلافة الإسلامية،تمردا وتجاوزا وإخلالا بالراحة العامة وتعكيرا لكأس السلام، وأزداد عجب الناس ونما في أذهانهم نموا كبيرا، من جراء تظاهر إيطاليا، بأنها لا تعتبر إمتلاك طرابلس إعلانا للحرب، بل تتعنت بأنها ستعلن الحرب على الدولة العلية، إذا تجاوزت هذه على النزلاء الإيطاليين المنبثين في أملاكها.**

إلا أن إستعداد حامية طرابلس للدفاع عن هذه القطعة العثمانية وصدور الأمر من الأستانة بضرب الإيطاليين إذا لاصقوا الثغور، قد أدخل على الأفكار هنا نوعا من الهدوء والاطمئنان، والرجاء في الله العظيم في السر و الإعلان"[1]

إن هاته الهجمة في رأي "بن قدور" تأكيد إضافي على أطماع الحركة الاستعمارية الأوروبية في البلاد العربية و الإسلامية القائمة على الإحتلال ونشر التفرقة والفتن بين المسلمين فأضاف قائلا :" **وتنصب الدسائس على بلاد العرب وتروج فيها الأكاذيب الأجنبية وتقوم فيها الفتن في كل ناحية وتنتهك حرمات بيضة الإسلام ويزدري بها أهلها ويتبرأ منها ذووها،هناك يود كل واحد لو أن رأسه حُز عن نخيل واحة طرابلس الغرب وبرقة دون أن يعايش هذا المصاب الجلل ولعذاب الآخرة أكبر، فليتق الله أرباب الأمر في طرابلس الغرب وبرقة إن كانوا يعقلون.**"[2]

ولم تخل كتابات "بن قدور" من تحليل إستراتيجي لأبعاد الحملة الإيطالية والقدرة على توسيع دائرة الأحداث وربطها بمجالات جغرافية أوسع من طرابلس نفسها بل و الإستناد إلى وقائع تاريخية مترابطة لتفسير الأحداث ، مما يؤكد حِرفية ابن قدور في العمل الصحفي حيث يقول :"**وهناك مسألة طرابلس الغرب،تريد إيطاليا أن تثير عليها صحفها وأن تستعد لإمتلاكها،ماشاء الله كان،لو تسمح أوروبا لإيطالية أن تمتلك هذه القطعة العثمانية**

[1] - صالح خرفي،عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية،مجلة الحياة الثقافية،ع32(عدد خاص بالجزائر)،تونس ،1984،ص43، نقلا عن بن قدور،نبذة عن طرابلس الغرب،الحضارة ،ع15،78 أكتوبر1911.

[2] - صالح خرفي،عمر بن قدور الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1984،ص107.

وتمخر بزاخرها الحربية إلى ثغورها ،فمن أي طريق المدافعة عنها والبحر مرصوص بالمنشآت الإيطالية،أليس مصر هي الطريق الوحيد ولكنها أوكلت."[1]

ولم ينس "بن قدور" أن يحذر الدولة العثمانية من تهاونها في الدفاع عن ممتلكاتها في طرابلس الغرب وما سيكون لذلك الإحتلال إن وقع من نتائج وخيمة فقال محذرا :"**وإن خذلتم طرابلس الغرب ،تيقنوا أن لا بقاء لسيادتكم على العالم الإسلامي إلا قليلا."**[2]

ولكن تحذيرات "عمر بن قدور" لم تلق أي صدى فهاهي الدولة العثمانية توقع معاهدة لوزان[3] سنة (1912م) التي تنازلت بموجبها عن ممتلكاتها في طرابلس مما ولد لدى بن قدور الكثير من الحزن والأسى و يعبر عن تعجبه من سرعة إستسلام البعض ، لا سيما من المثقفين في دعم الجهاد في طرابلس ، رغم أن المعركة مازالت في بدايتها فقط، في وقت يعبر فيه الكثير من المسلمين عن تضامنهم معها و إستعدادهم للجهاد في طرابلس فيقول :"**إن الحرب لم تزل في هيأتها وكيفيتها الإبتدائية، فلم يُنقل القتال من سواحل اليم قط فلماذا سكنت يا ترى تلك الحركة القلمية والفكرية والشعرية والحماسية والإجتماعية والعلمية التي كانت تجول كلما جال الليوث المجاهدون في ديار الحرب،كأني أرى الإنسان مجبول على الملل، والشرقيين من دون الخلق يسأمون كثيرا من المثابرة على نسق واحد ،ولولا مثابرة مجاهدي طرابلس الغرب لقلنا سلام على الشرق والشرقيين إلى الأبد."**[4]

---

[1] -عمر بن قدور ،"مصيبة تركيا في عدم الإعتبار" ،**الفاروق**،(ع11) ، السنة الأولى، الجمعة 25 جمادى 1331 هـ /09ماي1913. ونشرها أيضا في جريدة **الحضارة** قبل ذلك.

[2] -عمر بن قدور ،**الفاروق** ،(ع 12)،16 ماي1913.

[3] - معاهدة أوشي أو معاهدة لوزان الأولى، هي معاهدة وقعت بين مملكة إيطاليا والسلطنة العثمانية وتم توقيعها إثر الحرب التركية - الإيطالية -1911 -1912،عقدت في قلعة أوشي ، في أوشي إحدى ضواحي لوزان (بسويسرا في 22 شوال 1330هـ الموافق 3 أكتوبر .1912 بموجبها انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا، كما حصلت على امتيازات في ليبيا، وتركت أهلها وحدهم وجهًا لوجه أمام الإيطاليين.

وجهت إيطاليا إنذارا مدته ثلاثة أيّام للأتراك لقبول المقترح الإيطالي للمعاهدة. وبعد مفاوضات وقعت المعاهدة في 18 أكتوبر .1912 ووقعها من الجانب العثماني محمد نبيه بك ورمبولغيون فخر الدين بك ومن الجانب الإيطالي بييترو بورتيليني، جيودو فوسيناتو وجوزيبي فولبي.

ومن بنودها أن يلتزم السّلطان التّركي بمنح الاستقلال الذّاتي لطرابلس وبرقة، وموافقة الحكومة الإيطالية أن يعين السّلطان العثماني القضاة في برقة وطرابلس، وسحب جميع الجنود والضّباط والموظفين من طرابلس وبرقة. أنظر : محمد عبد الكريم الوافي , الطريق إلى لوزان , الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الايطالي لليبيا ,(ط2)، منشورات جامعة قاريونس , ليبيا , 1409 هـ – 1988 م ،ص10-15.

[4] - عمر بن قدور،"ليتقوا الله في طرابلس"،**الحضارة**،(ع132) ، السنة الثالثة ،17 أكتوبر1912،نقلاعن، صالح خرفي ،عمر بن قدور الجزائري،م و ك، الجزائر ،1984،ص ص 103-107.

ورأى "بن قدور" أن في توقيع الدولة العثمانية للصلح مع إيطاليا مظهر ضعف و إستكانة نتج عنها الكثير من المذلة للدولة العثمانية والعالم الإسلامي فإن هذا الصلح في رأيه:"**عار وإمضاؤه بوار ونتيجة إنذعار وحاصله وبال وإنحدار وكيف لا،والعدو لم يتمكن من شبر خارج منطقة حماية أسطوله.**"[1]

ولاشك أن نصيحة "بن قدور" تأخذ عمقها من تجربة الجزائريين مع الإحتلال الفرنسي الذي يلجأ إلى الدسائس والحيل لنيل مبتغاه وتحقيق أطماعه ، فالجزائريون عايشوا الإستعمار الأوروبي منذ أمد طويل وأدركوا أساليب خداعه المختلفة وكيف يجب على الطبقة المستنيرة داخل المجتمع أن تكون في الطليعة لمقاومة هذا الحكم الأجنبي، فيقول :"**وإن هذه لنصيحة من مارس الحكم الأجنبي،فالمرجو من المفكرين الذين يأبون الحكم الأجنبي أن يؤيدوها بإثارة نصائحهم قبل أن يتسع الخرق على الراقع ومن عليهم السلام.**"[2]

و لم يتوقف "بن قدور" عن متابعة ما يحدث في طرابلس الغرب وبقي وفيا لخطه الصحفي المؤيد للدولة والخلافة العثمانية والداعي لدعم المجاهدين في طرابلس ماديا ومعنويا ، فكان ينقل أخبار الحرب الدائرة بين الإيطاليين و الليبين ويقوم بنشرها في "جريدة الفاروق" في عمود الحوادث الخارجية تحت عنوان "طرابلس الطرابلسيين" ومما كان ينشره في ذلك خطب الزعماء الليبين الحماسية مثل خطبة "الشيخ أبوبكر" أحد زعماء السنوسيين الذي ألقى خطابا حماسيا[3] أمام الليبيين حاول من خلاله تعبئة الجماهير ضد الإحتلال ،وكذلك الإنتصارات التي كان يحققها المجاهدون الليبيون ضد الجيش الايطالي .[4] والتي أبدى بن قدور إعجابا كبيرا بها كما يظهر بوضوح في قصيدته له نشرتها جريدة "الحضارة" وأعاد نشرها في الفاروق ومما جاء فيها:

رعى الله قومـــــا في طرابلس الغرب **** تبين فضل الشـــرق من على الغرب
رجال أبوا أن يضمحلوا فخارهـــــم **** أمام العدو والفهـــــم في طلب النهب
فأصلوه نار القهر درءا لبغيـــــــــه **** وأبدوا مزايا الحـــزم والعزم عـــن قلب
وصانوا دمار الشرق، والشرق مشرف**** على حيرة، تفضي إلى الموقف الصعب
على إثر يأس، فت في ساعد المـــنى **** لقد أطلعوا الأمال، تلمع كالشهب
فهم معشر، أرضوا الآله وحبهـــــم **** مزية رفع الذل عن عاتق الشعب[5]

[1] - عمر بن قدور،"ليتقوا الله في طرابلس"، المصدر السابق .
[2] - المصدرنفسه.
[3] - **الفاروق** ،ع01، بتاريخ 28 فيفري 1913.ص3.
[4] - **الفاروق** ،ع20، بتاريخ 14مارس 1913،ص2.
[5] - عمر بن قدور ، "فتاة طرابلس الغرب "،**الفاروق** ،عدد 13،16جوان1913، نقلا عن صالح خرفي،عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية،**مجلة الحياة الثقافية**،ع32،(عدد خاص بالجزائر)،تونس ،1984،ص46.

كما أشاد "بن قدور" ببطولات العديد من المجاهدين أبرزهم "سليمان باشا الباروني" الذي إلتقاه عند زيارته للجزائر سنة(1914م) عندما كان يريد زيارة ضريح الشيخ"أطفيش" في وادي ميزاب وقد إلتقيا في العاصمة فوصفه قائلا :"أدركت عندها ما تضمه ضلع الأستاذ "سليمان بك الباروني" من الغيرة الإسلامية والنعرة العربية وما يحويه من الهمة العالية والنخوة الوطنية.

أما الشيخ "محمد الخضر حسين" وهو من رجالات النخبة الجزائرية الموجودة خارجها فقد كثف بدوره من نشاطاته الداعمة للطرابلسيين و سعى لتحريك الدعم لهم بمختلف أشكاله نحو قضيتهم ، ورغم أنه لم يكن منخرطا في أي تشكيل حزبي حينها، فإنه بنزعته العربية الإسلامية وما يجيش في نفسه من حب للحرية وتعلق بها ، فهب هو الأخر يساندهم بشتى الطرق، وله في ذلك قصيدة مطولة نشرها بصحف تونسية ، من خلالها حث المواطنين التونسيين على مساندة الجهاد الليبي ، بل ودعاهم هم بدورهم إلى القيام بعمل مماثل في بلادهم، ومطلع القصيدة كاف للدلالة على هذه الأفكار إذ يقول فيه :

ردوا على مجدنا الذكر الذي ذهبا **** يكفي مضاجعنا نوم دهـــا حقبا[1]

ولا تعود إلى شعب مجادتـــــــه **** إلا إذا غامرت هاماته الشهبـــــا

حياكم الله قومي إن خيلكـــم **** قد ضمرت والسباق اليوم قد وجبا

وفي هذه الساحات القلمية يبرز "الشيخ عبد العزيز الثعالبي" الذي سخر قلمه ولسانه لشد أزر المجاهدين الليبيين من خلال الدعوة للجهاد وجمع التبرعات والأدوية وتسخير صفحات جريدة "الإتحاد الإسلامي" لدعم إخوانهم في الدين ماديا ومعنويا. حتى ذهب أحد الباحثين إلى أن أحداث الغزو الايطالي وما ترتب عنها من نتائج كارثية قد ساهم في (تطرف) الثعالبي في نقده للإدارة الإستعمارية وإزدياد تمسكه بالدعوة للوحدة الإسلامية[2]. وهو شعور طبيعي في ظل حالة التمزق والضعف الذي أصبح يميز العالم الإسلامي ، مقابل وحدة وصلابة الموجة الإستعمارية التي تستهدفه خاصة الجناح العربي منه، ولذلك فإن شعار " الإتحاد أو الوحدة " كان الشعار المتفق عليه لدى النخبة بمختلف توجهاتها، وقد كان الثعالبي يقول للناس الذين يقدمون له التبرعات لأهل طرابلس تأكيدا على وحدة المصير التي يؤمن بها ويدعو لها:"**إذا تمكن أبناء شعبنا في ليبيا من أن يحققوا إستقلال بلدهم، فهذا حتما سيؤدي حتما إلى إستقلالنا هنا في تونس، لأن حرية أي قطر من وطننا الكبير هي دعم للنضال من أجل تحرير أقطار وطننا الأخرى. وهذا شيئ يدركه الأجانب جيدا**"[3]، وبذلك فهو لا يرى في الإنتصار في جزء

[1] - علي الرضا الحسيني، صفحات من سيرة الإمام محمد الخضر حسين وأخويه زين العابدين ومحمد المكي، الدار الحسينة للكتاب، ص78-79.
[2] - مناصرية يوسف، الحزب الدستوري... ، مرجع سابق، ص ص 95-96.
[3] - بوذينة محمد ، عبد العزيز الثعالبي 1897- 1944، الشركة الوطنية للنشر وفنون الرسم، تونس، 1995،ص6.

من البلاد العربية المحتلة إلا إنتصارا في معركة ستتلوها معارك في بقية الجبهات العربية الأخرى للوصول إلى النصر الكامل.

ورغم إعتقاله في (13 مارس 1912م) رفقة "علي باش حامبه" و"محمد نعمان" و "حسن قلاتي" بسبب دوره البارز في إضراب ومقاطعة الترمواي بعد حادثة (8 فيفري 1912م) الذي أودى بحياة طفل تونسي صدمته عربة ترمواي كان يقودها إيطالي، ونفيه إلى مرسيليا فإنه بقي على إتصال وثيق بما كان يجري في ساحة الحرب،وبأمور الإمدادات و الإعانة من خلال إقامة لجنة للتمويل في مرسيليا يشرف عليها أجانب موالون ومؤيدون للقضية الإسلامية كما إستغل صداقته مع الصحفي الفرنسي "Clorat" في تغطية وقائع الحرب الطرابلسية[1].

ولا عجب إذا وجدنا الثعالبي يرمي بثقله في أحداث طرابلس الغرب في(29 سبتمبر 1911م) فهو من أبرز أنصار الخلافة الإسلامية وحاملي فكرة العمل على إعادة بناءها. ولذلك سخر قلمه ولسانه وكل طاقاته للدفاع ضد الغزو الإيطالي وشد أزر المقاومة الطرابلسية و التعاون مع القادة العثمانيين .

ومما كتبه على صفحات " الإتحاد الإسلامي" و في إفتتاحية أحد أعداد هذه الجريدة بتاريخ (23 أكتوبر 1911م) متحدثا عن الغزو الإيطالي الفاشي لليبيا وكاشفا نوايا التحالف الأوروبي في هذه القضية يقول :"**إستفز هذا الإعتداء الوحشي غضب المسلمين، و اعتقدوا أن إيطاليا ليس في مقدورها أن تقدم على إرتكاب هذه الفعلة الشنعاء،وتطوح بنفسها من مهامها الخطرة بدون أن تكون قد إتفقت مع بعض دول أوروبا.هذا إن لم نقل أنها متواطئة معهن على ذلك من قبل ، فساءت ظنونهم بالمدنية التي كان الأوروبيون يشمخون بها على أمم الشرق.**

وهم (أي المسلمون) ولئن كان أكثرهم لا يملكون لأنفسهم قوة ولا دفعا، فإنهم على كل حال يملكون قلوبا يستطيعون توجيهها حيثما تتوجه مصالح الإسلام، فعلى الدول العاملة على إمتلاك تلك القلوب أن تنتهز هذه الفرصة، وتسجل ببذل يد مساعدتها للدولة العلية لأن مساعدتها اليوم ستكون دينا في رقبة كل مسلم يضاعفه عند الوفاء.

هذا ما يجب أن تفهمه فرنسا إذا كانت تريد أن تتخذ لها أسلوبا جديدا في سياستها الإسلامية تمتلك بها القلوب. ويجب أيضا على ساسة أوروبا أن يعلموا أن المسلمين الذين رضوا بفقدان إستقلالهم ودخولهم تحت وصاية الدول الأجنبية ،لا يرضون، ولن يرضوا أبدا أن يهضم جانب دولة الخلافة الإسلامية"[2].

---

[1] - بن ميلاد أحمد و محمد مسعود إدريس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1892- 1940،(ج1)،بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ،1991 ، ص ص 143-144.

[2] - علي الشابي وأخرون ، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتجديد الفكر الديني، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، تونس،ص52-53

ونلمس في نفس العدد نقدا للسياسة الفرنسية ، وتحالف فرنسا مع إيطاليا كما نقرأ تنديدا بالتعصب اللاتيني المسيحي(فرنسا-إيطاليا)، ولكن الثعالبي يتفطن إلى خطر التطرف والتعصب وخطر الفتنة ضد الجاليات الأجنبية فيبادر منبها لهذا الخطر وخصوصا بعد وصول أخبار إنتصار المجاهدين الليبيين في بعض المعارك، فقد كتب تحت عنوان (عيد الفوز الأكبر) يقول:" **إذن فليفرح المسلمون فرحا عميقا وليحي بعضهم بعضا تحية الفوز الكبر بشرط أن لايقرنوا فرحهم بالثرثرة والإساءة إلى الجالية التي بينهم من الإيطاليين، ولو جاهروهم بها فما هم إلا ضيوف، ونحن معشر المسلمين قوم عرفنا بقرى الضيف وإكرام مثوى النزيل ولوكا ن مسيئا**"[1].

وبذلك يبين" الثعالبي" عن مستوى عال من التفهم لسياسة الدول الأوروبية تجاه العالم الإسلامي أو من يصفهم أحيانا بالشرقيين ، وأن هذا المخطط لا يمكن أن يتم دون وجود تعاون وتقاسم للأدوار بين هذه القوى الإستعمارية ومن هنا تنشأ ضرورة الإتحاد وأهمية الدفاع عن الدولة العلية، ولكنه يفرق بوضوح بين الدول الإستعمارية وساستها وبين الرعايا الأجانب الموجودون في البلاد العربية وما يستوجبونه من الإحترام وكرم الضيافة وفقا للأعراف العربية والإسلامية وأن لا يُأخذوا بجريرة ساستهم.

ولم تتأخر شخصيات جزائرية أخرى في إعلان دعمها للأشقاء الليبيين، فقام "محمد بن يوسف أطفيش" بحملة واسعة لجمع التبرعات ودعا إلى مساندة المجاهدين[2] ، وعارض بشكل مطلق تدخل الأجانب في حياة المسلمين،فيما قام "الشيخ الهاشمي الشريف" شيخ الزاوية القادرية بسوف بإصدار فتاوى ودعوات تدعم الجهاد في طرابلس، أما "الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي لعوامر السوفي"، فكتب قصيدة يحث فيها أهل طرابلس على مواصلة الجهاد والصمود.[3]

ويذكر "أحمد توفيق المدني" في مذكراته عن يوم الإعتداء الإيطالي على طرابلس ما فحواه : " **لا أزال أذكر ذلك اليوم الرهيب، وهو أسوأ يوم في حياتي دون ريب، وقلبي يلتهب، ودمي يفور، وأعصابي توشك أن تتحطم...**" **وأنه رغم صغر سنه فإنه قام بواجبه الجهادي:" كنت أحفظ عن ظهر قلب كل القصائد المثيرة التي تحملها إلينا مختلف الصحف الشرقية، وخاصة أشعار "معروف الرصافي"، العراقي ، التي كانت في**

---

[1] - علي الشابي وأخرون ، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، المرجع السابق،ص 54.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، "محمد بن يوسف أطفيش (القطب) حياته ودوره الثقافي "، ورقة ضمن أعمال الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديما وحديثا، منشورات جامعة آل البيت، 2002،ص228.

[3] - مياسي إبراهيم،" أضواء على معركة إيسين" ، **مجلة المصادر**، ع04 ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2001،ص155.

نفس الوقت مثيرة حماسية...وكنت لا أستنكف عن إرتياد الأسواق، والوقوف أمام المقاهي العربية الكثيرة، وأقول لهم :إسمعوا ما يقوله الرصافي الشاعر العظيم، عن جهاد المسلمين في طرابلس..."[1]

ويذكر أن خاله: "**كان على رأس هيئة تونسية تعمل على تهريب الضباط الأتراك والأسلحة التركية التي ترد إلى البلاد التونسية مهربة فتأخذ طريقها بأمانة ونظام من بنزرت إلى تونس، إلى صفاقس ، إلى حامة قابس، ومنها تأخذ طريق الصحراء على ظهور الإبل..."، كما يشير أنه حضر مأدبة عشاء مع مجموعة تتجاوز العشرة أشخاص، وكان من بين الحاضرين "فتحي بيك" القائد العام للجيش العثماني بطرابلس، وأن الأخير أضاف إلى كلمة توفيق بعد أن سأله عن إسمه.**[2]

وفي هذا السياق تشير إحدى الرسائل العلمية إلى أن الشيخ "بويراز "خال "أحمد توفيق المدني" كان على رأس هيئة تونسية تعمل على تهريب الضباط الأتراك من تونس إلى ولاية طرابلس الغرب ، إضافة إلى تزويد المجاهدين الطرابلسيين بالمؤونة والذخيرة بطرق سرية ، و"الشيخ بويراز" ينحدر من عائلة جزائرية استقر بعض أفرادها بالقسطنطينية، ف"الحبيب بويراز" الذي سجن قبيل ثورة(1908م) بجزيرة رودس حررته جمعية الشبان الأتراك ، وكان له ثلاثة أبناء منهم (العربي العطار) الذي يذكر أنه استشهد في طرابلس[3].

أما الجزائري "حسن قلاتي"[4] ، الموجود في تونس فقد أبدى نشاطا ملحوظا خلال الحرب التركية- الايطالية وكان له دورا بارزا وفعالا[5]، ففي إطار الإكتتاب السري بتونس لدعم الليبيين، حيث أرسل "حسن قلاتي" إلى أحد الأشخاص رسالة يخبره فيها عن تكوين لجنة لجمع التبرعات سرا، وقد وزعت مقتطعات الإكتتاب وجمعت بعض الإعانات[6].

وقد أزعجت نشاطاته الداعمة للجهاد الليبي السلطات الإستعمارية، الأمر الذي دفع وزارة الشؤون الخارجية الإيطالية للضغط على سلطة الحماية الفرنسية في تونس لوضع حد لتلك اللجنة. وقد كان من أبرز نتائج تلك

---

[1] - أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح مذكرات،(ج1) في تونس 1905- 1925 ،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1988،ص ص 36-40.

[2] - المصدر نفسه ،ص41.

[3] -Abdel Moula,Mahmoud,Jihad et colonialism –La Tunisie et la Tripolitaine de la guerre sainte à la guerre juste,ed,Tier-Monde,Tunis,1987,p89 .

[4] - حسن قلاتي بن علي بن أحمد الجزائري الأصل، من مواليد بوغار (قصر البخاري)،(1880-1960م)،هاجرت عائلته إلى تونس، كان والده مترجما رسميا ويتمتع بخبرة في الإدارة والتوثيق، تميز حسن بثقافة عالية وكان يحسن اللغتين الفرنسية واليونانية، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1898م، ليلتحق بكلية الحقوق في مدينة تولوز(فرنسا)،من المؤسسين الأوائل للحزب الدستوري، ولكنه إنشق عنه وأسس سنة 1921م حزب الإصلاح، إعتزل السياسة سنة 1928م بعد خسارته في انتخابات المجلس الكبير، إضطهدته السلطات الإستعمارية عدة مرات سجنا زنفيا كما حدث بعد حادثة الزلاج 1911م والترمواي 1912م حين نفي إلى الجزائر ، للمزيد أنظر : بوطيبي محمد ،دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930، دارالهدى للطباعة والنشروالتوزيع، عين مليلة، الجزائر،2012،صص 177-179.وكذلك : أحمد توفيق المدني المدني، حياة كفاح ...،(ج1)، المصدر السابق ،صص222-223..

[5] - الصادق الزمرلي ، أعلام تونسيون، مرجع سابق، ص335.

[6] - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ، مصدر سابق ،ص45.

الضغوطات أن أصدر الباي قرارا يقضي بإلقاء القبض على "حسن قلاتي" ، وعلى "علي باش حانبه" وإبعادهما إلى أماكن مختلفة.

ولم تتوقف الصحافة الجزائرية إلى غاية إستقلال ليبيا سنة (1951م) كما هو معروف في دعم القضية الطرابلسية والإشادة بجهاد الطرابلسيين وكشف المؤامرات والجرائم التي يتعرضون لها ، ويكفي العودة لصحف جمعية العلماء المسلمين مثلا وتتبع المقالات الكثيرة التي كتبها "الشيخ عبد الحميد بن باديس" ورفاقه حول هذ القضية ، تحت عناوين مثل :"طرابلس وفضائع الطليان"[1]،" سيد الشهداء ورأس الأبرار"[2]، " عمر المختار لم يكن ثائرا على حكومة شرعية"[3]وغيرها من العناوين والمقالات التي تبرز المتابعة الجدية للقضية.

1– ب :المساهمة في الجهاد العسكري والدعم الشعبي :

إقتنع الجزائريون بأن إحتلال طرابلس هو إستمرار لتلك الحملة الصليبية الأوروبية على العالم الإسلامي التي كانت الجزائر ضحيتها الأولى ، ومنه فلا غرابة أن يعتبر الجزائريون أن جهادهم الإحتلال الإيطالي في طرابلس هو إستمرار لجهادهم ضد الفرنسيين في الجزائر ودفاع عن الوجود العثماني في أخر ولاياتها في بلاد المغرب.

ولا شك أن الظروف التي صاحبت الإحتلال الإيطالي لطرابلس سنة (1911م) ، وكون الجزائر تقبع تحت الإحتلال الفرنسي، فإنك ذلك يصعب لكثير من الباحثين خاصة في الشق العسكري للموضوع، عملية إحصاء ومعرفة كل الجزائريين الذي إنخرطوا في الجهاد الليبي، بالنظر للآلاف الذين لبوا نداء الجهاد عشية الغزو الايطالي لطرابلس[4].

وحتى ما كتبه الأجانب عن الموضوع خاصة الفرنسيين منهم لا يقدم أرقاما وإحصائيات تعطي صورة صادقة عن مدى إستجابة الجزائريين لنداء الجهاد في طرابلس ولكن اللجوء إلى المقارنة بحالات تبدو أقل أهمية بالنسبة للجزائريين كحرب القرم أو حرب البلقان، وكيفية تجاوب الجزائريين معهما أو تتبع أعداد الجزائريين المهاجرين لا سيما في تونس مثلا[5]، تجعلنا شبه متأكدين من الهبة الكبيرة التي ميزت الجزائريين تجاه القضية الطرابلسية ، وهي قضية أقرب للجزائريين روحيا وجغرافيا، هذا من جهة ومن جهة أخرى لاشك أن من كان يقوم بذلك من الجزائريين سواء

---

[1] - أنظر: **الشهاب** ، (ج5) ، (م7)،غرة المحرم 1350 هـ /ماي 1931، ص 338.

[2] - أنظر: **الشهاب** ،(ج10)، (م7)،غرة جمادى الثانية، 1350هـ / أكتوبر 1931، ص ص 648-649.

[3] - أنظر: **الشهاب** ،(ج11)،(م7)،غرة رجب 1350 هـ / نوفمبر 1931،ص 691.

[4] - أبو القاسم سعد الله ، هموم حضارية ، مرجع سابق ، ص123.

[5] - قدر الوزير الأول التونسي خير الدين باشا الجالية الجزائرية ،الموجودة بتونس عام 1876 بحوالي (15000)نسمة ، بينما قدرها القنصل الفرنسي آنذاك ب (2500)نسمة ، مما يبرز صعوبة التدقيق ، للمزيد أنظر : مديني بشير ،الجالية الجزائرية في تونس : السوافة نموذجا (1876 -1954)،رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر،2005-2006،ص06.

من المجاهدين بأنفسهم أو من ممولي الجهاد الطرابلسي ، كانوا يفعلون ذلك بسرية تامة ، مما يصعب مهمة تتبعهم و الإحصاء الدقيق لنشاطهم.

لكن ما لا يمكن أن يساوره الشك هو أن العدوان الإيطالي على ليبيا قد خلق بكل تأكيد تضامنا عربيا إسلاميا كبيرا وأدى إلى مشاركة العديد من هذه الشعوب في هذا الجهاد الطرابلسي للإحتلال الإيطالي، ومن بينها متطوعون جزائريون في الجهاد إلى جانب الليبيين ودولة الخلافة الإسلامية .[1]

ولم تخلو أية مرحلة من مراحل المقاومة الليبية سواء على يد السنوسيين أو بقية رموز المقاومة التي سنأتي على ذكرها من وجود جزائريين ، جنودا وقادة في صفوفها ، تلك المقاومة التي لقيت الدعم المادي والأدبي لدعم حرب طرابلس من طرف الجزائريين ومن هؤلاء "أحمد توفيق المدني" الذي يقول :" **جمعت حولي بعض المتحمسين لي من أبناء المدرسة واعتقدت أني أقوم بواجبي في هذا الجهاد الوطني الإسلامي العظيم.**

لقد كان بارود المعارك الطاحنة التي يتكبد بها الإيطاليون الخسائر الجسيمة وينتصر فيها الإسلام على أعدائه،تنتشي به الجزائر وتزيد في يقظتها وجرأتها على الإستعمار،إنهم يستطيعون في فرنسا ما إستطاع إخوانهم في إيطاليا،وقد هزت الجزائر تلك الحروب وأرتها قوة المسلمين."[2]

ولم يقتصر إلتحاق الجزائريين للجهاد في طرابلس على جهة بعينها، بل وحتى من الجزائريين الموجود في بلاد المغرب والمشرق العربيين، يذكر أحد الباحثين الليبيين واصفا هذه الهبة الجزائرية:"**جاء من الجزائر المجاهد "مصطفى عوني الجزائري"،كما جاء الإخوة "محمد" و"موردي" و"علي بن حميدة بن خير" من ورغلة (ورقلة) في الجزائر، وقد كان "الأمير علي باشا الجزائري" وإبنه "عبد القادر" بصحبة عشرون جزائريا في طليعة الذين جاؤوا للجهاد في سبيل الله.**"[3]

وكان وادي ميزاب بالجنوب الجزائري يهتم كل الإهتمام بحروب طرابلس،إنه أقرب النواحي الجزائرية الناهضة إلى طرابلس،وكان يبعث إلى المجاهدين في طرابلس ما يجده من سلاح وما يستطيعه من مال،وكان يعُد حرب ليبيا واقعة في داره،وكان يتنطس أخبارها ويؤيد الإخوان في محنتهم وجهادهم،وكان الحاج "أمحمد يوسف أطفيش" رحمه الله يقرأ الصحف على ضيق وقته لكثرة أعماله كي يعرف أنباء حروب ليبيا والعثمانيين في البلقان،وكان في وسط دروسه لشدة إهتمامه بالعالم الإسلامي يتذكر حروب ليبيا و العثمانيين فيوقف الدرس ،فيرفع يديه ويأمر تلاميذه أن يفعلوا

---

[1] - حبيب وداعة الحسناوي، "المقاومة العربية المشتركة في ليبيا وتونس ضد الاستعمارين الايطالي والفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، **مجلة روافد**، ع4، 1998،ص164.

[2] - أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية 1897 – 1944،، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1984،ص11.

[3] - بالخير الهاشمي و محمد الهاني، الغزو الإيطالي وبداية المقاومة المسلحة، منشورات مركزجهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،ليبيا ، 1985، ص 73

فيتضرع لله أن ينصر المسلمين على أعدائهم المغيرين ولما جلا الليبيون عن بلادهم سيما (ورفلة)، فتح وادي ميزاب لهم ذراعيه فرحب بهم وواساهم وعرف لهم حقهم.[1]

وبالرغم من كون الجزائر كانت تحت حكم إستعماري عسكري قاس عشية الغزو الايطالي لليبيا فإن ذلك لم يحل دون تفكير الكثير من الجزائريين في حمل لواء الجهاد في طرابلس الغرب نصرة للأخ المسلم أو جمع التبرعات والمؤن لدعم الجهاد الليبي ،ليقدم الجزائريون نماذج رائعة من التضامن مابين جهاد بالقلم والنفس والمال.

وفي أحد الرسائل التي تعود للأمير "علي باشا" نجل"الأمير عبد القادر" بتاريخ(4 محرم 1330هجري) يقول فيها واصفا تنقل الجزائريين لليبيا من أجل الجهاد بأنه لولا العراقيل و التشديدات التي تضعها السلطات الإستعمارية لكان كبيرا"... **وقد جاؤوا إلى هنا رجالا من الجزائر وتونس، ولولا المنع لجاؤوا كثيرين....**"[2]

ومن النماذج التي يمكن أن نوردها أيضا"شهادة تاريخية لأحد الليبيين وهو الضابط الطرابلسي في الجيش العثماني"خليفة خالد" قدم من خلالها صورة رائعة عن مدى تضامن الجزائريين مع إخوانهم الطرابلسيين، بناء على شهادته تلك ، حيث يذكر في مذكراته مايلي :"**أنه لما سمع تعرض بلاده للغزو الايطالي هرع للدفاع عن بلاده فإنتقل من تركيا– حيث كان ضابطا بالجيش التركي– مارا بفرنسا ثم الجزائر وأثناء مروره بالجزائر إلتقى ببعض أعيان مدينة قسنطينة،حيث سُروا به كثيرا ،وذكروا له أن الجزائريين يعلقون الأمل الكبير على الجهاد الليبي وأن خلاصهم من الإحتلال الفرنسي يتوقف على نتيجة جهاد الليبين قائلين له :إن أنتم تخلصتم من الإستعمار وكسبتم حريتكم فسيبقى لنا أمل،وسيبقى طريق الخلاص مفتوحا أمامنا...**" ويضيف "خليفة خالد" قائلا:" **لقد صدق شيوخ قسنطينة في تنبؤاتهم حيث ربطوا حريتهم بإستقلال ليبيا وخلاصها وهاهو لم يمض على إستقلالنا بضع سنوات حتى ظهرت بشائر الخلاص لشعوب شمال إفريقيا العربية...، ويوصل قائلا ، "والتقيت مع الدكتور "بن جلول" والسيد "علي جبارة" وأخيه "أحمد جبارة" الذين كانوا يجمعون التبرعات لتمويل المجاهدين في ولاية طرابلس بالزيت والدقيق والسكر والشاي...ويرسلونها عن طريق منطقة (بن قردان)، وقد سروا بي سرورا عظيما وقمت معهم إلى ميدان فسيح حيث وجدت حشدا كبيرا كان على موعد بالإجتماع بأولئك الزعماء ، فخطب الزعيم "بن جلول" محرضا الحاضرين على جمع الإعانات لمجاهدي طرابلس ، ثم أعقب خطابه ثاني وثالث... وما أن أتم الخطباء كلامهم حتى تهاطلت التبرعات فكان الرجال يتبرعون بنقودهم والنساء بزينتهم ومصوغاتهم الذهبية والفضية...ثم سافرت بصحبة السيد علي جبارة وأخيه**

[1] - محمد علي دبوز ،نهضة الجزائر وثورتها المباركة ،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر ،2007،ج2،صص ،34-35

[2] - أنظر نص الرسالة كاملا في : صالح خرفي ،الجزائر والأصالة الثورية، مرجع سابق،ص103.

أحمد إلى تونس ومنها إلى منطقة بن قردان حيث وجدنا أكواما من أكياس الدقيق والسكر وصناديق الشاي وبراميل الزيت...لتموين المجاهدين ، فودعت أبناء جبارة وشكرتهم على غيرتهم وحماسهم"[1].

هكذا ورغم كل سنوات الإحتلال والتضييق على الجزائريين ،فإن شعورهم القومي والإسلامي مازال قويا ، كيف لا وهم يعتبرون أن إستقلال ليبيا وتحررها هو مقدمة لإستقلال الجزائر وتحررها أيضا.

وعن مشاركة الجزائريين الفعالة في الجهاد الطرابلسي يقول "خليفة خالد":" **لم تقتصر مساعدة إخواننا الجزائريين على جمع التبرعات، بل شاركوا إخوانهم في خط الحرب، ففي سواني بن آدم وجدت "الأمير علي باشا" يصحبه إبنه "عبد القادر" يرافقهما عشرون جزائريا كانوا دائما في طليعة المجاهدين"**[2].

كما يذكر الطبيب البريطاني "جرفن(Gerven)" الذي جاء مع بعثة الصليب الأحمر البريطانية لطرابلس سنة (1912م) وشارك في معالجة الجرحى أنه إلتقى في رحلة صحراوية بين مدينة يفرن والجبل الغربي ومنطقة بونيول مع ستة من العرب المسلحين أبلغوه أنهم جزائريين كانوا مجاهدين في صفوف قوات الباروني.[3]

ومما زاد من مشاعر الحماس لدى الجزائريين ترافق الإحتلال الإيطالي لطرابلس مع دعاية واسعة تبنتها الصحافة العربية الإسلامية مشرقا ومغربا لنصرة الطرابلسيين ، كما حدث في الجزائر مع "عمر بن قدور" و"عمر راسم" وغيرهما، أو من خلال الصحف التونسية والمشرقية التي كانت تدخل الجزائر، و في هذا السياق يذكر "سرفييه" إن حملة التضامن مع الليبين تمت في جو من الحماس عززته الدعاية المثيرة لمشاعر التعصب الديني الأمر الذي جعل أبسط حمال في الجزائر،يدفع بجميع مدخلاته الهزيلة(...) وفي محافظة قسنطينة وحدها جمعت مبالغ هائلة[4].كما جاء في "المجلة الإفريقية" أن عددا من الطرق الصوفية في الكاف (القادرية) وفي نفطة (قادرية و رحمانية)،نظمت حملة لجمع التبرعات لصالح الهلال الأحمر خلال الحرب الايطالية- التركية وكانت مدينة تبسة تتأثر بهذه الحملة بواسطة مقدمي الزوايا.[5]

أما على مستوى الغرب الجزائري فإن هذا التضامن وهذه الدعاية قد وجدت أيضا لها صدى كبيرا في مدن كثيرة كمستغانم وتلمسان على غرار مدن الشرق الجزائري كعنابة و قسنطينة أو وسطها كالجزائر العاصمة، فخلال الحرب الطرابلسية وأمام تأثر الجزائريين الذين كانوا يتتبعون الأحداث بإهتمام وحماس، قام مسؤولو جريدة "الحق الوهراني"

---

[1] - خليفة خالد، من مذكرات ضابط ليبي، الحلقة الأولى، **مجلة الأفكار**، ع6، مايو1956، طرابلس، جمعية الصداقة العربية الليبية التركية ،ص36، نقلا عن : مصطفى علي هويدي،" الموقف الجزائري من الغزو الايطالي لولاية طرابلس، ضمن كتاب ،دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الاسلامي ،2000،ص273.

[2] - خليفة خالد ، المرجع سابق ،ص274.

[3] - مصطفى علي هويدي ، المرجع السابق،ص276.

[4] - A, Servier , "le péril de l'Avenir ,le nationalisme musulman…", op-cit , pp 142-143.

[5]- A,cour,"recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes",in **:RA**,(N62),A jourdan,librairie-editeur, Alger,1921,p85.

مع المتعاطفين والمتضامنين عبر القطاع الوهراني بتأسيس لجان "للهلال الأحمر" عبر العمالة قصد الإكتتاب لصالح المسلمين المتضررين من جراء الحرب وهذا على منوال اللجان الجزائرية المتوزعة في الوسط والشرق ، وأُعتبرت أنشط اللجان غربا لجنة مدينة مستغانم التي جمعت أزيد من (3000 فرنك فرنسي) خلال أسبوعين بعد تأسيسها، تلتها مدينة وهران فتلمسان.. ،وفي(28 جانفي 1912م) إجتمع شبه مؤتمر حقيقي في وهران حضره حوالي أربعين من مسؤولي تلك اللجان تحت رئاسة النائب العام "ابن حميدة" والذي قدم عرضا عن هذا الإكتتاب الذي بلغ 36.199فرنك ، إقتطع منه (1000فرنك) لصالح صحيفة "الحق الوهراني" أما عملية الإكتتاب هذه فقد حصلت على حوالي 410.000 فرنك، وأُعتبرت نموذجا في التضامن الداخلي للجامعة الإسلامية الذي أقلق الحاكم العام في الجزائر ولم يستطع منعها.[1]

أما في الداخل الجزائري وكما سبق توضيحه فقد كانت منطقة وادي ميزاب شديدة التتبع والإهتمام بما يحدث في طرابلس الغرب نتيجة الترابط المذهبي بأهل جبل نفوسة ، وقد تمكنت الإستعلامات الفرنسية من أن ترصد توجها عاما لدى السكان، مسجلة أن الحرب التركية- الإيطالية في هذا الإقليم قد "**إستقطبت إهتمامهم فساندوا إخوانهم هناك وتطلعوا إلى إنتصاراتهم بحماس**".[2]

وفي السياق ذاته تحركت النخبة الميزابية من رجال دين ومثقفيين وشعراء لنصرة أشاقائهم الطرابلسيين، فكان أن دعا "الشيخ أطفيش" الذي يعتبر من أبرز رجالات الإصلاح في المنطقة إلى دعم ومساندة حركة الجهاد في طرابلس بالمال والسلاح، تلك الحركة التي كان يقودها تلميذه سليمان الباروني".[3]

هذا الأخير الذي كانت علاقة وطيدة بالمنطقة فقد أوفد "السيد الحاج مسعود بن سعيد الكبوي"، الذي زار قصور ميزاب سنة (1912م) بغرض شحذ همم الميزابيين لتقديم الدعم اللازم لليبيين.[4]

وجدير بالذكر أن الجزائريين قد قاموا بجمع آلاف الفرنكات...أكثر من ثلاثة عشر ألفا وأرسلوا بها إلى الباروني[5]، ولابد أن نشير هنا أيضا لدور الحجيج الجزائري الذي يؤدي فريضة الحج السنوية إلى الأراضي المقدسة برا عبر الأراضي الطرابلسية، فقد كان أولئك الحجاج يعبرون عن مشاعرهم نحو إخوانهم الطرابلسيين وينقلون قضيتهم عبر تنقلاتهم بالشرح والتنويه في رحلة الحج، وهناك من يتطوع مجاهدا معهم بنفسه أو بماله أو بقلمه أو بلسانه...[6]

---

[1] - إبراهيم مهديد ، الفكر السياسي النهضوي... ، مرجع سابق،ص23-24.

[2] - الحاج موسى بن عمر ،القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام ميزاب 1902-1962، أطروحة دكتوراه،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة الجزائر،2009 ، ص388.

[3] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج3)،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبان ، 1995،ص269.

[4] - الحاج موسى ، القضايا الوطنية والعربي ، مرجع سابق ،ص389.

[5] - أبو القاسم الباروني، حياة سليمان باشا الباروني،(ط2) ، القاهرة ،(د ن)، 1947، ص14.

[6] - مصطفى علي هويدي ،مرجع سابق ،ص285.

وحتى خارج الجزائر كان بعض الجزائريين يقومون بجمع التبرعات فمثلا الشيخ "مصطفى الجزائري" الذي سيأتي ذكره لاحقا بشكل أكثر توسيعا قام بحمل تبرعات من مصر جمعها "الأمير عمر طوسون" ، فيما إشترى العديد من المؤن للمجاهدين الليبين ،مثل المقارض الفولاذية لقطع الأسلاك المكهربة على الحدود المصرية،أوصلها "لعمر المختار" في طرابلس.

لذلك كان لمثل هذه التبرعات الأثر الإيجابي على معنويات المجاهدين الليبين،حيث كانت مواد التموين تأتي من الجزائر عن طريق تونس ثم بن قردان وغدامس إلى ليبيا،وأكد أكثر من شاهد آنذاك أن قوافل التموين والتبرعات كانت تعبر بإستمرار الحدود الجزائرية متوجهة نحو ليبيا،وأن الكثير من القوافل التي كانت تقل التبرعات للمجاهدين الليبين قد لقيت حتفها في الطريق نظرا لطول المسلك وقلة الماء وإنعدام الراشدين بطرق الصحراء،حيث لقى منهم في سفرة واحدة إثني عشرة رجلا مصرعه لضياعهم في وسط الصحراء.[1]

كما أنه ورغم ظروف الجزائر القاسية في ظل الإحتلال الفرنسي الغاشم ،فقد هاجر إلى الجزائر عدد كبير من الطرابلسيين الذين إضطرتهم ظروف الحرب لذلك، ولم يتأخر الجزائريون خاصة في المناطق الحدودية وفي مدن منطقة ميزاب في إيوائهم وإحتضانهم تخفيفا عنهم .

أما الشبان الجزائريون فلم يتأخروا بدورهم عن هذا الحراك العام ، فقاموا بحملة لجمع المال لصالح جرحى الغزو الإيطالي إلا أن الإدارة الاستعمارية في الجزائر خشيت من تأثير هؤلاء على الرأي العام بهذه المناسبة، فدفعت بعملائها من الموظفين الإداريين الأهالي لمشاركتهم في هذا العمل الخيري، كما كانت عمليات التبرع أيضا ، تضم بعض كبار التجار وكبار الملاك،"و هكذا سارت عملية جني المال بسرعة بسبب الدعاية التي قام بها الوطنيون... وكانت تلك مناسبة ليعلن الرأي الإسلامي في الجزائر عن عواطفه الوطنية..."[2]

و في الوقت الذي لاحظنا في قضايا سابقة طرحناها غياب هذه النخبة ،فقد كانت الحرب الطرابلسية من القضايا القليلة التي أبرزت فيلها تلك النخبة التغريبية، فرصة لإبراز تضامنها مع الدولة العثمانية في حربها مع إيطاليا، ولعل ذلك يعود لسببين رئيسيين أولهما أن إيطاليا لم تكن حليفا إستراتيجيا لفرنسا في هذ الفترة ، وثانيهماأن السلطات الفرنسية تخوفت من الهبة الجزائرية الواسعة، فأرادت أن تتحكم في هذه الحركة عن طريق المقربين منها، ولذلك سهلت لهؤلاء الشبان الجزائريين بإفتتاح إكتتاب لصالح "الهلال الأحمر العثماني"، و في هذا الصدد يذكر الكاتب "أندريه سرفييه" (A.servier)و المعروف بتحمسه للنظام الإستعماري والمعارض بشدة لمطالب الشبان،

[1] - حسن صلاح الدين،حبيب وداعة الحسناوي، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943،(ج2)،منشورات جامعة الفاتح- مركز دراسات جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1984،ص323.

[2] - حداد مصطفى ، موقف الجزائر من الغزو الايطالي لليبيا ، **الشهيد**، دورية تصدرها مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الايطالي ، ع 7- 8، أكتوبر 1988، ص 50.

كيف أن هؤلاء الشبان تمكنوا من جمع (400 ألف فرنك) فرنسي خلال بعض الأسابيع وبعثوا بها إلى رئيس الهلال الأحمر التركي، وقد حاول أن يُألب ضدهم الإدارة الإستعمارية بتهمة تعبيرهم عن نزعتهم الوطنية المعادية لفرنسا خلال هذه الحرب، وهو ما ينفي ولاءهم لفرنسا، وقد لاحظ "سرفييه" أنه حتى الحمالين يعطون كل ما جمعوه مئات الفرنكات وكان هناك الخماسون الجياع تبرعوا أيضا بعدة دورو"[1]

أما في القطاع القسنطيني فقد تم جمع أربعمئة فرنك ، أرسلوها إلى رئيس مؤسسة الهلال الأحمر العثماني، هذا بالإضافة إلى مقادير من المال أخرى، صرفت لصالح توعية الناس للمساهمة في هذه الحملة، إضافة إلى فائض بمقدار 40000 فرنك، حسب "سرفييه" دائما .

و أمام قلق السلطات الاستعمارية الفرنسية من هذه الحركة التضامنية الواسعة والتي مست حتى أطرافا نخبوية محسوبة عليها ،فقد حاولت السلطات الإستعمارية التدخل بشتى الأساليب لإفشال هذه العملية مدعية بإنقطاع الإتصالات مع المؤسسات المعنية، و للرد على حملة التشكيك في نواياهم تجاه فرنسا،كان تنظيم الشبان الجزائريين يرد بأنه من واجب المسلم أن يساعد أخاه المسلم، وأن القحط أو المحاصيل الزراعية الرديئة ليست سببا للإحجام عن جمع التبرعات للجرحى الليبين.[2]

ولكن بعض هؤلاء الشبان الذين نعتوا بالأتراك والوطنيين ، نتيجة تصرفهم هذا وتعرضوا لهجوم عنيف لاسيما من طرف المستوطنين، لم يجد بعضهم بدا من الدفاع عن أنفسهم، ومن أمثلة ذلك ما قام به "مختار الحاج سعيد" المحامي بشطودان، فقد أعلن منذ البداية بإسم زملائه ولائهم لفرنسا و أكد أن كل عدو لوطنهم فرنسا هو عدو لهم مهما كانت جنسيته ودينه ووضح أن إستانبول والخلافة لا يمثلان بالنسبة لهم كمسلمين، أكثر مما تمثله روما والبابا للمسيحية. ثم أكد أن الإكتتاب الذي فتح لجرحى طرابلس كان قد نُظم مثله قبل ذلك في فرنسا وقد تم بموافقة السلطات الإدارية .[3]

وفي ذلك ما يوضح مدى خضوع هؤلاء الشبان للإدارة الفرنسية، خشية أن يفقد البعض منهم تلك الإمتيازات التي يتمتعون بها نتيجة الوظائف والمناصب التي يشغلونها ضمن الإدارة الفرنسية في الجزائر أو خوفا من أن يتم تصنيفهم ضمن دعاة الجامعة الإسلامية وهي من التُهم الخطيرة التي سادت في تلك المرحلة.

أما على جبهات القتال وساحات المعارك فتتعدد النماذج التي يمكن سردها لشخصيات جزائرية معروفة أومغمورة لم تتأخر في الإلتحاق بالمقاومة الطرابلسية تحت شعارات متعددة ، مابين الواجب القومي والديني إلى الدفاع عن السلطنة العثمانية وممتلكاتها ولكن المهم في كل ذلك هو شعور الجزائريين عامة ونخبة بمتانة تلك الوشائج

[1] - André. Servier, - Le peril de l'avenir, le nationalisme musulman …,Op.cit, p143.

[2] - حداد مصطفى ، موقف الجزائر من الغزو الايطالي ...، المرجع سابق ، ص 51.

[3] - Cherif, Benhabils, L'Algerie Française vue par un Indigene…p129-130.

التي تربطهم ببقية البلاد العربية لحد بذل النفس في سبيل ذلك، وهذا ما يؤكد فشل السعي الفرنسي لمنعهم من التضامن الفعلي مع أشقائهم الطرابلسيين.

وهكذا شهدت الساحة الليبية عشية الغزو الإيطالي لليبيا سنة(1911م) تنقل الآلاف من المتطوعين الجزائريين القادمين إليها لمؤازرة إخوانهم في وقت كان الجزائريون فيه يشعرون بمرارة الظلم و الإستعمار ، ورغبة في الدفاع عن بلد شقيق وللحفاظ أيضا على أراضي الخلافة التي بدأت تضيع الواحدة تلو الأخرى، ولا غرابة أن تكون أسرة الأمير "عبد القادر الجزائري" سباقة في ساحات الجهاد الليبي في ظل تاريخها المشرف في هذا المجال ولعلاقة العديد من أعضائها الوطيدة بالدولة العثمانية، و يتجلى دور أسرة الأمير في ما ذكره "الأمير سعيد الجزائري"[1] في مذكراته قائلا :"**وكان واجب الأسرة القادرية أن تساهم في هذا الجهاد بنصيبها، وهي التي أوقفت حياتها وأموالها على خدمة قضايا المسلمين العامة، فجهز والدي المرحوم" الأمير علي باشا" حملة من الجزائريين سار على رأسها إلى طرابلس، ولحق به إبنه الثاني" الأمير عبد القادر" أخي الأصغر،وطلب إلي البقاء في دمشق الشام ،لا ليمنع عني شرف الجهاد وإنما لمساعدة المحاربين وإمدادهم بحاجتهم من ذخيرة ومال، لا يقل عن عمل المجاهدين في ساحة القتال .وكان "الأمير علي باشا" يعتمد علي إعتمادا كليا ويأمل لي أن أكون زعيم الأسرة القادرية، فكلفني للإشراف على شؤون الأسرة والإتصال بجميع الجالية الجزائرية وإمدادهم بآرائي وتنظيم قواتهم، وإرسالهم للعمل في ساحة القتال بطرابلس ، فكنت دائم الإتصال بوالدي وبأخي وبأخبار المجاهدين ، وكنت أتنقل بين دمشق وبيروت لنشر الدعاية والأخبار ، وتهيئة وسائل المعونة للطرابلسيين**".[2]

---

[1] - ولد محمد سعيد الجزائري في دمشق عام 1881م، وهو ابن الأمير علي باشا نجل الأمير عبد القادر الجزائري المعروف. وقد تلقى العلوم الدينية في المدرسة الريحانية. ودخل مدرسة عنبر الثانوية ثم المدرسة العليا في استنبول. وقد تقلد رئاسة الدولة في سورية في العام 1918 وحافظ أثناءها على الأموال والأرواح وأدخر أموالاً تقدر بنصف مليون ليرة حفظت وسلمت للملك فيصل بعد قدومه إلى دمشق بثلاثة أيام وإعلانه استقلال سورية.
رشح لعرش سورية عام 1920، وبالنظر لشروطه المعروفة، توقفت فيما بعد بفتنة داخلية أثارها ضده أولاده.
ترأس جمعية العهد، ولجنة الدفاع عن الخط الحجازي، وترأس لجنة المقاطعة، ثم أسس جمعية مهاجري أفريقيا الشمالية، ثم جمعية الدفاع من إفريقيا الشمالية، فالشرق الأوسط، وأسس جمعيات الخلافة بسورية ولبنان.
أصدر مجلة «الوحدة الإسلامية» والتي صادرتها السلطة الفرنسية ببيروت بعد أن صدر عنها عددان، وصدر له مؤلف باسم «وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب» كما صدر له كتاب يتضمن رحلة للحجاز في سبيل تأسيس جمعية مهاجري أفريقيا الشمالية.
هو أول رئيس للحكومة العربية بدمشق، ولكن مدة رئاسته لم تدم أكثر من يوم واحد، ولكنه حاول بهذا اليوم تثبيت ركائز حكمه، وبعد لحظات من إعلان مجلس الشورى على تسليمه منصب الرئاسة قام بتحرير البرقيات إلى كافة المدن السورية الأخرى ليزف إليها الخبر من جهة وليدفعها إلى الانطواء تحت سلطة دمشق من جهة أخرى، وقد صيغت البرقيات بأسلوب يطمئن فيه الآخرين على أن الأوضاع مستقرة ويهدد من يخل بالأمن والنظام. كما أنه قام برفع العلم العربي لأول مرة. عاد إلى الجزائر سنة 1966م ، بعد نقل رفاته جده لها، وأستقر بها إلى أن توفي بمعسكر ودفن بها سنة 1970م ، أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر...، مرجع سابق ص 109.

[2] - الأميرمحمد سعيد الجزائري، مذكراتي عن القضايا ..،مصدر سابق،صص 41-42.

و هكذا ألتحق "الأمير علي باشا" وهو إبن "الأمير عبد القادر" قائد المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي وإبنه "الأمير عبد القادر الجزائري" الحفيد[1] ولا تزال كتب تاريخ المقاومة الليبية تذكر بسالة وبطولة هذين الرجلين في المعارك التي خضاها في منطقة"سواني بن يادم"مع حوالي عشرين جزائريا آخرين،وقد أهلت مجموعة من العوامل والمميزات "الأمير علي" لهاته المهمة الرائدة في طرابلس الغرب فهو من أكثر أبناء الأمير شهرة وموالاة للدولة العثمانية، إضافة إلى زواجه من أخت "عزت باشا العبد" الكاتب الثاني "للسلطان عبد الحميد".[2]

وعندما غزت إيطاليا طرابلس الغرب كُلف "الأمير علي" بتنظيم مقاومة القبائل العربية ، بالنظر لسمعته ووزنه السياسي، وتاريخ والده النضالي.كما تم تكليفه من قبل الحكومة التركية بتوزيع الأموال المتأتية من دعوة الجهاد في العالم الإسلامي لنصرة الطرابلسيين[3] وقد صادق مجلس الأعيان والنواب على ذلك بصورة سريعة، ومما جاء في رسالة "الأمير علي" نفسه إلى ولديه التي جاء فيها:"إن مجلس الأعيان والوزراء قد كلفاني بالذهاب إلى طرابلس الغرب للذود عن حياض الوطن..."

وإلى جانب دورهما في المقاومة ضد الغزاة الليبيين ، فإن "الأمير علي باشا "و إبنه "الأمير عبد القادر الجزائريين" لعبا دورا أخر دعما للجهاد الليبي يتمثل في ربط الإتصال بين المقاومة الليبية في الداخل وبين المناضلين الذين كانوا في الخارج،فقد عمل "الأمير علي باشا الجزائري"، كمراسل لبعض الصحف العربية،فكان يمدها بأخبار وتطورات الأحداث في ليبيا ومنها جريدة "الزهراء" التونسية التي تحدث في إحدى رسائله لهذه الجريدة بتاريخ(13 محرم1330هـ[4])،عن مسار المقاومة في بعض المناطق الشرقية من ليبيا وكيف أن الشعب الليبي لازال يجاهد بإرادة كبيرة،طالبة من الدولة العثمانية دعم المجاهدين في ليبيا.[5]

كما كان" الأمير عبد القادر" الحفيد[6] يقوم بنفس ما كان يقوم به والده "الأمير علي" بحيث كان يعمل شبه مراسل لبعض الصحف العربية ويزودها بأخبار العمليات الجهادية الدائرة في ليبيا،فهناك رسالة ضمنها رحلة تفاصيل رحلة والده علي باشا من بنغازي إلى طرابلس وقد وصف فيها جهاد ومقاومة الليبيين،وكيف هبوا كالبنيان المرصوص لمواجهة القوات الإيطالية في منطقة سرت التي أحدث الغزاة بها ضررا وخربوا دار "محمد أفندي الجزائري" كاتب التحريرات وجاء في هذه الرسالة أنه بعد يومين من هذا الإشتباك قام "الأمير علي باشا الجزائري" على همه إعادة

[1] - محمد بن معمر،علاقة السنوسية بثورة الشريف ... ،مرجع سابق ،ص63.

[2] - Bardin, Algeriens et Tun…,op.cit,p181.

[3] - ibid,p182.

[4] - محمد بن معمر ، المرجع سابق ،ص64

[5]- وذلك بإشتعال عدة ثورات شعبية منها ثورة بن ناصر بن شهرة 1846م وثورة الزعاطشة1849م...

[6] - قال وزير شؤون خارجة فرنسا (Gabriel Alpetite)، بأن سفير فرنسا بالقاهرة أبلغه بتاريخ نوفمبر1915 بوجود نشاط خطير يقوم به نشطاء الجامعة الاسلامية منهم الأمير عبد القادر بن الأمير علي والشيخ بشير صفر والشيخ صالح شريف،وضرورة التعجيل بإيقافهم،لكنه تبين أنهم غادروا مصر،أنظر: الصادق دهاش،مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الاسلامية في بلدان المغرب العربي بين 1876-1919،تحت إشراف الدكتور يوسف مناصرية ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر2،السنة الجامعية 2008-2009،ص211.

تنظيم المجاهدين وحرضهم على الجهاد ثم أمر مشايخ وأعيان مناطق الحسون و الغريان والمعدان بالرجوع إلى الجهاد[1].

ويبدو أن "الأمير علي باشا الجزائري" كانت له مكانة كبرى لدى المجاهدين الليبيين والشعب الليبي ففي رسالة أخرى يصف فيه كيف أن جموع المجاهدين في بعض المناطق الليبية مثل (مصراتة،زليطن،الساحل ،لبدة،وكذا معسكر الخمس) قد هاجت وإهتزت طرابلس بقدوم "سيدي علي" وذكر أنه عاجز عن وصف ما وقع لهم من حسن القبول وما شاهده من الحياة القومية التي أنستهم الأهل ووطنهم الأصلي،وتضيف هذه الرسالة أن "الأمير علي باشا "كان بدوره يرحب بجميع الوافدين ويوجه لهم عبارات الشكر والثناء على ما أبدوه من الحمية والشهامة العربيتين في الدفاع عن حوزة الإسلام ويحثهم على المقاومة والصبر والثبات حتى أن اليهود كانوا يبكون تأثرا من ذلك المشهد"[2].

ويذكر "الأمير عبد القادر" أيضا في رسالته تلك ، أن خطاب أبيه "الأمير علي باشا الجزائري" الذي ألقاه على جموع المجاهدين الليبيين كان له الأثر الكبير،فبعد هذا الخطاب توافد العلماء والأشراف والأعيان على قائمقام منطقة مصراتة وقالوا له إن خطاب "الأمير علي باشا الجزائري" قد أثر فيهم،حتى العامة عموما جاءوا يطلبون المساعدة للالتحاق بإخوانهم في معركة الجهاد بمعية الأمير،فقد رفع ذلك الخطاب حماس المقاومين الليبين فاندفعوا جميعا لحمل السلاح الأمر الذي جعل القائمقام يقوم ببعث تلغراف إلى "الأمير علي باشا الجزائري "يرجوه تسكين هيجان الأهالي وتهدئتهم،وهكذا كان الحال في كل منطقة حل بها "الأمير علي باشا الجزائري"،وهناك رسالة أخرى بعثها"الأمير عبد القادر الجزائري" في(19ماي1912م) إلى جريدة "الزهراء" التونسية،وكانت مراسلة حول وصول موكب والده إلى مصراته يذكر فيها الإعتداء والغزو الإيطالي لليبيا وسكوت أوروبا مثال الحرية والعدل عن ذلك،عند ذلك علم الليبيون أن لاسند لهم إلا الله وأنفسهم فسارعوا إلى ساحة الحرب لقتال العدو" فأذقناه كأس الموت وألبسناه ثوب البلاء،وكذبنا بأعمالنا وأقوالنا مدعيات إيطاليا وقولنا أننا دعوناهم لإصلاح بلادنا فلهذا القصد الشريف توجه حضرة الأمير علي باشا لمواقع القتال وشهد الأهالي والمجاهدين وحثهم على الجهاد وحرضهم على الدفاع عن البلاد،كما تجدر الإشارة هنا لذكر الدور الذي لعبه أحد الجزائريين في عمليات الإتصال وهو عبد الله خطاط الزاوية القادرية بليبيا،فقد كان ينقل المعلومات والأخبار بين الوطنيين الليبين في الداخل والخارج ،كما كان يقوم بنقل الأخبار وربط الإتصالات بين مناطق طرابلس الغرب وبين برقة.[3]

[1] - محمد بن معمر، علاقة السنوسية ...،المرجع السابق ،ص64.
[2] - مصطفى أحمد بن حليم،صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي،مذكرات رئيس وزراء ليبيا الأسبق، (ط2)،مطابع الأهرام التجارية،مصر ،1992،ص92.
[3] - المرجع نفسه،ص 93-94.

وتذكر العديد من المصادر مجموعة من المعارك الحاسة التي شارك فيها "الأمير علي" ففي يوم (السابع من أغسطس سنة 1912م) شارك في معركة (سيدي عبد الجليل) قرب مدينة طرابلس وهي المعركة التي إنتصر فيها المجاهدون وحققوا فيها غنائم عديدة وكان قائدها "إسحاق بك" والملازم "أمين أفندي الشامي" كما شارك فيها "أبو طالب أحمد بن مختار الحسين الجزائري" ، الذي كتب رسالة وافية عنها لجريدة "الزهراء" التونسية الصادرة يوم الثاني من شهر (نوفمبر سنة 1912م) [1].

وقد حضر "الأمير علي" وإبنه "عبد القادر" ومن معهما معركة ضد الإيطاليين تحدثت عنها جريدة "الأهرام" المصرية الصادرة (يوم 28 ديسمبر 1911م)، كما حضروا معركة الملاحة قرب الحدود الطرابلسية- التونسية بتاريخ(21 مايو1912م)وأبلوا فيها البلاء الحسن أما نشاط "الأمير علي" خارج الجهد العسكري فقد تمثل مجموعة من النشاطات ذات الطابع الإجتماعي والدعائي، كزياراته للمستشفيات مثل زيارته لمقر "الهلال الأحمر المصري" الذي تفقد فيه حالة الجرحى وشجعهم على إحتمال مرارة الجروح والآلام وألقى فيهم خطابا، شكرهم فيه على بطولاتهم وحثهم على تحمل النتائج وشكر "جمعية الهلال المصرية"،[2].

ومن الصحافيين القلائل الذين قابلوا "الأمير علي" و إبنه "عبد القادر" في طرابلس الصحفي الفرنسي "جورج ريمون(Georges Remo)" ، **وقال متحدثا عنه أخذ يطلعني على تذكاراته الحربية في ولاية طرابلس الغرب وكان من بينها أسلحة سلبت من الإيطاليين....وقال إن والدي لا يمل و لا يتعب فهو ذاهب الآن لخوض المعارك في مدينة طرابلس ضد الايطاليين..**[3]

أما "الأمير محمد سعيد" فيتحدث عن دوره في مساعدة القضية الطرابلسية فيما يمكن وصفه بالمنسق الخارجي والممثل السياسي للحركة حيث يقول :" .... **وكنت وأنا في دمشق إلى جانب مساعدتي السرية للسنوسيين أتزعم حركة مقاومة النفوذ الإيطالي في طرابلس....كما دعوت الأمة العربية إلى المقاومة السلبية ضد إيطاليا، ومقاطعة بضائعها حتى يضغط الرأي العام عليها ويجبرها إلى التخفيف من بطشها**.....[4].

وقد تحدثت جريدة "فتى العرب" الدمشقية في عددها رقم (2760) الصادر بتاريخ (26 أفريل 1931م)، عن بعض جهودك تلك فقالت :"**عاد من بيروت سمو "الأمير سعيد الجزائري" بعد أن سلم يدا بيد مضابط**

[1] - مصطفى علي هويدي ، الموقف الجزائري من الغزو الايطالي ...، مرجع سابق،ص277.
[2] - المرجع نفسه،ص277-278.
[3] - نفسه ،ص278.
[4] - الأمير محمد سعيد ، مذكراتي عن القضايا العربية ...، المصدر السابق، ص52.

الإحتجاج المرفوعة منه ومن الأمة السورية إلى قناصل الدول في بيروت على فضائع إيطاليا في طرابلس الغرب، وقد طلب إيداع هذه الإحتجاجات لعصبة الأمم ولوزارات الخارجية فوعدوه بذلك....."[1]

هذا بالنسبة لأسرة "الأمير عبد القادر من الأبناء والأحفاد ،وهناك شخصيات جزائرية بارزة أخرى ساهمت في حركة المقاومة والجهاد بطرابلس ، حتى من قادة المقاومة الشعبية المعروفين ، مثل قائد مقاومة الأغواط والصحراء حيث :" **أن المجاهد "بن ناصر بن شهرة" فضل أن يشارك إخوانه الطرابلسيين في صد الغزو الايطالي بعد عودته من الشام، وقد سقط شهيدا بناحية طرابلس سنة(1912م) مع مجمع من رفاقه الليبيين الطرابلسيين**"[2]

وذكر بأنه عثر على نص رسالة "الأمير علي الجزائري" التي كان بعث بها من طرابلس إلى جريدة "الإتحاد العثماني" البيروتية ، يقول فيها الأمير علي واصفا الأوضاع:"... **أحوال المجاهدين في الوقت الحاضر حسنة للغاية ...وجاء لعندنا الفارس الشهير السيد ابن شهرة ، نجل ابن ناصر قائد الأرباع سابقا في – الأدواط – الأغواط –بقصد الجهاد، ففرحنا بقدومه ولكنه مات ثاني يوم بداء الصدر ولم ينجح فيه علاج ، ولم يمهله الأجل المحتوم سوى ساعة فتوفي**[3] **شهيدا مأسوفا عليه ودفناه بمشهد عسكري حضره كل المجاهدين.....**"[4].

وفي مناطق الجبل الغربي –نفوسة– ساهم مجموعة من الجزائريين في حركة الجهاد مع إخوانهم هناك، ويحدثنا "الطبيب جريفن"، أنه عندما كان في رحلة صحراوية بين مدينة يفرن في الجبل الغربي ، إلتقت قافلتهم مع ستة من العرب المسلحين الذين أفادو بأنهم من الجزائر كانوا مجاهدين في صفوف قوات "الباروني" ، وعندما إنهزم الأخير مع قواته في معركة جندوبة ضد الايطاليين يوم(23 مارس 1913م)، حيث إضطر للهجرة إلى تونس ، لذلك فهم عائدون في طريقهم إلى وطنهم الجزائر "[5].

على أن من أشهر الجزائريين الذين قدموا الكثير في الجهاد الطرابلسي ، نذكر المجاهد "مصطفى عبد القادر الأحول التفراوي" و يدعى الحاج مصطفى عوني التفراوي المعسكري الجزائري[6]، من مواليد (1312 هـ1892م)

---

[1] - الأمير محمد سعيد ، مذكراتي عن القضايا العربية ...، المصدر السابق، ص52.

[2] - ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1988، ص265.

[3] - يقدم الأستاذ الدكتور يحي بوعزيزرواية ثانية لوفاته حيث يقول :"... ومن هناك- الجنوب التونسي – أخذ يواصل المناوشات من الجريد ونفزاوة إلى أن أرغمه باي تونس على الرحيل فركب الباخرة مع الشيخ الكبلوتي بن الطاهر الرزقي يوم 2 جوان 1875 من حلق الوادي إلى بيروت واستقر إلى جانب محي الدين بعض الوقت ثم التحق بالمير عبد القادر بدمشق إلى أن توفي عام 1884م...." أنظر : يحي بوعزيز ، وثائق جديدة عن ثورة ابن ناصر بن شهرة ، **مجلة الثقافة**، ع31، فيفري –مارس 1976،وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر ،ص43.

[4] - مصطفى علي الهويدي ، الموقف الجزائري...، المرجع السابق،ص281.

[5] - أرنست جريفن، مغادرات في طرابلس ،(تر) المبروك الصويحي ،طرابلس ،دار الفرجاني للنشر والتزيع، 1993،ص266، نقلا عن : مصطفى علي الهويدي ،نفسه ،283.

[6] - أنظر الملحق (رقم18).

تشير المصادر أنه من أسرة فلاحية فقيرة بمعسكر[1]،دخل الكتاتيب العربية حيث حفظ القرآن في السادسة عشر من العمر،وقد عرفت أسرة التفراوي بأنهم من أقارب المجاهد الأمير عبد القادر[2].

قدم التفراوي إلى طرابلس الغرب سنة (1914م) ، وهو يبلغ من العمر واحد وعشرون سنة ،محملا بالعواطف الإسلامية والعربية الجياشة، وتذكر المصادر أن التفرواي كان جزائريا عاديا، يساهم مع أمه وإخوته في عول أسرته بعد وفاة والده بالعمل في مزارع المعمرين، وهنالك رأى مدى الإحتقار والظلم الذي يتعرض له الجزائريون من طرف الإدارة الاستعمارية وزبانيتها ومدى المهانة والإذلال الذي يسومه المعمرون للجزائريين مستغلين فقرهم وحاجتهم ، مما ضاعف حجم كراهيته للإستعمار حيثما كان.

ثم أن السلطات الفرنسية في جهات عدة من الجزائر، أخذت تجند الشباب الجزائري للحرب سُخرة وإجبارا، وهو بحكم شبابه القوي وتكوينه المكتمل لابد وأن يجرجر للتضحية به في أتون حرب المستعمرة، وإذن فلماذا لايعمل من الآن على مقاتلة الكفار- والكفار ملة واحدة- وهذه طرابلس ومن فيها عرب مسلمون يتعرضون لهجمة شرسة من الإيطاليين النصارى يسومونهم سوء العذاب، وتتحدث الصحف عن بطولاتهم وجهادهم في رد العدوان عنهم، فلماذا لاينظم إليهم ويتحرر من جبروت الفرنسيين وقسوتهم، ووجد نفسه يوما وقد صح عزمه على مغادرة البلاد إلى طرابلس للإنضمام إلى مجاهديها البواسل مهما كانت الصعاب، وعاد لمنزله ليخبر والدته ويودعها فلم يجدها ، وقد تركت له طعاما ليتناوله عند عودته، وما إن هم بتناوله وجد مذاقه مرا في فمه، فخرج إلى مكتب أخيه فلم يجده أيضا وترك فيه سطرين يقول فيهما :لاتسألوا عني فإني ذاهب إلى غير عودة.[3]

دامت رحلته الجهادية في ليبيا أكثر من خمس وعشرين سنة، إنتقل من الغرب الجزائري إلى مدينة صفاقس التونسية أين إلتقى بمجموعة من الليبيين وبعد أن وثق منهم أخبرهم بأنه جزائري وله رغبة في الجهاد في طرابلس ، وبعد أن نجح في الدخول إلى طرابلس كانت أول إقامته بزاوية "الشيخ عبد السلام الأسمر" بزليتن، والتي جعلها منطلقا لعمله الجهادي في نواحي طرابلس.

ساهم "التفراوي" في العديد من المعارك ضد الإيطاليين كمعركة رأس الطويلة في مصراتة ومعركة القليب في زليتن وفي عين كعام والسند ووادي ماجر وغيره، ولم يتخلف عن معركة منذ إبتدأت الحرب حتى خرج منها الإيطاليون.

ويذكر "التفراوي" أن مما زاده إصرار على الجهاد في طرابلس صورة الظلم الإستعماري له ولبقية الجزائريين ، فقد كانت أهم الصور التي أثرت في حياته،وذلك من خلال عمليات التفتيش المستمرة التي كان يتعرض لها كل

[1] - من أهالي باب علي بمدينة معسكر،رقم 94، شارع سيدي علي.أنظر : مصطفى علي الهويدي ،نفسه ،281.
[2] - محمد ميلاد مبارك ،المجاهد مصطفى الجزائري ، **الشهيد** ، ع5، 1984،ص305.
[3] - محمد ميلاد مبارك ،"المجاهد مصطفى الجزائري" ، **الشهيد** ، عدد7و8 ، 1988،ص173.

الجزائريين،وكذا نظرة الإحتقار لكل من هو جزائري،وتجسد ذلك عمليا في مظاهر القمع وتسلط المعمرين على الجزائريين لأبسط الأمور مما جعله يدرك حتمية تكرار الإيطاليين لذلك في طرابلس الغرب[1]

ومن أبرز الشخصيات القيادية الذين جمعته علاقة جيدة بهم نذكر الزعيم "رمضان السويحلي"[2] فقد كان أحد خلصائه ونصرائه والمقربين إليه، حتى أنه كان ليطلب الخلوة به عن جميع جلساءه لبحث أخطر الشؤون معه فينالها إذا إشتد الأمر.

وقد أصبح ضابطا كبيرا في جيش السويحلي وبعد وفاة هذا الأخير سنة(1920م) ،ترك "مصطفى التفراوي الجزائري"، الجهاد في الجبهة الشرقية وإنتقل إلى الجبهة الغربية فإستقال من الخدمة كضابط في جيش السويحلي الذي آلت قيادته ل"محمد سعدون"،وفي سنة (1923م) إنتقل إلى مصر حيث إلتحق بالأزهر حتى تمكن من الإلتحاق من جديد بشيخ المجاهدين "عمر المختار"[3] في الجبل الأخضر وبقي معه حتى إستشهاده ونهاية مقاومته سنة (1931م).

---

[1] - - محمد ميلاد مبارك ، المجاهد مصطفى ...، المرجع السابق ،ص181.

[2] - رمضان بن الشتيوي بن أحمد السويحلي (1897-1920 م)، من زعماء الجهاد الطرابلسي ضد الإيطاليين. وقد يعرف ب"رمضان الشتيوي" (نسبة إلى أبيه) ،ولد وتعلم في زاوية المحجوب بمصراتة ولما ضرب الإيطاليون طرابلس الغرب كان ضمن مجاهدي مصراتة الذين توجهوا لمقاومة المستعمر بقيادة الحاج أحمد مصطفى المنقوش، والذي استشهد أواخر سنة 1329 هـ، 24 أكتوبر1911م ،أثر إصابته في معركة الهاني الشهيرة، فتولى رمضان رئاسة مجاهدي مصراته بعد أن أوصى الحاج أحمد المنقوش بذلك، وكان ذلك بدء زعامته وبروزه. جرح رمضان السويحلي في هذه المعركة كذلك في صدره على مقربة من طرابلس، فعاد إلى مصراتة وعولج. وهاجمها الإيطاليون فاشترك في الدفاع عنها، وجرح في بطنه. وأحتلوها صلحا (سنة 1912 م) فلزم بيته إلى أن كانت معركة القرضابية. وكان قائد معركة القرضابية صفي الدين السنوسي ومعظم القوات من برقة و عند اقتراب النصر انظم لهم السويحلي الذي كان من ضمن القوات الإيطالية و كان لإنظمامه للمجاهدين عظيم الأثر في النصر على الطليان الذين لم يكونوا يظنوا أن السويحلي سينقلب عليهم .

وبعد أن حرر مدينة مصراتة من الإيطاليين في 5 أغسطس 1915 أنشأ فيها حكومة وطنية برئاسته أظهر فيها حسن الإدارة وقوة الإرادة فدان له الناس بالطاعة، وأسس هيئة من العلماء تعرض عليها المشكلات والشكاوى وتبث فيها وأنشأ جهازا للشرطة يتولي تنفيذ قرارات هذه الهيئة، وحفظ الأمن والنظام. كما أعاد ترتيب جيشه. وقد ساهم مع بعض القادة الوطنيين بغرب ليبيا في تأسيس الجمهورية الطرابلسية والتي كان على رأس مؤسسيها سليمان الباروني، توفي السويحلي على أرض ورفلة في 24 أغسطس 1920.أنظر : الطاهر أحمد الزاوي ، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بنغازي ، ليبيا ،2004،صص 161-163.

[3] - هو عمر المختار محمد فرحات أبريدان أمحمد مومن بوهديمه عبد الله ، من بيت فرحات من قبيلة بريدان وهي بطن من قبيلة المنفة ،وُلد عمر المختار في البطنان ببرقة في الجبل الأخضر عام1862 ، وقيل عام 1858 م ،كفله أبوه وعني بتربيته تربيةً إسلاميَّة حميدة مستمدة من تعاليم الحركة السنوسية القائمة على القرآن والسنَّة النبويَّة .ولم يُعايش عمر المختار والده طويلًا، إذ حدث أن توفي والده وهو في طريقه إلى مدينة مكَّة لأداء فريضة الحج، فعهد وهو في حالة المرض إلى رفيقه أحمد الغرياني (شقيق شيخ زاوية جنزور).

كان في مقدمة المجاهدين للإحتلال الإيطالي ، إتخذ من الجبل الأخضر مركزا لمقاومته ، إعتمد اسلوب حرب العصابات ضد الإيطاليين وألحق بهم خسائر كبيرة،وفي يوم 16 سبتمبر من صباح يوم الأربعاء من سنة 1931 عند الساعة التاسعة صباحاً نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الإعدام شنقاً في شيخ الجهاد وأسد الجبل الأخضر بعد جهاد طويل ومريربالزاوية، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الأخوان والقبائل الأخرى.،أنظر : الطاهر أحمد الزاوي ، أعلام ليبيا ، مرجع سابق ،صص 291-292.

ومن ملاحم الجزائريين أيضا خلال الجهاد الطرابلسي برزت شخصية العالم و المجاهد "محمد سوف المحمودي"[1] الذي كان مقيما بالأراضي الطرابلسية، وخلال فترة التمهيد الإيطالي لغزو طرابلس الغرب، وتكاثر أعداد الجالية الإيطالية بها و إتساع رقعة مشاريعهم الزراعية والصناعية وغيرها فإن "الشيخ محمد سوف" أعلن عن موقفه الشخصي من تلك الأحداث التي رأى ضرورة إستنكارها والوقوف في وجهها والتصدي لها حتى لا تتفاقم، فشارك مع عدد من زعماء طرابلس وأعيانها، في كتابة عريضة إحتجاج ضد المشاريع والنفوذ الإيطالي في طرابلس، فأرسلوا العريضة بالتلغراف إلى الأستانة وأظهروا فيها إستيائهم من لهجة وسائل الإعلام الإيطالي و أوضحوا أنهم سيدافعون عن بلادهم بكل ما يملكون، وطلبوا من الباب العالي تحصين الولاية وإمدادها بالذخائر والمؤن، كما طلبوا سرعة رد الإجابة عليهم، إلا أن الرد كان مخيبا للآمال، فلا الذخائر وصلت ولا تم تحصين البلاد والإستعداد لمواجهة الغزو الإيطالي التي كانت بوادره تلوح بوضوح ولا تم كبح جماح إيطاليا في نشاطاتها المختلفة بطرابلس.[2]

ومع بداية الغزو الإيطالي في شهر أكتوبر من سنة (1911م) كان الشيخ سوف من جملة قادتها وأبطال مقاومتها الأوائل وقد حضر عقد إجتماع لزعماء طرابلس يوم السادس من شهر أكتوبر سنة(1911م) وحضره أيضا معظم أعيان إقليم طرابلس، وفيه تمت دراسة الموقف العام وما يتطلبه من إجراءات هامة وسريعة، ومن بين ما تم إقراره في ذلك الإجتماع تحديد الأماكن التي سيعسكر فيها المجاهدون وكيفية دعوة الناس للجهاد ومشاركة الأهالي للقوات النظامية العثمانية "التي لم تكن قد إستسلمت بعد في حينها" في القتال ضد إيطاليا، وتسليم القيادة العسكرية "لنشأت بك" وقد أبرق الأخير بإعتباره مسؤول الولاية الأول إلى الأستانة بتلك القرارات، التي وافقت عليها الحكومة العثمانية، حيث تم تعيين "نشأت بك" والياً وقائداً عسكرياً لطرابلس.

كان الشيخ سوف على رأس مجموعة من المجاهدين مع زملائه يبذلون مافي جهدهم لمواجهة الغزاة وطردهم من الولاية، ففي معركة الهاني بطرابلس يوم (26 أكتوبر) ومعركة سيدي المصري يوم(27 أكتوبر 1911م) حضر الشيخ سوف وشارك مع القوات العثمانية ومجاهدي القبائل الطرابلسية في هزيمة القوات الإيطالية هناك، يقول "الطاهر الزاوي"الذي كان حاضرا ومشاركا في تلك المعركة هو الأخر.. " **كما أني لم أنس الشيخ محمد سوف،**

[1] - و لد الشيخ محمد بمنطقة " وادي سوف "بالجنوب الجزائري سنة 1274 هـ، الموافق 1857م، وقد قد أعطى له ذلك اللقب " سوف"، لأنه ولد هناك خلال هجرة جده" غومه "إلى منطقة وادي سوف بعد ثورته الطويلة ضد الحكم العثماني في ولاية طرابلس الغرب، أما اسم محمد فقد أضيف إلى اسمه كعادة العرب اقتداء باسم الرسول صلى الله عليه وسلم. ولد محمد سوف بعد وفاة والده الحاج محمد اللافي ورعته أمه السيدة فجرة بعد مقتل جده غومة وهو لم يتجاوز من العمر ثمانية أشهر، وقد ترعرع في كفالة أخيه " محمد " من ابيه، وتربى مع عائلته وأهله في البادية الجزائرية التي غرست فيه الشهامة والشجاعة والصدق والكرم، وركب الخيل منذ صغره فنشأ فارسا مغوارا، وعاش مع قبيلته العربية ثائرا ومتمردا ضد الظلم والقهر والتعسف، فسار في طريق الثورة والنضال والكفاح والمقاومة حتى وافته المنية. أنظر : مصطفى علي هويدي، الشيخ محمد سوف المحمودي ودوره الوطني، صفحة من تاريخ ليبيا السياسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا،2002م،صص 10- 15.

[2] - الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، (طـ 3) ، دار الفتح ،طرابلس، الجماهرية الليبية العظمى,1973.صص 52-54.

شيخ المحاميد في عصره، وهو راكب على جواده يؤانس المجاهدين بعد رجوعهم من المعركة ويثبت قلوبهم ويحرضهم على الإستمرار في الجهاد ويقول لهم " : لا يصح أن نصدر عن البئر قبل أن نشرب "ويعني الشيخ بذلك أنه يجب عليهم أن يصبروا على ملاقاة العدو ولا يتركوا الجهاد حتى يطردوا الإيطاليين من بلادهم.

و يفيد التقرير الإيطالي المشار إليه سابقا أن "الشيخ سوف" حرض المواطنين وحثهم على ضرورة مقاومتنا كما شكل ونظم فرقا مسلحة قوية ضمت مقاتلين من قبائل عديدة منها المحاميد و الصيعان وشارك هو شخصيا في المقاومة ضدنا .وفي يوم(2 نوفمبر 1911م) وقعت معركة الهاني–بو مليانة– بطرابلس، وقد شاركت فيها قوات المجاهدين التي تولى قيادتها "الشيخ محمد سوف" و"الشيخ المهدي السني"' إضافة إلى القوات العثمانية، وقد تمكن المجاهدون من دحر القوات الإيطالية و إجبارها على الفرار، كما تمت مطاردتها حتى دخلت المدينة (طرابلس) –شارع بن عاشور حاليا–تاركة ورائها مئات من القتلى والجرحى[1].

هذه عينة من ذلك النضال الرائع والجهاد المستبسل الذي بذلته نخبة من الجزائرين سواء من داخل الجزائر أو خارجها على ساحات الجهاد الطرابلسي إيمانا منها بوحدة القضية وضرورة مقاومة الإستعمار على إمتداد العالم العربي والإسلامي.

1–ج:الإجراءات الفرنسية لمنع الجزائريين من دعم الطرابلسيين :

لم يكن من الغريب أن يُصاب الفرنسيون بالذعر والتخوف من هذه الهبة الجزائرية لنصرة أهلهم في طرابلس الغرب مُنجرين نحو عواطفهم الدينية والقومية ، ففي الداخل لجأ المستوطنون إلى مضايقة الأشخاص والتضييق على بعض الصحف التي تبنت قضية الطرابلسيين وعملت على دعمها ك"الإسلام و" الرشيدي" التي كانت تنشر مقالات مؤيدة للأتراك[2] ولم يسلم حتى الشبان المتعاطفون مع الطرابلسيين من تُهم الخيانة لفرنسا، كماإدعت فرنسا صعوبة التواصل مع هيئات الدعم الإغاثي خارج الجزائر كل ذلك جزء بسيط من ردود الفعل الفرنسية

و في ظل تخوفها الشديد من هذا التضامن الجزائري مع طرابلس الغرب شددت السلطات الفرنسية الرقابة على الجزائريين المتجهين للشرق، وبهذا الصدد أرسل عامل عمالة قسنطينة بلاغا إلى كل مسؤولي البلديات المختلطة يطلب منهم إخباره إن كان هناك من الأهالي من توجه إلى طرابلس للقتال إلى جانب الأتراك.[3]

[1] - مصطفى علي هويدي، الشيخ محمد سوف المحمودي ...، مرجع سابق ،ص 63.
[2] - شارل روبيرأجرون ، الجزائريون المسلمون ،مرجع سابق ، ص 505.
[3] - أحمد صاري ، النخبة الجزائرية ما بين الوفاء للخلافة العثمانية ...، مرجع سابق، ص61.

ولإدراكها بالدور الكبير الذي تمارسه الصحافة ، لا سيما ذات التوجه العربي الإسلامي والمتأثرة بأفكار الجامعة الإسلامية، بادرت الإدارة الإستعمارية إلى محاصرة الجرائد العربية الموالية لتركيا والتي كانت تباع قبل ذلك في الجزائر كجريدة "الهلال العثماني" التي كانت تصدر بتركيا والتي كان يديرها "عبد العزيز جاويش" .[1]

ورغم تلك الاجراءات الردعية والتضييق الكبير على الجزائريين للحيلولة دون دعم الجزائريين للجهاد الليبي فإن التدفق المالي والمادي والبشري ظل يتدفق على طرابلس سرا عبر تونس والحدود الجزائرية الجنوبية ، وكانت التبرعات التي تجمع في العالم الاسلامي ومنها الجزائر ترسل إلى قيادات المجاهدين مباشرة.[2]

ولم يتوقف الجزائريون عن التنقل سرا خاصة عبر المناطق الجبلية والصحراوية نحو ليبيا سواء للجهاد أو لنقل المؤن والمساعدات للبيبيين ،دون أن ننسى إستقبالهم للعديد من العائلات الليبية التي كانت تنزح نحو الجزائر بين الفينة والأخرى ، فلم تغير تلك الإجراءات الردعية من تضامن الجزائريين مع أشقاءهم بل زادتهم إصرارا على ذلك.

2-5 :تونس قلعة في نضال النخبة الجزائرية :

لقد كانت تونس منذ عهد بعيد وجهة ملائمة للعديد من الأسر الجزائرية الفارة من بطش الإستعمار والراغبة في تحسين وضعها الإجتماعي والإقتصادي أو تلك الراغبة في تعليم أبناءها تعليما عربيا إسلاميا حفاظا على هويتهم من الفرنسة والتمسيح و قدتكثفت حركة النزوح تلك من الجزائر إلى تونس منذ بدايات الإحتلال الفرنسي للجزائر في سنة (1830م) وبالخصوص بعد إخماد ثورة المقراني في سنة (1870م)، و يلاحظ إستقرار أغلب الوافدين الجزائريين في جهات الشمال التونسي،مثل جندوبة وماطر وباجة وبنزرت، وبالخصوص في العاصمة تونس التي يوجد فيهاحي من أحياء ربض باب سويقة يكاد يكون خاصا بالجزائريين ولا سيما منهم سكان منطقة القبائل (زواوة)

وقدظلت تونس ولازالت عبر تاريخها تحتل مكانة مميزة في قلوب الجزائريين يختصرها شاعر الجزائر "محمد العيد آل خليفة" في قصيدة له بعنوان (روابط لاتبيد)قائلا:

أخت الجزائر تونس الخضراء***** كلتاهما وهما سيان سواء

يا هؤلاء وما الدعاء لغيرنا ***** في الذكريات لهؤلاء وفاء

إن الجزائريين الذين هاجروا- طوعا أو كرها- إلى تونس خدموها بإخلاص سياسيا وعلميا، ولم يجد الكثير منهم حرج في الإنتساب إليها[3]فقد قام عدد كبير من المنحدرين من هذه العائلات الجزائرية بدور بارز في نشأة الحركة الوطنية التونسية في أواخر القرن التاسع عشر وتطورها خلال النصف الأول من القرن العشرين. ومن بين هذه

[1] - أحمد صاري المرجع السابق، ص62.

[2] - بالخير ،الهاشمي محمد ، الغزو الايطالي وبداية المقاومة المسلحة ، منشورات جامعة الفاتح و مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي،طرابلس، ليبيا، 1985،ص73.

[3] - محمد الهادي الحسني ،" أصالة ولو شكلية"، **البصائر** ، ع06،04-11 مارس 2002،ص6.

العناصر ذات الأصل الجزائري، نجد مناضلين قد حافظوا على (جزائريتهم) أمثال : "إبراهيم أطفيش" و"صالح بن يحي" و"إبراهيم بن الحاج عيسى" و"محمد التميني" و"حسن قلاتي"[1] و"محمد العربي"[2]، وفي المقابل نجد مناضلين أخرين من أصل جزائري، مولودين في تونس ومندمجين في الشعب التونسي ،أمثال "أحمد توفيق المدني" و"عبد الرحمان اليعلاوي" و"علي بوشوشة" و"الطيب بن عيسى" و"حسن النوري"[3]، هذا بالآضافة إلى العناصر ذات الأصول الجزائرية الموغلة في القدم من أمثال "عبد الرحمان الصنادلي"[4] و"عبد العزيز الثعالبي" وحسين الجزيري" و"محمد الخضر حسين"و"عبد الجليل الزاوش" و"الصادق الزمرلي"[5].

وبتتبع الأحداث المرتبطة بنشاط النخبة الجزائرية المقيمة في تونس نلاحظ أنه عندما فشلت الحركة المطلبية الأولى[6] التي تزعمها "الشيخ محمد السنوسي" بتونس العاصمة سنة(1885م) وخمدت المقاومة المسلحة سنة (1887م) إتجه رجال الحركة الاصلاحية نحو توجه شديد التأثر بتعاليم وأفكار الشيخ "محمد عبده" الداعي إلى

[1] - حسن قلاتي :(1880-1966) ولد في قصر البخاري سنة 1880، لينتقل والده في السنة الموالية إلى تونس ،أين عين مرجما في المحكمةالفرنسية، زاول دراسته الثانوية في معهد كارنو ودراسته العليا في جامعة تولوز ، ليتحصل على شهادة الاجازة في الحقوق سنة 1902، ليصبح من أكبر المحامين في تونس ،إنظم إلى حركة الشباب التونسي وساهم في تحرير جريدة التونسي ، ألقت السلطات الفرنسية القبض عليه يوم 12 مارس 1912 وأبعدته إلى الجزائر. ، أنظر : حمادي الساحلي ،مساهمة المناضلين من ذوي الأصل الجزائري في الحركة الوطنية التونسية ، مرجع سابق،ص427.

[2] - محمد العريبي : (1917-1946)، شاعر موهوب وأديب ملتزم من أصول جزائرية، درس في الزيتونة ، ساهم في تحرير العديد من الصحف ، من بينها الزمان والسرور والوطن والعالم الأدبي، تولى رئاسة صحيفة الحزب الدستوري الهزلية (صبرة)، ألقي عليه القبض بعد حوادث أفريل 1939م، وسجن سبعة أشهر ، أنظر : حمادي الساحلي ،مساهمة المناضلين ، المرجع السلبق ،ص433.

[3] - حسن النوري :(1905-1939)، من أصل جزائري، شارك في العديد من المظاهرات المناهضة للفرنسيين في تونس ، إنخرط في الحزب الدستوري الجديد، شارك ايضا في النشاطات العمالية في تونس،ألقت لسلطة الفرنسية القبض عليه، ثم أبعدته إلى الجزائر يوم 4 جانفي 1936 ، بدعوى أنه من أصل جزائري، واصل نضاله ضمن حزب الشعب الجزائري، ليدخل السجن ويتعرض لتعذيب رهيب اودى بحياته في 21 نوفمبر 1939م،أنظر : حمادي الساحلي ،نفسه ،ص432.

[4] - ولد عبد الرحمان الصنادلي في منتصف القرن التاسع عشر 1848) أو(1850 ، وتوفي في 27 أكتوبر .1935 وهو أحد رواد الصحافة في تونس . وصاحب جريدة،ينحدر من أسرة جزائرية استقرت بتونس .درس في جامع الزيتونة وأتقن الفرنسية بدروس خصوصية. ثم انتقل إلى مصر حيث درس في الجامع الأزهر .وفي مصر بدأ حياته الصحفية مع الشيخ محمد بيرم الخامس الذي أسس مطبعة وأصدر جريدة "الإعلام"، كما سنحت له الفرصة ليتصل بالعديد من الشخصيات الفكرية والأدبية كالمويلحي ومحمد عبده .وبعد عودته إلى تونس أصدر جريدة **الزهرة** التي ظهر عددها الأول يوم 20 جوان 1890 وقد تعرضت هذه الجريدة إلى التوقيف أولاهما بين جانفي 1897 وسنة 1904 لأنه لم يكن قادرا على دفع الضمان المالي الذي كان يشترطه قانون الصحافة آنذاك. أما الثانية فخلال سنة 1904 لانتقادها وحشية الحراس بسجن جقار .من أهم ما عرفته هذه الجريدة أيضا تحولها إلى جريدة يومية.أنظر : محمد حمدان، أعلام الإعلام في تونس 1860-1956، مركز التوثيق القومي، تونس 1991، صص 20-21.

[5] - الصادق الزمرلي (1885-1983)، من أصول جزائرية ولد بتونس سنة 1884 او 1885،زاول دراسته بالمدرسة الصادقية، إنظم إلى حركة الشباب التونسي منذ إنشاءها سنة 1907، وساهم في تحرير النشرتين العربية والفرنسية من جريدة (التونسي)، القي عليه القبض وابعد غلى الجنوب التونسي بسبب نشاطاته المزعجة للفرنسيين.، أنظر : حمادي الساحلي ،مساهمة المناضلين، مرجع سابق ،ص428.

[6] - الحركة المطلبية الأولى: كانت أولى بوادر الحركة الوطنية التونسية حركة أعيان العاصمة، التي تزعمها الشيخ محمد السنوسي سنة 1302هـ، 1885م، وتمثلت في تقديم عريضة إلى علي الباي تضمنت اعتراضات على جملة من قوانين وإجراءات إدارة الحماية، نتج عنها نفي الشيخين محمد السنوسي وأحمد الورتاني خارج العاصمة، وعقاب كل الموقعين على العريضة. وقد لقيت هذه الحركة صدى واسعًا في مجلة العروة الوثقى للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، لما كان لهذين الرجلين من علاقات بالنخبة المثقفة التونسية آنذاك. فقد زار الشيخ محمد عبده تونس مرتين، وكان لما تنشره مجلة العروة الوثقى ومجلة المنار لصاحبها رشيد رضا من بعدها تأثير كبير بين تلك النخبة والجيل الذي تلاها من التونسيين.

نشر التعليم وإحياء الحضارة العربية الإسلامية ، وقد كان أبرز ناشطي هذا الإتجاه من خريجي المدرسة الصادقية[1] وقد أصدر هؤلاء جريدة أسبوعية مستقلة باللغة العربية وهي جريدة "الحاضرة "[2] وما يهمنا في الأمر أن من كلف بإدراة هذه الجريدة كان الجزائري"علي بوشوشة"[3] طيلة 23 سنة متواصلة وبعد مرور 10سنوات على صدور "الحاضرة" شرع أصحابها في تطوير مناهج التعليم وتلقيحها بالعلوم الدقيقة والتعريف بالحضارة العربية الاسلامية، وسرعان ما استقر رأيهم على إنشاء جمعية ثقافية تسعى لتطبيق البرنامج المذكور فظهرت على إثر ذلك سنة(1896م) جمعية " الخلدونية" ، فكان من الشخصيات البارزة التي تداولت على رئاستها إضافة إلى مؤسسها زعيم النهضة الفكرية التونسية "البشير صفر" ، نذكر بالخصوص ثلاثة رؤساء من أصول جزائرية وهم : "علي بن أحمد قلاتي" سنة(1899م) و"عبد الجليل الزاوش"(1910-1919م) و"حسن قلاتي"(1920م).

وكذلك بالنسبة للصحافة فقد صدرت منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر،عدة صحف تونسية ناطقة بالعربية ، من أشهرها جريدة (الزهرة) وصاحب هذه الجريدة هو "الشيخ عبد الرحمان الصنادلي" ذي الأصول الجزائرية، وفي سنة (1904م) صدرت في تونس أول مجلة ثقافية إسلامية هي "السعادة العظمى" لصاحبها "محمد الخضر حسين" ذي الأصول الجزائرية أيضا.

ومع ظهور حركة الشباب التونسي إبتداءا من(1906م) بقيادة "علي باش حامبه" وإزدياد وتيرة نشاط الشبان التونسيين المتاثرين بفكر الجامعة الإسلامية، برز من بين مؤسسي هذه الحركة أربعة من ذوي الأصول الجزائرية وهم "حسن قلاتي" و"عبد الجليل الزاوش[4] و"عبد العزيز الثعالبي" و"الصادق الزمرلي".

وللتأكيد على هذا الحضور القوي يقول الدكتور محمد صالح الجابري :" وما من شك في أن هذه المشاركة السياسية التي تمتد عبر تطور الحزب الدستوري وتقلباته المختلفة خلال فترة تتراوح على الأقل من سنة (1920 م)

---

[1] - المدرسة الصادقية : المدرسة الصادقية تأسست في سنة 1875 على يد خير الدين التونسي .وتعتبر أول مدرسة ثانوية عصرية في البلاد تونسية جاءت لتعاضد مجهود المدرسة الزيتونية في نشر العلم. وقد تخرج من الصادقية جل القياديات والشخصيات السياسية التونسية هامة كالرئيس الحبيب بورقيبة والوزير أحمد بن صالح والكاتب محمود المسعدي ورئيس المجلس التأسيسي مصطفى بن جعفر و الأستاذة خديجة بنت الشيخ العيد ماجد و غيرهم.هذه المدرسة التي وضعت برامج عصرية، متفتحة على العالم، وطرق تدريس ثرية، متنوعة، وحديثة، ضمت إلى جانب اللغة العربية اللغات الأجنبية كالتركية والإيطالية والفرنسية والعلوم الصحيحة كالرياضيات.

[2] - جريدة الحاضرة : صدر العدد الأول من جريدة الحاضرة بتاريخ 2 أوت 1888 . يعتبر على بوشوشة (1917 - 1859)وهو من أبرز مؤسسي جماعة الحاضرة والبشير صفر رائد حركة النضال الثقافي التونسي (1863 - 1917) المساهمين في بروز جريدة الحاضرة التي اتخذت من يوم الثلاثاء موعدا اسبوعيا لصدورها وظهرت لقرائها في ما لايقل عن 1111 مناسبة حتى موعد إيقاف صدورها في نوفمبر 1911 . لم يكتف جماعة الحاضرة بالنضال الصحفي بل ساهموا أيضا في تنشيط الجمعيات الموجودة وبعث جمعيات جديدة.

[3] - علي بوشوشة (1859-1917)، ولد في مدينة بنزرت، ينحدر من أسرة جزائرية تعود أصولها لمنطقة جيجل

[4] - عبد الجليل الزاوش (1873-1947)، ينتمي على اسرة جزائرية، ولد بمدينة تونس سنة 1873،بعد دراسته الثانوية في تونس ، زاول الدراسات العليا بباريس، حيث حصل على الاجازة في الحقوق، شارك بقوة في الحياة الثقافية والسياسية التونسية ، وقد تولى رئاسة الجمعية الخلدونية من 19110-1919،كما إنظم على حركة الشباب التونسي وساهم في تحرير جريدة التونسي.، كما ساهم في المؤتمر الاستعماري المنعقد بباريس سنة 1908.:أنظر : حمادي الساحلي ،مساهمة المناضلين ،مرجع سابق ،ص427

إلى قيام الحرب العالمية الثانية تدل دلالة واضحة على مدى ترابط المثقفين الجزائريين الذين أقاموا بتونس مع زملائهم التونسيين وضروب ما أبدوه من شجاعة وبسالة في شد إزر الحركة الوطنية التونسية التي كانت ممثلة بصدق طيلة هذه المرحلة في نضال الحزب الحر الدستوري... ولم يقتصر هذا الوفاء على المقالات السياسية التي تعبر بلسان الساسة وتحلل الأحداث اليومية وتهتم بقضايا الساعة والتحولات السياسية وإنما تجاوز هذا الوفاء ليغمر قلوب الشعراء وتفيض به أحاسيسهم في قصائد تؤكد مواقف زعماء هذا الحزب القدامى والجدد وتمدح جهودهم وجهادهم وشجاعتهم وتعبر بلسان الشعوب المغربية على مظاهر على مظاهر العرفان لتضحياتهم وبسالتهم وتفردهم بالحماس والنخوة"[1].

لقد إعتبر الجزائريون قضية الحزب الحر الدستوري التونسي قضيتهم وإنتصارها هو إنتصارهم.فأندفعوا في العمل فيه ودعموه بجهودهم السياسية والمالية والفكرية. ولم يكن العمل مقصورا على المهاجرين الجزائريين المستقرين بمختلف المدن التونسية، بل كان منتشرا أيضا في مدنها وأريافها. وكان الجزائريون يهدفون إلى إستقلال القطرين التونسي والجزائري.

وذكر تقرير حاكم الجزائر العام إلى المقيم العام الفرنسي بتونس في نهاية سنة (1920م) أن الجزائريين كانوا ملتفين حول جمعية دينية تعمل على الدعاية لإستقلال القطرين التونسي والجزائري معا، وهم كلهم ثقة بأن كل المستعمرات الفرنسية ستنال إستقلالها عن طريق هذه الجمعية.[2]

وكان الشيخ "صالح بن يحي"[3] على رأس هؤلاء الجزائريين، إذ كان عضوا بارزا في حزب الدستور التونسي. وإستغل حرفته التجارية وتجول في منطقة بني مزاب بالواحات الجزائرية وجمع سنة (1920م) ،مبلغ130000 فرنك ،بإسم (دستور أهل تونس) ومديره الشيخ الثعالبي ووجهها للحزب.

وقد شارك في تمويل الحزب الدستوري جزائريون كثيرون[4] في الجمعية الدينية التي ذكرها حاكم الجزائر في تقريره المذكور ، وشاركوا فيه بأموالهم، وقرنوا مصيرهم بمصير الحزب الدستوري التونسي وضموا نشاطهم لنشاطه وأموالهم لأمواله. وكل إنتماءاتهم تدل بوضوح على إتجاههم الوحدوي العربي الإسلامي[5].

---

[1] - محمد صالح الجابري ،الأدب الجزائري في تونس،(ج1)، بيت الحكمة ، تونس ، 1991،ص182.

[2] - يوسف مناصرية ، الحزب الدستوري التونسي 1919-1934،دار الغرب الاسلامي ، بيروت،، ص 71.

[3] - صالح بن يحي : من مواليد وادي ميزاب بالجزائر ،قدم على تونس سنة 1917 مع البعثة الميزابية الأولى، درس بجامع الزيتونة، إلتحق بصفوف الحزب الدستوري بدعوة من الشيخ عبد العزيز الثعالبي، قام سنة 1920 بجولة في الجزائر وبالخصوص في منطقة وادي ميزاب لجمع التبرعات لفائدة الحزب الدستوري التونسي، القي القبض عليه سنة 1920 وأودع السجن رفقة الثعالبي والشيخ محمد الرياحي.، أنظر : حمادي الساحلي ، مساهمة المناضلين ، مرجع سابق ،ص430.

[4] - ذكرالدكتور يوسف مناصرية في كتابه الجزب الدستوري التونسي قائمة كبيرة من الجزائريين بمختلف نشاطاتهم من تجار وصحفيين وكتاب إداريين وغيره ومن مختلف جهات الوطن ، كانوا يحملون أفكار الجزب الدستوري داخل الجزائر وينشطون لصالحه ، مما يبرز أهمية هذا الحزب في الجزائر ومدى التضامن معه ،أنظر الهامش رقم 81، ص، 72 من المرجع المذكور.

[5] - يوسف مناصرية ، نفسه ،ص71.

وقد لعبت الصحافة في البلدين دورا محوريا في هذا التأثر والتأثير المتبادل، فقد لاقت "جريدة التونسي" بعد صدورها سنة(1907م) رواجا في الجزائر، فقد تلقت عديد الرسائل للإشتراكات أو للكتابة بالجريدة أو كمعجبين بوطنية الشبان التونسيين وبشجاعتهم في التصدي للحملة الاستعمارية، وقد تطورت هذه المراسلات إلى تبادل للزيارات العديدة وتواصلت هذه العلاقات أكثر ترابطا خصوصا بين بعض أفراد من النخبة في الجزائر وعنابة ك"علي درويش" و"قاسمي عبد القادر" والمحامي "المختار بن الحاج سعيد "والشبان التونسيين[1].

وقد كان لتأثر العديد من الجزائريين أن سعوا لمبادرات عديدة منها تأسيس "الجمعية الصادقية" بعنابة على غرار الصادقية بتونس ،وإشترك العديد من الجزائريين مع التونسيين في جمع التبرعات لدعم المجاهدين الطرابلسيين.

لكن أهم تطور للعلاقات كان بين جريدة (L'Islam) و(Le Croissant) ، الجزائريتين والشبان التونسيين وخاصة جماعة جريدة "التونسي" ،رغبة في العمل ضمن الرابطة الإسلامية، وقد سعى "علي باش حامبه" و"الشيخ الثعالبي" إلى التنسيق على مستوى المقالات التي تصدر بالجرائد التونسية والجزائرية، وذلك بالتعريف بالمشاكل في كل من الجزائر وتونس.

لكن أهم خطوة كانت في إرساء مشروع وحدة نضال شبان المغرب العربي هي المبادرة بقيام مؤتمر يجمع الطرفين في تونس للتباحث في المشاكل السياسية والإقتصادية والإجتماعية لمواجهتها ، وفعلا بدأ العمل لتهيئة هذا المؤتمر في مكتب "حسن قلاتي"، وحرر القانون الداخلي لهذا المؤتمر وسُطرت أهدافه ومجالات عمله وطرقها، وقد نشرت جريدة (Le Croissant) بسكيكدة نداء لكافة المسلمين الجزائريين بالمنطقة للمشاركة في هذا المؤتمر وأرسل له أسماء الذين وافقوا على المساهمة في هذا المؤتمر وكذلك فعلت جريدة (L'Islam) وكان من المقرر عقد هذا المؤتمر لتوحيد السياسة التونسية في (ربيع 1912م) بتونس حسبما نشرته هذه الجريدة[2].

وقد كان هنالك العديد من الأعلام الجزائريين أو من أصول جزائرية و الذين ساهموا من مواقع قيادية وتأسيسية في بعث الأحزاب والتنظيمات الوطنية، فقد أضحت الآن سيرهم معروفة حتى نعيد في تفصيلها، ونكتفي بإستحضار بعض الأسماء فحسب.فمن حركة الشباب التونسي (1906-1912) ومن مؤسسيها المحامي "حسن القلاتي" و"الشيخ عبد العزيز الثعالبي" ومن باعثي وقيادي الحزب الدستوري التونسي سنة(1920م) العلمان السابقان و"الشيخ صالح بن يحي" العضو البارز في اللجنة التنفيذية لهذا الحزب والذي كلفه نشاطه هذا السجن سنة (1920م) و"الشيخ إبراهيم أطفيش" والذي أبعد هو كذلك سنة (1923 م) بسبب نشاطه في الحزب الدستوري

[1] - أحمد بن ميلاد محمد مسعود إدريس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1892-1940،(ج1) ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة ،تونس ، 1991،ص145.

[2] - نفسه،ص147.

ليلجأ إلى القاهرة وكذلك الصحفي وعضو الحزب منذ تأسيسه "الطيب بن عيسى القرواوي[1] والذي أصدر صحيفتي "المشير"سنة(1911م) و"الوزير" (1920) ولعل أنشط هؤلاء وأطولهم في درب مقارعة الاستعمار في تونس ثم في الجزائر "أحمد توفيق المدني" الذي عرف السجن وطردته السلطات الفرنسية نحو الجزائر في جوان (1925م) لما نشره من مقالات تدعم ثورة التونسيين ثم ثورة "عبد الكريم الخطابي" في الريف المغربي، وكان الدستوري والقيادي الأخر صنو المدني ورفيقه "عبد الرحمان اليعلاوي" أقل شهرة.... ودائما في الحزب الدستوري نذكر "الشيخ أبي اليقضان" الذي لم يتحمل شأنه شأن زميله" أطفيش" و"ابن يحي" مناصب قيادية في الحزب بل إكتفى بتقديم الخدمات الممكنة لزعمائه وتعزيز مواقفهم شعرا ونثرا ودعم آرائهم معنويا وربما ساهم في المعونات المالية المطلوبة[2]

ولم تشذ فئة الطلبة عن هذا النضال القومي المشترك ،فإن المتتبع لنشاط الطلبة الجزائريين المغاربي مع مطلع القرن العشرين، يكتشف المحاولات الأولى التي قام بها الشباب الجزائري والتونسي من أجل إنشاء جبهة تحرير سياسية واحدة في المغرب العربي، حيث ظهر بالجزائر عام(1919م) تنظيم طلابي حمل إسم "ودادية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا"، بينما تشير بعض الدراسات لظهورها خلال العشرينات قبل سنة(1928م)، وكانت لها مجلة دورية تسمى "التلميذ " وتصدر باللغتين العربية والفرنسية ، وتهتم بقضايا الطلاب والإصلاح معا، وكان مقرها نادي الترقي وكانت مُنظمة إلى الإتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين (UNEF) وأتحدت خلال سنة(1927 م) مع "جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا" بباريس، وهذه الأخيرة قد جسدت في برامجها المطامع الوطنية في تحقيق وحدة المغرب العربي، ومن خلال النصوص الموروثة عنها من محاضر مؤتمرات وندوات[3]، نكتشف طابعها المغاربي لما أولته من أهمية الدفاع عن الهوية والشخصية المغاربية ولإعادة ربط صلات أقطار المغرب العربي بالبلدان العربية والإسلامية، فقد ظلت مطبوعة بطابع مغاربي واضح ومستمر مجسدة البعد المغاربي كواقع ميداني من أجل بلورة فكرة وحدة المغرب العربي وكان لها دور بالغ الأهمية في إقامة علاقة صداقة شخصية بين طلاب المغرب العربي الذين كانوا يدرسون في الجامعات الفرنسية والذين سيصبحون فيما بعد في كل من المغرب وتونس والجزائر، العمود الفقري للنخبة المسيرة للبلدان الثلاثة.

هكذا تقدمت النخبة الجزائرية النضال على مختلف الجبهات صحفيا وحزبيا في تونس التي كانت يعتبرها هؤلاء وطنهم وسنتطرق في المباحث اللاحقة بشكل أكثر توسعا وتحليلا لبعض هذه الشخصيات ونشاطها النضالي القومي

[1] - الطيب بن عيسى(1885-1965) ولد بتونس ، من أصل جزائري، درس في الزيتونة والخلدونية، أصدر سنة 1911 جريدة المشير ، وحريدة الوزير سنة 1920، إلتحق بالحزب الدستوري منذ تأسيسه، انظر : حمادي الساحي ،دور المناضلين ، مرجع سابق ،ص430.

[2] - عميرة علية الصغير ، في التحرر الإجتماعي والوطني : فصول من تاريخ تونس المعاصر،تونس،2010،ص"197-198.

[3] - محمد عابد الجابري ، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، في وحدة المغرب العربي(ندوة)،(ط1) ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ،جانفي 1987،ص19.

في تونس و مبرزين ما تعرضت له من إضطهاد من لدن السلطات الإستعمارية ، لمحاولة منعها من المساهمة في النضال التونسي المغاربي.

2-1 :عبد العزيز الثعالبي وفكره القومي الرائد:

إن الدارس لتراث " عبد العزيز الثعالبي" الفكري ، يلحظ أن توجهه العروبي قد تجلى أكثر فأكثر بين سنتي(1912 م) وسنة (1944م) بل إنه بدا من أكبر دعاة الوحدة العربية في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ العرب ،وفضلا عن محاضراته ودروسه فقد تعددت مقالاته الوحدوية في جريدة" الشورى "المصرية وفي غيرها.

ومن إطلاع متفحص على تلك الكتابات المختلفة نرى كيف أكد "الثعالبي" على عروبة المنطقة المغربية منذ خمسة آلاف سنة، فكما هاجر العرب إلى مصر وسوريا والعراق وأستقروا فيها هاجروا إلى بلاد المغرب وهو ما عبر عنه بقوله" فقد طفح مكيال الجزيرة منذ أقدم العصور فأنسابوا على أديم الأرض الأفريقية"[1].

لقد كتب "الثعالبي" عن الوحدة العربية ومقوماتها في الوقت الذي كانت فيه البلاد العربية منساقة إلى تيارات خطيرة من الدعوة إلى الإقليمية والفرعونية والفنيقية وغيرها من دعوات سلطها عليها المستعمر للحيلولة دون وحدتها والتقاءها على أصولها الأصيلة[2]،وسرعان ما تجلى إنتماء الثعالبي العروبي بوضوح أكثر في دراساته التاريخية، حيث أقر بضرورة وحتمية الوحدة العربية ، كشرط لإستقلال وتقدم البلاد العربية ، والملاحظ أنه لم يكن يرى أي تناقض بين المشروع الوطني والمشروع القومي بل أكد أنهما متكاملان متلازمان و أن لا العروبة منفصلة عن الإسلام بل إنهما متماهيان.

كما دعا الثعالبي المفكر القومي العرب إلى العمل من أجل الإستقلال وإقامة دولة الوحدة ولم يكن ذلك منه إلا نتيجة لتأمل عميق في التجارب العربية النضالية وفي موقف القوى الدولية من العرب وفي حقيقة الصلات مع البلاد الإسلامية التي وقف على أحوالها في رحلاته.

وعليه فإنه يرى بأن الوحدة العربية كضرورة قومية وحضارية في آن واحد ،وقد رأى أن الأخر أي [الغرب] ظل دوما متربصا بالعرب وعاملا على إجهاض جهودهم الوحدوية والنهضوية وذلك بسبب إصراره على أن تبقى المنطقة العربية مستعمرة منتهكة ومستقرا لإستهلاك بضائعه وأفكاره ونمطيته.

[1] - عبد العزيز الثعالبي ، مقالات في التاريخ القديم ، ترجمة وتحقيق، جلول الجريبي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1986، ص 67.
[2] - أنور الجندى ،عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الاسلامية 1879-1944،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 1984، ص51.

وبالرغم من تعدد الدراسات الوحدوية وتنوعها والتي تلت طروحات عبد العزيز الثعالبي لدى الرعيل الأول من المفكرين القوميين فإنها لم تضف إلى الأسس التي إنتهى إليها الثعالبي جديدا وهذه الأسس هي " **اللغة والدين ووحدة الرقعة الجغرافية والمصلحة المشتركة والرغبة الشعبية ووحدة الأمل والألم**"[1]

إن مشكلة العرب في نظره تكمن في تخلفهم الثقافي والحضاري. وغياب الوعي برسالتهم الإحيائية والتجديدية، وإن النهوض بتلك الجوانب عن طريق التعليم والجامعات، هي الكفيلة بتغيير ماحل بالمجتمع العربي، وبإحداث تناغم وإنسجام بين فئاته وبفكه من أسر التغريب.

وحينما نذكر أقطاب الفكر القومي في الثلث الأول من القرن العشرين من أمثال : "عبد الله النديم" و"الكواكبي" و"محمد شكري الألوسي" وغيرهم، فإنما يجب أن نذكر معهم عبد العزيز الثعالبي.وفي هذا المضمار يجب أن ننبه إلى أنه تميز عن نظرائه الداعين للوحدة العربية فيما قبل الحرب العالمية الأولى ، بالممارسة النضالية، وبالإرتحال إلى سائر الأقطار العربية وأغلب البلاد الإسلامية للإطلاع على أحوال العرب والمسلمين بينما ركن هؤلاء في تأصيلهم للمشروع القومي إلى التأمل وإستقراء الوثائق [2]، أي أنه عايش هذا الألم والأمل وجدانيا وميدانيا.

و هكذا يتضح لنا كيف أخذت فكرة العروبة حيزا مهما من إهتمامات الثعالبي رغم أن إهتمامه بها جاء متأخرا ، فقد كانت بدايته إعتصاما بمركزية الخلافة الإسلامية وسلطتها في الأستانة، لدرجة أنه كان في البداية يرفض غيرها من الأفكار ، حيث نجده كان يقول حينها: "وهذه المركزية تعتبر مسوغا شرعيا يجُبُ أي فكرة أخرى"، لذلك كان أمرا عاديا أن ينظر إلى دار الخلافة بإعتبارها معقد الرجاء، وأن يشترك بحماسة واضحة في مؤتمر الخلافة في القاهرة سنة (1925م)،ثم حين ولت الخلافة والخليفة معا في ظل أصوات أخرى كانت تنتقص من شرعيتها تحول "الثعالبي"، إلى فكرة جامعة أخرى في إطار الدعوة نفسها وهذه الفكرة الجديدة هي العروبة"[3]

فالفكرة العربية لدى "الثعالبي" كانت الأوضح من بين أفكاره، كتلك المتعلقة بالجامعة الاسلامية أو الشرق،فهو يحدد جغرافية الأمة العربية بوضوح "**بإمتدادها بين قارتين آسيا وإفريقيا، حيث حدودها شرقا من تخوم البلوخستان على الخليج الفارسي.... وتمتد غربا إلى ضفاف المحيط الأطلنطيكي، وتبتدئ شمالا من جبال طوروس، وتنتهي جنوبا إلى شطوط اليمن**"[4].هذه الوحدة ليست قائمة على أصل عرقي فسكان هذه المنطقة

[1] - علي الشابي وأخرون ، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتجديد الفكر الديني ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، تونس، 1993،ص27.
[2] - علي الشابي وأخرون ، الزعيم الشيخ ، نفسه،،ص32.
[3] - هشام نشابة ومسعودة مسعود بوالخضرة،عبد العزيز الثعالبي ودوره في الاصلاح الاسلامي، المكتبة العصرية ، بيروت ،ص99.
[4] - جريدة **الجامعة العربية** ،8 نوفمبر 1931، نقلا عن : هشام نشابة ومسعودة مسعود بوالخضرة،عبد العزيز الثعالبي، نفسه ،ص102.

تجمعهم " **وحدة اللغة والدين والتاريخ والمصالح المشتركة، يُضاف إلى ذلك عنصر حديث من عناصر التكوين الإجتماعي وهو عنصر التذمر والكراهية للطغيان الاستعماري**"[1].

إن الوحدة العربية قائمة إذن، والخوف عليها كان دائما "**من الدسائس الأجنبية المجدة في العمل على تمزيقها وتفكيكها وحل روابطها المادية و المعنوية، لأن البلاد العربية ملتقى خطوط المواصلات العالمية برا وبحرا، وهي معبر الشرق إلى الغرب وطريق الغرب إلى الشرق، ومن هذه الناحية كانت ذات مركز ممتاز في نظر الساسة وقواد الحروب قديما وحديثا**"[2].

"**والمؤسف أن الدارس لحالة المناطق العربية يرى أن الشعور بالجامعة العربية يكاد يكون معدوما تقريبا فكل فريق يقيس العالم العربي على محيطه ، وما يعرفه من أحواله... والسبب في ذلك عدم وجود ثقافة عامة ،وعدم وجود وسائط للتربية والتعليم واحدة بينهم ولايخفى أن الأمم التي لا يكون لها كيان علمي متجدد ولا ثقافة عامة ، تكون سهلة التفريق، وتصبح جامعتها بطبيعة الحال معرضة للإنحلال....فضلا عن ذلك فإن الإستقلال المحلي الذي قسمهم إلى دويلات كثيرة ، يضيق عنها الحصر ، هو من أكبر الأسباب في تلاشيها وضعفها**"[3].

لقد كان "الشيخ الثعالبي" يدرك أهمية إلتئام شمل العرب وإجتماع أقاليمهم في وحدة تعيد لهم مجدهم الماضي، خاصة أن الذي جعلهم على هذا النحو من التشتت هو هزيمتهم أمام الغرب في إطار الصراع التاريخي الثنائي الذي قسمهم إمارات وحكومات ومناطق نفوذ لأوروبا"[4]. وإذا أردنا حصر مقومات الوحدة العربية كما رصدها الثعالبي ، فيمكن تحديد هذه المقومات على النحو التالي :

1- **الموقع الجغرافي** : ففي البلاد العربية تلتقي خطوط المواصلات العالمية برا وبحرا وجوا ، وهي معبر الشرق إلى الغرب وطريق الغرب إلى الشرق، وفي هذه الناحية كانت ذات مركز ممتاز في نظر الساسة وقواد الحروب قديما وحديثا ، وهذا المركز الممتاز خولها فيما سلف من الأحقاب حق السيادة على العالم،كما خولها إياه اليوم وإلى ماشاء الله، مادامت الأمم محتاجة إلى تبادل المنافع وإلى التعاون الإقتصادي، ومن فضول القول تكلف الدلائل على إثبات هذه الحقيقة الناصعة التي لايصح الجدل فيها"[5]

---

[1] - جريدة **الجامعة العربية** ،المصدر السابق.

[2] - هشام نشابة ومسعودة مسعود بوالخضرة،عبد العزيز الثعالبي ودوره ، مرجع سابق ، ،ص103.

[3] -- جريدة **الشورى** ،20مارس 1929، ص2، نقلا عن : هشام نشابة ومسعودة مسعود بوالخضرة،نفسه،ص103

[4] - جريدة **الجامعة العربية** ،8 نوفمبر 1931 ،ص1، نقلا عن : هشام نشابة ومسعودة مسعود بوالخضرة،عبد العزيز الثعالبي ...، مرجع سابق،ص103-104.

[5] - نفسه،ص104.

2- **الدين الاسلامي :" إن الدين الاسلامي يحث معتنقيه على أن يجتمعوا حول بعضهم ، وأن يبتعدوا عن كل سلطة تخالف سلطتهم ، وينبذوا من يجعل لعدوه على نفسه سلطانا....الدين أوجب على كل من تدينوا أن يكونوا يدا واحدة على من عاداهم وصاعقة مجتاحة على من ناوأهم"**[1].

3- **التاريخ :" فللأمة العربية من ماضيها الفاخر، ومجدها الباهر ، مقام عظيم يعرفه الدارسون لتاريخ العرب...ولكن يظهر أن العرب المتأخرين الذي جهلوا أنفسهم لم يعتنوا أقل عناية بهذه الدراسات، بل جهلوها، فأخلدوا إلى الاستسلام والرضى بالهوان، تاركين للمستعمرين الغربيين أن يحلو محلهم في كل ماله مساس ببلادهم"**[2].

4- **المستقبل** : الذي إذا "**أردنا أن نعيش له، ينبغي أن نستبين الخطأ في طرائقنا، وأن نصحح خطأنا، بتعديل وسائل العمل بالاتحاد والتربية السياسية"**[3].

5- **عدد السكان الكبير** : "**فالعرب بحمد الله كثيرون يملأون أطراف القارتين: آسيا وأفريقيا، وهي وطن المدنيات وملتقى الحضارات، ولها فوق ذلك من المميزات والخصائص القومية ما يجعلها في عصام من الاندماج في الأمم التي مرت بها"**[4].

6- **الاستعداد المبدئي** : فالعربي أينما كان، لم يبلغ به الإنصراف عن التفكير في المستقبل إلى فقدان الشعور بالعزة أو الحنين إلى تجديد عهد مدنيته العظيمة ، وهي ميراثه الغالي، وأثر قرائح أجداده، ومن السخافة القول بمنابذتها، أو تكليف الطامح الغرب بإنتقاء ما يصلح لنا منها، وهو جاهد في تحطيمها، وصرفنا عنها، وأن نوكل إلى خصوم نهضتنا تدبير أمرها[5].

7- **القدرة الخاصة** : التي تتمز بها الأمة العربية التي من العار أن "**تستنصف القساة ولا تجد من ينصفها،مع أنها قادرة على إنصاف نفسها بنفسها"**[6]. هذا عن المقومات بالنسبة للثعالبي أما بالنسبة للوسائل، أي كيف يمكن للعرب أن تكون لهم دولتهم ذات كيان خاص ، تعيد لهم المجد والحضارة؟

---

[1] - جريدة **الجامعة العربية** ،8 نوفمبر 1931،المصدر نفسه ،ص105-106.

[2] - أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي، مرجع سابق،ص ،50-51.

[3] - أنورالجندي ،نفسه ،ص164.

[4] - نفسه،ص 54-55.

[5] - نفسه ،ص58.

[6] - نفسه ،ص62.

لقد كان الثعالبي عمليا ونظريا في هذا المجال، فبالنسبة للجانب العلمي فهو توجيه " **همه إلى تكوين وحدة يمنية تكون رأسمال للإسلام في المستقبل ، وكان دعا كافة حكام الأطراف ، إلى عقد مؤتمر تعين إنعقاده في سنة (1921م) ووجه الدعوة إلى من قبله إليهم**"[1].

كما يتمثل هذا الجانب التطبيقي في محاولاته تطويق الخلافات العربية من خلال " المسعى الذي قام به حين كتب إلى "الإمام يحي"[2] صاحب اليمن وإلى إمام عمان وإلى "أحمد بك مريود"[3] الزعيم السوري الموجود في العراق،يدعوهم إلى السعي لعقد مؤتمر عربي ، يسعى في إنهاء حالة الحرب بين سلطان نجد وملك الحجاز"[4].

أما الجانب النظري فيمكن تتبعه في أفكار الثعالبي المتعلقة بالوحدة العربية كما يلي :

- الإتفاق على أن "**مصدر التشريع الملائم للبلاد العربية ، هو تراثها العربي الإسلامي" على إعتبار أن" الوحدة العربية كيان ثابت عظيم، غير قابل للتجزئة والإنفصال**"[5].
- من الضروري لتحقيق الوحدة العربية العناية بدراسة تاريخنا وأدبنا والبحث عن العناصر التي إجتمعت لدين الإسلام وشعب الجزيرة ولسان العرب وتمكنت من هضم شعوب بأسرها وإحالتها إلى طبيعتها وفي أسباب هذه المرونة وخفاياها التي لم تتوفر لشعب من الشعوب والكشف عن أمجاد تاريخنا وفلسفة نشوئنا القومي بما يستتبع العمل على توحيد مصادر الثقافة في البلدان العربية على أساس : التعاون الإقتصادي وإرتياد البلاد العربية والرابطة العلمية.
- أن يُلهم العرب" **لإيجاد نظام سياسي كافل ، أعلى من الوازع الإقتصادي، حين تظهر منهم أكبر وحدة سياسية في العالم ذات سيادة واقعة، تنافس الوحدات الكبرى السائدة اليوم على العالم ، وهي الوحدات الأنجلوسكسونية والسلافية واللاتينية ، ووحدة الجنس الأصفر**"[6]

---

[1] -جريدة الشورى،28ماي 1926،ص2، نقلا عن : هشام نشابة ، مرجع سابق ،ص107

[2] - هو يحي بن محمد حميد الدين (1868-1948)، ملك اليمن، ولد بصنعاء، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 1904م، حاصر صناء حينما كانت بقبضة التراك، وعندما إستسلمت حاميتها، خلص له ملك اليمن ، أنظر : الموسوعة العربية الميسرة، (ط2)،دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، بيروت ،1971،ج1،ص1979..

[3] - أحمد بن موسى مريود (1887-1926)، شهيد من رجالات القومية والنهضة في سوريا، تعلم بدمشق أنشا جريدة "الجولان"، تولى تجهيز الفارين من مظالم الاتحاديين العثمانين للحاق بثورة الشريف حسين، وقاد العديد من العمليات العسكرية ضد الفرنسين : أنظر الزركلي، الأعلام ، (ج1)، مرجع سابق ، ص262.

4 - المقصود هنا هو الشريف حسين بن علي الهاشمي ملك الحجاز.

[5] - أنظر مجلة **الشهاب**، عدد جويلية 1939،ص12.

[6] - جريدة **الجامعة العربية** ، 8 ديسمبر 1932، نقلا عن: : هشام نشابة ومسعودة مسعود بوالخضرة،عبد العزيز الثعالبي ..، مرجع سابق، ،ص 131.

- **"أن يدرك العرب أنفسهم مقدار القوة التي يتمتعون بها و يتداركوا الخطر المحدق بهم وهذا التدارك لايكلفهم جهدا كبيرا، غير تنظيم الصفوف وتوحيد النظر ووجهة العمل لمكافحة العدو المشترك ، وهو الإستعمار الأوروبي"**[1].
- الإقتناع بالقدرة على الإعتماد على النفس في قهر هذا العدو، ولنا في التاريخ دلائل على ذلك فقد قهر العرب الذين قادوا الحروب الصليبية، وطردوهم من ديارهم وأوقفوهم عند حدهم"[2].
- يمكن الوصول إلى الوحدة العربية" في صورة إنقلاب جميل، ليس في حياة العرب فحسب بل في حياة العالم ، وقلب أوضاع هذه المدنية الكاذبة الجافة.....إلى مدنية عدل وإنصاف وتفاهم وسلام ووفاق"[3].
- الخصائص التي تتميز بها الأمة العربية، بالإضافة إلى المواقع البحرية التي تتمتع بها لا ينقصها إذا ماتخذت" **شيئ من وسائل التغلب إلا العلم والتكاثر ، والعرب بحمد الله كثيرون يملأون أطراف القارتين: آسيا وإفريقيا، وهي موطن الديانات وملتقى الحضارات، ولها من فوق ذلك من المميزات والخصائص ما يجعلها في عصام من الاندماج في الأمم التي مرت بها"**[4].
- الأمة العربية أستفادت كثيرا من الأحداث التي مرت عليها " **وعبر الحكم الأجنبي هي التي أيقظتها بعد قرون، وأعادت إليها رشدها، وكذلك أرجعت إليها الذهنية القومية، وأحدثت فيها روحا سامية ،حلت منها مكان الخيال الديني القديم المريض بأدواء الأحقاد والانقسام والأنانية وكونت لها لغة ضخمة منطوية على مخابئ العقول وآثار القرون ومدنيات الأمم"**[5].
- البوادر الإيجابية التي يمكن ملاحظتها من خلال دولة عربية قوية لها تأثيرها في محيطه"فانتظام اليمن وتأليف حكومة قوية فيه يسهل على بقية الأمم العربية السعي في تكوين وحدتها القومية، حول دولة اليمن لأنها ستكون من أغنى الدول العربية...."وفكرة الدول القوية تنطبق على مصر أيضا في نظر" الثعالبي" التي " تجد فيها التجدد يتناول كل مظهر من مظاهر الحياة، فالتجدد في الأدب والتجدد في الإقتصاد والتجدد في السياسة، وأبدع من ذلك تجد حركة شره في طلب العلم"[6].

---

[1] - جريدة **الجامعة العربية** ،المصدر السابق.
[2] - أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي ...، مرجع سابق ،ص162.
[3] - جريدة **الجامعة العربية** ،8 ديسمبر 1932، المرجع السابق ،ص1.
[4] - أنورالجندي ، الثعالبي...، المرجع سابق 55 .
[5] - جريدة **الجامعة العربية** ،8 ديسمبر 1932، المرجع السابق ،ص1.
[6] - أنو الجندي ، عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق ،ص53.

- إن الوحدة العربية سبيل "**للإحياء والتجديد لأن تفاهمهم فيما بينهم بدون واسطة الحكومات ، يضمن سلامتهم وتقدمهم، والرجوع بهم إلى نهضتهم الأولى**"[1].

وبعد هذا التناول لفلسفة الثعالبي الوحدوية الرائدة ، يبدو لنا بوضوح ذلك التطور في الخطاب السياسي لديه نتيجة لطبيعة علاقته في البداية مع السلطة العثمانية،فالثعالبي من الرجال المستنيرين الذين تأثروا في البداية بالخطاب السياسي العثماني كغيره من مفكري العالم الإسلامي عامة وكثير من النخبة الجزائرية ذات التوجه العربي الإسلامي الذين رأينا مدى دفاعهم عن فكرة الجامعة الإسلامية ، لكن زوال هذه الأخيرة فَعَل لدى هؤلاء خيارات إستراتيجة أخرى على رأسها البديل القومي ، خاصة بعد خيبة الأمل التي شكلتها الحركة الطورانية في تركيا نفسها للذين راهنوا على مركزية الخلافةمما أدى إلى إنكفاء المستنيرين إسلاميا من بسط الفكرة الإسلامية بمعناها الشمولي، وإلى بسط فكرة عروبة الإسلام تأثرا ربما بفكرة عروبة الخلافة الممتدة من بداية السلطة السياسية الإسلامية إلى نهاية العصر العباسي.

وموقف "الثعالبي" في هذا المنحى مقارب لموقف كل من الأمير"شكيب أرسلان" والشيخ "محمد رشيد رضا" وقد غذى مخزون العروبة لديهم المخزون التاريخي الذي تحمله الذاكرة الاسلامية[2].

2-2 : التعامل الفرنسي مع نضال النخبة الجزائرية في تونس :

أثبتت النخبة الجزائرية في تونس قوة عودها وضخامة ما تتمتع به من مقومات بشرية وفكرية جعلت السلطات الإستعمارية في كل من الجزائر وتونس تحسب لها ألف حساب وتضعها تحت أعين المراقبة اللصيقة والتجسس المستمر خاصة بالنسبة لرموزها القيادية مثل "الثعالبي" و"المدني".

ولم تتأخر تلك السلطات الإستعمارية في تسليط أقصى العقوبات من حبس ونفي ومصادرة أملاك على كل جزائري تتوجس منه خيفة وتتوقع منه الوقوف في وجه مشاريعها والكشف عن مخططاتها ، موجهة له العديد من التُهم كنشر التطرف ومعاداة الفرنسيين أو التجسس وخدمة دعاية الجامعة الإسلامية أو حتى الخيانة بخدمة أعداء فرنسا كألمانيا و الدولة العثمانية ، وفيما يلي أبرز الإجراءات التي إعتدمها الفرنسيون ضد النخبة الجزائرية في تونس.

كان النفي والإبعاد من أكثر العقوبات التي يتعرض لها النشطاء الجزائريون المناهضون للإستعمار في تونس ، لكنهم لم يكونوا يعاملون نفس المعاملة القانوية على المستوى القضائي بل إن ذلك يخضع للوضعية القانونية والمدنية لهؤلاء داخل تونس، وهنا يمكن التمييز بين ثلاث وضعيات قانونية للجزائريين الموجودين على التراب التونسي:

[1] - الجندي، الثعالبي، المرجع السابق ،ص 162.

[2] - هشام نشابة ومسعودة مسعود بوالخضرة،عبد العزيز الثعالبي ..، مرجع سابق ،ص112.

1- الجزائريون التونسيون: وهم الذين إستقر أجدادهم بالبلاد التونسية منذ مدة طويلة ، حتى قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر، وهؤلاء تعتبرهم السلطات الفرنسية تونسيين، ويخضعون بالتالي إلى القوانين التي يخضع لها التونسيون، وتمارس ضدهم نفس العقوبات ، ومنها الإبعاد بأنواعه إلى الداخل أو الخارج ، سواء منه الإداري أو القضائي[1].

2- الجزائريون من أصول جزائرية وفدت عائلاتهم إلى البلاد التونسية بعد إحتلال الجزائر سنة (1830م) أما الأبناء فقد ولدوا بتونس ورغم ذلك فالسلطات الفرنسية لا تعتبرهم تونسيين بل أجانب ، وتنطبق عليهم بذلك القوانين الفرنسية إذا كانوا حاملين الجنسية الفرنسية.

3- جزائريون مولدا وجنسية وهم الذين قدموا إلى البلاد حديثا وإستقروا به وقد يكون من بينهم من يحمل الجنسية الفرنسية، ويمكن أن تتخذ السلطات الإدارية والسياسية الفرنسية ضد هؤلاء أمرا بالإبعاد إلى الداخل(إلى محتشد أومنطقة تعين لهم) أو إلى الخارج وهو النفي غير المقيد ولكنها في جميع الحالات يمكن أن تتخذ أمرا بطرد الجزائري من التراب التونسي بإعتباره حاملا للجنسية الفرنسية أو غيرها وحتى إذا كان جزائريا تونسيا وذلك إعتمادا على أمر (13 أفريل 1898م) ، الذي يؤكد فصله السابع :"**أنه بإمكان وزيرنا الأول إبعاد أي أجنبي من التراب التونسي لأمر أمني إذا كان مقيما أو سائحا**[2]". كما أن الجزائريين المقيمون في تونس يخضعون لتراتيب حالة الحصار المعلنة بإعتبارهم أجانب مقيمين في تونس.

و إضافة إلى الجهود الفردية للنخبة الجزائرية في تونس ، فقد أبدت السلطات الإستعمارية الفرنسية قلقها أيضا من وجودهم ضمن تنظيمات وجمعيات عُرفت بقوة حضورها الجماهيري ،فمثلا لا يخفى الدور المميز الذي لعبه الجزائريون ضمن الحزب الدستوي الذي جذب إليه خيرة النخبة الجزائرية في تونس ولعل ذلك يعود لعدة عوامل من أهمها :

- وجود بعض الشخصيات من أصول جزائرية ضمن مؤسسي الحزب ورعيله الأول.
- التوجه العربي والإسلامي للحزب وحمله للقضايا العربية – الإسلامية ومنها القضية الجزائرية.
- عدم إمكانية تأسيس إطار سياسي جزائري بتونس أو حتى فرعا لأحد المنظمات الجزائرية المتواجدة بالجزائر.
- الوعي بأن قضيتهم والتونسيين واحدة وبالتالي فإن النضال في صلب حزب تونسي ، يحقق نفس الأهداف.

[1] - لمعرفة درجات الابعاد ، أنظر : عبد اللطيف الحناشي ،الإبعاد في مواجهة النشاط السياسي للعرب المقيمين بالبلاد التونسية (مثال الجزائريين 1911-1939)، **م ت م**، (ع85-86)، أفريل- ماي 1975، ص 59.(الهامش رقم 16).

[2] - عبد اللطيف الحناشي، نفسه ،ص59.

ولذلك فإن الإدارة الفرنسية سرعان ما إلتفتت إلى هذا الدور الخطير الذي يمارسه الجزائريون في تونس، فبذلت أقصى ما تستطيع لإفراغ الحزب الدستوري من عناصره الجزائرية وبالتالي تحجيم دوره ونزع صفة المغاربية عنه[1].

وهنالك العديد من الجزائرين الذين تم إبعادهم من تونس وفي مايلي بعض النماذج:

"الشيخ صالح بن يحي" من أوائل الجزائريين الذي لحق بهم الإضطهاد الفرنسي، فقد أُلقي عليه القبض بتاريخ (28أكتوبر 1920م) بتونس بتهمة تهديد أمن الدولة، حيث تم إبعاده إلى الجزائر، كما أُبعد "الشيخ إبراهيم أطفيش" من تونس مع عدم السماح له بالعودة للجزائر وذلك بأمر مؤرخ في أواسط (فيفري 1923م)، فغادر إلى القاهرة ولم يبعد في الواقع بإعتباره أحد أعضاء اللجنة التنفيذية كما إدعت الحماية وإنما أيضا لحادثة طريفة تمثلت في عدم وقوفه للمقيم العام إحتراما ، كما جرت العادة، الأمر الذي أثار غيض هذا الأخير حيث رأى سلوك "إبراهيم أطفيش" نوعا من التحدي والإحتقار له.

ويمثل إبعاد أحمد توفيق المدني"[2] إلى الجزائر ضربة موجعة للحزب بل وحتى للحركة النقابية التونسية الوليدة حديثا وذلك لما تميز به من روح نضالية عالية وقدرة فائقة على المبادرة والإقناع أما التهمة التي أُبعد على أساسها فهي المشاركة في أعمال الشغب ومناهضة السلطة الفرنسية بتونس ومعارضة تدخل الجيش الفرنسي في الريف المغربي وجمع التبرعات لفائدة "عبد الكريم الخطابي"، وكان المدني في تلك الفترة من أبرز الأقلام التي نددت بإجراء السلطات الفرنسية بتونس والمغرب ومن أبرز قادة الحزب الذين نزلوا إلى الشارع مشاركين ومحرضين ومنددين بسياسة فرنسا، ورفضا وإحتجاجا على إبعاده دعت الصحافة إلى إعلان الإضراب العام يوم(6جوان 1925م) وإبداء الإحتجاج على تصرفات فرنسا، وهو مايدل على مكانة المدني في تونس.

وبهذه المناسبة- مناسبة إبعاد المدني- كتبت جريدة "الوزير" في(30 جوان 1925م) ، مقالة موقعة بإسم (عصام) وهو إسم مستعار للمرحوم "محي الدين القليبي" جاء فيه " لقد أساءت الإدارة إلى الأمة أكبر إساءة بمصادرتها في أعز عزيز لديها، وأكرم رجل من أبنائها مصادرة هي الإبعاد من جهة، وإنكار الجنسية من جهة أخرى فأحدثت بذلك إستياء عظيما بين كافة الطبقات شاهدت درجته عشية الإبعاد وصبيحة اليوم الذي بعده، وقد علمت الحكومة ما بذل لتهدئة الخواطر وتسكين الأفكار..." ومن غريب الصدف أن السبب الرئيسي في تصميم الإدارة الإستعمارية على إبعاد المدني من تونس إلى الجزائر يعود إلى مقالته العنيفة التي تحمل عنوان" الحقيقة عن حوادث الريف، ليحيا الريف حرا مستقلا" والتي نشرت بمجلة "إفريقيا" يوم (25 ماي 1925م)، وبذلك تتأكد

[1] - عبد اللطيف الحناشي ، الإبعاد في مواجهة... ، المرجع السابق،ص 62.

[2] - أنظر الملحق رقم (19)

حقيقة التضامن المغاربي في شخصية هذا المكافح الجزائري الأصل ، التونسي النشأة والثقافة، الذي يتصدى في نفس الوقت للدفاع عن ثورة الريف المغربي، ويؤيد زعامته ضد الاستعمار، ويدعم تماسك وحدة هذا المغرب[1].

كما إستهدفت سياسة الإبعاد أيضا الطالب "عبد الرحمان اليعلاوي"[2] ، الذي تميز بنشاطه السياسي الحثيث خلال العشرينات وقاد المظاهرة التي نُظمت بمناسبة إقامة تمثال "للكاردينال لافيجري"، بمدخل مدينة تونس ومظاهرة الطلبة ضد قوانين التجنيس مع أخرين، وتم إلقاء القبض عليه يوم(6ديسمبر 1925م)، ووضع على ذمة السلطات العسكرية بالجزائر.

ولم يتوقف التوقيف والإبعاد لعشرات السنين بعد ذلك فقد أُبعد مثلا كل من "محمد العيد الجباري" و"الحسن النوري" و "محمد بلحاج"عمار" و"المكي بلعربي" مع إبنيه في منتصف نهاية الثلاثينيات، حيث تم سجنهما وتغريمهما ثم إبعادهما إلى الجزائر[3].

والملاحظ أن الإبعاد لم يستثني أية فئة من الجزائريين الموجودين في تونس، فقدتم إبعاد العديد من الطلبة كما حدث مع الطلبة الذين شاركوا في المظاهرات التي نددت بإبعاد الدستوريين والوطنيين، والتي إنطلقت من جامعة الزيتونة،كما أُبعد العديد من النقابيين، كإبعاد ستة نقابيين جزائريين[4] سنة 1934م[5].

وقد أثارت هذه المعاملة القاسية تجاه الوطنيين الجزائري الكثير من ردود الأفعال على المستويين التونسي والجزائري، في شكل إضرابات ومظاهرات ومقالات قوية في الكثير من الصحف التونسية.

لكن العجيب في الأمر أن بعض الشخصيات المبعدة، خلقت من تلك الأوضاع الجديدة مجالات لنضال جديد فهاهو " إبراهيم أطفيش" الذي أبعد سنة(1923م)،سرعان ما أقام علاقات وطيدة بالنخبة المصرية وإستغل بعض المنابر المتوفرة بالقاهرة للتنديد بالسياسة القمعية الفرنسية ...حيث كتب العديد من المقالات السياسية والإقتصادية في جريدتي " السياسة"و "الأهرام"، أما "أحمد توفيق المدني" فقد ركز نشاطه على المجال الفكري والثقافي، فرغم بقاءه عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري وكاتبا للقلم العربي، إلا أن شدة الرقابة المفروضة عليه من طرف الأجهزة الأمنية الفرنسية ،حالت دون ممارسته للنشاط السياسي وإتجاهه للعمل الثقافي والفكري فقدأسس منبرا ثقافيا (نادي الترقي) ، وكان يستغل وجود بعض المثقفين المبعدين الجزائريين أو التونسيين بالجزائر لدعوتهم إلى إلقاء محاضرة أو

---

[1] - محمد صالح الجابري ،" رحم الله أحمد توفيق المدني"،**الحياة الثقافية**، السنة 8، ع27-28، تونس، 1983،ص3-4.

[2] - ولد سنة 1897، طالب حوكم في أكتوبر1925 بخطية قدرها20فرنكا وطرد من جامع الزيتونة، ثم أبعد من تونس بأمر مؤرخ في 1925/11/5.، أنظر ،عبد اللطيف الحناشي ، الإبعاد، المرجع السابق ،ص64.

[3] - نفسه،ص66.

[4] أنظر قائمة النقابيين المحكوم عليهم ومدة العقوبة ونوعها، لدى : عبد اللطيف الحناشي، نفسه ،ص67.

[5] - للمزيدأنظر:عبد اللطيف الحناشي ، نفسه ،ص67.

إجراء حوار عام، كما كتب في أهم الصحف ك"الشهاب" و"البصائر" و"الإصلاح" وأسهم بعد ذلك في تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"[1].

أما" اليعلاوي" فقد ربط علاقات كثيرة أثناء إقامته بعنابة مع العديد من المثقفين بها وبمدينة قسنطينة، ونشر بعض المقالات في "جريدة الشهاب"، فيما قام "الجباري" بعدة إتصالات مع القوى السياسية في البلاد وخاصة مع أعضاء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" بالجزائر العاصمة وبسكرة وقالمة وعنابة ، ويظهر أن زياراته وإتصالاته تلك كانت بهدف تأسيس جمعية "إتحاد الشباب الشمال الإفريقي الموحد" والتي تشير التقارير الأمنية أن مبادئها مأخوذة عن مبادئ "جمعية نجم إفريقيا" ويسعى برنامجها إلى وحدة كامل الشمال الافريقي[2].

كما عمدت السلطات الإستعمارية إلى إجراء تعسفي أخر يتمثل في مصادرة أملاك النشطاء الجزائريين في تونس وخارجها ومن أبرز الشخصيات التي تعرضت لهذا النوع من التعسف "الشيخ صالح الشريف" فقد كانت له أملاك كثيرة تمت مصادرتها بأمر من الباي صدر في" الرائد التونسي" (عدد58) وبتاريخ(18 جويلية 1917م).

5-3 : النضال بالمغرب الأقصى تأكيدللبعد المغاربي :

لئن حظيت تونس بحجم أكبر ونضال أوسع للنخبة الجزائرية نتيجة للعديد من العوامل التاريخة والجغرافية ، فأن نضال بعض الرموز الجزائرية إنتقل بدوره نحو المغرب الأقصى (مراكش) والتي كانت الجناح الغربي لنضال الجزائريين الذين كانوا يرون في فرض الحماية المزدوجة على هذا القطر الشقيق إمتداد جغرافيا وزمنيا لإحتلال الأشقاء الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وهذا ما يستدعي توحيد جهود أبناء المنطقة لمقاومته ، ومن أبرز الرموز الجزائرية التي أرتبط نضالهال بالمغرب الأقصى نذكر "الأمير عبد المالك الجزائري".

4- أ :الأمير عبد المالك بندقية جزائرية في أرض مراكش :

إن دراسة السياقات التي جاءت في إطارها حركة "الأمير عبد المالك"[3] ، في المغرب الأقصى عندما ثار هناك ضد الوجود الفرنسي مابين (1915-1924م) تُقدم كثيرا من الدلالات على إرتباطها بحركة التحرر المغاربي العربي و الذي يرتبط بدوره بفكرة الجامعة الإسلامية في هذا الحيز الزمني خلال الربع الأول من القرن العشرين الذي إنتشرت فيه بقوة دعاية هذا التيار إنطلاقا من دور حركة جماعة المغاربة المهاجرين الوحدويين والحضور (العثماني- الألماني) دعائيا ولوجستيا

[1] - عبد اللطيف الحناشي ، الإبعاد ، مرجع سابق ،ص70-71.

[2] - نفسه ،ص17.

[3] - الأمير عبد المالك الجزائري، من أبناء الأمير عبد القادر، ولد بدمشق سنة 1868م، ترعرع بها وتلقى تعليمه، تأثر بفكرة الجامعة الاسلامية، إنخرط في الجيش العثماني وتقلد فيه رتبة مقدم ، مع رتبة "مساعد في معسكر السلطان " إلتحق بطنجة سنة 1903، ليعلن الثورة على فرنسا إنطلاقا من المغرب في مارس 1915م، توفي في 6 اوت 1924م، أنظر : أبو القاسم سعد الله، "وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب"، **الأصالة** ،ع33، السنة الخامسة ،جمادى الأ,لى 1396هـ - ماي 1976،ص32.

في بلاد المغرب العربي ، بهدف زعزعة الوجود الفرنسي في مستعمراتها الشمال إفريقية، وكجزء من تطورات الحرب ومقتضياتها الإستراتيجية، حيث كان العثمانيون والألمان يدركون أهمية دول المغرب العربي ضمن جبهات الحرب العالمية الأولى في هزيمة فرنسا حال تحكم في هذه المنطقة.

أما بالنسبة ل"لأمير عبد المالك" فلا شك أنه أحد النماذج الجزائرية التي حاولت إستغلال الظروف الدولية الملائمة لإعلان التمرد ضد فرنسا والسعي إلى تحرير الجزائر من الوجود الفرنسي وإعادتها إلى دولة الخلافة ، والجدير بالذكر أن هذه لم تكن أول مرة يحاول فيها" الأمير عبد المالك" الثورة على فرنسا فعند سماعه بثورة "الشيخ بوعمامة في الجنوب الجزائري إلتحق به ليحارب الفرنسيين وعندما ألقى بوعمامة السلاح سنة (1904م) إلتحق "الأمير عبد المالك" بجيش السلطان المراكشي عبد العزيز، وعين بعد ذلك في حدود (1909م) مفتشا عاما للشرطة الشريفية بطنجة[1].

ولكن حركته هذه المرة إنساقت أيضا ضمن محاولة القوى الأوروبية الكبرى المستمرة للإستفادة من سمعة "الأمير عبد القادر" وأسرته[2] ، مما دفعها إلى التنافس لمحاولة ربط علاقات مع أفراد هذه الأسرة والإستفادة من سمعتهم وتأثيرهم نتيجة لثقلهم السياسي في المشرق والمغرب العربيين.

ولم تكن ألمانيا بمعزل عن هذه المحاولات لإستغلال عائلة الأمير عبد القادر فأظهرت هي الأخرى إهتمامها بالموضوع، ومن بين أبناء "الأمير عبد القادر" الذين كانوا محل هذا التنافس ، نجد "الأمير عبد المالك" الذي قاد ثورة ضد الفرنسيين في المغرب مابين(1915م)إلى غاية(1924م).

بدأ حضور "الأمير عبد المالك" على الساحة المراكشية منذ أن عينته فرنسا على إثر (مؤتمر الجزيرة)سنة (1906م) قائدا لقوات الشرطة الشريفية في طنجة وهو ما ساعده في تحقيق طموحاته في مقاومة الفرنسيين والتي لم تنجح محاولة فرنسا لإستقطابه في محوها، وهو الذي سبق وأن وصف الفرنسيين ب" أسوأ أعدائه"[3] و يبدو أن فرنسا كانت تبادله نفس الشعور بالكراهية ، لكن ضرورة التكتم على مصالحه و طبيعة الظروف السائدة آنذاك حالت دون الجهر بها ، كيف لا و قنصل فرنسا بدمشق أوتافي (Ottavi)سنة (1912م)لم يتأخر في وصفه" بأنه من أذكى أبناء الأمير وأكثرهم تأثيرا ببلاد الشام ومن صفاته العنف والجشع والتشدق وكره الأجانب وبخاصة الفرنسيين فهو يكرههم من الأعماق "[4].

لكن مصالح ونوايا كل طرف والسعي لتحقيقها أوجدت هذا التواصل اللامنطقي بين الطرفين و رغم محاولات الإتصال تلك فلا نجد من الباحثين من يشكك في ولائه للدولة العثمانية وكراهيته الشديدة لفرنسا،فقد كان "عبد المالك" متأثرا بوضوح بفكرة الجامعة الإسلامية ، كما أن تعلمه في الشرق وتزامن وعيه مع تلك اليقظة العربية مشرقا إضافة إلى

[1] - سعدالله ، "وثائق جديدة.."، المرجع السابق،ص33.

[2] - يشير أبو القاسم سعد الله إلى أن عدد أفراد هذه الأسرة بلغ في حينه 3000 فرد، وكان بعض أفرادها قد تقلدوا مراكز عالية في المجلس الوطني العثماني وفي الجيش، أنظر :أبو القاسم سعد لله ،الحركة الوطنية الجزائرية ...،(ج2)، مرجع سابق ،ص237.

[3] - سعد لله ، نفسه ،ص 239.

[4] -P, Bardin,Algeriens et ,op.cit,p180-181.

تأثره الواضح بأخيه" الأمير علي"، كل ذلك جعله هدفا لدعاية كل الأطراف، لاسيما مع إندلا ع الحرب الكونية الأولى سنة(1914م) وما سبقها من تنافس حميم بين فرنسا وألمانيا في المغرب الأقصى وهو ما جعله هو بدوره أيضا يفكر في إستغلال هذا التنافس لصالحه ولصالح قضايا المغرب العربي ودولة الخلافة.

ولماكان محتاجا في حركته تلك لطرف قوي يسانده سياسيا وعسكريا ،فلم يجد لهذا الدور أفضل من حليف الدولة العثمانية " ألمانيا" التي تشترك معه في عداوة فرنسا والرغبة في هزيمتها، فإتصل بالقائم بالأعمال الألماني[1] وبعد إرسال عائلته إلى إسبانياأعلن في (مارس 1915م) رسميا الحرب ضد فرنسا ، مستغلا سمعته وسمعة عائلة والده والكراهية الشديدة للمستعمر الفرنسي في مستعمراتها في شمال إفريقيا .

وقد نجح "الأمير عبد المالك" في كسب الوطنيين المغاربة إلى قضيته ومن بين هؤلاء زعيم الريف "الأمير عبد الكريم الخطابي" الشهير الذي كان عندئذ مازال موظفا في الإدارة الإسبانية في مليلية... كما حاول "الأمير عبد مالك" التنسيق في إستراتيجيته الحربية مع الزعماء المغاربة الآخرين الذين كانوا ثائرين على فرنسا منذ إعلان الحماية مثل "الهيبة" و"الشنكيطي" و"الريسوني"[2] وهذا في حد ذاته دليل عى خصال الرجل الوحدوية.

و رغم تشيكك الفرنسيين في صدى ثورته تلك ، فلا يوجد ما يدعو للشك في إلتفاف المراكشيين حوله وحول حركة المقاومة في المنطقة ، حيث إدعى الفرنسيون إنعزال المغرب عن بقية العالم الإسلامي وعدم تأثره بدعاية الجامعة الإسلامية وتيارات التحرر المغاربية السائدة أنذاك لأن المغرب الأقصى في نظرهم كان يتمتع بشخصيته منعزلة عن بقية المغرب العربي والعالم الإسلامي ومجتمع قائم بذاته لتوفره على سواحل مستعصية ومساحات قاحلة وسور من الجبال العالية.جعلت منه دولة إسلامية وحيدة، وعت نفسها منذ خمسة قرون خلت على أنها أمة[3].

غير أنه ولا شك في أن كون وحدة الجغرافيا والتاريخ والمصير بين المغرب الأقصى وبقية مكونات المغرب العربي ، جغرافيا وبشريا وتاريخيا كفيلة بالرد على هذا الإدعاء الفرنسي المسموم، والذي يندرج دائما في إطار محاولات فرنسا والغرب المتكررة لتجزئة وتقسيم الوطن العربي عامة وبلاد المغرب العربي خاصة.

وحتى بالنسبة للتعاطف الإسلامي في مراكش مع الدولة العثمانية فقد أقره "المارشال ليوتي" المقيم الفرنسي العام في رسالة إلى السيد "دالكاسي" في (نوفمبر 1914م) تحدث فيها عن إنتشار هذا التعاطف في كل من الجزائر وتونس ومصر ولدى القبائل المراكشية المجاورة للحدود الجزائرية ، رغم محاولة إنكاره إنتشاره لبقية المغرب الأقصى.

ورغم إستحكام الرقابة في المغرب الأقصى من جانب السلطات الفرنسية فإن الدعاية العثمانية – الألمانية قد نشطت بقوة في المنطقة الشمالية للمغرب الأقصى مع بداية الحرب وأثناءها وكانت تستعمل كل الوسائل المتمثلة في الرسائل والمنشورات ضد فرنسا وكانت "تضرب على وتر الإستقلال والمطامح الوطنية". وهي الدعاية التى رافقت ثورة "الأمير عبد

[1] - أنظر الملحق رقم (20)

[2] - أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية ..(ج2)، مرجع سابق،ص240.

[3] - محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي ...، مرجع سابق،ص80-81.

المالك"[1]،ولما وجد الأمير مالك نفسه مؤيدا من القوات المركزية وإسبانيا ومشجعا من أخيه" الأمير علي" وغيره من المهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى، بالإضافة إلى نشاطات حرب العصابات وحركة الفرار من الجيش الفرنسي في الجزائر ، ومتأكد من الشعبية و السمعة بين المغاربة أعلن الجهاد ضد فرنسا، ونادى بنفسه أميرا على فاس ودعا أهل إفريقيا الشمالية أن ينضموا إليه في ثورة تشرف ذكرى أبيه... وكان الأمير يتوقع تدخل ألمانيا وتركيا عسكريا لصالحه ، ولكن هذين البلدين ، رغم أنهما أيداه بالسلاح والمعدات لم يحققا آماله في غير ذلك[2].

ويبدو أن" الأمير علي" أخ "الأمير عبد مالك" كان قد لعب دورا هاما في قصة أخيه ، فقد كان مسافرا طيلة الحرب بين إسطمبول وبرلين،وجنيف وكان عضوا في لجنة الوحدة والتقدم .وكان على إتصال مستمر بالفارين والمساجين السياسيين في المعسكرات الألمانية،وكان كالتونسي "محمد باش حانبه" على إتصال بالمهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى وفي هذا المجال يظهر أنه المنسق بين حركة أخيه "عبد المالك" وجماعة المغاربة بالمهجر.

وحسب رسالة لأحد العملاء الفرنسيين من برلين "**فإن هناك أهالي مقيمين في سويسرا وآخرين في برلين، إشتركوا في الدسائس ضد فرنسا وأن "عبد المالك" هو وسيلتهم الرئيسة، وهم "علي باش حامبه" والملازم الأول "الحاج عبدالله"، الضابط الفار من الجيش الفرنسي و"سيد علي أحموش" و"سيدي محمد الشرقاوي" و"الشيخ محمد العتابي" و"محمد الكبير خان شريف سنبال"(Sambal)**[3].

وبذلك يتضح أن علاقة " الأمير علي" بثورة أخيه"الأمير عبدمالك" كانت قوية فقد إشتغل كمتحدث رسمي لأخيه في الخارج في الخارج، وهكذا فإن رسائل "الأمير عبد المالك" ونشاطاته كانت تُنقل في الصحف الأجنبية ولاسيما في الوكالة الألمانية""وولفwollf"" بهدف الدعاية ضد الفرنسيين ، وفعلا نشرت هذه الوكالة مع بداية الثورة رسالة موجهة "من الأمير عبد المالك" إلى أخيه "الأمير علي "تصف الأول بأمير فاس وتتحدث عن إنتصاراته على فرنسا وتحريره للدار البيضاء التي إتخذها عاصمة له[4].

كما أن "الأمير علي" كان يعطي عادة تصريحات بإسم "الأمير عبد المالك". ومن الممكن القول بأن "الأمير علي" كان أيضا المفاوض الرئيسي بإسم "الأميرعبد المالك" مع ألمانيا وتركيا[5].

وقد إتضح للجميع منذ البداية حجم بين الأمير عبد المالك و الجبهة المعادية لفرنسا، فقد كان الأتراك والألمان يعملون كمستشارين معه ،وكان الألمان بالذات يقدمون مساعدة لأسرته التي كانت تعيش في تطوان، كما كانوا يقدمون إليه الأسلحة والعتاد، وإن كانوا قد تخلوا عنه في آخر الأمر مع إنهزامهم في الحرب وتوقيعهم الهدنة سنة(1918م).

---

[1] - محمد بلقاسم ، الإتجاه الوحدوي ..، المرجع السابق ،ص 81-82.

[2] - نفسه ،ص241.

[3] - نفسه ،ص 77.

[4] - نفسه،ص76.

[5] - سعدالله ، الحركة الوطنية (ج2) ، المرجع السابق ،ص 242.

وتتفق معظم المصادر على أن "الأمير عبد المالك" كان يهدف بعيدا في ثورته تلك على المستوين الجغرافي والإستراتيجي وأن لا تقتصر حركته على المغرب الأقصى ، فهو مجرد منطلق لحركته ولذلك فإن أعداءه الفرنسيين كانوا يصفونه بأنه شخص إعتقد أن الساعة قد حلت لأداء دور تاريخي إسلامي. ورغم أنهم إعتادوا أن يتهموه بأنه كان عميلا ألمانيا وتركيا فإنهم متفقون أنه أراد بحمية أن " يلعب دورا من الدرجة الأولى" في الحوادث التي كانت تجري في العالم الاسلامي[1]....

وإن المتفحص للأحداث يشعر بهذا الطموح فعلا لدى "الأمير عبد المالك" ولا يمكن إلا لمححف إنكار البعد المغاربي لحركته وإيمانه بأن تحرير المنطقة من الإستعمار يمكن أن ينطلق من أي جزء منه ، وهذه ليست بحد ذاتها سابقة تاريخية فالعديد من أبناء المغرب العربي في أقطاره المختلفة قبله وبعده ،طالما أنكروا تلك الحدود المصطنعة التي صنعها المستعمر،وحملوا لواء الجهاد في كل البلاد المغاربية ، كما فعل الجزائريون في الحرب الطرابلسية و النضال التونسي أو في بلاد الشام.

2– ب :حرب الريف تشد النخبة الجزائرية نحو مراكش :

لقيت حرب الريف الكثير من التضامن والمتابعة من لدن الجزائريين ورأوا فيها منذ البداية معركة ذات بعد مغاربي عربي إسلامي ضد الاستعمار الأوروبي تستوجب كامل الدعم المادي والمعنوي من لدن كل الأطراف الجزائرية المؤمنة بالعمل المغاربي ووحدة الجهاد ضد المستعمر، وهو ما جعل معظم الجزائريين يؤديون هذه الثورة الريفية بقوة ويعطون لقائدها الخطابي حجما من العظمة والتقدير ربما لانظير له منذ شخص "الأمير عبد القادر".

لقد كانت تلك الإنتصارات التي يحققها الريفيون بقيادة "محمد بن عبد الكريم" تزرع لدى العالم الإسلامي روحا من الأمل والإفتخار بعد تعرض معظم البلاد الإسلامية، خاصة العربية منها للإحتلال، وفي ظل إنهزام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وإنهيار الخلافة ومركزها بشكل تدريجي يصف بن "يوسف بن خدة" صدى ثورة الريف في الجزائر قائلا: " **القلق والفوضى سادت معسكر الأعداء الذين يخشون إنتقال العدوى إلى الجزائر، آمال التحرر لدى المسلمين أصبحت معقودة على أبطال الريف مع كامل الإحترام والتبجيل الذي أصبح يخص به عبد الكريم الذي يدعي النسب لأحفاد "عمر بن الخطاب" ثاني الخلفاء الراشدين، كل إنتصاراته كانت تُشعر الجزائريين بأنها إنتصار لهم وكل إنهزام له تشعرهم بأنه إنهزام لهم.لقد نجحت حرب الريف في تحسين وتوعية الكثير من الجزائريين المهاجرين في فرنسا ولعبت دورا هاما في دعم وعيهم النضالي الذي ساهم في إنشاء نجم شمال إفريقيا.**"[2] وهكذا فإن إنعكاسات هذه الحرب تبرز أهميتها بشكل أكثر على الوجدان النفسي للجزائريين وإرتفاع مستوى الوعي والحس التضامني مع قضايا العالم العربي – الإسلامي ، وهذا بحد ذاته كان مصدر قلق كبير لدى الفرنسيين من إستغلال هذا الشعور للقيام بثورة شاملة ضدهم في بلاد المغرب العربي عامة.

[1] - سعد الله ، الحركة الوطنية (ج2)، المرجع السابق،ص242.

[2] - Ben Youcef Ben Khedda, "Les Origines Du 1er Novembre1954", édition Dahlab, Alger 1989, p 45.

أما "مالك بن نبي" فيذكر كيف أن هذه الحرب في الريف كانت حديث الجزائريين الذين يتبادلون أخبار إنتصارات "محمد بن عبد الكريم الخطابي" مما يؤكد أن واقع هذه الحرب كان من يوميات الجزائريين في حينه فقد كانوا يعتبرون أن ما يحدث في الريف كأنه يجرى على أرض الجزائر نفسها يقول "مالك بن نبي": " **أما الحديث في صحيفة الشؤون العامة لقسنطينة (DDC) فقد كان يجرى الحوار بشكل مكشوف حول حرب الريف وأضحى إسم عبد الكريم يشار إليه بوضوح، (.....) لقد أصبحت هذه الحرب الحديث الرئيسي في مقهى بن يمينة وغدا الناس يرون في منامهم أحداثا ومشاهد فيفسرونها بما يتلاءم مع نهاية ظافرة للأمير عبد الكريم. (....) ولكن الحلم ما كان له أن يغير الحقيقة في ناظري، فالريفيون كانوا أسودا يكافحون وحشا يفترسنا جميعا وبطولة الريفيين كانت تثأر لشعب لا يستطيع أن يثأر بنفسه.**

(....) وبدأت فكرة غير واضحة في ذهني وذهن صديقي (شوات) ،إذ كان شريكي في هذه الإنفعالات، الفكرة هي الإلتحاق بصفوف الريفيين وهكذا بدأنا نرسم الخطط لإجتياز الحدود عبر الشمال من وهران، إلا أن مشاريعنا كانت تفشل لسبب أو لآخر."[1]

ولم يقتصر هذا الدعم الجزائري لثورة الريف على فئة محددة أو نموذج وأسلوب معين فمثلا نجد أن النخبة المثقفة سخرت طاقتها الأدبية والفكرية لدعم هذه القضية كما فعل "عمر بن قدور" من خلال كتاباته الصحفية وهو المشهود له بوقوفه الدائم مع القضايا العربية والإسلامية، كما لاحظنا في معظم القضايا السابقة، مما عرضه لسخط الإدارة الإستعمارية المتمثل في مصادرة جريدة "الفاروق" ونفيه بعد نشره لمقال مؤيد للدولة العثمانية ومبرزا فيه معارضته لدخول الفرنسيين إلى المغرب الأقصى.

فيما قام الشاعر "مفدي زكرياء"[2] وتعبيرا عن تمسكه بالوحدة المغاربية بنظم قصيدة وعمره لايتعدى آنذاك السبعة عشرة سنة تحت عنوان " إلى الريفيين" تم نشرها في جريدتي "لسان الشعب" و"الصواب " التونسيتين وفي جريدتي "اللواء"

---

[1]- أنظر الملحق (رقم 21).

[2] - مفدي زكريا (1908-1977) شاعر الثورة الجزائرية ومؤلف النشيد الوطني الجزائري «قسما «الذي تضمن أبدع تصوير لملحمة الشعب الجزائري الخالدة.هو الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، و قد ولد يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326 هـ، الموافق لـ 12 يونيو1908 م، ببني يزقن، أحد القصور السبع لوادي مزاب، بغرداية، في جنوب الجزائر

لقبه زميل البعثة الميزابية والدراسة الفرقد سليمان بوجناح بـ: "مفدي"، فأصبح لقبه الأدبي مفدي زكريا الذي اشتهر به كما كان يوَقِّع أشعاره "ابن تومرت"، حيث بدا حياته التعلمية في الكتاب بمسقط رأسه فحصل على شيء من علوم الدين واللغة ثم رحل إلى تونس وأكمل دراسته بالمدرسة الخلدونية ثم الزيتونية وعاد بعد ذالك إلى الوطن وكانت له مشاركة فعالة في الحركة الأدبية والسياسية ولما قامت الثورة انضم إليها بفكره وقلمه فكان شاعر الثورة الذي يردد أنشيدها وعضوا في جبهة التحرير مما جعل فرنسا تزج به في السجن مرات متوالية ثم فر منه سنة 1959 فأرسلته الجبهة خارج الحدود فجال في العالم العربي وعرف بالثورة، وافته المنية بتونس سنة 1977 ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ببني يزقن بغرداية.

و"الأخبار" المصريتين، عبر فيها عن إعجابه بثورة الريفيين وما يحققونه من إنتصارت تعيد " للهلال " عزه ومجده ، يقول فيها :

أجربيل هلل بآي الظفر **** وكبر وخـــــط جليـــل الخبر
ورُفَ بأجنحة النصر فوق **** بني الريف،حول القنا المشتجر
وأبلغ رسول البرية أحمـــد **** هادي الشريعة، بـــادي البشر
بأن الهلال على أُفق العز **** والمجـــــــــد بعد الأفول ظهر
سلام بني الريف من مهج **** تكـــــــاد تطير ولا تصطبر[1]

ثم مافتئ الشاعر يبرز أن ثمن الحرية لا بد أن يدفع:

فعرش السعادة لا يُبتـنى ****لقوم سوى فوق هـــــــــام أُخر
فحرية الشعب صاح.... ****وهل مَهـــــرُها غير هام البشر؟

كما يقدم الشاعر مفدي زكارياء مجمومعة من النصائح للريفين، مركزا فيه على تجنب الفرقة فيقول :

بني الريف إياكم واالفراق**** فإن التفرق يُعمي البصر
بني الريف هبوا فهذا زمان**** تحرك مافيه حتى الحجر

ولم يخف مفدي زكارياء إعجابه ببطل الريف فقال :

كعبد الكريم عظيم الحماة **** ليحي جليلا بذكر عطر

ولماذا لا يكون ماقام به الريفيون مثالا يحتذي به الشرقيون فينتفضوا على مستعمريهم وأوضاعهم المزرية :

بني الريف ، بل بني الشرق جمعاً **** هلموا فقد عَذُب المستقر
فكونوا الفداء وكونوا الضحـــايا **** ليحي الهلال ويبقى الأثر

فبهذه القصيدة نلاحظ كيف إقتحم مفدي زكارياء النضال المغاربي مبكرا...

أما الشيخ "محمد الخضر حسين" فلم يتأخر بدوره في أن يكتب من الشعر ما يبرز فيه إعجابه بشخصية الخطابي ، مشيدا بثورته فجاء في قصيدته بعنوان " بطل الريف":

قلت للشرق وقد قام علي **** قدم يعرض أرباب المزايـــــا
أربي طلعة شهم ينتـــضي **** سيفه العضب ولا يخشى المنايا
أرنيها إنني من أمـــــة **** تركب الهول ولا ترضـــى الدنايا

[1] - مفدي زكرياء، "إلى الريفيين"، من ديوان أمجادنا تتكلم ،جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حمودة ،مؤسسة مفدي زكرياء- الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر ،2003،صص 23-27.

فأراني بطل الريف الذي **** دحر الأعداء فأرتدوا خـــــزايا[1]

أما "الشيخ المولود الحافظي"[2] فلم يكتف بالتعبير عن إعجابه بقائد الثورة الريفية الخطابي وما قام به من ثورة ضد الإحتلال الأجنبي ولكنه رأى فيها مشروعا تحرريا شاملا لايقتصر على الجانب العسكري بل يجب أن تكون ثورة إجتماعية وثقافية وحضارية بشكل عام ، ونصحه بضرورة :"**الإهتمام بترقية الحالة التربوية والتعليمية والصناعية والفلاحية ، للسير بها قدما في سبيل التطور والتنمية لمواجهة الإسبان الذين يملكون إمكانيات مادية كبيرة غير متاحة للريفيين**"[3]، مما يعني أنه لم يكن يعتبر حرب الريف مجرد معركة حربية عسكرية ، بل صراعا حضاريا يتطلب العمل على عدة جبهات ، وأن الثورة يجب أن تكون على كل الأوضاع السيئة ، إجتماعيا وثقافيا واقتصاديا ، وأن القائد الملهم لايقود العمليات العسكرية فقط ، بل يتجاوز ذلك لقيادة التنمية في بلده.

ولم يبق "أحمد توفيق المدني" بعيدا عن قضية الريف رغم بعده الجغرافي وهو الموجود في تونس، كتب مقالة مدوية عنونها ب " الحقيقة من حوادث الريف، ليحيا الريف حرا مستقلا"، نشرت بمجلة "إفريقيا" ليوم(25 ماي 1925م)، تناول فيها ، جرائم الحماية المزدوجة في المغرب وخاصة اللجوء إلى الإعدامات لثني المجاهدين ، كما أبرز فيها إنتصارات "محمد بن عبد الكريم"، وما يقوم به من إنجازات ،كإعادة تأهيل وتدريب قواته، وإنشاء البنية التحتية ، كشق الطرق وإستعمال الهاتف ،ثم أكد "المدني" على تأييده المطلق لثورة الريف، قائلا " **نحبذ عمل من يسعى لحرية بلاده ويجاهد لاستقلال أُمته، ويعطف العطف الأخوي الصادق على الشعب الريفي الذي أصبح عنوان الأمة صاحبة العزيمة القوية، والإرادة التي لاتنثني تحت عوامل الأيام، ولا نريد إلا أن نرى الريف الباسل حيا عاملا سعيدا تحت راية الحرية التامة والإستقلال المفدى بالمهج والأرواح**"[4].

---

[1] - "معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين"، على الموقع : http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=5753،تاريخ الدخول :13-12 -2014 ،على الساعة 15و02دقيقة.

[2] - المولودالحافظي هو المولود بن الصديق بن العربي، ولد سنة 1880م، ينسب إلى قرية بني حافظ الواقعة ببلدية عين لقراج دائرة بني ورتيلان ولاية سطيف. بعد مدة من الغربة لطلب العلم في تونس عاد الشيخ الحافظي إلى وطنه الجزائر بعد أن قام بتحصيل العلم والمعرفة، وتحمل من أجل ذلك المتاعب وذلك سنة1918 م ، واضعا نصب عينيه خدمة بلده والنهوض به في هدف عظيم و غاية نبيلة.

تعهد الحافظي طلبته: أمثال: الشيخ عبد الحميد بن حالة ، الشيخ محمد السعيد اليجري والشيخ عبد القادر الزيتوني وغيرهم بتوجيهات بناءة ونصائح ثمينة، وظل يذكي في أعماقهم حب الوطن ويلهب فيهم نزعة النهوض به و تحريره، كيف لا وهم أمل الأمة المنشود.

بعد سنوات من التعليم قضاها في بيته، انتقل الحافظي إلى زاوية عبد الرحمن اليلولي رفقة جمع من الطلبة، و لصيته الذائع، تضاعف عدد طلبة المعهد بعد انتقال الحافظي إليه، حيث أنشأ ساعة فلكية على رخامة مربعة بالجانب الغربي من المعهد تضبط الوقت بواسطة الظل، لكن جنود الاحتلال خربوها، كما خربوا مثيلتها التي أنشأها بزاوية عبد الرحمن الحملاوي بالعثمانية غرب قسنطينة بعد تنقله إليها، حيث اضطلع هناك طوال المدة التي قضاها فيها بالتدريس و تسيير شؤون التعليم فيها، ليعود مرة ثانية سنة1947 م إلى المعهد اليلولي، لينتقل بعدها إلى المعهد الكتاني بقسنطينة، حيث عمل الحافظي بجد ونشاط وحيوية جعلت المعهد يخطو في عهده خطوات واسعة وموفقة مسجلا أحسن النتائج.

إنتقل الحافظي إلى رحمة الله فجر يوم الثلاثاء 23 ربيع الأول1367 هـ الموافق لـ 08 :فبراير1948 م، و شيعت جنازته بعد زوال يوم الأربعاء في موكب مهيب شهده الآلاف ممن سالت بهم الطرق من مختلف المناطق ليشهدوا جنازة الأخ و الإمام و العالم، و دفن بمسقط رأسه ببني حافظ.

[3] -محمد الصالح آيت علجت، الشيخ المولود الحافظي حياته وآثاره، منشورات دار الكتاب الجزائر،1988،ص ص،126-127.

[4] - مبروك الشيحي ،حرب الريف وإنعكاساتها بتونس 1921-1926،شهادة التأهيل للبحث العلمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الجامعة التونسية، تحت إشراف ، بشير التليلي،سبتمبر 1982،ص238،هامش رقم3.

ويبدو أن لهجة المقال الشديد ونبرته الحادة في فضح أساليب فرنسا الإستعمارية القذرة والتمجيد الذي خص به المدني "عبد الكريم الخطابي" الذي وصفه بالشجاع والجريئ ومحاولته لتغيير مجرى التاريخ في العالم العربي قد دفعت لوسيان إلى توقيع قرار إبعاد" أحمد توفيق المدني" في(عام 1925 م) بصفة من الرعايا الجزائريين[1].

وأبدع "أحمد توفيق المدني" في دعمه للريفين، ففي بداية شهر (جوان 1925م)، برمجت (السعادة)، وهي فرقة فنية ومسرحية يديريها "أحمد توفيق المدني"، مسرحية تتلاءم وأحداث الساعة السياسية ، وكانت هذه المسرحية وعنوانها "طارق بن زياد" ، تشكل إستحضارا لذلك البطل البربري الذي إنطلق بداية القرن الثامن من المغرب، فغزا قسما هاما من إسبانيا، وفي هذا الإطار التاريخي يُذكر "طارق بن زياد" ب"عبد الكريم" وهو أيضا بربري مغربي، هزم الجيوش الإسبانية، فأضحى يجسم مثل سلفه الشهير ، مجد الإسلام، وسرعان ما أدركت سلطات الحماية هدف المسرحية، فمنعتها قبل عرضها بساعة فقط، ولم يلبث رئيس فرقة السعادة "أحمد توفيق المدني" أن طرد من الأيالة[2]

ولم تخف الإدارة الفرنسية مدى تخوفها من إهتمام الجزائريين الشديد بما يحدث في منطة الريف،ففي أحد تقارير الإدارة الفرنسية مؤرخ في (أكتوبر 1925م) جاء"أن الأهالي الجزائريين كانوا يتابعون بإهتمام كبير القضية المغربية، وأن إنتصارات عبد الكريم قد ترتب عنها كثير من المتاعب للفرنسيين وسط الأهالي، كما أظهر الجزائريون في (تلاغ)، يضيف التقرير، إهتماما بالجرحى الفرنسيين الذين تم نقلهم لتلمسان. وقد قابل الناس في برج بوعريريج صمود المقاومة الريفية بإبتهاج كبير، وحذر التقرير في النهاية من إمكانية إندلاع مقاومة بإسم الإسلام في المغرب العربي[3].

ومن مظاهر هذا الإهتمام أيضا ما ذكره "مالك بن نبي" عن صدى ثورة الريف في مدينة تبسة، فعندما بدأت الإدارة الفرنسية تستخدم منابر المساجد في دعوتها للتجنيد الإجباري،الأمر الذي إستفز سكانها وجعل صبرهم ينفذ، فإجتمع بعض الناشطين وطلبوا من "بن نبي" أن يكتب نداء يدعو فيه إلى مؤازرة المجاهدين في الريف وإلى رفض التجنيد.[4]

أما على مستوى التضامن المالي ، فإستجابة للنداء الذي أطلقته "لجنة إنقاذ أبناء الجزائريين المحاربين ضمن القوات الفرنسية بالمغرب الأقصى" في جويلية(1925م) جمعى الميزابيون (17000 فرنك) من أصل(20216 فرنك) وهي قيمة التبرعات التي جمعت على مستوى الإقليم العسكري لغرداية كما أن الميزابيين كانوا يبعثون بإعاناتهم المادية ل"لأمير عبد الكريم الخطابي"[5].

---

[1] - المدني ، حياة كفاح،(ج1)، المصدر السابق ،ص335.

[2] - علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تعريب عبد الحميد الشابي،(ط1)، المجمع التونسي للعلوم والأداب والفنون، بيت الحكمة ، تونس، 1999،ص430.

[3] - Mahfoud,Keddache et Mohamed Guenanche,L'etoile Nord Africaine 1926-1937,documents et temoinage pour servir a l'etude du nationalism Algerien,OPU,Alger,1984,pp26-27.

[4] - مالك بن نبي ،مذكرات شاهد...، المصدر السابق ،ص279.

[5] - بن جلول هزرشي، الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي 1911 – 1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2، 2012-2013،ص337. (غير منشورة).

وقد تعددت الوسائل التي كانت تنقل للجزائريين أخبار المقاومة الريفية وإنجازاتها ، مما يزيد من حماستهم ورغبتهم في التضامن معها ، فنجد أن السيد" عبد السلام الخطابي"، عم قائد ثورة الريف (محمد بن عبد الكريم) وأحد أكبر مساعديه كان يقوم بمهة التعريف بها أي الثورة ، من خلال عمله كإمام خطيب في بعض مساجد تلمسان وكذلك من خلال الدور الذي لعبه "حدو لكحل" الذي تدرب على قيادة الطيران في الجزائر والذي تولى قيادة الطائرة الوحيدة التي إستطاع عبد الكريم ورفاقه الحصول عليها، يضاف إلى ذلك الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية، التي كانت تنقل عنها الصحف الصادرة في كل من الجزائر وتونس[1]

وفي خضم ثورة الريف تظهر شخصية جزائرية أخرى ذات صلة وطيدة بقائدها ، إنه "علي الحمامي"[2] ، إذ يذكر "علال الفاسي" في كتابه (أعلام من المغرب والمشرق) متحدثا عن دور " الحمامي" في ثورة الريف وساحات النضال الأخرى كيف أن "هذا البطل(المغربي)[3] ظل يجاهد في كل أرض وكل سماء لخير البلاد المغربية.... فقد عمل مع "عبد المالك" في الثورة، (...) وتعاون مع أبطال المغرب في تأسيس النجم الإفريقي، كما عمل مع" الأمير شكيب" و"محمد باشا حامبه" أخ علي الزعيم التونسي ومع "الباروني" في قضية طرابلس وظهر في هذه الميادين كلها، لا كواحد من الأفراد غير البارزين بل كمجاهد له أثره في الجهاد وعامل له مجهوده ورأيه في ميدان العمل "[4]

ويصف "الفاسي" مدى التفاهم بينه وبين "علي الحمامي" قائلا :"**لقد وقع بيني وبين الحمامي توافق كبير بمجرد ما رأيته في مصر ، فمال إلي وملت إليه، وكان يقضي قسما كبيرا من وقته معي، يبثني كثيرا من آلامه وأحزانه، ومع أنه كان يعتبر نفسه جزائريا، فقد رغب في الإنخراط في حزب الإستقلال لأنه ليس هناك فرق بين أنحاء المغرب كله، كان "الحمامي" يؤمن بهذه المغربية أكثر من كل إيمان أخر، ولم يكن والحق يقال يتحمس كثيرا لفكرة العروبة أو للوحدة العربية، ولكنه كان يتحمس كلما ذكرت الجامعة الإسلامية، وهذا ما يعلل لنا مبادرته للذهاب إلى كراتشي لتمثيل الجزائر في مؤتمر إسلامي، خصوصا وأن هذا المؤتمر يتناول قضية من أعز القضايا عليه، هي قضية التنسيق الاقتصادي للعالم الإسلامي**"[5].

---

[1] - بن جلول هزرشي، المرجع نفسه،ص333.

[2] - علي الحمامي (1902-1949)، ولد بمدينة تيارت ،نشأ في الجزائر ورحل إلى المشرق سنة 1922م ،وجال في عدد من أقطاره مثل الحجاز والشام وفلسطين واستقر في العراق أين إشتغل بتدريس التاريخ والجغرافيا، وفي سنة 1946 إلتحق بأعضاء مكتب المغرب العربي في القاهرة، توفي في حادثة الطائرة التي تحطمت قرب مدينة كراتشي الباكستانية مع إثنين آخرين من موفدي المكتب لحضور المؤتمر الاقتصادي الدولي وهما الشهيدان محمد ابن عبود من المغرب والحبيب ثامر من تونس ،وذلك مساء 12 ديسمبر 1949، أنظر: معجم مشاهير المغاربة، تنسيق أبو عمران الشيخ وتقرير ناصر الدين سعيدوني ،نشر جامعة الجزائر، طبع المؤسسة الجزائرية للطباعة ،1995 ،ص167.

[3]- يذكر علال الفاسي أن الحمامي مغربي ،بينما أثبتت كل الدراسات الحديثة جزائريته.

[4] - علال الفاسي ، أعلام من المغرب والمشرق، جمع وتحقيق ،عبد العلي الودغيري، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الدار البضاء، 2008،ص187-188.

[5] - علال الفاسي، أعلام من المغرب ، مصدر سابق ،ص190.

لقد غادر الحمامي الإسكندرية بعد وفاة والديه ، ليصل إلى طنجة في وقت كان المغرب الأقصى يهتز تحت وقع أحداث خطيرة،فقد" بدأ الكفاح المسلح ضد المستعمر، وكان من بين منشطي هذا الكفاح أحد أبناء الأمير عبد القادر، إنه "الأمير عبد المالك"، الذي قاوم الفرنسيين في المغرب مابين (1915إلى غاية 1924م)... ورغم فتوة عمره فقد كان للحمامي شرف الخدمة تحت راية أحد أبناء المقاوم الكبير "الأمير عبد القاد"ر،لقد عده "الأمير عبد المالك" بسرعة من بين خاصته و أهم مساعديه وهم لم يتجاوز العشرين من العمر.

إلتحق الحمامي بمنطقة الريف وقاتل إلى جنب مقاوم كبير أخر هو "عبد الكريم الخطابي" الذي قال ذات يوم :"**الموت من أجل الحرية ليس موتا ، إنه الحياة الأبدية**"[1].

وقد جعل الحمامي من حرب الريف الملهم للقصة التاريخية الشهيرة (إدريس) وهي رواية ذات قيمة أدبية وتاريخية هامة، أنتقد من خلالها السياسة الإستعمارية وحلل من خلالها المجتمع المغربي وعوامل إنحطاطه،فبعد أن شارك "الحمامي" في أوائل المقاومات المسلحة في بداية القرن العشرين ، إنتقل ذلك الشاب للنضال على جبهة أخرى ، و إتضح أنه لم يكن فقط ذالك الرامي المحترف في حرب الريف ولكن أيضا ذلك الوطني المغاربي الذي سيحرك قلمه ببراعة في مواجهة الأنظمة الإستعمارية المستبدة، ليبدأ أول مواجهاته تلك على صفحات جريدة "Le Trait d'Union"لصاحبها "فيكتور سبيلمان"(Victor Spielmann) صديق "الأمير خالد".في سنة(1924 م)كان الحمامي في باريس حيث إلتقى بأعمدة الوطنية الجزائرية من مؤسسي وقادة المستقبل لنجم شمال إفريقيا.

وفي سنة(1924م) إلتقى "علي الحمامي" "الأمير خالد"،الذي كلفه على رأس بعثة توجهت إلى موسكو، حيث إلتقى أثناء تواجده بالعاصمة السوفيتية "بهوشي منه"(Hochi Minh)[2] ، أحد أبرز رموز مقاومة الاستعمار والذي كان يقطن معه في نفس الإقامة، وبفضل جهوده نجح الحمامي في إبلاغ هوشي منه والسوفيات بتطورات حرب الريف بشكل خاص ، وأوضاع المغرب العربي المحتل من طرف فرنسا بشكل عام[3].

ثم أخذ الحمامي يشتغل في القاهرة بجانب البطل ابن عبد الكريم وأخيه محمد، حيث كانوا يعقدون يوميا إجتماعا يملي فيه الزعيمان فصولا من تاريخ الحرب الريفية، ويعرض عليهما "الحمامي" ما كتبه المؤلفون الأجانب عنهما فيصححان له البعض وينقضان غيره، وكل ذلك لتوفير المواد الأولى لتحرير مذكرات الحرب الريفية التي مات "الحمامي" بعد أن كانت

[1] - Amar Belkhoja,Ali El Hammami et la montée du Nationalisme Algerien, editin Dahlab, Alger,1991,p12.

[2] - هو تشي منه (ولد في 19 مايو 1890 ، حتى توفي في 2 سبتمبر 1969) وهو ثوري ، ومؤسس الحزب الشيوعي في فيتنام ، وهو احد مؤسسي وقادة النضال من أجل الاستقلال والنزاهة في أراضي فيتنام في القرن ال20 والذي كتب وقرأ إعلان استقلال فيتنام الشمالية في 2 سبتمبر 1945 في با دنه سكوير ، هانوي ، وهو رئيس فيتنام الشمالية خلال 1945 – 1969 ، ورئيس اللجنة المركزية لحزب العمل في فيتنام خلال 1951-1969. توفي هوشي منه في الساعة 9 صباحاً و47 دقيقة في 2 سبتمبر 1969 في هانوي ، في سن 79 عاما . وسقطت سايغون في عام 1975 ، ثم تم تغيير اسم المدينة إلى مدينة هو تشي منه تكريما له

[3] - Amar Belkhoja,Ali El Hammami, op.cit,p12.

على وشك الإنتهاء.... وهكذا سيظل إسم "الحمامي" مقرونا إلى جانب إسم البطل الريفي وذلك خير إحياء لذكرى صديقنا" الحمامي" الذي عاش من أجل المغرب العربي ومات في سبيله"[1]

ومن بين الوجوه البارزة في النخبة السياسية الجزائرية التي وجهت لها السلطات الفرنسية أيضا سهام إتهاماتها نجد "الأمير خالد الجزائري" سنة (1925م) بتهمة التخطيط مع الريفيين من أجل السعي لإقامة " جمهورية جزائرية" بقيادة البروليتاريا والبرجوازية الوطنية، ووفقا لذلك تم في(15 جويلية1925م) ، شطب إسمه من قائمة المنتخبين عن بلدية الجزائر بحجة أنه غير مقيم في البلد[2]، وجدير بالذكر أن "مصالي الحاج" كان بدوره متابعا لأحداث الريف ولم يخفي تضامنه مع الريفيين وإعجابه بإنتصارهم في معركة أنوال[3] التي رأى فيها حدثا خارقا للعادة ودفاعا عن تحرر الشعوب الاسلامي المضطهدة، كما ذكر أن الجزائريين كانوا يبدون الرغبة في الإنظمام إلى صفوف "عبد الكريم الخطابي" **أثناء النقاشات والحوارات التي كان يجريها معهم، وقد بلغ شغف المهاجرين الجزائريين بأحداث الريف، وشخصية الخطابي درجة أن :" العمال الجزائريين كانوا جميعا يحتفظون في جيوبهم بصورة الأمير ، وبقصاصات الجزائر التي تتحدث عن شجاعة جيشه"**[4].

كما ذكر "مصالي الحاج" أنه بعد تأسيس النجم وضع مخططا لإستقلاله في محادثاته الفردية مع الناس ومع المناضلين، وقد تشكل ذلك المخطط من عشر نقاط ، من بينها، تقديم شروح حول إنتفاضة "الأمير عبد الكريم" وشجاعته وروح التضحية لديه، ولذلك إعتبر بعد هزيمة الخطابي وكأن "نجم شمال إفريقيا" قد أُنشئ لإستئناف كفاح الأمير عبد القادر وعبد الكريم[5].

وقد تجاوز دعم الجزائريين للريفين حدود الجزائر ، خاصة لدى أبنائها المهاجرين في فرنسا ، فقد علق "مالك بن نبي" في مذكراته عن مدى تتبع هؤلاء لما يحدث في الريف، بأنه عندما زار فرنسا سنة(1925م)"، **دخل مقهى عربي، يضج بلعبة الدومينو، ولما عرف صاحب المقهى أنه قادم من الجزائر سأله عن أخبار ثورة الريف فرد" بن نبي" قائلا:"...فجعلني سؤاله في الموضوع الذي كان شغلي الشاغل، فإنقطعت القاعة كلها عن لعب الدومينو، حتى تصغي إلي..."**[6]

---

[1] - علال الفاسي ، أعلام من المغرب و..." المصدر السابق ،ص195.

[2] - جورج الراسي، الدين والدولة من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر ،دار القصبة ، الجزائر ،2008،ص110.

[3] - معركة أنوال: في 21 جويلية 1921م، معركة كبيرة حدثت في شمال المغرب ، إنتصر فيها الريفيون بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، على الإسبان الذين فقدوا في المعركة 25 الف جندي، شكلت أهم نماذج حرب العصابات في التاريخ الحديث ، أنظر : سعودي أحمد ،حرب الريف 1921 – 1926م من خلال مجلة المنار القاهرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ (تخصص العلاقات بين المغرب والمشرق)، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2009،2-2010،ص93.

[4] - مصالي الحاج ، مذكرات مصالي الحاج1898 – 1938م،(تر) محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر،2007 ،ص120

[5] - أنظر الملحق (رقم 22).

[6] - مالك بن نبي ، مذكرات شاهد...، مصدر سابق ،ص269.

كما شهدت فرنسا أيضا قيام أبناء المغرب العربي ومن بينهم الجزائريين إلى عقد أول (مؤتمر شمال إفريقي) في باريس بتاريخ 7(ديسمبر 1924م) حضره حوالي 7500عامل من المغرب العربي معظمهم من الجزائريين، ويبدو أن ل"لأمير خالد" دور بارز في إنعقاد هذا المؤتمر وهذا التوجه، حيث أنه "لما تولت الحكم في فرنسا وزارة يسارية برئاسة "هيريو" في نهاية سنة (1924م) سُمح له بالعودة إلى فرنسا وهناك أتيح له الإتصال بالوطنيين الجزائريين والمراكشيين فغرس فكرة العمل المشترك بين أجزاء المغرب العربي.تلك الفكرة التي سيسير عليها "مصالي الحاج "في بداية نضاله. وأشترك "الأمير خالد" في أول مؤتمر مغربي من نوعه إنعقد في باريس يوم(7 ديسمبر1924 م) للنظر في أحوال المغرب السياسية والإقتصادية والثقافية. والذي كان من ضمن نشاطاته إرسال برقية تأييد إلى" الأمير الخطابي" ومناضلي الريف المراكشي[1]، حيث" إختتم المؤتمر أعماله بإصدار عريضتي تعاضد، أرسلت الأولى إلى الشعب المغربي (المراكشي)... جاء فيها :"**إن مفوضي العمال الشمال إفريقيين بمصانع ضاحية باريس المجتمعين في أول مؤتمر لهم في هذا اليوم التاريخي7 ديسمبر 1924 يهنئون إخوانهم المراكشيين وبطلهم القائد" عبد الكريم" بنجاحهم على الإمبريالية الإسبانية، ويعلنون تضامنهم معهم في كل أعمالهم في سبيل تحرير أرضهم ويهتفون معهم :عاش الإستقلال للشعوب المستعمرة، لتسقط الإمبريالية العالمية، لتسقط الامبريالية الفرنسية**"[2].

ولئن كانت مختلف الدراسات تقدم لنا دائما صورة "الأمير خالد" ذلك الوطني المناضل بما أوتي من الوسائل السلمية فقد" كان الوجه المطلبي المعتدل هو الوجه الكثر بروزا ل"لأمير خالد" على الصعيد الدولي وهو الوجه الذي توقف عنده المؤرخون، فإن له وجها آخر له إمتداد عروبي أكثر ثورية ولم يجر الكشف عنه بشكل واضح وكامل حتى يومنا هذا،فهو لم يكن بعيدا عن نضال عمه "عبد المالك" في الريف الإسباني ضد الإستعمارين الفرنسي والإسباني وإن كانت ظروفه لم تسمح له بحمل السلاح ضد هاذين الإستعمارين، بل كان نقيبا في سلاح الفرسان الفرنسي عندما كان عمه يرفع راية الجهاد في المغرب ، لكن لا يمكن القول أنه لم يكن يفكر بذلك، فقد جاء في ذكريات رواها "بلغول"(Belghoul)صديق الأمير وأقرب المقربين إليه أن الأمير أجرى إتصالا مع "سلطان باشا الأطرش" بطل ثورة جبل العرب في سوريا عام(1925م) يطلب منه تدريب جزائريين على حرب العصابات، كما أجرى إتصالات أخرى للغرض ذاته مع قادة الجنوب المغربي... المهم أن "الأمير خالد" كان يفكر بالذهاب أبعد من

[1] - صلاح العقاد،المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة،- الجزائر-تونس –المغرب الأقصى-، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة،1980،ص314.

[2] - عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون ،الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1936،(ج1)،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984،ص84.

المطالب، كما أنه لم يهمل أبدا البعد القومي العربي في نضاله،فقد جاء في مطلع نداء وجهه:" **أيها اللبنانيون والسوريون والجزائريون...أيها المستعبدون من كل الأجناس والأعراق**"[1]

3- ج : رد الفعل الفرنسي على دعم الجزائريين للريفين :

كعادتها لم تعدم فرنسا الوسائل لمنع الجزائريين من تتبع مايحدث في الريف بتفعيل كل الإجراءات التي من شأنها قمع الجزائريين وتجريم أي محاولة منهم لدعم إخوانهم الريفيين ولو حتى بإبداء التعاطف معهم ،وهي تعيش تحت رعب إنتقال رياح الثورة تلك نحو الجزائر، وكان من ضمن ما إعتمدته من وسائل مايلي :

وكما لاحظنا فيما يتعلق بالدعاية للجامعة الإسلامية وعندما يتعلق الأمر بأي حركة أو ثورة من شأنها مقاومة المستعمر وسياساته ، فإن أول جهاز يتعرض للقمع والتضييق هو الصحافة بإعتبارها الناقل لأخبار تلك الثورات والداعمة لها لا سيما تلك الصحافة الإصلاحية المحافظة المعروفة بتبنيها للقضايا العربية والإسلامية ، فبالنسبة لحرب الريف (1921-1926م) ولمنع تسرب أخبارها إلى الجزائر، قامت السلطات الفرنسية في الجزائر ،بمنع دخول العديد من الصحف اليها كجريدة"الصواب" التونسية، كما أوقفت في(أكتوبر 1925 م)"جريدة المنتقد"، بسبب متابعتها للثورة الريفيةمن خلال مقالات [2]كتبها "الشيخ بن باديس" وهي المقالات التي إعتبرتها سلطة الإحتلال الفرنسي مغرضة[3]

وأمام خشيتها من إنتقال عدوى التمرد والثورة إلى الجزائر أسوة بما يحدث في الريف عمدت السلطات الإستعمارية في الجزائر إلى سياسة الإبعاد والرقابة والإقامة الجبرية، لكل من تشك في علاقتهم بالريفيين أو حتى التعاطف معهم، ففي سنة(1923 م) وضع تحت الرقابة والإقامة الجبرية خمسة وأربعون جزائريا وفي سنة(1924م)، وضع سبع وعشرون جزائريا ، وفي سنة (1925م) نقلت صحيفة "إفريقيا الفرنسية" خبر إيقاف خمسة وعشرين جزائريا بسبب إظهار تضامنهم مع أهل الريف ومدح "عبد الكريم الخطابي" والكلام عن مجيئه الوشيك إلى الجزائر لتحريرهم من الإحتلال الفرنسي[4]وفي سنة(1926 م) وضع ستة عشر جزائريا تحت الإقامة الجبرية أيضا ،كما قامت السلطات الإستعمارية بإيقاف السيد "مقدم الحاج عبد القادر بن محمد" من مدينة معسكر ووضعته تحت

[1] - جورج الراسي ،الدين والدولة في الجزائر ...، مرجع سابق،ص106-107.

[2] - للإطلاع على هذه المقالات أنظر : مقال "الحرب الريفية"، **المنتقد** (العدد1)،2جويلية1925- مقال" أنباء عن حرب الريف"، **المنتقد** ،ع3،16 جويلية 1925- مقال"محادثة لابن عبد الكريم"، **المنتقد**،ع4، 23جويلية1925 – مقال "أنباء عن العالم"، **المنتقد** ،ع6 ،6 أوت 1925- مقال "خطاب بن عبد الكريم"،**المنتقد** ،ع11 ،10سبتمبر1925.

[3] Ageron,Histoire de l'Algrie,(T2),Op.cit,p299.

[4] - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ،(ج1)1919-1939 ،شركة دار الأمة، الجزائر ، 2008،ص178،(أنظر الهامش 217).

الإقامة الجبرية بتهمة الإتصال ب"الأمير عبد المالك" وفي مدينة مانس بفرنسا تم إيقاف المدعو "محمود لكحل "بتهمة الدعوة لرفض الخدمة العسكرية في المغرب الأقصى[1].

ورغم هذا الصدى البارز للثورة الريفية في الجزائر ، لم تتوانى الآلة الدعائية الفرنسية الرسمية في الجزائر وفي إطار حربها الدعائية ضد الريفيين وقائدهم في وصف الخطابي بأبشع الصفات وأنه شخصية لا تستأهل الإحترام والسمعة التي يحاول عبثا الحصول عليها وأنه أبعد ما يكون عن شخصية سرقت الأضواء هي شخصية "مصطفى كمال أتاتورك" قائلة من خلال إعلامها المضلل:"**وظلت سمعة مصطفى كمال أتاتورك هائلة طوال عدة سنين ولم تطاولها سمعة رجل أخر رغم محاولة الشيوعيين إثارة الإهتمام بشخصية محمد بن عبد الكريم. وسعت صحف" الكفاح الإجتماعي" و"المنبوذ" و"لومانيتي"، دون جدوى، إلى إثارة الحماس في أوساط الجزائريين من خلال قائد الريف المغربي الذي كان يعد من أتباع"بطل تركيا"، وبحسب المعلومات التي نقلها المخبرون، فإن ذلك " الرقعي البربري" مدعي العلمانية والعصرانية الذي يحيط نفسه بالأوروبيين لا يبدو أن الله قد سخره لتحقيق مشيئته على الأرض.**

ويمكن أن ينطبق ذلك على رئيس جمهورية الريف، ولكن ماذا يمكن أن يكون الموقف من العاهل المسلم الذي يدعي أنه سليل عمر بن الخطاب وأنه أمير المؤمنين ويكمل كيف إستقبل الشعبان الجزائري والتونسي نداء الأمير في(15 غشت 1925) ولكن من المحتمل أن سياسته الدينية (إلغاء القانون العرقي البربري وتطبيق الشريعة بحذافيرها)، لقيت بعض الصدى عند جمعية العلماء الجزائريين. وفي (22 اكتوبر 1925 م) منعت مجلة "المنتقد"، أول صحيفة لعبد الحميد بن باديس، بعدما نشرت مقالات نظر إليها على أنها "مغرضة" فيما يخص حرب الريف وشخصية محمد بن عبد الكريم. وكان الحاكم العام "فيوليت" قد شرح أن "عبد الكريم ينبغي أن يختفي من الساحة السياسية مهما كان الثمن"، وظهر أنه لم يكن يستهين بمدى إشعاع الإنتفاضة في منطقة الريف، وكان يجب أن لا يغفل هذا الإهتمام الحيوي بشؤون الجزائر الخارجية السباق السياسي المحض،إذ لا يمكن فهم حركة المعارضة لدى المسلمين الجزائريين حق الفهم مالم يقترن ذلك بمعارضة الأوروبيين"[2].

لكن هذه التدابير والإجراءات لم تفلح في الحيلولة دون تضامن الجزائريين ونخبتهم الكبير مع عبد الكريم الخطابي وثورته، وفي ختام هذا الفصل تتأكد حقيقتان، أولهما أن النخبة الجزائرية نجحت في أن تذيب كل الحدود التي وضعها المستعمر جغرافيا بتمزيقه للبلاد العربة والإسلامية مقابل تمديد هذه النخبة لمجال نضالها ونشاطها مشرقا ومغربا والحقيقة الثانية أن كل التضحيات التي بذلها الجزائريون مشرقا ومغربا لم تفت من عزمهم بل كانت في كل مرة وقود لنضال جديد.

وهكذا جمع الجزائريون في ساحات النضال مشرقا ومغربا بين البعدين الأساسيين نضال إسلامي لأجل الدفاع عن التضامن والجامعة الإسلامية من جهة ، ونضال قوي يعزز للنخبة الجزائرية طابعها القومي العربي من جهة ثانية.

[1] - محمد بلقاسم ، الإتجاه الوحدوي...، مرجع سابق ،ص128.

[2] - أجرون ، تاريخ الجزائر المعاصر ، المرجع السلبق ،489.

الفصل الخامس

مواقف النخبة الجزائرية من مصطفى كمال أتاتورك ومسألة سقوط الخلافة

1- حيثيات سقوط الخلافة

2- صدى سقوط الخلافة عربيا وإسلاميا

3- النخبة الجزائرية بين الولاء للدولة العثمانية والإعجاب بتركيا الكمالية

4- مؤتمرات الخلافة والبحث عن الفرصة الأخيرة

5- صدى سقوط الخلافة في الأدب الجزائري

5-1 حيثيات سقوط الخلافة :

عندما فاز الإتحاديون بأغلبية كبيرة في مجلس المبعوثان ، وتسلم "أحمد رضا" رئاسته، إتضح لهؤلاء أنهم لم يحققوا أهدافهم كاملة مع بقاء السلطان[1] "عبد الحميد الثاني" الذي سيسعى في عرقلة جهودهم لاسيما وأنه وافق على طلباتهم وأعلن المشروطية الثانية (الدستور)[2] وهنا عمدت العديد من اللوبيات الصهيونية والغربية في تحريك النخب التركية والشارع ضده ، خاصة لموقفه المعروف من الإستيطان اليهودي في فلسطين[3]فقدد تنامى نشاط الصهيونية بقوة في هذه الفترة بغرض شراء فلسطين من الدولة العثمانية ،إذ ذهب "تيودور هرتزل"[4] في عام(1910م) لمقابلة

[1] - كان السلطان العثماني حاكما مطلقا مسلما، والصيغ الدستورية الوحيدة التي وضعت بالنسبة لمصدر وطبيعة وحدود قوته، ودائرة نفاذها القانوني ، كانت ما نص عليه الفقهاء، وتذهب جذور النظريات العثمانية عن الدولة والسلطة الحاكمة العليا إلى النصوص الدستورية في الشريعة الإسلامية ... والخليفة العثماني ، لا يضع القانون بل هو نفسه مقيد بالقانون الذي وجد قبل منصبه... وبما أن الحاكم رقيب على القانون ، فإن إطاعته واجب ديني، ومن ثم فعصيانه إثمكما هو جريمة في نفس الوقت...، أنظر : برنار لويس، اسطنبول وحضارة الخلافة العثمانية(ط2)، (تر وتع) سيد رضوان علي ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ،1982،ص64.

[2] - المشروطية الثانية : عصر المشروطية الثانية، هو الفترة التي بدأ فيها إعلان الدستور العثمانى من جديد في 24 تموز 1908 م، بعد أن ظل معلقا تسعة وعشرين عاماً وهي أيضا تعد فترة التصفية النهائية للدولة العثمانية في 5 نوفمبر 1922م. فنظراً لكون المشروطية الأولى لم تنته رسمياً ولم يحدث تغيير بالدستور، فإن بعض المؤرخين اعتبروا أن هذه المشروطية واحدة وأن لها مشروطية ثانية.

ففى هذه الفترة التي أستمرت أربعة عشر عاماً فيما بين المشروطية الأولى والثانية، تعرف فيها المجتمع على مفاهيم مثل الديمقراطية البرلمانية، والإنتخابات، والحزب السياسى. وعايش اثنين من أكبر الحروب هما حرب البلقان والحرب العالمية الأولى، وشهد إنهيار الإمبراطورية التي عمرت 600 عاماً.

بعد إعلان المشروطية الثانية، سارع أبناء المجتمع إلى الانتخابات على الفور. وانقسمت الأنتخابات إلى حزبين رئيسين، هما :حزب الاتحاد والترقى و"احرار فرقه سى أي فرقة الأحرار" ذات التوجه الليبرالي. وفى النهاية حسمت الانتخابات بفوز الاتحاديين. وقد بدأ" مجلس المبعوثان "الجديد الذي تشكل عقب الانتخابات العمل في 17 ديسمبر 1908م. وفى هذه الفترة التي كان يدير فيها الإتحاد والترقى الدولة من خلف الستار، سادت ردود أفعال غاضبه تزايدت حدتها تجاه هذه الإدارة، وخصوصاً بعد مقتل الصحفى المعارض حسان فهمى بك في السادس من أبريل عام 1909م على يد أحد أعضاء حركة الاتحاد والترقى. فقد آثارت هذه الحادثة ردود فعل ومظاهرات عارمة في إستانبول .وفى النهاية بدأت في الثالث عشر من أبريل عام 1909 م حركة انقلاب في بعض الوحدات العسكرية، وإنضم إليها طلاب المدارس، وقاموا بمعاقبة بعض الضباط وأعضاء الأمة بالقتل دون محاكمة وإحداث عمليات تخريب في مقار الصحف والجرائد التي تبنت تأييد الاتحاديين. وهذه الحركة الانقلابية التي عرفت بأحداث 31 مارس- بسبب فرق التوقيت بين التوقيت القديم والجديد- قد تم مهاجمتها على يد جيش الحركة الذي قدم من سلانيك.

وقد حمل المجلس - الذي انعقد من جديد في 27 أبريل - السلطان عبد الحميد الثانى المسؤولية عما حدث وأسقطه من على العرش، وقرر تنصيب الشيخ المسن محمد رشاد أفندى على العرش باسم السلطان رشاد،أنظر : أورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره ،(ط2) ،دار الوثائق ، الكويت ، 1407هـ ،صص 320-326.

[3] - لم تعترف الدولة العثمانية بالحركة الصهيونية، ولم تلب آمالها حتى مجيئ ثورة تركيا الفتاة، فعرفت الحركة الصهيونية نهضة ملموسة وأصبحت منذ 1909 ، حركة علنية داخل الدولة العثمانية، وصارت تتحرك بسهولة تامة وترسل مبعوثيها على المؤتمرات الصهيونية المختلفة، أنظر : صموئيل أتنجر وأخرون ،اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950،تر،جمال أحمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، رقم 97،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 1995،ص228.

[4] - تيودور هرتزل : (1860-1904م)، يعتبر تيودور هرتزل هو الأب الروحي و المؤسس الأول للصهيونية العالمية كحركة سياسية استعمارية أسبغت على اليهود صفة القومية والانتماء العرقي ، ونادت بحل ما أسمته المشكلة اليهودية ، وعارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ، ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين زاعمة أن لهم فيها حقوقًا تاريخية ودينية . وتلاقت مطامع الصهيونية من خلال هرتزل بأهداف الاستعمار في إقامة دولة يهودية في فلسطين . =

"السلطان عبد الحميد الثاني" فتمكن من مقابلته بعد محاولات مضنية وعرض عليه قيام اليهود بسداد جميع ديون الدولة العثمانية مقابل السماح لهم بالإستيطان في فلسطين ، لكن السلطان رفض كل تلك الإغراءات وقال :" **إن ديون الدولة ليست عارا عليها، وإن بيت المقدس الشريف إفتتحه سيدنا عمر رضي الله عنه ، ولست مستعدا أن أتحمل تاريخيا وصمة عار بيع الأراضي المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها...ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العثمانية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام...**"[1]، فيما ازدادت رغبة الدول الإستعمارية الأوروبية في إستكمال مشاريعها التوسعية في البلاد العربية مغربا ومشرقا ، فإيطاليا تريد إحتلال طرابلس، وفرنسا تريد إستكمال إحتلال بلاد الشام، أما بريطانيا فتريد السيطرة على العراق والخليج العربي.

ولم يتوانى هؤلاء في التخطيط لإحداث فتنة كبرى وعصيان مسلح[2] يسمح لهم بالإستيلاء على القصر وخلع السلطان وتنصيب الرجل المطاوع لهم "محمد رشاد"[3] مستغلين في ذلك المشايخ الدينيون والطرقيون[4] الذين نجحوا في تدجينهم وإستمالتهم لينجحوا في بداية الأمر في إستصدار قانون من مجلس النواب يُلزم طلاب المدارس الدينية

= فقد بلور زعيم الصهيونية الأول حركته الشيطانية في دعوة تبناها اليهود في الشتات مفادها أنه يتعين على اليهود أن يشكلوا دولة يهودية خاصة بهم ، وأن يهودية هذه الدولة يجب ألا تعتمد على الجوانب الدينية أو الإخلاص لليهودية وفضائلها ، وإنما يجب أن تعتمد على الشكل القومي اليهودي.

وقد لقيت هذه الفكرة التفافًا رهيباً حولها من قبل الجماعات اليهودية بعد بروز القيادة السياسية الكبرى للصهيونية ممثلة في تيودور هيرتزل .

وكان هيرتزل قد حدد أهداف الحركة الصهيونية - آنذاك – بأنها : " تحقيق ارتباط اليهود في أنحاء العالم ، وحيثما وجدوا، بأواصر قومية والتأكيد على أن تصبح فلسطين التاريخية وطنًا قوميًا لليهود أينما كانوا." أنظر : مجدى كامل، " الصهيونية ماضيها –حاضرها – مستقبلها "، صحيفة **الوسط** الأردنية ،عدد 752، بتاريخ 22 مايو 1994،ص15.

[1] - محمد الحسيني إسماعيل ،السقوط الأخير (تاريخ الصراع على السلطة منذ ظهور الإسلام وحتى الوقت الحاضر) ،مكتبة وهبة ،القاهرة ،2006،ص158.

[2] - بدأ الاتحاديون حركتهم بتمرد الضابط اليوزباشي" نيازي" على رأس وحدة من المشاة.وتوسع التمرد في الأناضول وأرضروم ونفليس وسالونيك، كما حدثت إضطرابات في سوريا وأزمير ثم في الأستانة نفسها، وتبع ذلك محيئ آلاف أعضاء الجمعية في سالونيك ومعهم آلاف الرايات العثمانية وطافوا بالشوارع مطالبين بإصدار دستور للبلاد وتحديث الجيش العثماني وإقامة مجلس يضم ممثلين لل للولايات عرف بمجلس المبعوثان، للمزيد أنظر : محمد مصطفى الهلالي ، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود،دار الفكر ،دمشق، 2004،صص 181-182.

[3] - السلطان محمد الخامس رشاد بن عبد المجيد الأول بن محمود الثاني عبد الحميد الأول (1844-1918م)هو السلطان الخامس والثلاثون لدولة العثمانية تولى الحكم بعد خلع أخيه عبد الحميد الثاني 1909 وكان عمره 65 عاماً وهو شقيق كل من السلطان مراد الخامس وعبد الحميد الثاني ومحمد السادس وعمه السلطان عبد العزيز الأول وابن عمه السلطان عبد المجيد الثاني توفي منفيا في 3 جويلية - 1918 وعمره 74 سنة.

[4] - إتخذ السلطان عبد الحميد من الزهاد والمتصوفة أعوانا للجامعة الإسلامية، ومنهم الشيخ "أحمد أسعد" وكيل الفراشة الشريفة بالحجاز، وكان للجنة المركزية الخاصة بالجامعة ،هيئات فرعية في مكة المكرمة ، وأخرى ببغداد لنفس المهمة خاصة باتباع الطريقة القادرية القادمين من شمال إفريقيا، أنظر :علي المحافظة ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914،ط3، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت،1990، ص ص 195-196.

الخدمة العسكرية التي كانوا معفيين منها، وقد ولد هذا القانون تذمرا واسعا عند الطلبة وفسرت المعارضة ذلك على أنه عمل ضد الإسلام وخطوة لعرقلة دراسة الشريعة.[1]

وتصاعدت الأحداث بشكل خطير بعد سيطرة الإتحاديين على العديد من الثكنات و إلقاء القبض على العديد من الضباط الكبار المناوئين لحركتهم إلى غاية (26 أفريل 1909م) أين شُكل مجلس نيابي أطلقوا عليه إسم المجلس الملكي برئاسة "سعيد باشا"، فإجتمع مع مجلس الحركة بقيادة "محمود شوكت" وقرروا خلع "السلطان عبد الحميد "بإستصدار فتوى[2] من شيخ الإسلام" محمد ضياء الدين" وقعها بضغط من الإتحاديين جاء في أخرها :"**ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح، فهنا يجب أحد الأمرين:خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحق والعقد وأولوا الأمر من هذين الوجهين؟ الجواب : يجب**".[3]

وعندما قُرئت هذه الفتوى على الأعيان والمبعوثين وسألهم "سعيد باشا" رئيس الأعيان ورئيس الجلسة أتختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل؟ أجابوا بصوت واحد: الخلع، ليُصدر مجلس النواب المبعوثان قرار الخلع يوم (الثلاثاء 27 أفريل 1909م).

بعد ذلك أُجبر السلطان على الإستسلام والتنقل إلى "سالونيك"، إلى أن نُقل سنة(1912م)إلى قصر"بيلرباي" في الأستانة في (أكتوبر 1912م)، وبقي فيه حتى وفاته يوم (الأحد 10 فيفري 1918م).

هكذا وبخلع "السلطان عبد الحميد الثاني" تولى مقاليد الحكم السلطان الجديد "محمد رشاد الخامس" بعد أن نجح الإتحاديون في تعديل الدستور في (أوت 1909م) بما يخدم أهدافهم ، فإنتزعوا من السلطان عدة صلاحيات تم تحويلها إلى مجلس المبعوثان. ثم تواصلت الإجراءات الهادفة لإلغاء الخلافة[4] على إمتداد الحرب العالمية الأولى وما بعدها ،وفي سبتمبر (1923م) قرر "مصطفى كمال أتاتورك" تغيير إسم الهيئة التنفيذية العليا بإسم" حكومة الجمهورية التركية" وقد أتبع ذلك بتغيير العاصمة من إسطمبول عاصمة الخلافة إلى مدينة أنقرة التي أتخذها مقرا له[5].

---

[1] - محمد مصطفى الهلالي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، المرجع السابق،ص206.

[2] - أنظر نص الفتوى كاملا في : شكيب أرسلان ،سيرة ذاتية ،(ط11)،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، جويلية 1969،ص76.

[3] عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العثمانية ،دار ابن حزم، بيروت ،2004، ص569.

[4] - إصطلاحا تعرف بأنها :" النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في سياسة الدين والدنيا وفق الشرع، والخليفة السلطان الأعظم"أنظر :سعدي أبو حبيب،القاموس الفقهي لغة وإصطلاحا ، إدارة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، كراتشي، باكستان ، 2002،ص121.
أما المفهوم العام لها هو رئاسة الدولة الإسلامية، والخليفة هو الإمام الأعظم ورئيس هذه الدولة ، وله وظيفتان، أولهما ، إقامة الدين وتنفيذ أحكامه والثانية القيام بسياسة الدولة التي رسمها الإسلام، انظر :سعيد حوى ، الإسلام ،(ط2)، شركة الشهاب ، الجزائر ،1988،صص 372-373.
كما يعرفها برنار لويس في الأدبيات التاريخية ، على أنها : الحاكم الأعلى، أي الخليفة أو السلطان أو الملك ، أو رئيس الجمهورية ، أنظر : برنار لويس، اسطنبول وحضارة الخلافة العثمانية، مرجع سابق،ص64.

[5] - **l'Echo d'Alger**, «Angora sera la capital de la Turquie »,N4834,02/01/1923,42eme Année,p01.

لقد رأى مجلس الأمة الكبير الذي يسيطر عليه الإتحاديون أن الخلافة الموجودة منذ عصور في تركيا هي سد مانع أمام تحقيق الأهداف التي تسعى الدولة التركية الحديثة النشأة لتحقيقها وأن الخليفة لم تبق له أي حاجة في السلطنة ووجوده غير ضروري، لذلك سعى "مصطفى كمال" وأعوانه لإلغاء نظام الخلافة وتثبيت الحكم الجمهوري العلماني، وقد مهدوا لذلك منذ(1921م) عندما وضعوا في قانون الدولة الأساسي و في مادته الأولى أن السيادة للشعب بلا قيد أو شرط وفي مادته الثانية منحوا الجمعية الوطنية السلطة المطلقة وتأكيدا لما سبق أصدرت "الجمعية الوطنية التركية" في(01 نوفمبر 1923م) قرارا مؤيدا للقانون السابق ، وأعتبرت حكومة الأستانة المستمدة سلطتها من الخليفة قد زالت نهائيا من التاريخ[1]، وبعد نقاشات عديدة على مستويات مختلفة بعضها دافع عن الخلافة والخليفة و لكن دون جدوى،وفي صباح يوم(03 مارس 1924م) أصدر المجلس الوطني الكبير قرار إلغاء الخلافة[2] وفصل الدين عن الدولة وأمر في الوقت نفسه "الخليفة عبد المجيد" بمغادرة البلاد.[3]

ومع سقوط الخلافة ورمزيتها الروحية نهائيا جاءت الأتاتوركية (1922-1938م) لتظهر كمشروع جذري جديد كليا في إطار العلمانية والقومية التركية الطورانية ولتستكمل مشروع التنظيمات ودولة الإتحاد والترقي وتحولها من النظريات إلى الواقع المعاش.

وليكون إلغاء الخلافة المكون الرئيسي في كل هذا المشروع الأتاتوركي وبهدف تجذير العلمانية والقومية التركية نهائيا في المجتمع العثماني وليتأكد للجميع أن مشروع " مصطفى كمال" هو حقيقة مشروع دولتي (Etatist) إعتمد على (الدولة) في علمنة وتغريب تركيا...إذ لم يعد الإسلام تلك (الرابطة الجماعية)، ولم يعد الأمر هو تحديث الدولة من خلال تحديث الإسلام ، بل إتبع أتاتورك خيار التحديث دون الإسلام ومن خلال التغريب.[4]

وكما كان متوقعا لم تمر هذه الأحداث دون أن تترك آثارا بليغة على العالم الإسلامي ونخبته ، ليحتدم نقاش حاد وطويل بين مؤيد ومعارض لإلغاء الخلافة وبين معجب ومنتقد لأتاتورك وأفكاره وسياساته وهو ما سنتتبعه لدى النخب الإسلامية عموما ثم الجزائرية بشكل خاص، متسائلين عن أبرز المواقف لدى النخبة الجزائرية ورموزها من هذا الحدث البارز، إضافة إلى موقفهم من شخصية مصطفى كمال أتاتورك المثيرة للجدل.

---

[1] - قسم التحرير ،"خطوات إلغاء الخلافة"، **مجلة المنار**، (ج4)،(مج25) ،ص ص 282-283.

[2] - تم إلغاء الخلافة في شهر مارس من عام 1924 بالقوانين الثلاثة الشهيرة التي حملت أرقام 429 431 - 430 –وينص أولها على إلغاء الخلافة وطرد الخليفة هو وأسرته من البلاد ، وينص الثاني على إلغاء وزارة الأوقاف وينص الثالث على أن تلحق المؤسسات العلمية والدينية بوزارة المعارف

[3] - علي حسن الخربوطلي، الاسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر،1969،ص 283 وكذلك : L'Afrique Française, «la suppression du califat Turc »,Bulletin Mensuel du comite de l'Afrique Française et du Maroc,03/1924,p156.

[4] - رضا ،هلال ،السيف والهلال (تركيا من أتاتورك إلى أربكان)، دار الشروق، القاهرة ،1999،ص85.

5-2:صدى سقوط الخلافة عربيا وإسلاميا :

شكلت مسألة إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية[1] سنة(1924م) من طرف "مصطفى كمال أتاتورك" إحدى الموضوعات الكبرى التي شغلت الرأي العام العربي و الإسلامي ردحا من الزمن وألقت بظلالها على نشاط وأدبيات النخب بمختلف أطيافها وتوجهاتها ، من الأطلسي إلى جاوة، بين مؤيد ومعارض، حيث إنخرطت الحركة الإصلاحية مشرقا ومغربا في النقاش الدائر حولها ، على إعتبار المكانة الدينية والسياسية الكبيرة التي كانت تتمتع بها مؤسسة الخلافة في المجتمع المسلم، كما أن زوالها هو إيذان بزوال شوكة المسلمين، وإنفتاح أقطارهم على مصراعيها أمام النفوذ الأجنبي المتربص ، وخاصة في البلاد العربية ، التي كانت جزءا من الدولة العثمانية وهو ما أُصطلح على تسميته تاريخيا بالمسألة الشرقية[2] وتفاعلاتها.

و قد أجمع الكثير من الدارسين على خطورة ما آل إليه حال الدولة العثمانية من تفسخ وإنهيار على مختلف الأصعدة في أواخر أيامها وأن دولة الخلافة الإسلامية في مطلع القرن العشرين أضحت هيكلا بلا روح وجسم أثخنته الجراح و الصراعات الداخلية ونخرته جرثومة التخلف المادي والفكري والاقتصادي. وصار من العسير تسيير شؤون البلاد والعباد بالوتيرة السابقة ، وقد عبر أحد المؤرخين البارزين وهو "حسين مؤنس" على هذا الموقف المحرج بقوله :" **ولم يكن في مقدور العثمانيين لقلتهم أن ينهضوا بأمر هذا العالم الغفير، ففعلوا ما يفعله الرعاة حينما يروضون الغنم، فيستعينون بالكلاب على حراستها، وإتخذت الشعوب الإسلامية هيئة قطعان من الماشية، ترعى في كنف السلطان، وتطمئن في حماية الإنكشارية والمماليك، وأصبح حالها أشبه بهذه الضفادع التي حدثنا عنها (لافونتين) ، أنها عجزت أن ترد الأعداء على أراضيها ، فأقامت على نفسها بجعا حاكما، فكان يأكل من الرعية أكثر مما يأكل من الأعداء**"[3].

وقبل التطرق لمواقف النخبة الجزائرية بمختلف توجهاتها ورموزها من مسألة مشروعية الخلافة وإلغاءها سنتناول نماذج من مواقف النخبة العربية والإسلامية التي تناولت في أدبياتها قضية الخلافة ، لما لذلك من تأثير واضح على

---

[1] - أصبحت الدولة العثمانية دولة خلافة إسلامية بعد تنازل أخر خليفة عباسي ، وهو أبو إسحاق محمد المتوكل على الله ،عن الخلافة للسلطان سليم الأول(1512-1520)،وقد اراد سليم الأول ذلك في إطار الصراع بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية (الشيعية)،في فارس التي سيطرت على بغداد سنة 1508م، وللسيطرة على رجال الدين(العلماء) والفرق الدينية(الدراويش) ، أنظر : رضا هلال ،السيف والهلال، المرجع السابق ،ص65.

[2] - المسألة الشرقية : (Eastern Question بالفرنسية : (Question de l'orient) هي مسألة وجود العثمانيين المسلمين في أوروبا وطردهم منها واستعادة القسطنطينية من العثمانيين بعد سقوطها في 1453 وتهديد مصالح الدول الأوروبية في هذه المنطقة. كما يدل المصطلح على تصفية أملاك رجل أوروبا المريض في البلقان من طرف الدول الأوروبية.

[3] - أمحمد دراوي ،مسالة إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية 1924م، بين مقتضيات الشرع وتجديات الواقع(دراسة مقارنة بين مواقف رشيد رضا وابن باديس)،مجلة الحكمة، مج3،ع6،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،2011،ص229

مواقف النخبة الجزائرية التي ما فتئت تتفاعل مع هذا الحدث وتدلي بدلوها أيضا في هذا النقاش والجدال مشرقا ومغربا ولمعرفة مدى تناغم أو تعارض النخبة الجزائرية مع تلك التوجهات الفكرية السائدة حول القضية في البلاد العربية والإسلامية ، مشرقا ومغربا .

ففي الفترة الإنتقالية الممتدة على أربع سنوات (1920-1924م) والتي يمكن أن نسميها مرحلة ما قبل لوزان، لاحظنا كيف تتجاذب النخب العربية تيارات فكرية وسياسية شتى ينجذب كل واحد منها إلى مشروع سياسي « دولوي» [من دولة].وفي إطار هذا التجاذب يمكننا تمييز عدة تيارات كبرى مثلت مجمل الطروحات المتعلقة بمسألة الخلافة وهي : تيار إسلامي يستعيد فكرة الخلافة بمناسبة ما يقوم به "مصطفى كمال" وفي هذا التيار ينتظم "رشيد رضا" الذي كتب مجموعة من المقالات الشهيرة في مجلته المنار في مسألة الخلافة ، ثم أصدرها في كتابه المعروف (الخلافة أو الإمامة العظمى)[1] ومنطلق فكرته حول الموضوع " **أن مسألة الخلافة كان مسكوتا عنها، فجعلها الإنقلاب التركي الجديد أهم المسائل التي يُبحث فيها"، وفي رأيه أن قرار فصل الخلافة عن السلطنة الذي أتخذه مصطفى كمال بعد أن أصبح السلطان العثماني عاجزا ومغلوبا على أمره يستدعي البحث في مسألة الخلافة من جديد، لا لإلغائها ولكن لتجديدها،فهي مناسبة كما يقول للعمل على تجديد الخلافة الشورية على النموذج الراشدي.**

ومعلوم أنه دعى حزب الإصلاح إلى أن يدعو الترك إلى جعل الخلافة في مركز الدولة ، فإن لم يستجيبوا فليساعدوا على جعلها في منطقة وسطى من البلاد يكثر فيها العرب والترك والكرد ، كالموصل المتنازع عليه بين العراق والأناضول وسوريا وتجعل شقة حياد ورابطة وصل معنوي، في ظهر فصل جغرافي فتكون الموصل إسما وافق المسمى"[2].

وتيار علماني يدعو إلى القطيعة مع مؤسسات التاريخ الإسلامي، ومنها مؤسسة الخلافة بشكل نهائي، تحت غطاء مفهوم التاريخ الوسيط ومثلته (جماعة "المقتطف" ومن أبرزهم من رجال السياسة ك"عبد الرحمان الشهبندر") وتيار واقعي- تاريخي، ينطلق من الواقع وتاريخية الأشياء النسبية، وأبرز من مثل هذا التيار الأخير "علي عبد الرازق" الذي حاول وقد وضعت إجراءات "مصطفى كمال" مؤسسة الخلافة موضع تساؤل أن يقرأ تاريخية الخلافة كظاهرة

[1] - بدأ نشر الكتاب منذ 16 ماي 1923 ،في سلسلة مقالات بمجلة "المنار"، على مدى ست حلقات، بحث فيها مسألة الخلافة ، من حيث الأحكام الشرعية والظروف السياسية القائمة أنذاك ، مثل فصل الكماليين الخلافة عن السلطة، وطموح الملك "الحسين بن علي" ملك الحجاز في تولي الخلافة، ومنافسة العرب للأتراك فيه، ومبرزا أهمية الخلافة كمنصب سياسي وشرعي، وموضحا أسرار وحكم الله عز وجل في نظام الخلافة وما يكيده الغرب للشريعة الاسلامية

[2] - محمد رشيد رضا، الخلافة ،(ط3)، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ،جمهورية مصر العربية ،1996،ص25-26.

سياسية نسبية لا كمعطى ديني ثابت[1]،وقد ضمن أفكاره تلك كتابه المثير للجدل (الإسلام وأصول الحكم)[2] والذي أوضح فيه أن منصب الخلافة لا علاقة له بالدين بل هي أي الخلافة "**خطط دنيوية صرفة... وإنما تركها لإحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة.**"[3]ونفى فيه وجوب أي دليل شرعي يوجب الخلافة ،فقال :" **إن كل ما جرى في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام...لايدل على شيئ أكثر مما دل عليه المسيح حينما ذكر بعض الأحكام الشرعية عن حكومة قيصر.**"[4]**وقرر أنها قامت على القهر و الغلبة ، بدليل أن الخلفاء منعوا العلماء في عصور سابقة ، أن يُألفوا حول علم السياسة ، وخرج بحكم شديد القسوة على الخلافة قائلا :"إنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام والمسلمين.**"[5]وخلص إلى أن الحل لا يعدو ضرورة إعمال العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة ، وترك نظام الخلاف القديم التي تبرأ منها الإسلام.[6]

وهكذا نلاحظ كيف شكل إلغاء الخلافة عاملا مهما وحاسما في ظهور مجموعة من الأيديولوجيات[7] المتناقضة أحيانا و المتآلفة أحيانا أخرى على مدى البلاد العربية والإسلامية كرد فعل طبيعي على هذا الحدث الذي هز بعنف البلاد العربية والإسلامية و الذي تبعته مرحلة طويلة من التدهور والانحطاط ، لاسيما في العلاقات التركية – العربية مابين(1924- 1967م).

لقد أعتبر إلغاء الكماليين للخلافة في حينه من طرف معظم المكونات الشعبية في العالمين العربي والإسلامي مساسا خطيرا بواحدة من أهم ركائز نظام الحكم في الشريعة الإسلامية وما صاحبه من مصادرة للأوقاف وفصل الدين عن الدولة وتعطيل للمحاكم الشرعية وغيرها من الإجراءات.

---

[1] - وجيه كوثراني ،رشيد رضا وشكيب أرسلان الموقف من الدولة العثمانية ومن صيغة الدولة البديلة ،مجلة **التسامح** ،مجلة فصلية فكرية إسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف ، سلطنة عمان، ع4،س2004،ص95.

[2] - نشر الكتاب في 01 أفريل 1925م، في ظروف تطلع فيها ملك مصر أحمد فؤاد اللإستفادة من لقبي خليفة المسلمين و"ملك مصر" وأنشأ مجلة "الخلافة ،وكان الجدال أنذاك يتمحور بقوة حول سؤالين ، هل منصب الخلافة ديني أم سياسي أم مزيج بينهما؟ وهل المنصب ضروري للمسلمين؟

[3] - علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، تقديم ووثائق ،عروس الزبير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ،الجزائر ،1988، ص 124.

[4] - المصدر نفسه ،ص26.

[5] - نفسه،ص44.

[6] - عبد المتعال الصعيدي، القضايا الكبرى في الإسلام ،دار شريفة للنشر والتوزيع، بوزريعة ، الجزائر، 1999،ص419.

[7] - تتمثل هذه الايديولوجيات في دعاة إحياء الخلافة الاسلامية ، ودعاة القومية العربية ، ودعاة القوميات القطرية كما حدث في مصر وسوريا(القومية الفرعونية والقومية السورية).

وقد رأت النُخب المحافظة في البلاد العربية والإسلامية في هذا التوجه التركي " تغريبا واضحا" لمركز الخلافة، لن يتوقف عند هذا الحد بل يراد نقله للبلاد العربية الإسلامية مما سيعنى فقدا كاملا لمفهوم و مظاهر الأمة العربية الإسلامية ضمن هذه الأخيرة.

وفي وسط هذا الحراك إشتد بقوة النقاش حول مسألة الخلافة من حيث مشروعيتها وضرورة بقاءها أو زوالها وبدأ كل طرف يقدم تصوراته وأدلته والتي كان من أبرز مظاهرها كما سبق ذكره، صدور (كتاب الإسلام وأصول الحكم) الذي أصدره "علي عبد الرازق" سنة (1925م)وكان الرد عليه عنيفا من طرف المؤسسة الدينية الرسمية ممثلة في الأزهر الشريف، وصلت إلى حد مصادرته وسحبه من السوق وحرمان كاتبه من المنصب الذي كان يشغله و تجريده من كل شهاداته، وكانت هنالك أيضا محاولات لإقامة الخلافة من جديد والبحث عن خليفة جديد للمسلمين كحل لتنازل الأتراك عن هذا المنصب الحساس وإعادته للعنصر العربي.

وفي ظل هذا الإهتمام الواضح للأتراك بالتخلي وحتى التخلص من الخلافة ،كتبت "جريدة الأهرام" المصرية واصفة ما جرى من تطورات في مقال لها يوم (8مارس 1925م) بقولها:" **لقد نسي الترك وهم يُقلدون مجريات الثورة الفرنسية أن التقليد الذي يتعارض مع مقومات الأمة وتطلعاتها لا يمكن أن ينتج عنه سوى الكارثة والدمار"، وكتبت نفس الجريدة أسبوعا بعد ذلك قائلة :" إن إلغاء الخلافة من طرف الكماليين ، يُشكل بحق أخطر جريمة في حق السلطة و أعظم خيانة للإسلام عبر العصور".**

أما مجلة "الهلال" فقد خصصت عدد كاملا (المجلد35) تحت عنوان " نهضة الترك هل تدوم"[1]، أما "الشيخ محمد شاكر"[2] وكيل جامع الأزهر فقد كتب على صفحات "جريدة المقطم" ما نصه :"...خليفة يُقلع وخلافة تُلغى وأموال تُصادر وأوقاف تُضاف إلى أملاك الدولة، وتعليم ديني يمحى ومحاكم شرعية تُغلق

[1] - Béchir Tlili, Au Seuil du Nationalisme Tunisien : documents inédits sur le panislamisme au Maghreb (1919-1923), *Africa:* **Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente**,Anno 28, No. 2 (GIUGNO 1973), pp. 211-236

[2] - الشيخ محمد شاكر، عالم أزهري مصري وأحد أبرز علماء الأزهر في بداية القرن الرابع عشر الهجري، من جرجا بصعيد مصر، وقد درس بالأزهر وتتلمذ على يد علمائه،بعد تخرجه عمل أمينًا للفتوى بالأزهر، ثم عمل بالقضاء، وفي 10 من ذي القعدة 1317هـ 11) مارس 1900م (أختير لمنصب قاضي القضاة بالسودان وكان أول من وليه حيث وضع نظام القضاء الشرعي بها، ثم في عام 1332هـ1905)م (عُين شيخاً لعلماء الإسكندرية، ثم شيخًا لمعهدها الديني، ثم وكيلًا لمشيخة الأزهر في 9 من ربيع الآخر 1327هـ 29) من إبريل 1909م(، فكان من دعاة الإصلاح في الأزهر وتطوير مناهجه ونظمه، ثم استقال من الوكالة بعد أن اختير عضوًا في الجمعية التشريعية سنة 1331هـ1913) م (ليتفرغ لأبحاثه العلمية والعمل العام، وكان من زعماء الأزهر في ثورة 1919م.أنجب الشيخ محمد شاكر عددًا من الأبناء، برز منهم الشيخ =المحدث أحمد محمد شاكر الذي انتهت إليه رئاسة الحديث في مصر، والأديب محمود محمد شاكر. للمزيدأنظر موقع شبكة المناهج الإسلامية على الموقع: http://www.almenhaj.net

وأسرة عثمانية تُطرد من أفاق البلاد وتحرم حتى من جنسيتها التركية، فما معنى هذه العاصفة الهوجاء.عاصفة الجنون التي تهب على العالم في مشارق الأرض ومغاربها من عاصمة الجمهورية التركية بقرارات الجمعية الوطنية في أنقرة(...) رحم الله زمانا كنا نعطف فيه على هذه الفئة إبان تمردها على السلطنة العثمانية وهي تجالد مجالدة الأبطال لطرد الأعداء من الأناضول وزحزحة الحلفاء عن دار الخلافة. والله يشهد أن الذي حدا بنا إلى العطف على هؤلاء المتمردين هو الإشفاق على الإمامة العظمى أن تمتد إليها يد المهانة والإستذلال(...) عجيب أمر هؤلاء الذين تسللوا في جنح الليالي إلى كهوف الأناضول وظلوا يهتفون بإسم الإسلام حتى حازوا فخار النصر ،كيف إرتدوا على أدبارهم يحاربون الإسلام بأسوأ أداة ملكتها أياديهم في أعز عزيز على العالم الإسلامي وهو نظام الخلافة؟"[1]

ومما قيل أيضا في وصف ما حل بمؤسسة الخلافة:" **ما رُمي الإسلام بسهم أوهن لجلده، وأوهن لعضده، وأدمى لكبده، من هذا السهم الذي رماه به الكماليون. وإن إقدام الكماليين على إلغاء الخلافة ، أكبر جريمة في عهد الدولة وأشنع خيانة في تاريخ الاسلام"**[2]

غير أن ما يمكن التنويه إليه هو وإن كان هناك تأسف غالب لزوال الخلافة فإن ذلك لم يمنع أيضا من وجود إختلاف في الآراء بل وحتى إنقسامها حول موضوع إلغاء الخلافة من عدمه ،فمنهم من رفض ذلك بإعتباره يمثل إنهاء لرمز أساسي من رموز الإسلام والولاية العظمى للمسلمين ،وهو الرأي الذي مثله بوضوح كما قلنا "الشيخ محمد رشيد رضا" القلموني صاحب" المنار"[3] الذي كان من أكثر المفكرين العرب والمسلمين إهتماما بقضية الخلافة ، وبين مؤيد للإلغاء بإعتبار أن الخلافة لم تعد تحمل أي مظهر من مظاهر القوة والوحدة بين المسلمين، بل أصبحت مرتعا للضعف وأصبح إنقاذها ضربا من ضروب المستحيل .

كما ترتب عن إلغاء الخلافة نماذج في الخطاب العربي المعاصر: نموذج المفهوم التقليدي السلفي الذي يرى في الخلافة الراشدة أنموذجا قابلا للتكرار وقد مثله إذن "محمد رشيد رضا"،وأنموذج ثاني يدعو إلى فصل السلطنة والملك عن الخلافة، وقد مثله "علي عبد الرزاق"[4]، وهو الذي بدا متعجبا من هذا التمسك لدى البعض بالخلافة قائلا :"**كيف يتحدث عن الخلافة أمم وشعوب مستعمرة لاتملك من أمر نفسها شيئا وتحركها في ذلك يد**

[1] - محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ،(ط3) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ،1972،ص42.

[2] - أنور الجندي ، الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية ،مطبعة الرسالة ،(دت)،ص61.

[3] كتب محمد رشيد رضا عدة مقالات حول الخلافة في مجلة المنار مابين 1922-1923، ثم نشرها في كتاب تحت عنوان الخلافة أو الامامة العظمى، وقد طبع عدة مرات أولها طبعة القاهرة سنة 1923.

[4] - وجيه كوثراني، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا ،دار الطليعة ، بيروت ،1996، ص13.

أجنبية"[1]. أي أنه أصبح يرى في مؤسسة الخلافة مجرد كيان صوري فقَد كل مصداقية أو تأثير على ما يحدث في العالم الإسلامي، وأمام التغلغل الكبير للإستعمار الأوروبي وعملائه في دواليب السلطة في العالمين العربي والإسلامي.

كما يمكننا الحديث عن تصور ثالث ، يمكن تسميته بالخلافة العربية" و التي كان من أبرز دعاتها "عبد الرحمان الكواكبي"[2]، " فقد حدد هذا المفكر البارز منذ وقت مبكر ، موقفه المبني أساسا على التكليف الشرعي ، لذلك نراه يقرر من تحصيله التاريخي أن خلافة بني عثمان لم تنعقد بها بيعة من حكومات المسلمين ولا من رعاياها، فلا يقبلها ملوك إيران والمغرب وأئمة الجزيرة العربية الذين لم يخضعوا لسيادة الدولة التركية . ولا يذكرها المسلمون في صلاة الجمعة إلا حيث يدينون لتلك السيادة في أوضاعهم السياسية، ولم يحدث قبل "السلطان محمود العثماني" أن تلقب أحد من سلاطين القسطنطينية بلقب الخلافة والإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين"[3].

ومنه يخلص الكواكبي إلى النتيجة، فيما يجب على الأتراك بقوله:"**إنما آن لهم أن يتيقظوا ويصبحوا من النادمين على ما فرطوا في القرون الخوالي، فيتركون الخلافة لأهلها والدين لحماته، وهم يحتفظون على بقية سلطنتهم، ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين، وبذلك يتقون الله في الإسلام والمسلمين**"[4].

---

[1] - محمد محمد حسين ، الإتجاهات الوطنية ...، المرجع السابق،ص53.

[2] - عبد الرحمن الكواكبي (1854 - 1902 م) مفكر وعلامة سوري رائد من رواد التعليم ومن رواد الحركة الاصلاحية العربية وكاتب ومؤلف ومحامي وفقيه شهير.ولد في مدينة حلب بسوريا سنة 1271 هجرية سنة 1854 ميلادية.
أخذ العلم في مدينة حلب التى كانت تزدهر بالعلوم والفقهاء والعلماء درس الشريعة والأدب وعلوم الطبيعة والرياضة في المدرسة الكواكبية التي تتبع نهج الشريعة في علومها ، وكان يشرف عليها ويدرّس فيها والده مع نفر من كبار العلماء في حلب.
كما أنه لم يكتفِ بالمعلومات المدرسية، فقد اتسعت آفاقه أيضا بالاطلاع على كنوز المكتبة الكواكبية التي تحتوي مخطوطات قديمة وحديثة، ومطبوعات أول عهد الطباعة في العالم ، فاستطاع أن يطلع على علوم السياسة والمجتمع والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم.
بدأ الكواكبي حياته بالكتابة إلى الصحافة وعين محررا في جريدة الفرات التي كانت تصدر في حلب،وعرف ألكواكبي بمقالاته التي تفضح فساد الولاة ، ويرجح حفيده (سعد زغلول الكواكبي) أن جده عمل في صحيفة "الفرات" الرسمية سنتين تقريبا ، براتب شهرى 800 قرش سورى .
تقلد عبدالرحمن الكواكبي عدة مناصب في ولاية حلب فبعد ان عين عضوا فخريا في لجنتى المعارف والمالية ، عين مديرا رسميا لمطبعة الولاية ، رئيسا فخريا للجنة الاشغال العامة في حلب وحقق في عهده الكثير من المشاريع الهامه التى افاد بها حلب والمناطق التابعة لها وفي 1892 عين رئيسا لبلدية حلب . استمر الكواكبي بالكتابة ضد السلطة التي كانت في نظره تمثل الاستبداد ، وعندما لم يستطع تحمل ما وصل اليه الامر من مضايقات من السلطة العثمانية في حلب التي كانت موجوده انذاك ، سافر الكواكبي إلى اسيا الهند والصين وسواحل شرق اسيا وسواحل أفريقيا وإلى مصر حيث لم تكن تحت السيطرة المباشرة للسلطان عبدالحميد ، وذاع صيتة في مصر وتتلمذ على يدية الكثيرون وكان واحدا من أشهر العلماء.
الف العديد من الكتب وترك لنا تراثا ادبيا كبيرا من كتب عبدالرحمن الكواكبي" طبائع الاستبداد" و "أم القرى" كما ألف" العظمة لله" و" صحائف قريش "وقد فقد مخطوطين مع جملة أوراقه ومذكراته ليلة وفاته ، له الكثير من المخطوطات والكتب والمذكرات التى طبعت ومازالت سيرة وكتب ومؤلفات عبدالرحمن الكواكبي مرجعا هاما لكل باحث. توفي في القاهرة متأثرا بسم دس له في فنجان القهوة عام 1320 هجرية الموافق 1902 ميلادية حيث دفن فيها.

[3] - حسن السعيد، عبد الرحمان الكواكبي جدلية الاستبداد والدين، منشورات مطابع قم ، إيران،2000،ص125.

[4] - عبد الرحمان الكواكبي ،أم القرى للسيد الفراتي ، المطبعة المصرية بالأزهر، 1931،ص 211.

ومما يلاحظ أن الكواكبي لم يبذل أدنى جهد في البحث عن البديل فهو متبلور وواضح وحاضر لديه منذ أمد وإن كانت عقبات تحول دون الجهر به، فإن الكواكبي قد وجد الفرصة مواتية للدعوة إليه، ويتمثل هذا البديل في إقامة "**خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة، يكون حكمه مربوطا بشورى خاصة ، تتشكل هيئته العامة من نحو مئة عضو منتخبين ، مندوبين من قبل جميع السلطنات والإمارات الإسلامية....**"[1].

لقد كان" الكواكبي" معتزا بعروبته ،لكن العروبة عنده ليس إيديولوجية أو عقيدة بل هي إنتماء طبيعي لا ينفك عن الإسلام، بل إن قيمة العروبة والإنتماء للعرب تنبع من العلاقة بالإسلام".[2]ولهذا أعطى المنزلة الخاصة لعرب الجزيرة العربية لأنهم حملة الإسلام ووعاؤه، فكتب في القرار السادس من جمعيته الإصلاحية المتخيلة:"**إن الجمعية بعد البحث الدقيق والنظر العميق في أحوال وخصال جميع الأقوام المسلمين الموجودين ، وخصائص مواقعهم والظروف المحيطة بهم وإستعدادهم، وجدوا أن لجزيرة العرب ولأهلها بالنظر إلى السياسة الدينية ، مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم، بناء عليه رأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم، لايقوم في مقامهم غيرهم مطلقا، وأن إنتظار ذلك من غيرهم عبث محض...فهذه الأسباب التي جعلت جمعية أم القرى أن تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلية الدينية بل الكلمة الشرقية**"[3].

وهكذا يتضح أن الهدف المتوخى من ذلك لدى" الكواكبي" قد تحقق وهو إشعار الدولة العثمانية بأن المسلمين ولا سيما العرب قد حزموا أمرهم في التحرر وأن تصرف الكواكبي ما هو إلا انعكاس أمين لحالة المسلمين كافة و تعبير صادق عن رغبتهم في الخلاص من نير الإستبداد التركي وما جرَّه من ويلات على المسلمين ودينهم وهو ما جعل الكواكبي يرى في العرب الأداة الكفيلة بتحقيق ذلك ، إذ هم وحدهم من بين جميع المسلمين القادرين على تحقيق هذا الإزدهار الديني الضروري للوحدة الروحية للمؤمنين في العالم كله.

هذا بلا شك هو أحد الأسباب الهامة التي تدعو لأن يكون الخليفة من قبيلة قريش ولكن ذلك لا يكفي فالكواكبي يريد محو التعصب السياسي والعنصري، ولكي يظهر أمام أعين الجميع كقاضٍ غير منحاز، ويحصل على قرار بأفضلية شبه جزيرة العرب، وأهلها من الوجهة الدينية، ولكي يبرر هذا التفضيل الذي بذله المؤتمر فقد قدم ستة وعشرين دليلاً ، نذكر منها أن: (الجزيرة هي مشرق النور الإسلامي، فيها الكعبة المعظمة، فيها المسجد النبوي، وفيه

[1] - الكواكبي ، أم القرى، المصدر السابق ،ص 208.

[2] - السيد علاء الجوادي،المنهج الاصلاحي عند الكواكبي، **مجلة المعرفة** ،ع415،أفريل 1998،ص67.

[3] - الكواكبي ،المصدر السابق ،صص 193- 197.

الروضة المطهرة وهي أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية، وأسلم الأقاليم من الأخلاط جنسية وأدياناً....وغير ذلك.[1] والكواكبي في ذكره لخصائص العرب وخصالهم لم يتجاهل ما للأقوام الأخرى من صفات تعكس معرفة الكواكبي الدقيقة بأحوال ونفسيات تلك الأقوام ما يجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجامعة الإسلامية مثل قوله:" **إن معاناة حفظ الحياة السياسية ولاسيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين لأنهم متقنون فن (الديبلوماتيك) أي المراوغة في المقال والتلون" في الأحوال حسب تعبير الكواكبي ومراقبة حفظ المدنية التنظيمية يليق بأن تناط بالمصريين ،والكواكبي لا يخرج المصريين من العرب، وإنما هو يميزهم عن العثمانيين وكذلك عن العرب العثمانيين لأنهم كانوا يومئذٍ سياسياً تحت النير الإستعماري الإنكليزي وليسوا في الواقع جزءاً من الدولة العثمانية التي إنعقدت جمعية "أم القرى" لإيقاظ العرب المستظلين برايتها، والقيام بمهام الجندية، يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان والخزر والقوقاس يميناً ومراكش وإمارات أفريقيا شمالاً، وتدبير حفظ الحياة العلمية لإيران، إستذكاراً لرؤية "الرسول العربي الكريم محمد" ، الذي إعتبر فارس خير العجم وأن العلم في فارس، ولو كان العلم في الثريا لاقتطفه أهل فارس**[2].

وهنا نتساءل: هل كان "الكواكبي" داعية إلى خلافة إسلامية تفضي إلى تغليب الإسلام وتغييب العروبة أو أن يكون الإسلام بديلاً عن العروبة؟وهنا يتضح بأن الكواكبي أراد تكوين وحدة عربية ضمن إتحاد إسلامي مستندة إلى التراث والتاريخ العربي الإسلامي ، متجاوزاً بذلك إطار القومية الضيقة التي هي ليست سوى شكل من أشكال التجمع، فمن إتحاد عائلي إلى تجمع مدني إلى قومي إلى روابط دينية وجغرافية وسياسية وإنسانية ، ومنه فإن الكواكبي كانت له رؤية قومية وإسلامية وإنسانية شاملة وكان ميله للعرب واضحاً فقد نادى بإسم العودة إلى إسلام خالص، بتمجيد القومية العربية التي تمر نهضتها من خلال تجدد الخلافة العربية، فالوحدة القومية ليست مشروعاً يحط من قيمة المعتقد الديني، ويحيي الأصول العرقية، كما أن الدين لا يطالب بإنصهار الوحدة القومية في كيان الإتحاد الديني، بالرغم من أنه أكثر إتساعاً من الوحدة القومية. إن الدولة القومية الواحدة لا تهمش الدين بل إنها تجعل منه رافداً لها، ورابطاً مع الدول الأخرى،وبذلك عدَّ الكواكبي القومية العربية والإتحاد الإسلامي صنوين[3].

وبذلك لا تكون العروبة بديلاً عن الإسلام ولا يكون الإسلام بديلاً عن العروبة بل إن كلاً منهما يعزز الأخر وهكذا فإن الكواكبي يجد حلاً لتكوين إتحاد إسلامي بين الدول، ويبقى الرابط القومي عنده بعيداً عن المعتقد الديني

[1] - للإطلاع عليها كاملة وعددها (26) سببا أنظر ، عبد الرحمان الكواكبي ، المصدر نفسه ،ص 193-196 .

[2] - عبد الرحمان الكواكبي ، أم القرى ،المصدر السابق ،صص200-202.

[3] - محمد جمال طحان ،الإستبداد وبدائله في فكرالكواكبي(دراسة) ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق،1992 ،ص44-45.

بحيث يمكن أن يكون من يرتبط معنا قومياً يدين بدين غير الإسلام، كما يمكن أن ينتمي المسلم إلى قوميته الخاصة فيكون إنكليزياً أو فرنسياً أو تركياً، وهكذا نجد ترابطاً بين الأديان والأقوام كلها، مما يدل على تكامل الإنسانية والإخاء الطبيعي بين الناس أجمعين وهذا يعني أن الكواكبي كان مع الجامعة الإسلامية ومع القومية العربية في الوقت ذاته خلافاً "لمحمد عبده" الذي إنحاز للجامعة الدينية ضد الوطنية.

"فالكواكبي بهذا يكون عربياً، يشترك مع العرب في القومية ومسلماً مع المسلمين بالإنتماء إلى دين واحد، وإنسانياً يشترك مع القوميات والأديان الأخرى بالإنسانية، وهذه الروابط الثلاث لا تتعارض بل تتحدد وتسعى إلى رقي الإنسان وتقدمه".[1]

وفي وسط هذه التوجهات المختلفة إرستمت مواقف النخبة الجزائرية بين مؤيد لبقاء الخلافة وضرورة الحفاظ عليها وبين من لايرى في بقاءها أية فائدة تذكر، وكان من الطبيعي أن تجد النخبة الجزائرية مشرقا ومغربا في تلك الاراء السابقة مرآة تعكس أفكارها وتوجهاتها وهو ما سنوضحه فيما هو آت.

لقد شكلت مسألة إلغاء الخلافة في الجزائر على غرار باقي الدول العربية والإسلامية ،حدثا بالغ الأهمية،خاصة وأن الجزائر إرتبطت بالدولة العثمانية لمدة ناهزت الثلاثة قرون إعتبرت نفسها فيها جزء من مكوناتها الأساسية،وحتى وإن فقدت الجزائر ولائها السياسي للدولة العثمانية بعد(1830م) نتيجة الإحتلال الفرنسي لها إلا أن الجزائريين ظلوا يشعرون كما شاهدنا في عدة مناسبات بالولاء الروحي للخلافة الإسلامية والتضامن القوى معهاويحسون بالروابط الدينية التي تربطهم بعاصمة الخلافة.[2]، لقد إرتسمت كما أثبتنا ذلك صور الفترة العثمانية بوضوح في العديد من يوميات الجزائريين ، من عمران وتقاليد ومصطلحات تركية ضمن اللهجات الجزائرية والفنون و العديد من الأُكلات هنا وهناك وغير ذلك، ولكن أهمها حضورا هو ذلك العامل الديني الذي يربط بين العثمانيين والدفاع عن الإسلام وديارة ومنها الجزائر ضد الهجمات الأوروبية المسيحية ،وتبعا لذلك فقد أحس الجزائريون كما بقية المسلمين بخيبة أمل كبيرة جراء ما إقترفه الكماليون في حق الخلافة والمسلمين.

لقد شكلت هذه التطورات المأساوية مصدر حيرة للكثير من رجالات الدين والسياسة المسلمين بزوال هذه المؤسسة التي كانت تمثل رمزا للوحدة الدينية والسياسية للمسلمين، وبغرض إسترجاعها شكلت الأطراف المساندة لها

[1] - محمد جمال طحان ،الإستبداد وبدائله ، المرجع السابق،ص ص 510-511.

[2] - أحمد صاري،إبن باديس ومسألة إلغاء الخلافة،**مجلة الأدب والعلوم الانسانية**،ع01،كلية الاداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ،قسنطينة،محرم1423هـ/أفريل 2002م،ص143.

حركات تهدف إلى إقناع المسؤولين الجدد في تركيا بالتراجع عن قرارهم ، وعُقدت كذلك العديد من المؤتمرات للبحث في مسألة شغور هذه المؤسسة وضرورة إحياءها.[1]

ولم تكن الساحة الجزائرية بعيدة عن هذا النقاش والجدل أيضا، خاصة على صفحات الجرائد وبين أقلام المفكرين لاسيما المصلحين منهم ، وقد عُرف على بعض الصحف الجزائرية متابعتها لأخبار العالم الاسلامي حتى قبل إلغاء الخلافة بحيث تابعت بإهتمام تطورات القضية،ونشرت أخبارها وعالجت الموضوع من يوم أن ظهرت بوادره ،ولطالما حذرت من نتائجها كل المسلمين[2]،فصدقت توقعاتها وتأكدت تلميحاتها.

لقد دخلت الصحافة العربية الجزائرية بكل زخمها، تتبع تطورات القضية تتبعا دقيقا وتنشر أخبارها بإهتمام حريص وإستمرت تواكبها أكثر من عشر سنين ، والواقع أن بعض المقالات قد عالجت الحدث من يوم أن ظهرت بوادره الخطِرة تُطل برؤوسها مع حركة الكماليين وسعيهم الدؤوب لإلغاء الخلافة الإسلامية، وقد عبر أحد الكتاب الجزائريين عن تعلق المسلمين الجزائريين بالخلافة الإسلامية، وكيف أنهم يعتبرونها رمزا غاليا لتضامن المسلمين وربطهم بروابط الأخوة والإتحاد قائلا :"**إن مسألة الخلافة مسألة دينية لاتهُم– كما قلنا دائما– سوى المسلمين خاصة، فلا يضن محررو المعاهدة (معاهدة لوزان) بوضع فصول من هذا النمط يقضون على نفوذ الخليفة الأعظم، ويعوقونه عن العمل بواجبه ويقضون على الجامعة الإسلامية التي تكونت حول مركزه الرفيع.إن هذه الفصول تُعد لغوا سواء أمضت عليها تركيا– ولا أخالها– أم لم تمض، لأن الخليفة ليس الرئيس الديني للأتراك وحدهم بل لكافة المسلمين..**"[3]

وسنهتم في الصفحات اللاحقة بالتعرف على موقف النخبة الجزائرية المحافظة والمجددة من قضية إلغاء الخلافة عبر مجموعة من النماذج من الكتابات والمواقف لعدد من الكتاب والصحفيين والشعراء والسياسيين الجزائريين في داخل الجزائر وخارجها

[1] - من هذه المؤتمرا ت: مؤتمر القاهرة من 13 على 19ماي 1926 ومؤتمر مكة الكرمة من 07جوان إلى 05 جويلية 1926، ومؤتمر القدس من 08 على 17 ديسمبر 1931.

[2] - محمد ناصر ،المقالة الصحفية الجزائرية - نشاتها تطورها أعلامها ،من 1903-1931،(ج1) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1978،ص178.

[3] - لسان الدين ،"مشروع معاهدة لوزان"، **لسان الدين** ،ع8 ،2 فيفري 1923.، نقلا عن ،محمد ناصر،المقالة الصحفية الجزائرية (ج1)، مرجع سابق،ص178.

5-3 : النخبة الجزائرية بين الولاء للدولة العثمانية والاعجاب بتركيا الكمالية :

لم تنقطع النخبة الجزائرية عن متابعة القضايا المختلفة خارج الجزائر رغم تضييق المحتل على كل ما من شأنه إبقاء الجزائريين في صلة مع عالمهم الخارجي من حج وصحافة مكتوبة وحتى الهجرة نحو المشرق، وبقيت الطبقة المستنيرة الجزائرية تتابع تلك التطورات التي عرفتها الدولة العثمانية، سواء ما تعلق منها ب"السلطان عبد الحميد الثاني" وسياسته أو بحروب الدولة العثمانية كحرب القرم والحرب الطرابلسية أو دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى وما صاحبها من تغييرات جذرية مست السلطنة.

وفي حين لم يخف الجزائريون إعجابهم وفرحتهم بتلك الإنتصارات العسكرية التي حققها الأتراك العثمانيون ، معتبرين أنها دولة إسلامية تحارب دولا مسيحية،فإن قضية التضامن والولاء ستكون أعقد عندما يتعلق الأمر بصراع داخل السلطنة و بين الأتراك أنفسهم، أي بين سلطان يرمز للخلافة الإسلامية ومن معه من المؤسسات المساندة له خاصة الدينية منها وجيش يقوده مجموعة من الشبان الأتراك المتحمسين للتجديد والتغريب وعلمنة الدولة العثمانية وبالتالي إلغاء هذه الخلافة.

ثم جاء إندلاع الحرب العالمية الأولى سنة(1914م) ووجود فرنسا وتركيا في جبهتين مختلفتين بل ومتصارعتين خلال هذه الحرب ليصبح من البديهي أن تختلف مواقف النخبة الجزائرية بمكوناتها من هذا الحدث والأطراف المنشطة له، بين نخبة ترى وجوب الوقوف مع دولة الخلافة لإعتبارات تاريخية ودينية وبين نخبة أخرى ترى في إنتصار فرنسا إستمرار لإمتيازاتها مصالحها المرتبطة بها، وقد تطرقنا لذلك بشكل مفصل في المبحث المتعلق بالتجنيد الإجباري

فمع بداية الحرب الكونية الأولى عام(1914م) ودخول تركيا لها كحليفة لألمانيا ومعادية لفرنسا في نوفمبر من السنة نفسها ، هذا ما جعل بعض الجزائريين يعلقون الآمال على إمكانية تخلصهم من الإستعمار الفرنسي إذا إنتصرت تركيا وحليفتها ألمانيا لاسيما وأن هذه الأخيرة كانت في حينه رمزا للقوة العسكرية والصناعية، إضافة إلى ما كانت تتمتع به من إحترام لدى الكثير من العرب والمسلمين خاصة إثر موقفها من القضية المغربية بعد(1905م)[1] عكس فرنسا الإستعمارية التي لم تكن تحضى بأي إحترام لدى معظم العرب والمسلمين بإعتبارها قوة غازية مستعمرة للبلاد العربية والإسلامية، فوجدت النخبة الجزائرية نفسها في موقف لاتحسد عليه، فإن وقوفها ضد فرنسا في حربها سيجعلها في نظر الإدارة الفرنسية في محل الخيانة العظمى التي قد تكون نتائجها وعقوبتها وخيمة وإن عدم الوقوف مع الدولة العثمانية سيظهر هذه النخبة لدى الجزائريين المسلمين بمثابة الخيانة لروح التضامن الإسلامي.

[1] - المقصود هنا نزول الامبراطور الألماني غليوم الثاني سنة 1905 في مدينة طنجة، وإعلانه عن رغبته في الحفاظ على إستقلال المغرب الأقصى، مما ضاعف التوتر بين فرنسا وألمانيا ودفع إلى إنعقاد مؤتمر الجزيرة سنة 1906م ، لمزيد من التفاصيل ، أنظر : عبد الحميد البطريق ، التيارات السياسية المعاصرة 1815-1960 ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1974،ص 144-145.

ولما ألغيت الخلافة وطُبقت العلمانية في التعليم وتوقف العمل بالتقويم الهجري في عام(1924م) أصيب التقليديون بالصدمة حتى وإن لم يُظهروا ذلك للمسيحيين ، وقام الحاكم العام الفرنسي في الجزائر بطمأنة باريس بعدم تأثير إلغاء الخلافة على الجزائر والجزائريين أي تأثير لأن تلك المؤسسة عبارة عن " أسطورة كانت تتلاشى تدريجيا من أذهان الناس" وعند ذلك كتبت الصحافة، حتى لدى الشباب الجزائري عن الأسى العميق وتساءلت عما إذا كانت الأمة ستُمَزق بالتقسيم بين أكثر من منافس؟وأن مصطفى كمال يتحمل مسؤولية كبرى أمام التاريخ، ومع ذلك أصبحت تركيا الجديدة العلمانية والثورية نموذجا للمتحمسين من الشباب الجزائري. وكتب فرحات عباس بأن درس" الفاني كمال أتاتورك" سوف يعود بالخير على مستقبل الجزائر المسلمة"[1].

ولكن الفرق في التصور والإختلاف في تقدير ماقام به مصطفى كمال أتاتورك تجاه السلطنة والخلافة وما حققه من إنتصارات عسكرية على الجبهات وما قام به من سياسات تحديثية للمجتمع والدولة التركية الناشئة ، رسم مواقف النخبة الجزائرية منه ومن قضية الخلافة ، فكيف كان ذلك؟

3– أ :موقف النخبة المحافظة من مصطفى كمال أتاتورك وقضية الخلافة:

لقد شدت الإنتصارات التي حققها أتاتورك الإنتباه إليه وجعلته محل إعجاب الكثير من السياسيين والمثقفين مشرقا ومغربا ويبدو أن هذا الإعجاب بإنتصارات أتاتورك لم يكن شعورا محصورا لدى الجزائريين قبل(1922م) بل كان شعورا عاما ، فقد فرح الجزائريون أيما فرح بإنتصارات "الغازى كمال" خلال سنوات (1922-1923م) ورأوا فيه البطل المجاهد الذي سيعيد للإسلام عزته ، وزاد إرتباطهم كغيرهم من المغاربة بحكومة الإتحاد والترقي أكثر رغم ما كان يشوبهم من التخوف من السياسات الجديدة التي أبان عنها الكماليون تجاه بعض القضايا المتعلقة بالدين والولايات العربية :" **لقد ظل العرب يتطلعون إلى تركيا الكمالية الحديثة في مزيج عجيب من العواطف قوامها الدهشة والرهبة والإعجاب، فقد أدهشتهم قدرة الأتراك على التحرر وأُعجبوا بقيام دولتهم ولكنهم إضطربوا إزاء تحول تركيا من اللون الإسلامي إلى اللون الغربي...**[2].

فقد إستشعر عدد من الجزائريين بدورهم في إنتصارات"أتاتورك" نصرا لهم ورأوا فيه نموذجا للبطل المرتجى لتخليصهم من آلامهم [3] وإذا كان الجزائريون قد إستقبلوا إنتصار اليابانيين على روسيا بإبتهاج كبير بسبب التحالف الفرنسي الروسي من جهة ،ونظرا لما كانت تعانيه بعض الشعوب الإسلامية تحت الإحتلال الروسي[4] فإنهم قد

[1] - شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة ، المرجع السابق ،ص488.

[2] - أنور الجندي، الفكر العربي المعاصر ..، مرجع سابق ،ص13-14.

[3] - أنظر الملحق (رقم 23).

[4] - Gilbert,Mynier, L'Algerie révélée,edition el maarifa,Alger,2010,p26

أعجبوا "بمصطفى كمال أتاتورك" لوطنيته وإنتصاراته العسكرية والسياسية، فلم يخفوا إعجابهم وفرحتهم بالإنتصارات العسكرية التي حققها الأتراك سنة(1922م) حيث تظاهر السكان في مدينة الجزائر وألصق الطلاب في المدارس صورا ل"كمال أتاتورك" وعاشوا الإنتصار التركي وكأنه إنتصار جزائري ضد الفرنسيين، وأصبح في نظرهم رمزا للحرية والإستقلال[1].

ولذلك هلل وكبر بعض الشعراء في الجزائر" لمصطفى كمال أتاتورك" ورأوا فيه الأمل بإسترجاع ماضي الأمة والمنقذ لها من التحديات التي تواجهها[2]. فهاهو أحد الشعراء الجزائريين ، المدعو "محمد اللقاني بن السايح"[3] يشيد بإنتصاراته تلك قائلا:

لله من نصر تصوغ من بشرى**** وعلى ربوع المسلمين تبسمـــــا

نصر له في الأرض أكبر رنـــة**** وبه (الأمس) على السماء ترنما

نصر به يرتاح قلب محمـــد **** والملة السمحـــــــــاء باسمـة

نصر به تشق كل غوايـــــة **** وبه العدالة والمـــــروءة في حمـى

نصر به للفاتحين مســـــرة **** أكرم به نصرا وعيـــــدا أفحما

ويبلغ الإعجاب ذروته عند الشاعر لدرجة قوله :

الله ناصر جيشه و(كمالـــــه) ****والله حافظ دينه أن يظلـــــــما

يا مصطفى لك في القلوب محبة ****ومهابة هيهات أن تتصرمـــــــا

يا مصطفى لك في الجنان حلاوة **** وبكم فؤادي ظل حيا مغرمـــــا

يا مصطفى هاذي تحيـــة شاعر**** في لبه أضحى الوداد مخيـــــــما

يا مصطفى لك في المشارق مثلما **** لك في المغارب عـــــزة وتقدما[4]

---

[1] - Mahieddine,Nahas," La penseé politique de Mustafa Kemal Ataturk et le movement national Algerien",in,**Insaniyat, revue Algerienne d'antropologie et de science sociale**,(No25-26),8eme Année,juillet-décembre,2004,p136.

[2] - صالح خرفي ،شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1979،ص282.

[3] - يرجع نسب الشيخ محمد اللقاني بن السايح إلى عرش أولاد عبد القادر المعروف بالطيبات ولاية وقلة ،ولد سنة 1886م، تعلم في بلدته وحفظ القرآن الكريم على يد والده، ذهب إلى تونس لإستكمال دراسته، فنزل بنفطة سنة 1913م، إلتحق بالزيتونة سنة 1915م"، نال بعد اربع سنوات الشهادة العالمية، درس في العديد من المدارس اللتونسية ، درس في الزاوية التجانية بتماسين بقمار، من أبرز طلبته الجزائريين في تونس ، مولود قاسم نايت بلقسم وأحمد حماني ومحمد الأخضر السائحي والشيخ كتو وغيرهم، توفي في 21 فيفري 1970 ودفن بمقبرة سيدي يحي بتونس، أنظر: التجري،الشيخ محمد اللقاني بن السايح مسيرة الأديب والفقيه ، جريدة **التحرير** ، ع328،الثلاثاء 13 ماي 14/2014رجب 1435ه،ص18.

[4] - صالح خرفي ،شعر المقاومة ، مرجع سابق ،ص 33.

وللتذكير فإن الإعجاب بأتاتورك لم يكن حكرا على الجزائريين وشعراءهم فها هو أمير الشعراء "أحمد شوقي"[1]، كتب واحدة من أشهر قصائده في مدح "مصطفى كمال" وصل فيها لحد تشبيهه بأحد أكبر القادة العسكريين و أبطال الفتوحات الإسلامية وهو "خالد بن الوليد"، وذلك بعد إنتصاره في معركة الأناضول سنة(1922م) وذلك في قصيدة بعنوان " إنتصار الترك في الحرب والسياسية" جاء فيها :

الله أكبر ، كم في الفتح من عـجب**** يا خالد الترك جدد خالد العرب

حذوت حرب (الصلاحيين) في زمن **** فيه القتـال بلا شرع، ولا أدب

تحية أيـــــــــــها الغازي وتهنئة**** بآية الفتـــح تبقي آيـة الحقب

وأزينت أمهـــات الشرق، وأستبقت**** مهارج الفتح في الموشية القشب

هزت (دمشق)(بني أيوب)، فانتبهوا**** يهنئون(بني حمدان) في (حلب)

ومسلمو(الهند)و(الهندوس)في جذل **** ومسلمو(مصر)و(الأقباط) في طرب[2].

وفي ظل البحث عن موقف النخبة الجزائرية المحافظة من مسألتي الخلافة وشخصية " مصطفى كمال أتاتورك"يحضى موقف إبن باديس بإهتمام خاص لعدة إعتبارات ، أولها الثقل الذي يمثله" إبن باديس" ضمن التيار الإصلاحي المحافظ داخل الجزائر والعالم الإسلامي، وثانيها الجدل الواسع الذي أثارته مواقفه من القضيتين كما سنرى.

3– ب :إبن باديس : "أتاتورك القائد الملهم والمسلم المارق":

كتب "ابن باديس" العديد من المقالات التي تناول فيها موضوع الخلافة والكماليين وقد أخذت مجالا زمنيا طويلا مما جعلها تتباين أحيانا نتيجة لتطورات الأحداث نفسها ،لا سيما فيما يتعلق بموقف "ابن باديس" من" مصطفى كمال أتاتورك"، ولذلك سنحاول فصل محتوياتها إلى قسمين ، قسم متعلق برأيه في شخص " مصطفى كمال أتاتورك" والكماليين والقسم الثاني متعلق بقضية الخلافة سنتركه للمباحث اللاحقة.

فمن أبرز ما كتبه إبن باديس حول "كمال أتاتورك" وسياسته مجموعة من المقالات سنتعرض لها بشيئ من التحليل ، مقال أول صدر مباشرة بعد سقوط الخلافة بتاريخ (24 مارس 1924م) ، فيما كتب المقال الثاني بتاريخ (28 مارس) من نفس السنة في "جريدة النجاح " وقد ركز ابن باديس في هذا المقال على عقيدة الولاء[3]

[1] - أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك (1868-1932م) ، شاعر مصري يعد من أعظم وأشهر شعراء العربية في العصور الحديثة، يلقب بـ "أمير الشعراء.

[2] - أحمد شوقي، الشوقيات،دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، 2005،ص ص48-55.

[3] - عقيدة لدى بعض المسلمين أقرها الكثير من العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية ،فالولاء هو حُب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم أما البرا ء فهو بُغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ، من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق.=

حتى يبرر موقفه من "مصطفى كمال أتاتورك" فهو لا يحاكمه كشخص عادي بل يحاكمه ويتبرأ منه نتيجة للعمل الخطير الذي قام به فيقول :" **إن الاسلام لا يقدس الرجال وإنما يسير الأعمال، فلئن والينا الكماليين بالأمس حينا فلأنهم قاموا يذبون عن حمى الخلافة وينتشلون أمة إسلامية عظيمة من مخالب الظالمين، وقد سمعناهم يقولون في دستورهم(إن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولئن تبرأنا منهم اليوم وعاديناهم فلأنهم تبرءوا من الدين وخلعوا خليفة المسلمين ، فكانوا ممن عمل بعمل أهل الجنة حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع فعمل بعمل أهل النار ، فكان من الخاسرين، وإنما الأمور بخواتمها والعاقبة للمتقين**"[1].

لقد أعلن "ابن باديس" بوضوح أنه غير رأيه السابق والمعجب بأتاتورك والكماليين عندما إكتشف حقيقتهم وأبعاد سياستهم فقال:"**ما كنا قط نجهل عقيدة الشبيبة التركية المتفرنجة ولا مبادئها "اللادينية" وكيف يجهل ذلك منها وقد حفظ التاريخ في متون الصحف وبطون المجلات،خطب زعماءها الملأى بالتأفف من الدين والغمز في مبادئ الاسلام من خطب الإتحاديين إلى أخر خطبة رأيناها في جريدة الأهرام من خطب كمال ،أم كيف تخفى مقاصدهم وقد فتحوا عهد دستورهم، بعد عهد عبد الحميد،بمحو كلمة الشهادة من رايات الجيش وختموها في هذه الأيام،بنبذ النظام العائلي الإسلامي في مسائل الزواج والطلاق، وإباحتهم التبرج للنساء وإختلاطهن بالرجال في المراسم والمراقص ومحلات العموم،والفصل بين السلطة الروحية والزمنية ما قلدوا فيه بابوية روما ولا حقيقة له في الإسلام" إلى أن قال :" لاوالله ما كانت تخفى علينا عقائدهم،وإنما كنا نغض الطرف عن شرورهم ومفاسدهم ساكتين عن ذكر مقابحهم،إبقاءً على الوحدة الإسلامية التي إتجهت نحوهم ولماً لشعث المسلمين حول سيرة خليفتهم وتأييد الأمة التركية خادمة الملة التابعة لهم وإرغاما لأعداء المسلمين.**"[2]، وبذلك يتضح أن بن باديس كان مطلعا ومتابعا لسياسة الكماليين ومُشرحا لسياساتهم المتعلقة بالشؤون الدينية والإجتماعية والسياسة وهو ما يُفترض أن يكون في شخصية قيادية مثله، كما أن تعداده بدقة لهذه التجاوزات هي التي ستبرر لديه بعد ذلك فكرة إبطال الخلافة على أن تبقى في يد من لايستحقها، ولذلك فبعد التذكير بمنكرات الكماليين من نفيهم للخليفة العثماني وآله ورفضهم للديانة الإسلامية وإبطالهم المحاكم

= فكل مؤمن موحد ملتزم للأوامر والنواهي الشرعية ، تجب محبته وموالاته ونصرته . وكل من كان خلاف ذلك وجب التقرب إلى الله تعالى ببغضه ومعاداته وجهاده بالقلب واللسان بحسب القدرة والإمكان ، قال تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، أنظر: عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، نواقض الإيمان القولية والعملية ،(ط2)، مؤسسة الرسالة السلفية ،جدة ،2004،ص 381.

[1] - عبد الحميد بن باديس ،"الفاجعة الكبرى أو جنايات الكماليين على الإسلام والمسلمين"، **النجاح** ، ع 152 ، 28 مارس 1924، نقلا عن أثار الامام عبد الحميد بن باديس، (ج6) ،الطبعة الأولى، 1412ه-1991، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر،ص20

[2] - ابن باديس ، الفاجعة الكبرى أو جنايات الكماليين ...، المصدر السابق.

الشرعية،وفي الأخير خَلُص إلى إعتبارهم مارقين من الإسلام لأنهم جنوا عن المسلمين أربع جنايات،الأولى على الخلافة لأنها "أقوى ما يستعين به دعاة الوحدة الإسلامية السليمة" والثانية على الخليفة "لأنه خليفة الإسلام" وقد تُرك "ملقى على أعتاب الأوروبيين" والثالثة على عائلة آل عثمان "التي تمثل مجد الترك" والرابعة والأخيرة على الدين "الذي أخذوا في إستئصاله من الأمة التركية". وهكذا خرج بن باديس بحكمه الواضح نحو الكماليين بإعتبارهم مارقين عن الدين جُناة على الإسلام، أما عن سكوت بن باديس عن جنايات الكماليين قبل إلغاء الخلافة سنة(1924م) فقد فسره البعض تفسيرا فقهيا بحتا وفق ما يسمي بفقه الموازنات أو فقه الأولويات ، أي تحمل الضرر الخاص في سبيل دفع الضرر العام ، فالسكوت عن هذه السياسات أولى من تهديد وحدة الأمة الإسلامية وشق صفوفها ، وهو ما يريده أعداؤها وعلى رأسهم الإنجليز.

لكن تحولا جذريا سيعرفه موقف "ابن باديس" من "أتاتورك" نفسه،فمناسبة وفاة "مصطفى كمال" نشر مقالا عام "1938م"[1] بعد عدة سنوات توقف فيها عن الكتابة في الموضوع ، والسبب أن نشر هذا المقال يتزامن مع عودة النقاش حول مسألة الخلافة بعد توقيع معاهدة (1936م) بين مصر وبريطانيا والتي حصلت مصر بموجبها على الإستقلال، وتولي "الملك فاروق" الحكم والذي إزدادت أطماعه في الخلافة بعدما صلى الجمعة في الأزهر (1938م) برؤساء وملوك الدول العربية. وكان هذا من الدوافع التي جعلت" إبن باديس"، يستغل فرصة تأبين "مصطفى كمال" ليرد على أطماع "الملك فاروق" التي كانت تحضى بتأييد علماء الأزهر[2]، فيستهل مقاله هذا بتمجيد شخصية "مصطفى كمال" قائلا :" **في السابع عشر من رمضان المعظم خُتمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث، وعبقري من أعظم عباقرة الشرق، الذين يطلعون على العالم في معظم الأحقاب فيحولون مجرى التاريخ ويخلقونه خلقا جديدا، ذلك هو مصطفى كمال بطل غاليبولي[3] في الدردنيل وبطل سقاريا [4]في الأناضول وباعث تركيا من شبه الموت إلى حين هي من الغنى والعز والسمو...فلما إنتهت الحرب وخرجت تركيا منها مهشمة مفككة تناولت الدول الغربية أمم الشرق الإسلامي تمتلكها تحت أسماء إستعمارية ملطفة ، وإحتلت تركيا نفسها وإحتلت عاصمة الخلافة، وأصبح الخليفة طوع يدها وتحت تصرفا وقال "المرشال اللونبي"– وقد دخل القدس– "اليوم انتهت الحروب الصليبية" ،**

[1] - عبد الحميد بن باديس، "مصطفى كمال رحمه الله" ،**الشهاب** ،(ج9) ،(م14) ، رمضان 1357هـ /نوفمبر 1938، 441، أنظر الملحق (رقم 24).

[2] - أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر،المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ،2004،ص67.

[3]- معركة تصدى فيها مصطفى كمال لقوات الوفاق، مع بداية الحرب، وهي جزء من حملة الدردنيل (فيفري 1915- جانفي 1916).

[4] - معركة ضد اليونانيين ،إستمرت من شهر أوت إلى شهر سبتمبر 1921م ، حقق فيها مصطفى كمال إنتصارا هاما على اليونانيين.

فلو لم يخلق الله المعجزة على يد كمال لذهبت تركيا وذهب الشرق الإسلامي معها.لكن كمالا الذي جمع تلك الفلول المبعثرة فإلتف به إخوانه من أبناء تركيا ونفخ من روحه في أرض الأناضول حيث الأرومة التركية الكريمة وغير ذلك الشعب النبيل، وقاوم ذلك الخليفة الأسير وحكومته المتداعية وشيوخه الدجالين من الداخل ، وقهر دول الغرب وفي مقدمتها إنجلترا من الخارج"[1].

ومن تفحص جلي لما سبق نجد تفسيرا واضحا لهذا الإعجاب الكبير إلى حد وصف "مصطفى كمال" بأنه أعظم رجل في الشرق الحديث وأن الله خلق على يده معجزة إنقاذ الشرق، وهو أن "بن باديس" وضع نصب أعينه المصلحة الكبرى التي تحققت على يده والمتمثلة في إنقاذه لتركيا من التجزئة والإحتلال الأوروبي ودفاعه عن العالم الإسلامي وكذلك كونه أصبح رمزا تحرريا بوقوفه في وجه القوى الاستعمارية التي يُكن لها "بن باديس" كشخص يعيش تحت نير الإستعمار الفرنسي الكثير من الكراهية، و ما تميز به "مصطفى كمال" من رفض للذل والخذلان عكس الخليفة وحاشيته من الشيوخ الدجالين على حد وصف بن باديس لهم.

ثم يواصل "بن باديس" في التذكير أن عظمة هذا الرجل لم يُنقصها إلا موقفه من الإسلام:" **إن الإحاطة بنواحي البحث في شخصية "أتاتورك (أبي الترك)" مما يقصر عنها الباع ويضيق عنه المجال، ولكنني أرى من المناسب ومن الواجب أن أقول كلمة في موقفه إزاء الإسلام. فهذه هي الناحية الوحيدة من نواحي عظمة "مصطفى أتاتورك" التي ينقبض لها قلب المسلم ويقف متأسفا"** لكنه سرعان ما يرى بأن "مصطفى كمال" لا يتحمل المسؤولية كاملة في ذلك بل هنالك أطرافا أخرى مسؤولة:" **ويكاد يولى مصطفى في موقفه هذا الملامة كلها حتى يعرف المسئولين الحقيقيين الذين أوقفوا مصطفى كمال ذلك الموقف.فمن هم هؤلاء المسؤولون؟ المسؤولون هم الذين كانوا يمثلون الاسلام وينطقون بإسمه، ويتولون أمر الناس بنفوذه ويعدون أنفسهم أهله وأولى الناس به.**

هؤلاء هم :

- **خليفة المسلمين.**
- **شيوخ إسلام المسلمين ومن معه من علماء الدين.**
- **شيوخ الطرق المتصوفون.**
- **الأمم الاسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها"**[2].

[1] - عبد الحميد بن باديس، "مصطفى كمال رحمه الله" ،المصدر السابق.
[2] - المصدر نفسه.

ثم يقوم "بن باديس" بتوضيح طبيعة المسؤولية التي يتحملها كل طرف، فالخليفة يكتفي بالجلوس في قصره تحت سلطة الإنجليز المحتلين لعاصمته ، بل إنه يحرك الآلة لقتل المجاهدين في الأناضول ومعلنا الجهاد ضد مصطفى كمال. أما شيخ الإسلام وعلماؤه فيبيحون له ذلك ويوقعون له على المناشير والفتاوى التي تؤيد ذلك.

و أما شيوخ الطرق الضالون وأتباعهم المنومون فهم من يوزع هذه المناشير ضد المجاهدين وفي ذلك خدمة واضحة للانجليز.

"وأما الأمم الإسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها فمنها – إلا قليلا– من كانوا في بيعته فإنتفضوا عليه ثم كانوا في صف أعدائهم وأعدائه ومنها من جاءت مع مستعدييهنا حاملة السلاح على المسلمين شاهرة له في وجه خليفتهم"[1]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى" الشريف حسين" قائد الثورة العربية في الحجاز (1916م) التي إستهدفت الدولة العثمانية بتأييد من الإنجليز. وفي نهاية المقال يترحم بن باديس على روح "مصطفى كمال" ، متقدما بتعازيه "للأمة التركية الشقيقة الماجدة"، مذكرا بالروابط التي كانت تربطها بالجزائر في الماضي، وبفضلها الذي مازال ماثلا فيما تركت من " مساجد ومعاهد للدين الشريف".

ومن هنا يتضح لنا الموقف المتشدد الذي إتخذه بن باديس في وجه ما يمكن تسميته ب" الخلافة التركية" وليس الخلافة كمبدأ ديني إسلامي لاشك فيه وهو ما سنوضحه في المبحث التالي.

3– ج :إبن باديس" جماعة المسلمين أولى من خلافة ميته":

أما بالنسبة لموضوع الخلافة فقد كان "عبد الحميد بن باديس" من أكثر المهتمين من النخبة الإصلاحية بقضية الخلافة ومنذ بدايتها حتى أن موقفه قد بدا متميزا وغريبا في الكثير من الأحيان لاسيما عندا يتعلق الأمر بموقفه من "مصطفى كمال أتاتورك"كما سبق تناوله أو مدى مشروعية إستمرار الخلافة في ظل وصول الإتحاديين إلى هرم السلطة. والجدير بالذكر أن موقف "بن باديس" من القضية قد أخذ مجالا زمنيا طويلا حتى يتضح نهائيا، فهو لم يتجلى بشكل كامل وواضح سوى سنة (1938م).

وبالعودة للبدايات نجد أن فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى قد سجلت أولى بدايات إهتمام "الشيخ عبد الحميد بن باديس" بالخلافة وموضوعاتها، وقد جذبه نحو ذلك عاملان أساسيان أولهما ذلك النقاش الواسع مشرقا ومغربا حول هذه القضية وثانيهما إعجابه بتلك الإنجازات العسكرية التي حققها "كمال أتاتورك" في الحرب، شأنه في ذلك شأن بقية النخبة الجزائرية وبقية الجزائريين، بل وحتى العديد من المثقفين المشارقة بمختلف توجهاتهم.

[1] - عبد الحميد بن باديس، "مصطفى كمال رحمه الله" ،المصدر السابق.

ولعل من المهم قبل الخوض في تصور بن باديس لموضوع الخلافة وتطوراتها ملاحظة أن "بن باديس من حيث فكره ينتمي إلى الجيل الثاني من المصلحين الإسلاميين الذين عرفهم العالم الإسلامي مشرقا ومغربا ، بعد جيل "الأفغاني" الذي لم يعاصره و"محمد عبده" الذي كان صغيرا عند زيارته للجزائر سنة(1903م) وبذلك فإنه لم يعايش مباشرة ذلك الزخم الكبير الذي عايشه "محمد رشيد رضا" مثلا حول مسألة الخلافة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فالملاحظ على الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال العشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين أنها كانت أكثر إنشغالا بمواجهة السياسية الإستعمارية المتعلقة بالشقين الإجتماعي والثقافي وما يتعلق بموضوع الهوية ومحاربة مظاهر البدع والجهل وما يرتبط بها وهذا ما يفسر تأخر "ابن باديس" في تناول موضوع الخلافة.

هكذا وبالنسبة للقضية فلم يخرج "بن باديس" عن سياق من سبقه من علماء السلف والمحدثين في تعريف الخلافة حيث نجده يعرفها بقوله :"**الخلافة أو الإمامة العظمى وإمارة المؤمنين ألفاظ مترادفة تعني معنى واحد، لا تخرج عبارات المتكلمين عليها من علماء الطوائف عما قاله العلامة المحقق "سعد الدين التفتزاني"[1] في مقاصده: هي أي الإمامة رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم**"[2].

و بحكم واقعية بن باديس وفهمه الكبير للإسلام وتاريخه وإدراكه لواقع العالم الإسلامي،فإن ذلك جعله يرى أن الخلافة ما هي إلا نظام سياسي من الأنظمة الممكنة في الإسلام وليست النظام الوحيد أو الحتمي،فالإسلام لا يلزم إلا بأصول معينة للحكم قد تستعمل بصيغ مختلفة وهكذا إنتهى" بن باديس" إلى إقتراح بديل للخلافة وهو "جماعة المسلمين"[3]

ومنذ البداية دافع "بن باديس" عن موقفه من إلغاء الخلافة في مقال ثاني أصدره مباشرة بعد مقاله الأول بأسبوع واحد فقط، وجاء بعنوان " تعقيب على مقالنا السابق في جنايات الكماليين ومروقهم"[4] يوضح فيه أنه جاء كحاجة لرفع اللبس عن المقال السابق وأنه جاء بعد إطلاعه على الكثير مما كُتب في شأن الخلافة في العديد من الجرائد

---

[1] - الإمام سعد الدين التفتازاني (722هـ - 792هـ)، عالم مسلم، وفقيه متكلم، وأصولي نحوي. ألف سعد التفتزاني كتبًا كثيرة تدل على علو كعبه وغزير علمه حتى غدت كتبه في علم الكلام والأصول والمنطق والبلاغة مرجع الباحثين ومنتهى طلب المتخصصين وأضحت هي كتب الدرس في جل المعاهد والمدارس العلمية، فاشتهرت تصانيفه في الأرض وانتشرت بالطول والعرض، ومن أهم مصنفاته:شرح تصريف الزنجاني. وهو شرح لمتن التصريف المشهور بـالعزي والذي وضعه عز الدين إبراهيم بن عبد الوهّاب بن عماد الدين بن إبراهيم الزنجاني (ت:655هـ) وقد شرحه السعد سنة 738هـ وأتمه في شهر شعبان وله من العمر ست عشرة سنة تقريبًا وهو أول مصنفاته. وقد اشتهر هذا الشرح وله نسخ خطية متعددة، وأول طبعه كان بالقسطنطينية سنة 1253هـ ثم طبع بطهران ودهلي وبمومباي ولكنو ثم بالقاهرة سنة 1307هـ كما كتب عليه العلماء بعض الحواشي.

[2] - عبد الحميد بن باديس ، "في جنايات الكماليين ومروقهم"، المصدر السابق، ص397.25

[3] - الأمين شريط ، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ، الجزائر ،1998،ص35-37.

[4] - أنظر:عبد الحميد بن باديس ، **النجاح** ، ع 153 ، 4 افريل 1924، نقلا عن أثار الإمام ، (ج6) ، مصدر سابق،ص25

والمجلات، حيث نجده يقول :" **فلقينا أكثره يستنكر جنايات الكماليين ويقضى بمروقهم. " أي أن "بن باديس" لا يختلف عن بقية من كتب حول الموضوع في هذا السياق، لكنه يُقر بأنه يختلف معهم في مسألة وجود الخلافة، فبينما هم يرون ضرورة إستمرار الخلافة، فإنه يرى ما يخالف ذلك:" فكان من رأينا أن لا خلافة ولا خليفة اليوم، وكان من رأي غيرنا أن الخليفة كان ولا زال خليفة، فوجب علينا أن نذكر دليلنا على رأينا ونرد رأي من خالفناه من الكاتبين، فإنه لا عبرة بالقائل ولا بالقيل وإنما العبرة بالحجة و الدليل** ." وفيما يلي بعض أدلة بن باديس التي قدم بها رأيه حول بطلان الخلافة[1] :

1– تحول الخلافة إلى أداة ضعف تتدخل من ورائها القوى الأجنبية لتنصيب من يخدم مصالحها ونفوذها في البلاد العربية والإسلامية، وفي هذا إشارة للخليفة الذي تُشتم منه رائحة التدخل الأجنبي، فإن المقصود هنا هو "الشريف حسين" الذي يريد الإنجليز تنصيبه خليفة للمسلمين " **لقد زالت الخلافة بالمعنى الحقيقي، والمعنى الصوري، فلنعلم أنه لا خلافة بعد اليوم، ولنرفض كل خليفة تشم منه رائحة الأجنبي كائنا من كان**"، والملاحظ أن العديد من الجزائريين الذين كتبوا حول الموضوع ، كانوا يرفضون تنصيب خليفة بدعم أجنبي، وقد أبانوا بذلك عن وعي وإدراك متطور في حينه بالسياسة العالمية ومقتضياتها رغم الحصار الإستعماري القاتل على الجزائريين ومفكريهم ، يقول "بن باديس" :" **ليس عجيبا من تلك الدول أن تحاول ما حاولت، وغايتها معروفة ومقاصدها بينة، وإنما العجب أن يندفع في تيارها المسلمون وعلى رأسهم أمراء وعلماء منهم... يتحدثون في مصر وفي الأزهر عن الخلافة ، كأنهم لا يرون المعاقل الإنجليزية الضاربة في ديارهم ولا يشاهدون دور الخمور والفجور ....كفى غرورا إنخداعا، إن الأمم الإسلامية –حتى المستعبدة منها– أصبحت لا تخدعها هذه التهاويل ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائم"**[2].

2– لما عاب البعض عليه هذا الموقف مع وجود الخليفة "عبد المجيد بن عبد العزيز" الذي أبقى عليه الكماليون بعد إلغاء السلطنة في (01نوفمبر 1922م) ، فإنه رد بمقال مكمل[3] ، نفى فيه وجود خليفة تتوفر فيه الشروط

[1] - لا يعتبر بن باديس المفكر السياسي الوحيد الذي حكم ببطلان منصب الخلافة، فمؤتمر القاهرة المنعقد في13-19 ماي 1926م والذي ضم علماء كثيرين ، أفتى أيضا بما مفاده عدم توفر الشروط الشرعية لقيام منصب الخلافة في العالم الإسلامي، غير أن فتوى بن باديس كانت سابقة لذلك بكثير ، فقد كانت بتاريخ 40 افريل 1924، أنظر : محمد محمد حسين ،الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ،ص53.

[2] - عبد الحميد بن باديس ، "الخلافة أم جماعة المسلمين"، **الشهاب** ،(ج2)،(م14) ، غرة ربيع الأول 1357ه- ماي 1938،ص62.أنظر الملحق (رقم 25).

[3] - عبد الحميد بن باديس ،"رد على مقالنا السابق في جنايات الكماليين"، **النجاح**، السنة الخامسة ،عدد153 ،04أفريل 1924، ص ص 1-2.

الشرعية، وأن "السلطان عبد المجيد "الذي لم تعد له سوى السلطة الروحية فإن ذلك مخالف لتشريعات الإسلام المتعلقة بالخلافة وأكد على وجود الشروط الشرعية الثلاثة للخليفة وهي :

- أن تكون البيعة شرعية وصحيحة من أهل الحل والعقد من جماعة المسلمين
- أن يملك الخليفة سلطة حكم فعلية، فيمارس السلطة الزمنية والسلطة الروحية.
- حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

فإذا فقدت هذا الشروط الثلاثة أو واحدا منا كانت الخلافة صورية لا حقيقية.[1]وهذا ما لا يتوفر فعليا في "الخليفة عبد المجيد" فقد نصبه الكماليون دون بيعة أهل الحل والعقد كما أنهم جردوه من كل الصلاحيات الأساسية" **إن أحدا لا يجهل أن مجلس أنقرة جعل الخلافة روحية. لا سلطان لها في سياسة الأمة وحكومتها، ولا دخل للخليفة ولو في شان صغير من شؤون السياسة لا بالمباشرة ولا بالنيابة، ولا حتى الإستشارة فكانت قطعا على غير الوضع الشرعي"**

3- قدرة المسلمين على تسيير شؤونهم ومقتضيات عصرهم بالإعتماد على دينهم الإسلامي القادر على تنظيم حياتهم وإعتمادهم على التعاون والتضامن فيما بينهم في وجه أعدائهم فهو الضامن الأساسي لبقائهم وتطورهم "**ولتعمل كل أمة مسلمة على النهوض بنفسها إزاء التعارف والتعاضد على الحق مع إخوانها حسب الإمكان، ولا يكونن ما وقع مضعفا لعزائمنا مثبطا لأعمالنا مادام الإسلام ديننا وهو الرابطة العظمى التي تربطنا، والجامعة الكبرى التي تجمعنا"**[2].

ولم يترك بن باديس طرحه دون بديل ، فعرض على المسلمين تكوين هيئة علمية عالمية تتولى النظر في مصالح الأمة من الناحية الدينية والأدبية وأطلق عليها إسم "جماعة المسلمين".

ورغم أن بن باديس لم يفقد الأمل في عودة الخلافة الإسلامية وإحياءها من جديد، و ظل يعلق أملا كبيرا على المؤتمرات الإسلامية التي حملت على عاتقها مسؤولية الدفاع عن الخلافة وإعادة بعثها، كدعوة علماء الأزهر إلى عقد مؤتمر إسلامي عام للنظر في مسألة الخلافة ، بعد إجتماعهم بالقاهرة في (15 مارس 1924م)[3]، لكنه ظل دائما يعتبر أن أهم ضمان للمسلمين في ظل غياب الخلافة الموحدة لكياناتهم تبقي هي ضرورة التوحد والتضامن بين المسلمين، فشدد على أهمية حضور ممثلين عن الأقطار المغاربية إلى المؤتمر الإسلامي في القاهرة. وما دام هناك هيئة دينية رسمية تمثلهم في الخارج وهي "جمعية أحباس الحرمين الشريفين" التي تجمع بين المغرب والجزائر وتونس، فقد طلب

[1] - بن خليف مالك ، الفكر السياسي عند العلامة عبد الجميد بن باديس ،دار طليطلة ،الجزائر ،2010،ص299.

[2] - عبد الحميد بن باديس ،"رد على مقالنا السابق في جنايات الكماليين.."، المصدر السابق.

[3] - قسم التحرير ، "إجتماع علماء الأزهر"، **النجاح**، السنة الخامسة ، ع 154 ، أفريل 1924، ص2.

منها ضرورة تكوين وفد لحضور هذا المؤتمر الذي دُعيت إليه كافة الأقطار الإسلامية:"**ونحن نرى"الجمعية" أحق من يقوم به (العمل) لصفتها الدينية وحيثيتها الشرعية، فتخاطب الحكومة ثم تنتقى وفدا من العلم والدين بالأقطار الثلاثة يكون ممثلا لها بالمؤتمر ونائبا عن سكانها المسلمين**".[1]

ومع تعدد الفشل لهذه المبادرات مرورا بمؤتمر القاهرة في (ماي 1926م)، ومكة المكرمة في (جوان – جويلية 1926م) ، والقدس الشريف في (ديسمبر 1930م)،بدأ "ابن باديس "في طرح البدائل الشرعية لذلك المنصب الإسلامي الهام ، فكتب مقاله " الخلافة أم جماعة المسلمين"[2]

أما بداية من الثلاثينيات فإن "ابن باديس" سيغير رأيه تجاه مسألة الخلافة بعد الدسائس الإنجليزية لتنصيب "الشريف حسين" الموالي لها خليفة أو "الملك فؤاد"، فأصبح مقابل ذلك يظهر إعجابه "بمصطفى كمال أتاتورك" كما سبق ذكره.

وقد أثار إعجابه بهذا الأخير الكثير من التعجب وحتى الإستنكار لدى دارسي الحركة الإصلاحية ،كقول أحدهم :" **وواضح أن مثل هذا المديح لرجل أجمعت الآثار والتراجم التي تناولت سيرته على أنه لم يكن ليقيم أي وزن لقيم الدين ومبادئه، ولم يترك مناسبة يغض فيها من شأن الدين الإسلامي ورجاله ويهون من أمرها سواء في حياته الخاصة أو العامة إلا فعلها،فيه شيئ من المغالاة تجعل الباحث حيالها محتارا، لصدورها من عالم متدين قضى حياته كلها في خدمة العقيدة والوطن، ولكننا مع ذلك نبرر له موقفه ونعذره لسببين**"[3]

ثم يعرض الكاتب السببين وهما :

- أن ما قام به "مصطفى كمال" كان موجها أساسا لمقاومة الإستعمار، وتمكن كما قال بن باديس أن يرجع لمواطنيه" **حريتهم وإستقلالهم وعظمتهم بين الأمم**"، وفي ذلك إنعكاس لنفسية رجل يشعر بالإضطهاد الإستعماري ويتمنى تحرر بلده ومواطنيه من الاحتلال الفرنسي.
- أن مصطفى كمال لم يكن بإلغاءه الخلافة يعادي الإسلام ، بل خلص المسلمين من نظام حكومي خاص بهم، وأزال رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة والمتخوفة من شبح الإسلام.

[1] - جريدة **النجاح** ،20 أفريل 1916، نقلا عن : أحمد صاري ،التحديث والحداثة في البلاد العربية وتركيا، أعمال المؤتمر الثاني للحوار العربي التركي، تقديم عبد الجليل التميمي ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان،جوان/حزيران2001،ص69.

[2] - إبن باديس، "الخلافة أم جماعة المسلمين" ، **الشهاب**، المجلد الرابع عشر ، (ج2) ، ربيع الأول 1357ه-ماي1938م،ص ص 61-63.

[3] - حسن عبد الرحمان سلوداي، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984،ص232.

وعلى كل فإن هذا الطرح الناقد لمواقف "ابن باديس" بالنسبة لقضية الخلافة يتطلب إحاطة بالظروف العربية والإسلامية والجزائرية التي ميزت تلك الفترة والتي دعته إلى تبني تلك المواقف ، فمن الصعب وغير العادل رؤيتها بمنظور ما نعيشه الآن.

ولفهم موقف "ابن باديس" المعجب "بمصطفى كمال" والساخط على الخليفة، حليف الدول الغربية الإستعمارية والمتهجم على علماء الدين (الرسميين) وشيوخ الطرق الصوفية، لابد من الرجوع قليلا إلى الوراء، فموقفه هذا لم يأت جزافا هكذا بل جاء بعد تتبع وتمعن طويل للحوادث إبتداء من بداية العشرينيات وربما بعد تفكير عميق، فقد كان معارضا في بداية الأمر لإلغاء الخلافة كما كان معارضا لتنصيب أي خليفة تحركه أيادي أجنبية. كما أن معرفة نفسية "ابن باديس" في هذه الفترة ومواقفه المختلفة على الساحة الجزائرية تساعدنا بدون شك في فهم موقفه من "مصطفى كمال" فالمتتبع لتاريخ الحركة الوطنية في هذه الفترة يعرف أنه و إبتداء من النصف الثاني من سنة(1936م) بدأ "بن باديس" يتشدد في مواقفه نتيجة لبعض التطورات التي شهدتها الجزائر فزيادة على إتهام وتوقيف "الشيخ الطيب العقبي" في حادثة إغتيال "الإمام كحول"[1] وفشل وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري (جوان 1936م) في إقناع الحكومة الفرنسية بمطالبه.إتبعت الإدارة الفرنسية سياسة قمعية ضد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تمثلت في التضييق على مناضلي الجمعية وغلق النوادي التابعة لها (مرسوم 13 جانفي 1938م) والتضييق على التعليم العربي الحر والحد من حريته (مرسوم 8مارس 1938م). ومن جهة أخرى تدهورت كثيرا علاقة الجمعية برجال الدين الرسميين وشيوخ الطرق الصوفية والمرابطين في هذه الفترة، كل هذه التطورات ، رسمت وشكلت مستوى جديدا من المواقف لدى "الشيخ عبد الحميد ابن باديس" تجاه القضايا الخارجية والداخلية للجزائر والعالم الإسلامي.

3– د : عمر بن قدور "بين ألم الوطن وموت الأمة" :

كانت الخلافة الإسلامية تشهد أواخر أيامها على عهد "عمر بن قدور" والرجل المريض يغوص في دوامة النزاعات والتآكل الداخلي والتأمر الخارجي، وقد إستشعر "بن قدور" هذا الخطر المحدق بمركز الخلافة ورمزيتها الروحية،فحركته نزعته الإسلامية كاتبا صحفيا ناقدا وناصحا لشدة تأثره بالوضع في وقت" **إزداد فيه طغيان السلطة**

[1] - حادثة إغتيال الامام كحول: بتاريخ 02 أوت 1936 كان قادة الحركتين الإصلاحية والشيوعية ينشطون مهرجانا شعبيا بملعب 20 أوت (الملعب البلدي سابقا) في وادي كنيس، للتبليغ بنتائج المساعي التي كان وفد المؤتمر الإسلامي قد بذلها لدى الحكومة الفرنسية بباريس.
وفي حدود التاسعة والنصف، أغتيل في ظروف غامضة مفتي العاصمة الشيخ عمر بن دالي المدعو كحول.. فلما بلغ نبأ الحادث الشيخ العقبي وكان من المشرفين على المهرجان، بادر فورا بالتعبير عن أسفه، داعيا الجمهور إلى التزام الهدوء.. نشرت صحافة المستوطنين في اليوم الموالي رواية مفادها أن الحادثة من فعل متهم يدعى عكاشة، ودافعه إلى ذلك عاطفي بالدرجة الأولى.

لكن بعد أيام قليلة ظهرت رواية ثانية، تتهم الشيخ العقبي وعباس التركي بتدبير العملية، وتقدم المتهم كمجرد منفذ مقابل وعد بدفع 30 ألف فرنك ،أعتقل الطيب العقبي على إثرها وتم سجنه، أنظر : محمد عباس ، الشيخ العقبي "المتهم البريء في إغتيال المفتي كحول"، ضمن سلسلة كواليس التاريخ ،صحيفة **الفجر** ،على الرابط : http://www.al-fadjr.com/ar/special/coulisse_histoire/241791.html

وضعفت فيه هيبة الدين مما أثر على ما عرف ب (الرجل المريض) فتجمعت حوله الطيور الكاسرة وهوت الدولة في منحدر يصعب الرجوع عنه ويثقل فيها السمع ويذهب فيها النداء الصريح في واد وتتبخر الإنذارات الواعية في السماء"[1]، فنجده قد تجاوب مع كل الحوادث التي هزت أركان الدولة من الداخل ،وتلك التدخلات الأجنبية التي إنتهت كارثيا باقتطاع أجزاء كبيرة من الدولة العثمانية ،وظهر هذا التفاعل في كثير مما كان ينشره "عمر بن قدور" في جريدة الحضارة" التركية ويعيد نشره في " الفاروق".

وكانت هذه النفثات تلاحق القضايا المطروحة في عقر دارها ، فما كان يمس الخلافة لا يكتفي " بن قدور" بنشره في جريدته في عاصمة الجزائر إنما كان يوجهه رأسا إلى صديقه الشخصي ، "عبد الحميد الزهراوي" لينشره في جريدة" الحضارة" في عاصمة الخلافة وإذا إقتضت الضرورة أعاد نشره في صحيفته.[2]

وتُبرز عناوين ما كان يكتب "بن قدور" من مقالات وقصائد قربه الشديد وحسه المرهف بهذه القضايا ، فها هي عناوين مثل "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"- " تيار المطامع في الشرق بين الممالك والمهالك" – "علام التخاذل"، تبين هذا الإهتمام الشديد والتأثر البليغ بتطورات الأحداث.

ففي مقال له نشره في جريدة " الحضارة " ثم أعاد نشره في " الفاروق أبدى "بن قدور" أسفه الشديد على ما يصيب تركيا من صراعات داخلية ومؤامرات أجنبية تحاك ضدها فكتب قائلا :"**كل مسلم في هذا الوقت أصبح رهين الغيظ الشديد وأسير الآلام من مصيبة تركيا بل مصيبة الإسلام...يتأسف كثيرون لهذا المصاب الجلل وهذه الضربة القاسية التي وقعت على عرش الخلافة الإسلامية وصيرته بذلك ينكسر إلى الأسفل ...هكذا قلت لتركيا المرات العديدة ووقفت معها عند باب كل مأزق تحاول أن تلجه موقف الناصح الأمين،مثلي ولا فخر في الشرق فئة قليلة وأما الغرب فيعدون على الأصابع.**"[3]

وسبب ضعف وإنحطاط الدولة العثمانية خاصة والمسلمين عامة يرجعه "بن قدور" إلى عدم إتحاد المسلمين و تناكرهم دون أن يتخذوا العبر من المشاكل التي حدثت نتيجة إختلافهم فقال :"**هذه تركيا مثلا والدول الإسلامية الأخرى إختلفت و تناكرت فما كانت تتذكر ما كان يصيبها من جراء إختلافها...**"[4]

---

[1] - أنظر سلسلة المقالات بعنوان" مصيبة تركيا في عدم الإعتبار"، **الفاروق**،أعداد 10-11-12،(02-05-1913).

[2] - صالح خرفي ، عمر بن قدور الجزائري ، م و ك ، الجزائر ،1984،ص41.

[3] - عمر بن قدور ،"مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، **الفاروق** ،ع10،02ماي 1913.

[4] - المصدرنفسه.

ويرى "بن قدور" أن تركيا عقب دستور(1909م) قد حادت عن جادة الصواب في سياستها الداخلية والخارجية[1]،فبعد إعلان الدستور ظهرت فئتان متصارعتان،فئة تهورت في طلب التمدن ومحاباة أوروبا[يقصد شباب الإتحاد والترقي] وطائفة أخرى تحاشت ذلك التهور وحاربتهم(يقصد القوميين العرب)،فالإتحاديون يريدون حكومة دستورية قوية قادرة على التصدي للأخطار الأجنبية بشرط أن تكون مقاليد السلطة في يد العنصر التركي،وهذا ما رفضه القوميون العرب وأخذوا يكونون الجمعيات السرية[2] للإنفصال عن الدولة العثمانية،فقد نادت إحدى الجمعيات العربية سنة (1911م):"**إن الأتراك هم سبب بؤسنا،إذ أبادوا ثقافتنا وحالوا دون تقدمنا الإقتصادي ،وهاهي جميع الأمم التي إنفصلت عنهم تباشر حياة قومية نشيطة**".[3]

وقد كلفت مواقف "عمر بن قدور" عداء الإدارة الفرنسية والمستوطنين بشكل واضح ، وهي التي كانت تنظر بعين السخط عما كان يكتبه من مقالات في الفاروق، خاصة تلك التي إهتمت بأحداث تركيا الدامية وبعدما صدر منها خمسة وتسعون عددا خلال عامين منعتها السلطات الإستعمارية عن الصدور بسبب مقال إنتصر فيه بن قدور للعثمانيين ضد الحلفاء، وقد تم تحذيره من نشره وعندما أبى كان قرار سجنه بالعاصمة ثم نفيه مبعدا إلى عين ماضي بالأغواط مدة خمس سنوات[4].

وإضافة إلى كتاباته النثرية المميزة فقد عمد "ابن قدور" إلى كتابة القصائد الشعرية التي يصف فيها حالة العالم الإسلامي وما تتعرض له هيبته من تهديد داخلي وخارجي فكتب يقول في قصيدته "دمعة على الملة":

أيا قومي ما تحلو لقلبي حيـــــاة**** وقد دوخ (السمحاء) هوا فناها

بكائي عليها لاعلى الخِل والحمى**** وخوفي عليها لا أريد سواهـــا

أُضيعت فضاع المجد منا ولم نكن**** شدادا وقد هم القضاء لقاهـــا

ولما غدت بين اللئـــــام غريبة**** أهينت بعبث الخائنين فواهـــا

لكن بن قدور لم يجد أكثر من النصح يقدمه لمن يعتبرهم السبب في المصيبة الكبرى التي إعترت بلد الخلافة :" **هكذا قلت لتركيا المرار العديدة ووقفت معها عند كل مأزق تحاول أن تلجه موقف الناصح الأمين...كل مسلم أصبح في هذا الوقت رهين الغيظ الشديد وأسير الآلام من مصيبة تركيا ... حتى أن المرء ليحسب**

---

[1] - بن قدور ،"مصيبة تركيا في عدم الاعتبار...."، المصدر السابق.

[2] - من بينها الجمعية "القحطانية" التي تاسست سنة 1908م و"الفتاة" التي تاسست في باريس سنة 1911م من طرف طلبة سوريين، و"العهد" التي أسسها عزيز علي لمصري سنة 1914م،للمزيد أنظر: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة1789-1939م، (تر) كريم عزقول ،دار النهار للنشر ،بيروت ،(دت)،ص ص314-316.

[3] - ألبرت حوراني ،نفسه.

[4]- سعد الدين بن شنب ،"النهضة العربية الحديثة "، **مجلة الآداب**،جامعة الجزائر ، ع1 ، 1964،ص140.

كأنها القيامة أقبلت...إن هذه الضربة لن تمر كسائر الضربات بل إن وراءها لخطرا... والويل للمسلمين من ثالثة الأثافي وما هم عليها ببعيد، إن لم يتفطنوا فيتحدوا" ثم يبين الأسباب الجوهرية لنهاية العثمانيين فيقول :" ...إن تركيا سلكت مسلكا منحرفا ففئة منها تهورت في طلب التمدن العصري...وطائفة أخرى تحامت ذلك التهور وحاربته بإفراط..فجاء وقت ظهرت فيه جميع مساوئ الشرقيين... إلى أن أذن الله بخراب القرى وذهاب سلطة آل عثمان"[1]

3– هـ :عمر راسم "اليهود سر كل بلاء":

لم يكتف "عمر راسم" بالعمل الصحفي المناهض للإستعمار ، فقد عمد إلى تنسيق العمل الوطني عن طريق مراسلة العديد من الشخصيات الوطنية والإسلامية، داخل الجزائر وخارجها، ونجد من بين هؤلاء "عبد العزيز الثعالبي" بتونس و"الأمير شكيب أرسلان" بجنيف، أما "مصطفى كامل" فقد كان من الزعماء الذين تركوا في نفسه تقديرا وإعجابا شديدين ، لقد كان دائم الإشادة بمواقفه ضد الإستعمار الإنجليزي، حريصا على تتبع أفكاره في جريدة "اللواء" ذات الطابع الوطني، كما كان معجبا بالشيخ "محمد عبده" في منهجه الإصلاحي حيث إختاره هو الأخر مديرا رمزيا لجريدته" ذو الفقار" ولم يخف إيمانه بمبادئه حين أعلن بأن "ذو الفقار" جريدة عبدوية إصلاحية، مؤكدا بذلك الخط الإصلاحي المحافظ لقلمه وكتاباته.

وعلى الرغم من حداثته وما يلاقيه الوطنيون من إضطهاد من طرف الإستعمار الفرنسي آنئذ،فإنه تحمل تكاليف سفر شاق إلى كل من مصرسنة (1909م) وتونس رغبة منه في الإطلاع على أحوال المسلمين بهما والتفاوض مع زعمائهما فيما يعود بالصالح العام على الوطن العربي والإسلامي.وبعد إندلاع الحرب العالمية الأولى وفي(ليلة عيد الفطر الموافقة للثالث عشر أوت 1915م) زُج به في السجن المضيق ثم حكم عليه بالنفي المؤبد في (6 نوفمبر من السنة نفسها، إلا أن التنفيذ لم يقترن بالحكم بل تأخر حتى سنة(1921م) وعندما روجعت قضيته بتدقيق بسعي من بعض الأحرار الفرنسيين ثبتت براءته وعفي عنه ، أما الإتهام الذي وجه إلي فهو أن " إدارة البريد الإنجليزي في مصر ضبطت رسالة في أوائل الحرب العالمية الأولى – قبل دخول تركيا الحرب – موجهة من الجزائر إلى مدير جريدة "الشعب المصرية"، لتنشرها موقعة بإمضاءات كثير من الجزائريين، ومن جملة ما جاء في الرسالة" يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم، وألا يعينوا أعداءهم"، فوجهت التُهمة رأسا الى "عمر راسم" ، بدعوى أن الخط الذي كتبت به الرسالة هو خطه.[2] ولعل ما يميز "عمر راسم" في ما كتبه عن الدولة العثمانية أنه ربط ذلك في أحيان كثيرة بالحديث

[1] - عمر بن قدور ،"مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، مصدرسابق،ص378.

[2]- محمد ناصر،"عمر راسم المصلح الثائر" ، مجلة **الثقافة** ، مجلة تصدرها وزارة الاعلام والثقافة ،س6 ،ع34، سبتمبر 1976،ص67.

عن اليهود ونشاطهم. فهو يرى أن دورهم الهدام الذي عرفوا به في الجزائر منذ أيام الأتراك، وفي عهد "مصطفى باشا "كانوا يضيقون الخناق على أهالي البلاد بإحتكاراتهم الإقتصادية النهمة، وعندما وقع الإحتلال الفرنسي للبلاد عملوا إلى جانبه، وإشتغلوا له سماسرة وتراجمة، وإغتنموا فرصة هذا التحويل من عهد لأخر فأثروا ثراءا فاحشا [1] وراحو يضغطون بوسائلهم الربوية الفظيعة على الأهالي ويتخذون منهم بقرة حلوبا يستدرونها بوسائل الحيلة والمكر، وكل ذلك يجعله يصدر حكمه الواقعي على اليهود من خلال الإحتكاك بهم وتجربة معايشتهم المريرة في الجزائر :" **اليهود أمة قاسية القلب، لايلذ لها عيش ولا تطيب لها حياة إلا بإذايتها لغيرها فعلا، فإن لم تستطع فلسانا ولو أردت سرد ما رأيته بعيني، وسمعته بأذني مما يؤذون به أمتي، بل والمستعمرين في بلادي ، لما كفتني الأوراق والمحابر**"[2]

وبعد بحث عميق ودراية تامة بتاريخ اليهود ومؤامراتهم، يكشف هذا الدور التاريخي اليهودي المشبوه في تحطيم الأمم والممالك :"**رأينا بعد البحث أن كل حركة وقعت ضد الإنسانية من حروب وفتن إلا وأعينهم شاخصة نحوها، وبعد البحث أثبتنا أنهم المتسببون فيها، يوقدون نار الحرب ويلقون بشرارة الفتن، كما نفثوا سم الفساد بين الأمم لإفساد أخلاقها وتجريدها من الفضائل، إنهم يغتنمون هذه الفرص لينالوا سعادتهم، وراحة أفكارهم الخبيثة المؤسسة، على هلاك من سواهم ويتخذونها من بين دم ودموع وحزن غيرهم، ويلتقطونها من بين غبار الفتن وجثث القتلى**".[3]

وهكذا فإن محور الرأي عند "عمر راسم" في شأن إنهيار الخلافة إنما يعود لتسرب العناصر اليهودية إلى أجهزة الحكم في الدولة العثمانية وتحكمهم في دواليب السلطة أمام ضعف وتغافل الأتراك.

وهو في رأيه هذا مستند إلى وقائع تاريخية وأحداث معاشة ، ليقدم في ذلك الإطار أسماء ومعطيات واضحة كإسم رئيس الوزراء "مدحت باشا" وكيف أنه ذو أصل يهودي زرعته الصهيونية في قلب الأمة الاسلامية" **فهو ابن هذه الطائفة المنفذ لأحكامها، وتلميذ لجمعية الإتحاد الإسرائيلي العام والساعي في قوة نفوذها" وإذا بمدحت باشا " وبحمل أعماله للدسائس ،كانت تلقى تركيا في المشاكل التي لايحلها إلا نقص شطر من خريطتها"**[4]، ولا يتأخر "عمر راسم" في وضع الخليفة العثماني "محمد الخامس" (1909-1918م)محل إتهام فهو آلة يحركها

[1] - إعتبر يهود الجزائر الاحتلال الفرنسي، بداية عهد جديد لهم فكانوا على استعداد كامل لخدمة الحملة الفرنسية ، واحتضنوا الجيش الاستعماري ووضعوا انفسهم في مقدة مشروع الاحتلال ، أنظر :صموئيل ،أتينجر وآخرون ،اليهود في البلدان الاسلامية 1850-1950،تر،جمال أحمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، رقم 97،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت،1995،صص 351-352.

[2] - محمد ناصر،عمر راسم المصلح الثائر ، المرجع السابق،ص71.

[3] - محمد ناصر ، نفسه ،ص73.

[4] - نفسه.

اليهود لتحقيق أغراضهم ونيل مرادهم فها هو يصف عملية تنصيب السلطان بأنها" **مرآة يحرفون بها أنظار المسلمين عن الصواب ويذهبون الشك ممن التفت حولهم، وفي أمرهم قد حار وأرتاب**"[1]

وقد تفطن راسم مبكرا لخطر اليهود على فلسطين ، فهو منذ (1909م) أبدى إهتماما خاصا بهذه القضية وحيثياتها، مستنتجا كيف أن ضياع فلسطين ليس أكثر من أمر حتمي يضيفها إلى ما قبلها من الضحايا" **إن بقيت دولة الخلافة تحت سلطة "كارسو" وهو الذي خلع "عبد الحميد"، ورئيس حزب الاتحاد يهودي وهو"جاويد"، و"حقي "الذي باع طرابلس لأخيه "لوزاني"، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود ، وكل هذه الأعمال مقدمة لإحتلال فلسطين.**"[2]ولم تفعل الأيام والأحداث إلا تأكيد ماذهب إليه وحذر منه "عمر راسم".

هكذا نكتشف مما سبق الطرح المتقدم ل"عمر راسم" فيما يخص خطر اليهود والصهيونية مقارنة بالكثير من المفكرين و الكتاب الذين عاصروه مشرقا ومغربا ، أما مقارنة بالنخبة الجزائرية ذات التوجه الغربي، فيتضح كما سيأتي لاحقا أنها لم تكن متعمقة أصلا في الفكر الصهيوني وقضاياه ، ولم تكن مطلعة على نواياه وأفكاره وأهدافه وبرامجه وتصريحاته في المؤتمرات والصحف وغيرها.

و هو ما يوضح مدى بعدها عما يجري في الوطن العربي والعالم الإسلامي، فهي لم تكن منتبهة لذلك النشاط الصهيوني الزاحف، بل وكأنها كانت مهتمة فقط بقضية الجزائر ودمجها في المجتمع الفرنسي، ولذلك فهي بعيدة عن العروبة وقضاياها المختلفة ، بحكم ثقافتها الفرنسية، وأسلوب حياتها، ولم تكن تملك روح الإنتماء العربي الموحد، ولم تدع إلى أمة عربية ، لأن فاقد الشيئ لايعطيه، وبقيت النخبة ، وعلى رأسها "بن جلول "على الخصوص خارج الأمة العربية، ولم تكن معنية بأمر فلسطين.[3]

3-و : محمد الخضر حسين "نقض الخلافة مؤامرة علمانية":

في خضم ذلك الجدل الواسع حول الخلافة ومصيرها أصدر أحد أكبر علماء الأزهر في حينه ، "الشيخ علي عبد الرازق" كتابه المثير (الإسلام وأصول الحكم) والذي إعتبر فيه أن الخلافة ليست ضرورية لقيام حكومات إسلامية حديثة وأنها ليست من الدين في شيئ.

فألف "الشيخ الخضر حسين" كتابا رد فيه على "علي عبد الرازق" معتبرا كتابه ذلك مظهرا من مظاهر التغريب التي هبت على المجتمعات الإسلامية تريد النيل من خلافتها وتشتيت صفوفها بعدما كانت تحت مظلة خلافة إسلامية

[1] محمد ناصر ، عمر راسم المصلح...، المرجع السابق ،ص41.

[2] - نفسه ،ص76

[3] - يوسف مناصرية ، النشاط الصهيوني في الجزائر 1897-1962،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2009،صص 259-260.

جامعة ، وقد جاء في مقدمة كتاب الخضر الحسين مما مفاده:" **فوّقَ المؤلف [أي على عبد الرازق] سهامه في هذا الكتاب إلى أغراض شتى، وإلتوى به البحث من غرض لأخر، حتى جحد الخلافة وأنكر حقيقتها، وتخطى هذا الحد إلى الخوض في صلة الحكومة بالإسلام ،و بعد أن ألقى حبالا وعصيا من التشكيك والمغالطات، زعم أن النبي عليه السلام ما كان يدعو إلى دولة سياسية، وأن القضاء وغيره من وظائف الحكم ومراكز الدولة ليست من الدين في شيئ، وإنما هي خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها ، ومس في غضون البحث أصولا لو صدق عليها ضنه لأصبحت النفوس المطمئنة بحكمة الإسلام وآدابه مزلزلة العقيدة مضطربة العنان**(...)

كنا نسمع هذه المزاعم فلا نزيد أن نعرض عمن يغلطون بها حتى يخوضوا في حديث غيرها، أما اليوم وقد سرت عدواها إلى قلم ينتمي للأزهر الشريف، ويتبوأ في المحاكم الشرعية مقعدا ، فلا جرم أن نسوقها إلى مشهد الأنظار المستقلة، ونضعها بين يدي الحجة، وللحجة قضاء لا يستأخر ، وسلطان لا يحابي ولا يستكين."[1]

وفي مقال له بعنوان" ضلالة فصل الدين عن السياسة" أكد "محمد الخضر حسين" :" **أن الشريعة أحكم ما تساس به بالأمم، وأصلح مايقضى به، عند إلتباس المصالح أو التنازع في الحقوق**"[2].

وقد عمد إلى الرد على كل الأطراف التي توقع أنها تدعم أي توجه للنيل من الدين والشريعة ، سواء الكماليين بإلغاء المؤسسات الدينية وإصدار قوانين تهدف لعلمنة المجتمع التركي أو للخليفة ذاته بإعتبار أن ضعفه وتخاذله أمام الكماليين هو ما تسبب في ضياع الخلافة ، وإضافة لما للخضر حسين من كتابات نثرية حول مسألة إلغاء الخلافة فإن له أنتاجا شعريا متعلقا بالموضوع ،ومنه قصيدة في رثاء الخلافة الإسلامية مطلعها :

ما خطب قوم طالما وصلـــوك **** وأعتز بإسمك عرشهم هجروك

حرسوك أحقابا وحلق صيتهم ***** في الخافقين لأنهـــم حرسوك

فهو يستنكر على المسلمين هذا الجفاء و الهجران الذي إنتاب الخلافة وهم الذين طالما تفيئوا ضلال العز والمجد بسببها وأنها كانت دائما مثالا للأمن والأمان...وإنه وإن تخلت عنها أقوام ،فما زال هناك من أمم الاسلام من يفديها بالنفس والنفيس حيث يقول :

كُنت الوقار على وجوه غزاتهم **** والأمن إن نظروا بعين ضحوك

[1] - محمد الخضر حسين ، نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،مدينة نصر ، القاهرة ،2012، ص10-11.أنظر الملحق (رقم 26).

[2] - محمد الخضر حسين ،رسائل الإصلاح ، المطبعة التعاونية ، تونس ،1971،ص159.

كنت البطولة تزدري نار الوغى **** والنصر يعقد بالقنى المشبــوك

مازلت سمط قلادة خـــــرزاتها **** أمــم بأغلى فدية تفـديك

ثم يردف الشاعر بتأنيب "مصطفى كمال" ويلومه على فعلته الشنيعة التي قصمت ظهر المسلمين،وفرقت جمعهم وشتت كلمتهم عندما قام بإلغاء الخلافة فيقول :

ناطوا به أمل النهوض بدولـــــة **** رمت الثرى بجناحها المفـــكوك

نهض الزعيم وما رعى عهـد التي **** لولا اسمها ما صال صول ملـوك

برح الخفاء وحاد وهو مظفـــــر****نشوان على منهاجها المسلـــــوك

عذروه إذا أقصى الخلافة جانبا **** ومحا اسمها ليزيل غبن شكـــــوك

مابال قسطاس الشريعة ضاع في**** أفق السياسة ضيعـــــــة المتروك[1].

الشيخ محمد عابد الجلالي و"الخليفة الصنم" :

إهتم محمد عابد الجلالي [2] بدوره بموضوع الخلافة ، فكتب مقالا أبدى فيه تفهما لقرارات المجلس الوطني التركي ودافع عليه معتبرا أن ما وُجه إليه من إنتقادات هي من تدبير أعداء الإسلام الذين يمهدون إلى ضرب الوحدة الإسلامية بين الأتراك وبقية العالم الإسلامي فقال :" **يعتقد أعداء الإسلام من الأجانب أن أي حركة يقوم بها**

[1] - ماجد إبراهيم سلحب العامري ،أصداء سقوط الخلافة الاسلامية في الشعر العربي الحديث 1924-1994م،دار الكتاب الثقافي،إربد ،الأردن،2005، ص ص 107-108.

[2] - محمد عابد الجلالي (1893-1967م): هو محمد بن العابد بن عبدالله السائح بن الجموعي بن السماتي.ولد في أولاد جلال - (ولاية بسكرة - شمالي شرق الجزائر) وتوفي فيها.قضى حياته في الجزائر.
كان والده أحد الفقهاء المشهورين في منطقته فحفظ عليه القرآن الكريم وتلقى دروسه الأولى في علوم الدين واللغة، ثم لازم الشيخ عاشور الخنقي لمدة قصيرة، انتقل بعدها إلى مدينة قسنطينة وتتلمذ فيها على الشيخ عبدالحميد بن باديس ولازمه مدة طويلة حتى أتم علومه عليه.
تقلب بين عدة مهن ووظائف، فبدأ حياته العلمية شريكًا في صحيفة «المنتقد» التي كانت تصدر كل أسبوع، وبعد أن قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بإغلاقها
شارك في إصدار جريدة «الشهاب» عام 1925، ثم أسس جريدة «أبوالعجائب» (1934)، وهي جريدة هزلية ساخرة لكنها صودرت أيضًا، فاشتغل في = سلك التعليم العربي الحر عام 1930، وتنقل في وظيفته هذه بين عدة أماكن منها: «العلمة - بسكرة - عين مليلة» ثم تركها ليلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني حتى وقع في أسر قوات الاحتلال عام 1955، وأطلق سراحه عام 1961، فعاد إلى الاشتغال بالتعليم في مدينة عين مليلة حتى أثقل عليه المرض فعاد إلى مسقط رأسه واعتزل الحياة العملية.
شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 191 وكان عضوًا نشطًا فيها، كما انضم إلى حزب «حركة أنصار الحريات الديمقراطية.
- له ديوان: «الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية» - تونس 1939، وله قصائد وردت ضمن عدة كتب منها: «النصوص الأدبية» - «صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث»، وله قصائد نشرت في مجلة الثقافة - عدد (107 - 108) - وزارة الثقافة - الجزائر.
وله سبع قصص قصيرة نشرها في جريدة الشهاب منها: «في القطار - يناير 1935» - «السعادة البتراء - مايو 1935» - «الصائد في الفخ - يونيو 1935» - «أعنّي على الهدم أعنك على البناء - يوليو 1935» ويعتبر مؤسسًا للقصة القصيرة في الجزائر، وله مسرحية بعنوان: «مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار» - تقع في أربعة فصول ونشرت ضمن كتاب «فنون النثر الأدبي في الجزائر» لعبدالملك مرتاض، وله عدد كبير من المقالات التي يتناول فيها موضوعات وطنية واجتماعية وتربوية وسياسية كان ينشرها في جريدتي «الشهاب - أبوالعجائب»، وله كتاب بعنوان: «تقويم الأخلاق» المطبعة الجزائرية الإسلامية - قسنطينة 1927.أنظر: محمد الصالح رمضان، "ابن العابد الجلالي شخصيته وجانب من تفكيره" ، مجلة **الثقافة** - وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر،جويلية- أوت 1984،صص 25-29.

مجلس تركيا...لها علاقة بجميع العالم الإسلامي ...وغرضهم من ذلك أن يوقعوا العالم الإسلامي في حيرة ، يرجون من ورائها قطع الوصلة بين أجزائه"[1] ولذلك دافع" محمد عابد الجلالي" عن قرارات هذا المجلس بما في ذلك قرار إلغاء الخلافة، بل ومتحاملا على من يسرع في تكفير هذه الأمة التركية الضاربة في التاريخ الإسلامي لمجرد أن هذا المجلس يتخذ قرارات يرى أنها في صالح تطور وتقدم بلاده:" **أي داع يدعو إلى تفكير طائفة من أمة عريقة في الإسلام؟ ألمجرد تقريرها أمورا رأتها شرطا في رقي بلادها تعد كافرة؟**"[2].

وفي إطار التعريف بهؤلاء الأجانب الذين يستهدفون وحدة العالم الإسلامي وتشويه صورة المجلس الوطني التركي يندد الجلالي بالدور الخطير الذي أصبحت تلعبه صحافة هؤلاء في أوساط المسلمين مبرزا كيف:" **صارت صحف فرنجية ، ثقة في الإستشهاد على تكفير المسلمين، أما صحف تركيا... وردت فيه أمور أخرى قررها المجلس الملي لا تمس بجوهر الدين أصلا، أهمها مسألة طرح الخلافة، وإبعاد الخليفة من تراب تركيا...**"[3].

ومنه فإن ماقام به المجلس التركي لا يعدو كونه قرارات عادية ولكنها أخذت هذا البعد بسبب نظرة القداسة التي يحيط بها المسلمون منصب الخليفة:"**إن المسلمين يرون في شخص الخليفة، قوة معنوية كافلة لهم بجمع كلمتهم وربط قلوبهم**" ثم واصل "الجلالي" دفاعه عن الكماليين وطرح منصب الخلافة إنما يعود إلى ضعف شخصية الخليفة" عبد المجيد الثاني" وحالة الأمة الإسلامية التي تعاني الإنحطاط والسقوط، غير القادرة على الدفاع عن نفسها، دون إعتبار لشكل نظامها السياسي ملكي أو جمهوري، ولذلك يؤكد الجلالي في الأخير :" **أن القوة في النظام الإسلامي هي أصل البيعة في التشريع السياسي الإسلامي، بدليل عمل الصحابة رضوان الله عليهم، في مبايعة أبوبكر الصديق ثم عمر الفاروق...وهو ما تقوم به الدول المعاصرة في إنتخاب رؤساء الجمهوريات بأغلبية الأصوات...**" **وتأكيدا لدعمه لموقف الكماليين ورفضا لطرح مناوئيهم من دعاة الإبقاء على الخلافة يؤكد الجلالي :"إنا لم نجد فيما كتبه أنصار الخليفة، ما يفيد وجوب أو رحجان الخلافة..بل مانرى إلا الثلب والطعن الموجهان إلى الأتراك...حتى طغى ببعضهم قلمه فعيرهم بأنهم كانوا يعبدون الذئب الأبيض ونسي أو تناسى أن العرب كانوا يعبدون الأصنام...**"[4].

---

[1] - محمد العابد الجلالي ،" مجلس تركيا وأعداء الإسلام "، جريدة **النجاح**، السنة الخامسة ، ع154 ،11 أفريل 1924،ص ص 2-3.
[2] - المصدر نفسه.
[3] - نفسه.
[4] - محمد العابد الجلالي ،" مجلس تركيا وأعداء الإسلام "، المصدر السابق.

وعند وفاة " أتاتورك كتب " الجلالي" مقالا أبن في الرجل وأثنى على الكثيلر من خصاله وختمه بقوله:" **وأنت يا مصطفى أتاتورك: اليوم وقد أتممت عملكن وقررت حقوق أمتك وأيقظت الشرق ونهجت له المنهج، فاسمح لنا بأن نضع في الصفحة الأخيرة من سفر حايتك المملوء بالعظائم والروائع كلمة الجزائرهذه ،وأنعم بجوار ربك مع الراضين المرتضين....**"[1]

3–م : أبي يعلى الزواوي "الخلافة الإسلامية عربية المنطلق":

كتب الشيخ "أبي يعلى الزواوي" في مقال موضحا:"**المرجو من الأخوان القراء أن يتطوعوا بقراءة هذه المقالة،وأن لا يتبادر إلى أذهانهم كما تبادر لذهني أن أمر الخلافة مُقرر ومُسطر في مظانه وأبوابه من العقائد والفهم وأن ذكرها ملأ الأسماع،وتكاد تمله الطباع،وتأباه الأذهان وتُعرض عنه الآذان وأن تعريفها معروف، فإنها نيابة عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في حفظ الدين ،وسياسة الدنيا،ومن أجل ذلك سميت الخلافة والإمامة الكبرى،وأن شروطها الخمسة، العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والقرشية معروفة (...)أو أن نقول بما قال به "الشيخ عبد الرازق" أنها غير لازمة ولا أصل لها أو كما قال "مصطفى كمال" أنها –خلافة– مُضرة غير نافعة(...)إلى غير ذلك مما ليس كلامي فيه حتى يمله السماع ويمجه الطبع،إنما كلامي في مقامي هذا وتذكيري بأمر الخلافة من حيث علة واحدة،بل مصيبة عظيمة دمرت الأمة الإسلامية وخربت ديارها وشتتت شملها،وهلك بسبب الخطأ في منصب الخلافة ما يقدر بأكثر من مائة مليون من النفوس وسبعين ألف مليون من الأموال،ولكن أين هذا التقدير من جعل ثلاثمئة مليون مسلم في تفرقة وذلة وعدم القيمة لها وإهانتها وحقارتها وتخلفها(...)وقصدي الوحيد في تذكيري﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[2]،أن يعتني مؤتمر الخلافة بمصر بأن تؤسس الخلافة كما ينبغي وأن يزال ما أفادنا به التاريخ من العبر ،وهو ديوان المبتدأ والخبر،وأن تكون الخلافة مسلمة من حيث شروطها الخمسة المذكورة التي يجب التسليم بها شرعا ثم مراعاة ترضية العصبية العربية بتقديم من يرضوه من ساداتهم وشرفائهم وأن الأوطان العربية أفضل من الأوطان غير العربية".**

[1] - محمد عابد الجلالي،" نجم يهوي ونجم يسطع أو مصطفى وعصمت"، **الشهاب** ،(ج9) ،(م14) ، رمضان 1357هـ /نوفمبر 1938،صص 135،138. أ،ظر الملحق(رقم 27).

[2]- سورة الذاريات : 55.

وأن البقاع العربية كالمساجد الثلاثة وأوطانها المتسلسلة المتصلة بالمشرق والمغرب أفيد للأمة الإسلامية وأن كل عجمي عربي بحكم الإستعراب لا العكس(...) كذلك عدم المبالاة بالعرب منذ أخذها الأتراك أورث عداوة بين هذين الجنسين إذ صار كل واحد منهما يلعن الأخر ويحتقره،ويقول فيه بعدم الولاية والخلافة."[1] وهنا يبدو شيئ من التميز في موقف أبي يعلى الزواوي بتفضيله للعنصر العربي شخصا للخليفة والبلاد العربية مكانا لإحتضانها وهذا يذكرنا بنظرة "الكواكبي" ومن يلي طرحه، لكن من الصعب لنا أن نجزم هل أن أبي يعلى الزواوي كان يفضل العنصر العربي في عمومه كشرط من إشتراطات الخلافة[2] أم أنه يفكر في شخص بعينه في ظل بروز عدة شخصيات "الملك فؤاد"[3] و"الشريف حسين" وبذلك فأنه يمثل جزءا من نظرة لدى بعض الجزائريين ممن كانت تتخوف من خليفة يخدم مصالح الأجنبي في البلاد الإسلامية.

3– و :الشيخ أطفيش "سقوط الخلافة تغريب للمجتمع الإسلامي":

تابع الشيخ أطفيش كغيره من النخبة الواعية تطورات الأحداث داخل الدولة العثمانية وما عرفته من تحولات متسارعة عقب الحرب العالمية الأولى،لاسيما تداعيات "إتفاقية سايكس بيكو" على المشرق العربي،والتكالب الصهيوني على فلسطين وتبعات وعد بلفور المشؤوم سنة(1917م).

وقد رأى" الشيخ أطفيش" في ظهور الحركة الكمالية في بدايتها حركة من داخل الدولة العثمانية ضد الهجمة الغربية مما يجعلها مصدر قوة وتفاؤل[4] إذ يقول "**وكانت الحركة الكمالية في إزدياد تحوطها قلوب المسلمين من أرجاء المعمورة بالعطف والتأييد وألسنتهم بالدعاء والنصر**"[5].

---

[1]- أبو يعلى الزواوي،"ذكرى الخلافة والإمامة العظمى" ، **الشهاب** ،س1، ع28 ، الخميس14 ذو القعدة1344ه-28ماي1926م، قسنطينة،ص ص،5-7.

[2] - وضع الفقهاء شروطا يقتضيها منصب الخلافة ، وهي : العلم، العدل والنزاهة ، الكفاية ،سلامة الحواس والأعضاء، والنسب القرشي ، ولكن هذا العنصر الأخير كان محل جدل واختلاف لدى الفقهاء، أنظر : ظافر القاسمي،نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، (ط5)،دار النفائس ، بيروت،1985، ص ص 330-350.

[3] - كان بعض العلماء المصريين يعملون على تأييد فكرة تسليم الخلافة لملك مصر فؤاد الأول، أنظر :حسن محمود حلم الدين(قاضي محكمة أسيوط الشرعية)،"حول الخلافة الإسلامية"، **النجاح** ،(152) ، مصدر سابق.

[4] - لقد عبر العديد من المفكرين والشعراء عن هذا الإعجاب والتفاؤل أمثال أمير الشعراء أحمد شوق حتى أنه شبه في احد قصائده(إنتصار الأتراك في الحرب والسياسة) أتاتورك بسيف الله المسلول خالد بن الوليد،أنظر: أحمد شوقي، الشوقيات،مراجعة يوسف الشيخ محمد البقاعي،دار الكتاب العربي ،بيروت ،2005،ص48.

[5] - إبراهيم أطفيش،الإنقلاب التركي الأخير ،**المنهاج**،(ج1) ،ع02،ربيع الأول1344هـ/1925م،ص176. أنظر الملحق (28).

ومما دفع الشيخ "أطفيش" إلى هذا النوع من التفاؤل أن هذه الحركة قد ولدت في تركيا مركز الخلافة الإسلامية ورمز وحدة المسلمين ولاشك أن هذه الحركة الفتية تسعى للحفاظ على الخلافة الإسلامية وتقويتها "**كنا منذ ذلك الحين نرقب الحركة التركية وإنقلابها بعين الإجلال والإكبار ونقول أن هذه الحركة مباركة وتفاءلنا بها**"[1].

ثانيا إن هذه الحركة ستواجه الإستعمار الشرس الذي تتعرض له الولايات العربية وأقطار العالم الإسلامي المختلفة،وتطهير الأماكن المقدسة،وجاء هذا الشعور بعد الإنتصارات التي حققها "كمال أتاتورك" في الحرب اليونانية التركية (1919-1920م)، وإعتبر هذا الإنتصار إنتصار على الغرب المسيحي،خاصة رئيس الوزراء البريطاني" لويد جورج"،الذي وقف إلى جانب اليونانيين ضد الأتراك :"**فطربنا وهللنا وكبرنا لهذا الفوز الباهر الذي أسقط رئيس الوزراء الانكليزي من كبريائه بعد أن كان أمنع من جبهة الأسد**"[2].

أما بالنسبة لإصلاحات "مصطفى كمال أتاتورك" فلا شك أنها في البداية قد أثارت إعجاب العديد من النخب الاسلامية لاسيما مايتعلق بفصل السلطنة عن الخلافة منذ (1922م) توقعا من أن ذلك سيعزز مكانة "أتاتورك" ليصبح زعيما للمسلمين "**فقد ظل العرب يتطلعون إلى تركيا الكمالية الحديثة في مزيج من العواطف قوامها الدهشة والرهبة والإعجاب،فقد أدهشتهم قدرة الأتراك على التحرر وأعجبوا بقيام دولتهم**"[3].

لكن نوايا "أتاتورك" إتضحت شيئا فشيئا في سعيه لإضعاف الخلافة بدء وأسقاطها بعد ذلك" **ولكن لم يلبثوا أن قطعوا أثرها وطردوا الخليفة شر طردة فهوى من ذلك الشاهق إلى أسفل حضيض فإضطرب العالم الإسلامي إضطرابا**"[4].

ولم تكن النخبة الجزائرية وحدها من صُدم من هذا التحول في مواقف أتاتورك من الإسلام والخلافة فها هو "محب الدين الخطيب"، في "مجلة الفتح" يشير إلى موقفه من تحول "أتاتورك" قائلا إن :"**هدف "مصطفى كمال أتاتورك" لايزال هو هدم قواعد الإسلام والحيلولة بين الشعب التركي والتعليم الإسلامي**"[5].

---

[1] - إبراهيم ، أطيفش ،"الإنقلاب التركي..." ،المصدر السابق ،ص177

[2] - المصدر نفسه ،ص177.

[3] - نقلا عن أنور الجندي:أحمد صاري،شخصيات وقضايا في تاريخ الجزائر المعاصر،المطبعة العربية،الجزائر،2004،ص125.

[4] - إبراهيم أطفيش ،"الإنقلاب التركي" ، المصدرالسابق،ص178.

[5] - أنور الجندي،تاريخ الصحافة الاسلامية (الفتح لمحب الدين الخطيب 1926-1948)،دار الأنصار،مصر،(د ت ن) ،نقلا عن مجلة الفتح،م2،ص 722.

وحتى " أحمد شوقي" نفسه وبعد أن لاحظنا في قصيدته السابقة مدحاً وإفتخارا ب" مصطفى كمال أتاتورك" عاد ليعتبر أن سقوط الخلافة حدث بالغ الخطورة فقد كتب قصيدة تحت عنوان"خلافة الإسلام" ينعي فيها سقوط هذه الأخيرة قائلا :

عادت أغاني العرس رجع نُواح**** ونُعيت بين معالم الأفـــــراح

كُفنت في ليل الزفاف بثوبــه**** ودُفنت عند تبلج الإصبـــــاح

نزعوا من الأعناق خير قلادة **** ونظوا عن الأعطاف خير وشـاح

ضجَت عليك مآذن ومنابر **** وبكت عليك ممالك ونـــــواح[1]

ثم ما يفتأ "الشيخ أطفيش" أن يعتبر أن ما حدث يتجاوز بكثير مُجرد سقوط الخلافة وخلع الخليفة" وحيد الدين"[2]،إنما الخطورة في تحول المجتمع التركي من الطابع الإسلامي إلى الطابع العلماني لأن " **الكماليين نبذوا الإسلام وسخروا به وعبثوا بشرفه وأخذوا يتدرجون إلى قطع أثاره"**[3].

ويعتقد " الشيخ أطفيش" **إن من يقف وراء ذلك دون شك تيار غربي داخل حركة الكماليين يهدف على قطع الصلة نهائيا بالإسلام،ودفع المجتمع التركي نحو مزيد من التغريب، وقد حاول "السلطان عبد الحميد الثاني" كبح هذا التيار" فوقف في وجه المقتسمين حينا من الدهر حفظ فيه سلطانه بين نيران الدسائس ومكائد الخيانة وأمراض التخاذل والإنقسام في الشعوب الإسلامية،وبالمقابل ظهر التيار الغربي المعارض لمشروع الجامعة الإسلامية والذي يهدف إلى الإنسلاخ من الجامعة الإسلامية،بدعوى أنها غير صالحة للرقي والعمران ،فمن هذه الطائفة التي أخذت على عاتقها أن تسير بتركيا إلى الأمام...ويريد الإلتحاق بالغربي بإقتفاء أثاره في الجليل والحقير،والحسن والقبيح متناسيا أثار التاريخ الماضي"**[4].

[1] - أحمد شوقي ،الشوقيات ،مرجع سابق ،صص،85-86

[2] - هو محمد السادس وحيد الدين السلطان العثماني ،تولى الحكم سنة 1918م في ظروف صعبة،إنتهت بعزله من الحكم سنة 1924 على إثر سقوط الخلافة.

[3] - أطفيش ،"الإنقلاب التركي...." ،المصدر السابق ،ص179.

[4] - إبراهيم أطفيش، "هل تعود تركيا إلى الشرق" ،**المنهاج**،(ج01)، جمادى الثانية 1344هـ ،/1925م،ص 300.

و كثير ما أشارت "مجلة المنهاج" إلى مخاطر حركة الكماليين التي تهدف إلى ضرب عنصرين جوهريين في المجتمع التركي لتحويله إلى مجتمع علماني محض،وهما تغيير قوانين الأحوال الشخصية المستمد من الشريعة الإسلامية ،وضرب المنظومة التربوية وتغيير مناهج التعليم وأهدافها.

ولم يتأخر الشيخ "أطفيش" في متابعة الموضوع أيضا من خلال الصحافة التركية ،فكان ينقل بعض مقالاتها فنقلا عن جريدة "وقت" في عددها 2696 الصادر بتاريخ (ذي الحجة 1344هـ-يوليو 1925م) مقال بعنوان "تعديلات أساسية في قانون الترك- التبديل في أحكام الإرث والزواج" ذكرت أن الإصلاحات والقوانين التي أدخلها الكماليون هي من أصل لا ديني علماني بمعنى عدم الإعتراف بمبادئ الشريعة السماوية وإستبدالها بقوانين وضعية"[1].

أما بالنسبة لتغيير المنظومة التربوية فيعلق عن ذلك قائلا "...**ومحت أثار الطوائف الدينية ورسومها وتعاليمها،و أغلقت كل المدارس والمكاتب الدينية ،وأسبغت على كل المناهج والخطط التعليمية صبغة مدنية خالصة**".[2]

ومع مرور الوقت وإتضاح الصورة إنتهى موقف أطفيش بشكل واضح إلى إدانة كلية للكمالين وقائدهم وسياستهم قائلا:"**أخذت الحركة الكمالية تبدو في شكلها الخبيث اللاديني وطفقت تحارب الإسلام وتهدمه ما إستطاعت، وتتهكم على أحكامه وتشريعاته وآدابه، ولولا ما في نفس الأمة التركية من آثار الإسلام لظهرت في دفعة واحدة وفي يوم واحد... وهل بعد تعديل الأحكام الإلهية، وتحريف القرآن ، وإدخال تعديلات في العبادات والفرائض وأمثال هذا، يبقى هؤلاء حاملين لإسم الإسلام الطاهر الشريف ؟إن هؤلاء نبذوا الإسلام وسخروا به وعبثوا بشرفه، وأخذوا يتدرجون في قطع آثاره تمويها على العقول وخداعا ، إلا أن اللبيب لا يخفى عنه هذا التمويهن ولا تنطلي عليه تلك الألاعيب**"[3].

و بالعودة لكتاب "الإسلام وأصول الحكم"للشيخ علي عبد الرزاق" فبعد صدوره إطلع عليه " الشيخ أطفيش" وضم صوته المعارض إلى هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريففي كون الكتاب تناول مواضيع خطيرة تتنافى مع نصوص القرآن الكريم وأصول الشريعة الإسلامية.

وأبان "الشيخ أطفيش" رأيه في "علي عبد الرازق " وكيف أنه يطرح "مسائل في غاية الخطورة ونظرية غربية في نظر معارضيه، من ذلك أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته كان في سبيل الملك وأن نظام الحكم في عهده

[1] - إبراهيم أطفيش ،" هل تعود تركيا..." المصدر السابق ،ص307.

[2] - المصدر نفسه ،ص309.

3 - **المنهاج**،(ج3)،(م1)،ص117، نقلا عن : محمد ناصر :الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي،(ط3)،منشورات ألفا، الجزائر ،2010،ص159.

كان غامضاأو مضطربا حيث يقول" **إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس دولة سياسية أو شرع في تأسيسها فلماذا خلت دولته من كثير من أركان الدولة ودعائم الحكم؟..ولماذا ترك العلماء في حيرة واضطراب من أمر النظام الحكومي في زمنه؟**".[1]

فرد "الشيخ أطفيش" من خلال "المنهاج" ضد هذه النظرية ب قوله أن أراء "علي عبد الرازق" ينفرد وحده[2] بهذه الأراء والأمة الإسلامية غير ملزمة بأفكاره المناقضة لأصول الدين الإسلامي،ويزيد "الشيخ أطفيش" موضحا بأن الفرق والمذاهب الإسلامية لم تنكر الإمامة (الخلافة) فإذا كانوا قد إختلفوا من الناحية الفقهية فمن الناحية العملية قد أجمعوا على لزومها،ويستثني من ذلك فرقة الخوارج من الصفرية والأزارقة اللتين أنكرتا وجوب الخلافة لغرض سياسي هو إبطال إمامة الرستميين في شمال إفريقيا[3]، ويضيف الشيخ أطفيش أن الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إتفقوا على ولاية أبي بكر الصديق وهذا يعني أنهم أجمعوا على ولاية إمام خليفة إستنادا على أدلة عقلية ونقلية مما يؤصل لمفهوم الخلافة إسلاميا،وأن المبادئ والقواعد والتشريعات التي جاء بها الإسلام لم تقتصر على العبادات الروحية،وإنما تشمل حياة المسلمين الإجتماعية والإقتصادية والسياسية و" **هذه وظيفة تشمل النظم الحربية طبعا والإدارية أيضا،وكل أساليب الحكومة كانت وظيفته سياسية أيضا مرتبطة بالدين.**"[4].

ويستنتج "أطفيش" أن "علي عبد الرزاق" **اقتبس فكرته عن الخلافة والحكم من الفكر والنظريات الأوروبية العلمانية والقائمة على مبدأ" الفصل بين الدين والسياسة وهذه الفكرة منشأها الآخذين عن أوروبا.**"[5]

وبعد إثبات مصادر وأصول الخلافة عند المسلمين يصل الشيخ أطفيش إلى نتيجة هامة وهي أن السياسة لا تتنافى مع الدين الإسلامي بل هي داخلة ضمن تعاليمه القائمة على "**رعاية العدل ونشر السلام**"[6]

هكذا بقي "الشيخ أطفيش" دائم الإهتمام بقضية الخلافة حتى بعد سنة(1924م) فقد قدم مجموعة من الأفكار حول مؤتمر الخلافة المنعقد بمصر سنة(1926م)،إذ كان يرى أن نجاح المؤتمر الاسلامي للخلافة متوقف

---

[1] -علي عبد الرزاق،الاسلام وأصول الحكم،مصدر سابق،ص121.

[2] - للعلم فإن هناك بعض من المفكرين العرب التغريبيين من أمثال طه حسين من وافق على ماجاء به على عبد الرازق في كتابه،فقد جاء في كتابه "الشعر الجاهلي ،أن الاسلام لايصلح كنظام حضاري ،أما عباس محمود العقاد فقد دافع عن الحرية الفكرية لعلي عبد الرازق.

[3] - إبراهيم أطفيش ،"الاسلام وأصول الحكم "،**المنهاج** ،(ج1) ،صفر 1344هـ/1925م،ص4.

[4] - إبراهيم أطفيش، نفسه.

[5] - نفسه .

[6] - إبراهيم أطفيش ،"الدين والسياسة" ،**المنهاج** ، (ج1)،صفر 1344هـ/1925م، ص66.

على عاملين أساسيين أولهما دعوة كل علماء المسلمين على إختلاف مشاربهم ومذاهبم من أقطار العالم الإسلامي للإدلاء بآرائهم والإتفاق على موقف واضح وموحد من قضية الخلافة وثانيهما أن يكون مركز الخلافة خارج الأقطار الخاضعة لسيطرة الإحتلال الأجنبي حتى لا يكون الخليفة تحت ضغط الدوائر الإستعمارية،ولذلك فإنه كان يعارض فكرة تولي الملك فؤاد الأول بمصر خلافة المسلمين حيث كانت بلاده خاضعة للإنتداب البريطاني وإقتنع أكثر بهذا الموقف بعد منع السلطات المصرية والبريطانية منح الرخصة ل"سليمان الباروني" لحضور المؤتمر الإسلامي، وفي ذلك نلاحظ إتفاق العديد من الشخصيات الجزائرية في التخوف من شخصيات تخضع للمستعمر.

ورغم فشل هذا المؤتمر في إعادة بعث الخلافة الإسلامية فإن فكرة الخلافة والجامعة الإسلامية ظلت تراود "الشيخ أطفيش" وتبرز في كتاباته بين الحين والأخر،وقد أعاد الدعوة إليها في المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة(1931م) الذي شارك فيه وعين عضوا ضمن لجنة الجامعة والثقافة التي تتولى مهمة إعداد وسائل وبرامج إنشاء الجامعة الإسلامية في القدس وعصرنة تعليمها بإدخال علوم جديدة كالطب والهندسة والكيمياء[1].

وقد سجل له التاريخ موقفا قويا في هذا المؤتمر حين حدث خلاف بين بعض المشاركين"على أساس النزوع المذهبي بين الوهابيين والحنفيينن وذلك أن نائب حلب إنتقد تقرير لجنة الدعوة و الإرشاد ورئيسها "الشيخ رشيد رضا" ، فهذا وهابي وذاك حنفي، فقام الشيخ أبو إسحاق ليطفئ الفتنة في مهدها قائلا:"**إن المؤتمر جاء ليجمع كلمة الأمة الإسلامية،ويعمل لقضية الأمة لا ليفرق وحدتها ويكفينا أننا جئنا لقضية هي الوقوف أمام عدو واحد يسعى لتمزيق هذه الأمة**"[2].

ولم يغفل الشيخ كما لاحظنا مع الكثير من المهتمين بقضايا الوحدة الإسلامية من النخبة الجزائرية أن يحذر من خطر اليهود والصهيونية ، والكشف عن مخططاتهم التآمرية في فلسطين فيضيف قائلا:" **بل الأدهى أن اليهود يطمعون فينا معشر المسلمين، حيث ظنوا أنهم أمام أمة مفككة متشتة، لوتدبر المسلمون قوله تعالى "إنما المؤمنون إخوة"، وهذه الآية تخاطب أمة الإجابة الباغي والمبغي عليه ، وسمتهما مؤمنين وإخوة إشعارا بأن الإسلام وحدة وأخوة كالإخوة الأشقاء، ويظهر أن المسلمين يمرون بهذه الآية دون تدبرهاحق التدبر...إن الجامعة المسيحية رغم الخلاف الديني بين طوائف المسيحية موجودة فعلا وكونت كتلة واحدة لشعورهم بالواجب الجنسين وأما المسلمون فلم يكن الخلاف يصل بهم ماوصل بالمسيحية ولكنهم لا يشعرون**

[1] - معمر شعشوع،الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش وقضايا المشرق العربي في مجلة المنهاج 1925-1931م،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر2،السنة الجامعية 2011-2012،ص109.

[2] - محمد ناصر ،الشيخ إبراهيم أطفيش ، مرجع سابق ،ص72.

بالجامع الحقيقي وهو الإسلام وإننا لنتمنى أن يكون هذا المؤتمر هو المجدد لوحدة المسلمين أمام الخطر الداهم الذيجعل اليهود يسخرون منا والإستعمار يعبث كما يشاء بالأمة المحمدية..."[1]

3–ك :أبو اليقضان "لا تتركوا الحريق يمتد إليكم":

ربط "أبو اليقضان إبراهيم بن الحاج عيسى"[2]بين "مصطفى كمال" وحركته التجديدية في تركيا وبين من وصفهم بأعداء الإسلام أمثال ، "طه حسين" و"علي عبد الرازق" و"أمان الله خان"[3]،ممن هم من أدوات سخرها الغرب لتحطيم ما بقي من الإسلام من عزة ومنعة فهو :" **يستغرب في نفسه أقواما آمنوا بالإسلام، وتحدروا من أصلاب يجري فيها دم الإسلام، عندما ينحازون إلى صف أولئك الخصوم ويتألبون معهم ضد الإسلام بإسم التجديد العصري"**[4].

وفي ذلك إشارة للكمالين وقائدهم "مصطفى كمال أتاتورك، غير أن "أبي اليقضان" لم ير في الحدث تهديدا بعيدا غير مؤثر بل إن إنعكاسته لا محال ستمس الجزائر ما دام فيها نماذج من تلك الفئة التغريبية التي تسعى لفرنسة الجزائر وتجريدها من قيمها والذين لا يختلفون عن "مصطفى كمال" نتيجة تلقيهم للتعليم الفرنسي و ما يصنعه في ذواتهم

---

[1] - محمد ناصر ، الشيخ إبراهيم أطفيش ،المرجع السابق ،صص 73- 74 .

[2]- أبو اليقضان : هو الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى ، بن ي بن داوود بن عيسى بن داوود بن الشيخ الحاج احمد بن الشيخ بلقاسم بن حمو بن عيسى، من عشيرة البلات الكريمة في القرارة، يتصل نسب أسرته إلى عبد المؤمن بن علي الموحدي، أما كنيته " أبو اليقضان" فقد اقتبسها من الامام الرستمي الخامس، ابو اليقضان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، كان مولده يم الثنين 29 صفر 1306هـ، الموافق ل 05 نوفمبر 1888 بمدينة القرارة ولاية غرداية حاليا،بعد حفظه للقران الكريم ، بدأ التعليم الابتدائي على يد الحاج براهيم بن صالح بوصحابة ، ثم التعليم الثانوي على يد شيخه الحاج بن يحي، سافر سنة 1901 للحجاز لتلقي العلم مرورا بتونس التي نال بها ايضا نصيبا من العلم، والتي عاد لها مطولا سنة 1912م حيث درس بالمدرسة الخلدونية(1913-1915م) مترأسا للبعثة المزابية الأولى في تونس ، كما درس أيضا في الزيتونة على كبار علماءها كالشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ النخلي وغيرهم ، عينه الثعالبي عضوا إداريا في اللجنة الأدبية للحزب الدستوري، عاد على الجزائر سنة 1925م لبدأ نضالاصحفيا متميزا، لينشأ مابين 1926-1938م ثمانية صحف هي : وادي ميزاب –ميزاب – المغرب- النور- الأمة –البستان – الفرقان- النبراس، كما شارك في تاسيس معهد الجياة ومدرسة الحياة الشهيرة، من مؤسسي جمعي العلماء المسلمين الجزائريين وعضو إداري في مجلسها سنة 1934م، توفي يوم السب 25 صفر 1393هـ الموافق ل 30مارس 1973، أنظر : محمد علي دبوز ، أعلام الإصلاح في الجزائر(1921-1974)، مطبعة البعث، قسنطينة ، 1975،ص40.وكذلك : سليمة كبير ، من أعلام الجزائر في العصر الحديث ، الشيخ ابو اليقضان رجل الدعوة والإصلاح بوادي ميزاب ،المكتبة الخضراء، الجزائر 2008،ص06.

[3] - أمان الله خان(1892-1960م)هو ملك أفغانستان، تنازل عن العرش بضغط من بريطانيا، وعاش في منفاه في سويسرا .أصبح أمير أفغانستان عام1919 قبل أن يحولها إلى ملكية عام .1926 خلفه على العرش عناية الله خان لمدة ثلاثة أيام فقط. ملك أفغانستان مابين (1919- 1929). حرَّر بلاده من النفوذ البريطاني وحقّق لها الاستقلال الناجز (عام 1919). عندما حاول القيام بإصلاحات تربوية وتشريعية واسعة وسعى إلى تحرير المرأة الأفغانية من ربقة التقاليد فثارت عليه العناصر المحافظة وأكرهته على التخلي عن العرش .، أنظر، الموسوعة العربية الميسرة،مرجع سابق،ص 1156.

[4] - محمد ناصر ، أبو اليقضان وجهاد الكلمة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1980،ص ص 123-124.

من إنبهار بالحضارة الغربية وإنكار للحضارة العربية الإسلامية"**إن ألسنة الحريق تمتد تدريجيا للجزائر ما دام أبناؤها يتلقون تعليما فرنسيا"، ولذلك فيجب أخذ الحيطة والحذر لأن في أي تخاذل أو تغافل فناء الكيان الإسلامي في الجزائر العربية المسلمة " ...تلك هي الزوابع والعواصف التي تهدد كيان الإسلام في العالم وبلادكم، فخذوا حيطتكم، وتدبروا أمركم وإلا فإستعدوا للهلاك والموت والفناء"**[1].

لذلك نجد أبا اليقظان يخشى من أثر هذه الطائفة السلبي على الجزائريين و يؤكد على مبدأ كون الإسلام هو الإسمنت الذي به تلتحم القومية بالوطنية ، وهو العامل الأساسي في صيانة الوحدة الوطنية وإنقاذها من الشتات والفرقة. ومن هذا المفهوم نجده ينحى باللائمة على أبناء وطنه وعقيدته فيتعجب من فرقتهم في حين يجتمع ويتحد أعداؤهم أعداء الإسلام ضدهم "**.... يا لله العجب، أيتألب أعداء الإسلام و يتحدون على تقويض معالمه و بينهم فراسخ من إختلاف اللغات والأديان، والمذاهب والمنازع والمشارب،لاونختلف نحن على صيانته، وحمايته و الذود عن بيضته و دفع الكيد والأذى عنه ، و قد جمعت بيننا روابط الوطن و اللغة والدين، ووحدت بين أهوائنا علائق المصالح والآلام؟ وحِدوا صفوفكم رعاكم الله، وأجمعوا جهودكم، وضموا قواكم، وسيروا إلى الأمام بقلوب مفعمة إيمانا ونفوس طافحة صدقا وإخلاصا ، فإن الحالة حرجة للغاية ، والأمر في شدة الخطر**"[2].

وعندما يجيل أبو اليقظان بصره في واقع الأمة الإسلامية، لا يضره أن تأتي الزوابع والعواصف ضد الإسلام و المسلمين من أعداء الإسلام الفرنسيين كصحيفة "ليكو دالجي" (صدى الجزائر) و من كاتبة فرنسية ك "مدام سيلاربي"(Silarbi)، و إنما هو يشهر سيفه على أقوام من بني جلدتنا تحدروا من أصلاب يجري فيها دم الإسلام ، و لكنهم ينحازون إلى صف أولئك الخصوم ، يتكالبون معهم ضد الإسلام بإسم التجديد و التحديث العصري. إنهم "رواد" العلمانية اللائكية الإلحادية في الشرق والغرب الذين يصفهم أبو اليقظان بقوله: "...**و قد تولى قيادة الكتائب مصطفى كمال وأشياعه في "الأناضول" فبدأ أولا بإلغاء الخلافة الإسلامية من أصلها، ثم ثنى بإعلان اللاتينية، وتبديل أحكام الإسلام بأحكام سويسرية، ثم هبت هذه الزوبعة في مصر يثيرها "علي عبد الرازق"، و"طه حسين"، و"سلامة موسى" وغيرهم... وأصبح دعاة التجديد يحدثون كل يوم حدثا في الإسلام من**

[1] - صالح خرفي ، أبو اليقضان والقضايا الإسلامية ، مرجع سابق ،ص57.

[2] - نقلا عن عبد الرزاق قسوم ،" أبراهيم أبو اليقضان خطورة التحدي وصلابة الإستجابة"، **مجلة موافقات** ، مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنيى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين مولود قاسم نايت بلقاسم ، الجزائر، (ع5) ،(س5)، محرم 1417ه/ جوان 1996،صص 11-13.

مسألة تعدد الزوجات إلى الطلاق، إلى الحجاب، إلى الإرث، إلى التجنيس، إلى الطعن في القرآن واللغة العربي"[1]

وإذا كان كيد الأعداء أمرا مفهوما فالأمر المثير للدهشة و الاستغراب عند الشيخ أبي اليقظان هم دعاة التجديد العصري الذين رموا مسخ أحكام الشريعة بإسم التجديد وضرورة تتبع سنن الأوروبيين في كل شيء، شبرا بشبر وذراعا بذراع، من أمثال" مصطفى كمال أتاتورك" و"طه حسين""، وعلي عبد الرزاق" و"سلامة موسى" وأمثالهم أصحاب الأقلام المسمومة والأفكار القاتلة والصحف المأجورة التي تهدد الكيان الإسلامي.[2]

3– س :عبد الحفيظ الهاشمي" أليس بقاء المنصب الروحي من مبادئ الشعوب الأوروبية؟ :

ومن أبرز من تابع وكتب حول الدولة العثمانية وقضاياها نجد صاحب "جريدة النجاح"[3] "عبد الحفيظ الهاشمي"[4]، فلطالما دافع عن وحدة المسلمين وتماسكهم وقد أُعجب بدوره في البداية "بمصطفى كمال "ورأى فيه المنقذ الحقيقي للبلاد الإسلامية[5]، ورأى فيه من البطولات ما يمكن أن يحطم الأسوار المضروبة على الدولة العثمانية وهو الخبير بالشؤون السياسية والعسكرية التي تساعده على رأب الصراع الداخلي والوقوف أمام التطاحن والخلاف الذي دب في جسم الأمة الإسلامية حيث قال :" **من البديهي أن تركيا كانت في سالف زمنها تمشي القهقرى في سياستها، حتى أفضى الأمر إلى إحتلال المتحررين (الإتحاديين) لدار الخلافة.ووقع اليأس والقنوط من**

---

[1] - عبد الرزاق قسوم ،" أبراهيم أبو اليقضان ...، المرجع السابق.

[2] - محمد دراجي ،" المقال الهدائي التفسيري من جمال الدين الأفغاني إلى إبراهيم أبي اليقضان"، **مجلة موافقات** ، المرجع السابق ،صص50-52.

[3] - جريدة النجاح: جريدة حرة، أسبوعية أصدرها الهاشمي ، بقسنطينة، بشكل دوري منذ 1919، ثم تحولت إلى جريدة نصف أسبوعية، بدا من 20 جوان 1926، ثم يومية بدا من 1930، غستمرت بالصدور إلى غاية 1959.، أنظر محمد ناصر، الالصحف العربية الجزائرية ، ص ص 43-45.

[4] - عبد الحفيظ بن الهاشمي بن الحفناوي بن علي بن عمرالحسني الطولقي، (1892- 1973م)هو العلامة الجليل الفقيه اللغوي الأصولي الشاعر الناثر المشارك في شتى الفنون من المنقول والمعقول."عالم فقيه ومفتي و صوفي وكاتب وشاعروصحفي ولد بطولقة وتعلم في زاوية والد جده الشيخ علي بن عمر، وهي زاوية علمية تابعة للعائلة العثمانية، وقد كان والده وجدّه من كبار المدرسين فيها.
في سنة 1912م سافر إلى تونس وأكمل دراسته بجامع الزيتونة، وعندما ملأ بالعلوم و المعارف ، عاد إلى أرض الوطن واستقر بمدينة قسنطينة.
في سنة 1919م أصدر جريدة النجاح التي كانت تؤدّي دورا مهما في الثقافة والأدب. وقد كان الإمام عبد الحميد بن باديس من المساهمين فيها والمؤيدين لها في البداية، ثم تخلى عنها فيما بعد لميله إلى الاتجاه الإصلاحي بينما خط الجريدة يميل إلى تأييد الزوايا والطرق الصوفية، ومؤسّس الجريدة سليل أسرة علمية صوفية من الطريقة الرحمانية.كان عبد الحفيظ بن الهاشمي عالما غزير العلم واسع الاطلاع ومفتيا معروفا.فقد تولى الإفتاء على المذهب المالكي بمدينة عنابة. ثم انتقل إلى قسنطينة وبقي بها إلى أن توفي على الساعة الخامسة غير ربع من صباح يوم السبت 12 رجب الأصم عام 1393هـ/ 11 أوت 1973م بمحل سكناه بقسنطينة ونقل في صباح اليوم الموالي حيث دفن في زاوية أسلافه، وهو آخر مفتي عاش في عصرين مختلفين..
وقال الأستاذ سليمان الصيد: "يعتبر علامة في الفقه والدين وغيرهما وهو من الصحفيين الكبار كانت له مقالات مهمة في السنوات الأولى من النجاح يحتاج إليها الباحثون."، أنظر : عبد الحليم الصيد ، معجم أعلام بسكرة ،صادر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافة الشعبية لولاية بسكرة ، طبع دار الهدى بعين مليلة ، الجزائر ،2012،ص213-215

[5] - قسم الأخبار ،"الخلافة الاسلامية"،**النجاح**، ع 117، س4 ، 19أكتوبر 1923،ص1.

إرجاع الحكومة إلى ما كانت عليه، حتى لقد عبر بعض السياسيين بقولهم:" آن الوقت الذي تنقسم فيه الفريسة"، فما لبثت الحالة كذلك ،إلى أن قيض الله رجلا أعطاه من الشجاعة والغيرة، ما خلص تركيا من براثين الأجانب، من هو السبب في إعادة الشباب لدولة الإسلام ياترى؟هو مصطفى كمال".[1]

وقد لام "بن الهاشمي" الكتاب ممن عمدوا إلى إنتقاد الأتراك وسياستهم وداعهم إلى التقليل منها لأنه يعتقد أن الذي دفعهم إلى ذلك التهجم ، ما هي إلادسائس غربية حاكها المبشرون والمستعمرون، وإن إستمر هذا النقد والتجريح فإن نتائجه ستكون وخيمة، فستقطع تركيا علاقاتها الودية بالدول العربية والإسلامية:"**إن الإنتقاد على أعمال تركيا الحديثة مما ينبغي الإقلاع عنه، لما فيه من الضرر بالوحدة الإسلامية...إن هذه النفثات التي لا تخلو من سياسة إنجليزية عملتها لتفرقة كلمة المسلمين**"[2] ثم أبدى إعجابه "بمصطفى كمال" قائلا:" **مصطفى كمال محل الثقة والصدق وهو البطل الشديد الذي قبض بيد فولاذية على دولة إسلامية...إقتحم الأخطار لتخليص بني جلدته المسلمين من قيود الذل والإضطهاد، لايسعنا إلا أن نعتقد فيه الكمال، ونحمل مساعيه على أداء وظيفة الاجتهاد، والرجل الذي أنتخب في المجلس الوطني ورئيسا للجمهورية بدون معارض، لايتيسر لنا إلا أن نعتقد فيه الدهاء والأهلية.**"[3]

كما غطى الهاشمي في مقالاته المتعددة موضوع إلغاء الخلافة ومن زوايا مختلفة، بداية بالحديث عن خلع الخليفة من خلال ما أصدره المجلس الوطني التركي [4] وكيف أن هذا الحدث هز كيان المجتمعات الاسلامية " **فلا شغل ولا حديث اليوم بين المسلمين إلا على الحادث العظيم الذي حير الألباب وكدر الخواطر وهو إبطال الخلافة**" ثم لم يتوانى في تحميل الأنجليز مسؤولية التآمر على هذه المؤسسة الرفيعة التي تحول دون أطماعهم في البلاد الاسلامية وتسعى لحفر هوة بين الترك والمسلمين فقال :" **إنها مساعي إنجليزية في زوايا المجلس الكبير ، ترمي إلى قطع العلائق بين الترك و باقي المسلمين**"[5] ،ثم يعمد إلى التشهير بسلوكات الكماليين ضد الإسلام من منع للحجاب ومنع لتعدد الزوجات، لكن هذا المخطط ما كان لينجح لولا الدور الكبير الذي لعبه الكماليون فهم أداة تنفيذ هذا

[1] - عبد الحفيظ بن الهاشمي ،" حول السياسة التركية"، **النجاح**،ع 139،السنة الرابعة ،18 ديسمبر 1923،ص1.

[2] - عبد الحفيظ بن الهاشمي،"تركيا والاسلام ،نهضتها الأخيرة ودسائس الانجليز"، **النجاح**،ع141 ، السنة الخامسة،11جانفي 1924م ،ص1.

[3] - المصدر نفسه.

[4] - عبد الحفيظ بن الهاشمي ،"خلع الخليفة وإلغاء الخلافة"، **النجاح**، ع 154 ، السنة الخامسة ،11 أفريل 1924،ص2.

[5] - عبد الحفيظ بن الهاشمي ،" حول إبطال الخلافة الاسلامية"، **النجاح**،ع 150،السنة الخامسة ،14 مارس 1924،ص1. نقلا عن : محمد ناصر ،المقالة الصحفية ...،(ج1) ، مرجع سابق ،ص 179.

المشروع مما جعلهم أعداء الدين الإسلامي فقد :"**هدموا بأفكارهم الطائشة ركنا شامخا من الإسلام، وقطعوا علاقة دينية مرت عليها القرون العديدة، فهم لهذا يستوجبون غضب العالم أجمع** ."[1]

ولا يمكن تبرير ما قام به الكماليون على أنه سعي لإقامة نظام جمهوري حديث ، لأن الجمهورية حسب رأي ابن الهاشمي:" **لا تُنافي بقاء الخليفة الإسلامي، فالجمهورية والمناصب الدينية صديقتان لا تناقض بينهما، وكفانا شاهدا ما هو مسنون في بلاد أوروبا فإن مقام البابا محترم إلى الأبد وله من الحكومات نواميس وإحترامات وحدود لا يسوغ لذوي السلط أن يخترقوها، فما بال المجلس لم يسلك هذه الطريقة الغربية وهو ما برح يقول:أن تركيا الجديدة لم يسبق لها إلا الاحتذاء بمبادئ الشعوب الأوروبية.أليس بقاء المنصب الروحي من مبادئ الشعوب الأوروبية؟**"[2].

كما تابع الهاشمي أخبار الخليفة وأسرته بعد خلعه ونفيه إلى سويسرا معتبرا ما تعرض له الخليفة وأسرته :"**ضربا من العبث.. ويجعلها في هوان عظيم على مرأى ومسمع من الأجانب....فالرأي القاضي بنفي الخليفة مس بشرف الإسلام" بل وواصل الهاشمي تغطية أخبار الخليفة وأسرته بشكل دقيق وصل إلى حد الإخبار :"أن المالية التي إصطحبها الأمراء معهم على وشك النفاذ، فيصبح هو(الخليفة)، وحاشيته في فقر مدقع، يستمطرون الناس لتسديد الضرورة، وهو أمر –والحق يقال– تتفتت له الأكباد...و لذلك يجب على رجال الإسلام المثريين أن يساعدوا رجالا لهم الفضل على المسلمين.**"[3]

غير أن رأي الهاشمي في موضوع الخلافة شهد بعد ذلك تحولا نوعيا بحيث وصف قرار "مصطفى كمال" بإلغاء الخلافة بأن:" **ما قرره في إلغاء الخلافة ، فحقه أن يكتب بالذهب لأنه أنصف وقال ما معناه ، أن الخلافة للأمة الإسلامية عامة والعربية خاصة فهاكموها. وقوموا بها حق القيام، أو تحملوا أنتم تبعاتها وأي تبعة ؟ تبعة خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم.**"[4]

ولم يكتف الهاشمي بالكتابة بنفسه وتغطيه أخبار ما يتعلق بالخلافة وحيثياتها بل فتح صفحات جريدته لأقلام مميزة من العلماء والمصلحين الجزائريين أمثال "الشيخ المولود بن الصديق الحافظي" و"عبد الحميد بن باديس" و

[1] - عبد الحفيظ بن الهاشمي،"حول إبطال الخلافة الاسلامية..."، المصدر نفسه.

[2] - محمد ناصر ،المقالة الصحفية الجزائرية ...،(ج1)، مرجع سابق،ص 180.

[3] - قسم التحرير ،" سهام الإنتقاد في مصطفى كمال لعل له عذر وأنت تلومه"، **النجاح**، ع 272 ، السنة السابعة ،12 فيفري 1926،ص ص 2-3

[4] - المصدر نفسه.

"الأمير سعيد" حفيد الأمير عبد القادر، فضلا عن نشر موقف مسلمي الهند من إبطال الخلافة[1]، كما نشرت "النجاح" أيضا الدعوة التي وجهها علماء مصر الملتفين حول الملك "فاروق الأول"، الذي إعتبروه أهلا لتحمل أعباء الخلافة:" **لأنه على رأس أقوى أمة مستقلة في الإسلام بعد الأتراك...فعلينا ألا ندع علم الخلافة يسقط...لاتدين الأمم الإسلامية ولا ترضى بالخلافة بعد الأتراك إلا لمصر، وأنها لا تزال قلب العالم الإسلامي وقديما كانت الخلافة لمصر**"[2].

وواصلت "النجاح" تتبع أصداء قضية الخلافة فنشرت بيان علماء الأزهر المجتمعين في (15 مارس 1924م) الذي حددوا فيه موقفهم من الخلافة، وبينوا أنها لاغية في حق " عبد المجيد" الذي لا يملك حق الإقامة في بلده وعجزه عن بسط سلطانه على رعيته، ودعوا إلى عقد مؤتمر ديني يدعى إليه ممثلو جميع الأمم الإسلامية وإقترحوا القاهرة مقرا له وحددوا تاريخ إنعقاده في شهر (مارس من سنة 1925م)[3]. وحينما إقترب موعد إنعاقده ، نشرت " النجاح" مقالا أكدت فيه على ضرورة مشاركة الجزائريين متسائلة،" **فهل إنتبه الجزائريون لأهمية هذه المسألة الدينية؟ وإذا إنتبهوا فمن سيوفدون ؟ وعلى من سيقع إختيارهم أم هم غافلون" ، ثم بين عواقب عدم المشاركة فقال " إننا نخشى هذا التغافل...إننا نخاف أن يفصل في الأمر في غيبة منهم ، فيتقرر عند إخواننا مسلمي الشرق، إن المغاربة ليسوا من الإسلام بشيئ**"، ثم حملت النجاح مسؤولية ذلك على العلماء ونواب الشعب الجزائري وشيوخ الزوايا حيث قالت :" **هم الأولى بالحث والتدبر في معانيه(المؤتمر)، قبل أن يحل الأجل.**"[4]

3–ص :أحمد بن مصطفى بن عليوة "إلغاء الخلافة مشروع أجنبي":

عُرف عن "أحمد مصطفى بن عليوة"[5] أنه من الشخصيات الجزائرية التي عرفت بتنقلها في عديد من الدول العربية والإسلامية ومنها رحلته لبلاد الشام وتركيا سنة (1919/1909م).ويبدو أنه من خلال زياراته المتكررة تلك وعلاقاته مع العديد من الشخصيات هناك أصبح شديد التمسك بمؤسسة الخلافة ومركزها.

---

[1] - نشرت الجريدة نداءا للمجلس الوطني التركي، ليضع الخلافة والخليفة في المقام اللائق بهما ، أنظر : قسم التحرير ،**النجاح**، (ع 142)، السنة الخامسة ،18 جانفي 1924،ص4

[2] - حسن محمد حلم الدين،" حول الخلافة الإسلامية"، **النجاح**، (ع152) ، السنة الخامسة ،28 مارس 1924، ص2.

[3] - قسم التحرير ، إجتماع علماء الأزهر"، **النجاح**، ع 154 ، س5،11 أفريل 1924،ص2.

[4] - قسم التحرير،" مؤتمر الخلافة بمصر"،**النجاح** ،ع 274، س5 ، 19 ماي 1926،ص6.

[5] - أحمد مصطفى بن عليوة : تضاربت التواريخ المعطاة لمولد وقد رصد أغلبها الدكتور أبو القاسم سعد الله ، لكن الأرجح هو 13 اكتوبر 1874م، عرف بن عليوة نسبه قائلا: ابو العباس سيدي أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد ابن الحاج علي المعروف بن عليوة،" وأصل العائلة كرغلي من مدينة مستغانم ، إرتبط تاريخ العائلة بالطريقة العليوية، أنظر : أبو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي،(ج4)، مرجع سابق ،صص 126-127.

و قد أبدى قلقه الشديد منذ البداية مما ستصل إليه سياسات الكماليين ،فعند عودته للجزائر في حدود (1919م) أبدى بن عليوة رعبه لما يحدث في الأستانة من تنكر واضح للدين من طرف هؤلاء فيقول :"**لم يرتح بالي ولم يسكن روعي إلا يوم وطئت فيه تراب الجزائر، وحمدت الله على ما كنت إستحسنته بالطبع من عوائد أمتي وجمودهم على عقيدة آبائهم وأجدادهم**"[1]، بعد أن كان كثيرا ما يبدي إعجابه بعاصمة الخلافة والرغبة في زيارتها للإستفادة من العلوم المتوفرة فيها قائلا :"**فتشوفت لزيارة دار الخلافة وظهر لي ربما أدرك من العلم ما أنا إليه في إحتياج...**"[2]، لدرجة أنه كان ينوي الإقامة بها ولكنه عدل بسبب ما آلت إليه مع وصول الإتحاديين وما رآه منهم من مخالفة للدين :"**فتيقنت وأن ما أريده من المقام بتلك الديار غير متيسر....فقفلت راجعا إلى الجزائر مكتفيا من الغنيمة بالإياب...**"[3]

وبذلك يتضح إن بن عليوة كان في البداية على الأقل متمسكا بالخلافة وعاصمتها لأنه كان يعتبرها مركزا يجب الحفاظ عليه والإلتفاف حوله مما جعله يعبر عن قلقه من الإنقلاب الكمالي ومآلاته و مما يصدر من سياسات من حكومة الكماليين وسياستهم تجاه الخلافة ، وأن وراء هذه السياسات الكمالية أطراف خارجية تخطط وأنهم ينفذون فوصف الكماليين بأنهم :" **ألعوبة في يد الأجانب...كانت الحكومة(العثمانية)، قد أبعدتهم، فذهبوا لأوروبا وأسسوا بها الجرائد والمجلات. وتجردوا لإنتقاد الحكومة...حتى قضاء حاجتهم" خلع السلطان عبد الحميد**" كما وصف إجراءات " **مصطفى كمال" بأنها علمانية وقضاؤه على الخلافة عمل إباحي**[4].

إستخدم بن عليوة و الطريقة العليوية جرائد الطريقة[5] وخاصة " البلاغ الجزائري"[6] لإنتقاد سياسة الكماليين فحملت بقوة في أحد مقالاتها على الكماليين وما تشبعوا به من فكر غربي أوروبي ، شجعهم على إلغاء الخلافة[7]و على مقربة من إنعقاد مؤتمر القدس[8]، نشرت جريدة " البلاغ الجزائري" مقالا بعنوان " الخلافة والمسلمون" ذكر فيه

---

[1] -ch r Ageron, les Algeriens musulmans etb la France,(T2),Op.cit,p913.

[2] - عدة بن تونس ،الروضة السنية في المآثر العلوية ،(ج1)، المطبعة العلاوية ، مستغانم 1936، ،ص26.

[3] - نفسه ،ص27.

[4] - أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، (ج9)، مرجع سابق ، صص 471-472.

[5] - أنظر الملحق (رقم 29).

[6] - صحيفة علمية إرشادية، أسسها أحمد مصطفى بن عليوة إستمرت مابين 1926- 1943 ، لتكون لسان حال الطريقة، تولى رئاستها محمد بن محي الدين، ثم عدة بن تونس والأخضر عمروش، دافعت عن الإسلام وحاربت التجنس والتنصير، دخلت في صراع مع الصحف الإصلاحية، إنتقدت موقف الكماليين من الإسلام، أنظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية ، مرجع سابق ،ص ص 80-83.

[7] - قسم التحرير،" إلى زعماء الأمة ومفكريها"، **البلاغ الجزائري** ،س2،ع 53، 31رجب 1346هـ / 20جانفي 1928، ص ص 3-4.

[8] - عقد هذا المؤتمر لبحث مسألة فلسطين والقدس الشريف ،مابين 7و 17 ديسمبر 1931م ، وقد شارك في من الجزائريين الشيخ عبد العزيز الثعالبي والأمير سعيد الجزائري ،أنظر : عبد العزيز الثعالبي ،خلفيات المؤتمر الإسلامي 1350 هـ - 1931م ، دار الغربي الإسلامي، بيروت لبنان، =

صاحبه بأهمية الخلافة في التشريع الإسلامي متعجبا من المسلمين :" **كيف أهملوا هذا الركن منذ إستصغرته الحكومة الكمالية التركية، وأخرجته من موقعه الطبيعي ومركزه الشرعي" وبعد عرضه لتاريخ آل عثمان وتطور حكمهم إلى مرحلة الضعف والإنهيار ، إلى وصول الكماليين إلى السلطة وهم الذين :" أخطئوا في التدبير لأنهم جعلوا مسؤولية الخراب والخذلان على الإسلام وهو براء منها ، ففصلوا الحكومة عن الدين وأبعدوا خليفة المسلمين"**[1]، وأعتبر الكاتب أن ما قام به الكماليون من طرد للخليفة "عبد المجيد من" الأستانة أمر مُهين ومُؤسف، ولكنه يبقى رغم ذلك خليفة للمسلمين :"**أنه صاحبها الحامل للوائها – أي عبد المجيد الثاني– لا زال موجودا ولم يرفضها هو ، ولم يخلعه منها عموم المسلمين..." وعليه فإن ما قام به الكماليون بإعتماد القوة لإجبار الخليفة عن التنازل هو أمر غير شرعي تتحكم فيه إرادة شخص واحد على حساب إرادة الأمة"** وفي إشارة إلى سلطة "مصطفى كمال" على المجلس الوطني التركي ، فقال :" **كانت الحكومة التركية هي التي وحدها أخرجت هذا الخليفة من أرضها ،فلا يسمى هذا خلعا...أو إحداث ثورة...إذ ليس من الحق، أن ينزع للمسلمين ما هو لهم، بمجرد إنكار رجل واحد متجاهر بعداوة الإسلام وإكراه رعيته على إتباع شريعة مغايرة لأصول الدين الإسلامي..."**ثم تساءل الكاتب " **هل يصح شرعا أو قانونا أوعقلا، أن يتصرف الإنسان فيما هو لغيره، بمجرد وجود سلطة نارية في يده؟ إن هذه لمن التعدي على حقوق المسلمين، وعدم الإكتراث بشرف الخليفة..."**[2]

=وكذلك، Martin ,Kramer,Islam Assembled,the Advent of the Muslim Cogresses,Columbia University press, 1986.

[1] - قسم التحرير ،" الخلافة والمسلمون" ، **البلاغ الجزائري** ، السنة الخامسة ،ع234،3 رجب 1350 هـ /13 نوفمبر 1931،ص2.

[2] - المصدر نفسه.

3-ش :المولود بن الصديق الحافظي " الخلافة شرف الأمة":

إستنكر الحافظي[1] بشدة سياسة الكمالين المتعلقة بالشؤون الإسلامية وما أتخذوه من إجراءات تهدف إلى علمنة وتغريب المجتمع التركي المسلم ، فكتب مقالا بعنوان " الدين والسياسة"[2]، ولما بادر الكماليون إلى إلغاء الخلافة عبر عن إستيائه ، فكتب مقالا هاما في جريدة " النجاح" أبدى فيه خطورة هذا الإجراء وإنعكاساته على العالم الإسلامي وكيف أنها أصبحت تحظي بإهتمام غالبية المسلمين :" **هذه المسألة الهامة التي أشغلت الساسة من سواد المسلمين،.. أصبحت الشغل الشاغل للمتفكرين منهم... يحق لزعماء المسلمين أن ترتعد فرائصهم وتهتز أعصابهم... ويصحوا لهم أن يندهشوا لما دهمهم في أعز عزيز لديهم من تركيا الفتاة، بعد أن وضعوا**

---

[1] - المولود بن الصديق الحافظي: ولد المولود سحابي بن الصديق الحافظي في شهر ربيع الأول سنة 1880 م في قرية آيث حافظ الواقعة في مرتفعات آيث ورثلان (بني ورتيلان) بولاية سطيف , وكانت تسميته أنه من عادة سكان المنطقة أن يسموا مواليد هذا الشهر باسم " المولود" تبركا بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم , وقد عاش المولود الحافظي منذ طفولته ظروف قاسية تتمثل في وجود الاستعمار الغاشم وفي عزلة قريته الضائعة في دروب وعرة.

عندما إشتد عوده هاجر إلى تونس حيث يقيم احد أقاربه , ساعده في الحصول على وظيفة محصل في تراموي. وبعد أن جمع بعض المال سافر سنة 1906 م وبطريقة غير شرعية إلى القاهرة والتحق بجامع الزيتونة للدراسة , وبعد سنوات من الكد والجد في ظروف صعبة كللت جهوده بالنجاح فتحصل على شهادة علمية عن جدارة واستحقاق أهلته للدراسة في الأزهر , علما تفوقه كان في العلوم الشرعية والعقلية خاصة في علم الفلك ومما زاد في سمو منزلته العلمية في مصر تفوقه في مناظرة علمية على أحد زملائه وهو الشيخ الرداد البرقاوي الطرابلسي, كما تجول في بعض الأقطار العربية و الإسلامية كالشام والعراق وباكستان الشيء الذي زاده علما ومعرفة بأحوال الشعوب والأمم .

كما كان لتواجد المولود الحافظي في مصر أن شارك في الحركة الوطنية التحررية و التي كان الأزهر طرفا فيها أين كانت وقفة الطلبة في صف واحد مع ثورة سعد زغلول المندلعة في 1919 م , الشيء الذي أدى بالسلطة البريطانية إلى إصدار قرار طرده من مصر , ثم ورود اسمه في القائمة السوداء التي أرسلتها المخابرات الفرنسية من مصر إلى سلطات الجزائر تضمنت أسماء الطلبة الذين تعتبرهم عناصر قد تشكل خطرا على امن الدولة الفرنسية في الجزائر.

وفي سنة 1922 م قرر العودة إلى أرض الوطن ففوجئ بتوقيفه عند الحدود التونسية ومنعه من الدخول إلى الجزائر إلا بتقديم عائلته ضمانات تتعهد بموجبها بعدم تعاطيه لنشاطات سياسية ضد فرنسا, فتكفل الشيخ الخرشي إمام ايث ورثلان بقضيته بعد وفاة أبيه , واتصل بقايد العرش عمر بن عبيد الذي تفهم وضع الحافظي فتوسط له لدى الإدارة الفرنسية وعلى اثر ذلك سمح له بالدخول إلى ارض الوطن بعد غياب دام 16سنة , وكانت عودته من الأيام المشهودة في قرية ايث حافظ , أين ساهم بقدر كبير في نشر العلم والمعرفة بين إخوانه , بالنظر إلى مضايقة الاستعمار له كانت حريته مقيدة أين شرع في نشاط إصلاحي واضح من خلال العديد من النشاطات.

إنتقل الشيخ المولود الحافظي إلى رحمة الله يوم 3 فيفري 1948 م إثر مرض ألزمه الفراش لمدة ستة أشهر بسبب انتفاخ جسمه وامتلاء قدميه بالماء , هذا ولم ينف ابنه السيد العربي احتمال تسميمه من طرف الفرنسيين أثناء وجوده بمستشفى قسنطينة , وحضر جنازته جمهور غفير من الخواص والعوام منهم الشيخ البشير ايزمران , علي بن حالة, احمد اقروفه , وعبد الحفيظ أمقران ، أنظر : محمد الصالح آيت علجت، المولود بن الصديق الحافظي ، حياته وآثاره ، تقديم محمد الشريف قاهر، منشورات دار الكتب، الجزائر ،1998،و كذلك : بجوجو محمد أو سليمان ، الذكرى ال 65 لوفاة العلامة المولود بن الصديق الحافظي الأزهري ،على الرابط : bedjoudjouarticles.wordpress.com/2013/11/02/الذكرى-الـ-65-لوفاة-العلاّمة-المولـــ/، تاريخ الدخول ،22-03-2014، الساعة 21:03.

[2]- محمد الصالح آيت علجت، المولود بن الصديق الحافظي ،المرجع السابق ،ص124

ثقتهم فيها، و علقوا عليها أمالا عظيمة ، وفي إحياء السنة وتجديد الدين وبث روح الخلافة، ضنا منهم أنها أمة حية."[1].

ولم ينس الحافظي تذكير الكماليين بقوة الروابط بين المسلمين وبين الأتراك في أوقات الحرب العصيبة :" **خرجت تركيا من الحرب الكبرى منهكة الغور ،مكسورة الجناح تاركة عاصمتها، تنعي من بناها وهي تستغيث من ظلم المغيرين وجور الإنجليز، فجاءتها إحتجاجات المسلمين على فضائع اليونان وإنضمامها لبريطانيا...كما جاءتهم التبرعات..." التي زادت من قوة الجيش التركي إعتقادا أن المسلمين " مازالوا يعطفون عليهم ما دام شعار الخلافة يرفرف على مجلس الأمة" وهذا اليونانيين والأنجليز يعترفون ويقولون أنذاك:" إننا نحارب المسلمين بأجمعهم لا الأتراك وحدهم. وبفضل هذه الإنتصارات ومظاهر التضامن الإسلامي" كان مصطفى يخطب في مجلس الأمة وفي المقابلات السياسية باسم دولة الاسلام".**

وإنطلاقا من هذا الأرث التاريخي المشترك، كان يجب على تركيا وزعماءها الجدد:" **أن يجاملوا الأمة الإسلامية ببقاء ما كان في أمر الخلافة، وألا يحركوا ساكنا في هذه المسألة الهامة، ترضية للطوائف الإسلامية، وإحتراما لعقيدتها ، و إحساساتها، ومحافظة على شرفها، ومكانتها من قلوبهم... متحاشية عن كل ما يؤدي إلى إثارة الخواطر ضدها...".**

فكيف لهؤلاء الأتراك نسيان هذه المواقف التاريخية وأشكال التضامن معهم التي بادر بها المسلمون مع دولة الخلافة، لكن الكماليين فضلوا تغيير وجهتم وأداروا ظهرهم للعالم الإسلامي" وولوا وجهتهم شطر ألمانيا... ليشربوا منها حب الجمهورية، وخلع رداء الخلافة... ودموع المسلمين تذرف مدرارا عن أعينهم وقلوبهم دامية ولسان حالهم يندب القرن الرابع عشر من الفاجعة العظمى..."[2].

وخلص الحافظي إلى تذكير الكماليين بإحترام وتشبث الألمان بمؤسستهم الدينية المتمثلة بالكنيسة البابوية في روما وما يقوم به الكماليون في تركيا عكس ذلك ضد مؤسسة الخلافة قائلا :" **إذا كانت صديقتهم ألمانيا لا تزال تخضع للكنيسة الكبرى بروما... فإن تركيا قد قطعت حبل المواصلة بينها وبين المتمسكين بأذيال الخلافة وإعتصمت بعروة الجمهورية، وكرهت أن ترفرف أعلام الخلافة على قصر يلدز."[3]**

---

[1] - المولود بن الصديق الحافظي ،" حول الخلافة ونبذ الأتراك لها" ، **النجاح**، السنة الخامسة ،09ماي 1924، ص ص 1-2.

[2] - محمد الصالح آيت علجت ، المرجع السابق ،ص127.

[3] - الحافظي ،"حول الخلافة..."، المصدر السابق، ص ص 1-2.

لكن الحافظي يعد الكماليين في نهاية مقاله بأنهم سيحصدون نتائج أفعالهم لامحالة." **مهلا يا آل عثمان... نبذتم حقوق الخلافة وخلعتموها من رقابكم وطرحتم رغبة إخوانكم في القبلة وراء ظهوركم ، وأقبلتم بخيلكم ورجلكم على عرش الخلافة، مهلا...فإن الحرب سجال..فإذا أعددتم في الأيام الماضية عشاق الخلافة وقد كانوا مظاهرين لكم عن طيب نفس وأمدوكم بأموال وبنين، حتى فزتم فوزا نهائيا فالذي أعددتموه للأيام المقبلة والبلقان بركان ناري لا يخمد ووراءه دول عظمى تؤيده... وأنتم قد قطعتم حبل الصلة...مهلا..، فإني أراكم قد عجبتم بأنفسكم وإستكبرتم وصيرتم عرش الخلافة قاعا صفصفا ودستم بالأقدام وحدة الإسلام...مهلا فإنكم قد مكرتم...ويحق للذين نبذتم شعارهم أن يتركوكم للصدمات المستقبلية كما تركتموهم اليوم حيارى."**[1]

ولم يتوقف "الحافظي" في موضوع الخلافة على نقد الكماليين وسياستهم، فقدا دعا الجزائريين إلى المشاركة في مؤتمر الخلافة الذى جاء بدعوة من علماء الأزهر في(15 مارس 1924م)، فكتب مقالا عرض فيه مفهوم الخلافة ومتطلبات الشرع فيها وما يجب أن يعتمده المؤتمرون في شأنها، وبشأن إشتراك الجزائريين في هذا المؤتمر إقترح أن ترسل برقيات رغبة الإشتراك من عموم مفكري الجزائر إلى كل من إدارتي " النجاح" و"الشهاب" .

ولقرب تاريخ إنعقاد المؤتمر وتكاليف السفر الباهضة إقترح الحافظي أن يمثل الشعب الجزائري في هذا المؤتمر جزائريون قد إستقروا بمصر منذ مدة... منهم الشيخين" السعيد بن محمد الخنشلي"،" إسماعيل بن علي الجيجلي" من الطاهير مدرسين رسميين بالأزهر، وإذا إقتضى الأمر الزيادة فليكن الأستاذ الشيخ " أرزقي بن أحمد الشرفاوي" والشيخ" عبد القادر الونشريسي" والشيخ " محمد العربي السوفي" والشيخ" الحواس البوزيدي" وكلهم علماء حائزون على الشهادة العالمية، يكفي أن ترسل لهم برقيات لينوبوا عن الجزائريين"[2].

وإستمر الحافظي مهتما بشؤون الخلافة وتطوراتها فبمناسبة عودة الشيخ" المولود بن الموهوب" من زيارته للمغرب سنة(1924م) سأله "الحافظي" حول المواضيع التي درست وركز على موضوع الخلافة قائلا :" **هل أُعتني بمسألة الخلافة ليعطي رأيه فيها وهل في النية إرسال مندوبين لحضور المؤتمر الذي سيعقد لهذا الغرض"**[3].

[1] - الحافظي ،"حول الخلافة..."، المصدر السابق، ص ص 1-2.

[2] - محمد الصالح آيت علجت، المرجع السابق ،ص128.

[3] - المولود الحافظي ،" الإصداع بالواجب العام حق من حقوق الشعب"،**النجاح**، السنة الخامسة ،ع 26،188 ديسمبر 1924،ص02.

كما أظهر الحافظي دائما حرصا على حضور الجزائريين لمؤتمرات الخلافة، فبخصوص مؤتمر مكة (07 جوان 1926م)، قال :" **كان حقا على جمعيتنا (جمعية الحرمين)، أن تشترك في هذا المؤتمر لحق الحرمين ولحق الخلافة اللذين لهما مساس عظيم بالأقطار الثلاثة (المغاربية) من الوجهة الدينية**"[1].

وبذلك نرى كيف أن مقالات " الحافظي" تعكس سعة علمه ودقة تنظيمه وإتساع أفقه وتضامنه الإسلامي، وقد علق على آرائه الأستاذ العمودي قائلا:" **عهدنا لك مواقف شتى مختلفة في مسألة الخلافة، ظهرت بمظهر المحنك والإمام الذي لا يشق له غبار**"[2].

3-ع :الخالدي صالح بن عمار "الخلافة هي الإتحاد الإسلامي":

وهناك شخصية جزائرية محافظة أخرى سجل لها التاريخ مواقف مشرفة في قضايا الوحدة الإسلامية ومواجهة الإستعمار ألا وهو "الخالدي صالح بن عمار"[3] الذي لعب بدوره دورا بارزا مع بداية القرن في محاولة التعريف بالقضية الجزائرية، فعند إنتقاله إلى تونس سنة(1904م) بدأ نشاطه بشكل واضح حيث أصدر بيانا سنة (1906م) بصفته رئيسا مفوضا للجنة المركزية لهيئة سياسية تدعى" الإتحاد الإسلامي" أكد فيه أن أوروبا تستمر بطريقة مدروسة في خطتها التي تهدف إلى تدمير ركائز الإسلام، وهو الشيئ الذي حسب رأيه قد يدفع العرب مستقبلا إلى تكوين كتلة واحدة لتقف ضدها ويختم هذا النداء للثورة ضد الإحتلال الفرنسي في الجزائر بما يلي: "**وعندما يحين وقت الجهاد الأكبر سنحتل الصدارة المركزية للإتحاد الإسلامي، لقيادة المعارك وسنقودكم نحن إلى النصر المحق...**"[4]

وقد نشط "الخالدي" في العديد من الدول العربية ومن بينها المغرب[5] و مصر التي فر إليها بعد متابعته من طرف السلطات الفرنسية نتيجة بيانه سابق الذكر، وعند مروره بليبيا وإقامته بها أيام معدودة ، إلتقى بالسنوسيين في أحد زواياهم الهامة ببنغازي، فرحبوا به و إتفقوا معه على المضي قدما في تنفيذ خطة "هيئة الإتحاد الإسلامي".

---

[1] - المولود الحافظي ،" جمعية الحرمين"، **الشهاب**، السنة الثانية ، ع2،21 رجب 1344هـ- 04 فيفري 1926، ص11.

[2] - محمد الصالح آيت علجت ،المرجع السابق ،ص129.

[3] - ولد صالح بن عمار في قرية بني مزلين على بعد 20كلم، شرقي قالمة في حدود 1879، بدأ بدراسة القرآن وعلومه، وعند بلوغ سن الدراسة أدخله والده مدرسة التعليم الإستعماري في قالمة، سمح له تفوقه الدراسي بولوج الثانوية في قسنطينة سنة 1895.

[4] - نقلا عن عمار هلال ، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية (1903-1906)"**مجلة الدراسات التاريخية**،معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،العدد السادس ، السنة 1413هـ - 1992م،ص 153

[5] - مسجل في سجلات الحالة المدنية بقالمة، تحت اسم " خوالدية صالح بن عمار"، ولد حوالي 1879، التحق سنة 1887م ، بالمدرسة الاستعمارية بمسقط رأسة، كما أكمل دراسته بقسنطينة ،شغل خطة مترجم محلف، كلف سنة 1900، بمهمة لفائدة وزارة المستعمرات الفرنسبية ، طلب من وزارة

أما في مصر فقد قام بنشر العديد من المقالات ذات الطابع السياسي في الصحف المصرية، عالج فيها الوضع المأساوي الذي تعيشه الأمة الإسلامية.

وقد يضاهي كره " الخالدي" للإستعمار بصفة عامة والفرنسي بصفة خاصة تعاطفه مع العثمانيين وتمسكه بفكرة الخلافة الإسلامية، وهو ما يفصح عنه في مقاله المعنون ب" الإسلام" حيث يرى أن سياسة الدول الكبرى الأوروبية لا تهدف إلا لتفرقة المسلمين وبالتالي إضعافهم دينيا ودنيويا، مشيرا إلى أنه ليس هناك من عدو للإسلام والمسلمين سوى فرنسا وبريطانيا اللتان تستغلان قوتهما ونفوذهما السياسي والعسكري لإنتزاع الخلافة من الباب العالي وحصرها في أمير أو سلطان عربي يكون أداة طيعة في أيديهما تفعلان به ما تريدان.... ولا يرى من حل للمسلمين للخروج من المأزق الذي يتخبطون فيه سوى النهوض من سباتهم العميق والوقوف كرجل واحد ضد المحتلين الغاصبين"[1].

وتأثرا بفكرة الجامعة الإسلامية يرى "صالح بن عمار" أنه لا محال لتقدم المسلمين أو لإنتعاشهم حضاريا وثقافيا وإقتصاديا إلا في الإبتعاد عن الحزازات الهامشية وتوحيد صفوفهم ماديا ومعنويا.

ويسجل التاريخ ل"صالح بن عمار" أيضا موقفه من "نجيب عازوري"[2] عند الذي عندما أصدر كتابه " يقظة الأمة العربية " سنة 1905م، والذي طرح فيه مجموعة من الأفكار المتعلقة بالقومية العربية وموقفه من الخلافة

الشؤون الخارجية الفرنسية تعيينه في مركز بالمشرق ، قام مرة أخرى بانجاز مهمة لفائدة وزارة المستعمرات بإنجاز مهمة أولى في تمبكتو وثانية في موريطانيا، وبعودته سنة 1903، قدم إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، دراسة حول الإسلام من الوجهة السياسية، ثم أستدعي يوم 24-06-1903، من طرف الوزارة المذكورة، ليكلف بمهمة سرية ثلاث سنوات، وفي الثناء حدثت بالجنوب الوهراني أحداث حصل على إثرها سوء تفاهم مع الحكومة العامة بالجزائر، فحكم على الخالدي بخمسة عشر يوما سجنا وخطية بخمسين فرنكا من طرف المحكمة الردعية في الجزائر في وقت تنكرت له فيه وزارة الخارجية ، ولعل ذلك ما يجعله يُمضي دائما ما ينشره بإسمه مصحوبا بعبارة" مكلف سابقا بمهمة لدى وزارة المستعمرات والشؤون الخارجية، غادر الخالدى الجزائر إلى تونس ، ثم إلى مصر ، ثم انتقل الخالدي على المغرب سنة 1906، وسعي في طنجة إلى تأسيس جريدة مناهضة للإستعمار، وذلك في نفس الوقت الذي كان يعقد فيه إجتماعات مع الوطنيين المغاربة يحرضهم خلالها على الثورة، وأتصل مع السيد كيسمناس، الذي يدير صحيفة " إفريقيا إسبانيولا" المعادية للاستعمار، أنظر ، عمار هلال ، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار ..،المرجع السابق. وكذلك : التليلي لعجيلي، صدى حركة الجامعة...، مرجع سابق ،ص135-136، أنظر الهامش.

[1] - عمار هلال ، "مساهمة الخالدي ،المرجع السابق،ص ص 152-153.

[2] - نجيب عازوري : ولد في عازور ، قرية في جنوب لبنان، تلقى علومه الإبتدائية والثانوية في مدرسة الفرير في بيروت، ثم تابع تحصيله العالي في باريس، تبوأ بمساندة الأخوين ملحمة عضوي مجلس " المبعوثان" والبطريرك حايك ، منصب مساعد حاكم القدس مابين 1898- 1904، أين إعتزل المنصب وتفرغ للنشاط السياسي، أصدر في باريس مجلة " الإستقلال العربي"(L'indepandance Arabe)، بالفرنسية مابين مارس 1907- جوان 1908، لعل أكبر دور لعبه العازوري هو تأسيس حزب قومي عربي سماه،حزب" جامعة الوطن العربي"، وأغلب الضن أن تأسيس هذا الجزب تم في سنة 1904، مما حمل الدولة العثمانية للحكم عليه بالاعدام، وقد لخص مبادئ هذا الجزب، النداء القومي المشهور الذي انعقد بباريس سنة 1905م.

العثمانية والتي من بينها قول العازوري :" **أن على الأمة العربية أن تستقل عن الأتراك...فالترك في نظره هم الذين سببوا خراب العرب، ولولاهم لكان العرب في عداد أكثر الأمم تمدنا في العالم، فالعرب يتفوقون على الأتراك في كل شيئ حتى في الجندية... ولم يكن يتوقع أن تصطلح الأمبراطورية أو أن تمنح العرب مركزا أفضل...فعلى العرب و الأكراد والأرمن أن ينفصلوا عن الإمبراطورية حتى تتقوض وتنهار...**

ويكتفى "العازوري" برسم الخطوط الكبرى للدولة العربية المستقلة[1].فهي يجب أن تكون سلطنة دستورية ليبرالية ، يرأسها سلطان مسلم عربي، على أن يحترم إستقلال لبنان ونجد واليمن...[2]

لقد كانت آراء "عازوري" محل إنتقاد لاذع ومناهضة شديدة من طرف "خوالدية صالح"وقد جاء إحتجاجه على إثر مقال بعنوان " الثورة العربية" لمراسل جريدة (La Dépèche Tunisienne) ببيروت نشرته في عددها الصادر يوم (21 سبتمبر 1905م)،حيث جاء إحتجاج "خوالدية" متهما صراحة "نجيب عازوري" بالعمالة لبريطانيا، والتحرك لصالحها مصرحا علنا بأن مقر " اللجنة العربية" يوجد في وزارة الخارجية البريطانية(The Foreign Office) ومؤكدا أن الفكرة المحورية لعازوري- في كل ما ينشره وما يصدره – هي مناهضة سلطان تركيا في لقب أمير المؤمنين، متسائلا عن حق عازوري وهو على حد قوله- المسيحي – في التدخل في مسألة شائكة وخاصة جدا بالمسلمين دون سواهم، إذ من حق علمائهم فقط تقرير هل أن الخلافة من حق الأتراك أم لا، وهل أن أمير المؤمنين الحالي أهل للمنصب الذي يشغله أم لا، كما لهم وحدهم وليس للسياسيين الغربيين تقرير إمكانية تغييره أم لا.

ثم أهاب "خوالدية صالح" في نهاية إحتجاجه بإخوانه من سكان تونس والجزائر والمغرب والهند وفي كل البلدان الإسلامية أن لا يغتروا بدعاية "اللجنة العربية" التي يمثلها "نجيب عازوري" والتي إتخذتُ- على حد قول الخالدي-

---

من أبرز مؤلفاته ، كتاب " يقظة العرب" الذي ألفه سنة 1905، وكتاب " الوطن العربي :دراسة معمقة للوضع الراهن ودراسة مستقبل الأقطار العربية ، توفي عازوري ، سنة 1916م ،أنظر : نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية ، تعريب وتقديم ، أحمد بوم لحم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر = =بيروت ، (د ت)،ص ص ،17-12، أما النص النسخة الأصلية باللغة الفرنسية : Negib, AZoury, Le réveil de la Nation Arabe dans l'Asie Turque,Paris,Librairie Plon,(S D),disponible sur le site -http://menadoc.bibliothek.uni-halle.de/ssg/content/pageview/380198.

[1] - يرى عازوري أن حدود الأمة العربية تشمل جميع البلدان الناطقة بالضاد في آسيا، دون بلدان مصر وشمالي إفريقيا التي كانت واقعة خارج نطاق إهتمامه كقومي عربي، فمصر لم تكن في نظره عربية بكامل معنى الكلمة..، أنظر: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939، (تر) : كريم عزقول، دار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان ،(د ت)،ص 332.

[2] - ألبرت حوراني، نفسه ،ص333.

كل الإجراءات لمحاربتها، لأن مبادئها ستؤدي بالمسلمين – في صورة الإنسياق ورائها – إلى سقوطهم في هاوية سحيقة...[1]

و في ذلك تتضح المناهضة الشديدة في دول شمال إفريقيا للأطروحات القومية في حينه التي أُعتبرت لا غاية من ورائها، ويجد ذلك التباين في وجهات النظر بين المشارقة والمغاربة في الولاء للدولة العثمانية مبرراته في إختلاف ولاء كل منهما للخلافة، فالمغاربة كانوا ضحايا للسياسة الإستعمارية الفرنسية في حين شكل الوجود التركي بالنسبة لهم في الفترة الحديثة من تاريخ بلادهم- بإستثناء المغرب – فترة مضيئة ظلت عالقة في أذهانهم خلافا لأهل المشرق الذين كان أغلبهم يشعرون بأنهم ضحايا التعسف المباشر للتسلط العثماني وقمع ولاته وسلاطينه، فعملوا على مناهضته والثورة عليه،شأنهم في ذلك شأن المغاربة تجاه الإستعمار الفرنسي.

غير أن الاستعمار كان شديد المراقبة لحركات "خوالدية صالح" فألقى البوليس الفرنسي القبض عليه بتاريخ (06 أوت 1906م) أين تم نقله إلى وهران حيث سجن لمدة سنة، ثم حكم عليه بالنفي فأختار مدينة دمشق.

3–ف :أحمد توفيق المدني "من لجنة الخلافة إلى مجلس الخلافة" :

عُرف عن "أحمد توفيق المدني" تتبعه الدقيق لقضية الخلافة وتطوراتها، سواء عبر كتابته للعديد من المقالات التي أبرز من خلالها مواقفه من قضية الخلافة وما يتبعها أو من خلال إنخراطه في عدد من الجمعيات والنشاطات المرتبطة بحركة الجامعة الإسلامية والخلافة الإسلامية ، فقد كتب على سبيل المثال، مقالا بعنوان "الخلافة العظمى" في جريدة "الإتحاد" بتاريخ (16 نوفمبر 1922م) و"مبايعة الخليفة" بتاريخ (1ديسمبر 1922م) و"الخلافة الإسلامية"بتاريخ(24 مارس 1924م)، في جريدة "الزهراء"، وقد عرف عن المدني دفاعه المستميت عن فكرة الجامعة الإسلامية ومؤسسة الخلافة معتبرا أنهما عكس ما يروج له أعداءهما صورة ورمز للتحضر الإسلامي ، فكتب سنة(1923م):" **لا يريد المسلمون الجامعة الإسلامية، لإتخاذها آلة حرب وخراب ، وتدمير، بل يريدونها... لتكون لهم وسيلة تعارف وإتصال ورقي وعمران، يريدون جامعة إسلامية أخلاقية توطد دعائم الإتحاد و التآلف بين المسلمين حول مركز الخلافة.."**[2].

[1] - التليلي لعجيلي ، صدى...، مرجع سابق ،ص116.
[2] - محمد ناصر ، المقالة الصحفية، (ج2)، مرجع سابق ،ص173.

وكما هو معرف فقد إرتبط "أحمد توفيق المدني" من خلال نشاطه في الحزب الدستوري التونسي بلجنة الخلافة الإسلامية في الأستانة " وكانت المراسلات تجري بينه وبينها عن طريق "لجنة الخلافة"[1] التي أسسها بهدف إحياء الخلافة الإسلامية بمعية مجموعة من النشطاء التونسيين المؤيدين لتوجهه ذلك ، نذكر منهم "محي الدين القليبي" ، "محمد معلي"، "عثمان الكعاك" ، "الحبيب مزيو...."[2]، وقد راسل عن طريق هذه اللجنة الخليفة العثماني "السلطان عبد المجيد" الذي رد على رسالة التأييد التي بعثها له المدني في (نوفمبر1923م)بمناسبة عيد الأضحى لتلك السنة، والتى حملت التهاني و التبريكات بتلك المناسبة" متمنية له وللعالم الإسلامي، عمرا مديدا في عصر سعيد، وللعالم الإسلامي السعادة والرفاهية وهو متحد حول الخليفة عبد المجيد الثاني" أما رد السلطان فقد نشرت نصه جريدة (العصر الجديد)، بتاريخ (8ديسمبر 1923م) ، جاء فيه على لسان الخليفة بقلم كاتب ديوان الخلافة نوري باشا :" **رئيس لجنة الخلافة السيد "أحمد توفيق المدني"، لقد عرضت على مقام حضرة الخليفة برقيتكم رقيمة (12 نوفمبر) المتضمنة تهاني التونسيين لحضرته العلية بمناسبة مرور سنة على إنتخاب جلالته لتولي مقام الخلافة الإسلامية المعلى، فنالت أكبر حظوة في نظر جلالته وإبتهل بأحر الدعوات لرفاهية العالم الإسلامي وسعادته"**[3].

وعند إلغاء الخلافة عبر المدني كغيره من المفكرين الإصلاحيين عن إنزعاجه وقلقه، فراسل " حسن راغب" ممثل تركيا بباريس ليعبر له عن إحتجاجه عما يقوم به الكماليون ، وكيف أن ذلك سينعكس سلبا على علاقات تركيا مع العالم الإسلامي قائلا :" **إن هذا القرار.. قد أحدث في المملكة التونسية تأثيرا عميقا وأليما جدا لذلك فلجنتنا... تحتج أشد الإحتجاج على هذا القرار الذي يمزق الروابط التي مرت عليها القرون...إن هذا العمل المشؤوم الصادر عن قلة تبصر من المجلس التركي، بعدما نكث عهده الذي إلتزم به، عندما نصب على عرش الخلافة جلالة الخليفة عبد المجيد وتعهده صراحة بحماية الخليفة والخلافة. قد إفتقدتم المنزلة التي كانت لكم في قلوب المسلمين...إننا نسألكم أن تبلغوا حكومتكم هذا الإحتجاج العلني وقلوبنا دامية، من هذه القرارات التي تعتبر رزية كبرى، مادية وأدبية، سواء لتركيا أو للعالم الإسلامي..**".

[1] - تأسست في أنحاء العالم جمعيات مماثلة تناصر الخلافة والخليفة، نذكر على سبيل المثال :الجمعية الهندية برئاسة الأخوين شوكت علي ومحمد علي، ولجنة مصر برئاسة يوسف الدحوي وجمعية دمشق برئاسة الأمير سعيد الجزائري.

[2] - المدني ، حياة كفاح ،(ج1)، مصدر سابق ،ص326.

[3] - "رسالة بين تونس وجلالة الخليفة الأعظم"، جريدة **العصر الجديد** ،8ديسمبر 1923، نقلا عن ، يوسف مناصرية ، الحزب الدستوري ،ص213.

وقد دعا المدني عند إنسداد قضية الخلافة إلى عقد مؤتمر إسلامي تحت رئاسة الخليفة نفسه في إستانبول للنظر في حقوق وواجبات الخليفة. ومن خلال "لجنة الخلافة" في تونس شرع في مراسلة "الخليفة عبد المجيد".[1] وعرض عليه فكرة أن يؤسس مجلس للخلافة يضم خمسين عالما من أنحاء العالم الإسلامي تحت رئاسة الخليفة، مهمته دراسة قضايا المسلمين ومشاكلهم و الملاحظ هو إستمرار العلاقات الودية بين "توفيق المدني" والخليفة في شكل مراسلات مناسباتية حتى بعد تنحية هذا الأخير[2]،وقد كانت للمدني مواقف كثيرة مرتبطة بالدفاع عن الخلافة ومركزها فقد ألصق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس وهي نسخ لأناشيد "الشاذلي خزنه دار"[3] كما إستحوذت مصالح الرقابة الفرنسية في بيته على صور للقيصر الألماني" غليوم الثاني" وشخصيات عثمانية ومقالات إنتقادية للإدارة الفرنسية.

وقد عمدت السلطات الإستعمارية منذ البداية على كبت نشاطه الوطني أو المرتبط بدار الخلافة ، فقد سجن في(فيفري 1915م)بعد إتهامه بالقيام بعمل دعائي لصالح الدولة العثمانية حينما إتصل بخاله"محمد بوزار"[4] بالأستانة، وقد كتب العديد من المواضيع الانتقادية في جريدة" الفاروق" يوم(16 ديسمبر 1914م) بعنوان " بين لجج الهواجس"[5]

كما ذكر أحمد توفيق المدني في مذكراته أن سجنه خلال الحرب العالمية الأولى كان بسبب تلبيته لنداء الجهاد الذي أعلنه الخليفة العثماني في بداية الحرب، فقد حاول تنظيم إنتفاضة مغاربية ضد فرنسا بالتنسيق مع جماعة من

---

[1] - يوسف مناصرية ، الحزب الدستوري ،المرجع السابق ،ص326.

[2] - أحمد توفيق المدني ،حياة كفاح ..، المصدر السابق،ص324-325.

[3] - الشاذلي خزنه دار : وله العديد من الرسائل المتبادلة مع أحمد توفيق المدني جاء في إحداها:

أيا تأملت في الأجزاء من بدنـــــي**** شاهدت فيها تجـــلي أحمد المدني

بين الشرايين في الأحشاء في كبدي**** في القلب في ضي العينين في الأذن

قل ليس بالسهل تقدير مكانـــ ة من **** عنوان حبه تكـــــريم إلى وطني

ثم يبرز فيه جهود المدني الوحدوية فيقول :

يرى الأخوة بين الكل جامعـــــــة**** والحق منبـــــــع بالرغم إن يبن

لا فرق بين العراقي وابن مغربه **** وابن الكنانة والشامي واليمني

للإطلاع على هاته الرسائل بنسخها الأصلية ، أنظر الموقع التالي :

http://elmadani.org/Documents/Correspondances/Destouriens/Khaznadar/Khaznadar033.jpg ، تاريخ الدخول :2015-06-23 على الساعة :10.05

[4] - جزائري من أصل تركي ،هاجر أبوه عمر لتونس ، ثم لإسطمبول بعد 1909م ، أنظر :أكمل الدين احسن أوغلي،" هذا ما حدثني به المدني"،صفحات مجهولة من حياة المغفور له الأستاذ أحمد توفيق المدني، **مجلة التاريخ**، ع18، النصف الأول 1985، الجزائر ،ص 36-37.

[5] - أحمد توفيق المدني ،"حياة كفاح"مذكرات، المصدر السابق،ص ص 90-91.

التونسيين من بينهم " صادق الزمرلي" وإتصلوا بأحد زعماء قبائل "بني زيد" بالجنوب التونسي وبالطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، بهدف مهاجمة الثكنات الفرنسية التي بها أسرى ألمان، وقد كانوا على إتصال بالقائد التركي"نوري باشا" الوجود في منطقة (نالوت) بليبيا، لكن مخططهم اكتشف في(فيفري 1915م)[1].

5-4:موقف النخبة الإندماجية من أتاتورك وقضية الخلافة:

بعد أن أصبح العالم الإسلامي منذ (1908م) ساحة لنشاط الكثير من التنظيمات السياسية والتي من أبرزها جمعية "الإتحاد والترقي" في تركيا وحركة "مصطفى كامل" في مصر ،وحركة "الشبان التونسيين" بتونس ، إضافة إلى ما أحدثه الإحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب سنة (1911م) من حراك ثقافي وسياسي في الجزائر ولدى مختلف النخب بما فيه النخبة التغريبية.

جاء هذا الحدث ليشكل ظرفا مناسبا لبروز النخبة الجزائرية ومعروف أن بعض الكتاب الفرنسيين المؤرخين لظهور النخبة الجزائرية أمثال " أندرييه سرفييه A.Servier " يرون بتأخر ظهور الحركة الوطنية الجزائرية عن غيرها من البلاد العربية خاصة تونس ومصر ويدعون أن السبب الرئيسي في ذلك هو بعد الجزائر عن التأثر بالتيارات القادمة من المشرق العربي سواء الاصلاحية أو القومية منها[2].

وفي ظل هذه التطورات الداخلية والخارجية البارزة بدأت النخبة الجزائرية تبحث لها عن دور سياسي أسوة بالوطنيين في كل من تركيا ومصر وتونس ،خاصة "جمعية الاتحاد والترقي" وما تسجله من إنتصارات داخلية وخارجية وما تحمله من مشروع حداثي في نظر هؤلاء ،ونجد أن "الشريف بن حبيلس" يؤكد فعليا على وجود تأثير لتركيا ونخبتها الإتحادية في أوساط النخبة الجزائرية على الأقل على مستوى التوجهات نحن التأثر بالغرب وربط مفهوم الحداثة والتطور بضرورة التخلص من العامل الديني ضمن مشكلات الدولة العصرية ،لكنه ينفى عن هاته النخبة تهمة الطموحات الإستقلالية والرغبة في التخلص من فرنسا،عكس ما قام به " مصطفى كمال أتاتورك" من حروب لتحرير بلاده، وهنا تكمن المفارقة والإختلاف بين النموذجين، فهو يقول مدافعا عن كتلته من الحداثيين والتغريبيين في الجزائر :" **إن من تسمونهم في ورقتكم بتاريخ(20 جانفي) " العمائم الشابة" أو " الأتراك الشباب" أناس لا علم لنا بهم.فأما نحن فإننا ببساطة شباب فرنسي مسلم ولا نريد غير ذلك"**[3]

---

[1] - أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق ،ص84-105.

[2] - للدكتور أبو القاسم سعد الله رأي مميز في ذلك يعيد نشأة الحركة الوطنية والنضال السياسي لدى الجزائريين لحمدان خوجة في بداية الاحتلال وأن إبن العنابي هو رائد التجديد الاسلامي.

[3] - cherif, Ben habyles,l'Algérie Francaise vue …,Op.cit,p107.

وفي ظل بروزه المؤثر على الساحة العثمانية والأوروبية نال "كمال أتاتورك" إعجاب الكثير من أبناء النخبة الإندماجية التي رأت في التجربة الكمالية نموذجا يجب أن يحتذى به خاصة توجهها اللائكي[1]،وقد كان تأثر الشبان الجزائريين واضحا بحركة الإتحاد والترقي التركية وحركة الشباب التونسيين على عدة أصعدة كإنشاء النوادي والجمعيات والنشاط الصحفي،خاصة وأن بعض النشطاء من الشباب التونسي كانوا ذوي أصول جزائرية ك"الشيخ عبد العزيز الثعالبي" والشاب "حسن قلاتي"[2].

ويرجح أن النخبة الجزائرية لم تكن مطلعة على الصراع الذي كان يدور بين "مصطفى كمال أتاتورك" والخليفة في بداية الأمر،وأن ما جذبها إليه هو تلك الإنتصارات التي كان يحرزها أتاتورك ضد جيوش الدول الأوروبية المعادية،وعليه فإن النخبة الجزائرية بكل توجهاتها لم تجد في هاته المرحلة تناقضا بين الوفاء للخلافة الاسلامية والاعجاب بأتاتورك .

وبينما غير المحافظون ذلك الإعجاب شيئا فشيئا إلى نقمة على الكماليين بعد قرارتهم المضادة للشريعة الإسلامية وعلى رأسها إلغاء الخلافة ، فإن هذا الإعجاب ظل متواصلا لدى النخبة الإندماجية حتى بعد قيام "أتاتورك" بإلغاء الخلافة سنة (1924م) .

وقد وجدت النخبة التغريبية في الحرب العالمية الأولى(1914-1918م) وما صحبها من تطورات لاسيما بعد تنقل الجزائريين لأوروبا تحت عدة مبررات وإطلاعهم على مظاهر جديدة للحضارة الغربية ، أن هذه الحرب كانت مجالا لظهور نماذج جديدة بدأت تواجه الدول الأوروربية التقليدية بنجاح ومنهم الأتراك، ولا ننسى كيف أن أحد أهم نتائج الحرب العالمية الأولى هو زوال تلك الإمبراطوريات التقليدية و تكريس مفهوم الدولة القومية الحديثة وهو ما قام به الأتراك بقيادة مصطفى كمال أتاتورك ،لكن النخبة الجزائرية لم تنفتح على هذا الخيار المتمثل في إقامة دولتهم القومية بل عجزوا حتى عن تصور ذلك خارج الحُضن الفرنسي.

[1] -Ferhat Abbas,"islam en deuil le plus garand musulman des temps present meurt a Constantinople",**l'entente France musulmane**,(N97),17 nov 1938.

[2] - خمري الجمعي ،حركة الشبان الجزائريين والتونسيين1900-1930 دراسة تاريخية وسياسية مقارنة ،أطروحة دكتوراه،جامعة منتوري،قسنطينة،2002-2003 ،ص148.

أما بالنسبة لواحد من أبرز رجالات هذه النخبة المفرنسة ، وهو "فرحات عباس"[1] فنجد أنه قد سجل في كتابه(الشاب الجزائري) هذا الإعجاب بكمال أتاتورك حتى صنفه من الذين سيحتفظ التاريخ بذكرهم على الأبد

[1] - فرحات عباس مكي : ولد فرحات عباس مكي يوم الخميس 24 أوت 1899 بدوار الشحنة الواقعة بمنطقة بني عافر الجبلية وهي منطقة فقيرة ومعزولة، تابعة إداريا لبلدية الطاهير المختلطة بولاية جيجل بالجزائر.

والده سعيد بن احمد عباس وأمه معزة مسعودة بنت علي ، وهم من وسط فلاحي متوسط الحال ونستدل في ذلك عند رجوعنا إلى مصنف فرحات عباس ليل الاستعمار حيث يتحدث عن طفولته قائلا : " إنني من سلالة فلاحية لئن كان أبي وأخواتي موظفين فقد وقع ذلك عرضا في حياتهم، لقد ترعرعت وسط فلاحي أولائك الفلاحين الذين لا ينال الفقر من شجاعتهم ولا من أنفتهم ، نشأت في دوار وضيع من بلدية متوحشة جرداء أين قضيت طفولتي كلها وأنا في نعومة أظافري في وسط مجتمع وضيع وساذج لكنه كريم"، زاول فرحات عباس تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، والثانوي في مدينة سكيكدة، وقام بالخدمة العسكرية فيما بين عامي 1921 و1923 ، ثم انتقل للعاصمة لإكمال تعليمه الجامعي وتخرج بشهادة عليا في الصيدلة عام1931 ، فتح صيدلية في سطيف سنة 1932. و كان خلال فترته الطلابية نشطا حيث ترأس جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بالجزائر من 1927 إلى 1931 بعد أن كان نائب رئيس الحمعية بين عامي 1927-1926 .

كان قريبا من حركة الشبان الجزائريين التي تكونت عام 1908 وفي عام 1930 أصدر مجموعة مقالاته الصحفية في كتيب عنوانه "الشاب الجزائري" وفيه عبر عن أفكاره الإصلاحية و التجديدية. تميزفرحات عباس بثقافته الفرنسية ولم يتحدث العربية قط.

عرف فرحات عباس بانفتاحه السياسي والفكري، حيث تحول خلال حياته السياسية التي تمتد على أكثر من ثلاثين سنة، من فكرة الاندماج إلى الفكرة الاستقلالية، ومن الإصلاحية إلى الثورية،

ففي عام 1936 كتب في جريدة الوفاق الفرنسية مقالا شهيرا تحت عنوان 'فرنسا هي أنا'، أكد فيه دعوته إلى الاندماج مع فرنسا، مستنكرا وجود الأمة الجزائرية، حيث قال: "لو كنت قد اكتشفت أمة جزائرية لكنت وطنيا ولم أخجل من جريمتي، فلن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن غير موجود، لقد بحثت عنه في التاريخ فلم أجده وسألت عنه الأحياء والأموات وزرت المقابر دون جدوى."

وكان قبل ذلك قد انضم إلى فيدرالية النواب المسلمين الجزائريين التي أسسها الدكتور بن جلول عام 1930 والتي كانت تهدف إلى جعل الجزائر مقاطعة فرنسية .

خلال الحرب العالمية الثانية و دخول الجيش الأمريكي الجزائر في 8 نوفمبر .1942 إتصل فرحات عباس بروبرت ميرفي، المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت إلى شمال أفريقيا ليطلب منه تقرير مصير المنطقة بعد الحرب.

في 20 نوفمبر1942 ، أرسل فرحات عباس ومجموعة من الجزائريين برسالة إلى قوات الحلفاء يرحبون بهم ويعرضون "باسم شعب الجزائر القيام بتضحيات بشرية ومادية، بشروط، لدعم الحلفاء حتى يتحقق النصر الكامل على دول المحور ."بتاريخ 22 ديسمبر 1942 وجه فرحات عباس رسالة إلى السلطات الفرنسية وإلى الحلفاء طالب فيها بإدخال إصلاحات جذرية على الأوضاع العامة التي يعيشها الشعب الجزائري، وصياغة دستور جديد للجزائر، ضمن الاتحاد الفرنسي،

أصدر في فيفري 1943 بيان الشعب الجزائري و أعلن في مارس 1944 عن تأسيس حزب حركة أحباب البيان والحرية، بهدف الدعاية لفكرة الأمة الجزائرية .

إثر مجازر 8 ماي 1945 حل حزبه وألقي القبض عليه ولم يطلق سراحه إلا في عام 1946 بعد صدور قانون العفو العام على المساجين السياسيين،

أسس بعد ذلك حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأصدر نداء أدان فيه بشدة ما اقترفته فرنسا من مجازر رهيبة في 8 ماي 1945، وعبّر فيه عن أهداف ومبادئ حزبه التي لخصها في " تكوين دولة جزائرية مستقلة داخل الاتحاد.

بعد أن اندلعت الثورة الجزائرية في 1 نوفمبر1954 ، كتب فرحات عباس في صحيفة الجمهورية العدد 46 بتاريخ 12 نوفمبر" :1954 إن موقفنا واضح ومن دون أي التباس. إننا سنبقي مقتنعين بأن العنف لا يساوي شيئا". ولكنه ما لبث أن غير موقفه تماما،إذ قام في أفريل 1956 بحل حزبه وانضم إلى صفوف حزب جبهة التحرير الوطني وكان قبل ذلك قد توجه إلى القاهرة ليلتقي بقادة الثورة ومن بينهم أحمد بن بلة،وفي صائفة 1956 قام بجولة دعائية للثورة الجزائرية في أقطار أمريكا اللاتينية كما زار عدة عواصم عالمية أخرى، من بينها بيكين وموسكو عام.1960

=بعد مؤتمر الصومام عين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وقاد وفد الجزائر في مؤتمر طنجة المنعقد بين 27 و30 أفريل 1958 الذي حضرته القيادات المغاربية،ثم عين رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 واستمر على رأسها إلى أوت 1961 ليحل محله بن يوسف بن خدة،بعد أن اشتدت خلافاته مع القيادة العامة لجيش التحرير . وبعد حصول الجزائر على استقلالها في 5 جويلية1962 ،

قائلا:" **إن التاريخ سوف يحتفظ بأسماء "مصطفى كمال"و"زغلول باشا" هذه الأسماء ستبقى في الذاكرة،ليس فقط بالنسبة للمسلمين في العالم ،بل بالنسبة إلى الشعوب التي تكافح من أجل حريتها**" ويعتقد "فرحات عباس" أن فكر "الشيخ محمد عبده" **يلمع في سماء العالم الإسلامي في المستقبل كنجم لامع كما أن "الملك ابن سعود" و"مصطفى كمال" قد وضعا الدعائم الأولى للمجتمع الإسلامي في المستقبل وهكذ –يقول عباس فرحات– يستيقظ الإسلام بعد سبات دام خمسة قرون.**[1]

لكن الملاحظ هو أن "فرحات عباس" وإن كان قد أبرز دور تلك الشخصيات في نهضة بلدانها و دفعها ليقظة الإسلام ،فإنه يترك المهمة في الجزائر لفرنسا وليس للشبان من أمثاله إذ يقول :"**إن العلاقة بين فرنسا والإسلام تُركت منذ قرون للصدفة،ولكنها اليوم أكثر من أي وقت مضى تحتاج على مذهب واضح يستلهم من الظروف المستجدة عن الإسلام المضطهد من جميع الأطراف،يشهد اليوم تحولا كبيرا وإن المسألة بالنسبة إليه هي قضية حياة أو موت ومن مصلحة فرنسا أن تأخذ في حسابها هذا التحول..**"[2]

غير أنه و رغم تأثر "فرحات عباس" ببعض زعماء الشرق في هذه المرحلة إلا أنه كان يأنف من ربط الجزائر بعالم الشرق و في كلمته" إلى "الماريشال بيتان" رئيس الدولة الفرنسية" واصل تأكيد إعجابه بأتاتورك ، و لكن ليس بنفس قدر إعجابه بفرنسا وعبقريتها قائلا :" **إن جيلنا قد إختار،إننا نريد أن نتقدم لأننا نؤمن بالتقدم وبالتقنية الحديثة وبالتقدم البشري(...)إننا أخيرا نريد أن نتقدم لأن لدينا الثقة في الشعب الفرنسي وفي عبقريته المبدعة.هل الإنجاز الذي حققه "كمال أتاتورك" في ظرف عشرة أعوام(...)هوفوق طاقة أمة عظيمة مثل فرنسا؟**[3]

انتظمت يوم 26 سبتمبر انتخابات المجلس الوطني، نجح فيها فرحات عباس، وانتخب رئيسا للمجلس غير أنه ما لبث أن قدم استقالته في 13 سبتمبر 1963 نتيجة خلافه مع بن بلة حول السياسة المتبعة، فأعفي من جبهة التحرير الوطني وسجن بأدرار بالجنوب الجزائري ولم يطلق سراحه إلا في شهر ماي1965 ،

إنسحب بعدها من الحياة السياسية،لكنه ما لبث أن أمضى في مارس 1976 على "نداء إلى الشعب الجزائري" منددا بالحكم الفردي و بالميثاق الوطني الذي صاغه هواري بومدين.وضع تحت الإقامة الجبرية إلى 13 جوان1978 ،توفي في 24 ديسمبر 1985 بالجزائر و دفن بمقبرة العالية ، أنظر:

عباس محمد الصغير ،فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية 1927-1963،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2006-2007،صص 2- 13 .

[1] -Ferhat,Abbass,le jeune Algérien (1931),d.Garnier,Paris,1981,p94.

[2] - Ibid,p94.

[3] - فرحات عباس ،الشاب الجزائري،(تر) : أحمد منور،سحب الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ،2007،ص158. أنظر الملحق (رقم 30).

ولم يتوان "فرحات عباس" في أن يرفع قلمه ليرد على مجلة إفريقيا اللاتينية (L'Afrique Latine) التي كان يديرها "لويس برتراند"(louis Bertrand)[1]، ليدافع عن النواب المسلمين الذين هوجموا من طرف المجلة" **لأنهم إغتبطوا لإنتصار الشعب التركي، الإنتصارالذي تحقق بعد تضحيات كبيرة ضد جشع الرأسمالية الأوروبية التي تأتي فرنسا–للأسف على رأسها"**[2]

أما أبو القاسم بن التهامي[3] فقد إعتبر أن " **سقوط الخلافة الإسلامية نتيجة حتمية لسياسة الخذلان التي تسلكها بعض الدول العربية الإسلامية مع الدولة العثمانية وحلا لامفر منه للخروج من الضغط الذي تواجهه تركيا من أعدائها المسيحيين الغربيين"**[4].

وهو الرأي نفسه الذي جاء على لسان "جلول شمس الدين" أحد كتاب النخبة المتفرنسون في جريدة "التقدم" أين دافع عن الخيار الكمالي بإلغاء الخلافة وثمنه قائلا :"...**رأوا من الواجب أن يعدلوا على تلك السياسة العقيمة التي أوردتهم مورد التهلكة ،وكادت توقد نار الفتنة وتقضي على وحدتهم بالإنحلال وعلى مملكتهم بالإنصهار، ويبطلوا هذا الخليفة الذي لم يفدهم بشيئ، ولم يغنموا منه إلا مناصبة الأعداء، وتتابع الأرزاء، فأخرجوه من بلادهم، وسمحوا له بالذهاب لأي موضع يختار بعدما عينوا له إعانة سنوية كافية له ولعائلته، وكأن لسان حالهم يقول :هذا خليفتكم وقد أصبح بلا مقر ولا مأوى فأحموه ، ويكفي أننا حميناه مدة تزيد**

---

[1] - لويس برتراند :(1866-1941م)، روائي وكاتب فرنسي، عاش في الجزائر مابين 1891-1900، أين تحصل على دكتوراه في الآداب سنة 1897م ،يعد الأب الروحي لتيار "الأدب الكولونيالي المتجزئر"le mouvement algérianiste" الذي يعمل على تأكيد مكانة الجزائر الفرنسية من خلال التعبير الأدبي، تميز بأدبي عنصري واضح يحتقر العنصر المحلي، فيما يدافع بحماسة عن إيديولوجيا الإستعمار الفرنسي في الجزائر. أنظر : أوهاب حكيمة ،صورة الجزائري في أدب المتجزئرين - لويس برتراند أنموذجا ،مذكرة للحصول على شهادة الماجستير في الأدب الجزائري ،كلية الأدب العربي ،جامعة الجزائر2 الدكتور أبو القاسم سعد الله،2013،صص 10-22.

[2] - Ferhat Abbas,Le jeune…. ,Op.cit,1981,p14.

[3] - ولد أبو القاسم بن التهامي في 20 سبتمبر 1873 بمدينة مستغانم تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ، والثانوي بالجزائر العاصمة، بعد حصوله على شهادة البكالوريا انتقل إلى مونبيلييه بفرنسا وسجل في كلية الطب وأختار تخصص طب العيون . بعد تخرجه عاد إلى الجزائر و عين طبيبا مسؤولا على عيادة طب العيون بكلية الطب بجامعة الجزائر. وبرز بدوره العلمي في نشر عدة مقالات علمية. إضافة إلى نشاطه الاجتماعي في مساعدة الفقراء والمرضى في الجزائر العاصمة .

ظهر نشاطه السياسي مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى إذ تزعم حركة الشباب الجزائري، كان من المطالبين بالإدماج ضمانا للمزيد من الحقوق السياسية للجزائريين إلى جانب السماح لهم بالتجنيد في الجيش الفرنسي .

ترشح بن التهامي إلى الانتخابات البلدية بالجزائر العاصمة وفاز بعضوية المجلس البلدي، ودخل في خلاف وخصومه مع المعمرين الرافضين لمطالب الإدماج، كما اختلف مع الأمير خالد حول كيفية الحصول على الجنسية الفرنسية بعد نفي الأمير خالد سنة 1923، و أصدر جريدة " التقدّم " للدفاع عن فكرة الاندماج و ظل يكتب مقالاته المعبرة عن الفكر الإدماجي إلى غاية 1931 تاريخ انسحابه من النشاط السياسي .

سنة 1936 أيّد مطالب المؤتمر الإسلامي. و قدّم عدة محاضرات في نادي الترقي بالعاصمة، وترشح من جديد في الانتخابات البلدية وصار مرة أخرى عضوا في المجلس البدي لمدينة الجزائر إلى أن توفي في جوان 1937.

[4] - إبن التهامي، "سقوط الخلافة"، **التقدم**،ع19، 15 مارس 1924م،نقلا عن ، محمد ناصر ،المرجع السابق ،ص182.

عن الستة قرون، ولما رأينا عيون الطمع الحادة شاخصة الينا، وأسنة الضرر محدقة بنا ،إستقلنا من ذلك المنصب الجليل ورددناه لكم أيها المسلمون البالغ عددكم الثلاثمئة مليون..."[1].

أما المدرسون من أصل أهلي الذين إنتظموا في جمعية منذ(1922م) فقد ذهبوا في إعجابهم بتركيا الكمالية أبعد من ذلك، فهذا أحد كتاب "صوت المستضعفين" (la voix du humbles)، يعتبر أن الدين يشكل عائقا أمام تحررهم ويعطي مثالا على ذلك تركيا.ففي رأيه أن تركيا السلاطين والأشراف والأرستقراطية الدينية الإقطاعية لم تُعرف إلا بإسم الرجل المريض.لكن بعد أن تم القضاء على مختلف هذه الأشكال وتمكن الشعب التركي الحر من تقرير مصيره، فإن تركيا الحديثة بالرغم من قصر عمرها والحروب اللامتناهية التي عرفتها فهي تظهر كدولة قوية وتطالب بمكانتها بين الأمم"[2]

وبنفس الإعجاب يشيد "الربيع زناتي" بالمجهودات التي بذلها الشعب التركي تحت قيادة "مصطفى كمال" :فالحركة التركية هي نتيجة لعمل شغوف لرجال لم يريدوا أن يموتوا ورفضوا أن يجردوا من شخصيتهم الذاتية".

ويعلن "الزناتي" عن إعجابه بما قدمته تركيا الثورة للمراة المسلمة:"من بين المميزات الرئيسة للثورة التركية هو تحرير المرأة المسلمة" ومن بين الأمور التي أستهوته في الوضعية الجديدة للمرأة التركية هي المساواة بين الجنسين، فقد منع تعدد الزوجات وأصبح الطلاق من حق الزوجين، ويتأسف الزناتي على أن هذه التحولات لم تمس سوى المرأة التركية، وكان يتمنى هذا التحديث في إطار الاسلام حتى تقتدي به بقية الشعوب الاسلامية الأخرى، ففي رأيه تركيا لم تكن في حاجة إلى القانون السويسري فالقرآن بإستطاعته تلبية رغبات الشعب التركي في التحرر لو تم الإعتماد عليه، وذلك من شأنه أن يدفع بقية الشعوب السلامية إلى مجاراة حركة الأتراك.[3]

لكن كيف نسي هؤلاء أن يطلبوا من السلطات الفرنسية التي تكيل للمرأة الجزائرية وللشعب الجزائري أصناف الإهانة والإحتقار أن ترفع من شأنهم قليلا وأن تأخذ مما قام به " مصطفى كمال أتاتورك" لمجتمعه ولو القليل فتُنعم به على الجزائريين.

---

[1] - جلول شمس الدين ،"سياسة فرق تسد ونتيجتها" ، **التقدم** ،ع1،22 مارس 1924م.، نقلا عن ، محمد ناصر ، المقالة الصحفية ،(ج1)، مرجع سابق ،ص182.

[2] - la voix des humbles,(N55), dec 1927". " نقلا عن أحمد صاري،" شخصيات وقضاي..." ص70.

[3] - la voix des humbles,(N66), nov 1928."نقلا عن أحمد صاري ، المرجع السابق ،ص70.

5-5 :الخلافة وأتاتورك لدى بعض رموز الوطنية والفكر الآخرين :

5-أ : مصالي الحاج "تركيا العين الوحيدة التي بقيت لنا" :

تفتق وعي "مصالي الحاج" على يد والده عند صغره في مدينة "تلمسان" وكيف أن والده كان أول من فجر لديه ذلك الشعور الوطني عندما كان يخرج ليلا للحراسة، وعندما عاد إلى البيت سمعه يردد قائلا: "**عندما نفكر كيف أننا نحرس من سرقوا بلدنا"و عبر عن مدى ما أحدثه هذا النوع من التساؤلات من هوة بينه وبين المستعمر منذ صغره ، كما أن والده كان شديد الإعجاب بتركيا ويتميز بمتابعته لأبرز القضايا السياسية في وقته، فلم يخف إعجابه بالحركة السياسية التي كان يقودها "مصطفى كمال أتاتورك" في تركيا الحديثة وهو ما جعله يمطر إبنه بوابل من الأسئلة حول الموضوع حتى أن "مصالي الحاج" صار يتصور ويأمل في أن تكون هذه الحركة الأمل الأخير الذي يحرر العالم العربي – الاسلامي.**[1]

وعند كبره ونضجه لم يخف "مصالي الحاج" إعجابه بالشخصية القيادية "لمصطفى كمال" حيث نجده يصرح :" **فقد كنت مع رفاقي معجبين في الجرائد الملونة التي كنا نشتريها في فرنسا بالجنود الأتراك في زيهم الحربي وبصورة مصطفى كمال، كنا نقطع صورهم بفرح متزايد ونحملها فوقنا وكأنها حروز ."**[2]

ويضيف قائلا واصفا هذه الحالة من الإعجاب لدى الكثير من عامة الجزائريين قائلا:" **في كل العائلات ليس هناك كلام إلا على النجاح الذي أحرزه الأتراك ضد اليونان، كانوا يحملون في محافظهم صورة الأبطال الأتراك، "مصطفى كمال" و"عصمت باشا"، كان بعض المسافرين الراجعين من تونس ، يحكون أن هناك مظاهرات طافت بصور "مصطفى كمال"، وكان السكان يرُشون هذه الصور بالعطور ويلقون عليها الأزهار...كان التلمسانيون رجالا ونساءا وأطفالا، يتوسلون بدعواتهم إلى الله لصالح الأتراك الذي يكافحون من أجل تحرير بلادهم، ثم جاء إنتصار أسكشير الذي كان منتظرا كثيرا، فقد أدى إلى أفراح دامت عدة أيام."**[3]

لقد أحيت الحرب التركية – اليونانية لدى الجزائريين روحا من التضامن الشديد مع الأتراك، صاروا على إثرها يتألمون لألم الأتراك وهزائمهم ويبتهجون لأفراحهم وإنتصاراتهم، وقد أخذ هذا التضامن أشكالا عديدة ، من قراءة

[1] - Benjamin Stora, Messali Hadj 1898-1974,Hachette literatures,Paris,mars2004,p24.

[2] - مصالي الحاج ،مذكرات مصالي الحاج 1898-1938 ،(تر)محمد المعراجي، منشوراتANEP، الجزائر ، 2007،ص96.

[3] - المصدر السابق،ص100.

ومتابعة للصحف التي تغطي الأحداث ولو عبر الصحف التونسية التي كانت تهرب للجزائر أو من خلال الرسائل التي كان الجزائريون المقيمون في المشرق وتونس يرسلونها إلى ذويهم في الجزائر أو من خلال التداول الواضح لصور "كمال أتاتورك" لاسيما بين الشباب.[1]

ويذكر "مصالي"[2]، **أنه وبعد الإنتصارات التي حققها الأتراك سنة (1921م)، كان مع أصدقائه في أحد المقاهي يحتفلون، وإذا بمجموعة من الضباط الفرنسيين تدخل وتجلس، وبعد أن تساءل في قرارة نفسه عما إذا كانوا مخبرين وجواسيس ، صاح بصوت عال " يحيا كمال باشا"، مما ترتب عنه إستدعائه إلى محافظ الشرطة**[3].

أما تلمسان فيصفها بأنها قد إهتزت لإنتصارات أتاتورك ، محتفلة بالأفراح والصلوات والأناشيد والشعر والمدائح[4].فقد شدت أحداث الحرب العالمية الأولى ، لاسيما ما يتعلق بتركيا إهتمام الجزائريين وكثيرا ما كانوا يتساءلون عن موقفها في الحرب ويهتمون لأمرها إلى درجة الدعاء لها :" **اللهم إحفظها، إنها العين الوحيدة التي بقيت لنا كي نرى النور"،بل إن تعاطف الجزائريين مع الأتراك جعلهم يؤمنون بأن وضعهم المأساوي يرتبط بإهانة الله لهم المتأتية من عدم إطاعتهم لنداء الجهاد الذي أطلقه السلطان "محمد الخامس"، حتى وإن كانت تركيا في مركز إهتمامات الجزائرين، لدرجة تأثر بعضهم بأي خبر سيئ يحدث لتركيا، فإن أحدهم قد مات، عندما أعلنت الصحافة أن الحلفاء سيقومون بعملية إنزال في تركيا.**[5]

وعلى عكس ذلك إحتفل الجزائريون إبتهاجا بإنتصار الأتراك في معركة الدردنيل وكانوا يضحكون في الطريق ويقبلون بعضهم البعض وينظمون الولائم ويتابعون بشغف تلك الأحداث لدرجة أنهم أصبحوا يعرفون أسماء البواخر التي أغرقت وعدد الأسرى الذين ألقى القبض عليهم .

ووصف "مصالي الحاج" خبر قبول تركيا شروط الإستسلام بالقول :"**كنت مبهوتا وكان حلقي وقلبي منقبضين، وحتى أسترجع أنفاسي مشيت إلى غاية ساحة "الكونكوس"، حيث جلست على مقعد هناك ،وعلى راحة أعدت قراءة المقال عدة مرات على أمل إكتشاف توضيحات تزيد الخبر دقة ، لكن مع الأسف فقد كانت**

[1] - أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة ، المرجع السابق ،ص487

[2] - أنظر الملحق (رقم 31).

[3] - أجرون، المرجع السابق ،ص101.

[4] - مصالي ، مذكرات ، المصدر السابق ،ص112.

[5] - المصدرنفسه ،ص72

فعلا إستسلاما، ولم يبق لي إلا الرجوع إلى الله والتوسل إليه...ورغم الواقع كنت أتهم في أعماقي الجريدة بالكذب ،فبالنسبة لي فإن الأتراك لا يمكن أن يهزموا."[1]

أما "مالك بن نبي" ، فيصور في مذكراته ،كيف أن صورة "أتاتورك" كانت تنتقل كصورة "سيدنا علي" وكيف أن صوره كانت تباع بالمكتبة العربية، فيما كان بعض طلاب مدينة قسنطينة يعلقونها فوق أسرتهم،لقد كانت العاطفة نحو تركيا قوية في البلاد وبالخصوص في الوسط المدرسي[2]،

لكن يجدر بنا أن نتساءل على تفسير إستمرار هذا الاعجاب بمصطفى كمال حتى بعد إلغائه للخلافة ،لدى بعض من النخبة الجزائرية ، وهنا تقدم بعض التفسيرات منها أن بعض رجالات الحركة الوطنية الجزائرية يحملون نفس النظرة للثورة الفرنسية[3] ، المرتبطة بقيم الحرية والإخاء والمساواة[4]، وأنه يشترك معهم في ثقافته وتكوينه في فرنسا، فهاهو "فرحات عباس" يطالب بالتوجه نحو الحضارة الغربية وعدم النظر نحو الشرق[5].

لكن أبرز هذه الدوافع هي النظر إليه كرجل تحرير وقائد وطني نجح في أن يحمي بلاده ويحررها من الإنقسام والإحتلال الأجنبي وأنه كان يحمل مشروعا وطنيا واضحا بغض النظر عن كونه ذو توجه غربي ولاننسى أن الجزائريين ظلوا ينظرون للقوى الأوروبية خاصة فرنسا وبريطانيا على أنها قوى إستعمارية تستحق العداء، وأن من واجب الجزائريين الوقوف مع تركيا في صراعها معها.

كما ويلاحظ في هذه المرحلة غياب شخصية عربية نالت إجماع المغاربة والمشارقة في إعتبارها شخصية قيادية قادرة عللم شعث البدان العربية الممزق ، أو تملك رمزية نضالية وتحررية في هذه المرحلة إلى غاية ظهور محمد بن عبد الكريم الخطابي قائد ثورة الريف (1912- 1926م).

5-6 :مؤتمرات الخلافة والبحث عن الفرصة الأخيرة :

بعدما أدرك العديد من رجال الفكر والسياسة من النخبة العربية والإسلامية خطورة السياسة الكمالية وما تريد التوصل إليه من سلخ كامل لتركيا عن تاريخها الإسلامي الطويل ،وإنعكاسات ذلك على مركز الخلافة أولا والبلاد

[1] - مصالي ،مذكرات ، المصدر السابق ،ص87.

[2] - بن نبي ،مذكرات شاهد ، مصدر سابق ،ص74.

[3] - كان شعار جمعية الاتحاد والترقي يحمل كلمات (حريت-مساوات-أخوت)، أنظر: حسان علي حلاق ،دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (1908-1909)،الدار الجامعية للطباعة والنشر ،بيروت ،(دت)،الملحق 11،ص120.

[4] - أجرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة ،مرجع سابق ،ص487.

[5] - Nahas(Mahieddine)," La penseé politique de Mustafa Kemal op.cit,pp138-139.

العربية ثانيا،أخذت النخب المحافظة في الدول العربية والإسلامية تفكر في عقد مؤتمرات لبحث قضية الخلافة وكيفية الدفاع عن هذه المؤسسة الرمز في الشريعة الإسلامية.

وتعددت الإقتراحات الكفيلة بتدارك الوضع ، غير أن الغالبية من هؤلاء الناشطين فضلوا أن تكون المقترحات في ظل حالة من الشورى والتداول لاسيما بين علماء الأمة والضالعين في شؤون الفقه السياسي ، فجاءت فكرة عقد مؤتمرات هنا أو هناك لمناقشة قضية الخلافة من حيث جملة من الإشكاليات تتعلق بمشروعيتها وشروطها وإمكانية تحديث النُظم المرتبطة بها، وغير ذلك من القضايا المطروحة للنقاش ، ولأجل ذلك عُقدت العديد من المؤتمرات إلتأم أحدها بمصر سنة(1926م)، فراحت كثير من الصحف الإصلاحية الجزائرية تحث النواب والعلماء المسلمين للسعي في إنجاحه والمشاركة فيه، ومن الشخصيات الجزائرية المحافظة التي أولت أهمية بالغة للموضوع ،نجد الشيخ مبارك الميلي[1] ،الذي تابع موضوع الخلافة من خلال ، إهتمامه بالمؤتمر الإسلامي بالقاهرة الذي " **إعتبره أول مؤتمر في نوعه... والمرآة التي ينجلي بها شعور كل أمة إسلامية بدينها فتتضح الحقائق لطلابها، ويصير كل من ليس مسلما، وله مصلحة في أمة إسلامية بدينها، عارفا بما يأتي ويدع**"[2] وتكمن أهمية المؤتمر وجدواه في ظل الظروف الصعبة التي تعيشها الأمة في أنه :" **إما حجة لمن يقول إن الإسلام دين مدنية ورقي، أو دليلا لمن**

---

[1] - هو الشّيخ مبارك بن محمّد بن رابح الميلي، نسبة إلى منطقة جبال " الميليّة" ، الّتي كانت مدينة " ميلة " مركزها الإداري آنذاك، ولقبه ولقب أسرته " براهيميمي ،ولد في4 محرّم 1316هـ الموافق لـ 25 ماي سنة 1898م في قرية أَرمامن، التّابعة لدوار " أولاد امبارك " بجبال الميلية.توفي والده، ثم والدته، كلاهما في سنة 1902م، فكفله جدّه .وقد التحق بكُتّاب القرية، فحفظ القرآن، وتعلّم القراءة والكتابة. في سنة 1918م توجّه إلى قسنطينة قصد ملازمة الشّيخ ابن باديس رحمه الله والأخذ عنه، فدرس عليه مدّة، وشجّعه وأعانه على الرّحلة إلى تونس، حيث حصل على شهادة التّطويع، وعاد إلى الجزائر سنة 1925م.

بدأ العمل الدّعوي في قسنطينة إلى جانب شيخه ابن باديس رحمه الله يشاركه في الجامع الأخضر، وفي مكتب التعليم العربي.
ولما أسس ابن باديس رحمه الله " المنتقد" ، ثمّ " الشّهاب" ، تولى عِبْء التحرير فيهما، ونشر عدّة مقالات، وبسبب قوّة المقالات الّتي كان ينشرها بإمضاء مستعار (بيضاوي)، خطّط بعض الطّرقية لاغتيال ابن باديس رحمه الله، إذ رفض الكشف عن هوية كاتبها كما رفض إيقافه.
وفي سنة 1927م انتقل إلى الأغواط بإشارة من ابن باديس، فتولّى الخطابة والتّدريس في المسجد العتيق، ثمّ أسّس بها "مدرسة الشّبيبة" الّتي تولّى إدارتها.وتعرّض هناك لمحاولة اغتيال فاشلة من قِبَل الطّرقيّين، كما توالت عليه ضغوط الإدارة الفرنسية، فاضطُرَّ سنة 1933للانتقال إلى " ميلة " ليتابع نشاطه بها.
وفي مدينة ميلة أسّس " مدرسة الحياة" ، ومسجدا جامعا، تولّى الخطابة والتّدريس فيه، وأسّس أيضا ناديا للشباب، وكثّف من جولاته الدّعوية في دائرتي " الميلية "، و" الطاهير."ولمّا تأسست " جمعيّة العلماء " عام 1931م، انتخب عضوا في إدارتها وأمينا لماليّتها، وبقي كذلك إلى عام 1937، حيث تولّى إدارة " البصائر " إلى غاية 1939عندما توقّفت بسبب الحرب، -من أبرزمؤلّفاته:
تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ، وهو أوّل كتاب أفرد للتّاريخ الجزائري، وكان جامعا، وابتدأه رحمه الله من العصر الحجري، ووصل فيما كتب وأخرج للناس إلى القرن السّادس عشر ميلادي.
كان الشّيخ رحمه الله قد أصيب بداء السّكري، وقد عانى منه مدّة طويلة، ومع ذلك لم يُثْنِ ذلك من عزمه، ولا حد من نشاطه، وما تغلب عليه المرض إلاّ وهو في ميدان العمل والتّضحية.وقد شاهده الشيخ أحمد حمّاني رحمه الله يوم أسقطه المرض أرضا في إدارة مدرسة التربية والتعليم بتاريخ 24 صفر 1364/ 8 فيفري 1945م،وتوفّي في اليوم التّالي في " ميلة "، ودفن بها رحمه الله. أنظر :محمد علي دبوز:أعلام الإصلاح في الجزائر ،(ط1) دار البعث، قسنطينة ، 1398هـ- 1978م ،(حرف الميم).

[2] - مبارك الميلي ،" المؤتمر الإسلامي العام للخلافة"، **الشهاب**، س2 ،ع22-23،أفريل 1926، ص ص 1-2.

يتشدق بأنه عقبة كئود في سبيل التقدم، وبحسب نتائجه يزداد أنصار الفكرة الأولى أو أصحاب الرأي الثاني" وهو ما دفعه للإشادة بالشعوب المشاركة في المؤتمر لأنه رأى في ذلك شعورا منها بالمسؤولية وسعيا للحفاظ على هذه المؤسسة(الخلافة) التي ترمز لوحدة المسلمين:"**فالأمة التي تشارك فيه سيحفظ لها التاريخ ذكرا جميلا وأثرا حسنا ،علاوة على كون حضوره دليلا واقعيا على تمسكها بدينها، وعدم إنسلالها من جامعته..**" ولذلك فلا يرى الميلي أي مبرر للجزائريين عن عدم المشاركة في هذا المؤتمر وأن ذلك أكبر أمانيه:" **لذلك فإني أود من سويداء قلبي، أن تكون الأمة الجزائرية من القسم الأول ، بل أود أن لايوجد القسم الثاني أصلا**". و في ذلك إيحاء للنخبة المتفرنسة التغريبية التي تحبذ زوال الخلافة على بقاءها في أوساط الجزائريين.

وحتى لا تعرقل السلطات الإستعمارية هذا المسعى وربحا للوقت، فقد طلب من الراغبين المشاركة في المؤتمر:" **أن يؤسسوا جمعية تتقدم إلى الوالي العام، بطلب الإعتراف بها، ثم تجمع من الأمة ما يقوم بلوازم الوفد، حتى يكون ما يجمعونه من الأمة كدليل فعلي على أن الوفد ، وفد الأمة وأنها مشاركة لغيرها من الأمم في هذا الشأن الخطير**".

وفي سعي لعدم الإصطدام مع الإدارة الفرنسية وإمكانية معارضتها ، ذكر الميلي:" **أن الدولة الفرنسية... أعظم دولة إسلامية، قد أقامت غير مرة الدليل على تسامحها مع الإسلام... وأبدت الجزائر الفرنسية تأثرها الشديد من رفض الترك للخلافة...فمن البعيد أن لا يتسع صدر الحكومة للإعتراف بالوفد..**" **وفي الأخير دعا الجزائريين للإسراع في المشاركة في المؤتمر :" أزفت ساعة الانعقاد وليس بينكم والإلتحاق بالمؤتمر، إلا الجد والنشاط، فأرونا عزما صحيحا، وحزما شديدا ورأيا– رشيدا وغيرة على الدين...**" **وأكد " أن الدولة الإسلامية التي لم تشارك في مؤتمر الخلافة... ستجبر التاريخ على أن يتخذ لها بين دفتيه مكانا فسيحا، تملؤه خزيا لنفسها وعارا...**"[1]

أما بالنسبة ل"لأمير خالد" فإنه لم يبد أي إعجاب "بمصطفى كمال أتاتورك "وبقي محافظا على ولائة للخلافة الاسلامية، فعندما دُعى لحضور المؤتمر العربي الأول الذي عقد بباريس سنة(1913م) إعتذر عن الحضور وبعث برسالة[2] تليت في الجلسة الختامية عبر فيها عن موقفه بعدم خروج المجتمعين عن سلطة الخلافة[3].

[1] - مبارك الميلي ،" المؤتمر الإسلامي .."، المصدر السابق، ص ص 1-2.

[2] - أنظر الملحق (رقم 32).

[3] - صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية، ش و ن ت ،الجزائر ،(دت)،ص91.

لقد كان "الأمير خالد" يعتبر نفسه على رأس حركة سياسية لا حركة دينية، لكن الدين كان في جوهر نضاله ومطالبه، فهو تنبأ منذ عام(1914م) بثورة العرب ضد الأتراك في حديث أجرته معه صحيفة "الأمة" الايطالية (La Nazione) وأعادت نشره سنة(1922م) جريدة "صدى الجزائر" الناطقة بلسان المستوطنين، حيث أشار الأمير إلى أن "الحرب الأولى طورت وعيا إسلاميا، وأن لجنة سرية بزعامة قادة سريين ستقود النضال في العالم الإسلامي." وختم حديثه بقوله:" إن حركتنا ليست دينية بل هي في الأصل سياسية، لأن المسألة تتعلق بإستقلال مجموع العالم الإسلامي."

و لقد إتضحت أفكار "الأمير خالد" أكثر بعد إلغاء الخلافة حين دعا عام (1924م)، إلى إنعقاد مؤتمر إسلامي يناقش موضوع الخلافة، وإقترح عقد ذلك المؤتمر في أفغانستان" البلد المسلم الوحيد المستقل" في نظره في ذلك الوقت.

لقد كان "الأمير خالد" يرغب بأن يكون على رأس ذلك المؤتمر وأن يكون هو الخليفة الجديد (ولم لا؟) ، على إعتبار أنه ينحدر من أصل هاشمي شريف، وأنه آن للخلافة أن تعود للعرب.

لكن الأمور لم تجر على هذا النحو.فالمؤتمر لم ينعقد في أفغانستان بل في مصر في مدينة الإسكندرية ولم ينتخب قيادة ولا صدرت عنه توصية بشأن الخلافة، رغم أن خالد ترأس اللجنة الفرعية التي درست هذا الموضوع.وقد تحجج البعض بأن "الأمير خالد" غير قادر على تحمل مثل هذه المسؤولية وربما بسبب عدم تمكنه الكافي من اللغة العربية، وربما لأسباب سياسية أو دينية أخرى لم يريدوا الإفصاح عنها.

ووجه الأمير رسالة إلى المؤتمر يشرح له فيها أن "لابد اليوم من إنعقاد المؤتمر في مكة المكرمة- غرفة الله المقدسة كما أسماها- من أجل مناقشة موضوع الخلافة، ووضع التنظيمات المتعلقة بهذه المسألة والمسؤوليات المناطة بالخليفة وبقية الأمور التي تتعلق بالاسلام"...[1].

لكن عدم وجود زعامة في الجزائر بعد الحرب وتراث وسمعة جده والحالة في الشرق الأدنى ولا سيما في مصر وسورية وتركيا، منذ (1919م) كأنها جعلت الأمير خالد يتيقن أن هناك حظا له لكي يلعب دورا قياديا في العالم الإسلامي.ولكي يفعل ذلك كان عليه أن يصبح معروفا في الجزائر بإستنكاره للإندماج الذي يتعارض مع الدين وأن يتبنى فكرة الجامعة الاسلامية كمذهب يجمع حوله به إفريقيا الشمالية والعالم الاسلامي كله.

[1] - جورج الراسي، الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر... إلى عبد القادر،دار القصبة للنشر، الجزائر ،2008، ص 108-109.

وبينمايذكر "أبو القاسم سعد الله" أن "الأمير خالد" حضر شخصيا هذا المؤتمر، وهو يحمل في ذهنه سمعة جده في الشرق الأدنى حين حاول طلب القيادة، كما ركز على نقطة أخرى وهي أنه كان منحدرا من قبيلة هاشم التي إنحدر منها النبي محمد صلى الله عليه وسلم أيضا[1].في حين أن مصادر أخرى لاتشير إلى ذلك ومنها "مجلة إفريقيا الفرنسية"(L'Afrique Française) التي ذكرت أن المؤتمر قد أُفتتح يوم (13 ماي 1926م) بمدرسة الحلمية التابعة للأزهر وقد حضرته خمسون شخصية ممثلة لمختلف البلدان الإسلامية، من بينها بعض الممثلين عن تونس، و"إدريس السنوسي" ممثلا عن ليبيا، في حين لم يحضره ممثلون عن الجزائر، فما الذي يمنع هذه المجلة الإستعمارية المعادية بشدة للجزائريين وخاصة لسياسة "الأمير خالد" من التشهير به لدى السلطات الفرنسية الإستعمارية والحكومة الفرنسية وإتهامه بالعمل لصالح الجامعة الإسلامية إن كان قد شارك فعلا في المؤتمر ، غير أن الشيئ المعروف هو أن "الأمير خالد" قد إشتغل بمسألة الخلافة وتولى"لجنة الخلافة "بالإسكندرية عندما كان مبعدا بمصر.[2] .

وجدير بالذكر أن دعوة "الأمير خالد" لعقد مؤتمر إسلامي ، لم تجد صداها حتى داخل الجزائريين لدرجة أن "إبن باديس" رد عليه مذكرا إياه بمسعى هيئة علماء الأزهر لعقد مؤتمر بالقاهرة حول الخلافة وإستفسره قائلا :"**فأي معنى بعد هذا إقتراح" السيد "خالد الجزائري"، عقد المؤتمر في رجب بمكة المكرمة؟" ثم علق على هذه الدعوة من "الأمير خالد" بأنها" تشويش وتفريق في مسألة يود كل مسلم مخلص مثله لها النظام والإتحاد"**[3].

وهنا تطرح العديد من التساؤلات حول مدى التنسيق والحوار الذي كان بين رموز الاصلاح والوطنية الجزائريةفي مثل هذه المواضيع وما هي حظوظ أي شخصية جزائرية تريد الترشح لهذا المنصب الذي يتطلب من جهة حضورا على الأقل عربيا إن لم نقل إسلاميا، وهو ما لم يحظ به الأمير خالد ربما فقط مقارنة بأفراد من عائلة الأمير عبد القادر، فما بالك مقارنة بشخصيات عربية وإسلامية اخرى ، هذا من جهة ومن جهة أخرى لاحظنا كيف أن بعض الطامحين لهذا المنصب على غرار " الشريف حسين" و" الملك فاروق" لم يتحرجوا من الإستقواء بقوى أجنبية وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا.

[1] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ،(ج2)،مرجع سابق ،ص 370.

[2] - محمد الشعبوني ، موقف البلدان المغاربية من مسألة الخلافة 1914-1926،رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، تونس، 1992،ص171.

[3] - عبد الحميد بن باديس ،" إستفسار موجه إلى خالد الجزائري حول المؤتمر" ، **النجاح**، س5 ، ع185،05 ديسمبر 1924،ص02.

ودائما وبالنسبة لعائلة "الأمير عبد القادر" و من الذين كانت له تحركات في شأن الخلافة وما إرتبط بها من مؤتمرات، نجد "الأمير محمد سعيد الجزائري" الذي دافع بشدة عن فكرة الجامعة الإسلامية[1] عبر كتاباته ونشاطاته المختلفة كما سبق لنا الإشارة إلى ذلك، فبالنسبة لموضوع الخلافة كتب مقالا مهما بعنوان :"الخلافة" تتبع فيه تاريخ الخلافة وتطوراتها منذ صدر الإسلام ومبايعة الخليفة "أبي بكر الصديق" إلى غاية إلغائها من طرف الكماليين سنة(1924م) ضمنه تساؤلات حول ضرورة الخلافة، وهل يجوز أن يبقى المسلمون دون خلافة؟ ومن يمكن أن يتولى هذا المنصب الجليل بعد تخلي الأتراك عنه؟ وهل يبقى المسلمون معترفين بالخليفة الأخير عبد المجيد...أم ينتخبون غيره؟وفي متابعته لشؤون الخلافة نقل "الأمير محمد سعيد" النداء الذي وجهه " السلطان عبد المجيد" للعالم الإسلامي بواسطة شركة "هافاس" الألمانية والذي صرح فيه ببطلان قرار" أنقرة" وضرورة تدخل زعماء العالم الإسلامي، عبر مؤتمر عام لحل المشكلة.

وفي سياق التحضير لهذا المؤتمر الإسلامي تحركت لجنة الخلافة التي قام بتأسيسها "الأمير محمد السعيد" والتي يوضح أسباب تأسيسها من خلال نشره لبيان في (20 مارس 1924م) حدد فيه الأسباب التي دفعه لتأسيسها من خلال جريدة " الأحرار " البيروتية.ذكر في بداية البيان أن إلغاء منصب الخلافة من لدن الأتراك يحتم على المسلمين التحرك ولكن في شكل متحد يحقق المصلحة العامة للمسلمين ولا يكون ذلك إلا عبر عقد مؤتمر عام جامع لرأي المسلمين"[2].

ولم يتوان "الأمير محمد سعيد" في تحميل الأتراك الكماليين مسؤولية التخلي عن الخلافة بل التخلي عن الإسلام قائلا:" **وراح كل حزب يسير بالدين حسب ما يراه، موافقا لنزعاته...إلى أن لعب شيطان الغرور بعقول فئة قليلة منهم...بعد أن كانت حامية ذماره ورافعة لوائه" وقد كان لذلك بالغ الأثر على بقية العالم الإسلامي:"فأهاج ذلك العمل سائر العالم الإسلامي، مما يدل على أنه لايزال لمجموعه أثر من حياة.."**[3]، ويقدم "الأمير محمد سعيد" ، الحل لهذا الوضع، عن طريق التمسك بالجامعة الإسلامية فإنها: "**بالنسبة للمسلم هي الجامعة الكبرى التي يجب أن يمنحها نبات قلبه وجوهر لبه... وما إحتاج المسلمون إلى تلك الجامعة في دور من أدوار حياتهم، إحتياجهم إليها في هذا العصر...**" ومن أهم الأدوات التي يمكن إعتمادها في الدفاع عن الخلافة والدعوة للجامعة الإسلامية نجد :"**هذا ما دعا نخبة من مفكري الأمة الإسلامية وعلمائها وقادة الرأي**

[1] - أنظر الملحق (رقم 33).
[2] - الأميرمحمد سعيد، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي ، مصدر سابق ،ص233-234.
[3] - المصدر نفسه.

فيها ، إلى تأليف جمعية تدعى بإسم " جمعية الخلافة"، والتي تتحدد أهم أهدافها فيما يلي :" أن أول قضية من تلك القضايا الآن ، قضية الخلافة... التي إتصل خبرها... أن آراء المسلمين في سائر أنحاء المعمورة، قد أجمعت على وجوب عقد مؤتمر لهذه الغاية.. ولذلك من الواجب على كل مسلم مؤازرة هذه الجمعية"[1].

لكن" الأمير محمد سعيد" يُقر بصعوبة تجسيد الخلافة على أرض الواقع في ظل ما يشهده العالم الإسلامي من تجزئة وإنقسام إلى دويلات متعددة وأنظمة مختلفة ، فقد صرح في مجلة " الصباح" المصرية في عدد رقم (76) الصادر بتاريخ(8 جانفي 1922م) أنه من الصعب وجود من تتوفر فيه شروط الترشح للخلافة اليوم وأن الخليفة المخلوع "عبد المجيد" لا بد له من مبايعة إسلامية جديدة من قبل جميع المسلمين. وهكذا راى ان مسألة الخلافة ، مسألة عويصة يصعب حلها مع إنقسام العالم الإسلامي[2].

5-7 :صدى سقوط الخلافة في الأدب الجزائري :

إضافة على ما تناولناه من مواقف لدى النخبة السياسية في شأن الخلافة ومآلات قضيتها ، فإن القضية حركت أيضا العديد من الأدباء والشعراء نتيجة لما أحدثه سقوط الخلافة لدى بعضهم من هزة عنيفة ، إرتسمت في مؤلفات أو كتب تَدعمُ مؤسسة الخلافة وتدافع عنها كما فعل إسماعيل الصفائحي بكتابه " إيقاظ الإحوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان"، والذي خصص الجزء الأكبر منه للدفاع عن أحقية العثمانيين في الخلافة، وتبرير دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، كما أفتى بضرورة الجهاد في صفوف القوات العثمانية ،ضد أعداء المسلمين وعلى رأسهم فرنسا[3] ، كما كتب بعض الشعراء الجزائريين قصائد سواء من الفصيح أو الشعر الشعبي في هذا المجال أيضا، وقد تميز هذ النمط الأخير بالذات كما رأينا في قضايا التضامن الجزائري العثماني أو أثناء الحرب العالمية الأولى بأنه كان أداة جماهيرية بإمتياز للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر المختلفة حلوها ومرها ،فكان المرآة الصادقة التي إنعكست عليها الكثير من مشاعر الجزائريين وهو ما جعلنا نجد ثراءا واضحا في ما يقدمه الشعر الشعبي والأغاني الشعبية من مادة تاريخية جديرة بالإهتمام والبحث،إذا أُحسن إستغلالها من لدن أهل الإختصاص، وفي سياق موضوعنا نجد أن العديد من الشعراء الذين أفصحوا عن مواقفهم من خلال قصائد شعرية تصف مشاعر جزء من النخبة المثقفة والواعية .من هؤلاء الشعراء تجاه مسألة سقوط الخلافة، وها نحن نسوق مثالا لذلك الشاعر

[1] - الأميرمحمد سعيد، مذكراتي...، المصدر السابق ،ص236-237.

[2] - المصدر نفسه ،ص238-239 .

[3] - أنظر الملحق (رقم 34).

"محمد عبد الرحمان الديسي"[1] فلقد كبرت في نفس الشاعر مكانة السلطان "عبد الحميد الثاني" فهزته مناسبة خلعه ورأى في ذلك ضياع قطب هام من أقطاب الإشعاع الإسلامي فنظم قصيدة سنة(1912م) قال عن سبب نظمها:"**أنه بلغنا خلع ذلك الهمام الحامي لبيضة الإسلام وحصل لي وجد عظيم...حتى نطق بها اللسان شفقة على الأمة** ."[2] وأعتبر في قصيدته تلك جماعة الاتحاد والترقي أسماء لا تمت إلى مسماها بصلة لذلك دعا للغادرين بعبد الحميد بالعقاب الشديد من الله ،ثم توعدهم بجني ما زرعوا شرا وندد بسفالتهم وتهكم بإسم "الترقي"واصفا إياهم بقصر النظر وعدم الإدراك لعواقب الأمور،وقد أثنى الشاعر على السلطان في مطلع قصيدته المسماة "الحميدية فقال :

ثنائي على عبد الحميد حميـــــــد **** وحزني عليه ما حييت جديد

وحامي حمى الإسلام بالبيض والقنا **** وتدبيره في المعضلات شديد

ولا عجب أن يرى في عملية خلعة ،حدثا جللا و فاجعة آلمت قلوب المسلمين:

فيا خالعيه قد خلعتم بخلعـــــه**** قلوب جميع المسلمين فبيدوا

ثم وصل إلى مسألة إكراههم لشيخ الإسلام على الإفتاء بشرعية الثورة على السلطان فقال :

وأكرهتم شيخـــــا فأفتى تقية**** وما قال عن صوب الصواب بعيد

---

[1] - ولد الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمان الديسي في قرية تدعى الديس تقع على مسافة قليلة من مدينة بوسعادة بالجنوب الجزائري و قد أجمع المترجمون على أن تاريخ ميلاده كان سنة 1270 هـ الموافق لسنة 1854م ،نشأ يتيما ،و فقد بصره في سن مبكرة، درس في قريته ، ثم في زاوية ابن أبي داود التي تخرج منها مؤسس زاوية الهامل الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي .تزوج في قريته ثم انتقل إلى زاوية الهامل مدرسا ،كان الديسي على ثقافة واسعة ، يؤثر العزلة ، كما كانت علاقاته ودية مع الكثيرين من معاصريه ، و كان ابن باديس يثق في رأيه و يستفتيه ، كما كان الديسي يكن له الحب و التقدير. قضى الديسي حياته متعلما ، و مدرسا و أديبا منتجا ، إلى أن توفي فجر يوم 22 من ذي الحجة سنة 1339 هـ ، الموافق ليوم 27 من أوت سنة 1921 م ،و ترك آثارا طبع القليل جدا منها و بقي البعض الآخر مخطوطا ،لقد عاش محمد بن عبد الرحمان و تربي على الدراسة والمجاهدة في الاطلاع فكان شاعرا يفيض شعره عبقا وإخلاصا وانصهارا في ما يجود به من الشعر ، كما قد ترك مثل ما أسلفنا سابقا كتبا دينية

و أدبية و كثيرا من الشروح التي خصت الأدب والدين و بعض مؤلفاته نذكر من بينهم تفضيل البادية بالأدلة الواضحة البادية ، جواهر الفوائد وزواهر الفرائد ، ديوان "منة الحنان المنان" ، المناظرة بين العلم و الجهل إفحام الطاعن برد المطاعن ، هدم المناروكشف العوار ،توهين القول المتين ، العقيدة الفريدة ، سلم الوصول ، بذل الكرامة لقراءة المقامة المشرب الراوي على منظومة الشبراوي...الخ

و كانت له مراسلات كثيرة نذكر منها رسالته لعبد القادر بن ابراهيم المسعدي ، و إلى الإمام الشيخ بن باديس ، و إلى أبي القاسم الحفناوي و غيرهم .. كما أنه اهتم كثيرا بالشعر ، فكان شاعرا فذا ، يعتلي منـزلة هامة في حركة الشعر الجزائري ، أنظر:عمر بن قينة ، الديسي حياته وأثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر ،(دت).كما ترجم له عبد حالكتاني في كتابه الفهارس و الشيخ أبي القاسم الحفناوي في" تعريف الخلف برجال السلف "، و محمد علي دبوز في كتابه "نهضة الجزائر وثورتها المباركة".

[2] - عامر بن المبروك محفوظي ،تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل،مطبعة النعمان،برج الكيفان ،الجزائر،ص124.

ولم تخلو القصيدة من النبرة الهجائية لعناصر الإتحاد والترقي الذين تبنوا حياة الغرب في سبيل التقدم ونسوا قدر وقيمة عبد الحميد فقال :

تسميتموا حزب الترقي سفاهة **** و وضعكم للإنحطاط بريد

وسلطانكم قد كان أكبر مصلح**** له عدة مـــــرهوبة وعديد

ونتيجة للإهتمام الذي أولاه السلطان عبد الحميد للجانب العسكري مدحه الديسي قائلا :

وجند أجنادا وأسس نافعا **** وناهيكم خط الحجاز شهيد

وأنهى الشاعر القصيدة ببيان أعمال "عبد الحميد" ستبقى تذكر فضله لأنها ذات مقاصد:

فأعماله مبرورة وقصوده **** وتلك تنادي أنه لسعيد

ومهما يكن فقد إستطاع الشاعر من خلال القصيدة أن يعبر عن مشاعره بمدحه للسلطان العثماني معبرا عن تعاطفه الإسلامي ونظرا لأهمية القصيدة "الحميدية" شطرها الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي[1](ولد سنة1888م) في خمسين بيتا[2] ومنها قوله :

ثنائي على عبد الحميد حميد **** وشوقي إليه طارق وتليـــــــد

فيا خالعيه قد خلعتم بخلعه **** لباب الهدى فما سواكم طريد[3]

هكذا لم تترك النخبة الجزائرية المتمسكة بالخلافة الفرصة للتعبير رغم ظروف الإحتلال القاسية والتضييق المستمر عليها ، أن تفوت فرصة المشاركة في إيجاد حل لمعضلة الخلافة سواء من خلال المشاركة في هذه المؤتمرات ، وكأدنى حد المشاركة بالرأي والنقاش على صفحات الجرائد الجزائرية والعربية إثباتا للوجود ، وهو في حدث ذاته ما أبرز وزن هذه النخبة الجزائرية في الداخل والخارج رغم ما تناولناه من سياسة التضييق الفرنسية على الجزائريين ومحاولة الحيلولة بينهم وبين التفاعل مع أية قضايا عربية وإسلامية.

ومما خلص تتضح لنا ثنائية الموقف من الخلافة وقضاياها بين نخبة محافظة ذات نزعة إسلامية برموزها أمثال "عمر بن قدور" و"إبن باديس" و "ابن الهاشمي" تعطي للقضية بعدا دينيا يفترض المحافظة على هذا الركن الديني الهام .

[1] - عندما إطلع الشاعر الديسي على القصيدة المشطرة من طرف الشيخ المسعدي رد برسالة بتاريخ 22 شعبان 1331ه-1912 م اشاد فيه بالقصيدة المشطرة وإعتبرها بصدق ارجح من الأصل.

[2] - عامر بن المبروك محفوظي،المرجع السابق،ص ص 120-124.

[3] - أنظر الملحق(رقم 35).

وبين نخبة متفرنسة من أمثال "ابن التهامي" و"جلول شمس الدين" ذوو التفسير السياسي للقضية والمعجبين بشخصية "مصطفى كمال أتاتورك" في شقها العلماني التحديثي وأن ذلك :"**في سبيل التحرر والتقدم، مما حدى ببعض المتحمسين إلى إستعمال الطربوش الذي كان رمزا للترك الثائرين...**[1].

وحتى مع وجود بعض الآراء التي شذت عن الإطار العام لموقف النخبة الجزائرية التي تناولت قضية الخلافة و النظرة ل" مصطفى كمال أتاتورك" فإننا في الوقت نفسه إنساجاما لدى النخبتين ، بالنسبة للنخبة المحافظة سجلنا مايلي:

- رغم ضعف الخلافة فإن ذلك لا يبرر بأي حال من الأحوال المس بمشروعية تلك المؤسسة.
- تجريم ما قام به الكماليون بقيادة أتاتورك تجاه الخلافة والخليفة ومقتضيات الدين الإسلامي في تركيا.
- تثمين ما قام به أتاتورك من تحرير لبلاده من الغزو الأجنبي.
- التأكيد على التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية كبديل للخلافة حال إنهيارها الحتمي.

أما النخبة التجديدية المتفرنسة فلقد أجمعت على الترحيب بأمر التخلص من الخلافة بإعتبارها مظهرا من مظاهر التخلف وسببا من أسباب الإنحطاط ، ومباركة سياسة أتاتورك وإعتباره نموذجا يجب الإحتذاء به.

[1] - سعدالله ، الحركة الوطنية (ج2)، مرجع سابق ،صص 371-372.

الخاتمة

من خلال تناولنا لموضوع النخبة الجزائرية والدولة العثمانية في العهد الدستوري (1908- 1924م) فقد خلُصنا إلى مجموعة من النتائج وهي كما يلي :

1-إن إزدواجية النظرة للدولة العثمانية بين مُعجب ومُنتقد لها وثنائية النخبة المتعاملة معها ظاهرة تعود إلى الفترة العثمانية نفسها (1518-1830م) وليست مُقتصرة على الفترة المرتبطة بالإحتلال ، لكن الفرق موجود بين الفترتين على مستوى الأسباب والبدائل ، ففي الفترة العثمانية كان الناقمون عن الدولة العثمانية هم ممن تعارضت مصالحهم مع الوجود العثماني أو ممن فقدوا إمتيازات مادية أو روحية كانوا يتمتعون بها كما هو الحال ببعض الطرق الصوفية التي ثارت ضد الدولة العثمانية أو ناقمون على تردي الأوضاع في فترات معينة ربما شهدت تدهورا في الأوضاع السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية وهو أمر طبيعي الحدوث ، أما الناقمون في فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر فإنهم كانوا صنيعة الثقافة و الدعاية الفرنسية المناوئة للعثمانين وتيار الجامعة الإسلامية ، وأما بالنسبة للبدائل فإن الفئة الأولى من المعارضين ، لم تطالب في أغلب الأحيان بتصفية الوجود العثماني في الجزائر وبالتالي لم تُقدم كبديل للدولة العثمانية كيانا أخر، فما بالنا أن يكون دولة مُحتلة مسيحية ولتكن إسبانيا حينذاك بسبب صراعها مع الدولة العثمانية ، بينما الفئة الثانية قدمت فعلا النموذج الفرنسي المسيحي أو حتى العلماني كبديل للدولة العثمانية المسلمة وكانت تؤيد تصفية الدولة العثمانية.

2-فشلت فرنسا رغم طول فترة إحتلالها للجزائر وإستخدامها لمختلف الأدوات الدعائية في تشويه صورة العثمانيين لدى الجزائريين والحط من قيمة التضامن الجزائري العثماني والتقليل من إحترام الجزائريين لمؤسسة الخلافة ورمزيتها و الإستعداد للموت من أجلها، فقد ظل الجزائريون يعبرون عن العديد من مظاهر الولاء الروحي والتضامن السياسي والعسكري مع الدولة العثمانية كلما أُتيحيت لهم الفرصة .

3- فشلت فرنسا في تطويق شعور الجزائريين بالإنتماء للعالم العربي الإسلامي والتضامن مع قضاياه المختلفة والمساهمة في حركات النضال العربي والإسلامي مشرقا ومغربا والإسهام في نهضته العلمية ، وعدم الإكتفاء بدور المتابع ، بل إحتلال مواقع قيادية في هذا النضال المتعدد الأشكال والأدوات.

4-نجاح النخبة الجزائرية رغم صعوبة الأوضاع في الفترة الإستعمارية في النضال على ثلاث جبهات هامة:

- مقاومة الإستعمار الأوروبي محليا وعلى إمتداد العالم العربي – الإسلامي بكل الأساليب المتاحة بما فيها الكفاح المسلح كما حدث في طرابلس الغرب وبلاد الشام .
- مساهمة النخبة الجزائرية المحافظة بقوة في مقاومة التخلف الثقافي والسياسي في البلاد العربية ومواجهة التيارات الهدامة للشخصية العربية الإسلامية وعلى رأسها (التتريك والصهيونية).

5-توظيف النخبة الجزائرية لتجارب الجزائريين السابقة والمريرة مع الإحتلال الفرنسي وطائفة اليهود خاصة لكشف مخططات هؤلاء ، وتحذير العرب والمسلمين منهم وكشف نواياهم في البلاد العربة والإسلامية عن طريق فضح أساليبهم وطرق تغلغلهم، كما فعل عمر راسم وعمر بن قدور وغيرهم من النخبة الجزائرية.

6-تفعيل النخبة الجزائرية المحافظة لمبدأ التضامن الإسلامي من خلال النشاط ضمن تيار الجامعة الإسلامية دون إهمال النضال القومي، مما يعني القدرة الهائلة لدى الجزائريين على التوفيق بين (الوطنية والقومية والإسلامية) دون تعارض أو تناقض،مما جعل العامل الديني لدى الجزائريين عامل وعي وثورة ضد المحتل الأوروبي المسيحي ، عكس بلاد المشرق حيث شهدنا تفعيل العمل القومي بمفهومه الضيق، كنضال مركز في مواجهة الإتحاديين وسياسة التتريك فقط.

7- عدم تفريق النخبة الجزائرية المحافظة بين القضايا الوطنية المتعلقة بالإستعمار والتحرر وبين قضايا المغرب العربي، عن طريق المشاركة في الأحزاب والجمعيات المغاربية خاصة في تونس، وإشراك المغاربة الأشقاء في النضال ضمن الأحزاب والجمعيات الجزائرية كنجم شمال إفريقيا.

8- بينما تروج بعض الدراسات القادمة من الشرق و الغرب بأن المشرق العربي هو مهد ظهور الفكر القومي العربي مع بداية نشاط البعثات الإرسالية في بلاد الشام وربط الحركة الإصلاحية الإسلامية في العصور الحديثة بحركة الشيخ جمال الدين الأفغاني ، أو إعتماد أحداث بعينها للتأريخ لذلك كإعتبار لقاء شكيب أرسلان بمصالي الحاج على أنه بداية تغلغل الفكر القومي في الجزائر ، أثبت الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله ونظرائه من المدرسة التاريخية الجزائرية خطأ هذه الأفكار وضرورة مراجعتها، بالعودة لأعمال حمدان خوجة وابن العنابي والأمير عبد القادر وغيرهم و التي تثبت أسبقية الجزائريين في هذا المجال.

9- التغافل الكبير لباحثي ومثقفي البلاد العربية وخاصة في المشرق العربي عن تثمين هذه المساهمات الجزائرية في حركات التحرر العربي والنهضة الفكرية في البلاد العربية والإسلامية مما يفسر قلة البحوث الأكاديمية و التآليف حول نضالات الجزائريين في بلاد الشام أو الحجاز أومصر أو حتى المغرب الأقصى وغيرها،خارج الجهود الجزائرية مما يجعل المدرسة التاريخية الجزائرية أمام مسؤوليات شاقة للكشف عن هذه المكنونات.

10- بروز النخبة الجزائرية المحافظة بمستوى عال من الوعي وقدرة هائلة على تناول وتحليل القضايا الدينية والسياسية في كتاباتهم المختلفة وطروحاتهم المتعلقة بقضايا مثل التجنيد الإجباري وقضية الخلافة الإسلامية.

11- ضخامة التضحيات التي قدمتها النخبة الجزائرية المحافظة مشرقا ومغربا، وصل إلى حد الإعدامات والنفي والسجن ومصادرة الأملاك، كما تعرفنا على العديد من الأمثلة في بلاد الشام وتونس.

12- ثقل النخبة الجزائرية بشقيها المحافظ والإندماجي ضمن السياسية الألمانية والفرنسية في تفعيل العامل الديني ، ما يفسر وجود شخصيات بارزة على رأس الجهود المرتبطة بذلك لدى الطرفين (كصالح شريف ، الصفائحي ، الثعالبي ، بن غبريط ، الشرشالي....)

13- عدم إهتمام النخبة الإندماجية بمتابعة ومناقشة القضايا المتعلقة بالوطن العربي والعالم الإسلامي ، إلا ما يمت منها بصلة مباشرة بفرنسا وسياستها ، كما هو الأمر بالنسبة لدعم الدعاية الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى أو مساندة القرارات الفرنسية كقانون التجنيد الإجباري، فيما يُسجل غياب كلي لنشاط هذه النخبة خارج التراب الجزائري بسبب عدم لجوئها إلى الهجرة الخارجية أو بحثها عن توحيد النشاط مع أطراف خارجية حتى ولو كانت مشابهة لها في التوجهات والإيديولوجيات في تونس او المغرب أوغيرهما.

14- لاحظنا إقتصار النخبة الجزائرية بشكل كبير في التعامل مع قضايا الدولة العثمانية ، فقط على ما يتعلق بالشؤون المشتركة كقضية الخلافة أو التتريك أو الجامعة الإسلامية ، بينما لم تول النخبة الجزائرية الإهتمام بقضايا داخلية محضة تخص الدولة العثمانية ذاتها كنظام الحكم أو الجوانب الإقتصادية فيها ، والملاحظ تناقص هذا الإهتمام بشكل واضح بعد سقوط الخلافة ، أي بعد 1924م كأن الأمر المتعلق بتركيا الحديثة لم يعد يعنيهم، لزوال مبرر الإرتباط و الإهتمام ألا وهو الخلافة والجامعة الإسلامية.

الملاحق

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01	قصيدة الشاعر سيدي محمد بن اسماعيل حول حرب القرم
الملحق رقم 02	نص بيان توحش فرنسا في القطر التونسي والجزائري والإستنجاد إليه
الملحق رقم 03	فتوى شرعية في أداء الزكاة لإعانة الأسطول العثماني للشيخ صالح الشريف
الملحق رقم 04	جزء من تقرير فرنسي عن هجرة التلمسانيين سنة 1912م
الملحق رقم 05	رسالة وزارة الخارجية الفرنسية إلى الحاكم العام بالجزائر بشأن التعاون العثماني مع الطريقة السنوسية
الملحق رقم 06	مقال للأمير محمد سعيد الجزائري يدعم فيه الجامعة الإسلامية
الملحق رقم 07	مقال لصحيفة (ليكو دالجي) يحذر من مخاطر الحج على الفرنسيين (الجمعة 24 أكتوبر 1913م)
الملحق رقم 08	مقال لمجلة المنار القاهرية (س9-ع1) يبرز تناقص الحجاج الجزائريين بفعل التضييق الفرنسي على الحج
الملحق رقم 09	نماذج للقبور التي خصصتها فرنسا للجنود المسلمين أثناء الحرب العالمية الأولى
الملحق رقم 10	البعثات الألمانية لتحريض العالم الإسلامي أثناء الحرب العالمية الأولى وأبرز الجزائريين فيها
الملحق رقم 11	المسجد الذي شيده الألمان للأسرى المسلمين داخل معسكر الهلال بونسدروف زوسن
الملحق رقم 12	صورة للعدد الأول من جريدة الجهاد التي أصدرها الألمان اثناء الحرب العالمية الأولى ضمن آليات الدعاية الألمانية
الملحق رقم 13	واجهة كتاب الحاج عبد الله بوكابوية – الجنود المسلمون في خدمة فرنسا- (1917م) ونموذج لمقال منه
الملحق رقم 14	مطالب الشعب الجزائري- التونسي التي نشرتها "مجلة المغرب" سنة 1918م
الملحق رقم 15	نماذج من الشعارات المعادية للألمان من طرف جهات جزائرية أثناء الحرب العالمية الأولى
الملحق رقم 16	نموذج للكتابات الجزائرية المناهضة للتجنيد الإجباري
الملحق رقم 17	نماذج من الفتاوى المعادية للألمان الصادرة من طرف شيوخ الطرق والعلماء المساندين لفرنسا في الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى
الملحق رقم 18	صورة المجاهد الجزائري في الحرب الطرابلسية – مصطفى العوني التفراوي الجزائري-
الملحق رقم 19	نموذج من قرارات الإبعاد من تونس الصادرة في حق الجزائريين – نموذج أحمد توفيق المدني -
الملحق رقم 20	نموذج من الرسائل المتبادلة بين الأمير عبد المالك والجهات الألمانية- العثمانية أثناء ثورته في المغرب الأقصى
الملحق رقم 21	مالك بن نبي يصف مدى إهتمام القسنطينيين بحرب الريف وشخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي
الملحق رقم 22	مصالي الحاج يقر بتداول مواضيع حول حرب الريف وشخصيتي محمد بن عبد الكريم الخطابي ومصطفى كمال أتاتورك ضمن نقاشات أعضاء نجم شمال إفريقيا
الملحق رقم 23	مالك بن نبي يصف إهتمام الطلبة بشخصية مصطفى كمال أتاتورك
الملحق رقم 24	مقال ابن باديس" مصطفى كمال رحمه الله"
الملحق رقم 25	مقال ابن باديس " الخلافة أم جماعة المسلمين"
الملحق رقم 26	مقدمة كتاب "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" للشيخ محمد الخضر حسين
الملحق رقم 27	مقال محمد العابد الجلالي "نجم يهوي ونجم يسطع أو مصطفى وعصمت"
الملحق رقم 28	مقال الشيخ أطفيش" الإنقلاب التركي الأخير أو الدور الكمالي"
الملحق رقم 29	جزء من مقال" الإسلام خلافة لا جمهورية" التي نشرتها صحيفة المرشد التابعة للطريقة العلاوية
الملحق رقم 30	من إشارات فرحات عباس في إعجابه بمصطفى كمال أتاتورك
الملحق رقم 31	مصالي الحاج يتحدث عن نظرته لمصطفى كمال أتاتورك من خلال حادثة وقعت له
الملحق رقم 32	رسالة الأمير خالد للمؤتمر العربي الأول بباريس 1913م
الملحق رقم 33	مقال لجريدة المهاجر حول جهود الأمير محمد سعيد الجزائري في دعم الخلافة العثمانية
الملحق رقم 34	واجهة كتاب" إيقاض الإخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان" لإسماعيل الصفائحي ونموذج لمحتوياته
الملحق رقم 35	قصيدة تشطير الحميدية لعبد القادر بن إبراهيم المسعدي

الملحق رقم (01)

العنوان: قصيدة الشيخ محمد بن اسماعيل الجزائري لدعم العثمانيين في حرب القرم

Toutefois, il se peut qu'il n'ait entendu parler que des premières attaques des Russes sur les bords du Danube et où ceux-ci ont été repoussés. Il se peut aussi qu'il n'ait eu connaissance que des victoires remportées par Omar Pacha à Eupatoria et par Sélim Pacha à Litate.

Du reste, on sait bien avec quelle étonnante facilité les poètes arabes, en général, amplifient les faits les plus simples, avec quelle féconde imagination ils rendent fabuleux les événements que l'Histoire nous présente sous un autre jour.

Étant une des pièces qui ont obtenu et obtiennent encore, de nos jours, le plus grand succès auprès des Algériens, nous avons pensé, en publiant un chant populaire, être quelque peu utile aux personnes qui s'occupent de la littérature arabe.

Pour donner l'édition de ce poème, nous avons eu quatre manuscrits, dont l'un nous a été communiqué difficilement par le fils de l'auteur, aujourd'hui meddâh comme son père. Les variantes sont peu nombreuses, nonobstant les fautes d'orthographe dont fourmillent les manuscrits, écrits par des illettrés.

Quant au nombre de vers, il est partout le même.

Alger, le 10 décembre 1907.

M. BEN CHENEB.

Texte arabe

قال الشيخ السيد محمد بن اسماعيل الجزائري رحمه الله آمين

بسم الإله نبدا الجملة للماشفيين
ببشاير النصر يذهب كل غيار
صلوا على النبي محمد صاوي الجبين
وارضوا على اصحابه جملة الابرار
أدعوا بالنصر للامة المجاهدين
الله ينصر امة شارف الانوار

* أدعوا بالنصر لله يا حفار *

* * *

ا

يا رافع السما بالقدرة * المؤمنين ليك تفارع
انعم على الغزاة بنصرة * الاسلام كلها تقارع (1)
اجل على العباد اكثرة * لا منع غير حصنك مانع

(1) تقرع.

المصدر: R.A,vol 51,Année 1907,pp 167-197

تابع للملحق رقم (01)

لعنوان: قصيدة الشيخ محمد بن اسماعيل الجزائري لدعم العثمانيين في حرب القرم

— 172 —

طابت قلوب الأصبهاد * عيش ما تهتروف
في كل يوم جلاد * باخبار سوء يرقوب
رب بسيد الأسياد * فيما قضيت والطوب

رب اللطف بحال عبادك وانت الحنين
لا خبر زين يحلى به الشفصار
في كل يوم الأخبار انواع مختلين
يتحرق العقل من كثرة الأخبار

٢

يا كامل العطآ فرجنا * ببشاير النصر يا رزقي
تبرا تزول هذه المحنة * على المومنين يا مرغوبي
بجند من الملاك انصرنا * واهزم جيوش قوم الرهب

انصر جيوش الاسلام * بالمصطفى حبيبك
امة شفيع الانام * كونوا لنصر دينك
انبعثوا الخاص والعام * على عبايدين غيرك

انصر علام عبدك امير المومنين
عبد المجيد ناصر دين المختار
فانوا جنود الاسلام معه مستلين
في نصر دين رب تبغى الاعمار

— 173 —

٣

قال المليك مد المجيد (1) * لعلمة (2) المدن دوزآ
المسكو بحربه فاصمد * لهلاكنا بجيشه كثروه
دين النبي عليه نطارد * والنصر من الإله القدروه

الي يعيش فرحان * غازي بغى مجاهد
ولي يموت مصمان * فال الشفيع الامجد
تقديم حور الايمان * لقصور جنة الخلد

بين الصفوف حوريات المجاهدين
تظهر لزوجها كي تفصر الاعمار
لاجنة دراصية حوريات الغازيين.
يسقوا ازاجهم من الفردوس اخمار

(1) Les chanteurs prononcent عبد الماجد.

(2) لعلمة pour علمة. — Dans tout mot terminé par un alif l ou par un ي sans points, tel que علما et رحى, et suivi d'un complément, l'alif et le yâ sans points se changent en ï, dans la prononciation seulement.

المصدر:

الملحق رقم (02)

العنوان: نص بيان توحش فرنسا في القطر التونسي والجزائري

بيان توحش فرنسا
في القطر التونسي الجزائري والاستنجاد إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أعداءنا المحاربين لنا ، الفرنسيس والإنكليز والموسكوف ومن ألحق بهم مثل الخائن الطليان ، من طبيعتهم الفطرية الإفراط في عشق التسلط على من عداهم من الأمم ، وسلب استقلالهم وحريتهم الشخصية ، والتحكم فيهم بالهوى والشره التام على الاستئثار بكل ما في هذا الكون من المصالح ، وصرفها بانهماك في شهواتهم البهيمية ، وحرمان من عداهم من غير حس شفقة ولا مرحمة ، والبنى على هاتين الخصلتين الذميمتين الوحشيتين أن تجسم فيهم الحسد ، وتمثل فيهم كل أنواع المكر والخديعة للوصول إلى هذا الغرض السافل الماحي للإنسانية .

وقد تمكنوا بدسائسهم من التسلط على ما يقرب من أربعمائة مليون من البشر شاغلة أخصب أرض وأغناها وأعذبها ماءً وأجودها هواءً ، ووضعوهم تحت كلكلهم ، وسلبوا منهم كل إدارة سياسية لشؤونهم وكل منابع ثروتهم من كرائم أراضيهم التي ضبطت منهم جبراً ، وصنائعهم التي مجبت بمصنوعات الأعداء ، وتجارتهم التي تلاشت بجانب قوة تجارة الأعداء الخالية من كل إنصاف . وما كفاهم ذلك حتى ضموا إليه السعي الحثيث وراء إفساد أخلاقهم ومنعهم من كل علم يثقف أذهانهم أو يربي فيهم وجداناً شريفاً وشعوراً حراً صادقاً ، وقصروهم على تعلم لغتهم بدرجة تخولهم أن يكونوا خدمة عندهم ، في أثناء هذا كله يعاملونهم بغاية القساوة والامتهان وكسر الشرف ، وقصدهم من هذا أن يجعلوهم كلهم طبقة سفلى بالنسبة لهم خالية من كل علم نافع وأخلاق فاضلة وشرف نفس ، ليتفردوا بالتصرف في أوطانهم وجميع خيراته

٩٥

يخبرونكم بالحقيقة ، ويبلغونكم ما تقصدون من الحقوق المشروعة المنطبعة على الزمان ، فلتكونوا إخواننا الأعزاء عاملين بقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾

ولكن يداً واحدة لجمع كلمة الإسلام على دار الخلافة ورفع الغش منهم وإرشادهم بالحكمة ، آمرهم ومأمورهم ، عالمهم وجاهلهم ، ولنترك هذا الشقاق ، ولنرجع إلى خدمة جامعة الإسلام التي هي في الحقيقة دار الخلافة متمسكين بديننا طالبين حقوقنا بالأوجه المشروعة آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر بالحكمة . ذلك هو طريق النجاح والفلاح لكم وللإسلام قاطبة ، والسلام الأتم من أخ شفوق متفت الكبد على الإسلام ، وما حلّ به مجرب في نفسه يشاهد بعينه ، ولله فينا وفيكم علم غيب وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

٩٤

المصدر: علي الرضا الحسيني،صالح الشريف، الدار الحسينية للكتاب،دمشق، 2001-،صص 94،95.

الملحق رقم (03)

العنوان: فتوى شرعية لدعم المجهود الحربي العثماني من طرف الشيخ صالح الشريف

فتوى شرعية [1]

في أداء زكاة الأموال لإعانة الأسطول العثماني

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسلام على أفضل خلق الله وآله وصحبه أجمعين . أما بعد فقد سئلت عن إعطاء الزكاة للدونانمة (الأسطول) فأجبت بما يأتي :

ـ مذهب إمام دار الهجرة أن آية المصرف وهي قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ مسوقة للبيان لا للتقسيم ، وأن الواو بمثابة ـ أو ـ كأنه قيل والله أعلم ، إنما الصّدقات للفقراء أو المساكين الخ ، ومعنى ذلك أن الزّكاة لا يجوز أن تخرج عن الأصناف الثمانية ـ وممكن أن تدفع كلها لصنف واحد ، سيما إذا كان أحوج من غيره ، فإن تخصيصه بها يصير مطلوباً ، كما أن المراد بقوله تعالى ﴿ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الجهاد في سبيل الله من إعداد المعدات والصرف على الغزاة ، ومن ذلك بناء الأساطيل على التحقيق من المذهب .

قال في الكبير ما نصه : قال مالك رضي الله عنه : اللام في قوله تعالى للفقراء لبيان المصرف لا للملك ، يعني ولو كانت للملك للزم عموم الأصناف الثمانية ، لأن الملك يكون لكل صنف منهم . ثم قال : وفي المجموعة آية الصدقة ـ ليس فيها قسم بل إعلام بأهلها ، فلذلك لو أعطيت لصنف أجزأ ، وقيده ابن عبد السلام بما عدا العامل وإلا فلا معنى لدفع جميعها له .

ونص القطب الدردير في أقرب المسالك ـ وندب إيثار المضطر المحتاج على غيره بأن يخص بالإعطاء أو يزاد له فيه على غيره على حسب ما يقتضيه

المصدر: المصدر: علي الرضا الحسيني،صالح الشريف، الدار الحسينية للكتاب،دمشق، -2001،صص 86،84.

تابع للملحق رقم (03)

العنوان: فتوى شرعية لدعم المجهود الحربي العثماني من طرف الشيخ صالح الشريف

الحال ، إذ المقصود سدّ الخلة لا تعميم الأصناف ، فلا يندب ، بل متى أعطي لأي شخص موصوف بكونه من أحد الأصناف الثمانية كفى ..

ونصّ الدسوقي عند قول الإمام خليل في بيان صرف الزكاة ـ (ومجاهد وآلته ولو غنيا كجاسوس لاسور ومركب) وهذا قول ابن بشير ، ومقابله لابن عبد الحكم فيجوز عنده عمل الأسوار والمراكب منها ، ولم ينقل اللخمي غيره ، واستظهره في التوضيح ، قال ابن عبد السلام وهو الصحيح ، ولذا اعترض المواق على المصنف بأنه تبع تشهير ابن بشير ، وقال إنه لم ير المنع لغير ابن بشير فضلاً عن تشهيره . انتهى من البناني .

هذه نصوص السادة المالكية ، وبناء على هذا ، يجوز لمن وجبت عليه زكاة ، أن يخصصها بصنف الجهاد في سبيل الله من بناء الأسطول وإعداد معداته[1] ، بل إذا نظرنا إلى الاضطرار وشدة الاحتياج نقول لمن وجبت عليه الزكاة : يستحب في حقك أن تدفع الزكاة لهذا الجانب ؛ لأن الضرورة إليه في هذا الزمان أشد بأضعاف متضاعفة من غيره ، بل إذا نظرنا لمحيطنا نظر متبصر خالص النية ، نجد الإسلام قاطبة في حالة هجوم عليه ومفاجأة العدو له ، ومعلوم أن هاته الحالة توجب وتحتم شرعاً باتفاق المذاهب الجهاد في سبيل الله ودفع هجمات العدو على أوطان المسلمين ودينهم وحريمهم وذراريهم بالأموال والأرواح من غير تفرقة بين مال الزكاة وغيره وبين الغني والفقير والكبير والصغير والرجل والمرأة والعبد والحر ، فمن دفع زكاته كلها ، بل دفع ماله كله في الاستعداد للجهاد في هذا الزمن الحرج ، فقد قام بواجب من أكبر واجبات الإسلام وأعظمها ، على أنا نعني بالزكاة التي نطالب إخواننا المسلمين يدفعها للأسطول زكوات الدراهم والدنانير الموكولة لأمانتهم ، وهي بعض قليل

المصدر:

تابع للملحق رقم (03)

العنوان: فتوى شرعية لدعم المجهود الحربي العثماني من طرف الشيخ صالح الشريف

من مال الزكاة ـ والقسم الأعظم هو زكاة الحرث والماشية وذلك قائمة بجبايته الدولة ، فلا كلام لنا فيه ، وها هي قائمة في الجملة بغالب الأصناف الممكنة بحسب الزمان من تعيين معاشات للفقراء المتعففين عن صناعة التسول ، ومن إعانة أبناء السبيل ، ومن نفقة الاستعدادات في سبيل الله والغزاة ، ومن معاشات العاملين عليها ، إلى غير ذلك . وحيث كان من المقرر المعلوم عند عموم المذاهب ، أن كل من التزم مذهباً من المذاهب ، لا ينبغي له أن يخرج عنه لغيره إلا عند الضرورة ، فيسوغ له ذلك ، فالعمل بمقتضى هذا الفقه يخاطب به كل أهل المذاهب الأربعة للضرورة التامة الظاهرة التي لا تحتاج إلى إيضاح ، فلا عذر للمتخلف عن ذلك .

ورجائي من مقام مشيخة الإسلام، أن توافق على هذه الفتوى، بعد أن تقف على نصوصها المنقولة في مجالها ، حتى يقنع العموم ، ويعمل بمقتضاها .

ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد الكبرى لأسطول الإسلام . ومعلوم أيضاً أن مشيخة الإسلام ليست مشيخة السادات الحنفية فقط بل مشيخة السادات المسلمين قاطبة ، فكل المذاهب الأربعة لها حظ فيها ، وفتواها ترجع إليها ، كما أن خلافة الإسلام أيضاً لا تتقيد بقول دون قول في تدبير صوالح المسلمين ، بل كل قول في مذهب من المذاهب الأربعة دعت الضرورة إليه إذا طابق الزمان والحال ولو كان ضعيفاً هو مذهبها ، ونسأل الله جل جلاله أن يلهمنا الرشد ، ويعلمنا التأويل ، ويفقهنا في الدين[1] .

حرره صالح الشريف التونسي

المصدر:

الملحق رقم (04)

العنوان:تقرير عن هجرة التلمسانيين سنة 1912

(نص)

تقرير عن هجرة التلمسانيين سنة 1912

Gouverneur Général de l'Algérie
L'Exode de Tlemcen en 1911
Conseil général d'Oran
Séance du 28 octobre 1911
Rapport d'exode de Tlemen

M. Rouland, communique à l'Assemblée l'étude de M. Sabatier sur l'exode des indigènes.

Messieurs,

" Le Conseil Général ne peut se désintéresser de l'inquiétude que manifeste une partie de la population musulmane de Tlemcen et du départ d'un certain nombre de famille pour la Syrie. J'ai pensé qu'il était de mon devoir de conseiller général de Tlemcen de me livrer personnellement à une enquête minutieuse, de constater consciensement des faits, d'en rechercher les causes de vous soumettre le résultat de mes investigations.

I

La population musulmane sédentaire de Tlemcen est composée de 2 éléments distincts : les Koulouglis et les hadris, les premiers sont les descendants des turcs qu'on occupé Tlemcen, les Hadris sont d'origine arabe ou berbère.

" La division entre ces deux groupes était beaucoup plus accentuée autrefois qu'aujourd'hui … les hardis moins riche et plus humbles.

C'est surtout parmi les familles Koulouglis que l'administration française a choisi, au début de l'occupation, ses agents indigènes…

المصدر:عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية،(ج1)،دار هومة ، الجزائر ،2012 ،صص 52-55.

تابع للملحق رقم (04)

العنوان:تقرير عن هجرة التلمسانيين سنة 1912

… Les Koulouglis n'ont pas cessé d'être les collaborateurs dévoués de l'aurité française . Ils ont continué toutefois d'entretenir des relations avec la Turquie, le pèlerinage était pour eux une occasion de renouer connaissance avec leurs anciens compatriote, Parfois même une ou 2 de leurs familles quittaient l'Algérie pour se fixer soit en Asie Mineure, soit en Egypte.

" Il ne se sont jamais désintéressés des évènements dont la Turquie a été le théâtre. Quand la guerre éclata entre la Grèce et la Porte, ils suivirent les événements avec anxiété. Les télégrammes rendant comte des opérations militaires étaient lus et commentés dans les cafés maures avec une ardeur qui révélait la communauté d'origine et d'aspirations. Les Hadris étaient à peu près indifférents.

II

" Le retour sur le passé est nécessaire parce que les faits que je viens de rappeler permettent d'expliquer en partie l'exode qui s'est produit vers les provinces asiatiques de la Turquie.

" La liste de ceux qui ont déserté Tlemcen a été dressée ; elle contient 508 noms. Si l'on parcourt cette liste, un premier fait s'impose à l'attention ; elle ne comprend que des noms d'origine turque et notamment ceux des familles de Koulouglis qui, depuis l'occupation française, n'ont cessé d'occuper des emplois dans nos administrations et d'obtenir de celle-ci des faveurs… On peut affirmer, sans crainte de se tromper que le nombre des partants connus ou inconnus n'excède pas, dans la commune de Tlemcen le chiffre de 650.

" Il n'est pas rigoureusement exact que, seules, des familles Turques aient pris part à l'exode. Un groupe de Derkaoua comprenant des Hadris a quitté Tlemcen sous la conduite d'un mokaddem de l'ordre ; mais le groupe n'était composé que d'une trentaine de personne.

المصدر:

الملحق رقم (05)

العنوان: رسالة وزارة الخارجية إلى الحاكم العام بالجزائر حول تعاون الزاوية السنوسية مع العثمانيين

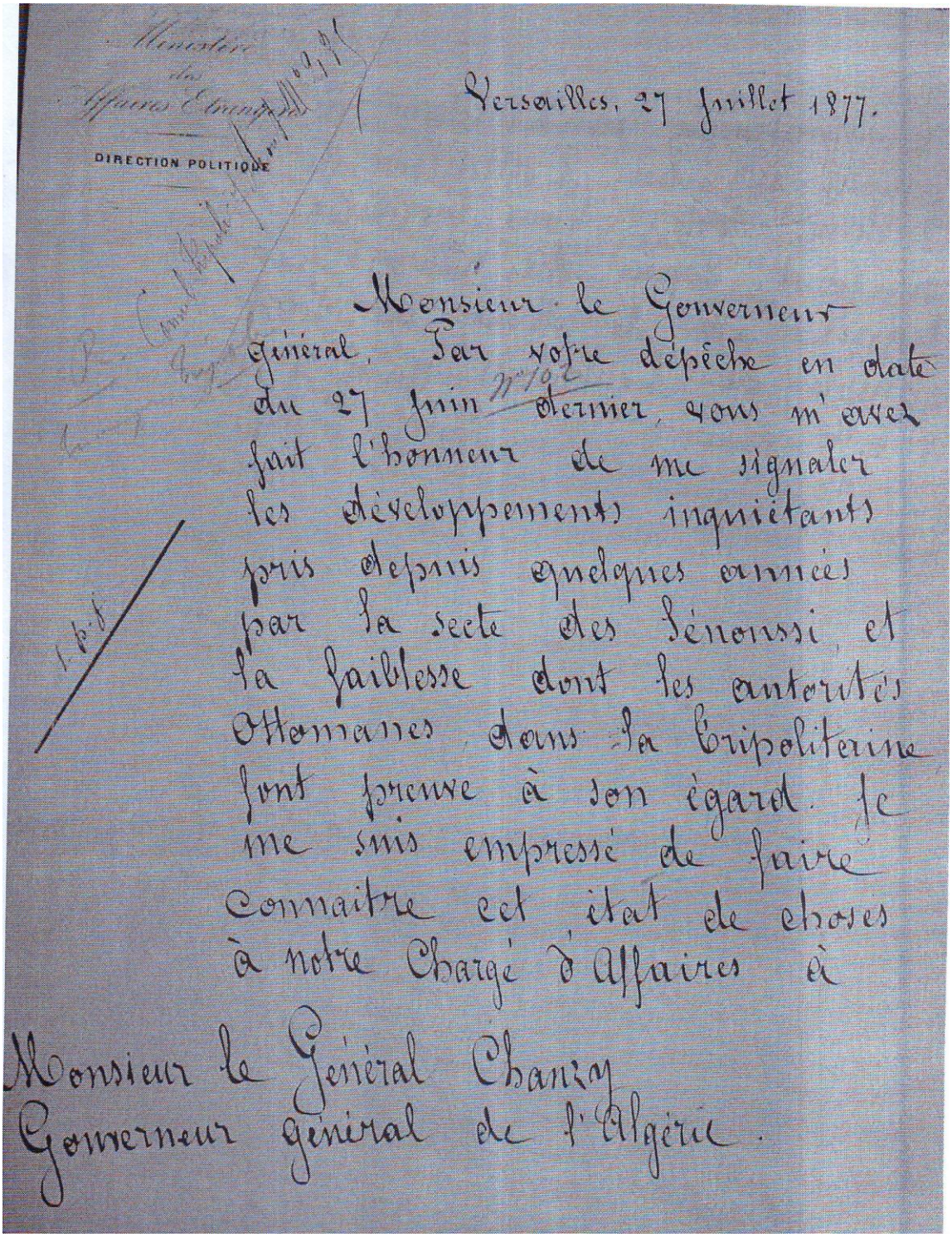

Ministère des Affaires Étrangères

DIRECTION POLITIQUE

Versailles, 27 Juillet 1877.

Monsieur le Gouverneur Général, Par votre dépêche en date du 27 Juin dernier, vous m'avez fait l'honneur de me signaler les développements inquiétants pris depuis quelques années par la secte des Senoussi et la faiblesse dont les autorités Ottomanes dans la Tripolitaine font preuve à son égard. Je me suis empressé de faire connaître cet état de choses à notre Chargé d'Affaires à

Monsieur le Général Chanzy
Gouverneur général de l'Algérie.

المصدر :سعود دحدي، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931م)،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر،قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة بن يوسف بن خدة ،الجزائر، 2009 – 2010 ،(الملاحق).

الملحق رقم (06)

العنوان: مقال للأمير محمد سعيد الجزائري حول الجامعة الإسلامية

الجامعة الإسلامية [1]

الجامعة الإسلامية: عرف السلطان عبد الحميد كيف يشغل مركزه كخليفة المسلمين أحسن استغلال فقد تبنى فكرة الجامعة الإسلامية واخذ يقرب إليه رجال الدين والعلماء على اختلاف قومياتهم أصبح شيخ الإسلام أبو الهدى الصيادي من رجال البلاط البارزين واشرأبت أعناق المؤمنين إلى السلطان عبد الحميد في الإمبراطورية العثمانية، بل وفي العالم الإسلامي قاطبة من الهند واندونيسيا إلى إفريقيا الشمالية والوسطي،وأخذ عبد الحميد يهدد بريطانيا بإثارة مسلمي الهند ضدها باعتباره الزعيم الروحي للمسلمين جميعا، وكانت دعوة الجامعة الإسلامية سلاحا قويا بيد عبد الحميد، عرف كيف يستغله ويستخدمه في احتفاظه بسلطانه المطلق داخل الدولة، وتمسك المتعصبين من المسلمين بحكمه، وفي اعتراف الدول الأوربية بسلطانه وحكمه.

وكانت الدول الأوربية قد آثرت النعرات الدينية عند الأقوام المسيحية التابعة للعثمانيين، فعملت على إثارة النعرات القومية عند الأقوام المسلمة التابعة وكان الشباب الأحرار والطلاب الذين تلقوا العلم في أرويا ودرسوا تاريخ القرون الماضية، وقد آ منوا بفكرة القومية، فأخذوا يدعون إلى جامعات قومية وكان طبيعيا أن يتم الجدَل بين التنويريين من أفراد الشعب حول أي الدعوتين خير للبلاد وكان طبيعيا أن تكون المدارس الثانوية والجامعات من أنشط الأماكن التي نشأت فيها مثل هذه القضايا وكنت في العاصمة التركية أتم تحصلي الثانوي في أرقى مدارسها، والتحقت بكلية الحقوق خلال عامين وكنت أعلم تلميذي مضطرا للخوص بمثل هذه المواضيع وأبدأ رأي واستماع أراء المعارضين

وكنت بحكم تربيتي الأولى وبحكم تقاليد أسرتي الشريفة منضما إلى الفريق المؤيد لفكرة الجامعة الإسلامية وكنت قد أوتيت منذ نعومة أظافري حظا وافرا من البناء المنطقي،وقوة الحجة وسلامة الأسلوب في الكتابة وكنت أشعر بحيوية فياضة وميل للعمل المستمر،كما اشعر أيضا وأنا لا أزال أتابع تحصيلي الثانوي أن علي أن ارفع من شأن الأسرة القديرية وأن أتابع جهادها المقدس ضد كل ظلم واستبداد ورفع راية الحق دون خوف من سلطان وأن أصبح عما قريب عماد العائلة،وخليفة الجد الأمير عبد القادر العظيم الذي استنا لأنجاله سنة التفاني في الخدمة العامة،ولما كانت هذه

المصدر: المصدر: محمد سعيد الجزائري،مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي، د وم اش ج ت وط ت ون ، الجزائر،1968،صص 21،22.

تابع للملحق رقم (06)

العنوان: مقال للأمير محمد سعيد الجزائري حول الجامعة الإسلامية

المواهب والميول مجتمعة في شخصيي فقد اندفعت اندفاعا غريبا نحو تأييد فكرته وهي الدعوة للإسلام، وكنت في طبيعة الحال أي وجوب نصرة الدولة العثمانية لأنها دولة إسلامية ووجوب مقاومة الدول الأوروبية فإنها دول استعمارية تتظاهر بميلها للإسلام وهي تضمر الحقد والشر لأهله، ولا تبغي غير الاستعمار،وقد تعلمت درسا من أعمال فرنسا في الجزائر،وعرفت أخيار جدي العظيم مفصلة وأمنت أنه يجب أن لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين،فأخذت أدعو لفكرته الإسلامية وأبث دعوتي بين أخواتي ومعارفي،وأتصل بالمؤمنين الداعين لفكرة الإسلامية وكنت أنكب على قراءة كتب فلاسفة الإسلام القدماء والمحدثين .

ولما عدت إلى دمشق مسقط رأسي وكنت سفرت إلى بيروت مرات متتالية أخذت أنشر في الصحف كالرأي العام لطه مدور،والبلاغ لمحمد الباقر،والمشكاة لتوفيق عطار حسن،والمهاجر لابن شطا المقالات الطوال وفيها تأييد الدولة العثمانية والدعوة للفكرة الإسلامية وكانت مقالتي تثير صخبات عظيمة وتلاقي تأييدا من فريق وانتقادا من فريق،ولكنها على كل حال كانت تثير الموضوع، وتنقله من الخاص إلى عامة الشعب الذين يطلعون على الصحف.

المصدر:

الملحق رقم (07)

العنوان: مقال يبرز خطورة الحج بالنسبة للسياسة الفرنسية

L'ECHO D'ALGER

5 Centimes — JOURNAL RÉPUBLICAIN DU MATIN — 5 Centimes

Le Pèlerinage à la Mecque

NOTE DU JOUR

ECHOS

Souvenirs Algériens

24 Octobre 1870

Notre Flotte Aérienne de Guerre

La Danse des Millions

La Vie et les Travaux de Charles TELLIER

Et le Quartier Malakoff ? Monsieur le Maire !

LE SALON DE L'AUTOMOBILE

La Caricature Etrangère

LA VIE DROLE

المصدر: ليكو دالجي، الجمعة 24 أكتوبر 1913،ص1.

الملحق رقم (08)

العنوان: تقلص عدد الحجاج الجزائريين بسبب التضييق الفرنسي

إحصاء الحجاج سنة ١٣١٥ (*)

بلغ عدد الحجاج الذين مروا من قنال السويس جائين من طريق بور سعيد أو الاسكندرية ٨٣٥٢ عثمانياً و ١١١٣ ايرانياً والذين جاؤا عن طريق البصرة الى السويس ومروا من القنال ١٩٠ والذين لم يمروا منه ١٥٣

وبلغ عدد الحجاج من بوسنه وهرسك ٨٦ ومن مغاربة الجزائر ٢٧ (وذلك لان فرنسا أحصرت مسلمي بلادها منذ خمس سنوات) ومن مغاربة الدولة العلية ١٤١ وبلغ عدد الروسيين الذين جاؤا عن طريق الاسكندرية ٢٠٩ وبلغ عدد المصريين ٤٥٤١ سافر زيادة عن ثلثيهم في وابورات الشركة المخصوصة العثمانية والباقي في وابورات البوسطة الخديوية والوابورات النمساوية . وزد على ذلك ٢٤٠ حاجاً من المغاربة والدكارنة والسودان سافروا في وابورات الشركة العثمانية مجاناً لانهم فقراء . ذكر المؤيد هذا الاحصاء بزيادة تفصيل وقال انه أضبط احصاء حصل للحجاج . بلغ عدد الحجاج الذين غادروا منى بعد التضحية مئتي ألف نفس «السلام»

المصدر: مجلة المنار ،س9- م1،ص 163.

الملحق رقم (09)

العنوان: نموذج للقبور التي خصصتها فرنسا للجنود المسلمين أثناء الحرب العالمية الأولى

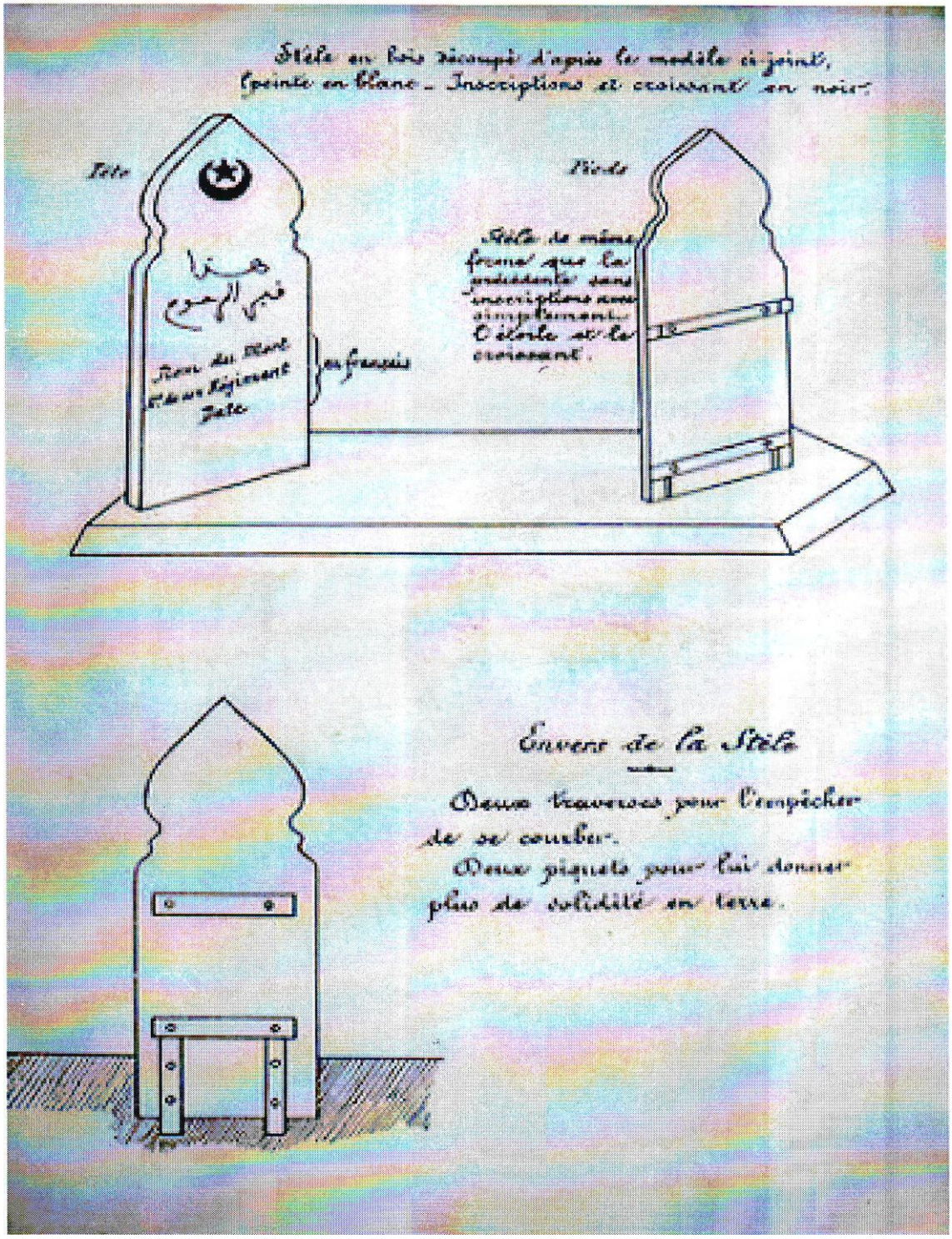

المصدر: الشبكة العنكبوتية

الملحق رقم (10)

العنوان: البعثات الألمانية لتحريض العالم الإسلامي وأبرز الشخصيات الجزائرية فيها أثناء الحرب العالمية الأولى

البعثات الألمانية لتحريض العالم الاسلامي على الثورة ضد الوفاق الودي

المبعوثون/ الناشطون	المهنة الأساسية	الوظيفة خلال 1914-1918	البلدان التي زارها
Baron Max von Oppen heim	عالم أثار ودبلوماسي	رئيس دائرة الاستعلام العسكري	مصر والعراق وسورية والجزائر والدولة العثمانية
Col.Hermann frobenius	ضابط		العراق وفارس
Fritz von Papon	دبلوماسي	سفير في واشنطن ثم إسطمبول	مصر
Dr.Konrad Preusser	طبيب وعالم أثار		العراق ومصر والدولة العثمانية
Oskar Ritter von Niedermayer	عالم جيولوجيا	رئيس بعثة طهران	العراق وفارس
Wilheim Wassmuss	دبلوماسي	تنظيم فدائيين في فارس	العراق وفارس وكردستان
Werner Otto Von Hentig	دبلوماسي	بعثة إلى فارس وأفغانستان	أفغانستان وفارس
Fritz Grobbe	محام ودبلوماسي	بعثة إلى الجزيرة العربية	دمشق وفلسطين
Leo Frobenius	عالم أثار	بعثة إلى الجزائر	الجزائر وتونس والسودان
Hans von Kalle	ضابط	بعثات إلى المغرب	طنجة والمغرب وإسباني

المصدر: عبد الرؤوف سنو،الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال ح ع1،بيروت ،2002،صص 183-188.

تابع للملحق رقم (10)

العنوان: البعثات الألمانية لتحريض العالم الإسلامي وأبرز الشخصيات الجزائرية فيها أثناء الحرب العالمية الأولى

الشخصيات العربية التي تعاملت مع المؤسسات والأجهزة الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى

الإسم	الجنسية	الولادة والوفاة	النشاط	ملاحظة
أبو الفضل ، سعيد مأمون	من الجزيرة العربية	1891-؟	وكالة اخبار الشرق وضابط في الجيش الألماني في البلقان	نشر كتابا وعدة مقالات في ألمانيا حول الاسلام
أرسلان، شكيب	لبناني	1869-1946	نشاط سياسي في ألمانيا عامي 1917-1918	أصدر حوالي 40مقالا في ألمانيا عن علاقة الشرق والمسلمين بالحرب
باش حانبا ، محمد	تونسي	1881-1920	تعاون مع المخابرات الألمانية	وضع مؤلفات بالفرنسية حول تونس والسياسة الفرنسية تجاهها
بوكابوية،رباح (الحاج عبد الله)	جزائري	1875-؟	عمل مع وكالة أخبار الشرق في برلين	فر من الجيش الفرنسي والتحق بالألمان – نشر دراسات عدة عن الجهاد في المغرب العربي
صالح الشريف	جزائري	1869-1920	عمل مع وكالة أخبار الشرق	أسس لجنة من أجل إستقلال تونس والجزائر
جاويش ، عبد العزيز	مصري	1876-1929	عمل مع وكالة اخبار الشرق	أحد مؤسسي مجلة العالم الاسلامي ببرلين
حمزة عبد الملك	مصري	1886-؟	عمل مع وكالة	عضو في الحزب

المصدر:

تابع للملحق رقم (10)

العنوان: البعثات الألمانية لتحريض العالم الإسلامي وأبرز الشخصيات الجزائرية فيها أثناء الحرب العالمية الأولى

الخضر ، محد حسين	جزائري	1876-1958	تعاون مع وكالة أخبار الشرق	كتب مقالات للتأثير على الأسرى المسلمين في قبضة ألمانيا
رفعت منصور ، مصطفى	مصري	1883-1926	عمل مع وكالة أخبار الشرق	له العديد من الدراسات والمقالات
عبد القادر ،أحمد مختار	جزائري	1857- 1918	تعاون مع وكالة أخبار الشرق	حفيد عبد القادر الجزائري
العنابي ،السيد محمد	مغربي	؟؟؟؟	مستشار في ألمانيا عام 1916 للشؤون المغربية	نشر مقالات حول الاستعمار الفرنسي في المغرب

المصدر:

الملحق رقم (11)

العنوان: المسجد الذي شيده الألمان للأسرى المسلمين داخل معسكر الهلال

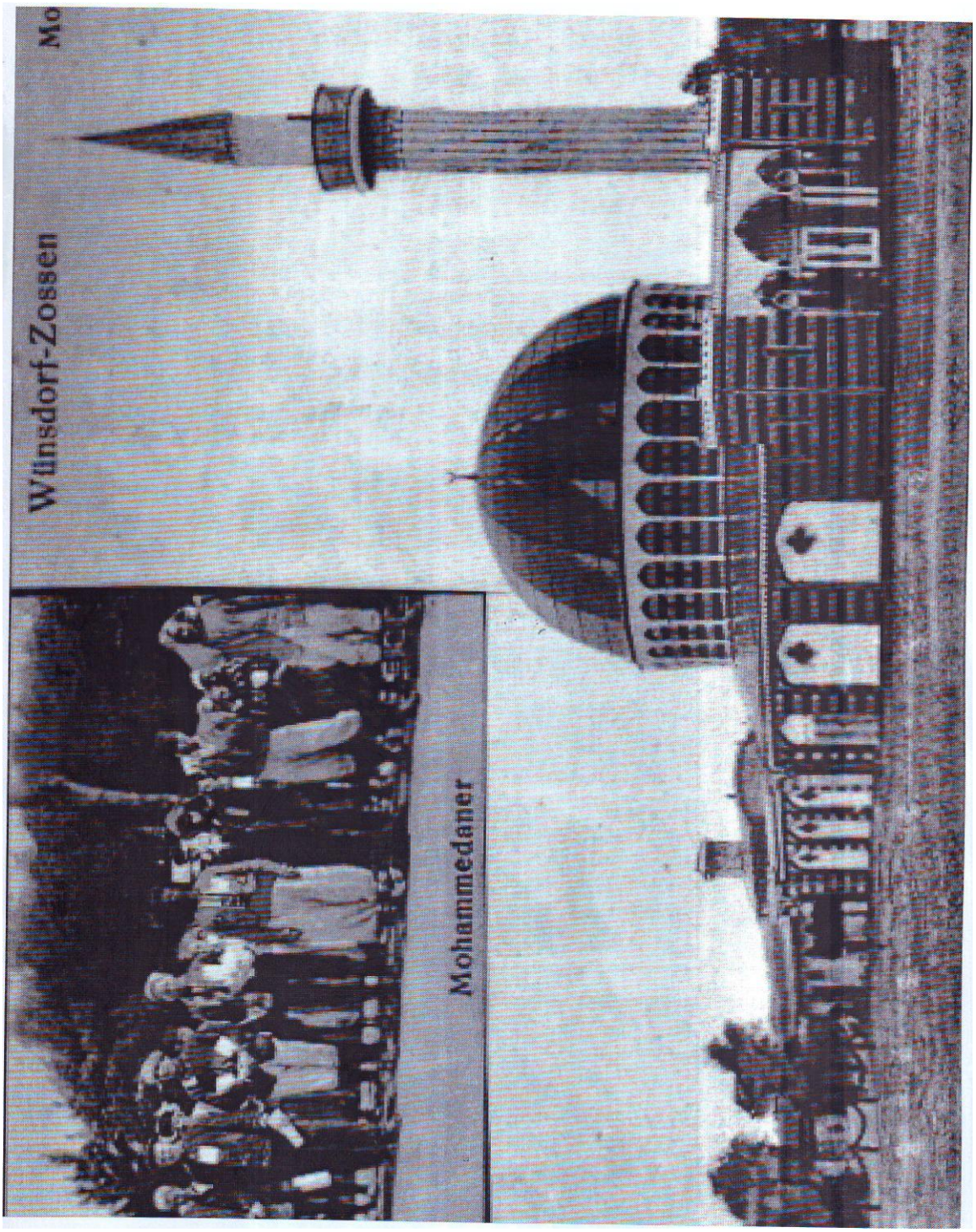

المصدر: الشبكة العنكبوتية ، موقع GALLICA

الملحق رقم (12)

العنوان: صورة للعدد الأول من جريدة الجهاد التي أصدرها الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى

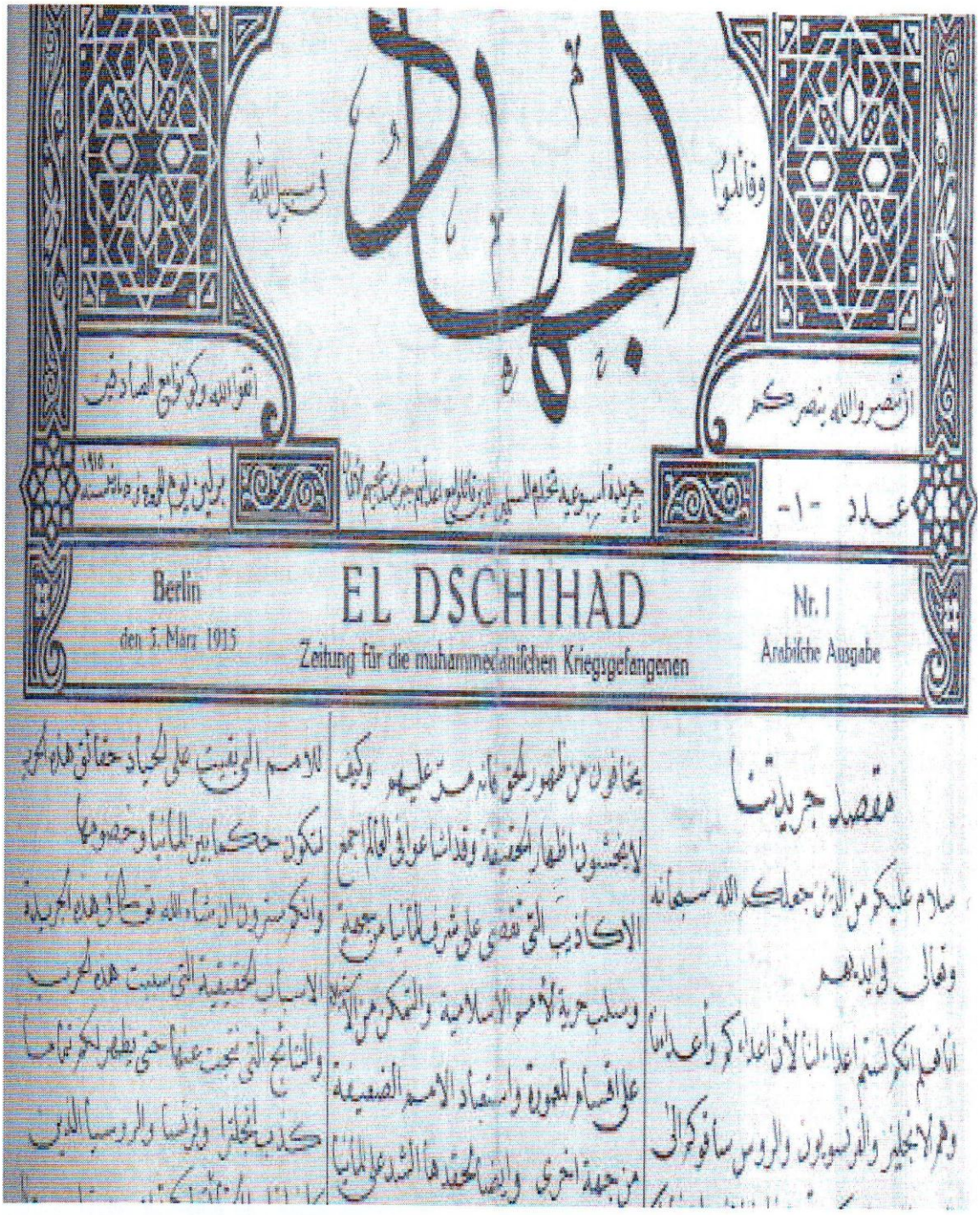
الجهاد

وقاتلوا في سبيل الله

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

انصروا الله ينصركم

عدد -١-

جريدة أسبوعية تخدم المسلمين الذين وقعوا في الأسر من جيوش الأعداء

برلين يوم الجمعة ٢٠ صفر سنة ١٣٣٣

Berlin

den 5. März 1915

EL DSCHIHAD

Zeitung für die muhammedanischen Kriegsgefangenen

Nr. 1

Arabische Ausgabe

مقصد جريدتنا

سلام عليكم من الذي جعلكم الله سبحانه وتعالى في أيديهم

أنا نعلم أنكم لستم أعداءنا لأن أعداءكم وأعداءنا هم الانجليز والفرنسويون والروس سائقوكم إلى

يخافون من ظهور الحق فانهمر عليهم وكيف لا يخشون اظهار الحقيقة وقد أنشأوا في العالم أجمع الأكاذيب التي تفشي على شرفنا أنا من جهة وسلب حرية الأمم الإسلامية والتشكر من الآخرين على أقسامها المعنوية واستعباد الأمم الضعيفة من جهة أخرى وأيضا لتحقيقها الشديد على ألمانيا

لا يسعنا إلى التنبيه على الجهاد حقائق هذه الحرب لنكون حكما بين ألمانيا وخصومها ونكتفي بذكر ما شاء الله تعالى في هذه الجريدة الأسباب الحقيقية التي سببت هذه الحرب والنتائج التي نجنيها حتى يظهر لكم تماما كذب انجلترا وفرنسا والروسيا الذين

المصدر: الشبكة العنكبوتية ،موقع GALLICA

الملحق رقم (13)

العنوان: واجهة كتاب الحاج عبد الله بوكابوية ونموذج لمقال منه

Les

SOLDATS MUSULMANS

au Service de la France

Lieutenant Indigène BOUKABOUYA

(HADJ ABDALLAH)

des Tirailleurs Algériens

1917

Librairie Nouvelle de Lausanne

LAUSANNE

المصدر: Abdallah Boukabouya ,les soldats musulmans au service de la France,librairie Nouvelle de Lausanne, Lausanne, 1917

تابع للملحق رقم (13)

العنوان: واجهة كتاب الحاج عبد الله بوكابوية ونموذج لمقال منه

Page 42, 43 et 44 *(Réplique à des mensonges)*.

« Tout d'abord, nous tenons à dénoncer à l'opinion du monde entier les procédés odieux employés par les Allemands, vis-à-vis de nos frères prisonniers, en vue de les obliger à servir dans les rangs turcs.

« Une propagande a d'abord été entreprise auprès d'eux par des personnalités égyptiennes, turques et syriennes. L'une d'elle a été appelée tout exprès de Damas. Ses origines algériennes l'indiquaient comme susceptible d'avoir une influence particulière.

« C'est Ali-Pacha, frère de l'Emir Abd-El-Kader. On représentait à nos frères que leur devoir de musulmans était d'aller combattre dans les rangs turcs. Ces appels restèrent sans écho. On passa alors aux promesses d'argent, qui n'eurent pas plus de succès.

« Devant cette belle attitude, les Allemands menacèrent de pires représailles : « Vous irez de force chez les Turcs, puisque vous ne voulez pas vous y rendre volontairement. » Et toutes les vexations furent infligées à nos malheureux frères. Ils furent soumis aux travaux les plus durs et le plus répugnants; on alla même jusqu'à les priver de nourriture. Et ce ne sont pas seulement des hommes qui menaçaient; les femmes allemandes, que l'on pourrait croire plus accessibles à la pitié, en faisaient autant.

« Il nous a été rapporté par un grand blessé qu'une religieuse lui dit un jour : « Lorsque tu seras guéri, tu iras te battre contre la France dans les rangs turc ». Devant les protestations indignées du tirailleur, elle entra dans une violente colère et lui dit : « Eh bien, tu iras de force, comme tous tes frères.

« Ces procédés de mauvais traitements auxquels les soldats indigènes de l'Afrique du Nord sont soumis, ne sont pas ignorés de la masse de nos compatriotes, et ce ne sont pas les affirmations du traître El Hadj Abdallah qui peuvent calmer la douleur que nous ressentons à la pensée des souffrances morales et physiques de nos malheureux frères prisonniers en Allemagne. »

Ici, il m'est d'abord infiniment agréable que les autorités allemandes, qui ont accompli et accomplissent encore tant d'actes humanitaires à l'égard des prisonniers musulmans, puissent constater positivement cette fois la mauvaise foi et la fourberie des auteurs de la

المصدر:

الملحق رقم (14)

العنوان: مطالب الشعب الجزائري- التونسي التي نشرتها مجلة المغرب 1918

3me Année — N°s 9-12 — Septembre-Décembre 1918

LA

Revue du Maghreb

Les revendications du peuple algéro-tunisien.

Signé :

CHEIKH SALAH CHERIF ETTOUNSI, professeur à l'Université Zitouna de Tunis ;
CHEIKH MOHAMMED ELKHEDIR BEN ELHOUSSINE, id. ;
CHEIKH MOHAMMED MIZIANE ETTELEMÇANI, professeur à Tlemcen ;
MOHAMMED ECH-CHEIK ETTOUNSI ;
MOHAMMED BIRAZ ELDJAZAÏRI ;
HAMDANE BEN ALI ELDJAZAÏRI ;
MOHAMMED BACH HAMBA, ancien magistrat à Tunis.

Mémoire adressé au Congrès de la paix par le Comité algéro-tunisien :

L'Algérie et la Tunisie, depuis la conquête musulmane, ont toujours formé un seul et même pays ayant pour capitale Tunis. Elles sont peuplées de sept millions d'indigènes de même race, de même langue et de même religion.

De tout temps, ce peuple a joui de son indépendance et a su administrer son pays de façon à garantir à tous la justice, la liberté, la sécurité. La société tunisienne était solidement constituée. L'organisation politique, administrative et militaire était complète. L'instruction était très répandue dans le pays : enseignements secondaire et supérieur étaient absolument gratuits et étaient ainsi à la portée des classes pauvres du peuple. La science du droit, la littérature, la philosophie étaient florissantes. Dans le domaine économique, l'agriculture était prospère. Les terres étaient réparties entre les populations d'une manière équitable. Les ouvriers dans tous les métiers étaient protégés par les lois et gagnaient largement

au culte et à la langue du vaincu[1]. Le vainqueur lui imposa un régime spécial d'injustice, de violence, d'humiliation et de terreur perpétuelle. Après près d'un siècle, l'Algérien *musulman* est encore de nos jours traité en *vaincu* ; il ne jouit d'aucune garantie légale, d'aucun droit, d'aucune liberté, par contre, il est soumis à toutes sortes d'obligations, y compris l'impôt du sang.

En Algérie, le musulman auquel on a imposé le service militaire, ne jouit pas des droits civils et politiques. Seuls, les Français, les juifs et les étrangers naturalisés exercent ces droits. Grâce aux garanties légales et aux libertés dont ils jouissent et dont sont privés les Algériens musulmans, grâce aux assemblées qui décident de la politique du pays et des budgets et dans lesquelles leurs représentants sont quatre ou cinq fois plus nombreux que ceux des Algériens musulmans, les cinq cent mille Français d'Algérie réussissent à condamner les *cinq millions* d'Algériens musulmans à un servage perpétuel. Ainsi, de par les lois existantes, cette infime minorité gouverne seule le pays à son seul profit. Elle se constitue des privilèges énormes et scandaleux et ne tient aucun compte des droits et des intérêts du peuple algérien, qui est ainsi taillable et corvéable à merci.

Après la conquête de l'Algérie, la France jeta son dévolu sur la Tunisie.

En 1881, prétextant des incursions de Tunisiens sur le territoire algérien, les armées de la République envahirent la Tunisie et usèrent de violence contre un petit peuple qui ne demandait qu'à vivre en liberté. Le général Bréart parvint avec ses troupes devant la résidence du Bey de Tunis. Il se rendit auprès de ce souverain le 12 mai 1881, lui donna lecture

[1] En cela en violation de la convention passée lors de la capitulation d'Alger, entre le dey Hussein et le général de Bourmont, commandant des armées françaises. Cette convention porte : « L'exercice de la religion mahométane restera libre. *La liberté des habitants de toute classe, leur religion, leurs propriétés, leur commerce et leur industrie ne recevront aucune atteinte.* »

المصدر: الشبكة العنكبوتية موقع GALLICA

الملحق رقم (15)

العنوان: نماذج من الشعارات المعادية للألمان من طرف جهات جزائرية أثناء الحرب العالمية الأولى

APPEL DU SEYYID MOHAMMED EL-BECHIR, DE LA DESCENDANCE DE SIDI MOHAMMED EL-TIDJANI, CHEIKH DE LA ZAOUÏA DE TEMASIN, A TOUS SES MOKADDEMS ET AUX AMIS DE SA TARIKA.

الدولة التركية خرجت
من دائرة الاسلام
بمرتكباتها التي فيها
هلاك الاسلام والمسلمين معا

« Le Gouvernement turc s'est placé lui-même en dehors de la religion musulmane, en accomplissant des actes répréhensibles qui tendent à la perte de l'Islam et des Musulmans. »

المصدر: RMM, vol ,XXIX,décembre 1914

تابع للملحق رقم (15)

العنوان: نماذج من الشعارات المعادية للألمان من طرف جهات جزائرية أثناء الحرب العالمية الأولى

RECOMMANDATION DU SEYYID MOHAMMED ED-AROUSSI, DE LA DESCENDANCE DE FEU SIDI MOHAMMED ES-SAGHIR ET-TIDJANI, CHEIKH DE LA ZAOUÏA DE GUEMAR, A TOUS SES MOKADDEMS.

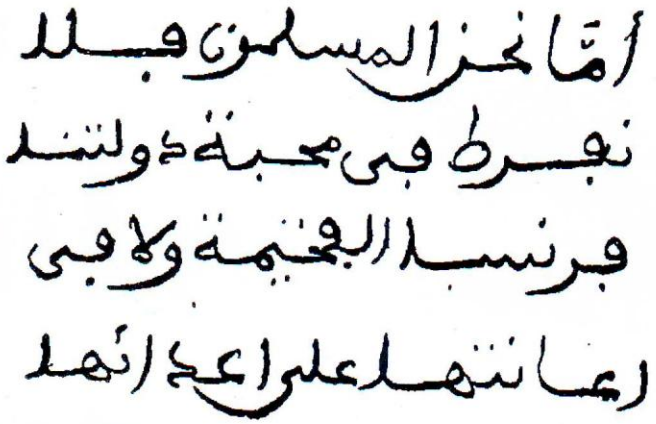

« Quant à nous, Musulmans, nous ne faillirons pas à notre amitié pour la France glorieuse, et nous ne négligerons rien pour l'aider contre ses ennemis. »

المصدر:

الملحق رقم (16)

العنوان: نموذج للكتابات الجزائرية المناهضة للتجنيد الإجباري

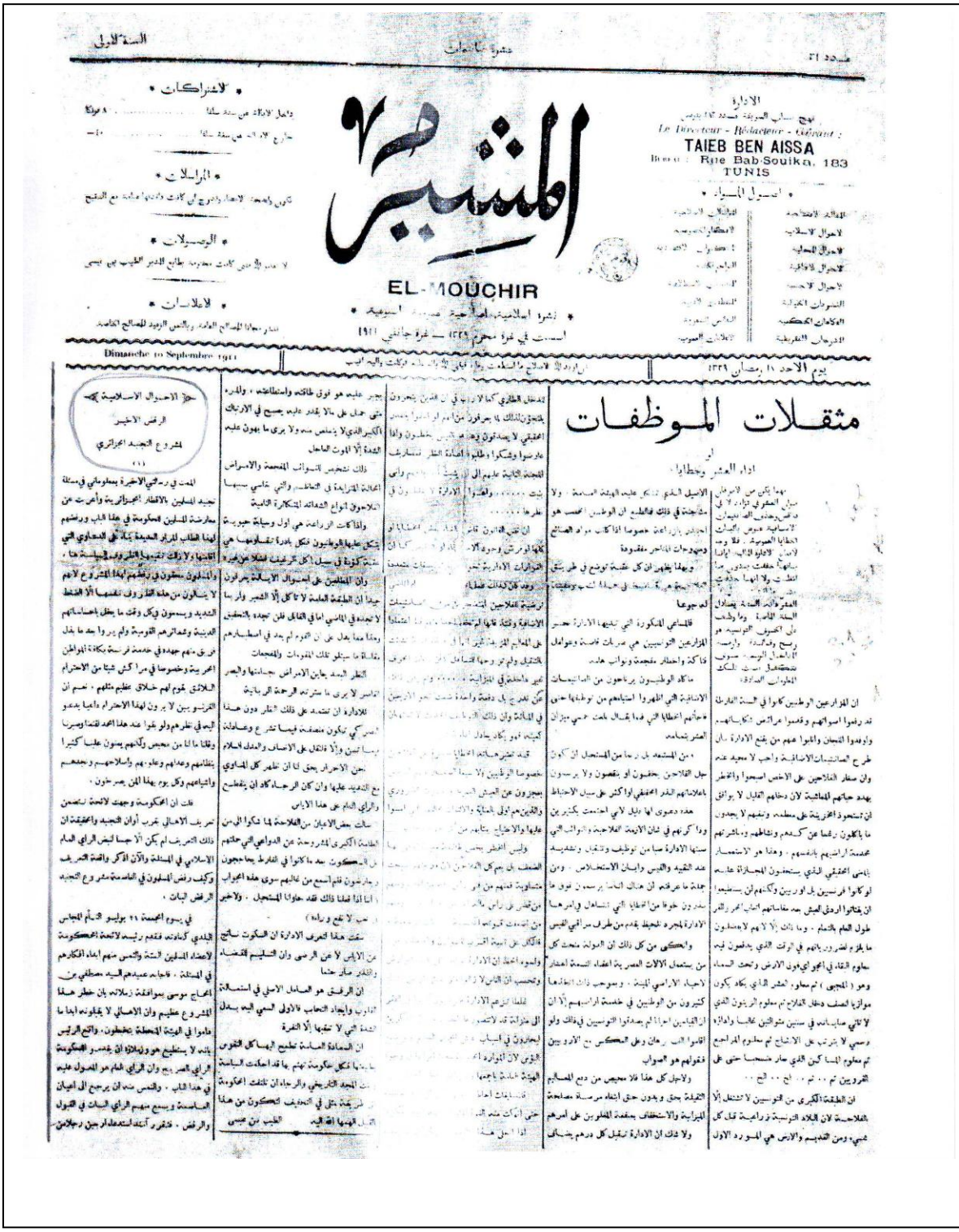

المشير
EL-MOUCHIR
Dimanche 10 Septembre 1911
مثقلات الموظفات
مشروع التجنيد الجزائري

المصدر: جريدة المشير

الملحق رقم (17)

العنوان: نماذج من الفتاوى المعادية للألمان الصادرة من طرف شيوخ الطرق وعلماء جزائريين مساندين لفرنسا

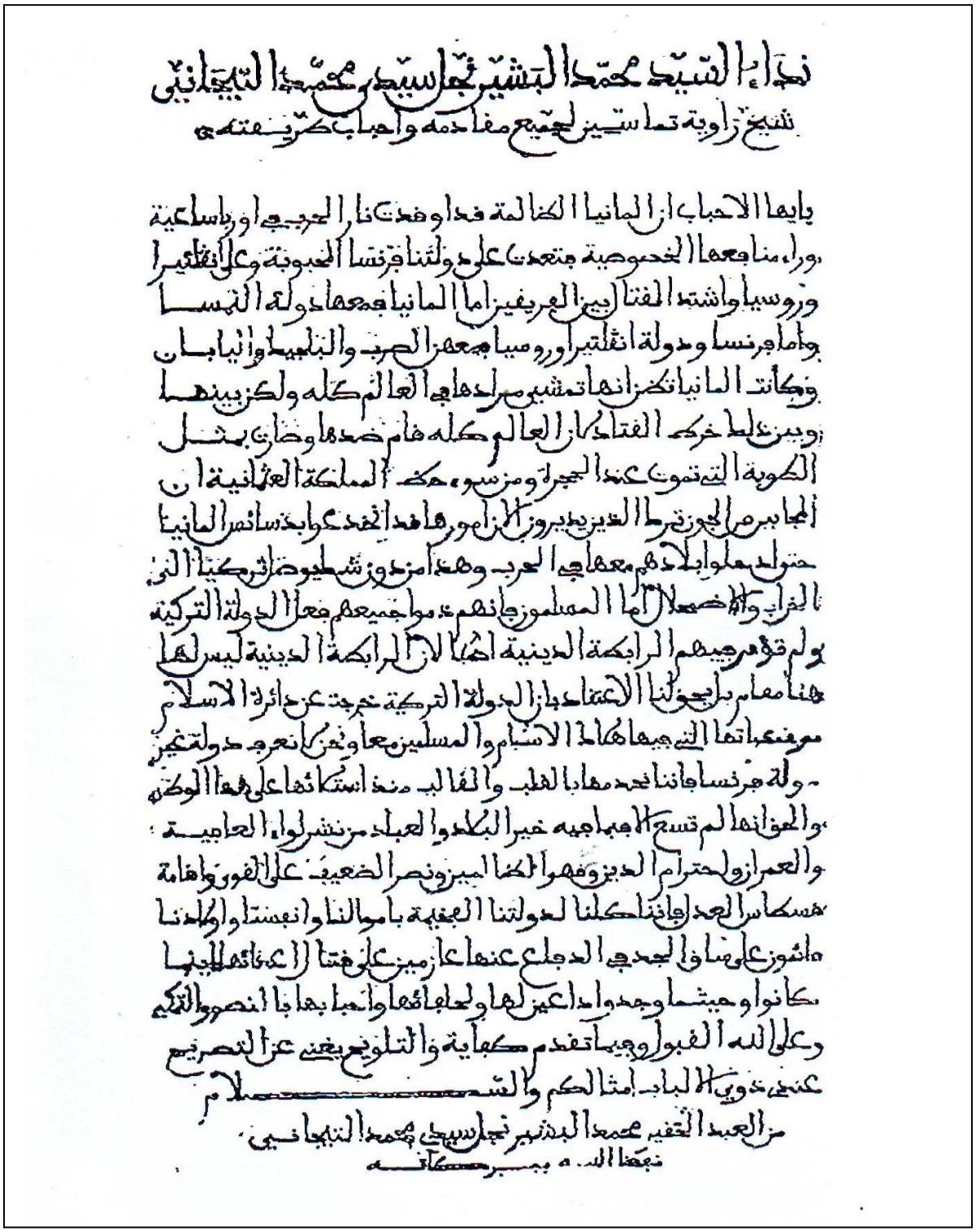

نداء الشيخ محمد البشير نجل سيدي محمد التيجاني
شيخ زاوية تماسين لجميع مقادمه وأحباب كرسيه

يا أيها الأحباب إن المانيا الظالمة قد أوقدت نار الحرب أو رباعية
ورام منافعها الخصوصية متعدت على دولتنا فرنسا المحبوبة وعلى انقلتيرا
وروسيا واشتد القتال بين الحريفين أما المانيا فمعها دولة النمسا
وأما فرنسا ودولة انقلتيرا وروسيا فمعهن الصرب والبلجيك وإيطاليا
وكانت المانيا تظن أنها تشبي مرادها في العالم كله ولكن بينها
وبين ما أرادته القتال كان العالم كله قام ضدها وصارت بمثل
الكوبة التي تموت عند الجرة ومن سوء حظ المملكة العثمانية أن
المجابير من الجوز قرط الذي يبيروز الأمور فقد انخدع بدسائس المانيا
حتى دخلوا بلادهم مع حلفاء الحرب وهذا من دون شك يوصل تركيا إلى
الخراب والاضمحلال أما المسلمون الذين هم مواجيعهم مع الدولة التركية
ولم تؤمر جيشهم الرابطة الدينية أهلا لأن الرابطة الدينية ليس لها
هنا مقام بل يجب علينا الاعتقاد بأن الدولة التركية خرجت عن دائرة الإسلام
بمرتكباتها التي يقشعر منها الأشعار والمسلمين معاونين كانوا مع دولتهم
- دولة فرنسا فإننا نحمد مها بالقلب واللسان منذ استكانها على هذا الوطن
والعوائد لم تسع الأجانب غير البلاد والعباد من نشر لواء الحامية
والعمران واحترام الدين وفهو الخاسرين ونصر الضعيف على القوي وإقامة
ميكاس العدل فإننا كلنا لدولتنا الجنية بالنفس والنفيس والمال
مأمورون على مساواة الجد في الدفاع عنها عازمين على مقاتلة أعدائها أينما
كانوا وحيثما وجدوا داعين لها ولجيوشها وأنجابها بالنصر والتمكين
وعلى الله القبول وبما تقدم كفاية والتلويح يغني عن التصريح
عنى ذوي الألباب أمثالكم والسلام

من العبد الفقير محمد البشير نجل سيدي محمد التيجاني
نفعنا الله وبركاته

المصدر: RMM, vol ,XXIX,décembre 1914

تابع للملحق رقم (17)

العنوان: نماذج من الفتاوى المعادية للألمان الصادرة من طرف شيوخ الطرق وعلماء جزائريين مساندين لفرنسا

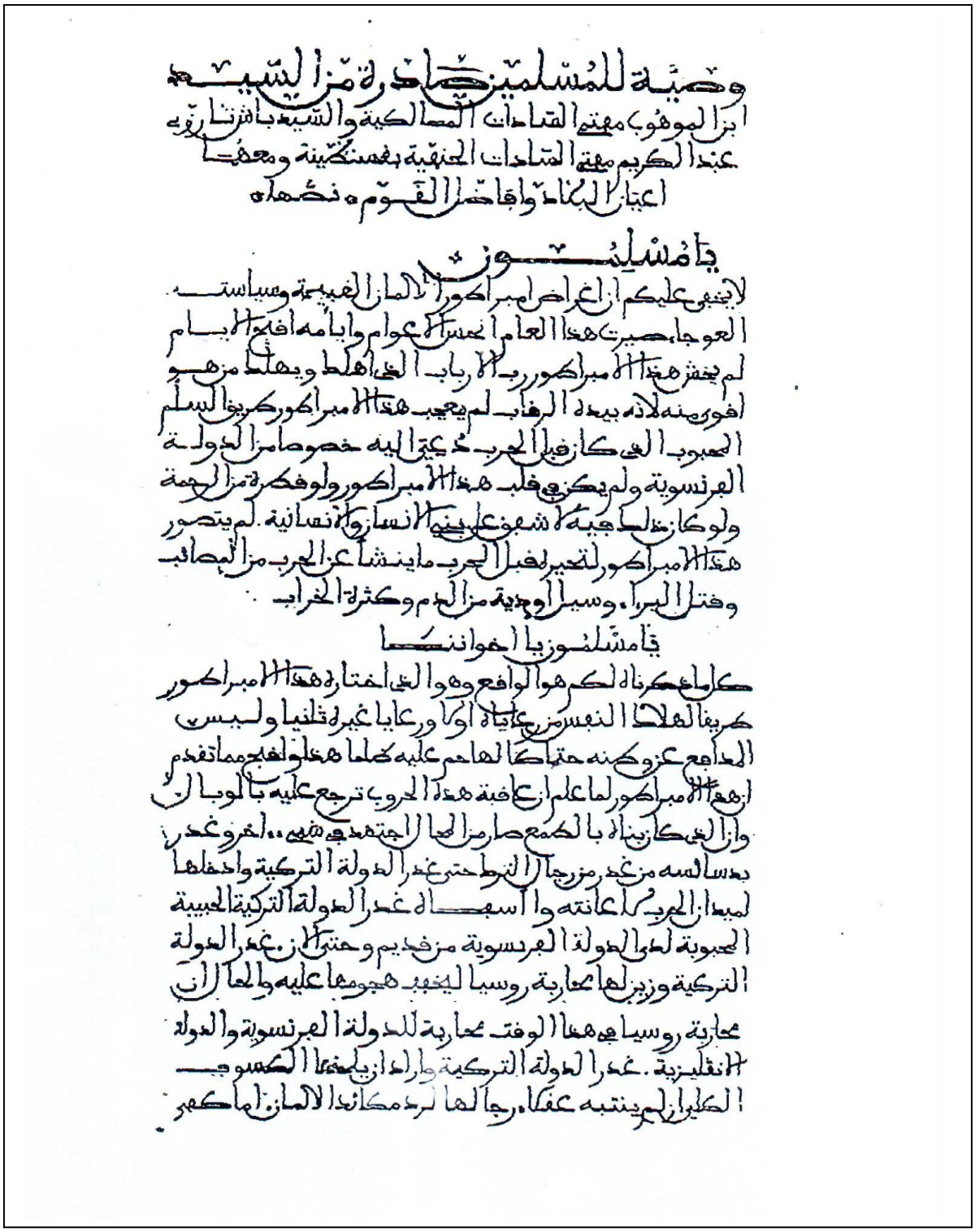

وصية للمسلمين صادرة من الشيخ
ابن الموهوب مفتي القضاة المالكية والشيخ باش تارزي
عند الكريم مفتي القضاة الحنفية بقسنطينة ومعهما
أعيان البلاد وأفاضل القوم، نصها

يا مسلمون

لا يخفى عليكم أن أغراض أمبراطور ألمان الخبيثة ومساعيه
الوحشية صيرت هذا العام أتعس الأعوام وأيامه أفظع الأيام
لم يخف هذا الأمبراطور على الأرباب الخواطر ويعلم من هو
أفور منه لأنه بيده الرغائب لم يحب هذا الأمبراطور كريم السلم
المحبوب الذي كان قبل الحرب يحبه إليه خصوصا من الدولة
الفرنسوية ولم يكن في قلب هذا الأمبراطور ولو ذرة من الرحمة
ولو كان له ذرة لشفق على بني الإنسان والإنسانية. لم يتصور
هذا الأمبراطور لتحبير لقبل الحرب ما ينشأ عن الحرب من المصائب
وقتل البرآء وسيلان أودية من الدم وكثرة الخراب.

يا مسلمون يا إخواننا

كل ما ذكرناه لكم هو الواقع وهو الذي اختاره هذا الأمبراطور
كريم الله النفس مزعجا إياه أو ورعايا غير ثقليا وليس
المدافع عن وطنه حتى كالهاجم عليه كلما هذا ولقبح مما تقدم
أن هذا الأمبراطور لما علم أن عاقبة هذه الحروب ترجع عليه بالوبال
وأن الذي كان بناه بالكمع صار من المحال اجتهد في ... الغرور وغدر
بدسائسه من غدر مزجار النوط حتى غدر الدولة التركية وأدخلها
لميدان الحرب معانته وأسباه غدر الدولة التركية الحبيبة
المحبوبة لدى الدولة الفرنسوية من قديم وحتى الآن. غدر الدولة
التركية وزين لها محاربة روسيا ليخفف هجومها عليه والحال أن
محاربة روسيا هو هذا الوقت محاربة للدولة الفرنسوية والدولة
الانقليزية. غدر الدولة التركية وأراد بإدخالها الحرب
الكبرى لم ينتبه عقلاء رجالها لرد مكائد الألمان. لما كفر

المصدر:

تابع للملحق رقم (17)

العنوان: نماذج من الفتاوى المعادية للألمان الصادرة من طرف شيوخ الطرق وعلماء جزائريين مساندين لفرنسا

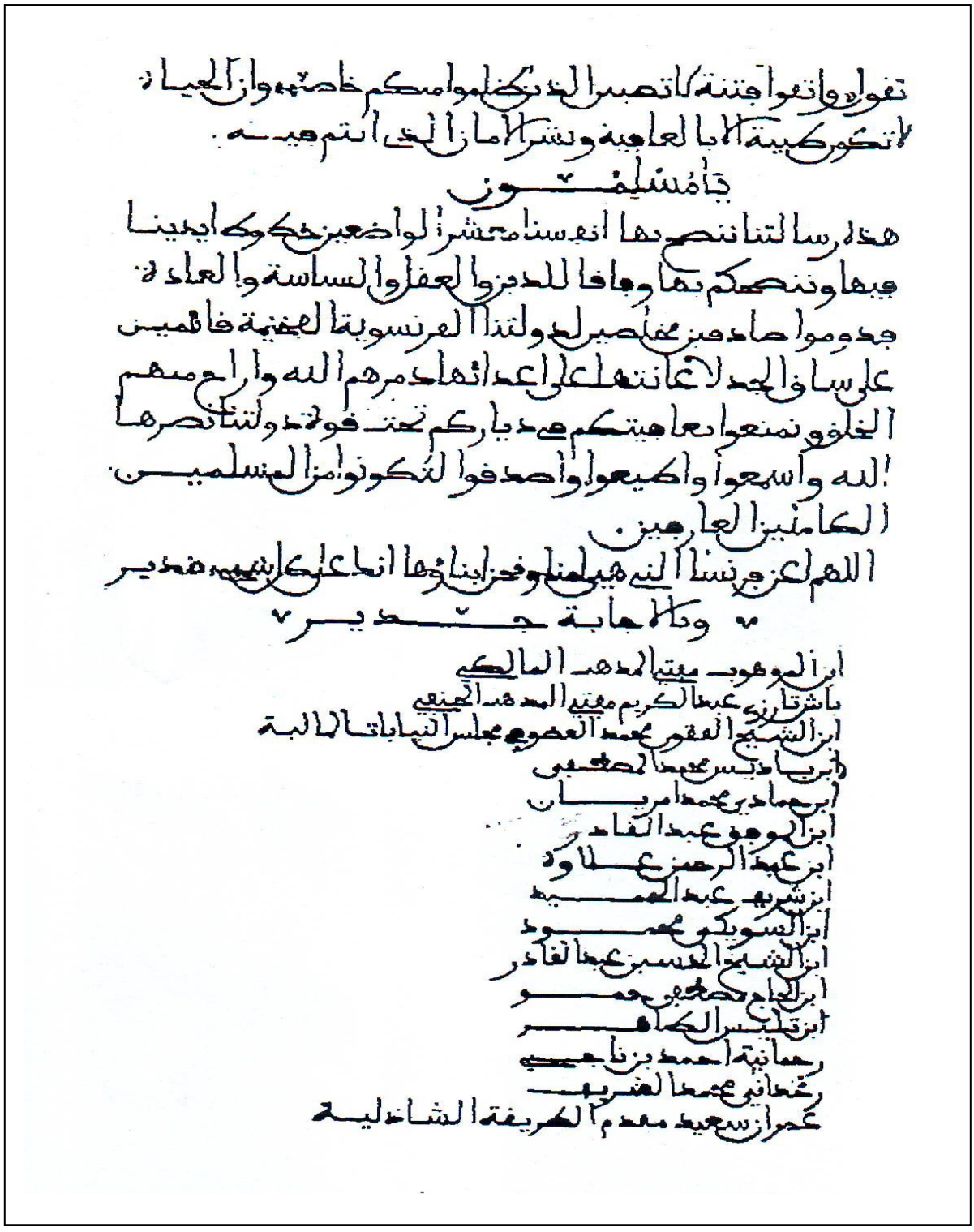

تفوزوا وتنعموا بجنة لا تصبر الذي كلموا منكم خاصة وأن الحياة
لا تكون كبيرة الا بالعافية وبشرا أمانا التي أنتم فيه.

يا مسلمون

هذه رسالتنا ننصح بها أنفسنا معشر الواضعين كوكايدينا
فيها وننصحكم بها وفاء للدين والعقل والسياسة والعادة
قد وصلوا صادقين مخلصين لدولتنا الفرنسوية الحقة قائمين
على ساق الجد لاعانتها على أعدائها دمرهم الله وأراح منهم
الخلق ونمنعوا دعاهيتكم في ديارهم تحت قوة دولتنا نصرها
الله واسمعوا وأطيعوا واصدقوا لتكونوا من المسلمين
الكاملين العارفين.

اللهم أعز فرنسا التي هيأت لنا وحمى أبنائها انا على كل شيء قدير

وبالاجابة جدير

ابن الموهوب مفتي المذهب المالكي
باشتارزي عبد الكريم مفتي المذهب الحنفي
ابن الشيخ الفقير محمد العضو مجلس النيابات المالية
وابن باديس محمد المصطفى
ابن حمادي محمد امريان
ابن الموهوب عبد القادر
ابن عبد الرحمن علاوة
ابن شريف عبد الحميد
ابن السويكي محمود
ابن الشيخ الحسين عبد القادر
ابن الحاج مصطفى حمو
ابن قليس الكاهية
رحمانية احمد بن ناجي
رغاني محمد الشريف
عمران سعيد مقدم الطريقة الشاذلية

المصدر:

الملحق رقم (18)

العنوان: صورة المجاهد الجزائري في الحرب الطرابلسية – مصطفى العوني التفراوي الجزائري

المصدر: محمد ميلاد مبارك،"المجاهد مصطفى الجزائري" ، الشهيد ، عدد5، 1984.

الملحق رقم (19)

العنوان: نموذج من قرارات الإبعاد من تونس الصادرة في حق الجزائريين – نموذج أحمد توفيق المدني

ARRETE

Le Résident Général de la République Française, à Tunis, Officier de la Légion d'Honneur;

Vu l'article 82 de l'Edit Royal de juin I778, déterminant les pouvoirs de police qu'exercent les Consuls Français en pays étrangers à l'égard de leurs nationaux ;

Vu notre arrêté du 6 juin I925 prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M. AHMED TEWFIK BEN M'AHMED EL MADANI, algérien, sujet français;

Arrête:

ARTICLE UNIQUE.- L'arrêté susvisé du 6 juin I925, prononçant l'expulsion du territoire tunisien de M.AHMED TEWFIK ben M'AHMED EL MADANI, est rapporté./.

TUNIS, le 28 Novembre I933.

Le Résident Général de la République Française,

SECRETARIAT GENERAL DU GOUVERNEMENT DE LA TUNISIE
SURETE PUBLIQUE

المصدر: موقع على الشبكة العنكبوتية خاص بأسرة أحمد توفيق المدني

الملحق رقم (20)

العنوان: نموذج من الرسائل المتبادلة بين الأمير عبد المالك والجهات الألمانية- العثمانية

المصدر: أبو القاسم سعد لله ،وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، المجلة التاريخية المغربية ،ع1،جانفي 1971.

الملحق رقم (21)

العنوان: مالك بن نبي يصف إهتمام القسنطينيين بحرب الريف وشخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي

وفي مدينة (سيرتا) القديمة ظهر الوجود الاستعماري ظهوراً أعنف مما كان في تبسة .

وفي مقهى بن يمينة كان الناس يعلقون على آخر مراحل الصراع بين خالد ومورينو ، وهو حوار بلغ ذروته في جريدة (الجمهوري Le Républicain) التي أخذت تنكر على خالد لقب الإمارة .

أما الحديث في صحيفة (الشؤون العامة لقسنطينة Depêche de Constantine) فقد كان يجري الحوار بصورة مكشوفة حول حرب الريف ، وأضحى اسم الأمير عبد الكريم يشار إليه بوضوح .

والشرطة الفرنسية بدأت تزعج أولئك الباعة المتجولين الذين يعرضون بضاعتهم في الطريق ، من حلوى الفطير المقلي الذي يسمونه (الخفاف) أو (الاسفنج) ، في ساعة مبكرة من الصباح ينادون عليه بصوت تقليدي : « ياكريم » . وبدأت الإدارة تستنفر الفرسان من قبائل العرب للتجنيد .

لقد أصبحت هذه الحرب الحديث الرئيسي في مقهى بن يمينة . وغدا الناس يرون في منامهم أحداثاً ومشاهد فيفسرونها بما يتلاءم مع نهاية ظافرة للأمير عبد الكريم .

لقد كانت لي أحلامي أيضاً . وكنت أفسرها وفقاً لرمز خاص يمكن لي أن أنسبه إلى تربيتي البيتية الدينية . وكان تفسيرها في غير صالح (الريفيين) .

ولكن الحلم ماكان له أن يغير الحقيقة في ناظري ، فـ (الريفيون) كانوا أسوداً يكافحون وحشاً يفترسنا جميعاً . وبطولة (الريفيين) كانت تثأر لشعب لا يستطيع أن يثأر لنفسه .

وبعد عام من انتهاء تلك الحرب كتب أحد الصحفيين الأمريكيين معلقاً

المصدر: مالك بن نبي ،مذكرات شاهد للقرن،دار الفكر ،دمشق،سورية ،1984،ص127.

الملحق رقم (22)

العنوان: مصالي الحاج يقر بتداول مواضيع حول حرب الريف وشخصيتي محمد بن عبد الكريم ومصطفى كمال أتاتورك ضمن نقاشات أعضاء نجم شمال إفريقيا

الحاج علي في نهج " الشجرة اليابسة" لدراسة الوضعية، فمادام مسموعا من الحزب الشيوعي ومن لجنته الاستعمارية، فقد كان يساعدنا على تسوية الصعوبات. نشأت بيننا أخوة وثقة كانتا تكبران يوما بعد يوم حتى وأنه كان يساعدنا بسرور فإن الحاج علي كان يوبخنا أحيانا بلباقة، فمنذ إنشاء " نجم شمال إفريقيا" صرت أقرأ الصحافة بانتباه كبير لأفهم جيدا تطورات الأحداث، لهذا كنت مداوما على الذهاب إلى اجتماعات خليتي في نهج بلفور وكنت كذلك أفعل كل ما في وسعي لحضور التجمعات العمومية التي كانت تعالج المشاكل الموروثة عما بعد الحرب 1914-1918. إن صديقتي الصغيرة كانت كما يجب ذلك، لا تجهل شيئا عما جرى. فقد صارت بطبيعة الحال مساعدتي الأكثر ضمانا وتفانيا.

إن بعض المشاكل التي كانت تبدو لي صعبة كانت بالنسبة لها سهلة الحل، قد ولدت في ناحية من فرنسا ثورية ووطنية في نفس الوقت في " نوف ميزون" قرب نانسي. إن هذه البلدية الصغيرة التي كانت غنية جدا بالمعامل وبالمناجم وبالصناعات التي تشغل آلاف العمال وخاصة الأعضاء العشرة من عائلة صديقتي الصغيرة، فالمصنع كان المكان الذي يربح الجميع فيه خبزه ولكن هذه القطعة من الخبز كان العمال ينتزعونها بصعوبة من أرباب العمل. وفي غالب الأحيان كانوا عندما لا يرضون بوضعيتهم الحزينة، يخرجون في الشارع للاحتجاج بغضب. أحيانا يخلف العمال أمواتا على قارعة الطريق، ففي جو مثل أجواء "زولا" كانت السيدة مصالي قد ولدت وكبرت، كانت تقول لي: " إن حياة العمال والإضرابات والمظاهرات ولجان الإسعاف وتوزيع الحساء في الأنهج والتجمعات وهجومات الشرطة القاتلة كلها أحزان ولدت في وسطها مع أهلي وعشنا فيها إلى الآن. كن مطمئنا ي زوجي العزيز فستجد لدي المناضلة ولو أنني لم أنتم إلى أي حزب، فالحياة وضرورات العمل هي التي جعلت منا كذلك مناضلين".

فمع الكمشة الصغيرة من مسيري نجم شمال إفريقيا، كنا نجتمع غالبا لتحليل الوضعية وتنظيم الجمعية وإعداد برنامج صغير في أدنى ما يكون. فيما يخصني وبعد تفكير معمق، حضرت وحدي مخططا لشرح نشاطنا وأبقيته عندي وكان من شأنه أن يخدمني في محادثاتي الفردية مع الناس ومع المناضلين، وهذا المخطط هو:

1- ذكر الماضي التاريخي للإمبراطورية العربية باختصار.

2- شرح عظمة الحضارة الإسلامية وإشعاعها في العالم وذكر الحضارة العربية في إسبانيا والعرب في بواتيي.

المصدر: مصالى الحاج،مذكرات 1898 -1938م،منشورات ANEP،الجزائر2007،صص 136،137.

تابع للملحق رقم (22)

العنوان: مصالي الحاج يقر بتداول مواضيع حول حرب الريف وشخصيتي محمد بن عبد الكريم ومصطفى كمال أتاتورك ضمن نقاشات أعضاء نجم شمال إفريقيا

على رأس نجم شمال إفريقيا.

3- احتلال الجزائر، المقاومة الجزائرية وملحمة الأمير عبدالقادر وأبطالنا.
4- شروح حول انتفاضة الأمير عبد الكريم، شجاعته وروح التضحية لديه.
5- إبراز عظمة الثورة الكمالية وشخصية مصطفي كمال المرموقة.
6- المبادئ الإسلامية والكفاح من أجل الاستقلال.
7- يقظة العالم العربي الإسلامي.
8- الوضعية في الجزائر.
9- كيف توصلنا إلى الاحتلال والخضوع إلى نظام قانون الأهالي والاستعمار.
10- ماذا تريد نجمة شمال إفريقيا ؟

لسوء الحظ لم أكن أعرف أغلب هذه النقاط إلا بكيفية سطحية ولهذا قررت دراستها.

فبمجرد ما بلغت نجم شمال إفريقيا ثلاثة أشهر من الوجود قررنا تنظيم تجمع شعبي كبير لنعرف بصفة واسعة بجمعيتنا وإعطائها طابعا رسميا، فقد انعقد هذا التجمع يوم 26 يونيو 1926 في دار النقابات بشارع بلفيل. وقد جمع آلاف الجزائريين والرفاق الفرنسيين وبعض الصحفيين ومن بينهم مصري. كنت أرأس التجمع وألقيت خطابا هاما، فقد كان هذا اليوم كبيرا. إن الصحافة وخاصة " اليومانيتي" قد كانت صدى لهذه التظاهرة المغاربية الكبيرة. ورغم هذا فإن بعض الجرائد قد نقدتها.

يجب أن نلاحظ المصادفة المأساوية والسعيدة في نفس الوقت. وبالفعل فالضبط في الوقت الذي قام فيه الأمير عبدالكريم بمعركته الأخيرة على المستوى العسكري ضد تحالف الإسبان والفرنسيين في ذلك الوقت بالضبط دخلت جمعية نجم شمال إفريقية في الأحياء الفقرة في باريس إن ههنا شيئا ملحوظا حتى لا نقول ربانيا. هناك في كل هذا مصير من قدر الله ويد الخالق في هذا الموضوع قال الأمير عبدالقادر: "عندما يموت رجل تحت رصاص العدو، ينهض آخر" كأن نجم شمال إفريقيا قد أنشئ لاستئناف كفاح الأمير عبدالقادر والأمر عبد الكريم.

فبصفتي شيوعيا مغاربيا، كنت احضر بعض اللقاءات في محل اللجنة الاستعمارية في نهج "باتريارش". هنا كنت أقرأ جريدة " لوباريا" [1]. كانت هذه الجريدة تعالج

المصدر:

الملحق رقم (23)

العنوان: مالك بن نبي يصف اهتمام الطلبة بشخصية مصطفى كمال أتاتورك

وألقت بها من النافذة ، وتضيف الإشاعة أنه انتقم منها بأن ألقى بكلبها من النافذة نفسها حين أخذ ينبح داخل العربة .

وكان من الأحاديث أنباء (مصطفى كمال) الذي تحدّى القوى المستعمرة . لقد أخذت صوره تنتشر انتشار صور سيدنا علي ، أو كأنها تلك (الرسائل) التي كانت تأتي إلى الجزائر مع الحجاج العائدين من مكة كل عام والتي لا يعرف مؤلفوها . كانت مكتبة النجاح توزع هذه الصور فيأخذها بعض الطلاب ويضعونها فوق الأسرة داخل غرف المنامة في (المدرسة) .

لقد كانت أسطورة (الغازي وعصمة إينونو) في ضمائرنا مرادفة للخلاص والانعتاق ، وأصبح الميل لتركيا شائعاً في البلاد كلها وخاصة طلبة المدرسة . ولذا فقد بدأ المدير (دورنون) يلاحق (الشبان الترك) بين الطلبة .

في هذا الوقت بدأت على ماأعتقد أقرأ المؤلفات . لقد قرأت (بييرلوتي Pierre Loti) و (كلود فارير Claude Farrère) وقد قرأت (L'Azyade) و (فاقدات السعادة Le Desenchanté) و (L'ehomme qui assasina الرجل الذي اغتال) .

لقد بدأ الشرق القديم منه والحديث يستهويني بأمجاده ومآسيه . وكان الحديث عنه يبكيني أو يبهرني ، إنما في الحالات جميعها يشدني إلى شيء خبيء في نفسي بدأت أدركه في شيء من الصعوبة .

وقد استطاعت الدروس ذاتها خاصة مع أساتذتنا العرب أن تنمّي فينا هذه الروح وتغذيها . وكنا نجد شيئاً ماأكثر لدى الشيخ (مولود بن موهوب) الأستاذ في المدرسة ومفتي المدينة . لقد احتفظ الشيخ في ذهنه بذلك الأثر الذي غرسته في نفسه دراسته على يد معلمه الشيخ (عبد القادر المجاوي) ، وقد تولى هو نقل هذه الغرسة إلى تلك الأجيال من المدرسيين وكنت منهم ، وقد أينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر .

المصدر: مالك بن نبي ،مذكرات شاهد للقرن،دار الفكر ،دمشق،سورية ،1984،ص64.

الملحق رقم (24)

العنوان: مقال ابن باديس " مصطفى كمال رحمه الله"

الجزء التاسع ج: ٩ م: ١٤ المجلد الرابع عشر

فل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين

الشهاب

أنشئت سنة ١٣٤٣

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن

قسنطينة | رمضان ١٣٥٧ه | نوفمبر ١٩٣٨

مصطفى كمال رحمه الله

في السابع عشر من رمضان المعظم ختمت انفاس أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث، وعبقري من أعظم عباقرة الشرق، الذين يطلعون على العالم في مختلف الاحقاب، فيحولون مجرى التاريخ ويخلقون خلقا جديدا. ذلك هو مصطفى كمال بطل غاليبولي في الدردنيل وبطل ستماريا في الاناضول وباعث تركيا من شبه الموت الى حيث هي اليوم من الغنى والعز والسمو.

واذا قلنا بطل غاليبولي، فقد قلنا قاهر الانقليز أعظم دولة بحرية الذي هزمها في الحرب الكبرى شر هزيمة لم تعرفها في تاريخها الطويل.

واذا قلنا بطل ستماريا فقد قلنا قاهر الانكليز وحلفاءهم من يونان وطليان وافرنسيين بعد الحرب الكبرى ومجليهم عن أرض تركيا بعد احتلال عاصمتها والتهام أطرافها وشواطئها.

واذا قلنا باعث تركيا فقد قلنا باعث الشرق الاسلامي كله. فمنزلة تركيا التي

المصدر: الشهاب، ج9، م14، صص 130 – 134.

تابع للملحق رقم (24)

العنوان: مقال ابن باديس " مصطفى كمال رحمه الله"

استرجاعه لو ضاع ، وهو وحده كان مبعثه ومصدره ، ثم اخوانه المخلصون . فاما الذين رفضوا الاحكام الشرعية الى (كود)نابوليون فما اذا اعطوا امتهم ؟ وماذا قال علماؤهم ؟

فرحم الله مصطفى ورجح ميزان حسناته فى الموازين ، وتقبل احسانه فى المحسنين

والى الامة التركية الشقيقة الكريمة الماجدة ، التي لنا فيها حفدة واخوال ، والتى تربطنا بها أواصر الدين والدم والتاريخ والجوار ، والتى تذكر الجزائر ايامها بالجميل ، وترى شخصها دائما ماثلا فيما تركت لها من مساجد ، ومعاهد للدين الشريف . والشرع الجليل ـ الى تركيا العزيزة نرفع تعازي الجزائر كلها مشاركين لها فى مصابها راجين لها الخلف الصالح من ابنائها . ومزيد التقدم في حاضرها ومستقبلها

والى هذا فنحن نهنيها برئيس جمهوريتها الجديد عصمت اينونو ، بطل (اينونو) ومؤتمر لوزان وثني مصطفى كمال . وان فى اجماعها على انتخابه لدليلا على ما بلغته تركيا الكريمة من الرشد في الحياة الذي تبلغ به — ان شاء الله — من السعادة والكمال . ما يناسب مجدها القديم ، وتاريخها الحافل باعاظم الرجل ، وجلائل الاعمال .

عبد الحميد بن باديس

المصدر:

الملحق رقم (25)

العنوان: مقال ابن باديس " الخلافة أم جماعة المسلمين"

الجزء الثاني ج: ٢ م: ١٤ المجلد الرابع عشر

فل هذه سبيلى
ادعو الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعنى
وسبحان الله وما انا
من المشركين

أنشئت سنة ١٣٤٣

ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة
الحسنة
وجادلهم بالتى
هى احسن

قسنطينة | ربيع الاول ١٣٥٧ه | ماي ١٩٣٨

الخلافة

أم

جماعة المسلمين

ان الخلافة هي المنصب الاسلامي الاعلى الذي يقوم على تنفيذ الشرع الاسلامي وحياطته بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد من ذوي العلم والخبرة والنظر، وبالقوة من الجنود والقواد وسائر وسائل الدفاع

ولقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد صدر الاسلام وزمنا بعده — على فرقة واضطراب — ثم قضت الضرورة بتعدده في الشرق والغرب. ثم انسلخ عن معناه الاصلي وبقي رمزا ظاهريا تقديسيا ليس من أوضاع الاسلام في شيء.

فيوم الغى الاتراك الخلافة — ولسنا نبرر كل أعمالهم — لم يلغوا الخلافة الاسلامية بمعناها الاسلامي، وإنما الغوا نظاما حكوميا خاصا بهم وازالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى، وحاربتهم من اجله الدول الغربية المتعصبة

المصدر: الشهاب ،ج2،م14،صص 63،61.

تابع للملحق رقم (25)

العنوان: مقال ابن باديس " الخلافة أم جماعة المسلمين"

المقدس الشخص والقول في نظر جميعهم .

نعم ليس لنا ـ والحمد لله ـ في الاسلام بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم شخص مقدس الذات والقول تدعى له العصمة ، ويعتبر قوله تنزيلا من حكيم حميد . ولكن لنا جماعة المسلمين وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينية والادبية ويصدرون عن تشاور ما فيه خير وصلاح . فعلى الامم الاسلامية جمعاء ان تسعى لتكوين هذه الجماعة من أنفسها بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخل الحكومات لا الحكومات الاسلامية ولا غيرها

لقد كنت كاتبت صاحب الفضيلة شيخ الازهر الشريف بهذا المعنى ولكنني لم اتلق منه جوابا وعرفت السبب يوم بلغنا ان اخواننا الازهريين هتفوا ـ يوما ـ بالخلافة لملك مصر فاروق الاول .

وسيرى صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر . ان خيال الخلافة لن يتحقق وان المسلمين سينتهون يوما ما — إن شاء الله — إلى هذا الرأي

عبد الحميد بن باديس

الضمير . . .

الضمير شعلة من الله في مخلوقاته فهنيئا للانسان الذي تنير حياته هذه الشعلة الالهية

الاخلاق

المصدر:

الملحق رقم (26)

العنوان: جزء من مقدمة كتاب "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" للشيخ محمد الخضر حسين

ليست من الدين في شيء، وإنما هي خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها، ومس في غضون البحث أصولًا لو صدق عليها ظنهِ لأصبحت النفوس المطمئنة بحكمة الإسلام وآدابه مزلزلة العقيدة مضطربة العنان.

كنا نسمع بعض مزاعم هذا الكتاب من طائفة لم يتفقهوا في الدين، ولم يحكموا مذاهب السياسة خبرة، فلا نقيم لها وزنًا، ولا نحرك لمناقشتها قلمًا؛ إذ يكفي في ردها على عقبها صدروها من نفر يرون الحط في الأهواء حرية، والركض وراء كل جديد كياسة!

كنا نسمع هذه المزاعم فلا نزيد أن نعرض عمن يلغطون بها حتى يخوضوا في حديث غيرها. أما اليوم وقد سرت عدواها إلى قلم رجل ينتمي للأزهر الشريف ويتبوأ في المحاكم الشرعية مقعدًا، فلا جرم أن نسوقها إلى مشهد الأنظار المستقلة، ونضعها بين يدي الحجة، وللحجة قضاء لا يستأخر، وسلطان لا يحابي ولا يستكين.

لا أقصد في هذه الصحف إلى أن أعجم الكتاب جملة، وأغمز كل ما ألاقي فيه من عوج، فإن كثيرًا من آرائه تحدثك عن نفسها اليقين، ثم تضع عنقها في يدك، دون أن تعتصم بسند أو تستتر بشبهة، وإنما أقصد إلى مناقشته في بعض آراء يتبرأ منها الدين الحنيف، وأخرى يتذمر عليه من أجلها التاريخ الصحيح، ومتى أميط اللثام عن وجه الصواب في هذه المباحث الدينية التاريخية، بقيَ الكتاب ألفاظًا لا تعبر عن معنى، ومقدمات لا تتصل بنتيجة.

والكتاب مرتب على ثلاثة كتب، وكل كتاب يحتوي على ثلاثة أبواب، وموضوع الكتاب الأول: الخلافة والإسلام، وموضوع الكتاب الثاني: الحكومة والإسلام، وموضوع الكتاب الثالث: الخلافة والحكومة في التاريخ.

وطريقتنا في النقد أن نضع في صدر كل باب ملخص ما تناوله المؤلف من أمهات المباحث، ثم نعود إلى ما نراه مستحقًّا للمناقشة من دعوى أو شبهة فنحكي ألفاظه بعينها، ونتبعها بما يزيح لبسها، أو يحل لغزها، أو يجتثها من منبتها.

وتخيرنا هذا الأسلوب لتكون هذه الصحف قائمة بنفسها، ويسهل على القارئ تحقيق البحث، وفهم ما تدور عليه المناقشة ولو لم تكن بين يديه نسخة من هذا الكتاب المطروح على بساط النقد والمناظرة.

المصدر: محمد الخضر حسين،نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم،مؤسسة هنداوي،جمهورية مصر العربية ،2012،ص10.

الملحق رقم (27)

العنوان: مقال محمد العابد الجلالي "نجم يهوي ونجم يسطع أو مصطفى وعصمت"

نجم يهوى ونجم يسطع

او

مصطفى وعصمت

لك يا من نهضت فنهض بنهضتك جيل ، ودعوت فاستجابت لدعوتك امم ، وسرت فسارت خلفك مواكب، ونعيت فاهتزت لنعيك اعصاب الكون . لك يامن حييت فاحييت ، ومت فابقيت .

لك يا مصطفى نعلن ولاءنا لمباديك ، وتقديرنا لمساعيك ، واعترافنا بايادياك واسفنا على فقدك .

لقد كاد الياس الملعون يطوق هذا الشرق ، ويأخذ عليه مسالك الحياة ، لولا عزمة منك لاحت له في ظلام حيرته ، فأضاءت له طريق الخلاص . وها هو اليوم يترسم خطاك ، ويسير على منهاجك ، وهو واصل بهدي مثالك العليا — ان شاء الله — الى غايته السامية .

لقد طُلت آيات الله الكونية والقولية تطالع عقول الناس وقلوبهم وعينهم بما فيه العبرة ، فما وجدت في الجيل من تسامت به مواهب الانسانية لان يدرك اسرارها بمثل عقلك، ويجدها بمثل قلبك، ويحسها بمثل بصرك. حتى ظهرت لها ، فافرغت على يدك للناس عبرها .

هاهي ذه وفود الشرق والغرب تجتمع اليوم كلها في الحرم الذى شاءت ارادتك أن يكون معقل الكرامة ، ومناط العزة . لتؤدي لروحك الكريمة فروض تحية الوداع ، ولتسجل اعترافها لك بالبطولة والعظمة ، ولتستلهم آثار عبقريتك الخالدة .

المصدر: الشهاب ،ج9،م14،صص 135 – 138.

تابع للملحق رقم (27)

العنوان: مقال محمد العابد الجلالي "نجم يهوي ونجم يسطع أو مصطفى وعصمت"

ان غمطكم لحقوق العظمة ، ووضعكم شخصياتها في مستوى دون مستواهم . وتناولكم الكلام عنهم بمثل تلك الصفة الناقصة — لايدل ذلك على بصر بحقيقتها التى مثلها الاعلى محمد (ص)وصحابته (ض) .

ان مثل كلمة : لبس القبعة ، او بدل الحروف او وجدته يشرب البيرة لا يساوى مثل كلمة ابعد الاجل، ورد الامل ، وحطم الاغلال ، ورفع راية الاستقلال - الافى حساب المفاليس الذين تضاءل الشعور بالعظمة الاسلامية التاريخية فى نفوسهم او الا اذا أريدت المغالطة .

فراجعوا انفسكم ايها السادة الكاتبون . وأخلصوا النصح لأمتكم ؛ ارشدكم الله وارشد بكم .

وانت يامصطفى اتاتورك :

اليوم وقد اتممت عملك. وقررت حقوق امتك .وايقظت الشرق. ونهجت له المنهج ، فسمح لنا بان نضع في الصفحة الاخيرة من سفر حياتك المملوء بالعظائم والروائع كلمة الجزائر هذه ، وانعم بجوار ربك مع الراضين المرتضين .

وانت ياعصمت اينونو ،

لقد كنت في الجهاد ثاني اثنين، وعضد الفقيد المتين؛ وخلفه فى حمل الامانة، فخذها بقوة ، والله معك، والنصر حليفك والامة ظهيرك .

وانت ياايتها الامة التركية المسلمة المنجب ،

احسن الله عزاءك في فقيد الشرق ؛ وبلغك في خلفه اجمل ما تتمنين .

محمد العابد الجلالى

المصدر:

الملحق رقم (28)

العنوان: مقال الشيخ طفيش "الإنقلاب التركي الأخير أو الدور الكمالي"

الإنقلاب التركي الأخير أو الدور الكمالي.

"منذ حللنا بمصر وكان ابتداء الحركة الكمالية والأستانة بيد الحلفاء والخليفة وحيد الدين في قبضتهم ، وكانت الحركة الكمالية في ازدياد تحوطها قلوب المسلمين من أرجاء المعمورة بالعطف والرعاية والتأييد وألسنتهم بالدعاء بالنصر وكانت الأنظار متجهة نحوهم تسر النفوس بسرورهم وتحزن بحزنهم وما ذلك إلا بما لتركيا من مركز الخلافة الذي تحترمه الأمة الإسلامية جمعاء ولوكانت خلافة صورية.كنا منذ ذلك الحين نرقب الحركة التركية وانقلابها بعين الإجلال والإكبار ونقول هذه الحركة مباركة وتفاءلنا بها وتمنينا- رغم ما يبديه الخبيرون بسر القائمين بها من التشاؤم- لها عاقبة حسنة بل قلنا لاشك أنها تقضي على كل طمع أجنبي وتقطع جذور شجرة الاستعمار الخبيثة وتجتاح كل أثر لها .وفعلا جاءت البشائر بالفوز العظيم الذي حازه الكماليون وطردوا آخر جندي للأعداء بأرضهم وطهروا كل بقعة من رجسهم فكانت وقفة أولئك الإبطال مع لويد جورج وجنوده في خناق قلعة ، وهللنا وكبرنا لهذا الفوز الباهر الذي أسقط رئيس الوزراء الانكليزية من كبريائه بعد أن كان أمنع من جبهة الأسد وقلنا بخ بخ هذا شعب إسلامي هو أول من قهر الاستعمار ودك صروحه وهداطمه وكسر أغلاله فسيرفع رأس الأمة الإسلامية المسكينة التي حاق بها العذاب الأوروبي من كل جانب والتي انصب عليها الإستعمار من كل حدبٍ وأتاها العذاب من كل مكان فلم ينجو منه شعب سوى هؤلاء الذين بهروا العالم بانتصاراتهم وكانوا يحاربون في الحقيقة أكبر دولة في العالم حتى كان مؤتمر لوزان فظهر تفوق الكماليين وهو أول فوز لهم سياسي قارن الفوز العسكري فحطموا قيود الامتيازات فاستراحوا من الشر الذي كانوا يعانونه منذ قرون بسببها فتضاعف سرور المسلمين وقلنا وقال المخلصون سيحوطون الخلافة بسياج من القوة فترجع إلى خلافة حقيقية بعدما كانت مهزلة ولكن لم يلبثوا أن قطعوا أثرها وطردوا الخليفة شر طرد فهوى من ذلك الشاهق إلى أسفل حضيض فاضطرب العالم الاسلامي اضطرابا ولكنا لما نعلم من صورية الخلافة التي هدموا ولاسيما بعد أن صيروها روحية كما يقولون وهي تسمية أوروبية بابوية وليست في الاصطلاح الإسلامي في شيء قلنا عساهم أن يجددوا بشكل أبهى وأقوى وأصح فيعود ذلك المجد الإسلامي التليد الذي استحال إلى ما نراه من ضعف وخور بتكالب الأوروبيين عليه وتخاذل الأمة الإسلامية عنه.

ولكن ذلك التفاؤل وكل تلك التوجيهات استحالت إلى آمال فارغة وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ،فقد كانت حركة الكماليين على خلاف ما يظن بهم مقصدهم عكس ما كانوا يعلنون من خدمة الإسلام وأهله

المصدر: المنهاج،ج1،ع2،س ربيع الأول 1344هـ - 1925م.

تابع للملحق رقم (28)

العنوان: مقال الشيخ طفيش "الإنقلاب التركي الأخير أو الدور الكمالي"

وإنما ذلك منهم استدرارا لاحسان الأمة واستخداما لتأييدها المعنوي الذي كان لهم من أكبر الأسلحة ولاسيما الحركة الهندية والمصرية.

فقد أخذت الحركة الكمالية تبدو في شكلها الخبيث اللاديني وطفقت تحارب الإسلام وتهدمه ما استطاعت وتتهكم على أحكامه وآدابه ولولا ما في نفس الأمة التركية من آثار الإسلام لظهرت دفعة واحدة في يوم واحد.

إن الأخبار التي أخذت الجرائد التركية تبثها وأعمال الكماليين التي تأتينا أنباؤها يوما بعد يوم وتغييرهم لأحكام الدين مما جعلنا نشك في خلع الكماليين لربقة الدين وارتدادهم عن الإسلام وتحولهم عن الملة الإسلامية إلى ملة الكفر بل إلى غير ملة فعزاء للإسلام بين أولئك الذين أصبحوا من أشر محاربيه .وهل بعد تبديل الأحكام الإلهية وتحريف القرآن وإدخال تعديلات في العبادات والفرائض وأمثال هذا يبقى هؤلاء حاملين لاسم الإسلام الطاهر الشريف؟

إن هؤلاء نبذوا الإسلام وسخروا به وعبثوا بشرفه وأخذوا يتدرجون إلى قطع آثاره تمويها على العقول وخداعا، إلا أن اللبيب لا يخفى عنه هذا التمويه ولا تنطلي عليه الألاعيب.

ولقد استبشر أعداء الإسلام في كل مكان بالحركة الكمالية وعدوها تقدما وفوزا لمبادئهم وانتصارا لهم في الشرق مبينا وهدما لقسم من المسلمين كان حصينا، سر أضداد دين الله تعالى بسفور نساءكن مسلمات هن في حجابهن كاللؤلؤ في أصدافه فأصبحوا يمرحون معهن في الأماكن العامة وفي المراقص والمراسح ويعاقرون معهن كؤوسا معتقة، فرحوا برسوخ تعاليمهم في ذلك النشء التركي الحديث الذي طمح إلى تقليدهم في الجليل والحقير وفي الغث والسمين فكان يرى نفسه لا يكون في بحبوحة السعادة في زعمه إلا إذا كان أوروبيا في كل شيء منسلخا من كل ما يسمى بالإسلام.....

المنهاج، ج01،العدد02،ربيع الأول 1344هـ(1925م)

المصدر:

الملحق رقم (29)

العنوان: جزء من مقال "الإسلام خلافة لا جمهورية" التي نشرتها صحيفة المرشد التابعة للطريقة العلاوية

عدد : ٣٥ — السنة الثالثة

المراسلات
باسم المدير وصاحب الامتياز
ابن تونس
رشيد محمد الهادي
البريد ٦٥ الهاتف ٢٤٠٨٧
مستغانم ، الجزائر ،

المرشد

النسخة ٢٠ فرنكا

(قيمة الاشتراكات)
الجزائر المغرب تونس
٣٠٠ فرنك في الخارج عن
سنة ٤٠٠ فرنك

الاسلام خلافة لا جمهورية

سمعنا ولا زلنا نسمع وقرانا ولا زلنا نقرأ في الصحف والمجلات ان الاسلام دين الديمقراطية هكذا يقول الكثير من كتاب اليوم ولعلهم اذا نقشناهم المساب في عبارتهم تلك وجدناهم قد قالوا كلمتهم وهم لا يبالون اكانوا على وفاق مع المبادئ الاسلامية ام تركوها جانبا وذهبوا حيث شاءت اهواؤهم ومقاصدهم السياسية الرائجة بين الناس ...

اما نحن فقد قلنا ولا زلنا ثابتين على مبدئنا من ان الاسلام خلافة لا جمهورية ولا ديمقراطية حرة كما يقولون وبالمعنى الذي يريدون

اما معنى الخلافة فقد كان قبل البعثة النبوية مصورا في الانبياء من رسل الله قال تعالى في محكم كتابه (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة) وهو آدم ابو البشر عليه السلام فكان اول لبنة بنيت عليها خلافة الله في ارضه من بني آدم كما كانت الخلافة اول تشريع بنيت عليه صيارة هذا الكون ومن خالفها فقد خالف ما اشاره الله لخلقه ثم قال تعالى في كتابه ايضا (ياداوود انا جعلناك في الارض خليفة) وهكذا دامت الخلافة الالهية تتوارث من رسول الى رسول الى خاتمتهم سيدنا « محمد » عليهم افضل الصلاة وازكى التسليم

ولما قضت هذه الخلافة الالهية نحبها بانتقال رسول الله الى الرفيق الاعلى اصبحت تسمى بخلافة رسول الله وكان اول الناس فيها سيدنا « ابو بكر » الى ان انتهت بوفاة سيدنا « علي » كرم الله وجهه ثم من بعده اصبحت ملكا عضوضا كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (الخلافة فيكم بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا) ولما تطورت الى هذا الطور الاخير انفردت عن الاخلاق النبوية والروح الدينية الفعالة التي كانت تسوق الناس الى الصراط المستقيم بخالص طهارتها ونزاهتها وعدالتها من بين الناس حتى كان الكثير منهم من يسرع الى الاسلام لا بقوة سيف ولا طمعا في جاه وانما رغبة في التحلي بمحاسن الاسلام الحميدة واخلاقه الكريمة التي اودعها الله في قلوب المؤمنين فكانوا بها خير امة اخرجت للناس

وكان يقول صلى الله عليه وسلم (اذا بايعتم الاول فاقتلوا الثاني) ومن تامل هذا الحديث الشريف ولو قليلا علم مصدق قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) من سر الحكمة في

المصدر: المرشد ،س3،ع35،صص 1،2.

الملحق رقم (30)

العنوان: من إشارات فرحات عباس في إعجابه بمصطفى كمال أتاتورك

نتقدم لأننا على يقين أن الشعب سوف يتبعنا، وسيخضع للانضباط الذي لا مندوحة عنه. إننا أحيانا نريد أن نتقدم لأن لدينا الثقة في الشعب الفرنسي وفي عبقريته المبدعة.

هل الإنجاز الذي حققه كمال أتاتورك في ظرف عشرة أعوام، والإنجاز الذي حققه من قبل "بيار الكبير"(*) هو فوق طاقة أمة عظيمة مثل فرنسا؟ إننا نعرف جيدا أن الإجابة بـ "لا"، وأن الصعوبات كثيرة ولكنها ليست مستحيلة، لأن ما يمكن لحفنة من الرجال أن تنجزه مقابل صعوبات لا حصر لها، تستطيع أمة توجد على رأس التقدم الإنساني أن تنجزه بسهولة. إن أول المهمات يتمثل في كسر أنانية الإقطاعية المضاعفة التي تنوء بثقلها على مقدرات الفلاح الجزائري، وأعني بها الإقطاعية الاستيطانية مالكة الأرض، والإقطاعية العربية، بمجلسيها: مجلس الطرق الصوفية ومجلس الأعيان.

إن جماهيرنا الشعبية ليس لها من أعداء سوى هاتين الطبقتين، اللتين تقعان على طرفي نقيض، ولكنهما تتفقان ضمنيا على العيش على حسابها. فهل ستترك فرنسا الجديدة هذا التحاور المخزي للثروة المريضة والفقر المدقع؟ إن مشهد جموع غفيرة من لابسي الأطمار في قرن القاطرة والطائرة هو نوع من عبث التاريخ. إنه ليس من العدل أن يكون العدد الأكبر من الجماهير الشعبية في بلد ما يقبع في الأمية والبؤس، في الوقت الذي تتمتع فيه الأقلية بكل امتيازات الحياة والعيش الرغد. إن احتفالاتنا المدرسية تقدم مشهدا آخر للتناقض المؤسف والمؤلم لطفولة مسلمة ترتدي الأطمار، وتسير حافية الأقدام، تجر تدهورها إلى جانب التلاميذ الأوربيين الذين يتألقون نظافة وصحة. لقد تجددت منذ سنة 1930 معظم شعوب البحر المتوسط، بتبنيها العلم والتقدم، ولم يبق إذن إلا شعبنا وحده في طور البؤس النسيولوجي، وتجار النعائم، وأكلة العقارب، لأن مصالح طبقة من السادة الإقطاعيين -المسلمين والأوربيين- تتطلب ذلك؟

إنه من حيث العدل، ومن حيث الإنسانية لظلم فظيع، وإن الإبقاء على التوازن الاجتماعي المختل، من حيث الأخوة الفرنسية الجزائرية والوفاق الأعراق، لهو وضع فظيع.

* * *

*) بيار الكبير امبراطور روسي، اشتهر بإنجازاته الحضارية الكبرى علما بين 1672 و1725. (المترجم)

المصدر: فرحات عباس، الشاب الجزائر،ترجمة أحمد منور،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007،

الملحق رقم (31)

العنوان: مصالي الحاج يتحدث عن نظرته لمصطفى كمال أتاتورك من خلال حادثة وقعت له

اكتشاف فرنسا

تشير بكيفية أو بأخرى إلى الحرب اليونانية التركية. كانت السهرة منشطة والجو المحيط كان جيدا كما كان الأمر دائما وفجأة دَخلت مجموعة من الضباط الفرنسيين الفرحين والمبتسمين. فصاحب المحل ومعاونون قد أسرعوا بإعطائهم أحسن الأماكن. وبعد مدة من الصمت الناتج عن الدهشة، انطلقت السهرة من جديد مثل ما كانت عليه من قبل. ولكن المشاهدين كانوا يتساءلون عمّا أتي بكل هؤلاء الضباط الفرنسيين بيننا. أكان ذلك للتجسس علينا؟ أم ليتعلموا الحياة العربية ؟

منذ دخول هؤلاء الضباط، فكرت ولا أعرف لماذا أنه يجب فعل أيّ شيء. وبعد التفكير تبادر لذهني ما يلي: لماذا لا نصيح بصوت عال باسم مصطفى كمال ؟ تساءلت مدّة دقائق وطلبت من نفسي إن كانت هذه الفكرة جيّدة. أليس هناك شيء آخر أحسن من هذا علينا فعله؟ كنت أشعر بشيء كأنه الضيق وصعوبة في التنفس. وانتابتني كذلك الحرارة من الأقدام إلى الرأس. وفي وقت ما فكرت: "ما هو مكتوب سيقع ولن يستطيع أحد أن يمنعه". أجلت النظر حولي فرأيت طاولة فارغة. كان حينها الضباط يتحدثون ويدخنون ويشربون الشاي. وفي نفس الوقت توقفت الجوقة للاستراحة. وعليه ففي ظرف لحظة واحدة صعدت على الطالولة وصحت بكل ما لدي من قوة: "يحيا كمال باشا".

كل الأعين توجهت نحوي بما في ذلك عيون الضباط. وكان الناس ينظر بعضهم إلى بعض وهم مندهشون وقلقون. ولكسر السكوت المهيمن تناولت الجوقة بسرعة ما تبقى من برنامجها. ولكن لم يعد هناك حماس أضف إلى هذا أن السهرة اقتربت من نهايتها. فيما يخصني فإني أشعر أنّي تحررت من ثقل ثقيل. إلاّ أنني كذلك أتساءل عن التبعات الممكنة لذلك الحدث. أخبر الضباط أنهم ليسوا شخصيا معادين لمصطفى كمال. وأخبرني أصدقاء أنّ عونا من أعوان الشرطة كان أمام باب المقهى ولكن ليس هناك أي داع للقلق. في الوقت الذي هممت فيه بالخروج خاطبني العون قائلا: "انتظر هنا لحظة، ستتبعني للمحافظة". فكل الشبان الذين حضروا السهرة الموسيقية أحاطوني في انتظار ما يفعله عون الشرطة. فبمجرد ما طلب مني أن أتبعه، أسرعوا إليه وقالوا له بلطف أن مصالي الحاج لم يفعل شيئا خطيراً وأنه عليه أن يتركه ليذهب إلى منزله. فبعد فترة من التردد تركني أذهب ولكنه أنذرني: "على كل حال سيكون عليّ أن أقوم بالتقرير غدا صباحا إلى المحافظ وعليه هو أن يحكم في هذه المسألة".

المصدر: مصالى الحاج،مذكرات 1898 -1938م،منشورات ANEP،الجزائر2007،صص 101.

الملحق رقم (32)

العنوان: رسالة الأمير خالد الجزائري للمؤتمر العربي الأول بباريس 1913

من أمير كريم

الجزائر : في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

الى السادة الافاضل العظام أعضاء المؤتمر العربي

اتصلت بدعوتكم لابناء الامة العربية بكل فرح وسرور، وأدعو الله من صميم الفؤاد أن يثبت سعيكم ، واني واحد منكم قلباً وقالباً ، ومادامت الافكار شريفة والمقاصد عفيفة فلاشك من النجاح. وأخبركم بأن دعوتكم كان لها صوت رنان وقد انتشرت في جميع الآفاق، وأتتنا الجرائد الشرقية والغربية بما يسر الخاطر ويبعث على الامل بنجاح هذه النهضة العامة . ولا شك في أن الدولة العثمانية توافق على طلبنا اذ بتحسين الادارة الداخلية تترقى سوريا في أوج المعالي وبترقيتها تكون نتيجة حسنة للدولة العلية ، هذا مع أن المراد عدم الخروج من تحت سلطتها ، فالمولى يوفق الجميع لما فيه صلاح الوطن والامة . وكنت أود أن أحضر بنفسي في مؤتمركم العظيم ولكنني مشتغل بالاستعداد للسفر الى زهرة سوريا منشئ ووطني دمشق ، وهنالك أقف حسب طاقتي بما هو واجب على كل وطني غيور والسلام

خالد

ابن الامير الهاشمي الحسيني

« حفيد الامير عبدالقادر »

المصدر: وجيه كوثراني،وثائق المؤتمر العربي الأول 1913،دار الحداثة ،بيروت،ص196.

الملحق رقم (33)

العنوان: مقال لجريدة المهاجر حول جهود الأمير محمد سعيد الجزائري في دعم الخلافة العثمانية

الأمير محمد السعيد والعالم الإسلامي [1]

كما إن العالم الإسلامي شرقا وغربا وحيث ما أحلت النظر في هذه الكرة من أقصاها إلى أدناها أصبح لا يرى رابطة تضمن له البقاء والوقاية من الاضمحلال إلا بالتمسك بمقام خلافة العظيم التي يعيها العثمانيون عموما والمسلمين خصوصا دولتهم الكبرى وفخرهم السرمدي، فكذلك لم يبق واحد في هذا العالم الإسلامي إلا وهو مشرئب النظر إلى ذلك النور الساطع الذي ملأ حاشية الزمان هيبة وجلالا لانبعاثه من النور النبوي وتألف به بيت المجد والعلاء وافتخر بوجوده الوقار والحلم وخفق عليه لواء التقوى والعلم واعني به حضرة الأمير محمد السعيد نجل الأمير الخطير علي وحفيد الأمير عبد القادر . نهض هذا الأمير الفخم مدافعا عن الجامعة الإسلامية ببيانه الخلاب وحكمته اللؤلئية به متوخيا الإخلاص وجميع قلوب الإسلام في سلسلة النورانية وتوحيد كلمتهم للسعي في إعلاء شأن الخلافة العظمى والسلطنة العلية العثمانية،وانتشال ممالك الإسلام الواقعة تحت نير الأجانب من ذلك الحضيض الأوهد، فهزت نهضته أطراف الكرة ودوى في أرجاء الكائنات حتى وطنا في أون الفلك فابتسم ثغر الأماني وترقت في النفوس نشوء الرجاء وأدركت أوربا أنه ما دامت للأمم الإسلامية عقول تفقه وسواعد مفتولة وعزائم معقودة الأطراف وفي أفواهها السنة تنطق وعلى رأسها هذا الأمير الذود عن كرامتها ويدافع عن مجدها .

المصدر: الأمير محمد سعيد الجزائري، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي..صص 29-33.

الملحق رقم (34)

العنوان: واجهة كتاب "إيقاظ الإخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان" لاسماعيل الصفائحي ونموذج من محتوياته

إيقاظ الإخوان لدسائس الأعداء ومايقتضيه حال

« الزمان »

تأليف العلامة المحدث الأستاذ الشيخ اسماعيل افندى

الصفايحى القاضى بتونس سابقا

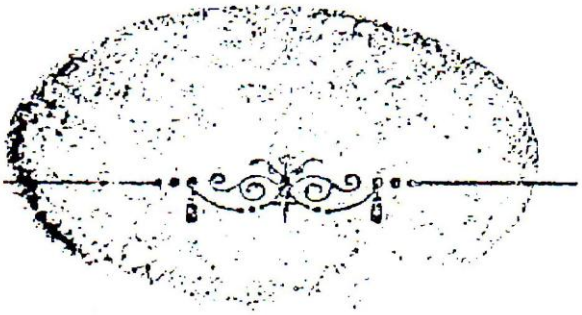

استانبول

مطبعة عسكريه — سليمانيه

١٣٢١

المصدر: إسماعيل الصفائحي ،كتاب إيقاض الإخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان ،(الواجهة)

تابع للملحق رقم (34)

العنوان: واجهة كتاب "إيقاظ الإخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان" لاسماعيل الصفائحي ونموذج من محتوياته

فى الاستقلال واستئناس الضعف منهم تصدوا لاسقاط الدولة العثمانية وازالة آخر قوة بقيت لعالم الاسلام فابتدؤا باحداث الفساد فى داخل المملكة واثارة الرعايا الغير المسلمة وتشويقها للخروج من تحت الدولة ووعدها بالاعانة مثل اليونان والصرب والبلغار والرومانيين وغيرهم وقد مر القرن الماضى كله بالحروب الداخلية والخارجية على الدولة الاسلامية ثم لما اضعفوها واحدثوا لها المشاكل فى بلادها مدوا ايديهم الى الممالك الاسلامية واستولوا عليها شيئا فشيئا فابتدؤا بالجزائر ثم تونس ثم مصر ثم المغرب الاقصى ثم طرابلس وبنى غازى والاعلان صريحا فى الاستيلاء على الهندو اقتسام افريقيا والمملكة الايرانية وغيرذلك واخيرا اوجدوا الاتفاق المربع البلقانى وساعدوه بكل مافى وسعهم وكادوا يهدمون ركن الدولة ويستولون به على الاستانة ولما من الله بحل تلك المسئلة بوجه لم يبلغوا فيه املهم من محو دولة الاسلام الوحيدة ائتلفوا فى هذه الحرب على ذلك بعدما يقدرونه من الانتصار الذى سيعوضهم الله تعالى به القهر والادبار ويؤملون باتفاقهم على هاته الحكومة تعديل مايقتسمونه بها وقد بينا فيما تقدم خطأ هؤلاء الدول عاما

المصدر:

الملحق رقم (35)

العنوان: قصيدة "تشطير الحميدية" لعبد القادر بن براهيم المسعدي

- تشطير الحميدية -

لما خلع الأتراك السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد وأبطلوا الخلافة، وأكرهوا شيخ الإسلام على الإفتاء بلزوم ذلك امتعض المسلمون من جراء ذلك وانتقد الأستاذ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي شيخ مشيخة العامل قصيدة سماها الحميدية في تأبين الخلافة، ونعى على الأتراك ما فعلوا ثم أرسلها إلى الشيخ عبد القادر بن براهيم طالبا منه تشطيرها:

(ثناني على عبد الحميد حميد ... وحزني إليه طارف وتليد)
وصبري فان والتصبر زائد ... (وما حيلتي جد بذا جد بيد)
(وجدي به يحيى وتشجي خالد ... وقلبي ناس وفكري شريد)
وحزني في ربيع والسرور محرم ... (ودمعي بحكي جعفرا وبريد)
(وما لي لا أبكي عليه وقاته ... منار الهدى أخنى عليه مبيد)
له همة تعلو وتشهد أنه ... (لأمة خير المرسلين عميد)
(وحامي حمى الإسلام بالبيض والقنا ... متى ركبت تستنجد الغمر مزيد)
له وقرة كم خيبت من عدى ... (وتدبيره في المفظعات سديد)
(وقد كان طودا لا يرام فراعه ... منيعا يكل الطرف وهو حديد)
وحصنا لمن يرجو النجاة وملجأ ... (يقل أراء القوم وهو حديد)
(فيا خالعيه قد خلعتم بخلعه ... لباب الهدى من سوأكم ما يريد)
وأزعجتم دين النبي وملكه ... (فلوب جميع المسلمين فيدوا)
(قدرتم أمير المؤمنين وحنتم ... وما هو إلا للنعمود فعيد)
وأعفيتم نهج النبي وصحبه ... (بقا بكم عند الإله بنكد)
(جسرتم على من ما لكم بات سامرا ... حسيرا براعي النجم وهو فريد)
وكرتم للجلى بجيد محافظا ... (على رشدكم إذ ليس فيكم رشيد)
(حرقتم بسياج الذب والذود التي ... لها مجلس في الفرقدين وطيد)

المصدر: نقلا عن ،محمد قن،الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الجزائر ،200- -2007

تابع للملحق رقم (35)

العنوان: قصيدة "تشطير الحميدية" لعبد القادر بن براهيم المسعدي

وكانت يد تختال فخرا واصبحت ... (السطوتها صم الجبال تميد)
(وكيدتم بعد المنع دين محمد) ... وقد كان في نشر الضلال يفيد
تجوسون خلال الديار في كل موقف ... (ومن كاد دين الله فهو يكيد)
(ستجنون سوء مغبة البغي حصدا بسيفه) ... وما البغي إلا للشقاء وصيد
وما هو الا للمذلة جالب ... (وبالبغي أعناق البغاة حصيد)
(شمتم بنا الأعداء يا غفلة النهى) ... فأصبح عز الدين وهو فقيد
وأضحت جميع الكائنات تذمكم ... (فأنتم لحرب الترك في سفاهة وكيد)
(كيف الترك والهوى بكم هوى) ... وهل كثر في جاهل وبليد
(وما النقطة بالدستور إلا وسيلة) ... (لتشتيت جمع المسلمين بريد)
وما هي الا حيلة وخيانة ... لتستعبد الشعب الكسيح بحيد
(فلا بغية معقولة أو مخافة) ... (كأن لم يكن حقا لديكم وعيد)
فما يكمو من راقب الله ربه ... وفي كل حرب لا محيد نجيد
(فللدين حام من يسوءكم وناصر) ... (وعاصمه رب تعالى مجيد)
كذا لا يزال العز يرفع بنده ... فلا الشرع مشنوء ولا القوم صيد
(لتنتم بدون الشرع إصلاح أمركم) ... (وما قال إلا للنجاة رشيد)
(وأكرهتم شيخا فأفرق بقيته) ... (وما قال عن صوب الصواب بعيد)
فأكسف تمس الدين منه بغيبة ... فأضحى لها في الخافقين مديد
(فعلا اقتدينا بالأولى ارتقت) ... (فتحظى بها لمصر حيها أكيد)
تعالت فأعلت كل ذي همة علت ... به النصر يستمر والجدود تزيد
(وسلطانكم قد كان أكبر مصلح) ... (له عدة مشهورة وعديد)
فألفت بين المبغضين وأصبحت

المصدر:

البيبليوغرافيا

(المصادر والمراجع)

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولا - المصادر :

باللغة العربية :

أ- *الوثائق الأرشيفية*

1- الجزائر في الوثائق العثمانية (....)، المديرية العامة لدور المحفوظات (رئاسة الأرشيف العثماني) ، رقم المنشور 115، أنقرة ،الوثيقة رقم 83 ، مؤرخة في 1269ه /1853م.

2 - الجزائر في الوثائق العثمانية ، وثيقة رقم 85، مؤرخة في 1277ه /1860م.

3 - الجزائر في الوثائق العثمانية ، وثيقة رقم 63 مؤرخة في 1285 هـ - 1868م.
4 - الوثيقة رقم 72، مؤرخة في 1313هـ / 1895م .
5 - الوثيقة رقم 89 مؤرخة في 1301 هـ /1884م .
6 - الوثيقة رقم 92، مؤرخة في 1306 هـ / 1888م.
7 - الوثيقة رقم 93، مؤرخة في 1316 هـ / 1898م .

8 - الوثيقة رقم 77 المؤرخة في 1329 هـ / 1911م.
9 - وثيقة رقم 65، مؤرخة في 1306هـ / 1889م .
10 - وثيقة رقم 71،مؤرخة في 1311هـ / 1894م.
11- وثيقة رقم 74 مؤرخة في 1328هـ /1910 .

ب- الكتب :

باللغة العربية

1 - أرسلان (شكيب)،سيرة ذاتية ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، جويلية 1969.
2 - أرسلان (شكيب)، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة (د ط) دار الفضيلة، القاهرة، 2000.
3 - الأفغاني (جمال الدين)،الأعمال الكاملة ،دراسة وتحقيق محمد عمارة ،القاهرة ،1968.
4 - آل صفا،(محمد جابر)، تاريخ جبل عامل،دار متن اللغة ، بيروت ، لبنان ،(دت).
5 - الإبراهيمي (محمد البشير)،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،، الجزء الخامس (1954-1964) ،دار الغرب الإسلامي،1997.

6 - الإبراهيمي (محمد البشير)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الأول (1929-1940) ،دار الغرب الإسلامي،1997.
7 - إبن هطال التلمساني (أحمد)، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري على الجنوب الصحراوي الجزائري 1789، (تق) محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2004.
8 - الباروني النفوسي (سليمان بن عبد الله)،ديوان الباروني،مطبعة الأزهار البارونية،مصر،جمادى الأولى 1326.
9 - بن الأمير عبد القادر (محمد)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر(سيرته القلمية)،المطبعة التجارية-غرزوزي وجاويش-بالإسكندرية،1903،(ج)2.
10- بن تونس (عدة) ،الروضة السنية في المآثر العلاوية ،(ج1)، المطبعة العلاوية ، مستغانم 1936.
11- بن حبيلس (الشريف)، الجزائرالفرنسية كما يراها أحد الأهالي، (تر)عبد الله حمادي وأخرون،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ،2009.
12- بن عثمان خوجة (حمدان)،المرآة ، (تقديم وتعريب وتحقيق) ، محمد العربي الزبيرى،منشورات ANEP،2005.
13- بن الفكون (شيخ الإسلام عبد الكريم) ،منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق ، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، 1987.
14- بن العقون (عبد الرحمان بن ابراهيم) ،الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920-1936،(ج1) ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984.
15- بن ميمون الجزائري(محمد)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري ،(ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1981.
16 - بن نبي، (مالك) ،مذكرات شاهد للقرن،(ط2) ،دار الفكر ،دمشق،1988.
17 - البيطار(عبد الرزاق)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (1253- 1353 هـ)، مطبوعات المجمع العربي ،دمشق ، 1963،(ج3).
18 - تشرشل (شارلز هنري) ، حياة الأمير عبد القادر،ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، دار الرائد-عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009.
19 - توفيق المدني (أحمد) ، حياة كفاح (مذكرات)، الجزء الثاني في الجزائر 1925-1954،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1977.

20- توفيق المدني (أحمد)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ،(ط2)، ش و ن ت ،الجزائر ، 1980.
21- الثاني (عبد الحميد)،مذكراتي السياسية 1891-1908،(تح) محمد حرب ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ،1979.
22- الثعالبي (عبد العزيز) ، روح التحرر في القرآن ، (تر)،حمادي الساحلي ، (تح) محمد المختار السلامي،دار الغرب الإسلامي، 1985.
23- الثعالبي(عبد العزيز) ، مقالات في التاريخ القديم ، ترجمة وتحقيق، جلول الجريبي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1986.
24- الثعالبي (عبد العزيز) ،خلفيات المؤتمر الإسلامي 1350 هـ - 1931م، ط1 ، دار الغربي الإسلامي، بيروت لبنان.
25- الثعالبي (عبد العزيز) ،تونس الشهيدة ، ترجمة وتقديم : سامي الجندي ،دار القدس ، بيرت ،لبنان،1975.
26- ثورة العرب الكبرى 1916، بقلم عضو جمعية عربية سرية ،سلسلة إحياء التراث الأردني (8)، منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن.
27- حليم (إبراهيم بك)، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ،2004.
28- حمزة(محمود أفندي)، البرهان على بقاء ملك بني عثمان إلى أخر الزمان ،مطبعة جمعية الفنون، بيروت ، 1308ه/ (1891م).
29- الجزائري (الأميرمحمد سعيد)، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي،(ط2)، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتوزيع والنشر ، الجزائر،1968.
30- الجيلالي (محمد بن العابد) ،تقويم الأخلاق ، المطبعة الإسلامية ،قسنطينة ، الجزائر ،1927.
31- الخضر حسين (محمد) ، نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،مدينة نصر ، القاهرة ،2012.
32- الخضر حسين (محمد)،رسائل الإصلاح ، المطبعة التعاونية ، تونس ،1971.
33- رشيد رضا(محمد)، تفسير المنار، (ط2)،دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،(دت)،(ج4).
34- رشيد رضا (محمد)تاريخ الإمام محمد عبده، مطبعة المنار، مصر، 1931،(ج1).
35- ستوارد (لوثروب)، حاضر العالم الإسلامي، (وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير

الأمير شكيب أرسلان)،نقله إلى العربية عجاج نويهض، (ط4)،(مج11،(ج2)،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1973.

36- روش (ليون)، إثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام- مذكرات ليون روش عن رحلته الحجازية،(تر) محمد خير محمود البقاعي،جداول للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان،2011.

37- الزاهري (محمد الهادي) ، شعراء الجزائر في العصر الحاضر،(ج1) المطبعة التونسية، تونس، 1926.

38 - زكرياء(مفدي)، "إلى الريفيين"، من ديوان أمجادنا تتكلم ،جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حمودة ،مؤسسة مفدي زكرياء- الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر ،2003.

39 - الصفائحي (إسماعيل افندي)، إيقاظ الاخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان،مطبعة عسكرية ، سليمانية، استانبول ،1331 هـ.

40 - الصلح (عادل)، سطور من الرسالة تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، دار العلم للملايين ، بيروت ،1966.

41 - عباس (فرحات)،حرب الجزائر وثورتها ،ليل لاستعمار ،تعريب أبوبكر بن رحال،المحمدية،المغرب،1962.

42 - عبد الرازق (علي)، الإسلام وأصول الحكم، تقديم ووثائق ،عروس الزبير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ،الجزائر ،1988.

43 - الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط4، لجنة تراث زعيم التحرر المرحوم علال الفاسي،مطبعة الرسالة ، الرباط،1980.

44- الكواكبي (عبد الرحمان) ،أم القرى للسيد الفراتي ، المطبعة المصرية بالأزهر، 1931.

45 - لورنس (توماس إدوارد) ،أعمدة الحكمة السبعة ،منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان، 1963.

<u>باللغات الأجنبية</u> :

1- Abbas (Ferhat) , guerre et révolution d'Algérie ,la nuit coloniale, édition Julliard, Paris, 1962.

2- Ben habiles(Chérif),L'Algérie Française vue par un indigéne,Alger orintale,1914.

3- Burton(Isabel),The Inner life of Syria, Palestine,and the Holly land, vol 1,Henry S.King & Co, London, 1875.

4 -Binger(Louis Gustave),le peril de l'islam,publication du comité de l'Afrique Française,Paris,1906

5- Cadi(Hadj chérif),Terre d'Islam,preface paul azan,la vauzelle éditeurs militaires,imprimerie heint frére aros,paris ,1929.

6- Courtellement(J.Gervais),Mon voyage a la Mecque,Paris,librairie Hachette et cle,79 Boulvard;1897.

7-De constant (Paul-Henri-Benjamin d' Estournelles) ,les congrégations religieuses chez les Arabes et la conquéte de l'Afrique du Nord, Maisonneuve et C. Leclere , Paris,1887

8- Esquer(Gabriel),Correspondance du Maréchal Clauzel(1835-1837),t1,éd,La rose,Paris,1948.

9- Faucon (Narcisse),Le livre d'or de l'Algerie,T1 – Biographies,Chalamel et Cie éditeurs,Paris,1889.

10- Garrot(Henri),Histoire générale de l'Algérie,imprimerie,p.crescenzo,voutes bastion nord,Alger;1910.

11- Gautrot(Gustave), La Conquête d'Alger, 1830, d'après les papiers inédits du maréchal de Bourmont, commandant en chef de l'expédition, Paris-Lille, impr. A. Taffin-Lefort , 1927. (1er juillet).

12- Hadj Abdallah(Boukabouya),les soldats musulmans au service de la France,librairie Nouvelle de Lausanne, Lausanne, 1917.

13- Hurgronje(C,Snouk),"The holy War made in Germany ",G.P.Putnam's Sons,New york and London,1915.

14- Khaled(Emir) ,la situation des musulmans d'Algérie 1924,opu,Alger,1987.

15- Lutaud(Charles),situation générale du territoire du sud de l'Algerie pendant les années 1914-1915,AdolpheJordan,Alger,1916.

16- Melia(Jean) , L'Algrie et la Guerre 1914-1918,4éme ed,librairie Plon,Paris,1918.
17- Rinn(Louis), L'insurrection de 1871 en Algerie, librairie Adolf Jourdan,Alger, 1891.
18- Servier(André), le péril de l'Avenir ,le nationalisme musulman en Egypte, en Tunisie ,en Algerie, 3ed,Constantine,Mboet1913.

ج – المجلات :

باللغة العربية

1- الأفغاني (جمال الدين)، الشيخ محمد عبد ، العروة الوثقى ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان،1980.

2 - الحق الوهراني ، (عدد39)من 6 إلى 13 جويلية 1912.

3 - جريدة الجامعة العربية ،8 نوفمبر 1931.

4 - الفاروق ،عدد (56)،12 أفريل 1914.
5 - رضا ،(محمد رشيد) ،المنـار ،ط2،مطبعة المنار ،مصر ،1327 هـ (ج09)
6- رضا ،(محمد رشيد) ،المنـار ،ط2،مطبعة المنار ،مصر ،1327 هـ(ج31)

7 - الشهاب ، (ج5) ، (م7)،غرة المحرم 1350 هـ /ماي 1931.
8 - الشهاب ، (ج10)، (م7)،غرة جمادى الثانية، 1350هـ / أكتوبر 1931.
9 - الشهاب ، (ج11)،(م7)،غرة رجب 1350 هـ / نوفمبر 1931.
10 - جريد الشورى ،20مارس 1929.

د- المقالات :

باللغة العربية :

1- أطفيش (إبراهيم)،«الإنقلاب التركي الأخير» ،المنهاج،ج1،العدد03،(ربيع الأول1344هـ/1925م).
2- أطفيش(إبراهيم)، «هل تعود تركيا إلى الشرق ،المنهاج»،ج01 ، (جمادى الثانية 1344هـ ،1925م).
3- أطفيش (إبراهيم)،«الخلافة، المنهاج»، ج1،(شعبان1344 هـ/1925م) .
4- أطفيش(إبراهيم) ،«الاسلام وأصول الحكم »،المنهاج ،(ج1)،(صفر 1344هـ/1925م).

5- أطفيش (إبراهيم)،«الدين والسياسة »،المنهاج ، (ج1) ،(صفر 1344هـ/1925م).
6- أرسلان، (شكيب)،«بطل العرب والإسلام العظيم القائد الكبير محمد عبد الكريم »،المنار ،م24،ج9،(11سبتمبر 1923).
7- أرسلان (شكيب) ،« البهاء زهير ينشر في هذا العصر" الشهاب» ،(ج1)،(مج13)،(1356هـ /1937م).
8- الإبراهيمي (محمد البشير) ،« وحدة الصوم والعيد» ،آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،(ج4)،(ط1)،جمع وتقديم الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،1997.
9- الإبراهيمي(محمد البشير)،«فصل الدين عن الحكومة»(5)، أو فصل رمضان والأعياد عن قاضي الجزائر.."، البصائر ،عدد08،89 أوت1951م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثالث ، عيون البصائر ،دار الغرب الإسلامي،1997.

10- الإبراهيمي (محمد البشير)،«فصل الدين عن الحكومة»(13)، أهذه هي المرحلة الأخيرة من فصل الحكومة عن الدين، البصائر ،عدد 29،139جانفي 1951م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير. الإبراهيمي ، الجزء الثالث .
11- الإبراهيمي (محمد البشير)،« قضية فصل الدين ومن فروع هذه القضية: الحج»، البصائر ،عدد 20،11أكتوبر1947م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثالث ، عيون البصائر ،دار الغرب الإسلامي،1997.
12- الإبراهيمي (محمد البشير)،«فصل الدين عن الحكومة (7) ،ونعود إلى فصل الحكومة عن الدين»، البصائر ،عدد 30،105 جانفي 1950م، نقلا عن ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم ، الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، الجزء الثالث ، عيون البصائر ،دار الغرب اللإسلامي،1997.
13- الإبراهيمي (محمد البشير)، «ليبيا موقعها منا (1)»،جريدة البصائر ،العدد112، السنة الثالثة من السلسلة الثانية،1(جمادى الثانية 1369هـ- 20مارس 1950م).
14- الإبراهيمي (محمد البشير)، «أنـــا»، مجلة الثقافة، العدد87،ماي – جوان 1985م.
15- إبن باديس (عبد الحميد) ،« الإجتماع العام للأمر الهام وارتباط الجماعة بأمر الإمام»، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، (ج1)، الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ، 2007.

16- إبن باديس (عبد الحميد) ،«الفاجعة الكبرى أو جنايات الكماليين على الإسلام والمسلمين»، النجاح ، عدد 152، (28 مارس 1924).
17- إبن باديس (عبد الحميد)، «مصطفى كمال رحمه الله» ،الشهاب ،ج9،م14، رمضان 1357هـ /نوفمبر 1938.

18- إبن باديس(عبد الحميد)، «الخلافة أم جماعة المسلمين»، الشهاب ،ج2،م14، (غرة ربيع الأول 1357هـ - ماي 1938).

19- إبن باديس(عبد الحميد)،«رد على مقالنا السابق في جنايات الكماليين»، النجاح، السنة الخامسة ،عدد15(،04أفريل 1924).

20- إبن باديس (عبد الحميد)، «الخلافة أم جماعة المسلمين» ، الشهاب، المجلد الرابع عشر ، (ج2)، (ربيع الأول 1357ه-ماي1938م).

21- إبن باديس (عبد الحميد) ،« الاجتماع العام للأمر الهام وارتباط الجماعة بأمر الإمام»، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، (ج1)، الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ، 2007.

22- بن الشريف (الطاهر)«إستصراخ الجزائر للأمة الفرنسوية»،الحق الوهراني،العدد39،(من06إلى 15جويلية 1912.).

23- بن قدور(عمر) ،« مصيبة تركيا في عدم الإعتبار»، الفاروق، عدد 11، السنة الأولى، (الجمعة 25 جمادى 1331 هـ /9 ماي 1913.)

24- بن قدور(عمر) ،«يا شرق» ،الفاروق ،(ع11)،(19ماي1913م.)

25- بن قدور (عمر)، «الخدمة العسكرية والرفض الأخير»، الحضارة ،(ع08)، (أوت 1911م.)

26- بن قدور(عمر) ،« بين اللين والشدة بأيهما نعمل ؟»، الفاروق،العدد2، السنة الأولى ،(الجمعة 29 ربيع الأول 1331 هـ / 07 مارس 1913م.)

27- بن قدور (عمر)،«كلمة حق"،التقدم»،العدد (06)، (في 23 جانفي 1908).

28- بن قدور (عمر) ،«طور جديد للجزائر والجزائريين»،الفاروق،العدد40، (24 ربيع الأول1332 هـ-30 فيفري 1914م.)

29 - بن قدور (عمر)،« الشهامة الاسلامية» ،الفاروق ،العدد79،(الجمعة 05 ذي الحجة 1332هـ-15 سبتمبر 1914م.)

30- بن قدور(عمر)،«نبذة عن طرابلس الغرب»،الحضارة ،عدد78،(15 أكتوبر1911.)

31- بن قدور (عمر) «مصيبة تركيا في عدم الإعتبار» ،الفاروق،عدد16،12ماي1912.)

32- بن قدور(عمر)، «ليتقوا الله في طرابلس»،الحضارة،عدد(132)،(17أكتوبر1912،نقلا عن : صالح خرفي ،الثقافة ،عدد 01،مارس1976.

33- بن قدور (عمر) ،«فتاة طرابلس الغرب »،الفاروق ،عدد16 ،(،3جوان1913)، نقلا عن: صالح خرفي،عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية،مجلة الحياة الثقافية،عدد32،(عدد خاص بالجزائر)،تونس ،1984.

34- بن الهاشمي(عبد الحفيظ)،«حول إبطال الخلافة الاسلامية»، النجاح،عدد14،150 مارس 1924م).

35-بن الهاشمي (عبد الحفيظ) ،« حول السياسة التركية»، النجاح،عدد 139،السنة الرابعة (،18 ديسمبر 1923.)

36-بن الهاشمي(عبد الحفيظ)،«تركيا والاسلام ،نهضتها الأخيرة ودسائس الانجليز»، **النجاح**،عدد141، السنة الخامسة ،(11جانفي 1924م) .

37- بن الهاشمي (عبد الحفيظ) ،«خلع الخليفة وإلغاء الخلافة»، النجاح، عدد 154، السنة الخامسة ،(11 أفريل 1924).

38-الحافظي (المولود بن الصديق) ،« حول الخلافة ونبذ الأتراك لها» ، النجاح، السنة الخامسة ،(09ماي 1924.)

39- حلم الدين (حسن محمود)،(قاضي محكمة أسيوط الشرعية)،"حول الخلافة الإسلامية"، النجاح ،عدد 152، السنة الخامسة،28مارس 1924.

40- محمد عابد الجلالي،« نجم يهوي ونجم يسطع أو مصطفى وعصمت»، **الشهاب** ،(ج9) ،(م14) ،(رمضان 1357هـ /نوفمبر 1938.)

41- ذو الفقار ،« المسألة اليهودية»، العدد 04، السنة الأولى ، 04 شعبان 1332 هـ / 28 جوان 1914م ، نقلا عن : مجلة المنار، ج4،م17،(27 مارس 1914م).

41- ذو الفقار: «منبر ذو الفقار» ، جريدة ذو الفقار ،العدد4، السنة الأولى ،(الأحد 04 شعبان 1332 هـ /23 جوان 1914.)

42- الراصد ،«إلى أين تذهب أموالنا ؟»،البرق، (ع15)،(س1)،(20جوان 1927م.)

43 - رشيد رضا (محمد)، «الجامعة الاسلامية وآراء كتاب الجرائد فيها»،مجلة المنار،(عدد12)،(22أوت1899.)

44- رشيد رضا (محمد) « الحركة الطورانية الجديدة في بلاد تركيا» مجلة المنار ـ المجلد (19) الجزء (8)، (ربيع أول 1335 ـ يناير 1917.)

45- رشيد رضا(محمد)، « نصيحة الأستاذ الامام لأهل الجزائر وتونس» ، المنار،ج15، مج06، (الخميس غرة شعبان 1321- 22اكتوبر 1903.)

46- رشيد رضا(محمد) ، «قصيدة عالم جزائري في الأستاذ الإمام»، المنار ، ج23، مج06، (الخميس غرة ذي الحجة 1321 – 18 فبراير 1904م .)

47- رشيد رضا (محمد) ، «تفسير سورة العصر»، المنار ، ج23، مج06، (الخميس غرة ذي الحجة 1321 – 18 فبراير 1904م .)

48- رشيد رضا (محمد)، « فرنسا والإسلام»، المنار،ج8، مج5،(الثلاثاء 06 ربيع الثاني 1320-22 يوليو –تموز 1902.)
49-الزاهري(محمد السعيد)، « تحية أمير البيان»، الإصلاح ،(ع5)،(س3)،(17 أكتوبر 1929.)
50-الأزهري (المولود بن الصديق الحافظي)، «بحث حول جمعية الحرمين» ، الشهاب، السنة الأولى ،عدد13،(الخميس 21 رجب الفرد 1344هـ / 4 فيفري 1926.)
51-الزهراوي (عبد الحميد)،«التضامن وأهل الرأي»،الجريدة ،(عدد31-32)،(جويلية 1907.)
52-الزواوي (أبو يعلى)،«ذكرى الخلافة والإمامة العظمى» ، الشهاب ،السنة الأولى، العدد28،(الخميس14 ذو القعدة1344ه-28ماي1926م).
53-قسم الأخبار ،«الخلافة الاسلامية»،النجاح،عدد 19،117 السنة الرابعة ،(أكتوبر 1923.)
54-قسم التحرير ،« سهام الإنتقاد في مصطفى كمال لعل له عذر وأنت تلومه»، **النجاح**، عدد 272، السنة السابعة، (،فيفري 1926.)
55- قسم التحرير ،**النجاح**، عدد 142، السنة الخامسة ،18 جانفي 1924.
1-56 - قسم التحرير ، «إجتماع علماء الأزهر»، النجاح، عدد 154، السنة الخامسة،(11 أفريل 1924.)
1-57 - قسم التحرير،« مؤتمر الخلافة بمصر»،النجاح ،عدد 274، السنة الخامسة،(19 ماي 1926.)
58-قسم التحرير،« إلى زعماء الأمة ومفكريها»، البلاغ الجزائري ،السنة الثانية،عدد 53،(3رجب 1346هـ / 20جانفي 1928.)
59-قسم التحرير ،« الخلافة والمسلمون» ، **البلاغ الجزائري** ، السنة الخامسة ، عدد234،(3 رجب 1350 هـ /13 نوفمبر 1931.
60-قسم التحرير ،«خطوات إلغاء الخلافة»، مجلة المنار، ج4،مج25.
61-قسم التحرير ، «إجتماع علماء الأزهر»، النجاح، السنة الخامسة ، عدد 154، (أفريل 1924.)
62-لجنة التحرير ، «جمعية أحباس الحرمين الشريفين ومهمتها الدينية»، الشهاب ، السنة الأولى ،عدد19،(الخميس 11 رمضان 1344 هـ / 25 مارس 1926م.)

63-محمد رشيد رضا ،«فرنسا والإسلام»، المنار،ج8، مج5،(الثلاثاء 06 ربيع الثاني 1320-22 يوليو –تموز 1902.)

ه- باللغات الأجنبية :

Akhbar,«leprojetd'arméindigéne»**Akhbar**,(N13597),(dim26sep1909)

2 - L'Afrique Française, «la suppression du califat Turc »,Bulletin Mensuel du comite de l'Afrique Française et du Maroc,03/1924)

3 - Ammar(Hadj),«Tous pour la France»,L'Islam,N205,(samedi 03 oct 1914).

4 -Benchneb(Mohamed) , « La guerre de Crimée et les Algeriens par le cheikh sidi Mohammed Ben smail D'Alger »in,.R.A,vol51,(Année 1907).

5 - Baulieu(Leroy),«La France dans l'Afrique du nord,indigénes et colons», in Revue des deux mondes,1906.

6 - Ben siam(Mohamed),«jours d'epreuve»,Akhbar,(N13762).fev 1911.

7 -BenRahal(M'hamed), " l'avenir de l'Islam " conférance au Congrés des Orientaliste-Paris, in,Revue des questions diplomatiques et coloniales, Paris,1nov 1901.

8 - Bernard(Augustin),"L'Allemagne et l'Afrique du Nord,"Algerie" in,Bulletin du comité de l'Afrique du Nord,Avril 1915.

9- Cour(A),"recherche sur l'état des confréries religieuses musulmanes",in revue Africaine,N62,A jourdan,librairie-editeur, Alger,1921.

10 - Desparmet(joseph) "L'entrée des Français a Alger par le cheik Abdel kader",R.A,vol71,1930.

11 - Desparmet(J),"Quelque échos de la propagande allmande à Alger",bulletin de la Societé de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord,tome10,1915.

12 - Desparme(J), " La chanson d'Alger pendant la grande guerre",in Revue Africaine,N73;1932.
13-
Demontes(Victor),"L'Algériependantces18moisdeguerre",S.G.A,t10, 1915.
14 -dépont(Octave),"une insurrection en Algérie pendant la guerre",in Revue de l'Afrique du Nord,T01,Nov-Déc 1921.
15 - Duveyrie(Henri),la confrérie Musulmane de Sidi Mohamed Ben Ali es Senoussi et ses Domaines Géographique en l'année 1300 de l'Hegire et 1883 de notre Ere,Paris,Société de Géographie,Boulevard saint-Germain181,2Trimestre 1884.

16 -l'Echo d'Alger, "Angora sera la capital de la Turquie ",N4834,02/01/1923,42eme Année.

17 - Gustave (Mercier),"les indigénes Nord- Africain et la guerre",in :Revue de Paris,(T4),04 juil-Aout 1918.

18 - " La premiére proclamation addressee par les Français aux Algériens 1830",in **R A**,t6,1862,Alger, chez Bastide, Libraire-éditeur, place du gouvernement.

19 -"La conscriptiondesindigénes",ELHack,N40,Du 13au 20 juillet1912.

20 - La Dépèche Algerienne"La consiciption des indigénes",DA,vendredi 30 oct 1908.

21- "les veux des indigénes,la Revue indigénes*",N30,oct1908.*
22 - "Les Algeriens Musulmans et la guerre",Revue du monde Musulmans,déc1914.
23-" les indigenes de l'Algerie protestes contre l'attitude de la Turquie",L'echo d'Alger,N969,jeudi 09nov1914.

24 -" les protestations de loyalisme des Musulmans d'Algérie",le Temps,N19481,07nov 1914.

25 - " L'écho d'Alger,N966,06nov1914.

26 -Le chatelier(Alfred)," les musulmans Algériens au Maroc et en Syrie" ,in Revue du monde musulmans,volume2,numéro5,mars 1907,paris.

27- "la recherche des insoumis" L'echo d'Oran"N15604,Dim 27sep1914.

28 - "Le pélérinage a la Mècque",**B.C.A.F**,Aout-sep1916.

29 -Le Ministre de la guerre,Rapport au président de la république Française,leMobacher,N5436,samedi02 mars 1912.

30 - "loyalisme des indigenes",L'écho d'Alger,N967.07nov 1914.

31 - Revue Du monde Musulman, " opinion de Ahmed ben El-Mouazz ", in :RMM,vol ,XXIX,décembre 1914,Ernest le roux éditeur,28 rue Bonaparte(VI),Paris.

32 - Sadek(Denden),"Notre action dans la guerre" L'Islam,N204,22Aout1914.

33 - Signoret,"L'Algerie et les indigenes pendant la guerre" Revue Politique et Parlementaire,tome98,jan-fev-mars1919.

34 - Revue Du monde Musulman, " opinion de Ahmed ben El-Mouazz ", in :RMM,vol ,XXIX,décembre 1914,Ernest le roux éditeur,28 rue Bonaparte(VI),Paris.

ثانيا- المراجع :

أ- الكتب :

باللغة العربية :

1- أتنجر(صموئيل) وأخرون ،اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950،تر،جمال أحمد الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، رقم 97،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 1995.

2 - أحمد (بن ميلاد) و محمد مسعود إدريس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1892- 1940،(ج1)،بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ،1991.
3- أحمد الزاوي (الطاهر) ، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بنغازي ، ليبيا ،2004.
4- أحمد الزاوي (الطاهر أحمد)، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، طـ 3، طرابلس:دار الفتح,1973.
5- - أجرون، (شارل روبير)،تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضة 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954 ،ترجمة المعهد العربي العالي للترجمة ،شركة دار الأمة ،الجزائر ،2008.
6- الجزائري(محمد بن عبد الكريم)، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية ، ش و ن ت، الجزائر ،1981.
7- الجزائري(الأميرة بديعة الحسني)،طائر في سماء المجد الشهيد عز الدين الحسني الجزائري –تاريخ الجهاد- ثقافة المقاومة،دار الفكر ، دمشق ، سورية ،2007.
8- الجزائري (الأميرة بديعة الحسني)، ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرشل،دار الفكر ، دمشق، سورية ،2001.
9- إسماعيل (محمد الحسيني) ،السقوط الأخير (تاريخ الصراع على السلطة منذ ظهور الإسلام وحتى الوقت الحاضر،مكتبة وهبة ،القاهرة ،2006.

10- أسعد داغر (يوسف)، مصادر الدراسة الأدبية من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة ،(ج1)، (ط2)المطبعة المخلصية، لبنان ،1961.
11 - أنطنيوس (جورج)،يقظة العرب(تاريخ حركة العرب القومية(،ترجمة ناصر الدين الأسد و إحسان عباس،ط8،دار العلم للملايين،بيروت،1987.
12 - أمسترونغ (هـ س) ، الذئب الأغبر مصطفى كمال،دار الهلال ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ،1952.

13- الأمين، (السيد محسن)،أعيان الشيعة ،(تح) ،محسن الأمين ،دار التعارف للمطبوعات ،بيروت ، لبنان، 1983.
14- الأمير (بهاء)،اليهود والماسون في قضية الأرمن ،مطابع التحرير ، بيروت ، لبنان ،2012.
15- أنيس(محمد)، الدولة العثمانية والمشرق العربي 1514-1914 ،مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة ،(دت).
16- الإبراهيمي، (محمد البشير)،آثار محمد البشير الإبراهيمي ،جمع وتقديم د.أحمد طالب الإبراهيمي ،دط ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1997،ج5.

17- إبن باديس ،(عبد الحميد)،آثار عبد الحميد بن باديس ،دط ،الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ،ج3.
18-أوغلو (يوسف حلاج)،تهجير الأرمن 1914- 1918 (الوثائق والحقيقة)،(تر) أورخان محمد علي، شركة قدمس للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،2009.
19- آل جندي (أدهم) ، تاريخ الثورات السورية في عهد الإنتداب الفرنسي، مطبعة الإتحاد ،دمشق ، 1960.
20- آيت علجت (محمد الصالح) المولود بن الصديق الحافظي ، حياته وآثاره ، تقديم محمد الشريف قاهر، منشورات دار الكتب، الجزائر ،1998.
21- البجاوي (محمد) ،حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر ، الجزائر، 1971.
22- بسيس (صوفي) ،الغرب والآخرون- قصة هيمنه،(تر) نبيل سعد،دار العالم الثالث ، القاهرة
،2002.
23- البطريق (عبد الحميد) ، التيارات السياسية المعاصرة 1815-1960 ، دار النهضة العربية ،بيروت .
24- البعيني (أمين) ، السلطان باشا الأطرش والثورة السورية الكبرى، ط1،مؤسسة التراث الدرزي ، لندن، 2008.
25- بلقاسم (محمد) ، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا- الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2013.
26-بن عاشور (محمد الفاضل)، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، (ط3)،الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.
27- بلقاسم (الغالي) ،شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره،دار ابن حزم ،بيروت ،لبنان،1996.
-28
29- بن قفصية (عمر) ، أضواء على الصحافة التونسية ، دار بوسلامة ، تونس، 1972.
30- بن الصغير الأخضري (عبد الرحمن) ، السلم المرونق في علم المنطق،(دراسة وتحقيق ابو العباس النوحي) المطبعة السلفية ، القاهرة، 2003.
31- بن ميلاد (أحمد) و محمد مسعود إدريس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1892-1940،ج1، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة ،تونس ، 1991.

32- بن لمرجة (موفق)،صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية،مطابع دار الكويت للصحافة،الكويت، 1984.
33-بن نبي (مالك) ،وجهة العالم الإسلامي، (تر) ، عبد الصبور شاهين،دار الفكر، دمشق، سوريا ،2002.
34- البوعبدلي (المهدي)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني " لابن سحنون ، مطبعة البعث بقسنطينة ، الجزائر ،1973.
35- بوعزيز (يحي)، ثورة الباشاغا محمد المقراني والشيخ الحداد 1871،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر، 2008
36- بوعزيز(يحي) ،ثورات القرن التاسع عشر،طبعة خاصة ،دار البصائر ،الجزائر ،2009.
37- بوعزيز(يحي) ، الموجز في تاريخ الجزائر (1-2)، طبعة خاصة ، دار البصائر ،الجزائر، 2009،(ج2)
38- بوعزيز(يحي) ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009.
39- بوعزيز(يحي)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، (ج1)،(ط2)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر ، 1996.
40- بوصفصاف،(عبد الكريم)، الفكر العربي الحديث والمعاصر مجمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا ،(دط) ، دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2005.
41- التميمي(عبد الجليل)،بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ،، الجزائر وتونس وليبيا:116-1871، منشورات(د م ج)، الجزائر- منشورات مركز الدراسات والحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان ، تونس 1985.
42- عبد الجليل للتميمي،دراسات في التاريخ العربي العثماني ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات ،تونس ،1984.
43- تركماني ،(أسامة أحمد)، تاريخ الأتراك قبل الإسلام وما بعده ، دار الإرشاد للنشر، حمص ، سورية ،2007.
44-توفيق المدني(أحمد المدني)، أبطال المقاومة الجزائرية ، حمدان عثمان خوجة ، أحمد باي قسنطينة ، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009.
45- توفيق (برو)، العرب والترك في العهد الدستوري 1908-1914 ،معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة، 1961.
46- توينبي (أرنولد)، الإسلام والغرب والمستقبل ،ترجمة ، نبيل صبحى، بيروت ،1969.
47- الحسيني (علي الرضا)، صفحات من سيرة الإمام محمد الخضر حسين وأخويه زين العابدين ومحمد المكي، الدار الحسينة للكتاب.

48- حشلاف (عبد الله بن محمد بن محمد بن الشارف بن سيدي علي)، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول،(ط1)،نشر دار الذاكر المذكور ، البليدة،2006.

49- حمدان (محمد)، أعلام الإعلام في تونس (1860-1956(، مركز التوثيق القومي، تونس 1991.

50- الجابري (محمد صالح) ،النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس(1900-1962)،الدار العربية للكتاب،تونس،الشركةالوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983.

51- جغلول (عبد القادر) ،الإستعمارو الصراعات الثقافية في الجزائر ، دار الحداثة للطباعة والنشر ،بيروت،1981.

52- الجابري (محمد صالح) ،الأدب الجزائري في تونس،(ج1)، بيت الحكمة ، تونس ، 1991.

53- الجريبي (جلول)،أسس النهضة عند عبد العزيز الثعالبي ، رسالة دكتوراه في العلوم الاسلامية، معهد أصول الدين جامعة الزيتونة ، تونس، 1987-1988.

54- جريفن(أرنست)، مغامرات في طرابلس ،ترجمة المبروك الصويحي ،طرابلس ،دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1993.

55- الجندي (أنور)،(سلسلة اعلام العرب44)،عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والإجتماع، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،1965.

56- الجندي (أنور)،العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي،دار النشر اللبناني ودار الكتاب المصري ،القاهرة ،1979.

57- الجندي (أنور)، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية 1897 – 1944، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1984.

58- الجندي (أنور) ، الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية ،مطبعة الرسالة ،(دت).

59- الجندي (أنور)،عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الاسلامية 1879-1941،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 1984.

60- الجندي (أنور)،تاريخ الصحافة الاسلامية(الفتح لمحب الدين الخطيب 1926-1948)،دار الأنصار،مصر،(د ت).

61- الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)، تاريخ الجزائر العام ،(ج3) ،دار الأمة ، برج الكيفان ، الجزائر ،2009.

62- الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)، تاريخ الجزائر العام ،(ج4)،دار الأمة ، الجزائر ، 2010،ص266.

63- حرب (محمد) ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة ،1994.

64- حرب (محمد) ،السلطان عبد الحميد الثاني ،(ط2)،دار القلم ،دمشق،1991.
65- حسين (أحمد محمود)، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1986.
66- حسين (محمد محمد) ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ،(ط3)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ،1972.
67- الحسيني (علي الرضا) صالح الشريف،الدار الحسينية للكتاب،تونس،2001.
68- حوراني (ألبرت) ،الفكر العربي في عصر النهضة 1789- 1939،دار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان،(دت).
69- خالد (أحمد) ، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، تونس ،2001
70- الخالدي (سهيل)،الاشعاع المغربي في المشرق (دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام) ،شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع،برج الكيفان ،الجزائر، 1997.
71- الخالدي(سهيل) ،دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق 1847 – 1948 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2013.
72- الخربوطلي (علي حسن)، الاسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر،1969.
73- خرفي (صالح) ،الجزائر والأصالة الثورية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1977.
74- خرفي (صالح) ، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1995.
75- خرفي (صالح) ،شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1979.
76- خرفي (صالح)،عمر بن قدور الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1984.
77- الخطبا (فوزي)،شهداء النهضة العربية، مطبعة الصفدي، عمآن ، الأردن، 1998.
78- دبوز ،(محمد علي)،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ،(ط خ)،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر ،2007،(ج2).
79- درار(أنيسة بركات)،أدب النضال في الجزائر مابين 1945 حتى الإستقلال،(دط)،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984.
80- الراسي (جورج) ، الدين والدولة من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر ،دار القصبة ، الجزائر ،2008.

81- ركيبي (عبد الله)، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،2009.

82- روبير أجرون (شارل) ،الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1911،(تر) م،حاج مسعود وأ،بكلي ،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،2007،(ج1).
83- روبير أجرون (شارل) ، تاريخ الجزائر المعاصرة من إنتفاضة 1871 إلى إندلاع حرب التحرير 1954،(ط1)،دار الأمة ، الجزائر ،2008 ،(ج2).

84 - الزبيري (محمد العربي)، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرية ، (ط2)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981.

85- زوزو(عبد الحميد)، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية،(ج1)،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2012.

86 - الزيبق (إبراهيم) ، العلامة اللغوي عبد القادر المبارك عضو مجمع اللغة العربية وجهوده في نشر اللغة العربية وتفانيه في تعليمها،(ط2)،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية ،2014.

87- الزين (علي)، للبحث عن تاريخنا في لبنان ،(د م)، بيروت ، لبنان ، 1973.

88 - طحان (محمد جمال)،الإستبداد وبدائله في فكرالكواكبي(دراسة) ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق،1992

89 - السباعي (أحمد) ، تاريخ مكة،دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، منشورات الأمانة العامة للإحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، المملكة العربية السعودية، 1999.

90 - ستيودارد (لوثروب)،حاضر العالم الإسلامي، تر، عجاج نويهض،ط3،دار الفكر ، بيروت ،1971،(ج1).

91 - سحنون أحمد ، ديوان أحمد سحنون ،(الديوان الأول)، (ط2)،(ط خ)، منشورات الحبر ، بني مسوس ، الجزائر،2007

92 - سعد الله (أبو القاسم)،الحركة الوطنية الجزائرية، (1) ،طبعة خاصة ،دار البصائر ،الجزائر ،2007.

93- سعد الله (أبو القاسم)،الحركة الوطنية الجزائرية، (ج2) ،طبعة خاصة ،دار البصائر ،الجزائر ،2007.

94- سعد الله (أبو القاسم) ،الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م،دار البصائر، 2007.

95- سعد الله (أبو القاسم)،بحوث في التاريخ العربي الإسلامي،(ط)1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،2003.

96 - سعد الله (أبو القاسم) ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،(ج1) ،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ،2007.

97 - سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،(ج3) ،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ،2007.

98 - سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ج4)،دار البصائر،الجزائر،2007.

99- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ج5)،دار البصائر،الجزائر،2007.

100- سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي، (ج1) 1500-1830 ، (ط6) ،دار البصائر

للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2009.

101- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1998

102- سعد الله (أبو القاسم)، ،تاريخ الجزائر الثقافي(ج5)،(ط1)،دار الغرب الإسلامي ، لبنان ،1998.

103- سعد الله (أبو القاسم)، ،تاريخ الجزائر الثقافي(ج2) ،دار الغرب الإسلامي ، لبنان ،1998.

104- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء التاسع (1954-1962)، دار البصائر ، الجزائر ، 2009.

105- سعد الله (أبو القاسم) ، محمد الشاذلي القسنطيني 1807-1877دراسة من خلال رسائله وشعره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974.

106- سعد الله (أبو القاسم) ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، طبعة خاصة ،دار الرائد وعالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009.

107- سعد الله (أبو القاسم)،على خطى المسلمين ،حراك في التناقض ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009.

108- سعد الله (أبو القاسم)، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، المتوفي 1850 صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، (ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،لبنان ،1990.

109- سعد الله (أبو القاسم)، حاطب أوراق ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2010.

110- سعد الله (أبو القاسم) مجادلة الآخر ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،2006.

111- سعد الله (أبو القاسم) ،حصاد الخريف ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2011.

112- سعد الله (أبوالقاسم) ،تجارب في الأدب والرحلة،ط3،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009.

113- سعد الله (أبو القاسم)،هموم حضارية،دار الأمة،الجزائر،1993.

114- سعد الله (أبو القاسم)، شاعر الجزائرمحمد العيد آل خليفة ،(ط5)،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007،

115- سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1985.

116- سعيدوني (ناصر الدين) ،ورقات جزائرية ،(ط2)، دار البصائر ، الجزائر ،2009.

117- سعيدوني (ناصر الدين)،الجزائر منطلقات و آفاق،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،2000.

118- سعيدوني(ناصر الدين) ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1988.

119- السعيد (ناصر)، تاريخ آل سعود،دار الشروق ،القاهرة ، 1983.

120- السعيد (حسن)، عبد الرحمان الكواكبي جدلية الاستبداد والدين، منشورات مطابع قم ، إيران،2000.

121- السروجي (محمد محمود)، تاريخ أوروبا الدبلوماسي من السبعينيات للقرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى،الاسكندرية ،1965.

122- سلام (صادق)،فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005،(ط1)،(تر)زهيدة درويش جبور،هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)،أبوظبي ،2010.

123- سلوداي (حسن عبد الرحمان)، عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984.

124- سنو (عبد الرؤوف)، النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877- 1881م بلاد الشام-الحجاز- كردستان- البانيا،بيسان للنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان،1998.

125- سنو (عبد الرؤوف)، الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى،بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، بيروت 2002.

126- سنو (عبد الرؤوف)، سياسة ألمانيا الإسلامية في حوض البحر المتوسط 1885-1918، ضمن كتاب : العثمانيون والعالم المتوسطي مقاربات جديدة،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ،2003.

127- سيف الإسلام (الزبير) : ثورة المقراني في حديث مع الأولاد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985.

128- الشابي (علي) و أخرون ،الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتجديد الفكر الديني، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، تونس ، 1993.

129- شرفي (أحمد الرفاعي) ،مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين(الشيخ الطيب العقبي)،ج2،دار الهدى،عين مليلة ،الجزائر،2011.

130- شريط (الأمين)، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون ، الجزائر ،1998.

131- الشوابكة (أحمد فهد بركات) ،حركة الجامعة الإسلامية ، مكتبة المنار ، الأردن ، 1984.

132- شوقي(أحمد)، الشوقيات،مراجعة يوسف الشيخ محمد البقاعي،دار الكتاب العربي ،بيروت ،2005.

133- شويتام (أرزقي)،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره 1800-1830م،ط1،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،الجزائر ،2011.

134- الشوابكة (أحمد فهد بركات)،حركة الجامعة الاسلامية منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى 1919م، ط1مكتبة المنار ،القاهرة،1984.

135- الشناوي(عبدالعزيز)، الدولة العثمانية ،دولة إسلامية مفترى عليها،المكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة ،1974(ج1).

136- الشناوي(عبد العزيز)،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتى عليها، المكتبة الأنجلو مصرية ،1984،(ج3).

137- الشيباني (سلطان بن مبارك بن حمد) ، في موكب الإصلاح(صفحات من التواصل بين أعلام الإباضية والسيد محمد رشيد رضا من خلال مجلته المنار في فترة صدورها بين سنتي 1315-1354هـ ،مطبعة ذاكرة عمان ،مسقط ، عمان،2015.

138- شيدر (هانز هينرش)،روح الحضارة العربية،(تر) عبد الرحمن بدوي ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،1949.

139- صاري (أحمد)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر،المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ،2004.

140- الصعيدي (عبد المتعال)، القضايا الكبرى في الإسلام ،دار شريفة للنشر والتوزيع، بوزريعة ، الجزائر، 1999.

141- الصلابي (علي محمد)،السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الاسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية،دار اليقين للنشر والتوزيع ،2002.

142- الصلابي (علي محمد) ، الثمار الزكية للحركة االسنوسية في ليبيا،دار التوزيع والنشر ، القاهرة ،2005.

143- صيام (زكريا)، ديوان الأمير عبد القادر،تحقيق وشرح وتعليق زكريا صيام ،ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون،الجزائر،1988.

144- صيد (عبد الحليم) ،ديوان البرجي للأديب الشاعر محمد المكي بن عزوز البرجي الطولقي ، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع ، بوسعادة ، الجزائر ، 2009

145- ضيف الله (محمد)،الحركة الطلابية التونسية 1937-1939 ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، تونس، 1999.

146- الطنطاوي (علي)، رجال من التاريخ,(ط8)، دار المنارة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، 1411هـ / 1990م.

147- العامري (ماجد إبراهيم سلحب)،أصداء سقوط الخلافة الاسلامية في الشعر العربي الحديث 1924-1994م،دار الكتاب الثقافي،إربد ،الأردن،2005.

148- عبد الصمد (مزاري)، أهمية الإصلاح وعوامله في الجزائر ،عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر،منشورات مخبرالبناء الحضاري للمغرب الأوسط الجزائر إلى نهاية العهد العثماني،جامعة الجزائر 2،دار هومة ،الجزائر ،2009.

149- العبد اللطيف (عبد العزيز بن محمد)، نواقض الإيمان القولية والعملية ،(ط2)، مؤسسة الرسالة السلفية ،جدة (دت).

150- العجيلي (التليلي) ، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918،معامل الطباعة فينزي ، تونس، 2005.

151- العجيلي(التليلي)، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939)،نشر كلية الآداب بمنوبة ، تونس،1992.

152- العربي(إسماعيل)، الصحراء الكبرى وشواطئها،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1983.

153- العسلي (بسام) ، الأمير عبد القادر الجزائري ،دار النفائس، بيروت ، لبنان ،1980.

154- العقاد (صلاح)،المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة،- الجزائر-تونس –المغرب الأقصى-، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة،1980.

155- علوش (ناجي) ، مدخل إلى قراءة عبد الحميد الزهراوي (حياته- مؤلفاته – افكاره)، منشورلت وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق 1995.

156- علية الصغير (عميرة علية) ، في التحرر الإجتماعي والوطني :فصول من تاريخ تونس المعاصر،تونس،2010.

157- عمارة (محمد)،الجامعة الاسلامية والفكرة القومية (نموذج مصطفى كامل)،دار الشروق،القاهرة، القاهرة،1994.

158- عميراوي (احميدة)،دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840م ،(ط1)،دار البعث ، قسنطينة ،الجزائر ،1987.

159- عويمر (مولود)،أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر،دار الخلدونية ، الجزائر ،2007.

160- العنتري (محمد صالح) ،فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة) ، تقديم وتعليق : يحي بوعزيز ، (د.م.ج)، الجزائر ، 1991.

161- غطاس (عائشة) وأخرون ،الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات (م و د ب ح و ث ا ن 1954)،الجزائر ،2007.

162- الغنيمي (عبد الفتاح مقلد)، موسوعة المغرب العربي (ج 6 و5)، مكتبة مدبولي القاهرة، (مج 3)،1994.

163- فريمو (جاك) ،فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتيران،(تر):هاشم صالح ،دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ،ليماصول ،قبرص ،1991.

164- فضلاء ،(محمد لحسن)،من أعلام الإصلاح في الجزائر ،دط ،دار هومة،الجزائر ،2000،ج1.

165- قاسمية (خيرية) ،الحكومة العربية في دمشق 1918-1920، ط2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1982.

166- القاسمي (سلطان)، العلاقات العمانية الفرنسية 1715-1905،دار الغريب للطباعة والنشر ،الامارات العربية المتحدة، 1993.

167- القاسمي (ظافر)،نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، (ط5)،دار النفائس ، بيروت،1985.

168- قداش (محفوظ) ،تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ،(ج1)1919-1939،شركة دار الأمة، الجزائر ، 2008.

169- قلعجي (قدري)،الثورة العربية الكبرى1916-1925(جيل الفداء يوما بيوم مع كامل الاسماء والوثائق والأدوار)،(ط2)،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت،لبنان،1994.
170- قنان (جمال) ،قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر ،1994.
171- كاربل (زاكري)،التاريخ المنسي لعلاقة الإسلام بالغرب، (تر) أحمد أيبش،دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبان ،2010.

172- كريدية (إبراهيم عبد الكريم) ، أبناء الشرق ، مكتبة نوفل ، بيروت ،لبنان ،2007.
173- كوثراني (وجيه)، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا ،(ط1) ،دار الطليعة ، بيروت ،1996.
174- كوران (آرجمنت)، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، (تر)، عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس ، 1970.
175- الكيالي (عبد الوهاب)، تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، 1981.
176- كيدو(أكرم) ، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، منشورات جروس برس، طرابلس ، لبنان، 1992.
177-
178- لويس (برنار)، اسطنبول وحضارة الخلافة العثمانية(ط2)، (تر وتع) سيد رضوان علي ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ،1982.
179- مالك (بن خليف)، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس،ط1،دار طليطلة ،الجزائر ،2010.

180- المالكي (منير)، من ميسلون إلى الجلاء،(ط2)، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق 1991.

181- محمد علي (أورخان) ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عصره ،(ط2) ،دار الوثائق ، الكويت ، 1407هـ .

182- المحافظة(علي)،الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914،ط2،الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت،1978.

183- المحجوبي (علي)، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تعريب عبد الحميد الشابي،ط1، المجمع التونسي للعلوم والأداب والفنون، بيت الحكمة ، تونس، 1999.

184- محمد كرو (أبو القاسم)، أعلام منسيون ،دار المغرب العربي ، تونس،1998.

185- محمد(بوذينة) ، عبد العزيز الثعالبي 1897- 1944، الشركة الوطنية للنشر وفنون الرسم، تونس، 1995.

186- محمد(بوطيبي) ، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930، دارالهدى للطباعة والنشروالتوزيع، عين مليلة، الجزائر،2012.

187- المراكشي(محمد صالح)، قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر، الدار التونسية للنشر ، تونس،1992.

188- المسيري (عبد الوهاب) ،دراسات معرفية في الحداثة الغربية ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،2006.

189- مصطفى (أحمد عبد الرحيم) ،في أصول التاريخ العثماني،دار الشروق ، بيروت ،1982.

190- مصطفى ،(أحمد عبد الرحيم) ، حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ،1971.

191- مهديد (إبراهيم)،الفكر السياسي النهضوي في الغرب الجزائري مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20،منشورات دار الأديب ، وهران، 2006.

192- مناصرية (يوسف) ، الحزب الدستوري التونسي 1919-1934، دار البصائر ، الجزائر ،2009.

193- مناصرية (يوسف) ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847،دار هومة ، الجزائر ، 2014.

194- مناصرية (يوسف) ، الحزب الدستوري التونسي 1919-1934،دار الغرب الاسلامي ، بيروت،1988.

195- مناصرية (يوسف) ، النشاط الصهيوني في الجزائر 1897-1962،ط1،دار الصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2009.

196- المنداسي(سعيد بن عبد الله)،ديوان شعر،(تح وتقد):رابح بونار ،شو ن ت ،الجزائر ،1976.

197- مواعدة (محمد)،محمد الخضر حسين ،حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس،1974.

198- نادية (طرشون) وأخرون ، الهجرة الجزائرية الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر ،2002.

199- ناصر ،(محمد) ،المقالة الصحفية في الجزائر نشأتها تطورها أعلامها من 1903 إلى 1930 ،دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1978، ج1.

200- ناصر (محمد) : الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1980.
201- ناصر(محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، (ط3)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2007.
202- ناصر(محمد)،عمر راسم المصلح الثائر،مطبعة لافوميك، الجزائر ،، مطبعة لافوميك، الجزائر ،1984.
203- ناصر (محمد)، أبو اليقضان وجهاد الكلمة ،(ط2)، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر .
204- ناصر (محمد) الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي،(ط3)،منشورات ألفا، الجزائر ،2010.
205- مناصر (حمد) ،المقالة الصحفية الجزائرية /نشاتها تطورها أعلامها ،من 1903-1931،(ج1) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1978.
206- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،(ج5) تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، 1418هـ/ 1997م .
207- النخلي (عبدالمنعم) وحمادي الساحلي: آثار الشيخ محمد النخلي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان، 1995.
208- نشابة (هشام) و مسعودة مسعود بو الخضرة ، عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي، المكتبة العصرية ، بيروت. لبنان ،1986.
209- نوار(عبد العزيز) ، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة غلى الحرب العالمية الأولى ،(ج1)، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999.
210- نايت بلقاسم (مولود قاسم)، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، (ج1)، (ط1)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1985.
211- الهاشمي (عبد المنعم)، الخلافة العثمانية، (ط1)،دار ابن حزم ،بيروت ، لبنان ،2004.
212- هلال (عمار) ، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918م)،دار هومة ، الجزائر ،2007.
213- الهلالي (محمد مصطفى)،لسلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود،ط1،دار الفكر ،دمشق، 2004.
214- الهاشمي (بالخير)، محمد الهاني، الغزو الإيطالي وبداية المقاومة المسلحة، منشورات مركزجهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،ليبيا ، 1985.
215- هلال (رضا) ،السيف والهلال(تركيا من أتاتورك إلى أربكان)،دار الشروق ، القاهرة،1999.

216- الهلالي (محمد مصطفى)،السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود،دار الفكر ،دمشق،2004.
217- هويدي (مصطفى علي)، الشيخ محمد سوف المحمودي ودوره الوطني، صفحة من تاريخ ليبيا السياسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى,2002م.
218- وجدي (محمد فريد) ، اللورد كرومر والإسلام، مطبعة الواعظ ، القاهرة ، مصر1908.

- **باللغات الأجنبية :**

1- Abdel Moula(Mahmoud), Jihad et colonialisme: la Tunisie et la Tripolitaine (1914-1918) : de la Guerre Sainte à la Guerre juste, Ed. Tiers-Monde, Tunis,1987.
2- Ageron(Charle-robert),les algériens Musulmans et la France 1871-1919,Paris,Bouchéne,2005.
3- Ageron(Charle Robert),Histoire de l'Algerie contemporaine,PUf,coll,QeSais-je ?Paris, 1964 .
4- Ageron(Charles Robert),Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919,T2,ed,Press Universitaires de France,Paris,1968.
5- Bardin(Pierre),Algeriens et Tunisien dans l'empire Ottoman 1848-1914,C.N.R.S,Paris,1979.
6- Belkhodja (Amar),Ali El Hammami et la montée du Nationalisme Algerien, editin Dahlab, Alger,1991.
7- Benkhedda,(Ben youcef),Les Origines du 1novembre1954,ed Dahleb,Alger,1989.
8- Bennigsen(Alexander)et Chantal Lemercier, Les Musulmans oubliés. L'Islam en Union soviétique, Maspero, Paris, 1981.
9- Berque(Jacque),L'interieur du Magrheb XV-XIX siècle,Gallimard,Paris,1978.
10- Bouayad(Mahmoud),l'Histoire par la Bande, Sned,Alger,1974.
11- cadi (Jean-Yves Bertrand), Le colonel Cherif Cadi - Serviteur de l'Islam et de la République ,Maisonneuve & Larousse,paris,2005.
12- Carrére(Hélène),Réforme et révolution chez les Musulmans de l'Empire Russe,fondation nationale des science politique,Armand Collin,Paris,1966.

13- Deny(Jean), instructeurs turcs au Maroc sous Moulay Hafidh ; in Mémorial de Henri Basset : Nouvelles études nord-africaines et orientales ;Pub de l'institut des Hautes Etudes Marocaines,tomes17,lib,Orientale PaulGeuthner,Paris,1928.

14- Grand Guillaume(Gilbert), Nédroma,l'evolution d'une medina,E.J Brill, Leiden, 1976.

15- Goldstein (Daniel) : Libération ou annexion. Aux chemins croisés de l'histoire tunisienne (1914-1922), Maison Tunisienne de l'Edition, Tunis, ,september1978.

16- Hardier(Thierry) et Jean François Jagielski,Combattre et mourir pendant la grande guerre (1914- 1925), paris,imago,2001.

17- Hellal(Amar),Le movement reformiste Algerien , les homes et l'histoire (1831-1957),OPU,2009.

18- Julien(charle André), Histoire de l'Algerie contemporaine, edition Casbah,Alger,2010.

19- J(Lassus) - Marcais Georges - Barbes Léo -Mouilleseaux Louis, Histoire de l'Algérie : Sous la direction de Louis Mouilleseaux. Textes de Jean Lassus, Georges Marçais, Léo Barbes, Louis Mouilleseaux, Editions de l'Harmattan, 1962.

20- Keddache(Mahfoud) et Mohamed Guenanche,L'etoile Nord Africaine 1926-1937,documents et temoinage pour server a l'etude du nationalism Algerien,OPU,Alger,1984.

21- Kramer(Martin),Islam Assembled,the Advent of the Muslim Cogresses,Columbia University press, 1986.

22- Louis Gustave,Binger,"le peril de l'islam",publication du comité de l'Afrique Française,Paris,1906

23- Merad,(Ali),Le réformisme musulman en algerie de 1925à1940,2ed,Elhikma,Alger,1999.

24- Merad(Ali),Le Réformisme Musulman en Algerie de 1925à 1940,Essai d'histoire religieuse et sociale,Paris- la Haye,1967.

25- M(Bernard),Deuxiéme Mission Flatters – Historique et Rapport,Adolf Jourdan,Alger,1882.
26- Meynier(Gilbert), L'Algerie révélée,ed,el Maarifa,Algerie,2010.
27- Renouvin(Pierre),La crise européen et la premiére guerre mondiale (1914 – 1918),5eme edition,PUF,Paris ,1969.
28- Roche (Léon),Trente- Deux ans a Travers l'Islam (1832-1864),T2,librairie deFirmin-Didot et cie,Paris,1885.
29- Stora(Benjamin) , Messali Hadj 1898-1974,(ed01),Hachette Litteratures,Paris,mars 2004.
30- Telhine(Mohammed),L'Islam et les musulmans en France- une histoire de mosques,L'harmattan,Paris,2010.
31- Tlili)Béchir),Nationalisme,Socialisme et Syndicalisme dans le Maghreb des années 1919-1934,imprimerie officielle de la republique tunisienne,Tunis,1984.
32- Tibawi (Abdu al- latif), Modern History of Syria, including Lebanon and Palestine, st Martin's Press,New york 1969.
33- Ottmani(hamza Ben driss),Kaddour Benghabrit un maghrébin hors du commun,(2ed),édition El marsem,Rabat,Maroc,2010.
34- Pautermat(Pascal), la politique musulmane de la France au XXe siècle,Maisonneuve et larose,Paris,2003.
35- William(L,cleveland and Martin), Bunton,A history of the modern Middle East,4th ed, westview press,Philadelphia,2009.
36- zahir(Ihddaden) ,histoire de la presse indigene en Algérie des origines jusqu'en 1930,ENAL,Alger1983.

ج - الندوات والمؤتمرات :

1- بسيس (جولييت):" شكيب أرسلان والحركات الوطنية في المغرب"، المجلة التاريخية، باريس،نيسان- حزيران 1973،ص 475 – 526. نقلا عن:سعود المولى،"شكيب أرسلان والمغرب العربي"، *ورقة قدمت الى مؤتمر معهد الدراسات الاسلامية في جامعة المقاصد ، لبنان،تموز،2002.*

2- بن زروال (جمعة) " موقف الدولة العثمانية و فرنسا من النشاط السياسي للجالية الجزائرية في بلاد الشام في أواخر القرن التاسع عشر"،ضمن أعمال الملتقى الدولي الثاني حول : العلاقات

الجزائرية التركية في ميزان التاريخ والسياسة والثقافة والاقتصاد، بتاريخ 18-19 فبراير 2014،تنظيم كلية العلوم الانسانية بجامعة بسكرة ، الجزائر.

3 - بن عتو (بلربوات) " رحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري سنة 1785م" ، مقال ، ضمن أشغال ندوة الجزائر الأولى، المركز العربي الجغرافي إرتياد الآفاق، أبو ضبي 2004، على الرابط :http://alrihlah.com/nadawat/research/484 //:

4 - بوترعة (كريم) ، "الإستعمار وظاهرة الإستشراق في الجزائر": مداخلة ضمن الملتقى الدولي محمد بن شنب والإستشراق المنظم بولاية المدية من 07 إلى 10 ديسمبر 2014،منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية،الجزائر ،2015.

5 - بن معمر (محمد)،علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله،أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة(1842-1859م)،جمعية الانتفاضة الشعبية27 فبراير ،ورقلة ،فيفري 1998.

6 - بوعزيز(يحي) ، "الأمير عبد القادر والحوار في خدمة الإنسانية" ،محاضرة ضمن أشغال ، الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، المكتبة الوطنية بالحامة ،الجزائر ،22 و23 نوفمبر 2000،(عدد خاص)، منشورات جامعة الجزائر و مؤسسة الأمير عبد القادر، طباعة دار الحكمة ، الجزائر، 2001.

7 - بن يوسف (تلمساني) ،دراسة وصفية إجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي، مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف ابن عبد الله ،جمعية 27 فبراير، وقلة ،1998.

8 - سعد الله (أبو القاسم)، "محمد بن يوسف أطفيش (القطب) حياته ودوره الثقافي "، ورقة ضمن أعمال الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديما وحديثا، منشورات جامعة آل البيت، 2002.

9 - الجابري(محمد عابد)، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، في وحدة المغرب العربي(ندوة)،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبان ،جانفي 1987.

10 - الخالدي(سهيل)، "الدور الجهادي للمهاجرين الجزائريين في حركة التحرر القومي العربي خلال القرن العشرين"، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، المنعقد بفندق الأوراسي يبومي 30-31 أكتوبر 2006،منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر ، 2007.

11- الغربي (غالي)، "المساهمة الفكرية للمهاجرين الجزائريين في بلاد الشام – الشيخ طاهر الجزائري نموذجا" ،ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، المنعقد بفندق الأوراسي يبومي 30-31 أكتوبر 2006،منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر ، 2007.

12- غنابزية (علي)، " قدسية منصب الخلافة الإسلامية (العثمانية)لدى الجزائريين (1518-1962)، مداخلة ضمن أعمال الملتقى الدولي الثاني حول : العلاقات الجزائرية التركية في ميزان التاريخ ، السياسة ، الثقافة ، الإقتصاد، 18-19 فبراير 2014، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة بسكرة ، الجزائر.

13 - فيلالي (كمال)،" سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر"، أعمال الملتقى العلمي الأول، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة ، جامعة منتوري ، قسنطينة، مطبعة الكسندر،2009.

14 - صاري (أحمد)، النخبة الجزائرية ما بين الوفاء للخلافة العثمانية والإعجاب بتركيا الكمالية، أعمال المؤتمر الثاني للحوار العربي التركي حول: التحديث والحداثة في البلاد العربية وتركيا في القرن العشرين، تقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، تونس ،2001

ج_ المقالات :

باللغة العربية :

01- إبراهيم (مياسي)،" أضواء على معركة إيسين" ، مجلة المصادر، العدد04 ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2001.
02- إيميريت (مارسيل)، "الأزمة السورية والتوسع الإقتصادي الفرنسي في سنة "1860، تعريب خليل أبو رجيلي، في مجلة دراسات عربية، بيروت ، العدد8، ماي-1972.
03- بسام (محمد سعيد)،" الحركة العربية في جبل عامل في أواخر عهد الدولة العثمانية"، مجلة الفكر العربي،معهد الإنماء العربي ،(ع39-40)، بيروت،يونيو- أكتوبر1985.

04- بلحميسي (مولاي)، "موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني "، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،العدد الخامس، السنة 1408 هـ / 1988م.
05- بلقاسم (محمد) ،الأمير عبد القادر الحفيد ،وردت في :دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الاسلامي، بيروت ،2000.
06- بوعزيز (يحي) ،" حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية " مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،العدد الخامس، السنة 1408 هـ / 1988م .
07- بوعزيز(يحي)،وثائق عن محي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة 1871،مجلة الأصالة،الجزائر ،العدد (38)،1976.

08- بوعزيز(يحي) ، وثائق جديدة عن ثورة ابن ناصر بن شهرة ، مجلة الثقافة، عدد31، فيفري – مارس 1976،وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر.
09- البوعبدلي (المهدي) ،" جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903م /1322 هـ "، مجلة الأصالة ، (ع 54-55) ، السنة السابعة ،ربيع الأول –ربيع الثاني 1398 هـ / فيفري – مارس 1978.
10- بن عميرة (محمد) ،" حول منهج كتابة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،العدد الخامس، السنة 1408 هـ / 1988م.
11- بن بلغيث (محمدالأمين) ، الطلبة الجزائريون بجامعة الأزهر وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة ، مجلة الموافقات، محلة جامعية تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر دوريا عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر ، العدد4، السنة الرابعة ،محرم 1416ه-جوان 1995م.
12- بن شنب (سعد الدين) ،"النهضة العربية الحديثة "، مجلة الآداب،جامعة الجزائر ، عدد1، 1964.
13- بلقاسمي (بوعلام) ،"البعد المغاربي في إيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية 1911-1937"، المصادر ، عدد7، رمضان 1423ه-نوفمبر 2002،
14- بو شامة (كمال) ، "جزائريو بلاد الشام رحلوا قبل الأمير عبد القادر"، جريدة الخبر،عدد 7012،19 -01-2012.
15- توفيق المدني (أحمد توفيق)" شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل مكان "، الثقافة ،عدد 76،جويلية – أوت 1983.
16- التميمي (عبد الجليل)،" أول رسالة من اهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م، المجلة التاريخية المغربية،(ع6)،06 جويلية 1976، تونس.
17- التميمي (عبد الجليل)،" نشاط حمدان خوجة في باريس واستانبول من أجل القضية الجزائرية،(م ت م)،(ع7-8)،جانفي 1977، تونس.
18- التميمي (عبد الجليل)،"ثلاث رسائل من الحاج أحمد (باي قسنطينة) إلى الباب العالي"،مجلة تاريخ وحضارة المغرب،العدد9،جويلية1970،كلية الآداب.
19- التميمي (عبد الجليل) ،"حكومة الشريف حسين بالحجاز والبعثة السياسية والعسكرية الفرنسية بالجزيرة العربية (1916-1918)" المجلة التاريخية المغاربية ، عدد 83-84، زغوان ، تونس، 1996.
20- التميمي (عبد الجليل) ،الأمير عبد المالك وعلاقات الاتحاديين بعائلة الأمير عبد القادر ،المجلة التاريخية المغاربية ،السنة37،العدد 140،جويلية –أيلول2010،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،تونس.

21- حباسي(شاوش) ، أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر، تطوره الشكلي وتجليل مضمونه الإيديولوجي والسياسي الوطني 1518-1945، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 09، 1995 قسم التاريخ ، جامعة الجزائر.

22- حماني(أحمد)،دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين ،الثقافة ،عدد38،الجزائر ،أفريل- ماي1977.

23- الحسناوي(حبيب وداعة)، "المقاومة العربية المشتركة في ليبيا وتونس ضد الاستعمارين الايطالي والفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة روافد، عدد4، 1998.

24- الحسني (محمد الهادي)،" مسجد لم يؤسس على التقوى" ، **الشروق** ،العدد 4819، الخميس 06 اوت 2015 الموافق ل21 شوال 1436هـ .

25- الحسني (محمد الهادي) ،" أصالة ولو شكلية"، البصائر ، عدد04،06-11 مارس 2002.

26- الحناشي (عبد اللطيف) ،"جمعية أحباس الحرمين الشريفين:من تنظيم رحلات الحج إلى الإشراف على جامع باريس 1916-1952"، مجلة الدارة، المملكة العربية السعودية، العدد الثالث، (السنة35)،1430هـ .

27- الحناشي (عبد اللطيف)،الإبعاد في مواجهة النشاط السياسي للعرب المقيمين بالبلاد التونسية (مثال الجزائريين 1911-1939)، المجلة التاريخية المغاربية، العدد85-86، أفريل- ماي 1975.

28- الجابري(محمد صالح)، رحم الله أحمد توفيق المدني،الحياة الثقافية، السنة 8، العدد27-28، تونس، 1983.

29- الجبوري (مواهب معروف)،جمال باشا السفاح واليا في العراق، مجلة ذاكرة عراقية ،(الملحق الأسبوعي)،العدد 3342، السنة الثانية عشر ، الإثنين20 نيسان 2015.

30- الجوادي (السيد علاء)،"المنهج الاصلاحي عند الكواكبي"، مجلة المعرفة ، العدد415،أفريل 1998.

31- خالد (خليفة)، من مذكرات ضابط ليبي، الحلقة الأولى، مجلة الأفكار، العدد6، مايو1956، طرابلس، جمعية الصداقة العربية الليبية التركية ،ص36، نقلا عن : مصطفى علي هويدي، الموقف الجزائري من الغزو الايطالي لولاية طرابلس، ضمن كتاب ،دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني ، ط1، دار الغرب الاسلامي ،2000.

32- خرفي (صالح)،عمر بن قدور الجزائري "الشعور الاسلامي، مجلة الثقافة،العدد7،الجزائر،1972.

33- خرفي (صالح) ،" أبو اليقضان والقضايا الإسلامية والعربية"،الثقافة ، الجزائر ، عدد22، أوت – سبتمبر 1974.

34- دراجي(محمد)،" المقال الهدائي التفسيري من جمال الدين الأفغاني إلى إبراهيم أبي اليقضان"، مجلة موافقات ، مجلة موافقات ، مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنيى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين مولود قاسم نايت بلقاسم ، الجزائر، (ع5) ،(س5)، محرم 1417ه/ جوان 1996.

35- رمضان (محمد الصالح)، "ابن العابد الجلالي شخصيته وجانب من تفكيره" ، مجلة الثقافة - وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر،جويلية- أوت 1984.

36- روبنسون (دوغلاس)،" الترجمة والإمبراطورية: الدراسات ما بعد الكولونيالية"، دراسات الترجمة،(تر) ثائر ديب، مجلة نزوى، العدد20،15-07-2009.

37- زوزو(عبد الحميد) ، حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ، مجلة الأصالة، السنة الأولى ، العدد 4، شعبان 1391 هـ / أكتوبر 1971م.

38- سعد الله (أبو القاسم) ، التواصل الثقافي بين الجزائر ومصر،الحلقة2،الشروق، عدد 2512،الأربعاء 21جانفي 2009/ الموافق ل24 محرم 1430هـ.

39- سعود (دحدي)، "ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الإستعماري الفرنسي (1842-1895)"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، إصدارمعهد العلوم الإجتماعية والإنسانية ، المركز الجامعي بالوادي ،عدد 01، جوان 2010.

40- السوسي(محمد) " في صحبة محمد عبده في الذكرى المئة وعشرة أعوام على وفاته"، ثلاث حلقات ، في جريدة العلم المغربية، الأعداد 3622-3626-3629 بتاريخ 10 و14 و17 أفريل 2015.

41- السيد (رضوان)، "عصر النهضة الأوروبية :الأسئلة الكبيرة والأجوبة الحائرة"، مجلة الفكر العربي، عدد 39و40، أكتوبر 1975.

42- شاطو (محمد) ،"التواصل العثماني الجزائري خلال فترة الإحتلال الفرنسي "، المصادر، العدد17، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر ،2008.

43- صاري (أحمد) " شكيب أرسلان والحركة الوطنية الجزائرية"،**مجلة العلوم الإنسانية** ،تصدرها جامعة منتوي – قسنطينة ،عدد 13،سنة 2000.

44- صاري (أحمد)،إبن باديس ومسألة إلغاء الخلافة،مجلة الأدب والعلوم الانسانية،العدد01،كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ،قسنطينة،محرم1423 هـ/ أفريل 2002م.

45- العايب (معمر)، التوجه المغاربي في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية: حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء نموذجا، المجلة التاريخية المغاربية، السنة32، العدد 119 ، جوان 2005، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس
46-عبد القادر (حميد) ،" سيدي بومدين ،جزائري عند صلاح الدين "، جريدة الخبر ، عدد 6122، بتاريخ 04-03-2011.
47- العجيلي (التليلي)،السلطة الاستعمارية والنخبة بالبلاد التونسية 1881-1918، حوليات الجامعة التونسية، (العدد24)،كلية الأداب والعلوم الانسانية، تونس ،1985.
48- عرفات (وليد) ،"حكاية 12 ألف جزائري جندتهم فرنسا لمواجهة الثورة السورية عام 1921م"،الشروق ،العدد2136،الأربعاء31 اكتوبر 22،2007 شوال 1428ه.
49- عمايرية (الحفناوي)،"صالح الشريف 1869-1920 نضاله ومواقفه أثناء الحرب العالمية الأولى"،روافد،مجلة يصدرها المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بجامعة منوبة،تونس، (ع4)، 1998.
50- عميراوي(أحميدة) ،" نظرة حمدان خوجة الجزائري إلى الأخر"، مقال ، ضمن أشغال ندوة الجزائر الأولى، المركز العربي الجغرافي إرتياد الآفاق، أبو ضبي 2004، على الرابط : http://alrihlah.com/nadawat/research/492
51- عويمر (مولود) ،" النخبة الإصلاحية الجزائرية وسؤال التنوير في القرن19 وبدايات القرن 20،(ح1)، البصائر ،عدد763،الاثنين 19-25 رمضان 1436هـ/جويلية2015.
52- عيساوي(أحمد)،"قراءة في فصول المشهد الثقافي الجزائري "، مجلة الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية جامعة، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت،عدد532،بتاريخ 30 سبتمبر 2010.
53- العيسة (أسامة) ، "كيف أصبح إمبراطورألمانيا خالد المسلمين" ،**مجلة إيلاف الإلكترونية** ،العدد 4605 الإثنين 30 ديسمبر 2013،ص12.

54- غطاس (عائشة) ،" نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،العدد الخامس، السنة 1408 هـ / 1988م.
55- غالم (محمد), " من أرشيف الإدارة الاستعمارية في الجزائر : الوثائق الفرنسية و الهجرة إلى الديار الإسلامية " / *Insaniyat ,إنسانيات*،2000/12.
56- غالم (محمد) ، الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية، دراسة ونقد"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد05، معهد التاريخ، الجزائر، 1988.
57- الفهيدي (أحمد عبد الله)، " ولي الأمر في ضوء القرآن والسنة"، مجلة رسالة الإسلام ، (ع 21)،السنة العاشرة ،صفر1433هـ .

58- قسوم (عبد الرزاق)،" أبراهيم أبو اليقضان خطورة التحدي وصلابة الإستجابة"، مجلة موافقات ، مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنيى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين مولود قاسم نايت بلقاسم ، الجزائر، (ع5) ،(س5)، محرم 1417ه/ جوان 1996.

59- قصيبة (أحمد بوزيد)، "إبن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871م"، مجلة الأصالة ، العدد6،السنة الأولى ،ذو الجحة1391-جانفي 1972.

60- قنان (جمال)، " مدرسة التاريخ الاستعماري بين الايديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر" ، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،(ع5)، السنة 1408 هـ / 1988م.

61- قنان (جمال) ،"نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر"، المصادر ،(ع11)، السداسي الأول 2005.

62- كامل (مجدى)، " الصهيونية ماضيها –حاضرها – مستقبلها "، صحيفة الوسط الأردنية ،عدد 752، بتاريخ 22 مايو 1994.

63- كوثراني (وجيه) ،رشيد رضا وشكيب أرسلان الموقف من الدولة العثمانية ومن صيغة الدولة البديلة ،مجلة التسامح ،مجلة فصلية فكرية إسلامية تصدر عن وزارة الأوقاف ، سلطنة عمان، عدد2004/04.

64- محمد أمين (التادلي)، "الإسلام في مواجهة الصليب"، مجلة المرشد المغربية ، السنة الأولى ، (عدد 04)،13 ربيع الأخر 1431هـ / ، 28 مارس 2010.

65- محمدأديب زيدان (رغداء) رغدا، طاهر الجزائري وحلقة دمشق الكبرى، التراث العربي،مجلة فصلية يصدرها إتحاد الكتاب العرب،دمشق ،سوريا، العدد 108، السنة27،كانون الأول 2008- ذو الحجة 1428 هـ .

66- مسعود (دحدي)، ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الإستعماري الفرنسي (1842-1895)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، إصدار معهد العلوم الإجتماعية والإنسانية ، المركز الجامعي بالوادي ،عدد 01، جوان 2010.

67- مصطفى(حداد) ، موقف الجزائر من الغزو الايطالي لليبيا ، الشهيد، دورية تصدرها مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الايطالي ، عدد 7- 8، اكتوبر 1988.

68- موسى (سليمان) ،" المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا "، المجلة التاريخية المغربية ،العدد87، جانفي 1977.

69- مناصرية (يوسف) ، " تقرير السيد:مصطفى شرشالي عن البعثة الفرنسية في الحجاز في سبتمبر 1916، **الثقافة** ، السنة الخامسة عشر ،العدد 89، ذو الحجة – محرم 1405 - 1406 هـ / سبتمبر – أكتوبر 1985م.

70- منهل (علي عجيل)،" جمال باشا السفاح 1873- 1923 وعيد الشهداء فى سوريا -فى السادس من أيار-وسياسة التتريك التى أتبعها" ، صحيفة الحوار المتمدن ،عدد 3395،08ماي 2011،على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=258239، تاريخ الدخول 02-02-2014، الساعة 21:14.

71- مبارك (محمد ميلاد) ،"المجاهد مصطفى الجزائري" ، الشهيد ، عدد5، 1984.
72- مبارك (محمد ميلاد) ،"المجاهد مصطفى الجزائري" ، الشهيد ، عدد7و8، 1986.
73- مهديد (إبراهيم)، الصراع حول الهوية والإنتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية " الحق الوهراني نموذجا 1911-1912م"،**مجلة عصور** ،(ع 6-7)، جوان-ديسمبر 2005.
74- ناصر (محمد)،"فلسطين وأقلام جزائرية" ،الثقافة ،عدد37،فيفري 1977.
75- ناصر (محمد)،"عمر راسم المصلح الثائر" ، مجلة **الثقافة** ، مجلة تصدرها وزارة الاعلام والثقافة ،السنة السادسة ،العدد34، سبتمبر 1976.
76- نشابة (هشام) ومسعودة بوالخضرة "عبد العزيز الثعالبي ودوره في الاصلاح الإسلامي "، نقلا عن:جريدة الشورى ،11 أوت 1927 .

77-نايت بلقاسم (مولود قاسم)، "إستمرارية الدولة الجزائرية في نظر الأمير عبد القادر أو الأمير عبد القادر والخلافة العثمانية "، مجلة
الثقافة ،السنة 13 ،عدد75، رجب –شعبان 1403هـ /ماي –جوان 1983م.
78-هاينه (بيتر) ،" صالح الشرف التونسي ،قومي من شمال إفريقيا في برلين اثناء الحرب العالمية الأولى"، حوليات الجامعة التونسية،(ع24)،كلية الأداب والعلوم الإنسانية ، تونس ،1985.

79- هلال(عمار) ،أصداء الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي في بعض التقارير الرسمية الفرنسية،مجلة الثقافة،(عدد88) ،الجزائر ،جويلية-أوت 1985.
80- هلال (عمار) ، الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916م، الثقافة ، عدد79،السنة الرابعة عشر، ربيع الثاني – جمادى الأولى 1404هـ/ يناير – فبراير 1984م .
81-ورنير (أنده)،" الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"،مجلة الأصاله،(ع52)،(س6)،ديسمبر 1977.

باللغة الأجنبية :

82-"Aprops de la fetwa du Cheikh-ul-Islam", in: RMM,V30,1915.

83-Berque(Jacque),"quelques problème de l’Islam maghrébin", Archive des sciences sociaux des religions, n3, 1951.

84- Bourdarie (Paul),"L'institut musulman et la Mosqué de Paris",in:La revue indigène,(N 130-132),oct-dec 1919.

85- Chantre(Luc), Le pèlerinage a la Mecque sous la troisiéme République,in,Cahiers de la Méditerranée,N78,2009.

86-Davidson(Naomi)," La Mosquée de Paris,Construire l'Islam Français et l'islam en France,1926-1947,in,Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, N125,Juillet 2009.

87-Escande(Laurent), "D'Alger a la Mecque L'Administration Française et le contrôle du pèlerinage (1894-1962,in,Revue d'histoire Maghrebine,n95-96,mai 1999.

88- Georgeon(François), " Le drenier Sursaut (1878-1908)",in Robert Mantran,Histoire de l'Empire ottoman,Fayard,Paris, 1989.

89-George (Arnakis), Turanism: An Aspect of Turkish Nationalism ». In Balkan Studies, Vol. 1 (1960).

90-Merad(Ali),"la turcophilie dans le débat National en Algérie au début du siècle,1911-1918" in,Revue d'Histoire Maghrébine(R.H.M),N31-32,dDec1983,Tunis.

91-Meynier (Gilbert),"les Algeriens en France (1914-1918)" ,in revue d'histoire maghrébine Tunis,N5,janvier 1976.

92-Meynier (Gilbert)," loyalisme et insecurité en Algerie pendant la guerre de 1914-1918",in,les Cahier de Tunisie,tome15,n75-76,3éme et 4éme trimester 1971.

93-Nahas(Mahieddine)," La penseé politique de Mustafa Kemal Ataturk et le movement national Algerien",in,Insaniyat, revue Algerienne d'antropologie et de science sociale,No25-26,8eme Année,juillet-décembre,2004.

94-Nouchi(André),"La France et le Proche – Orient 1918-1920.Cohérance ou contradiction?",in,Cahier de la Méditerranée,N 48, 1994.

95-Pautremat (Pascal),La mission du lieutenant- colonel Brémond au Hedjaz, 1916 – 1917, in *Guerres mondiales et conflits contemporains*,No. 221 (Janvier 2006).

96-Renard(Michel), gratitude,controle,accompagnement: le traitement du religieux islamique en métropole (1914- 1950),in : Bulletin de l'Institut d'histoire du temps présent,N83,juin 2004.

97-Temimi(Abdeljelil),le Gouvernement du Chérif Hussein au Hedjaz et la mission politique et militaire française en Arabie(1916-1918),in,R H M,n83-84,juillet 1996.

98-Tlili(Béchir), Au Seuil du Nationalisme Tunisien : documents inédits sur le panislamisme au Maghreb (1919-1923), *Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente*,Anno 28, No. 2 (GIUGNO 1973).

- **الأطروحات الجامعية:**

1- أحمد (سعودي)،حرب الريف 1921 – 1926م من خلال مجلة المنار القاهرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ (تخصص العلاقات بين المغرب والمشرق)، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2009،2-2010.

2 - بشير (مديني)، الجالية الجزائرية في تونس : السوافة نموذجا (1876 -1954)،رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر،2005-2006.

3- بلقاسم (محمد) ، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،1993.

4- بلعجال (أحمد)، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط،قسم التاريخ والآثار ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2005-2006.

5- - بنحادة (عبدالرحيم)، المغرب والباب العالي من منتصف القرن 16م إلى أواخر القرن 18، أطروحة لنيل الدكتوراة في التاريخ الحديث تحت إشراف الدكتور محمد مزين، جامعة سيدي محمد بن عبدالله ضهر المهراس، فاس، 2006.

5- بن رابح (سليمان)، العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين 1919-1939م، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الأداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر ، باتنة، الجزائر ،2007-2008.

6- بن عمر(الحاج موسى) ،القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام ميزاب 1902-1962، أطروحة دكتوراه،قسم التاريج ، جامعة الجزائر،2009.
7- بن يوسف (تلمساني)، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني-الأمير عبد القادر- الادارة الاستعمارية1782 -1900)،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،تحت إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني ،معهد التاريخ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية97-98.
8- حكيمة (أوهاب) ،صورة الجزائري في أدب المتجزئرين - لويس برتراند أنموذجا ،مذكرة للحصول على شهادة الماجستير في الأدب الجزائري ،كلية الأدب العربي ،جامعة الجزائر2 الدكتور أبو القاسم سعد الله،2013.
9- الجريبي (جلول) ،أسس النهضة عند عبد العزيز الثعالبي ، رسالة دكتوراه في العلوم الاسلامية، معهد أصول الدين جامعة الزيتونة ، تونس، 1987-1988.
10- دهاش(الصادق)،مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الاسلامية في بلدان المغرب العربي بين 1876-1919،تحت إشراف الدكتور يوسف مناصرية ،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة الجزائر2،السنة الجامعية 2008-2009.
11- طرشون (نادية)، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام 1847- 1911،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة دمشق، 1984-1985.
12- شرف الدين (أحمد رضوان)،مشروع الدولة- الأمة العروبة عند النخب الجزائرية ،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الجزائر ،2004-2005.
13- شعشوع(معمر)،الشيخ ابو إسحاق إبراهيم أطفيش وقضايا المشرق العربي في مجلة المنهاج 1925-1931م،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر2،السنة الجامعية 2011-2012.
14- مبروك الشيحي ،حرب الريف وإنعكاساتها بتونس 1921-1926،شهادة التأهيل للبحث العلمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الجامعة التونسية، تحت إشراف ، بشير التليلي،سبتمبر 1982.
15- فشار (عطاء الله) ،النخبة الجزائري جذورها- تطوره- اتجاهاتها(1914-1954)،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف الدكتور تلمساني بن يوسف،قسم التاريخ ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، السنة الجامعية2008-2009.

16- مهديد (إبراهيم)، الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900-1940 الجذور الثقافية والهوية الوطنية والنشاط السياسي، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران ، السنة الجامعية 1999-2000.

17- محمد الصغير (عباس) ،فرحات عباس من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية 1927-1963،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2006-2007.

18- هزرشي (بن جلول)، الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي 1911 – 1954م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2، 2012-2013.

- باللغات الأجنبية :

19- Chantre(luc), Le pèlerinage a la Mecque a l'époque colonial(v 1866-1940):France-Grande –Bretagne-Italie,Thése Histoire moderne et contemporaine.Poitier: Université de Poitier,2012.

ب – الموسوعات والمعاجم :

01- أبو حبيب(سعدي)،القاموس الفقهي لغة وإصطلاحا ، إدارة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع، كراتشي، باكستان ، 2002.

02- البعلبكي (منير)، موسوعة المورد العربية ،(ج2) ،دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،1999.

03- بن نعيمة (عبد المجيد وأخرون)، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر ، 2007.

04-الحفناوي (محمدأبو القاسم)،تعريف الخلف برجال السلف،(ج1)،موفم للنشر ، الجزائر ،1991.

05- الحفناوي (محمد أبو القاسم محمد)، تعريف الخلف برجال السلف،(ج2)،موفم للنشر ، الجزائر ،1991.

_ الزركلي، (خير الدين)،الأعلام قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين،ط2، دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،1986.(ج4).

06-الزركلي، (خير الدين)،الأعلام قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين،ط2، دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،1986.(ج5)

07-الزركلي، (خير الدين)،الأعلام قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين،ط2،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،1986،(ج7).
08- الصيد(عبد الحليم) ، معجم أعلام بسكرة ،صادر عن محافظة المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافة الشعبية لولاية بسكرة ، طبع دار الهدى بعين مليلة ، الجزائر ،2012.
09- عبد الهادي(هاشم) وآخرون ، الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الأول ،(ط1) ، الموسوعة الفلسطينية ، دمشق، 1984.
10-الكيالي ،(عبد الوهاب)وأخرون ،موسوعة السياسة ،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1990،(ج1).
11-الكيالي ،(عبد الوهاب)وأخرون ،موسوعة السياسة ،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1990،(ج2).

13 - الكيالي ،(عبد الوهاب)وأخرون ،موسوعة السياسة ،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1990،(3ج).

14 - مجموعة من أساتذة جامعة منتوري بقسنطينة ،موسوعة الشعر الجزائري، ، دار الهدى، الجزائر، 2002، (ج1).

15 - معجم مشاهير المغاربة، تنسيق أبو عمران الشيخ وتقرير ناصر الدين سعيدوني ،نشر جامعة الجزائر، طبع المؤسسة الجزائرية للطباعة ،1995.

16- المنجد في الإعلام ،ط26،دار المشرق ،بيروت ،2005.
17- موسوعة القرن، (ط2)،الدار المتوسطية للنشر ،تونس،2011.
18- الموسوعة العربية الميسرة، (ط2) ،دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، بيروت ،1971،(ج1)،ص1979.
19- موسوعة رجال وأحداث عبر القرون ، دار العلم للملايين ،بيروت،1999.
20- نويهض(عادل)، معجم أعلام الجزائر، بيروت 1983.

باللغات الأجنبية :

21 - le petit Larousse illustré 1991,ed Larousse,France,1991-

مواقع الشبكة العنكبوتية :

01- آق كندوز(أحمد)،" وثيقة مهمة تبين أن سكان الجزائر طلبوا الدخول تحت التبعية العثمانية بإرادتهم " مقال منشور ضمن موقع (جمعية البحوث العثمانية – Osmanli arstirmalari vakfi-Ottoman research foundation) على الرابط التالي : http://www.osmanli.org.tr/arabic/articles، تاريخ الدخول 12 -08-2014 على الساعة 21و44د

02- الأيوبي (ماجد)، " تعريف اللاسامية " على الرابط : http://www.jammoul.net/forum/showthread.php?9376-%CA%DA%D1%ED%DD-%C7%E1%E1%C7%D3%C7%E3%ED%C9، تاريخ الدخول ، 04-08-2015/ على الساعة 16:08.

03-: أشعيا (وليم) ،" اليابان دولة تنهض من تحت الرماد(نهاية مرحلة العزلة) ، (ج2)مجلة الحوار المتمدن، (ع2298) – 13-05-31،2008 على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=136284، تاريخ الدخول :02-11-2014، 03:46.

04-بجوجو محمد أو سليمان ، الذكرى ال 65 لوفاة العلامة المولود بن الصديق الحافظي الأزهري ،على الرابط :

bedjoudjouarticles.wordpress.com/2013/11/02/الذكرى-الـ-65-لوفاة-العلاّمة-المولـــ/، تاريخ الدخول ،22-03-2014، الساعة 21:03.

05-

06-الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ،على الرابط : http://www.ahlalhdeeth.com/kwet/almojamaljaami.rar

07- الربيعو (محمد تركي)،" الجسد والصورة والسلطة...عن المخيال الكولونيالي وسفور النساء داخل العالم الإسلامي "،مقال ضمن صحيفة ، القدس العربي ،على الرابط: http://www.alquds.co.uk/?p=380703،

08- عويمر (مولود) ، "المستشرق الألماني مارتن هارتمان والنضال السياسي للوطنيين العرب في برلين" ، على الرابط الإلكتروني :http://www.fenni-dz.net

09- عويمر (مولود)،" نظرة الإستعلاء في الفكر الغربي الحديث وأثرها على فهم قضايا الإسلام والمسلمين"، مقال، ضمن كتاب ، الإسلام والغرب بين رواسب التاريخ وتحديات المستقبل،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ،2008،صص 89-102، على الرابط : http://www.shamela-dz.com/index.php?option=com_content&view=article&id=683:2016-:_15-01-17-12-08&catid=39:dirassate&Itemid=57.

10- عويمر (مولود) ،" الشيخ أبو اليقضان وحركة الإصلاح في الوطن العربي "، أنظر المقال على الموقع التالي (موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين): http://www.oulama.dz/?p=5843

11-عباس (محمد) ، الشيخ العقبي "المتهم البريء في إغتيال المفتي كحول"، ضمن سلسلة كواليس التاريخ ،صحيفة **الفجر** ،على الرابط : http://www.al-fadjr.com/ar/special/coulisse_histoire/241791.html.

12-Ernest.Renan,L'islam et la science ;Paris,l4archange Minotaure,1883,pp.10-11: أو أنظر نص المحاضرة كاملا على الرابط التالي. http://www.culture-islam.fr/contrees/maghreb/ernest-renan-lislamisme-et-la-science-1883.

13- Pierre jean,Luizard,Le Choc colonial et l'Islam.Politique religieuses des puissances colonials en terre d'Islam,La découvert,Paris,2006,p224, a lire sur le site: http://www.prizeebook.org/1e56wx_pdf-book-choc-colonial-et-l-islam-le.pdf.

14-شبكة المناهج الإسلامية على الموقع: http://www.almenhaj.net

15-معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين"، على الموقع : http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=5753

16- Bonne ville,(Anne-Claire de Gayffier), « Renaissance arabe et solidarité musulmane dans La Nation arabe », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* [En ligne], 95-98 | avril 2002, mis en ligne le 12 mai 2009, consulté le 10 janvier 2016. URL : http://remmm.revues.org/227.

17 -Gerard(youssef), L'Emir Chekib Arslan : l'intellectuel organique de la renaissance arabo-islamique (partie 2/2), En savoir plus sur http://oumma.com/L-Emir-Chekib-Arslan-l,2308#Udy8PzvjAKrbQDhG.99, le12-03-2015- 11:.36

18-Omar(Carlier). "Homme fétiche" ou "Homme-symbole" ? Un notable-militant : Houari Souiah, Premier préfet d'Oran (1915-1990). In: Cahiers de la Méditerranée, n°46-47, 1, 1993. Bourgeoisies et notables en Méditerranée (XVIIIe-XXe siècles) [Actes du colloque de mai 192 à Grasse] pp. 203-247. doi :

10.3406/camed.1993.1654 http://www.persee.fr/doc/camed_0395-9317_1993_num_46_1_1654

الفهارس

فهـــرس الأعـــلام والشخصيات

فهــرس الأعـــلام والشخصيات

- محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم):....386،446،
- أ

- أبو القاسم بن التهامي :...438،
- أبو القاسم سعدالله:.. ،17،25،96
- أبو إسحاق إبراهيم أطفيش :....، 144،414،413،412،411،331،325،
- أبو الهدى الصيادي :...119،120،131،
- أبو اليقضان :...117،134،140،144،418،417،
- أبو يعلى الزواوي:...109،411،410،
- أبي بكر عبد السلام بن شعيب :....155،
- أبو طالب أحمد بن مختار الحسين الجزائري :...395،
- أبي مدين شعيب :...99،
- إبراهيم التادلي المغربي :...163،
- إبراهيم باشا الملي :....299،
- إبراهيم الشافعي :....295،
- أبردين (اللورد) : ...44،
- إبن التهامي :....225
- ابن سحنون الراشدي :.....26،
- ابن سعود (الملك):....456،
- ابن السويكت :....28،
- ابن هطال التلمساني :.... ،24،25،26
- أحمد أسعد:...120،
- أحمد آق قندوز :....109،108،
- أحمد أمين:....110،
- احمد الشريف الزهار :...111،
- أحمد الشريف السنوسي :....314،
- أحمد باشا الصلح :....41،47
- أحمد باي :... 33،35،36،39،43،62،
- أحمد البديري الحلاق :....109،
- أحمد بك مريود :....353،
- أحمد بن ناجي رحمانية :....178،
- أحمد بن مصطفى بن عليوة :...121،
- أحمد بلفريج :....286،
- أحمد توفيق المدني
:...16،108،134،139،138،154،306،325،357،366،433،432،431،
- أحمد جبارة :...387،452،

- أحمد الطيب بن سالم :....64،100، 155،281،
- أحمد سلطان :....318،
- أحمد صالح السمعوني الوغليسي :...281،
- أحمد عبد المعز:....98،
- أحمد عزت عبد الكريم :.....109،
- أحمد شوقي :.... 392،412،
- أحمد مختار بن زين العابدين :....362،
- أحمد مريوش :....365،
- أحمد مصطفى بن عليوة :...423،422،
- الأخضري: ...27،
- أدهم آل جندي :...358،
- أديب إسحاق :....49،
- إدوارد هيريو :...201،199،
- أرجمند كوران:....113
- أرستيد بريون :....185،
- أرنست ياكه :....212،
- أرنولد توينبي :....132،
- ألبرت حوراني :...101،
- أندريه سرفييه :.... 172،
- أنور باشا :...78،80،241
- أمين أفندي الشامي :...395،
- أمين باي المغربي :....84،
- أمين سعيد :....855،
- إبراهيم بن الحاج عيسى (أبي اليقضان) :...178،186،185،179،304،
- إبراهيم بن عبد القادر :...53،
- إبن هطال التلمساني :...15،18
- إبن سحنون الراشدي :...19،
- إدموند دوتي :....184،
- إدوارد بريمون(العقيد) :....241،240،239،
- أرنست رينان :....161،
- آغا خان:....121،
- الآغا الحاج الصحراوي :...252،
- أسعد درويش الطرابلسي :....292،291،
- إسحاق بك :...337،
- إسماعيل باشا :...61،
- إسماعيل حامد :...137،
- إسماعيل صبري :....110،
- إسماعيل الصفائحي :...79،82،85،155،220،312،
- إسماعيل بن محمد (الحاج) :...87،

- إسكوت (الكولونيل) : ...44،
- أمين الله خان :....438،
- إميل درمنغهام :....184،
- إميل لاووست :....184،
- أوغسطين بيرك :...184،
- أوغسطين برنار :....274،
- أوكتاف دي بون:....319
- إيزابيلا (ملكة قشتاله):....100،
- إيزابيل بورتون :....101،
- إيميريت :...47،
- ب
- بابكر(الشيخ):...171،
الباي حسن :....34،
باتمان مولفينغ(رئيس وزراء) :...214،
- بالمرستون (اللورد) :.....36،
- بديعة الحسني الجزائري :...304،
- بريمون (العقيد) :....192،191،190،189،307،
- بشير صفر:...399،
- بلهوان :.....38،
- بن ناصر بن شهرة :...،54،57،318،338
- بن يوسف بن خدة :...363،
- بهجت البيطار:...131،
- بوجيه (الكولونيل) :...59،
- بول بارت :...120،
- بول روروباخ :....212
- بول بليسن :...204،
- بول بورداري :...199،
- بول لفييت :...158،
- بومعزة :....64،
- بومعيزة عمار :....324،
- بونابار(قنصل) :...144،
- بن يامين ستورا :...500،
- بيتان (المارشال):...456،
- بيجو (الجنرال):...100،256،
- بيوض (الشيخ) :...127،

- ت
- تادي تازوتوفت :....86،
- توفيق ذياب :...148،
- تيرمان :....184،
- تيودور هرتزل :...375،
- ج
- جاك بيرك :....184،
- جان بار (قرصان):....94،
- جرفن (طبيب) :....388،
- جلول بن لخضر (الآغا) :....322
- جلول شمس الدين :.....438،
- جمال الدين الأفغاني :....92،110،123،234،253،397،
- جمال الدين سفينجة :...256،
- جمال باشا السفاح :...49،136،287،288،296،
- جمال باشا التركي(قائد عسكري في طرابلس الغرب):....284،
- جمال حمدان :....128،
- جميل رفعت :....86،
- جورج حداد :...345،
- جورج ريمون (صحفي) :...396،
- جورج كامفماير :....232،
- جورج كليمنصو :.....265،
- جورج ليغ :....301،
- جورج مارسييه :....184،
- جول كامبون :.....157،158،182،199،
- جونار شارل(الحاكم العام):...104،183،
- جون ميليا :....224،278،320،
- جيرارد ريهولف:.....56،
- جيل جيرفييه كورتلمان :...157،
- جيلبر مينييه :....291،
- ح
- الحاج عبد السلام بنونة :....182،184،
- الحاج سعيد (محامي) :....319،
- الحاج عبد الله (بوكابويه) :....85،222،231،
- الحاج علي مالك :...204،
- الحاج كسوس :....204،
- الحاج مبارك بن الشيخ :....323،
- الحاج مسعود بن سعيد الكبوي :....331،
- حاج شريف قاضي :....103،
- الحبيب بويراز :....383،

- الحبيب مزيو :....452،
- حسن الأول (السلطان) :...106،
- حسن الجزيري :...154،
- حسن النوري :....398،
- حسن تقي الدين الحصني (مفتي) :...46،
- حسن عوني بك :...345،
- حسن قلاتي :....435،325،323
- حسن نعمان :...381،
- حسين أفندي هايبوف :....227،
- حسين داي باشا :.... 30،21،20،
- حسين مؤنس:...379،
- حمدان بن علي الجزائري :....268،
- حمدان خوجة:....،18،20،19 ،21،22،24،23،33 ،34،36،39،42،43،73،96،
- حمدان لونيسي :....145،
- حلمي الطوني :....279،
- خ
- خالد بن الهاشمي الجزائري (الأمير):...105،136،148،151،265،299،307،369،371،444،
- خالد بن الوليد :....392،
- الخالدي(خوالدية) صالح بن عمار :....85،430،429،428،
- خليفة خالد :... ،329،330
-خيمينيس (صحفي) :...259،
- خير الدين باشا :...59،108
- د
- الدراجي بن الحسين :...87،
- دوغيدون :...184،
- دوفرانس(وزير) :....86،168،
- دوسترنال دو كنستان :....220
- ديسبارمي (جوزيف):.....184
- دي بورمون (الجنرال): ....،21،22،170،

- ر
- الربيع الزناتي :....439،
- رشيد باي :...29،
- رشيدي الشمعة :...345،
- رفيق العظم :....338،341،
- رمضان السويحلي :.... ،339،

- رؤوف باشا: ...38،
- الريسوني:...361،
- ريبو(ناطق رسمي) :...268،
- ز
- الزبير بن باديس :...184،
- س
- سامي العظم :....345،
- ستيوارد لوثروب :....130،178،
- سعد زغلول (باشا): ....157،456،
- سعيد العاص :.....300،301
- سعيد بن زكري :...123،
- سعيد قدورة :...186،
- سعيد عمران :.....227،
- سهيل الخالدي :...49،
- سلطان باشا الأطرش :....299،372،
- سلامة موسى :...418،
- سليم الجزائري (باشا) :...155،289،
- سليمان الباروني :....116،141،146،145،144،176،235،237،323،368،415
- سليمان الحاج داوود :....171،
- سليمان القانوني (السلطان) :....200،
- سليمان بن جلاب :...54،
- سليمان بن نوح (الشيخ) :...171
- سنوك هورغرني :..231،
- سي محمد زروق بن سيدي صالح :....57،
- سيد فاضل :....119،
- سيف الدين الخطيب :...345،
- ش
- الشاذلي خزندار :...433،
- شارل جونار :...192،
- شارل روبير أجرون :...177،243،
- شارل لافيجري (الكاردينال) :....181،
- شارلز هنري تشرشل :... 40،41،
- شارل ليتو :...246،
- شبانجر (البارون) :....269،
- شتريزمان (وزير خارجية) :.... 81،
- شرعي باشا :...86،
- الشريف بن حبيلس :....455،
- الشريف حسين
:...95،160،188،192،191،245،244،306،305،310،396،398،411،446،

- شفيقة خانم :.. 108،
- الشوفالييه بول :...95،
- شكيب أرسلان:.....111،133،134،138،137،141،219،245،355،368،404،
- الشنكيطي :...383،
- شكري العسلي :.... 288،292
- شكري الأيوبي :...296،297،
- الشيخ أمود :...373،
- الشيخ عبد السلام :....375،
- الشيخ عبد القادر (شاعر) : ...30،

- ص

- صالح الشريف:....79،81،80،85،84،83،130،155،217،220،307،312،
- صالح بابكر :...171،
- صالح بن يحي (الشيخ) :..346،
- الصادق الزمرلي :...434،
- الصادق دندان :....266،
- صلاح الدين الأيوبي :....213،
- صلاح الدين القاسمي:....291،

- ض

- ضياء باشا :...278،

- ط

- طاهر الجزائري السمعوني (الشيخ) :....137،284،283،282،281،289،293،
- الطاهرباشا :...38،
- طاهربن أحمد الجزائري (الأمير):...348،

- الطاهر بن تليس :....227،
- طه حسين:...110،418،
- طلال أسد (أنتروبولوجي) :...93،
- الطيب العقبي:...133،137،138،139،310،309،308،401،
- الطيب بن عيسى القرواوي :...348،
- الطيب بن مختار :...60،
- الطيب مرسلي :....246،
- الطيب جملو :.....83،
- الطهطاوي(رفاعة) :.....132،133،

- ظ

- ظافر الطرابلسي :....119،

- ع

- عادل الصلح :...46،47،50،55
- عادل حسين : ...92،
- عارف الشهابي :....340،

- عالي باشا (وزير) :..،57،58،
- عباس الثاني حلمي(الخديوي) :...169،208
- عباس بن حمانه :....261،
- عبد الله النديم:....149،
- عبدالله بن الشريف حسين:....309،310،311،
- عبد الله بن خالد :....316،
- عبد الله جودت :...278،
- عبد الله الركيبي :....69،70،73،
- عبد الله الزياني (المولى):....32،
- عبد الحفيظ الهاشمي :....419،420،421،422،
- عبد الحليم بن سماية:....114،123،254،
- عبد الحميد بن
باديس:....93،108،112،113،125،134،327،392،394،395،396،393،395،
399،400،401،
- عبد الحميد بن شريف :....227،
- عبد الحميد الزهراوي:... 286،402،
- عبد الحميد الثاني (السلطان):....
95،98،103،104،119،118،117،120،147،161،213،377،376،375،377،389،406،
- عبد الجليل التميمي :...57،
- عبد الجليل الزاوش :...344،345،
- عبد الرحمن العريبي :...398،
- عبد الرحمن محمد (نائب بلدي) :...264،
- عبد الرحمن الشهبندر:.... 380،
- عبد الرحمن الصنادلي :...344،
- عبد الرحمن الكواكبي :...110،149،384،386،385،410،
- عبد الرحمن اليعلاوي :...344،358،
- عبد الرزاق السنهوري :.....126،
- عبد الرؤوف سنو :...50،52،
- عبد السلام الأسمر (الشيخ):...339،
- عبد السلام الخطابي :...390،
- عبد السلام بنونه :...142،
- عبد العزيز الثعالبي: ....108،116،146، 149،148،155،323،
346،345،351،350،349،355،354،404،435،
- عبد العزيز جاويش:...77،218،235
- عبد العزيز (السلطان) :...106،
- عبد العزيز الشناوي :....203
- عبد الغني العريسي :...217،
- عبد الغني الغنيمي :...281،

-
عبدالقادرالجزائري(الأمير):..33،36،39،43،42،46،60،59،64،81،105،110،122،
151،163،281،290،294،296،336،335،334،446،447،
- عبد القادر الحفيد (عبده) :...288،..296،299،298،308،307،328،334،
- عبد القادر بن الشيخ الحسين:....178،
- عبد القادربن لموفق :...178
- عبد القادر بن إبراهيم المسعدي :...449،
- عبد القادر المجاوي : ...253،
- عبد القادر المغربي:....149،
- عبد الكريم باش تارزي :....178
- عبد الكريم خليل :...345،
- عبد المالك الجزائري (الأمير) :....55،136،152،221،307،363،361،360،359،
- عبد المجيد الأول (السلطان) :... ،199،398،399،433،432،
- عثمان الكعاك :...432،
- عدون بن الحاج (الشيخ): 171،
- العربي العطار :....383،
- عروج (أوروج) :...108،
- عز الدين الجزائري (الأمير) :....300،301،302،
- عزت باشا الألباني :...344،
- عزت الحبيب :....86،
- عزيزعلي المصري: ...246
- علال الفاسي:....244،368،367،
- علاوة بن عبد الرحمن :.....227،
- علي باش حامبه :...82،108،146،155،307،325،362،
- علي الحمامي :....142،368،
- علي الزين : ...51،
- علي بن الأميرعبد القادر (الأمير)
:..82،134،135،146،152،217،288،294،293،308،307،328،334،338،337،
361،359،362،
- علي بوشوشه :...344،
- علي بن النوي :....286،
- علي بن أحمد التجاني :.....178،
- علي بن أحميدة بن خير :....386،
- علي بن عجوز :.....37،
- علي درويش :...401،
- علي جبارة :.....387،
- علي محي الدين (نائب) :....319،
- علي عبد الرازق:...381،380،383،406،414،417،418،
- علي مراد:....153،

- علي يوسف (الشيخ):....86،
- عمار بوضربة :....265،
- عمار هلال :...278،
- عمار قاضي :....226،
- عمر الجزائري (الأمير) :....49،105،135،287،289،288،293،296،
- عمر العنق :....191،
- علي بن فخار :....264،
- عمر فوزي (المشير):...53،
- عمر المختار :...327،332،
- عمر بن قدور
:....68،69،70،73،71،109،117،124،254،255،257،311،321،320،319،322
،330،364،401،403،402،
- عمر بن يحيي (الشيخ) :....127،
- عمر بكلي (الشيخ) :....127،
- عمر بو ضربه :....317
- عمر طوسون (الأمير) :...332،
- عمر
راسم:....67،69،74،75،76،117،124،245،255،311،330،404،406،405،
- **غ**
- غاستون دومارق :...195،
- غليوم الثاني(القيصر):....210،433،
- غوستاف لوبون :....179،
- غورو (الجنرال):...295،
- **ف**
- فارس الخوري :....291،
- فرانسوا الأول (الإمبراطور) :...200،
- فرحات عباس مكي :....390،437،436،438،
- الفقون الزواوي بن محمد صالح (الإمام):...247،
- فاروق (الملك) :....394،446،
- فيصل بن الحسين (الأمير):....148،297،
- فيكتور بيرار:....157،
- فيكتور سبيلمان :....
- **ق**
- قاسمي عبد القادر:....401،
- قبطان باشا: ....44،
- قدور بن غبريط :...188،192،191،189،195،203،204،206،
- قدور بورويله :....64،
- **ك**
- كالي (العقيد) :....201

- كامل الصلح:...50،
- كامل بك : ...37،38
- كارل بيكر :....232،
- كامي ساباتييه :...139،
- كحول (الإمام) :...401،
- كرومر (اللورد) :....129،169
- كوندورسيه :...93،
- كلوزيل :...31،
- **ل**
- لطفي الحفار:....291،
- لوشاتولييه (ألفريد) :....182،
- لويسس غوستاف بينغر :...181،
- لويس فليب :...45،
- لويس ما سينيون : .....184،
- لورنس :....297، 298،299،
- لوري بوليو(مؤرخ) :....315.
- لوسياني :...101،
- ليوتي (الجنرال) :...82،
- ليون روش :....256،317،
- **م**
- مارتن هارتمان (مستشرق) :....227،
- ماكس فون أوبنهايم :...204،212،
- مالك بن نبي:....94،146،364،442،
- مامي إسماعيل بن علاوة :....116،
- محب الدين الخطيب :....286،
- محمد أبو زهرة :....127،
- محمد أفندي الجزائري :...230،
- محمد بن القايد علي :...128،
- محمد أمزيان الهادي :...221،
- محمد أمزيان بن علي الحداد : ....41،
- محمد إقبال :....128،
- محمد باش حامبه :....83،85،155،220،368،
- محمد بداك :....189،
- محمد بكداش(الداي):....27،
- محمد بن الخوجة:....154،
- محمد بن الأمير عبد القادر :..49،
- محمد بن إبراهيم بن موسى النيقرو :...186،
- محمد بن إسماعيل :...65،
- محمد بن الحاج رابح :....295،

- محمد بن الحاج عمار :...358،
- محمد بن الشيخ الفكون :....227،
- محمد بن الصغير (الشيخ) :...87،
- محمد بن بلقاسم بن إسماعيل المطماطي :...186،
- محمد بن تكوك :...372،
- محمد بن رحال الندرومي :....155،259،
- محمد بن شنب :...123،
- محمد بن عبد الله (الشريف) :...315،
- محمد بن عبد الرحمان الديسي:....449،
- محمد بن عبد السلام التيجاني :....232،
- محمد بن عبد الكريم الخطابي
:...202،299،348،365،366،364،368،370،369،371،442،
- محمد بن علي السنوسي :...372،
- محمد بن صيام :....264،266،
- محمد بن مصطفى بن الخوجة: ....154،165،167،170،
- محمد بن ميمون الجزائري: ....26،
- محمد بن منصور الحلبي
- محمد بن يعقوب (الأمير)
- محمد بلخوجة :...83،114
- محمد بويراز الجزائري :...85،
- محمد بوقندورة (المفتي) :....170،310،
- محمد بن عبد الوهاب:....119،
- محمد بن علي السنوسي :...120،315،317،316،
- محمد البشير الإبراهيمي :...93،113،112،115،131،132،188،187،208،314،
- محمد البشير صفر :....108،
- محمد التهامي شطة :...67،108،312،
- محمد حرب :...109،
- محمد الخامس رشاد (السلطان) :...82،225،
- محمد الخضر الحسين :...85،131،155،217،345،344،365،408،407،406،
- محمد الزاوي بن جلول :....87،
- محمد الطاهر بن عاشور :....108،
- محمد الشاذلي القسنطيني: ....64،
- محمد الشريف الرغداني :.....227،
- محمد الصغير بن قانه :....61،
- محمد سعدون :...399،
- محمد سعيد الجزائري (
الأمير):...105،222،287،294،299،298،303،302،334،447
- محمد سعيد الزاهري :...78،139،141،
- محمد السعيد الزواوي :....178،

- محمد سوف المحمودي :...340،341،
- محمد الشبيبي التونسي :....221
- محمد شرعي باشا : ...86،
- محمد شكري الألوسي :...149،
- محمد الشيخ السعدي (السلطان):...100،
- محمد جابر آل صفا :...51،
- محمد جندي :...226،
- محمد جمال طحان :...408،
- محمد رشاد الخامس (السلطان):....273،277 ،377،405،
- محمد رشيد رضا :...
76،92،110،113،112،115،122،129،132،202،253،289،355،380،383،
- محمد ضياء الدين:....398،
- محمد عابد الجلالي :....408،409،
- محمد عبد الرحمن الديسي :...
- محمد علي دبوز:....14،17،156،
- محمد علي باشا :.....16،48،
- محمد عبده :... 110، 111،116،115،123،125،127،126،237،253،397،
- محمد عماره :.....118،
- محمد العالم (الشيخ :.....84،
- محمد العتابي :...220،
- محمد العيد آل خليفة :...343 ،
- محمد الكبير (الباي):....24،26
- محمد اللقاني بن السايح :....391،
- محمد المقراني (الباشآغا) :....41،57،61،119،
- محمد المصطفى بن باديس :....227،
- محمد المكي بن عزوز :.... .86،
- محمد النخلي القيرواني: ....108،
- محمد الهادي السنوسي :...110،
- محمد فريد وجدي :...125،
- محمد كرد علي :...217،
- محمد سعيد الزاهري :...75،
- محمد سعيد بسام :...52،
- محمد الشاذلي القسنطيني :...60،
- محمد الشبيبي التونسي :....85،
- محمد شاكر(الشيخ) :....382
- محمد صالح الجابري :....
- محمد الصادق باي :...56،
- مبارك الميلي:....16،443
- محمد مزيان التلمساني :....85،

- محمد معلي :....452،
- محمد ناصر:.....155،
- محمد نديم باشا (الصدر الأعظم) :...57،
- محسن الأمين (السيد) :...51،
- محمود أفندي حمزة :...104،
- محمود الثاني (السلطان): ....35،39،
- محمود بن العنابي :...186
- محمود بن الشويكي: 227،
- محمود شوكت (باشا) :...377،
- محي الدين (الشيخ):...40،
- محي الدين الجزائري (الأمير) :... ،54،55،57،59،60،98،136،317،
- محي الدين القليبي :...432،
- المختار بن الحاج سعيد :....320،401،
- مدحت باشا :...،50،
- مرسلي (الطبيب) :....297،320،
- مصالي الحاج :134،137،370،442،441،440
- مصطفى الغلاييني :...110،
- مصطفى رشيد باي :.....35،
- مصطفى الشرشالي :....192،191،190،189،
- مصطفى الشهابي (الأمير):...291،
- مصطفى الكبابطي :...186،
- مصطفى الحاج :...176،
- مصطفى حاج موسى :...225،
- مصطفى حمو بن الحاج :....227،
- مصطفى عوني الجزائري :...328،33_،340،339،
- مصطفى كامل:....128،454،
- مصطفى كمال أتاتورك
:...70،117،314،378،377،379،390،392،396،395،394،396،400،399،408
،411،412،417،420،435،434،440،444،
- مصطفى الكمال :...124،
- مصطفى فاضل باشا (وزير) :...54،
- معروف الرصافي :....110،
- مفدي زكرياء :....364،
- مكماهون (اللورد) :....362،
- المنداسي(أبي سعيد عثمان بن عبد الله) :....28،
- المنصور السعدي (السلطان) :...100،
- المنفلوطي :....110،
- المكي بن العربي :...380
- المكي بن عزوز :...155،312،311،

- المولود بن الصديق الحافظي :... 206،366،426،425،427،428
- المولود بن الموهوب :...123،124،177،253،427،
- موريس بول سراي :....359،
- مونتيسكيو :...93،
- مولاي يوسف (السلطان) :...82،
- ميشال ناي :...94،
- ن
- نادولني (الرائد) :....83،
- ناطان لا بيرن :...78،
- ناصر الدين ديني :....186،
- ناصر الدين سعيدوني :...396،
- نابليون بونابرت :...22،
- نابليون الثالث (الإمبراطور) : ....45،63،
- نجيب عازوري :...430،429،
- نوري أفندي :...42،
- هـ
- الهادي مصطفاي :...184،
- الهاشمي (بن الأمير عبد القادر):....105،151،
- الهاشمي شريف (الشيخ) :...325،
- هانز هينرش شيدر :...92،
- هانوتو(مستشرق) :...129،130،181
- هلموت فون مولتكه :...262،
- هنري باسييه :...184،
- هنري شرشل :...49،
- هنري ديفيرييه :...161،220،315،
- هنري غارو :...59،
- هنرى مكماهون :...191،
- هوشي منه :...369،
- هيوت :....201،
- و
- وجيه كوثراني :....52،
- ودروو ولسن :....232،
- الونشريسي (أبو العباس) :....138،
- وليام الثاني (الإمبراطور) :...135،213،216،
- وليام ما رسييه :...184،
- ي
- اليازجي :...132،
- يحي بوعزيز:...56،
- يحي بن صالح (الشيخ) :...127،

- يوسف حيدر :...345،
- يوسف شتوان :...77،
- يوسف كرم :...50،52،53،

فهـــرس الأمــاكــن والبلــدان

فهرس الأماكن والبلدان

ملاحظـــة : أســتثنيت مــن هــذا الفهــرس مصــطلحات " الدولــة العثمانيــة" والعثمــانيون" و تركيا""الأتراك" و"الجزائر" والجزائريون" لكثرة تداولها.

-أ

- أدرنه :...92،
- أزمير:...181،
- الأستانة:...42،216،225،377،432،
- الإسكندرية :...85،176،369،
- إسبانيا :....104،
- إفريقيا:...199،
- ألمانيا:....55، 68،80،173،210،212،225،247،360،
- الأغواط :...174،403،
- الأندلس : ...68،138،137،
- الأناضول:....43،
-

(أســــــــــتانبول):....32،33،38،44،45،61،68،79،121،148،160،262،289،362،
377،

- الإسكندرية :....45،56،
- الأرمن:....5،
- إيطاليا:...104،319،318،317،320،376،
- إيران :...259،
- الأوراس :....284

- ب

- باريس:....33،197،199،369،
- بعلبك :...48،
- برقة :...314،
- برلين :....88،142،216،217،362،
- بروسيا :...57،

بريطانيا :....15،188،209،212،286،376،394،

- بلكور (حي):....167،
- بلاد الشام :...48،189،285،294،307،376،
- البلقان :....123،
- بغداد :....121،
- بورصة :....41،
- بوسعادة :...200،
- بولونيا:.....15،
- بني زيان: 25
- بني حفص :...25
- بني يزقن :.....190،

- بيروت: ،146،167،217،
- ت
- تبسة :....192،
- تركستان (إقليم صيني) :....154،
- تلمسان:...43،440
-
تونس:....53،56،59،79،99،109،127،262،311،312،313،347،345،344،343،
357،356،354،353،366،364،399،404،430،432،434،
- تيارت :...186،
-ج
- جدة:...251،
- الجزائر (مدينة): ...30،31
- جنيف :...362،404
- ح
- الحجاز:....50،188،189،192،315،
- حمزة لبويرة (القبائل) :....138،
- د
- دلس :...144،
- دمشق :...36،48،80،213،217،302،303،431،
- ذ
- ذراع الميزان:....144،
- ر
- الرباط :...201،
- روسيا :...53،104،209،225،
- روما :....319
- ز
- زوسين:....216،

- ط
- طرابلس (لبنان):...47،178،
- طرابلس الغرب
:....53،57،59،61،79،117،312،313،316،315،314،317،319،320،322،321
،339،343،342،406،434،
- طنجة: 211،360،369،
- س
- سالونيك :...377،
- سدراته: ...86،
- سور الغزلان: 144،
- سورية:.. 47،191،189،294،295،302،303،306،307،371،

- سوق أهراس :...103،
- سويسرا :...181
سنغافورة :...195،

- **ش**
- شمال إفريقيا:....78،215،
- **ص**
- الصهاينة (الصهيونية) :....69،70،73،75،
- **ع**
- عدن : ....195،
- عكا :...45،52
- العراق:...50،376،
- عسير :....43،
- عنابة:....313،
- عين ماضي :.....403،
- **غ**
- غارداية :...191،
- غدامس
- **ف**
- فاس :...98،
- فاشودة :...160،
- فرنسا:....55،57،99،104،197،199،203،209،212،225،247،376،437،442،
- فزان :....314،317
- فلسطين: ...72،74،99،306ن375،406،411،
- **ق**
- قابس :....52،
- قالمة (الجزائر)
- القدس :...168،285،
- قسنطينة: ....225،442،
- القاهرة:...262،286،400،
- القسطنطينية:...216،
- **ك**
- كربلاء :...209
- **ل**
- لبنان :..293،
- ليبيا:...
- ليون(فرنسا) :...
- **م**
- مالطا :....،53،52
- مالايو :...195،

- المجر:...104،
- مدريد:...98،201
- المدينة المنورة :....85،181،204،
- مراكش:...120،146،312
- مرسيليا :...381،
- معسكر:...55،
- المغرب الأقصى
:...79،99،216،311،363،362،360،366،364،363،369،399،427،430،
- مستغانم :...38،
- مصر: ...61،148،286،310،339،394،429،434،
- مكة المكرمة : ...203،204،215،385،400
- موسكو:...369،
- **هـ**
- الهند:...215،430،
- **و**
- وادي سوف (الوادي) :...53،112،
- وادي الصومام :....335،
- وادي ميزاب :..144،237،328،331،
- **ن**
- نابلس :....52،
- نجد:...43،
- النجف :....209،
- نفزاوة :...57،
- النمسا:...104
- **ي**
- اليابان:....16،
- يافا : ....168،
- اليهود: .. ،14،15، 69،72،71،73،75،74،
- اليمن :...195،
- اليونان ،اليونانيون:... 117،440،

فهـــرس الجـــرائـــد والمجـلات

فهـرس الجـرائـد والمجـلات والصحف

- **أ**
- أخبار (Akhbar) :....230،
- أخبارالحرب :....117،174
- إفريقيا (مجلة) :...357،366،
- الإتحاد الإسلامي :...323،
- الإسلام (L'Islam) :....263،267،342،347،
- الأسد الإسلامي :.....144،
- الإصلاح :..358،.
- الأهالي (La revue Indigéne):...199،
- الأهرام :... 358،382،
- الأمة (La Nazione):...445
- الأيام :....159،
- **ب**
- البصائر:....359،
- البلاغ الجزائري :....423
- **ت**
- التصاوير :....174
- التقدم (تونس) :....255،261،
- التلميذ :....348
- التونسي (جريدة):... 146،347،
- تونس الشهيدة (صحيفة):.....116،
- **ث**
- الثقافة:...154،
- الثمرات (بيروت):....110،
- ثمرات الفنون :...159،
- **ح**
- الحاضرة (تونس) :.....33،109
- الحضارة (إسطمبول) :.....69،110،258،319،402،
- الحق :...73،258،261
- الحق الوهراني :...156،261،330،
- **ج**
- الجامعة العربية (جريدة):....159

- الجزيرة (دمشق):
- الجهاد :...80،218،222،
- الجوائب (مجلة):...43،
- **ذ**
- ذو الفقار:....69،156،234،404،
- **ر**
- الرائد التونسي :....359،
- الرأي العام :...217
- الرشيدي :....263،267،342،
- **ز**
- الزهراء (الزهرة):....111،335،431،
- **س**
- سبيل الرشاد:...147،175،
- ستراسبورغ بوست (Strasbourg post) :...230،
- السياسة (مصر) :...358،
- **ش**
- الشعب (مصر):...245،404،
- الشرق الجديد (Der neune Orient) :....220،
- الشهاب:....140، 359،427،
- الشورى (مصر):...349،
- **ص**
- الصديق:....116،
- صدى الجزائر (L'écho d'Alger) :...158،
- الصواب (تونس) :....364،
- **ع**
- عالم الإسلام(Djihan Islam) (جريدة):...80،
- العالم الإسلامي (مجلة)(RMM):....184،232،
- العرفان :....159،
- العروة الوثقى:...110،111،
- العهد :...217
- **ف**
- الفاروق:...68،69،72،156،234،257،364،402،403،433،
- الفتح :....110،111

- فتى العرب (دمشق) :...337،
- فرنسا الإسلامية (مجلة) :...183،
- **ق**
- القبس :...159،
- القبلة (الحجاز) :...309،
- **ل**
- الأمة العربية(La Nation Arabe) :...137،139،138،
- لا ديباش الجيريان (La Depéche Algerienne):...118،
- لافريكا إسبانيول (L'Africa Espanole) :....211،
- لا فوا دي زامبل (la voix des humbles) :..439،
- لا قازات دو فرانس (La Gazette De France) :...211،
- لا قازات دي أردان (La gazette des Ardenne) :....232
- لسان الشعب (تونس) :...364،
- اللواء (مصر):....71،109،111،364،404،
- لوبريكسلوا (Le bruxellois) :....232،
- لوتري دينيون (Le trait d'Union) :...369،
- لوطان (Le Temps) :...268،
- لوروبيبليكان دو كونستنتين(Le Républicain de Constantine):....246،
- لورير (Le rire):.....224،
- لو كرواسون (Le Croissant) :...347،
- لومانيتي (L'Humanité) :....304،
- لو ماتان(Le Matin):....81،
- ليكو دالجي (L'écho d'Alger):....207،439،445،
- **م**
- المبشر :...123،174،
- المجلة الإفريقية :...388،
- مجلة العالم الإسلامي (RMM) :....233،
- المرشد :....159،
- مرشد الأمة:.....159،
- المعلومات (جريدة)....117،
- المغرب العربي (مجلة):...86،220،232،312
- المهاجر (دمشق) :....67،68،108،217،312
- المفيد :...159،217

- المقتطف:...150،403،
- المقتبس :... 266،
- المقطم :...175،382،
- المشير :...348،
- المؤيد:....109،111
- المنار:...111،115،114،116،123،127،
- المنهاج :....144،413،414،
- **ن**
- النجاح:....116،392،419،427،
- النديم :....159،
- **هـ**
- الهلال:...149،365،
- الهلال العثماني :....396،
- الهدى الإسلامي :...159،
- الهداية :..... 159،
- **و**
- وادي ميزاب (جريدة) :....141،
- الوزير:....348،357،

فهـــرس المنظمات والجمعيات والمؤتمرات والطرق الصوفية

فهرس المنظمات والجمعيات والمؤتمرات والطرق

ملاحظة : لا يحتوى هذا الفهرس على مصطلح "الجامعة الإسلامية" لكثرة إستعماله

- أ

- الإتحاد المغربي (جمعية) :...86،
- الإتحاد والترقي (جمعية):....70،
- الإسماعيلية (الحركة):...121،

- إتحاد الشباب الشمال إفريقي الموحد :...381،
- أوقاف مؤسسة الحبوس للأماكن الإسلامية المقدسة (جمعية) :....204،

- ب

- بازل(مؤتمر):....74،
- برلين (مؤتمر) :...48،
- البوعبدلية (طريقة) :...121،

- ت

- تافنة (معاهدة) :...34،33،
- التوفيقية (جمعية) :...321،
- تونس الفتاة (حزب) :...193،
- التيجانية (طريقة) :....178

- ج

- جماعة التعارف الإسلامي لأهل شمال إفريقيا :....312،
- جمعية الأشراف (الشرفاء):....87،
- جمعية إستقلال الجزائر وتونس :....86،
- جمعية الأخوة والمساندة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين :...87،
- جمعية الإخاء للجزائريين والتونسيين :...144،
- الجمعية الإسلامية – الألمانية :....83،
- جمعية حبوس الحرمين :....399،204
- جمعية الهجرة :...143،
- جمعية العروة الوثقى :...143،
- جمعية العهد :...292،
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :.....401،
- الجرمانية (الجامعة) :....
- الجمعية الخيرية الإسلامية للجزائر المحمية :...79،

- ح

- حركة الأعيان (دمشق) :....47،46،
- الحزب الدستوري التونسي :....346،
- الحنصالية (طريقة) :....121،

- **خ**
- الخلوتية (طريقة) :...121،
- الخيرية الإسلامية (جمعية) :...54،
- **د**
- الدرقاوية (طريقة):...121،
- **ر**
- الرحمانية (طريقة) :.... 119،
- الرفاعية (طريقة):.....119،131،
- **ط**
- الطيبية (طريقة):...121،185،330،
- **س**
- سان استيفانو (معاهدة) :....123،
- سان ريمو (مؤتمر) :...117،304،
- السلامية (طريقة):..121،
- السنوسية (الطريقة) :...48،59،120،172،236،315،
- سايكس بيكو :....192،411،
- **ش**
- الشابية (طريقة):...121،
- الشاذلية (طريقة):....119،
- **ص**
- الصادقية (جمعية) :...401،
- الصقلبية (الجامعة) :....130،
- **ع**
- العربية الفتاة(جمعية) :...341،
- العروة الوثقى (جمعية) :...164،
- العليوية (طريقة):....119،423،
- عصبة الأمم الشرقية :....126،
- العلماء المسلمين الجزائريين (جمعية) :...67، 167،176،178،185،190،
-العيسوية :.....121
- **ق**
- القادرية (طريقة) :....120،121،330،
- القحطانية (جمعية) :...346،
- **ك**
- كيرن هايسوود (جمعية):...78،
- **ل**
- اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية :....199،

- لجنة تحرير(إستقلال) الجزائر وتونس:....81،83،312،
- لجنة الخلافة :...432،
- اللجنة الإسلامية العليا للهجرة :....103،
- **م**
- المدنية (طريقة) :....163،
- المؤتمر الإسلامي الأول (القدس 1931م):....148
- مؤتمر دمشق :...47،50،51،
- مؤتمر الجزيرة :...79،
- مؤتمر الخلافة (القاهرة 1926م):...148،415
- مؤتمر الخلافة (1936)
- المؤتمر الإستشراقي (باريس 1897):....155،
- المؤتمر العربي الأول (1913) :...287،
- المؤتمر العربي (بغداد 1936)...،196،
- مؤتمر القوميات الثالث (لوزان 1916) :....268
- المنتدى الأدبي :...341،346،

- **هـ**
- الهلال الأحمر المصري :...395،
- **و**
- ودادية الطلاب لمسلمي شمال إفريقيا :....402،
- **ن**
- نجم شمال إفريقيا(جمعية) :...178،188،251،250،381،
- النقشبندية (طريقة):....161،
- النهضة العربية (جمعية) :....289،

فهرس المواضيع

فهـرس المـواضيع

المـوضـوع **الصفحة**

الإهـداء.....

شكر وعرفان.....

مقدمة..... أ-ل

الفصل الأول

التضامن الجزائري- العثماني (1830-1924م) الجذور والمظاهر **02-103**

1-العثمنة و التتريك عود على بدء..... 02-09

2- الدولة العثمانية في عيون النخبة الجزائرية المعاصرة لها بين الإعجاب والانتقاد 09 – 21

3-شخصيات جزائرية جسدت التضامن الجزائري -العثماني..... 22-25

- حمدان خوجة أول جسر للتواصل بين الجزائر والأستانة..... 25-28
- أحمد باي أخر سيوف الدولة العثمانية في الجزائر..... 28- 31
- الأمير عبد القادر والدولة العلية رأس بتاجين..... 31- 45
- محي الدين الجزائري وآخر محاولات إعادة الجزائر للحظيرة العثمانية.... 46 - 52

4- مظاهر وآليات التضامن الجزائري العثماني..... **52- 81**

- الدعاية بوصول النجدة العثمانية سلاح ضمن الحرب النفسية..... 52-55
- الدماء المشتركة رمز من رموز التضامن..... 55-56
- التضامن من خلال النشاط الأدبي والصحفي..... 56-70
- المساهمة في دعاية الجامعة الإسلامية..... 71- 78
- التضامن الجزائري- العثماني من خلال الجمعيات والمنظمات..... 78-81

5-السياسة الفرنسية في مواجهة التضامن الجزائري-العثماني..... **104-81**
- سعي فرنسا لتشويه صورة الأتراك في الجزائر..... 84-81
- التأريخ الفرنسي سلاح ضد العثمانيين..... 89-84
- الإدعاء بعدم أحقية العثمانيين للخلافة..... 98-90
- الإدعاء باحتلال الأتراك للجزائر..... 104- 98

الفصل الثاني:

النخبة الجزائرية وحركة الجامعة الإسلامية

1- الجامعة الإسلامية المفاهيم والأصول..... 119 -106
2- الجامعة الإسلامية ومراحلها هل للجزائر من نصيب ؟ 123 - 119
3- معابر الجامعة الإسلامية نحو الجزائر..... 148 - 123
- الهجرة الجزائرية نحو المشرق والبلاد العثمانية..... 135 - 124
- الصحافة والكتب جسور بين الجزائر والمشرق..... 143 – 135
- العلماء والطرق الصوفية الأداة الجماهيرية لبث دعاية الجامعة الإسلامية 148 – 143
4- تواصل النخبة الجزائرية مع أقطاب الجامعة الجزائرية..... **173 – 148**
- محمد عبده يتفقد تلاميذه في الجزائر..... 154 – 149
- محمد رشيد رضا مرآة الإصلاح في المشرق.... 159 – 154
- شكيب أرسلان يدعم الإصلاح في الجزائر..... 170 – 159
- سليمان الباروني يوحد جبهات النضال المغاربي.... 173 -171
5 – رموز من النخبة الجزائرية في خدمة الجامعة الإسلامية..... **183 -173**
- عبد العزيز الثعالبي من الجامعة الإسلامية إلى الجامعة العربية... 178 -173
- عائلة الأمير عبد القادر هل هو الوفاء للدولة العلية..... 180 – 178
- آثار وصدى حركة الجامعة الإسلامية في الجزائر..... 183 – 180
6- السياسة الفرنسية في مواجهة الجامعة الإسلامية في الجزائر **206 – 184**
- مراقبة ومنع الحج 189 -184

- الخلاف العثماني – الفرنسي حول تجنيس الجزائريين.... 189 - 194
- التجسس على الجزائريين ومراقبتهم في الداخل والخارج... 194 – 197
- تفعيل البحث الأكاديمي المضاد للجامعة الإسلامية..... 197 - 200
- الإستنزاف البشري و الإقتصادي..... 200- 201
- الدعاية الصحفية لفرنسا ومراقبة الصحافة العربية – الإسلامية في الجزائر..... 201 – 202
- تحريك النخبة التغريبية لخدمة الدعاية الفرنسية..... 202 – 203
- تدجين الطرق الصوفية وإصدار الفتاوى المضادة .... 203 – 206

الفصل الثالث :

النخبة الجزائرية وإشكالية التوظيف الفرنسي والألماني للإسلام

1- النخبة الجزائرية محور الإسلام الفرنسي..... 208 - 210
2- أدوات إنجاز الإسلام الفرنسي في الجزائر..... **210 – 234**
- الإستشراق ورجاله..... 210 – 213
- الموظفون الدينيون الرسميون..... 213 – 216
- البعثة الفرنسية للحجاز بحضور جزائري..... 216 – 223
- موت من أجل فرنسا ودفن على الطريقة الإسلامية..... 223 – 224
- اللجنة الوزارية لشؤون الدين الإسلامي..... 224 – 225
- مسجد باريس خدمة إسلامية أم دعاية فرنسية.... 225 – 229
- الحجاز وعملية الحج تحت الفرنسة..... 229 – 234
3- الإسلام الألماني مفتاح للتحالف الإستراتيجي وإضعاف للأعداء 235 – 237
- الجهاد صنع في ألمانيا..... 237 – 240
- مؤسسات وتقنيات الدعاية الألمانية 240 – 248
- الدعاية والدعاية المضادة..... 240 – 241
- معسكر الهلال نموذج للإسلام الألماني..... 241 – 243
- الصحافة وسيلة للدعاية الألمانية في البلاد العربية والإسلامية.. 243 – 244

- إ ستقطاب الرموز القومية والإسلامية الكبرى 248 – 244
4- إندلا ع الحرب العالمية الأولى بين ضرورة التجنيد وتوظيف النخبة والديانة الإسلامية **298 – 249**
- الدعاية الألمانية – العثمانية ضد التجنيد وأثرها في الجزائر..... 251 – 249
- مضمون الدعاية الألمانية وأبرز أدواتها..... 259 – 251
- ثقل النخبة الجزائرية ضمن الدعاية الألمانية – العثمانية..... 262 – 259
5- صدى ومدى نجاح الدعاية الألمانية – العثمانية في الجزائر... 271 – 262
6- الدعاية الفرنسية " فلينصر الله أمنا فرنسا"..... 277 – 271
7- مواقف النخب المختلفة وعامة الجزائريين من التجنيد الإجباري 278 – 277
- موقف النخبة المحافظة..... 287 -278
- موقف النخبة الإندماجية ودعاة المساواة..... 292 – 287
- موقف الأعيان و شيوخ الطرق الصوفية الموالية لفرنسا..... 298 -292

الفصل الرابع:

النخبة الجزائرية ومساهماتها في النضال القومي مشرقا ومغربا

1- الإتحاديون وتغريب الدولة العثمانية..... 304 – 300
2- النخبة الجزائرية تتصدر مقاومة التتريك مشرقا..... 306 – 304
- الشيخ طاهر الجزائري يغرس العروبة في حلقة دمشق الكبرى.... 312 - 306
- عمر الجزائري على مذبح الحرية..... 314 -312
- سليم الجزائري من رواد العروبة..... 319 - 314
3- النخبة الجزائرية الشامية تتصدر حركة التحرر السوري..... 322 - 320
- دور الجزائريين في قيام الحكومة العربية بدمشق..... 325 -322
- دور الجزائريين في الثورة السورية الكبرى..... 330- 325
4- النخبة الجزائرية والثورة العربية (1916م) بين مؤيد ومندد... 337 –330
5- النخبة الجزائرية تتصدر جبهات النضال في المغرب العربي 338 -337
6- الحرب الطرابلسية فرصة إحياء التضامن القومي والولاء للدولة العثمانية 344 – 338
- النشاط الصحفي والأدبي لدعم الجهاد الطرابلسي..... 352 – 345
367 – 352

- المساهمة في الجهاد العسكري والدعم الشعبي..... 368 -368
- الإجراءات الفرنسية لمنع الجزائريين من دعم الطرابلسيين..... 374 – 369
7- تونس قلعة في نضال النخبة الجزائرية.....
- عبد العزيز الثعالبي وفكره القومي الرائد.... 380 -374
- التعامل الفرنسي مع نضال النخبة الجزائرية في تونس.... 384 -380
8- النضال بالمغرب الأقصى تأكيد للبعد المغاربي..... 398-384
- الأمير عبد المالك بندقية جزائرية في أرض مراكش.... 388 -385
- حرب الريف تشد النخبة الجزائرية نحو مراكش... 396 -388
- رد الفعل الفرنسي على دعم الجزائريين للريفيين..... 398 -396

الفصل الخامس :

مواقف النخبة الجزائرية من مصطفى كمال أتاتورك و مسألة سقوط الخلافة

1- حيثيات سقوط الخلافة..... 404 – 400
2- صدى سقوط الخلافة عربيا وإسلاميا..... 414 – 404
3- النخبة الجزائرية بين الولاء للدولة العثمانية والإعجاب بتركيا الكمالية.. 415 -414
- موقف النخبة المحافظة من مصطفى كمال أتاتورك ومسألة الخلافة... 458 – 415
- موقف النخبة الإندماجية من أتاتورك ومسألة الخلافة.... 463 – 458
- الخلافة لدى بعض رموز الوطنية والفكر الأخرين.... 466 – 463
4- مؤتمرات الخلافة والبحث عن الفرصة الأخيرة.... 472 – 466
5- صدى سقوط الخلافة في الأدب الجزائري..... 474 – 472

الخاتمة..... 478 – 476
الملاحق..... 505 - 480
المصادر والمراجع(البيبليوغرافيا)..... 552 – 507
الفهارس..... 583-553
- فهرس الأعلام والشخصيات.....

- فهرس الأماكن والدول والشعوب
- فهرس الصحف والجرائد والمجلات
- فهرس الجمعيات والمنظمات والمؤتمرات...
- فهرس المواضيع 584- 589